

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

— قسنطينة —

صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل
في تفسير ظلال القرآن - لسيد قطب
— دراسة سياقية —

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة العربية والدراسات القرآنية

تخصص: نحو وصرف

إشراف الدكتور:

عبد الناصر بن طناش

إعداد الطالب:

عبد الله بوربيع

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الرئيسية	الصفة
			رئيسا
أ.د. عبد الناصر بن طناش	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
			عضوا
			عضوا
			عضوا
			عضوا

السنة الجامعية 1439-1440هـ / 2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأميرة أميرة
مركز الدراسات والبحوث
للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى من خفضت لهما جناح الذل من الرحمة
والذي الكريمين.

وإلى يناييع الأمل أبنائي: زكرياء، محمد لمن، وأسماء، وزين الدين، وآدم

وإلى لؤلؤة عيني زوجتي الكريمة.

وإلى كل من شمر على ساعد الجد والعزم في سبيل رفع

رايه العلم والمعرفة

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

الطالب: عبد الله بوربيع

شكر و عرفان

أتوجه إلى مولاي ربي بصادق الحمد والثناء، فهو الذي أسبغ علي نعمه ظاهرة وباطنة:

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19]

فالحمد لله الجليل ثناؤه، الوافر عطاؤه، الذي يسر العسير، وقرب البعيد، وسهل النجاح، وقدر من الصلاح، أحمده ربي على ما من عليّ من جهد، وأعاني لإتمامي هذا البحث العلمي الذي أبتغي به وجهه، فله الحمد في الأولى والآخرة وإليه المصير.

واعترافا مني بالفضل والجميل أتوجه بالشكر الخالص إلى أستاذي الفاضل الدكتور: عبد الناصر بن طناش رعاه الله وحفظه على تفضله بالإشراف على هذه الأطروحة، وعلى الجهد المتواصل النادر، والسرعة الفائقة في إنجاز أعماله الكثيرة، فجزاه الله عني كل خير ورزقه الإخلاص والصحة والعافية، ونفع بعلمه الطلاب والباحثين.

كما لا يفوتني أن أتقدم-سلفا-بجزيل الشكر إلى الأستاذة الدكتورة ذهبية بورويس ذات النفس الطيبة الخيرة، والإرادة الحديدية التي لم تتوان في تزويدنا - كل مرة - بالنصائح والتوجيهات العلمية والمنهجية القيمة المفيدة، فجزاها الله عنا - مرة أخرى - كل خير وصحة وعافية.

وإلى السادة الأفاضل الأشاوس أعضاء اللجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة راجيا من الله العلي القدير الرحيم أن يوفقهم جميعا لما فيه الخير والصلاح، وموفور الصحة والسعادة، وأن ينفعني بتوجيهاتهم القيمة المفيدة التي من شأنها أن تزيد البحث تنقيحا وضبطا وسموا علميا في إطار النهج المعرفي الصحيح.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه من الأطهار الغر الميامين الأئمة.

تتميز اللغة العربية بجركية أسلوبية وتركيبية عرض لها علماء العربية قديما وحديثا بالبحث والدرس، باعتبارها أساليب متميزة أو موضوعات متنوعة في ثنايا مؤلفاتهم نحو أسلوب التوكيد والاستثناء، والبدل، والتعليل والعطف، واسم الفاعل والمفعول والمبالغة واسم التفضيل والمصدر... ويعدّ هذا الثراء الأسلوبى للغة العربية دليلا على قدرتها على النفاذ إلى مختلف المعاني، بأساليب وطرائق مختلفة، للوصول بسهولة إلى ذهن المخاطب، قصد إفادته وإقناعه والتأثير فيه.

وقد كان مصدر ثراء اللغة العربية هو كثرة موادها اللغوية، وأبنيتها وصيغها الصرفية المعتمدة في عملية التواصل والتخاطب وكذا وفرة الأوزان الصرفية، الحافلة بالدلالات والمعاني، التي تكسو السياق دلالات جديدة ينشدها المتكلم البليغ في كلامه، فيختار منها ما يناسب المخاطب والموقف والمقام.

وقد كان هذا البحر الزاخر من المباني والصيغ والأوزان هو الذي كان سببا رئيسا في تنوع الأساليب في اللغة العربية، التي عرض له الباحثون، يتبعون أحكامه ودلالاته ومقاصده، كل ومقدته اللغوية والبلاغية، فنلاحظ منها ما حظي عندهم بعناية كبيرة، فأقيمت حوله دراسات وبحوث واسعة من مستويات مختلفة صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية... ومنها ما كان حظه يسيرا ضئيلا لم تتطلع إليه المهمم، ولم تمتد إليه الأعناق بعد..

1- أهمية الموضوع وإشكاليته:

الموضوع هو دراسة لغوية صرفية دلالية، تنطلق من الجانب النظري ثم تدعمه بالجانب التطبيقي المستخرج من مدونة تفسير «في ظلال القرآن» للأديب الناقد والمفكر الإسلامي سيد قطب المتضمنة لصيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل الواردة في الجزء الأول من المجلد الأول من المدونة.

والصفة المشبهة باسم الفاعل صيغة صرفية، ونوع من أنواع المشتقات المعروفة في العربية نحو: اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم التفضيل وغيرها، تؤيدها استعمالات أهل العربية قديما وحديثا، بدءا من شواهد القرآن الكريم إلى شعر ونثر العصر الجاهلي إلى الحديث النبوي الشريف.

وتضم صيغا وأوزانا عديدة بخلاف أنواع المشتقات الأخرى، مما جعلها متشعبة متداخلة دقيقة خفية نحو: فَعِيل، فَعِل، فَعَّال، فُعِّل، فَعَّل، فَعَّلَ، فَعَّلَان، وغيرها، وهناك من أضاف إليها صيغا وأوزانا أخرى سماعية.

ويكثر استخدام هذه الصيغ في الأغلب الأعم - اللدلالة على معنى قائم بالوصف على وجه الثبوت والدوام، لا على وجه الحدوث والتجدد نحو: حسن، وكريم، وصعب، وأسود، وحي، وقيوم، وميت وغيرها.

والاشكال في موضوع صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل متعدد ومتنوع نذكر منه ما تعلق بالصيغ القياسية الأصلية، وما تعلق بالصيغ السماعية المتمثل في أنها ليست دائما تأتي في صورتها الشكلية الظاهرة دالة على معنى الثبوت والدوام، والعكس هنا أيضا صحيح، أي: أن هذه الصيغ قد تأتي في صور أخرى لا تدل في أصلها على الثبوت والدوام بل تدل على الحدوث والتجدد لكن المقام، والسياق، والحال يجعل مثل هذه الصيغ التي لا تنتمي في أصلها إلى زمرة صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل التي تأخذ معنى الوصف الثابت الدائم أو شبه الدائم للموصوف وهذا الإشكال يتولد عنه إشكال آخر في هذه الصيغة ونظيراتها مما يحتم علينا التعرف على الفروق الدلالية بين هذه الصيغ العديدة ودلالاتها الدقيقة الخفية المتداخلة وهو الأمر الذي يفرض طرح مثل هذه الأسئلة: فما الفرق بين صيغة فَعِيل في مثل هذا المقام وبين صيغة مفعول؟ وما الدلالة التي تؤيدها كل منهما؟ وهل هذه الدلالة ثابتة لكل منهما أو متغيرة حسب السياق والمقامات؟

ومن أجل ذلك يجب ألا نعثر بالصور الشكلية الظاهرة فنتسرع فنخطئ الفهم فنصدر الحكم بعيدا عن الدلالة الحقيقية الصحيحة التي تفيدها الصيغة في صورتها الظاهرة كما هو الحال مع كثير من

الشواهد والأمثلة الشعرية وكذا النماذج القرآنية.

وحيث كانت هذه الصيغ أكثر تعددا وتنوعا، واختلافا في الدلالة والأغراض، فهي تأتي غالبا في أشكال وصور متباينة وفقا للمقامات، والسياق والأحوال أين تلغى فيها القواعد القياسية المطردة، حيث نلاحظ أن كلا من اسمي الفاعل نحو: البارئ، المصور، المهيمن، الخالق، الباسط، القابض، القادر، المقتدر، الفاعل، والمفعول نحو: مسطور، المرفوع، المنشور، المعمور، محضود، منضود، موصدة، الموقدة، ينبغي أن نكون على حذر وانتباه وفي تريث وتدبر جيدا فيها، فالقرآن الكريم خاصة وفي غيره من النصوص القديمة والحديثة.

وكذلك صيغ المبالغة نحو: غفار، فعال، علام، ثواب، وهَّاب، أوَّاب كما وردت في القرآن الكريم من جهة واستخدمت كذلك في مدونة تفسير «في ظلال القرآن» تفيد- في الأعم، الأغلب معنى الوصف الثابت الدائم للموصوف.

إضافة إلى أن هذه الصيغ التي وردت في المدونة السالفة الذكر ذات العلاقة الوثيقة بالقرآن الكريم الذي يجمع كثيرا من هذه الصيغ على اختلاف أشكالها وصورها، فهي جد متأثرة بكتاب الله وتستمد منه أسلوبها، وتراكيبها، ومفرداتها، وصيغها هذه الصيغ بالذات هي التي اشتغلنا عليها في موضوع بحثنا الموسوم بـ: «صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل» في تفسير «ظلال القرآن» «دراسة سياقية» ذات خصوصية متميزة لأنها تتعلق بعقيدة المؤمن الصادق في إيمانه بربه، وتوحيده، وتصوره الإسلامي السليم، ومعرفته الصحيحة لربه المتره عن العيوب والنقائص التي لا تبرأ منها مخلوقاته.

وكان الإشكال أيضا في دراسة، ووصف، وتحليل هذه الصيغ من جانب اتصالها اللصيق الوطيد بذات الله وصفاته وأسمائه الحسنى، ومدى قدرة البحث على التوفيق بين الفهم الصحيح والعميق لها- مع ملاحظة ذلك الاختلاف الكبير الواضح بين العلماء في مدلولاتها- دون الوقوع في الفهم المنحرف الفاسد لذات الله المتره، ودون الانتقاص أو التشويه في هذه الصفات والأسماء التي فيها جانب كبير من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم وهم قليلون، وبين الإفادة من هذه الصفات والصيغ في الواقع العملي من حياة العبد المؤمن على المستوى العقدي! والتعبد، والتعاملي، وحتى الشرعي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا البحث يتناول الجزء الأول من المجلد الأول من المدونة التفسيرية وليس شاملا لكل المدونة فهذا يحتاج إلى مجلدات لأن الجزء الواحد فقط يضم مئات ومئات من صيغ

الصفة المشبهة باسم الفاعل.

2- أسباب اختيار الموضوع:

أما عن الأسباب والدوافع التي حبت إلينا البحث في هذا الموضوع فهي عديدة يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- دافع شخصي داخلي مكتسب منذ عهد الطفولة المبكرة، وعهدها الأول بالدرس والتحصيل العلمي.

2- تعلقنا الشديد بمدونة تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب-رحمه الله- وفكر صاحبها، وتصورها الديني، وثورته على الجمود الفكري، والعلمي، والتدهور الأخلاقي والتربوي الذي ساد المعمورة، وكذا بروزه على المستوى النقدي والأدبي، والتذوق الفني والجمالي.

3- هذا ومن خلال تحصيلنا العلمي اللغوي استرعى انتباهنا موضوع الصيغ والمشتقات بأنواعها، ومحاولة اكتشاف تلك العلاقات التي تربطها ببعضها وتداخلها، وكذا الفروق الدلالية الدقيقة الخفية بينها، وأيضا علاقاتها الوثيقة الدقيقة بكل من الفعل والاسم بشتى أنواعهما، وهما ركنان أساسيا في بناء هيكل مفردات ومسائل علوم العربية وأبوابها، ومدى التأثير والتأثر المتبادل فيما بينها جمعيا.

4- هذا النوع من المشتقات الذي وقع اختيارنا عليه يتمثل في صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل- وهو موضوع لاحظنا أنه لم ينل حظه من الدرس والبحث والعناية عند علمائنا القدماء منهم والمحدثين من جهة، وبقصد إزالة اللبس عنه والتنبيه إليه بتعريفه، ومحاولة الكشف عن الفروق الدقيقة بين أبنيتها، وأوزانه، وصيغة في ذاتها، وكذا بينها وبين شقيقتها من أنواع المشتقات الأخرى نحو اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، وبذل الطاقة في الكشف كذلك عن العلاقات الدلالية والصرفية والنحوية-ولو على سبيل الإجمال- التي تربط فيما بينها، وكشف الغطاء عن السياقات والمقامات والأحوال التي تحل فيها محل بعض.

-الهدف من الدراسة والمنهج المتبع:

1-السعي لكشف أسرار العربية وكنوزها من أجل الوصول إلى إدراك دلالات ووظائف مفرداتها وأبنيتها الخفية.

2- السعي لكشف رتبة الاشتقاق والمشتقات بالنظر لموضوعات ومسائل العربية الأخرى، ومدى إسهامها في خدمة العربية وفهمها وكشف أسرارها بكل أبعادها ومستوياتها اللغوية والنحوية والصرفية والدلالية وحتى البلاغية، بالتنبيه على ضرورة ربط هذه الموضوعات والمسائل اللغوية العلمية بالاستعمال اليومي الواسع، وإدراك مغزاها وأبعاد دلالاتها المختلفة قراءة وكتابة وتداولاً.

3- السعي إلى إعطاء مزيد من الاهتمام -بمحا ودرسا- لموضوع الاشتقاق والمشتقات والصيغ والأبنية لأن الاشتقاق -في الحقيقة- هو علم قائم بذاته لتمييز مسائله وقضاياها عن سائر مسائل وقضايا العربية، ولتنوع هذه المسائل وغزارتها ودقتها وصعوبتها وتداخلها في كل نوع من أنواع المشتقات، ولتوفر قواعدها وأصولها الضابطة لمسائلها.

وأما منهج البحث فيقوم على استقراء المادة ووصفها وتحليلها: هو منهج استقرائي إحصائي لأنه -ومن خلال هذه الدراسة- يتعقب الصيغ والمفردات، ويرتبها، ويصنفها تبعاً لأبنيتها، وأوزانها، وصيغها التي وردت فيها ثم يضعها ضمن جداول بيانه إحصائية خاصة بكل زمرة ليصل في نهاية المطاف إلى الكم الحقيقي الفعلي المضبوط بالعد والإحصاء الذي تمثله كل زمرة على حدة.

وهو أيضاً منهج وصفي، تحليلي لأنه ينطلق من التقصي والتتبع للجزئيات بالشرح والتفسير، والتحليل، والاستنتاج معزّزا ذلك كله بالتعليل، والاستنتاج مع محاولة انتقاء النماذج التي تم الوصول إليها وجمعها من الجزء الأول من المجلد الأول وليس من المدونة كلها، مدونة تفسير «في ظلال القرآن» من صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل، مفردة ومركبة ضمن سياق التعبير الإفرادي والمركب المتشابه المتداخل للوصول إلى النسيج الكلي العام الذي يجمع ويربط هذه الصيغ المختلفة الأبنية والأوزان بعضها ببعض.

4- الدراسات السابقة في الموضوع:

والصفة المشبهة باسم الفاعل مع أنها الصيغ اللغوية ذات الاستعمال الواسع وهي لذلك على جانب كبير من الأهمية في العربية إلا أنها لم تحظ بدراسة وافية مستقلة كغيرها من الصيغ والأبنية الأخرى، ولعل ذلك -في تقديرنا- يعود إلى تعدد أوزانها، وأبنيتها، وصيغها، وتداخلها فيما بينها من جهة، ولما بينها وبين الأنواع الأخرى من الأسماء والصفات من تداخل وتشابك وحلول بعضها محل بعض في أحيان كثيرة في السياق والمقام والحال.

ففي حدود اطلاعنا لم نعر على دراسة أو بحوث مستقلة تناولت موضوع الصفة المشبهة باسم

الفاعل بشقيه النظري والتطبيقي، هذه الصفة وصيغها المختلفة التي نلمح النصوص التراثية العربية تحفل بها، خاصة القرآن الكريم والحديث النبوي فلماذا لم تشرئب أعناق الباحثين والدراسين إليها مع انها غنية بتنوع الدلالات والوظائف والأغراض المختلفة؟

وكل ما عثرنا عليه هو عبارة عن دراسات وبحوث نظرية في أغلبها تناولت موضوعات وقضايا لغوية وصرفية واشتقاقية تعرض لبعض جوانب صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل ومغفل بعضها الآخر مع تركيزها في الغالب على الوظائف النحوية والأحكام الإعرابية للصفة المشبهة مع شيء من التفاوت في هذه المعالجة بين هذه المصنفات سواء عند علماء العربية القدماء أم المحدثين نحو: كتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري الذي شرحه ابن جني، ونحو الخصائص لابن جني، وكتاب الاشتقاق لأبي بكر بن دريد الأزدي ثم شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترابادي، واللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان وكتاب: معاني الأبنية في العربية لصاحبه فاضل صالح السامرائي وأخيرا الوظائف النحوية للصفة المشبهة في تراكيب الجملة الشرطية القرآنية للمؤلف محمد محمود بندق وكما هو ظاهر فإن الوظائف النحوية هي المهيمنة على جل دراسة هذه الصيغ والأبنية لا الجانب الصرفي والاشتقاقي العلائقي المقرون بالدلالة والمعنى.

5- بعض المصادر والمراجع المعتمدة في الموضوع:

ومن المصادر والمراجع التي اعتمدها في إنجاز هذا البحث مصادر ومراجع قديمة متمثلة في المعاجم والقواميس اللغوية نحو: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ومعجم تهذيب اللغة لأبي منصور محمد أحمد الأزهرري، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، ومعجم لسان العرب لابن منظور وغيرها.

ومنها مصادر ومراجع لغوية، نحوية وصرفية نحو: الكتاب لسيبويه، والخصائص لابن جني، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والمتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، وشرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترابادي وغيرها.

ومن مدونات تفسير القرآن الكريم المعتمدة في البحث: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي، وتفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، وتفسير الكشاف للزمخشري ومن المصادر والمراجع الحديثة التي استعناها في إنجاز البحث عامة، والتحليل خاصة: كتاب: معاني النحو لفاضل صالح السامرائي، وكتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام

حسّان، وكتاب: معاني الأبنية في العربية لفاضل صالح السامرائي، ومدونة النحو الوافي التي جاءت في أربعة أجزاء لعباس حسن وكتاب من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس وغيرها.

ثم تأتي مؤلفات سيد قطب وأخيه محمد قطب وعلى رأسها: التصوير الفني في القرآن، ومعالم في الطريق، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته، أما كتاب: جاهلية القرن العشرين فهو لمحمد قطب الذي أحدث به صاحبه ضجة كبيرة ولازال في العالم العربي الإسلامي خاصة، وكتابه القيم: الإنسان بين المادية والاسلام الذي بين فيه انحراف الإنسانية عن فطرتها التي فطرها الله عليها بسقوطها في وحل المادية المدمرة لكيانه.

وفي الختام نذكر من بين المدونات التفسيرية العصرية الشهيرة التي اعتمدها-في بحثنا- كثيرا لأنها سدّت فراغا كبيرا في إنجاز وتحليل البحث يأتي على رأسها: تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، وتفسير: «في ظلال القرآن» لسيد قطب، وموسوعة أسماء الله الحسنى لمحمد راتب النابلسي، وموسوعة أخلاق القرآن لأحمد الشرباصي، وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني.

تمهيد:

تعريف بـ"سير قطب" وتفسير "في ظلال القرآن"

أولاً: تعريف بـ"سير قطب"

ثانياً: التعريف بالمرونة التفسيرية "في ظلال القرآن"

أولاً: تعريف بـ"سير قطب"

1- حياة سيد قطب

2- طفولته

3- مكانته العلمية والأدبية

4- مؤلفات سيد قطب

تمهيد: حياة سيد قطب

ليس من وكّد البحث أن يدخل في مسرّد التفاصيل عن حياة سيد قطب -رحمه الله- وآثاره، بل هو يتوقف عند مبحثين، الأول: حياة سيد قطب العامة، والثاني: حياته العلمية.

1- حياة سيد قطب:

أ-نسبه ومولده: وُلد سيد قطب في شهر أيلول (سبتمبر) من سنة ألف وتسعمائة وست (1906م)، وكانت ولادته في قرية من قرى الصعيد المصري تدعى (مُوشى) إحدى قرى محافظة أسيوط.

ب-نشأته: نشأ سيّد في أسرة ليست عظيمة الثراء، ولكنها ظاهرة الامتياز، وكانت أسرته عظيمة الثروة في وقت سابق، ولكن ثروتها توزعت وتضاءلت بالميراث... ولم ينل من الميراث إلا نصيباً محدوداً، وكانت والدته سيّد قطب امرأة متدينة جداً، وقد نشأ سيد قطب في هذا الجو الأسري الثري، الذي يمتاز عن بقية الأسر الأخرى في القرية بالوجاهة والثراء، مما جعله يشعر أنه من وسط آخر غير وسط القرية، وكان يُحيط بهذه الأسرة ويقومُ على خدمتها عدد من الخدم... كانوا ناساً من الفقراء بعضهم يمت إلى العائلة بصلة القرابة في أصولها البعيدة؛ وبعضهم يجاورها في السكنى، وكان هؤلاء يقومون بشؤون المنزل عدا الطعام الذي تنفر دُبه والدته سيد بإعداده، ولكن صلة هؤلاء بأهل البيت كانت صلة عائلية لا صلة الخادم بالمخدوم⁽¹⁾.

كان يجيد حفظ القرآن في سن مبكرة، ويتحدّث عن نفسه في هذا الصّد فيقول: «لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير ولا ترقى مداركي إلى آفاق معاينة ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه، ولكن كنت أجد في نفسي شيئاً.. لقد كان خيالي الساذج الصغير يُجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن، وإها لصورة ساذجة ولكنها كانت تشوق نفسي وتلد حسي، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها، وأنا بها فرح، ولها نشيط... من الصور التي كانت ترسم في خيالي إذ ذاك صورة كانت تتمثل لي كلما قرأت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾⁽²⁾.

⁽¹⁾-عبد الله عوض الحَبَّاص، سيد قطب الأديب الناقد، شركة الشهاب للنشر والتوزيع 10، نهج إبراهيم سرقة - باب الواد-

الجزائر، ص 81-82.

⁽²⁾-سورة الحج، الآية 11.

لقد كان يشخص في مخيلتي رجلٌ قائم على حافة مكان مرتفع (مسطبة) فقد كانت في القرية -أو قمة تل ضيقة- فقد رأيت التل المجاور للوادي- وهو قائم يُصلي، ولكونه لا يملك موقفه؛ فهو يتأرجح في كل حركة، ويهم بالسقوط وأنا بإزائه أتتبع حركاته في لذة وشغف عجيبين!!»⁽¹⁾.

2- طفولته:

كان هذا التصور في مخيلة طفلنا العزيز ينبئ بشيء عظيم - كانت هذه البادرة في تجسيد معاني القرآن عبر مشاعره بهذه الحيوية الدافقة هي أول فيوضات فهمه للتصور الفني، وكانت هذه خصائص نفس الكاتب الإسلامي الذي نظم قلائده "في ظلال القرآن" وأذاب وجدانه الذكي الأسر ليكون مدادا لمعاني آيات القرآن الخالدة.

وأما الحُصيصة الثانية في طفولته فكانت رغبته العارمة في قراءة الكتب...، وكانت هذه الحُصيصة الثانية في طفولة الشاعر المبدع؛ الرقيق الحس، الذي تناسب كلماته في رفق إلى أغوار وجدانك فتقدم لك من مشاهد الطبيعة لوحة حية لمعنى الأمل والحياة والبعث.. كما بدت أشعاره بعد ذلك في شبابه يقول:

زَهْرَةٌ قَدْ كَادَ يَعْرُوهَا الذُّبُولُ ثُمَّ حَيْثَهَا تَبَاشِيرُ الرِّيبِيعِ
فَهِيَ تَرْتَبُو بَيْنَ صَاحٍ وَذُهُولِ مِثْلَمَا تَحْتَارُ فِي الْعَيْنِ الدُّمُوعُ⁽²⁾⁽³⁾

وتتسامي أنغام حبه للطبيعة، بل وللكون كله فيصعدها في شعره زفرات في ساحة الفداء والتضحية بعد أن عرف قلبته إلى الله وابتلى في سبيله بكل ألوان العذاب، فيخاطب أصحابه في ركب المجاهدين فيقول:

أَحْيِي إِنْ ذَرَفْتَ عَلَيَّ الدُّمُوعَ وَبَلَّلْتَ قَبْرِي بِهَا فِي خُشُوعِ
فَأَوْقِدْ لَهُمْ مِنْ رُفَاتِي الشُّمُوعِ وَسَيِّرُوا بِهَا نَحْوَ مَجْدٍ تَلِيدٍ!⁽⁴⁾

ولا يفوته أن يُبصِّرَ إخوانه بحقيقة الحرية التي يجب أن يراها المؤمن من وراء الكيد العبيد فيقول:

(1)- سيد قطب؛ التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط3، 1983م، ص7.

(2)- الشاهد من بحر الرمل، للشاعر سيد قطب؛ الديوان جمعه ووثقه وقدم له: عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1989م، ص230.

(3)- صلاح شادي، الشهيدان: حسن البناء وسيد قطب، دار الشهاب عمار قرني، باتنة، الجزائر، (د.ط، د.ت)، ص50-51.

(4)- الشاهد من المتقارب، للشاعر سيد قطب، الديوان، ص292.

أَخِي أَنْتَ حُرٌّ وَرَاءَ السُّدُودِ أَخِي أَنْتَ حُرٌّ بَتَلَكِ الْقِيُودِ
 إِذَا كُنْتَ بِاللَّهِ مُسْتَعَصِمًا فَمَاذَا يُضِيرُكَ كَيْدُ الْعَبِيدِ؟
 أَخِي سَنُبِيدُ جِيُوشَ الظَّالِمِ وَيُشْرِقُ فِي الكَوْنِ فَجْرٌ جَدِيدُ
 فَأَطْلِقْ لِرُوحِكَ أَشْوَاقَهَا تَرَّ الفَجْرَ يَرْمُقْنَا مِنْ بَعِيدِ⁽¹⁾

أما الخبيصة الثالثة في نفس سيد في طفولته الواعية فكانت استعلاؤه على الظلم والظالمين.

3-مكانته العلمية والأدبية:

من ينظر في مؤلفات سيد قطب النقدية مثل "كتاب وشخصيات" و"النقد الأدبي" يجد المؤلف يُحيل القارئ إلى كثير من المترجمات، في كثير من المواضع، مما يثبت إطلاعه على تلك المترجمات، وتدلنا مقالاته النقدية العديدة على سعة إطلاعه، فقد تناول فيها معظم ما أنتجه جيل الشيوخ والشباب، من دواوين شعرية، وقصص وروايات وكتب نقدية وفكرية، نقدا وتعريفا.

وقد أشار إلى شيء من ذلك في مقال له موجه إلى أحمد أمين؛ يقول فيه⁽²⁾: «كتبتُ عنكم بلا استثناء شرحت آراءكم، وعرضتُ كتبكم، وحللت أعمالكم بقدر ما كنتُ أستطيع»⁽³⁾.

وأكد محمد قطب أن سيدا كانت عنده مجموعة من كتب العقاد وطه حسين والمازني، وأن مكتبته كانت تنمو باستمرار، وأن أكثر ما في مكتبته كتبٌ مَهْدَاةٌ له لينقدها⁽⁴⁾.

ويشير سيد في كتابه (معالم في الطريق) إلى كثرة مطالعته؛ التي لم تقتصر على تخصصه، بل تعداه لتشمل حقول المعرفة الأخرى، فيقول عند حديثه عن قضية (التصور الإسلامي والثقافة): «إنّ الذي يكتب هذا الكلام إنسانٌ عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة والإطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية... ما هو من تخصصه، وما هو من هواياته»⁽⁵⁾.

وكان سيد قطب مشغولاً بقراءة ما يُكتبُ في مباحث علم الحياة، والبحوث النفسية، وبعض

(1)-الشاهد من البحر المتقارب، للشاعر سيد قطب، الديوان، ص291.

(2)-عبد الله عوض الخياص، سيد قطب الأديب الناقد، ص113-114.

(3)-سيد قطب، إلى أستاذنا الدكتور أحمد أمين، مجلة الثقافة، السنة الثالثة عشر، العدد663، 1951، ص8.

(4)-من مقابلة صلاح دحبور لمحمد قطب، مجلة المجتمع، مج6، العدد275، سنة 1975م، ص14-18.

(5)-سيد قطب، معالم في الطريق؛ القاهرة- بيروت؛ دار الشروق؛ د(ت.ط)، ص131.

المواضيع العلمية البحتة، ويُقبل عليها حتى أنه يفضل قراءتها— في المجلة أو الصحيفة التي يتناولها— قبل قراءة المواضيع الأدبية فيها، فهو يذكر أنه حينما كان يتناول صحيفة كـ(المقتطف)، فإنه كان يبدأ «بقراءة البحوث النفسية ومباحث علم الحياة، وما قد تتضمنه عن علم وظائف الأعضاء، وعن تحطيم الذرة... وما أشبه ذلك قبل أن أتناول ما بها من بحث أدبي أو قصيدة»⁽¹⁾.

ولم تكن مطالعات سيد قطب الدينية ذات طابع مميز، إلا بعد اتجاهه الإسلامي، وبخاصة بعد عودته من أمريكا، فقد أقبل على الثقافة الإسلامية يقرأها بنهم، حتى لقد «بلغ مجموع ساعات مطالعاته في اليوم عشر ساعات كحد أدنى للبحث والإطلاع»⁽²⁾، كما ذهب إلى ذلك بعض عارفيه. ومن ينظر في مؤلفات سيّد التي أصدرها في الخمسينيات والستينيات، ذات الطابع الإسلامي البارز، يدرك أن ثقافته الدينية كانت تشمل الكثير من المؤلفات القديمة والحديثة، في الحديث والتفسير والفكر الإسلامي، والثقافة الإسلامية، حيث نجده يميل إلى كثير منها في كتبه.

وقد أكثر سيّد قطب— في مطلع حياته الأدبية— من نظم القصائد الشعرية وكان ينشرها في الصحف والمجالات الأدبية، وبخاصة على صفحات "البلاغ الأسبوعي" سنة ألف وتسعمائة وتسع وعشرين (1929) وألف وتسعمائة وثلاثين (1930م)، وقد أصدر ديوانه الشعري "الشاطئ المجهول" في أول يناير عام ألف وتسعمائة وخمسة وثلاثين (1935م)، واستمر ينظم الشعر بعد ذلك فنشر قصائد عديدة في "الرسالة" و"الثقافة"، و"المقتطف"، و"الكتاب"، و"صحيفة دار العلوم"، و"العالم العربي" وغيرها في الثلاثينيات والأربعينيات⁽³⁾.

وقد استطاع سيد قطب أن يلفت نظر أدباء مصر ونقادها إليه ناقدا أكثر منه شاعرا، فقد تمكن من إتقان فن كتابة المقالة النقدية منذ الثلاثينيات، وخاض معارك أدبية عنيفة مع الشباب والشيوخ على حدّ سواء، وظلت كتابته للمقالة النقدية تنمو، وتأخذ طابعا أكثر نضجا، حتى إذا في الأربعينيات من أشهر النقاد المصريين في مجال كتابة المقالة النقدية⁽⁴⁾.

(1)– سيد قطب، بين العقاد والرافعي، (المقال السادس)، مجلة (الرسالة)، المجلد الأول، السنة السادسة، العدد 257، 1938م، ص937.

(2)– جماعة أصدقاء سيد قطب، الشهيد سيد قطب، (د.ت.م)، ص37.

(3)– عبد الله عوض الحياص، سيد قطب الأديب الناقد، ص114-118.

(4)– سيد قطب، طفل من القرية، جدة، الدار السعودية للنشر، (د.ط، د.ت)، ص88.

4- مؤلفات سيد قطب:

وربّما استوقفنا غزارة إنتاج سيد قطب في جوانب ملكاته المختلفة كأديب وقصصي وشاعر ومؤلف إسلامي وداعية ونذكر من مؤلفاته القصصية:

1- طفل من القرية.

2- أشواك.

3- المدينة المسحورة.

4- قصص الأنبياء.

5- الأطياف الأربعة.

ونذكر من دواوين شعره:

1- الشاطئ المجهول.

2- حلم الفجر.

3- قافلة الرقيق.

ونراه ناقدا منصفا كذلك في كتابه "نقد مستقبل الثقافة في مصر"، الذي صدر في ثمانين صفحة عرض فيه برأيه في كتاب طه حسين الذي أثار ضجة حينذاك بدعوته إلى الأخذ من حضارة الغرب "حلوها ومرها، خيرها وشرها"، وأبرز سيد قطب في نقده لهذا الكتاب المغالطات التي أوردها طه حسين في هذا الشأن بصورة واضحة لا لبس فيها...

كما قدّم في مجال النقد أيضا كتابه "النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، أما سيد قطب صاحب الفكر الإسلامي الرشيد فأوّل ما قدّم في هذا الصدد "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، ثم أردف كتابه هذا بمؤلفاته الآتية⁽¹⁾:

1- معركة الإسلام والرأسمالية.

2- السلام العالمي والإسلام.

3- دراسات إسلامية.

(1)- صلاح شادي، الشهيدان: حسن البناء وسيد قطب، ص ص 68-69.

4- نحو مجتمع إسلامي.

وعندما تحركت أشواق سيد قطب ليخدم الحركة الإسلامية في إطار جماعة الإخوة المسلمين -
قدم للإسلام هذا التراث الخالد:

1- هذا الدين.

2- المستقبل لهذا الدين

3- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته.

4- الإسلام ومشكلات الحضارة.

5- في ظلال القرآن.

6- معالم في الطريق.

وخلاصة القول أن سيدا كان يؤمن بضرورة الإمام العلمي الرضين والتنويع الثقافي الواسع وإتقان اللغات الأجنبية التي باتت ضرورة ملحة لمن أراد أن يشهد ذهنه بأنواع العلوم والمعارف والثقافات العصرية التي تمكنه من معرفة المناهج والنظريات والمذاهب والتيارات الغوية والنقدية والأدبية والفلسفية المستجدة في عالم أصبح يزخر بإنتاج العلوم والمعارف والنظريات والمذاهب على اختلاف تخصصاتها وفروعها لكي يمكنه ذلك من فهم نفسه وعصره وتبليغ رسالته لأبناء جلدته وقومه والناس أجمعين.

ثانياً: التعريف بالمردونة التفسيرية «في ظلال القرآن»

- 1- مادتها العلمية.
- 2- علاقات مؤلفات سيد قطب بالمدونة.
- 3- غرض المؤلف من تأليف مدونة «في ظلال القرآن»
- 4- منهجه في تفسير «الظلال»
- 5- أهم خصائص تفسير مدونة «في ظلال القرآن»

ثانيا: التعريف بالمدونة التفسيرية "ظلال القرآن"

1- مادتها العلمية:

إن مدونة تفسير "في ظلال القرآن" لصاحبها، سيد قطب - رحمه الله - تتكوّن من ستة مجلّدات وثلاثين جزءا حسب الطبعة الشرعية الثانية عشرة لدار الشروق بيروت لبنان لسنة 1986م الموافق لسنة 1406هـ⁽¹⁾.

2- علاقت مؤلفات سيد قطب بالمدونة:

إن مدونة تفسير «في ظلال القرآن» تعد مصدر الرئيس لمؤلفات سيد قطب خاصة الإسلامية منها، فهي النهر الجارف وغيرها من مؤلفات سيد قطب الروافد لها التي تكاد لا تحيد عنها في أفكارها وآرائها ومنهجها وتوجهاتها، وأغراضها لذا نجد الكاتب في هذه المؤلفات الإسلامية كثيرا ما يحيل القارئ طالبا منه إن أراد التوسع في فكرة أو رأي الرجوع إلى هذه المدونة التي يأتي فيها على معالجة الفكرة أو الرأي من جميع جوانبها و منحنياتها وعناصرها المتشعبة فيها.

3- غرض المؤلف من تأليف مدونة "في ظلال القرآن":

وكان الغرض الأساسي للقرآن - كما فهمه سيد قطب - هو غرض عملي حركي واقعي، حيوي، إنّه يهدف إلى تكوين الشخصية الإسلامية النبوية، وإنشاء الجماعة الإسلامية السوية، والمجتمع الإسلامي، وقيادته في معركته الحتمية مع الجاهلية⁽²⁾ يقول مصرّحا بذلك: «نزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ لينشئ به أمة؛ وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعا، وليربي به ضمائر وأخلاقا وعقولا، وليحدد به روابط ذلك المجتمع فيما بينه، وروابط تلك الدولة مع سائر الدول على أساس من عقيدة خاصة، وتصوّر معين، وبناء جديد.. الأصل فيه أفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية والسلطان؛ وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه وحده بلا شريك»⁽³⁾.

«وقد أدرك الصحابة هذا الغرض القرآني حقّ الإدراك، وفهموا مهمته حقّ الفهم، ومن ثمّ تملّوها خير تمثيل، ونفذوها أصدق تنفيذ»⁽⁴⁾.

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط12، 1986م، مج1، ج1، صص6-7.

(2) - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في "ظلال القرآن"، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م، ص33.

(3) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج2، ج6، ص825.

(4) - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في "ظلال القرآن"، ص33.

إن فهم سيد قطب للإسلام في -منظورنا- لا غبار عليه إذا أردت الأمة العربية أن تكون أمة عربية مسلمة بالمعنى الصحيح للكلمة، بعيدا عن كل ترقيع وتشويه وخلط للأمر، وإيهام الناس بأننا مسلمون غير أن الواقع المعيش لجميع شؤوننا العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والإقتصادية والتشريعية هو في الحقيقة ضعيف الصلة بالإسلام وتصوره ومبادئه وتوجيهاته الإلهية الربانية.

4- منهجه في تفسير "الظلال":

وقد كان سيد قطب يرفض المغالاة في الاهتمام بالتفسير العلمي⁽¹⁾، وأنكر منهج مدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير، ونال من محمد عروة درّوزة صاحب كتاب "التفسير الحديث"، وكان معنيا بربط الماضي بالحاضر -وبخاصة في الطبقات الأخيرة المنقحة من الظلال مما جعله يُكثر من المقارنة بين ظروف الصحابة الذين نزل فيهم القرآن، وظروف المسلمين والناس اليوم، مُهاجما ما سماه بالجاهلية التي تسود الناس اليوم في كثير من صفحات كتابه، وهاجم الداعين إلى تطوير الفقه الإسلامي وسماه فقه الأوراق لا فقه الحركة.

وقد اعتمد سيد قطب في منهج تفسيره على كثير من التفاسير القديمة والحديثة، وكتب الأحاديث والتاريخ والسير، وكثير من المؤلفات الحديثة العربية والأجنبية (المترجمة إلى العربية)، التي أشار إليها في مواضع كثيرة من كتابه، أو في هوامش الصفحات، بجانب اقتباسه وإحالة القارئ إلى معظم مؤلفاته التي صدرت، أو الأخرى التي وعد بإصدارها؛ مما جعل كتابه كتاب ثقافة لا يستغني عنه مثقف مُعاصر، أقرب منه إلى كتب التفسير المعروفة.

ويمنعنا من إطالة الحديث عن هذا الكتاب⁽²⁾ كثرة المؤلفات⁽³⁾ والمقالات⁽⁴⁾.....

(1)-المصدر السابق، ص33.

(2)-عبد الله عوض الخياض، سيد قطب، الأديب الناقد، ص315.

(3)-من هذه المؤلفات: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 248-249. محمد علي قطب، سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي، ص 98-111. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 373-374. ويوسف العظم، رائد الفكر الإسلامي المعاصر، ص 247-279. كما خصصت الدكتوراة سميرة شحاتة الفصل الثالث من رسالتها: سيد: فكره وأدبه، للحديث عن كتاب سيد "في ظلال القرآن".

(4)-من هذه المقالات: مجلة "الكتاب"، في ظلال القرآن، السنة الثامنة، ج3، مج12، 1953م، ص394. ومقابلة مع محمد قطب، مجلة "الغرباء"، السنة الثالثة عشرة، العدد 3، سبتمبر 1975م، ص11. ومحمد يوسف موسى، في ظلال القرآن، مجلة "الأزهر"، ج1، مج25، 1953م، ص 19-23. وأبو أسامة، نظرات في تفسير في ظلال القرآن، مجلة "الهلل"، 1977، ص174 وما

والدراسات⁽¹⁾ التي كتبت عنه، أو ما زالت تُكتبُ عنه»⁽²⁾، كما يمنعنا من إطالة الحديث عن هذا الكتاب موضوع هذا البحث كمعالجة موضوع صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل الواردة في هذه المدونة:

5- أهم خصائص تفسير مدونة "في ظلال القرآن":

والآن نرى أنه من الضروري الحديث -ولو باختصار شديد- عن أهم خصائص تفسير مدونة "في ظلال القرآن" وما تمتاز به عن غيرها من التفاسير القديمة والحديثة.

وقد امتاز تفسير "الظلال" بعدة أمور "انفرد بها عن سواه" ننقل بعضها من كتاب "علوم القرآن" للأستاذ عدنان محمد زرزور فيما يلي:

الأمر الأول: انطلاقه -أو ملاحظته- للغرض الأساسي الذي نزل القرآن الكريم من أجله، والمتمثل في إنشاء أمة لها خصائصها ومميزاتها، وتربية جيل على قواعد التربية الربانية تجعله صورة ناطقة عن الحق الذي نزل به القرآن، كل ذلك بما يتناسب في هذا العصر، مما لا يتعارض مع إعادة صياغة المسلم وفقا لمنهج كتاب الله من جديد.

الأمر الثاني: تسجيله لمعاني القرآن التي فهمها الصحابة رضوان الله عليهم، واستلهموها وعاشوا تطبيقها العملي الواقعي الذي لم يعرف تفريفا بين النظرية والتطبيق لتكون كلمة الله هي العليا كما تتضح في موقف الصحابة رضوان الله عليهم.

الأمر الثالث: محاولة سيد قطب -رحمه الله- في هذه المدونة تجاوز عصر الخلاف، أو عصر المذهبية الفكرية في تفسير القرآن التي وقعت في خطأ القرار الفكري المسبق، وذلك خضوعا للمدلولات القرآنية المباشرة، أو بصورة مباشرة على ما يحتاج إليه هذا الأمر من ثقافة واسعة، وحس مرهف، وتمكن علمي يؤهل صاحبه لمثل هذا الفهم المتكامل الذي يتخلص من التجزيء أو من أخذ الصورة القرآنية تفاريق..

بعدها. ومقابلة مع الشيخ عمر الأشقر حول سيد قطب ومنهجه، مجلة "المجتمع"، السنة التاسعة، العدد 11، 1978م، ص 11. محمد شحاتة، أبو الحسين، الشهيد سيد قطب واتجاهاته الجديدة في ظلال القرآن، مجلة "الوحي"، العدد 24، 1978، ص 18-23.

⁽¹⁾ -ومن هذه الدراسات المتخصصة، رسالة الماجستير التي قدمها إسماعيل الحاج أمين في جامعة الأزهر بعنوان "سيد قطب ومنهجه في التفسير، حيث تحدث عن منهج سيد في الظلال، ص 179-344.

⁽²⁾ -عبد الله عوض الحباص، سيد قطب، الأديب الناقد، ص 314-315.

الأمر الرابع: إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية - سيما في المقدمات التي كان يصدر بها تفسير السور بل لعله كان أول مفسر في تاريخ القرآن أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت!، ومنهم من ذهب إلى القول بها ولكنه عجز عن ملاحظتها وتقديمها فيما كتبه للناس من تفسير لكتاب الله تعالى⁽¹⁾»⁽²⁾.

«...ثم جاء سيد ليؤكد على هذه المحورية في السورة ليضع أيدينا بعد ذلك برفق وسهولة ولين على وجه الانتقال من موضوع إلى موضوع»

الأمر الخامس: طريقته في تفسير القرآن الكريم والتي كانت تقوم على مرحلتين:

الأولى: قراءته للسورة القرآنية كاملة عدة مرات وربما عاود قراءة والنظر فيها يوما بعد يوم حتى يهتدي - رحمه الله - إلى موضوعها الرئيسي، ومحورها العام الذي تدور حوله سائر موضوعاتها الفرعية الأخرى حتى إذا اهتدى إلى ذلك وفتح الله تعالى به عكف على تفسيرها بأقل قدر ممكن من الجلسات ولو أمكنه أن يفعل ذلك في مقام واحد لفعل... حتى إذا فرغ من تفسيرها جاءت المرحلة الثانية؛ وهي النظر في كتب التفسير، يستدرك بها سببا من أسباب النزول أو يوضح من خلالها مسألة من مسائل الفقه؛ أو يستشهد منها بحديث أو رواية صحيحة وردت في تفسير بعض الآيات، وربما مال إلى ترجيح رواية على أخرى مساوية أو مقاربة لها في درجة الصحة من خلال آفاق النص ونظمه، أو لارتباطه الأوثق ببعض مواقف السيرة وحياة النبي ﷺ.

الأمر السادس: وهو أمر ذو بال أهمله كثيرون فأخطأوا في التعامل مع "الظلال" ويتمثل في استخدامه - رحمه الله - لمصطلحات كثيرة معينة في القرآن⁽³⁾.

«كتلك التي تتعلق بالله عز وجل وخلق السماوات والأرض وغيرها»⁽⁴⁾، «و لم يقصد بها ما شاع من مفاهيمها ومعانيها في كتب الفقه والأصول وعلم الكلام، فترتب من عدم فهم هذا موقفا من بعض من درسوا الظلال وأطلعوا على أجزاء، فحوكم لتلك المصطلحات ووجهت إليهم تم كثيرة خصوصا فيما يتعلق بالعقائد، فإذا نجا المسكين من المذهب الأشعري وقع في شرك المذهب الخارجي، وإذا خلص من المذهب الخارجي وقع في فخ المذهب المعتزلي، أو المذهب السلفي وهكذا..»

(1)-تومي بن عمار، مفتاح الظلال، صص8-10.

(2)-عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجاز وتاريخ توثيقه، دار الإعلام- عمان، الأردن، ط1، 2005م، صص413-415.

(3)-تومي بن عمار، مفتاح الظلال، ص10.

(4)-عبد الله عوض الخباص، سيد قطب، الأديب الناقد، ص314.

وموقف آخر حَمَل كلامه ما لا يحتمل من معان وأوّل ما جاء فيها من مصطلحات تأويلات لم يقصدها المؤلف أصلاً.

وفي الختام يمكن القول بعد هذا: إنّ التفسير القديم ليس هو الصورة النهائية المثلى لتفسير القرآن على عظّمته، وجلال قدره، وضرورة الرجوع إليه كلما أردنا تفسير القرآن، كما أن تفسير "الظلال" ليس هو الصورة النهائية أيضاً لمظاهر التجديد والإبداع في هذا المجال، وأنه يجب على العقل الإسلامي أن يواصل مسيرته نحو طلب الأمثل حتى يتجدد الفكر الإسلامي وتتفجر طاقاته فيكشف أكثر الأساليب فعالية في ربط المسلمين بالقرآن وحشد عزائمهم⁽¹⁾.

وبسبب هذه الخصائص والميزات التي تميّزت بها مدونة تفسير "في ظلال القرن" وجدّتي مشدوداً إليها لما تركته من أثر في نفسي؛ وخشوع في قلبي؛ وأسر روحي؛ واستحواذ كامل على كياني كله.

فكنت كلما ضاقت بي الدنيا، واستولت عليّ الهموم، وانتابني القلق والحزن توجّهت إلى هذه المدونة أقرأ فيها تفسير آية قرآنية أو سورة قصيرة أو طويلة إلا وزالت عليّ تلك الهموم، وعادت إليّ راحة البال وشعرت بطمأنينة قلبية، وأحسست برحابة الدنيا وسعة الوجود، وهانت الدنيا بما فيها من متاع في عيني الأمر الذي لم أجده في تفاسير قرآنية أخرى قديمها وحديثها نحو: تفسير الطبري، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي، وتفسير الكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن المسمى: تفسير القرطبي، أو من المعاصرين كتفسير محمد الطاهر ابن عاشور الموسوم: بتفسير التحرير والتنوير، أو تفسير محمد جمال الدين القاسمي الموسوم بتفسير: محاسن التأويل؛ أو تفسير الشيخ محمد رضا المسمى (تفسير المنار) وغيرهم كثيرون.

وبرغم الفائدة والخدمة المتنوعة التي تقدمها هذه التفاسير لكتاب الله عز وجل وللعلم بصورة عامة؛ وللإنسانية قاطبة، كل تفسير في مجال اختصاصه، سواء منه المجال الفقهي أو اللغوي، أو البلاغي؛ أو الإعجازي بجميع مستوياته وحقوقه؛ أو الجهادي الحركي، فرغم كل ذلك تبقى مدونة تفسير "في ظلال القرآن" قمة سامقة في نظر كثير من العلماء المعاصرين المنصفين، وفي تقدير نحن كذلك بعد إطلاعنا عليها وقراءتنا المتكررة لها والتفاعل معها عن كثب، فهي كما قال نعيم

⁽¹⁾-بتصرف عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، ص 427.

الحمصي: «من خير من كتب في موضوعات القرآن في هذا العصر: "سيد قطب"»⁽¹⁾. وذلك راجع في نظرنا لما تتسم به من ميزات لغوية وعلمية وفكرية وتربوية وأخلاقية وعقدية، ووضوح ودقة وعمق في الرؤية، وواقعية حركية في الطرح، وتفاعل ومعاناة ومعاشة إيمانية ونفسية وفكرية وشعورية وروحية وجهادية للأنظمة الفاشية أدت به في نهاية المطاف إلى المشنقة وهو مرفوع الهامة، مرتاح الضمير، مطمئن النفس ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾⁽²⁷⁾ ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾⁽²⁸⁾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾⁽²⁹⁾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾⁽³⁰⁾ (2).

ويجوز لنا القول في هذا الصدد أن المؤلف قد عاش القرآن بعقله ووجدانه ومشاعره وجوارحه كلها، كما عاشه في دعوته وجهاده الواقع بجلوه ومره مثلما عاشه السلف الصالحين جادهم العقلي والنفسي والأخلاقي والعقائدي وفي ميدان المعركة الدائرة بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، وبين العدل والظلم وبين الصواب والخطأ، وبين النصر تارة، والانهزام تارة أخرى.

⁽¹⁾ -نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى الوقت الحاضر مع نقد وتعليق، تقديم: محمد بهجة البيطار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1980م، ص343.

⁽²⁾ -سورة الفجر، الآية 30.

الفصل الأول:

الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

المبحث الأول: صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس
اللغوي

المبحث الثاني: تداخل صيغ المشبهة مع غيرها من المشتقات
في الأوزان وسياق الاستعمال

المبحث الثالث: الصفة المشبهة باسم الفاعل بين القياس
والسمع

- صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي:

إذا عدنا إلى المصادر والمراجع التراثية العربية؛ وأمعنا النظر فيها من حيث معالجتها لصيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل؛ وأجرينا مقارنة بينها وبين مثيلتها من أنواع المشتقات نحو: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، واسمي الزمان والمكان، واسم الآلة وغيرها، أَلْفِينَا علماء اللغة العربية يكادون يُهملون التحدّث عن صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل أو يعرضون لها بإيجاز شديد عرضاً نظرياً محضاً، وإذا تحدّثوا عنها- بهذا الإيجاز- فهم يتناولونها- غالباً- ضمن اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو صيغ المبالغة باعتبار أنّ هذا النوع من المشتقات هو الأكثر لصوقاً بها وهو الأصل، أما صيغ الصفة المشبهة فهي الفرع المنبثق عن الأصل الذي عبّروا عن حقيقته حين ألصقوا صيغ الصفة المشبهة بصيغة اسم الفاعل- مثلاً- فجعلوه هو الأصل والأقوى والمؤثّر الأوّل في الجملة- تقدّما وتأخيراً- بعد الفعل المشتق منه، أما المشبّه به أي باسم الفاعل فهي الصفة المشبهة التي تعبّر عن الفرع، والتأخّر، والأضعف وبالتالي التبعية التامة الدائمة لاسم الفاعل والتأثر به في جميع أحوالها خاصّة الإعرابية منها.

وبناء على ما سبق يبدو لنا أن علماء العربية القدماء انصبّ اهتمامهم أوّل ما انصبّ بالدرجة الأولى على علم النحو والإعراب وجمع اللغة وروايتها لأغراض دينية ثم أتى اهتمامهم بعد ذلك بعلم الصرف في الدرجة الثانية ويليها بعد ذلك في المرتبة الثالثة والأخيرة علم الاشتقاق، «وقد كان يَنْبَغِي أن يُقَدَّمَ عِلْمُ التصريف على غيره من عُلُومِ العربية، إذ هو معرفة ذوات الحكم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه، قبل أن يَتَرَكَّبَ يَنْبَغِي أن تكون مقدّمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب»⁽¹⁾

وإذا ما أردنا الاستدلال على ما ذهبنا إليه من إعطاء الأولوية لعلم النحو والإعراب في الدرس اللغوي القديم لتكون البداية من المصنف الشهير في النحو والصرف لصاحبه سيويه (ت 180هـ) المعروف بـ"الكتاب" متصفحين الجزء الأوّل منه أَلْفِينَا يتناول الصّفة المشبّهة بالفاعل فيما عمّلت فيه، فيقول مبتدئاً: «و لم تقو أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع، فإنّها شُبّهت بالفاعل فيما عمّلت فيه، وما تعملُ فيه معلوم، إنّما تعمل فيما كان من سببها معرفة بالألف واللام أو

⁽¹⁾- ابن عصفور الإشبيلي: المتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط5، 1983م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الجمهورية العربية الليبية، ج1، ص 30-31.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

نكرةً، لا تتجاوزُ هذا، لأنّه ليس بفعل ولا اسم هو في معناه»⁽¹⁾

وَوَاضِحٌ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ سَبَبِيَّوِيَهُ هُنَا يَبَيِّنُ لَنَا عَمَلِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ فِيمَا بَعْدَهَا، كَمَا يَبَيِّنُ لَنَا كَذَلِكَ قُوَّةَ تَأْثِيرِ هَذَا الْعَمَلِ، فَهِيَ دُونَ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ لِأَنَّهُ فِي مَسْتَوَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ لَفْظًا وَدَلَالَةً وَزَمَنًا، وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَكَّفَاهَا أَنَّهَا شُبِّهَتْ بِاسْمِ الْفَاعِلِ فِي أَحْكَامِهَا الْإِعْرَابِيَّةِ؛ وَكَفَّاهَا أَنَّهَا تَحْتَلُّ الْمَرْتَبَةَ الثَّلَاثَةَ بَعْدَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، وَاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ هَذَا الْمَنْحَى، وَبِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ السَّرِيعَةِ الْمَوْجِزَةِ يَكْتَفِي سَبَبِيَّوِيَهُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ وَيَقْصُرُهُ عَنِ أَحْكَامِهَا الْإِعْرَابِيَّةِ مِنْ حَيْثُ التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْإِضَافَةِ دُونَ الْإِتْفَاتِ مِنْهُ إِلَى النَّاحِيَةِ الصَّرْفِيَّةِ وَالْإِشْتِقَاقِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي نَظَرِنَا وَثِيْقَةٌ الصَّلَةِ بِالنَّاحِيَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ النَّحْوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْمَصْنَفِ السَّابِقِ الذِّكْرُ الَّذِي قَصَرَ الْحَدِيثُ فِيهِ عَنِ مَبَاحِثِ، وَقَضَايَا صَّرْفِيَّةٍ مَحْضَةٍ، شَائِكَةٌ وَدَقِيقَةٌ وَهَامَةٌ فِي الدِّرَاسَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّةِ وَالصَّوْتِيَّةِ فِي عَالَمِنَا الْمُعَاوِرِ.

وَمِنْ هُنَا فَلَا يُمْكِنُنَا التَّهْوِينُ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَالْمَسَائِلِ وَالْبَحُوثِ اللَّغَوِيَّةِ اللَّسَانِيَّةِ، الصَّرْفِيَّةِ مِنْهَا وَالصَّوْتِيَّةِ وَحَتَّى الْإِشْتِقَاقِيَّةِ الَّتِي كَانَ لِعِلْمَانِنَا الْأَوَائِلِ فَضْلَ السَّبْقِ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَإِمَامِ النَّحْوِيِّينَ سَبَبِيَّوِيَهُ بِوَجْهِ أَحْصَى كَقَضَايَا الْإِشْتِقَاقِ، وَالْقَلْبِ، وَالْإِعْلَالِ، وَالْإِبْدَالِ، وَالتَّجْرِيدِ وَالتَّزْيِيدِ، وَصَوْلًا إِلَى الْإِدْغَامِ وَأَحْوَالِهِ وَحُرُوفِهِ، وَمِنْهَا إِلَى مَخَارِجِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصِفَاتِهَا، قُوَّيِّهَا وَضَعِيفِهَا، رَقِيقِهَا، وَمُفْعَلِهَا، الْمُؤَثَّرِ مِنْهَا فِي مَجَاوِرِهِ، وَالتَّأَثَّرِ، وَآثَرُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي الْمَعْنَى الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ لِلْكَلامِ، هَذَا الْأَمْرُ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُنْكَرَهُ لِعِلْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَوَائِلِ بِأَيِّ تَفْسِيرٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ تَبْرِيرٍ، يَبْدُ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ كَذَلِكَ لِأَيِّ أَحَدٍ أَنْ يَدَّعِي الْقَوْلَ الْفَصْلَ فِي أَيِّ إِخْتِصَاصٍ مِنْ إِخْتِصَاصَاتِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْهَا وَالطَّبِيعِيَّةِ الْمَادِيَّةِ، فَكُلُّ كَلَامٍ بَشَرِيٍّ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَالْفُنُونِ عَلَى إِخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَتَعَدُّدِهَا وَفُرُوعِهَا يَظَلُّ مَحْتَاجًا لِمَنْ يُلَطِّفُ مِنْ نَقْصِهِ، وَيُنْبِئُهُ إِلَى الْخَلَلِ الَّذِي بِهِ، وَيُضِيفُ إِلَيْهِ بَعْضَ الْإِضَافَاتِ، وَيُصَحِّحُ فِيهِ بَعْضَ الْمَفْهُومَاتِ، وَهَكَذَا تَظَلُّ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ وَالْآدَابُ وَالْفُنُونُ فِي تَطَوُّرِ دَائِبِ وَمَسْتَمِرِّ مَرْتَبِيَّةٍ بَرَقِيٍّ وَسَائِلِ الْبَحْثِ وَأَدَوَاتِهِ وَمَنَاهَجِهِ وَأَجْهَازِهِ.

لِأَجْلِ ذَلِكَ فَنَحْنُ مَهْمَا وَجْهِنَا مِنْ مَلَاخِظَاتٍ وَمِنْ اقْتِرَاحَاتٍ الَّتِي تَبْدُو لَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِهْتِمَامِ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ تَعْدِيلٍ أَوْ تَنْظِيمٍ أَوْ تَبْسِيطٍ فَلَا يَلِيقُ بِنَا وَلَيْسَ مِنْ حَقِّنَا أَنْ نَجْهَدَ جُهْدًا مِنْ سَبَقُونَا إِلَى مَيْدَانِ الدَّرْسِ وَالبَحْثِ وَالْعَمَلِ الْمِيدَانِيِّ الْمُتَوَجِّعِ بِالنَتَائِجِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ الْقِيَمَةِ الَّتِي حَقَّقُوْهَا

(1) -عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرِ الْمَلَقِ بِسَبَبِيَّوِيَهُ، تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ، مَكْتَبَةُ الْخَانِجِي، الْقَاهِرَةُ، ط3، 1988م، ج1، ص194.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

للإنسانية قاطبة والعربية بوجه الخصوص.

وللتدليل على ذلك نأتي بما جاء في الجزء الرابع من "الكتاب" تحت عنوان: «هنا باب الوقف في الواو والياء والألف» يقول سيبويه (ت 180هـ): «وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة، وإذا تفتتت وجدت مثل ذلك، وذلك قولك: ظلموا ورموا، وعمي وحبل»⁽¹⁾

وهذا العمل العلمي وهو فرع من علم الأصوات - يتعرض إليه هذا العالم العربي الفذ رغم انعدام الوسائل العلمية والأجهزة المخبرية التي يحتاج إليها في الدرس والبحث والوصف والتحليل والتقنين، مما تعالجه البحوث والدراسات اللغوية الحديثة في الجامعات الأوروبية والأمريكية والانجليزية وغيرها بأحدث الوسائل والأجهزة التقنية والتصورية والمجهرية ولا زلنا مع الجزء الرابع من "الكتاب" الذي يعالج فيه القضايا والمسائل الصرفية والاشتقاقية، وهذه المرة مع الباب الذي عالج فيه صيغ المشبهة باسم الفاعل كما فعل حينما عالجها في باب أحكامها النحوية والإعرابية نجده يتدنى بقوله: «هذا باب ما جاء من الأدواء: على مثال وجع يوجع وجعا وهو وجع، لتقارب المعاني وذلك: حبطاً وهو حبط»⁽²⁾ وحبج يحبج حبجاً وهو حبج⁽³⁾ وقد يجيء الاسم فعلا نحو: مرض، يمرض، مريضاً وهو مريض، وقالوا سقم يسقم وهو سقيم، وقال بعض العرب: سقم، كما قالوا: كرم كرمًا وهو كريم، وعسر عسراً وهو عسير، وقالوا: السقم كما قالوا: الحزن، وقالوا: حزن حزناً وهو حزين، جعلوه بمتزلة المرض لأنه داء، وقالوا: الحزن كما قالوا: السقم، وقالوا في مثل وجع يوجع في بناء الفعل والمصدر وقرب المعنى: وجل يوجل ورجلاً⁽⁴⁾ وهو وجل، ومثله من بنات ياء: ردي يردى ردى وهو ردي⁽⁵⁾، ولوي يلوي وهو لوي، ووجي يوجي ووجي وهو وج⁽⁶⁾ وعمي قلبه يعمي وهو عم،

(1)-المصدر السابق، ج4، ص 176.

(2)-حبط، الحبط: وجع يأخذ البعير في بطنه من كإلا يستوبله. ابن منظور، لسان العرب، تنسيق وتعليق ووضع الفهارس علي

شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان-ط1، 1988م، مادة حبط، ج3، ص23

(3)-حبجه بالعصا يحبجه حبجاً: ضربته: المصدر السابق، مادة (حبج)، ج3، ص12.

(4)-وجل يوجل ورجلاً: فرع وحاف: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجل)، ج15، ص223.

(5)-ردي يردى ردى، الردي: الهلاك: المصدر السابق، مادة ردي، ج3، ص195.

(6)-وج، وجي يوجي وجًا، الفرس: أن يشتكي البعير بأطن حقه والفرس بأطن حافره: المصدر السابق مادة(وجي)، ج15،

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

إِثْمًا جَعَلُوهُ بَلَاءً أَصَابَ قَلْبَهُ (1)

وعلى هذا المنهج والتسقي يواصل المصنّف حديثه عن أوزانٍ وصيغٍ الصفة المشبهة المختلفة المتبقية فيقول: «هذا باب فَعْلَانٌ ويكون المصدر الفَعْل...» (2)

..ويكون الفَعْلُ على فَعِلَ يَفْعَلُ، وذلك نحو: ظَمِيٌّ يَظْمَأُ وهو ظَمَانٌ، عَطِشَ يَعْطِشُ عَطِشًا وهو عَطْشَانٌ، وَصَدِيٌّ يَصْدِي صَدًى وهو صَدْيَانٌ وَقَالُوا: الظَّمَاءُ كَمَا قَالُوا: السَّقَامَةُ، لأن المعنيين قريب، كلاهما ضَرَّرٌ على النفس وأذى لها.

ومنه: هذا بابٌ مَا يُبْنَى على أَفْعَلَ فيقول:

أما الألوان فإنها تُبْنَى على أَفْعَلَ وَيَكُونُ الفَعْلُ على فَعِلَ يَفْعَلُ والمصدر على فُعْلَةٌ أكثر...وقد جاء شيء منه على فَعِيلٍ، وذلك خَصِيفٌ، وقالوا: أَخْصَفُ وهو أَقْيَسُ، وَالْخَصِيفُ: سَوَادٌ إِلَى الْخَضِرَةِ، وقد يُبْنَى على أَفْعَلَ وَيَكُونُ الفَعْلُ على فَعِلَ يَفْعَلُ والمصدر فَعْلٌ، وذلك ما كان دَاءً أَوْ عَيْبًا لأن العيبَ نحو: الداء، ففعلوا ذلك، كما قالوا: أَجْرَبُ وَأَنْكَدُ (3) وذلك قولهم: عَوْرٌ يَعْوَرُ عَوْرًا وهو أَعْوَرٌ، وَأَدْرٌ يَأْدُرُ أَدْرًا وهو أَدْرٌ (4)، وَشَتْرٌ يَشْتَرُ شَتْرًا، وهو أَشْتَرٌ (5) وَحَبْنٌ يَحْبِنُ وهو أَحْسَنٌ (6) وَصَلْعٌ يَصْعَعُ وهو أَصْلَعُ، وقالوا: رَجُلٌ أَجْذَمٌ (7) وَأَقْطَعُ، كَأَنَّ هَذَا عَلَى قَطْعٍ وَجَذْمٍ وَإِنْ لَمْ يُتَكَلَّمْ بِهِ، كما يقولون: شَتِرٌ وَأَشْتَرٌ وَشَتِرَتْ عَيْنُهُ....

ومنه: هذا بابٌ أيضًا: فِي الْخِصَالِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْأَشْيَاءِ: أَمَّا مَا كَانَ حُسْنًا أَوْ قُبْحًا فَإِنَّهُ مِمَّا يُبْنَى فَعْلُهُ عَلَى فَعِلَ يَفْعَلُ، وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ فَعَالًا وَفَعْلًا وَفَعَالَةً وَفَعْلًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: قَبْحٌ يَقْبَحُ قَبَاحَةً وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: قُبُوحةٌ، فبناه على فَعْوَلَةٍ كَمَا بَنَاهُ عَلَى فَعَالَةٍ، وَسَمٌ يَوْسُمُ وَسَامَةً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَسَامًا، فَلَمْ يُؤْنِثْ، كَمَا قَالَ: السَّقَامُ وَالسَّقَامَةُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ جَمَلٌ جَمَالًا....

(1) -سيبويه، الكتاب، ج4، ص17، 18.

(2) -المصدر نفسه، ج4، ص18.

(3) -أنكدُ، النكدُ بالشوْمُ واللؤمُ، نكدٌ نكدًا، أنكد: كل شيء جرّ على صاحبه شرًا: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نكد)، ج14، ص280.

(4) -أدرُ، يأدرُ أدرًا فهة أدر: نَفَخَ الْخِصِيَّةَ فِي الْحَفِيَّةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (أدر)، ج1، ص94.

(5) -أشترُ، شتيرُ يشترُ شتيرًا فهو أشترُ: انقِلابٌ فِي حِفْظِ الْمَعْنَى: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (شتر)، ج7، ص27.

(6) -أحبنُ، حبنُ يحبنُ حبنًا، وهو أحبنُ: دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْبَطْنِ فَيُعْظَمُ مِنْهُ وَيُرْمِ الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (حبن)، ج3، ص33.

(7) -أجذمُ، الأجدمُ: المَقْطُوعُ الْيَدِ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (جدم)، ج2، ص222.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وأما الفعل من هذه المصادر نحو: الحُسْن والقُبْح، والفعالة أكثر، وقالوا: ناضِر⁽¹⁾ كما قالوا: نَضِر، وقالوا: نضير كما قالوا: وسيم، فَبَنُوهُ ما هو نَحْوُهُ في المعنى»⁽²⁾.

وقالوا: ضَخْم ولم يقولوا: ضَخِيم كما قالوا: «عَظِيم... وقالوا: مَلَح مَلَا حَةً، سَمَا حَةً وَسَمَحٌ... وقالوا: شَنَع شَنَاعَةً وهو⁽³⁾ شَنِيعٌ، وقالوا: أَشْنَعُ، فأَدْخَلُوا أَفْعَلَ في هذا إذ كان خَصْلَةً فيها كاللون...» وإنَّ ما يلفت النظر في هذه الأمثلة والنماذج التي أوردها سيبويه (ت 180هـ) في "كتابة" هو وفرة المادة العلمية اللغوية، وتنوعها، وصحتها؛ ومحاولة الإحاطة فيها بأوزان وصيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل، بيد أن ما يلاحظ عليها أنها جاءت ضمن أبواب متفرقة من الكتاب الأمر الذي جعل هذه الدراسة الوصفية "الاستقرائية" الممتازة مبتورة وغير منسقة وغير متكاملة مما يصعب من مهمة متابعة الموضوع وربط أجزائه وعناصره بعضها ببعض لإدراك وظائفه الدلالية والنحوي وغاياته الوظيفية.

ورغم ما شاب عَمَلَ المصنّف من بَعْضِ النقائص والاختلال في التبويب والتنظيم وهو يعالج موضوعَ الصفة المشبهة باسم الفاعل إلا أنك تشعر شعورا واضحا، وتشهد شاهد عيان بأن المؤلف بدل قصارى جهده وهو يجمع شتات هذه المادة العلمية اللغوية من هنا وهناك ويحاول التنسيق بين أجزائها وربط عناصرها ببعضها ليقوق في الوصول إلى السّمات والعلائق التي تضمّ هذا الشتات والعناصر ضمن "نظرية" كلية وإطار شمولي عام يستأنس به كل من الدارس والقارئ والباحث لاستكمال ما نقص، وتصحيح ما أخل، وتقويم ما أعوج، لذلك كله يظل هذا الجهد المنطلق تقريبا من العدم عملاً فذاً؛ ودعامة صلبة، وابتكارا فريدا ليحسب لصاحبه على مدى الدهور والعصور، وأكبر دليل على ما نوّهنا به هنا أننا قد لاحظنا بالفعل أن كثيرا من أهل النحو والتصريف الذين جاءوا من بعد سيبويه (ت 180هـ) يحدون حدّوه، وينهجون نهجه، مقدّمين الحديث عن الأحكام النحوية وأبوابها، مُسرفينَ فيها، ومختصرين الكلام إلى حدّ الإخلال في الناحية الصرفية ضمن أبواب النحو وموضوعاته المختلفة.

وقد ظل هذا التداخل وعدم التمييز والفصل في الموضوعات والمصطلحات بين الأسماء والصفات ومسمياتها ومفاهيمها ودلالاتها مستمرا إلى يومنا هذا ولا أدلّ على ذلك من الأسماء المشتقة عنها وموضوعها وبابها من الدّوس والمعالجة العلمية، فهل تُدرس وتُبحث ضمن أبواب النحو

(1) - ناضِر ونَضِر ونَضِير: أي حَسَن: ابن منظور، مادة (نضر) ج 4، ص 177.

(2) - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 21-29.

(3) - المصدر نفسه، ج 4، ص 29.

الفصل الأول.....الصفة (المشبهة باسم الفاعل) في الدرس اللغوي العربي

وموضوعاته أم تدرس وتُعالج في أبواب الصرف؟ جاء هذا التساؤل الحتمي، لأن الكثرة الكثيرة من هذه الموضوعات متداخلة ومتشابكة في أصلها وجوهرها بين علمي الصرف والنحو وحتى علم الأصوات، ثم هل الكلام في العربية-فِعْلاً-ينقسم-فقط-إلى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف؟ أم أن هذه القضية تحتاج إلى إعادة نظر؟

بعض علماء اللغة العربية المُحدَثين مثل تمام حسَّان وإبراهيم أنيس ومهدي المخزومي يروون -طبقاً- للدرس اللغوي الحديث رأياً آخر مخالفاً لما ذهب إليه القدماء من اللغويين العرب في تقسيم الكلام، فأول هؤلاء المُحدَثين المذكورين أعلاه يقول: «من هنا يتضح أن الأقسام السبعة التي ارتضيناها للكلمة موصَّحين بها مواطن الضعف في التقسيم الذي ارتضاه النحاة من قبل هي كما يأتي: الاسم؛ الصفة؛ الفعل؛ الضمير؛ الخالفة؛ الظرف، الأداة.

وسنحاول فيما يأتي أن نفرق بين كل واحد من هذه الأقسام وبين الأقسام الأخرى من حيث المبنى (أي من حيث الصورة الإعرابية أو الرتبة أو الصيغة أو الجدول أو الإصاق أو التضم أو الرسم الإملائي) ومن حيث المعنى (أي من حيث التسمية أو الحدوث أو الزمن أو التعليق أو المعنى الجملي)⁽¹⁾.

وثاني هؤلاء يرى «أن اللغويين القدامى قنعوا بذلك التقسيم الثلاثي من اسم، وفعل، وحرف متبعين في ذلك فلاسفة اليونان وأهل المنطق من جعل أجزاء الكلام ثلاثة هي الاسم والكلمة والأداة، ولما حاول اللغويون من العرب تحديد المقصود من هذه الأجزاء شقَّ الأمر عليهم، ووجدوا تعريف الاسم، لا يكاد ينطبق على كل الأسماء.. كما وجدوا أن من الأسماء ما ينطبق عليه تعريفهم "للأفعال"⁽²⁾ أما ثالث هؤلاء المُحدَثين وهو مهدي المخزومي فقد أخذ على النحاة الأوائل تشبُّههم بهذا التقسيم ورأى: «أن الأمر يبدو على غير ما توهموا، فثمة كلمات لا ينطبق عليها تعريف الأسماء ولا تعريف الأفعال ولا تعريف الأدوات، ولم يعرض لها سيبويه، فهي كلمات مبهمة تُطلق على الموجودات كلها، ولا تدل على معنى دلالة الاسم على مسماه كما يدلُّ رجلٌ على إنسانٍ ذكرٍ لا بعينه، وليست هذه الكلمات المبهمة إلا إشاراتٍ أو كنياتٍ، و"قال": وإذا كان الأمر كذلك فجدير بنا أن نقسم الكلام أربعة أقسام بدلاً من ثلاثة مما جرى عليه عرفُ النحاة قديماً وحديثاً وهي: (1) الفعل، (2) الاسم، (3) الأداة، (4) الكناية، وقد جعل الكناية تشمل الضمائر وكلمات الإشارة، والموصولات، وكلمات الاستفهام، والشرط»⁽³⁾

(1)-تمام حسَّان، اللغة العربية، معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء(المغرب)، ط1994م، ص90.

(2)-إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1985م، ص279.

(3)-مهدي المخزومي، في النحو العربي: قواعد وتطبيق-القاهرة-سنة1966م، ص45.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وهذا- في تقديرنا- هو المطلوب اليوم منّا جميعاً عندما يتعلق الأمر بالتراث والتّظّير فيه والإفادّة منه هو أن لا ننظر إليه نظرة التّقدّيس والكمال لأنّه منتوج بشري يُصيبُ ويُخطئُ ولا أن ننظر إليه أيضاً نظرة الشعور بمركّب النقص الذي أصاب كثيراً من المثقفين بالثقافة الغربية وانبهروا بها وفضلوها ووقفوا عندها بل يجب علينا أن نتسلح في النظر لثرائنا بأسلحة العيرة عليه، والموضوعية في درسه وبحثه، والسعي دوماً لأجل الوُصولِ إلى الحقيقة العلمية الصّحيحة التي لا تشوبها أي شائبة من شائها أن تحول دون الوصول إلى الغرض السّامي المنشود، وللتدليل على ما ذهبنا إليه من احتذاء علمائنا الأقدمين حدّو سيبويه عدنا إلى بعض مصنفاتهم الشهيرة أمثال كتاب: "المقتضب" للمبرد(ت 285هـ) الذي تناول فيه بالدراسة موضوع الصفة المشبهة باسم الفاعل بصورة وجيزة مركزاً على الجانب النحويّ والأحكام الإعرابية، ومما جاء فيه: (هذا بابُ الصفة المشبهة بالفاعل فيما يعمل فيه، وإنّما تعمل فيما كان... من سببها وذلك كقولك: هذا حسنُ الوجه، وكثير المال... واعلم أنّ هذه الصّفة إنّما حدّها أن تقول: هذا رجلٌ حسنٌ وجهه، وكثير ماله، فترفع ما بعد (حسن) و(كثير) بفعلهما، لأنّ الحسن إنّما هو للوجه، والكثير إنّما هي للمال، وهذا بمنزلة قولك: هذا رجلٌ قائم أبوه وقاعدٌ أخوه»⁽¹⁾

ومنهجية سيبويه يعرضُ المبرد في "المقتضب" لأحوال وصور إعراب صيغ الصفة المشبهة وأحكامها النحوية المختلفة دون اهتمام بجوانبها الصرفية الأخرى كأصل اشتقاقها، وأوزانها وصيغها؛ وعلاقتها بغيرها من أحوالها المشتقات، ووظيفتها الدلالية والسياقية في التراكيب والأبنية المختلفة.

ومن المصنّفات القديمة القيمة التي عرضت لموضوع الصفة أيضاً ابن يعيش(ت 643هـ) في كتابه الموسوم بـ"شرح المفصل" الذي يتطرّق فيه للموضوع نفسه بوضوح وإيجاز فيقول عن الصفة المشبهة: «هي التي ليست من الصّفات الجارية وإنّما هي المشبهة بها في أنّها تُذكر وتؤنث وتثنى وتُجمع نحو: كريم وحسن وصعب وهي لذلك تعمل عمل فعلها فيقال: زيدٌ كريمٌ حسبه وحسنٌ وجهه وصعبٌ جانبُه»⁽²⁾ ثم يواصل فيقول: «قال الشارح: الصفة المشبهة باسم الفاعل ضربٌ من الصّفات تجري على الموصوفين في إعرابها جري أسماء الفاعلين وليست مثلها في جرياتها على أفعالها في الحركات والسكّنات وعدد الحروف»⁽³⁾.

⁽¹⁾-أبو العباس بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عَصيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة-ط2، سنة 1979م، ج4، ص 158

⁽²⁾-موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، مكتبة المتنبّي، القاهرة،(د، ط، د، ت) مج2، ج6، ص81.

⁽³⁾-المصدر نفسه، مج2، ج6، ص81-82.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

فابن يعيش في هاتين العبارتين القصيرتين يتحدث عن الصفة المشبهة من الناحية الصرفية ومن الجانب النحوي معاً، لكنّ كلامه عنها من الجانب النحوي أغلب ونشعر ونحن نقرأ له هاتين العبارتين أنه مشدود أكثر إلى الأحكام النحوية أكثر من غيرها وهو الأمر الذي ذاب وجرى عليه من قبله من اللغويين والنحاة، وكان الأولى أن يُبتدأ وَيُهْتَمَّ بالجانب الصرْفِيّ والاشتقاقِيّ -أولاً- ثم يليه المستوى أو النظام النحوي.

وَ قد انتبه إلى هذه المسألة من علماء العربية القدماء ابن عصفور الإشبيلي (ت 669هـ) في كتابه النفيس «المتع في التصريف» حين يقول مؤكداً على هذا الجانب: «فالذي يُبين شرفه (أي شرف علم التصريف) احتياجُ جميع المشتغلين باللغة العربية من نحويّ ولغوي، إليه أيّما حاجة، لأنّه ميزانُ العربية، ألا ترى أنّه قد يؤخذُ جزء كبير من اللغة بالقياس، ولا يُوصَلُ إلى ذلك إلاّ من طريق التصريف، نحو قولهم: «كل اسم في أوله ميمٌ زائدةٌ مما يُعملُ به ويُنقلُ فهو مكسور الأول، نحو: مطرقةٌ ومروحةٌ، إلا ما استثنى من ذلك» فهذا لا يعرفه إلا من يعلم أن الميمَ زائدةٌ، ولا يُعلم ذلك إلا من جهة التصريف»⁽¹⁾

ومن هنا يبدو لنا بوضوح أنّ علم التصريف أدقُّ وألطفُ وأرسخُ قدماً وأصلبُ أساساً للغة العربية من حيث المبني والمعنى معاً، هذا ولم يتوقف ابن عصفور عن تقديم المزيد من الأدلة والبراهين بالأمثلة والشواهد الحية من العربية لتوكيد ما ذهب إليه ليقول: «ونحو قولهم: إنّ المصدرَ من الماضي، إذا كان على وزنِ "أفعل" يكون "مفعلاً" بضمّ الميمِ وفتح العين، نحو: "أدخلتهُ مُدخلاً" ألا ترى أنّك لو أردتَ المصدرَ من "أكرمته" على هذا الحدِّ، لقلتَ "مُكرماً" قياساً ولم تحنّج فيه إلى السَّماعِ، إذا علمت أنّ "أكرم": "أفعل" ألا ترى أنّ ذلك كله لا يُعرفُ إلا بالتصريف، وأشباه ذلك كثير»⁽²⁾

وكما هو جلي فإنّ الحديث في هذا المقام مقام التصريف والاشتقاق اللغوي حديث شائق، رائق، مُمتع، مفيد للغاية، ومُعينٌ للغاية أيضاً للدارس والباحث والقارئ والمتعلّم حيث يأخذ بيده من البداية في التعرف... على مصدر الكلمة، واشتقاقاتها، وتصاريفها، وتقاليبها وتفرعاتها، والعودة بها أخيراً إلى جذرها الأوّل، وكذا التعرف على مدى ثباتها واستقرارها في دلالتها ومعانيها، أو تغييرها أثناء هذه التحولات والتبادلات الصرفية والاشتقاقية العارضة لها بفعل التجريد والزيادة والإعلال والقلب والإبدال والإدغام ليسهل بعد ذلك على المتعلم والمثقف والباحث معرفة الأساليب التعبيرية، وتقنيات

(1)- ابن عصفور الإشبيلي، المتع في التصريف، ج1، ص27.

(2)- المصدر نفسه، ج1، ص28.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

أفانين القول، وآداء الكلام طبقاً للمقام، واحتياج السياق، وأشكال المناسبات، فإذا كان المقام يحتاج إلى توظيف صيغة الجمع فلا يليق بنا استعمال صيغة الأفراد وإذا كان السياق يفتضي منا توظيف صيغة الماضي فلا يليق بنا استخدام صيغة المضارع والأمر نفسه بالنسبة لكل من صيغ المذكر والمؤنث من هنا جاءت الضرورة الملحة للبدء بالتفقه في علم التصريف أولاً ثم يليه فقه علم النحو الذي يمكن أن يفهم حق الفهم دون أن يتخذ الأول ركيزة وأساساً له، وهذا هو المعنى الذي أرادَهُ ابن عصفور حين أعطى الأولوية لعلم التصريف في المقام والرتبة بالنسبة لغيره من علوم العربية مثلاً.

ويواصل ابن يعيش حديثه في "المفصل" مقارنة بين الصفة المشبهة وأسماء الفاعلين فيقول: «... وإتّما لها شبهة بها وذلك من قبل أنّها تُذكر وتؤنث وتدخلها الألف واللام وتؤنث وتجمع بالواو والنون، فإذا اجتمع في التّعت هذه الأشياء التي ذكرناها أو أكثرها شبهوها بالأسماء الفاعلين فأعملوها فيما بعده وذلك نحو: حَسَنٌ وشَدِيدٌ وصَعْبٌ وكَرِيمٌ، فَحَسَنٌ من حَسَنٍ وشَدِيدٌ من شَدِيدٍ وشَدٌّ يَشُدُّ، وصَعْبٌ من صَعْبٍ يَصْعَبُ وليست مثلها في حركاتها وسكناتها كما كانت أسماء الفاعلين وإنما لها شبهة بأسماء الفاعلين في الجهات المذكورة فلذلك تقول: «مررت برجلٍ حَسَنٍ وجهه، وزَيْدٌ كَرِيمٌ حَسَبُهُ، وشَدِيدٌ سَاعِدُهُ، وصَعْبٌ جَانِبُهُ، فترفع ما بعد هذه الصفات من الأسماء بفعلها» كما كُنْتَ صَانِعاً في اسم الفاعل حيث قلت: هذا قائمٌ أبوه، وقاعدٌ أخوه، لأنك تقول: حَسَنٌ وحَسَنَةٌ، وشَدِيدٌ وشَدِيدَةٌ، وصَعْبٌ وصَعْبَةٌ، وكَرِيمٌ وكَرِيمَةٌ فتذكر وتؤنث، وتقول: الحَسَنُ والشَدِيدُ وتدخل فيها الألف واللام، وتقول: حَسَنَانٍ وحَسَنُونَ فتثني بالألف والنون وتجمعه بالواو والنون، كما تقول: ضَارِبٌ وضَارِبَةٌ وضَارِبَانٍ وضَارِبُونَ والضَارِبُ والضَارِبَةُ فَحَسَنٌ مُشَبَّهٌ بضَارِبٍ وضَارِبَةٌ مُشَبَّهَةٌ بِيضْرِبٍ، وحَسَانَانٍ مثل: ضَارِبَانٍ وضَارِبَانًا... إلا أنّ ضَارِبَانًا وقَاتِلَانًا من أفعال متعدية على حقيقة فنصبت كما تنصب أفعالها، وحَسَنٌ وبَطْلٌ وكَرِيمٌ من أفعال غير متعدية على الحقيقة فكان حُكْمُهَا في عَدَمِ التَّعْدِي حُكْمَ أَفْعَالِهَا لِأَنَّهَا فَرُوعٌ في العمل عليها فأقصى درجاتها أن تُساوِيَهَا، وأما أن تَفُوقَهَا فَلَا.»⁽¹⁾

هذا وقد قصدنا قصداً إلى نقل هذا رغم طولها لما له من أهمية في تقدم وتطور الدرس اللغوي والنحوي لدى النحاة القدماء، ذلك لأن ابن يعيش المؤلف في شرحه بدأ يتخلص من ذلك الذي الإجمال والإيجاز اللذين هما على حساب الشرح والتوضيح، والتفصيل، والغوص في أغوار المادة العلمية اللغوية بضرب الأمثلة والشواهد المحسوسة الواضحة حيناً، والمقارنة بإبراز أوجه الاتفاق

(1) - ابن يعيش، شرح المفصل، مج2، ج6، ص 81، 82.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

والاختلاف بين العناصر والوحدات اللغوية المتشابهة أو المتقاربة حيناً آخر.

ثم لاحظ كيف يستطرد ابن يعيش في الحديث عن الأحكام الإعرابية وصورها وأحوالها، وعلاقتها في ذلك باسم الفاعل واسم المفعول دون إعطاء مثل ذلك الاهتمام إلى النظام الصرفي والاشتقائي الذي يُبنى عليه النظام النحوي ليكون هذا الأخير بعد ذلك بناءً متيناً الأركان، وأضحاً ميسوراً، منسجماً مع قوانينه وقواعدها بعيداً عن التناقض والاضطراب والتعسف فيها يقول ابن يعيش مستطرداً: «وقد يُوصَفُ الشيءُ بفعلٍ غيره إذا كانت بينهما وصلة في اللفظ بضمير يرجع إلى الموصوف نحو: مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه، حليته بقيام أبيه للعلاقة التي ذكرناها كذلك، وأعلم أن الصفات على ثلاث مراتب: صفةً بالجارى كاسم الفاعل واسم المفعول وهي أقواها في العمل لقرابها من الفعل، وصفةً مشبهةً باسم الفاعل فهي دونها في المتزلة لأن المشبهة بالشيء أضعف منه في ذلك الباب الذي وقع فيه الشبه ثم المشبهة بالمشبهة وهي المرتبة الثالثة... فلما كانت الصفات المشبهة في المرتبة الثانية وهي فروع على أسماء الفاعلين إذ كانت محمولة عليها انحطت عنها ونقصت تصرفها عن تصرف أسماء الفاعلين كما انحطت أسماء الفاعلين عن مرتبة الأفعال فلا يجوز تقديم محمولها عليها كما جاز ذلك في اسم الفاعل فلا تقول: هذا الوجه حسنٌ كما تقول: هذا زيداً ضاربٌ ولا تُضمره، الفاعل فلا تقول: هذا حسنٌ الوجه والعين فننصب العين على تقدير: وحسنٌ العين، كما تقول: هذا ضاربٌ زيداً وعمراً على تقدير: وضاربٌ عمراً، ولا يحسن أن تفصل بين حسنٍ وما يعمل فيه فلا تقول: هو حسنٌ في الدار الوجه، وكريمٌ فيها الأب كما تقول: هذا ضاربٌ في الدار زيداً، فاسم الفاعل يتصرف ويجري مجرى الفعل لقوة شبيهه وجريانه عليه، وهذه الصفات المشبهة باسم الفاعل ولمشبهة بالشيء يكون دون الشيء في الحكم⁽¹⁾

واللافت للنظر هنا أن المصنّف حاول فعلاً بكل جهد ووسيلة ناجعة توضيح جوانب هامة، وعناصر أساسية في موضوع الصفة المشبهة كالعلاقة بينها وبين اسم الفاعل ورتبتها في التصريف، واشتقاقها، وبعض أوجه إعرابها مقارنة دائماً بإعراب اسم الفاعل، كما أنه في الوقت نفسه غفل جوانب أخرى فيها لا تقل أهمية عن الأولى كتحديد أوجه الشبه بينها وبين اسم الفاعل، وتعيين أسباب انحطاطها وضعفها بدقة ووضوح بالمقارنة لقوة وسمو وكمال اسم الفاعل.

وهي أسئلة في تقديرنا واستفسارات عديدة رئيسة وهامة أيضاً تظل عالقة بذهن القارئ وخاطرهِ تنتظر الأجوبة الشافية، الكافية، فهل يجدها في شرح كتابي الشافية والكافية لابن الحاجب

(1)-المصدر السابق، مج2، ج6، ص82.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

الذين شرحهما رضي الدين الاسترأبادي النحوي (ت 686هـ) أم يظل ضمنا إلى الماء دائما وأبدا؟

ومما جاء في مدونة شرح الشافية عن موضوع الصفة المشبهة قوله: «الصفة المشبهة من نحو: فَرِحَ عَلَى فَرِيحٍ غَالِبًا، وَقَدْ جَاءَ مَعَهُ الضَّمُّ فِي بَعْضِهَا، نَحْوُ: ⁽¹⁾ وَحَذُرَ، وَعَجَّلَ، وَجَاءَتْ عَلَى سَلِيمٍ، شَكَّسَ ⁽²⁾ وَحُرٌّ، وَصَفِرَ، وَغَيَّرَ، وَمِنَ الْأَلْوَانِ وَالْعَيُوبِ وَالْحُلِيِّ عَلَى أَفْعَلَ»

أقول: اعلم أن قياس نعت ما ماضيه على فعل بالكسر- من الأدوية الباطنة كالوجع واللوى ⁽³⁾ وما يناسب الأدوية من العيوب الباطنة كالتكد ⁽⁴⁾ والعسر ⁽⁵⁾ واللحز ⁽⁶⁾ ونحو ذلك من الهيجانات والحفة غير حرارة الباطن والامتلاء كالأرج ⁽⁷⁾ والبطر ⁽⁸⁾ والأشر ⁽⁹⁾ والجدل ⁽¹⁰⁾ والفرج والقلق والسلس ⁽¹¹⁾ أن يكون على فعل ⁽¹²⁾.

ويعدّ كلام رضي الدين في هذه العبارة حول الصفة المشبهة كما مثل له وضبطه من صيغ فعلية داخلاً في الجانب الصرفي وهو يمثل فعلاً إضافة صرفية تمثلت في هذا الزخم من التمثيل بأنواع مختلفة من الأفعال ذات الدلالات المختلفة.

وعلى الرغم من هذا التناول المقبول من رضي الدين لموضوع الصفة المشبهة والذي جاء مدعماً ببعض الشواهد والأمثلة المتقاطعة في الأوزان والصيغ مما يصعب على الباحث ضبطها ووضعها في إطار معين ينسبها إلى قاعدة معينة تضبطها وتقنها مثل: ندس وحذر وعجل التي وردت مضمومة العين إلا أنها تضاف في صيغتها المشبهة إلى وزن (فرح) المكسور العين فيقال: فرح والصفة المشبهة

(1)- ندس، رَجُلٌ نَدَسٌ وَنَدَسٌ وَنَدِسٌ: فَهْمٌ سَرِيعُ السَّمْعِ فَطِنٌ: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ندس)، مج 14، ص 91.

(2)- شكس، الشكس والشكس والشرس جميعاً: السّيءُ الخلقُ: المصدر السابق، مادة (شكس)، ج 7، ص 173.

(3)- اللوى: وجع في المعدة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ألقاموس المحيط، مج 4، دار الفكر-بيروت-1983، مادة (لوي)، ص 387.

(4)- التكد، رجل نكد ونكد ونكد وأنكد: شوم عسر: المصدر السابق، مادة (نكد)، مج 1، ص 342.

(5)- العسر: ضد اليسر، وعسر بين العسر كشكس: المصدر السابق، مادة (العسر)، مج 2، ص 88.

(6)- اللحز، واللحز صفة مشبهة: الضيق الشحيح لا يكاد يعطي شيئاً: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لحز)، ج 12، ص 247.

(7)- الأرج، نفحة الريح الطيبة: المصدر السابق، مادة (أرج)، ج 113.

(8)- البطر: النشاط، وقيل، التبخر، وقيل: قلة احتمال النعمة: المصدر السابق، مادة (بطر) ج 1، ص 429.

(9)- الأشر: المرح والبطر: المصدر السابق، مادة أشر، ج 1، ص 149.

(10)- الجدل، وجدل بالتحريك: الفرغ: المصدر السابق، مادة (جدل) ج 2، ص 222.

(11)- السباس بالفتح: الخيط الذي يُنظَّم فيه الخرزُ تلبسه الإمام، الفيروز أبادي، القاموس، مادة (سلس)، مج 2، ص 222.

(12)- رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية-بيروت-1982م، ج 1، ص 143-144.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

منه فَرِحُ بِكسر العين كما يقال: نَدِسُ وَحَذِرُ وَعَجِلَ إِلا أَنَّهُ من مصدر الفعل المضموم، العين على حدّ سواء.

ورغمَ هذا العمل الجيد المفيد من شارح(الشافية) إلا أن المؤلف قد غفل جوانب رئيسة حسّاسة في موضوع الصفة المشبهة فلم يعرض لدرسها وبحثها كتعريف الصفة المشبهة باسم الفاعل، وسبب تسميتها، وأصل اشتقاقها، وصلتها بغيرها من المشتقات، والقياسي منها والسماعي والشاذ منها، وصياغتها من المجرد فقط أو المزيد، أو منهما معا، واشتقاقها من اللازم أو المتعدي أو منهما معا وغير ذلك من المباحث التي تشغل بال الباحث والقارئ على السواء.

يقول محمد الأوراعي في كتابه: «نظرية اللسانيات النسبية» عن هؤلاء المؤسسين لعلوم العربية بعد سيبويه(ت 180هـ) مأيلي: «وفكر هؤلاء المؤسسين لعلوم العربية-حقيقة لا مفر منها-طبعه سيبويه بنموذجه النحويّ الذي انفرد بالسريان في سائر الكتب النحوية التي ألفت لاحقا، وعددها كبير جدا، بدءاً من تلميذه الأخفش(ت 215هـ) "معاني القرآن"، ومناوشه المبرد(ت 285هـ) "المقتضب" وابن السراج(ت 316هـ) تلميذ المبرد "الأصول في النحو" وعبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ) "المقتصد" وهو ملخص كتابه "المعني في النحو، والزّمخشري(ت 538هـ) "المفصل" (1) في علوم العربية» وابن مالك(ت 672هـ) "الكافية الشافية" الذي اختصره في "الألفية"، وابن هشام(ت 761هـ) في كتابه "معني اللبيب عن كتب الأعراب" والسيوطي(ت 911هـ) في كتابه "جمع الهوامع" و"الأشباه والنظائر" وغير هؤلاء كثير.

والعدد الهائل من أعمال النحويين بعد سيبويه- كما لحظنا-يتميز فكريا ومنهجيا وتنظيما بحرض الخلف على تبعية السلف، وقد بلغت خاصية التبعية هذه في معظم المؤلفات النحوية مستوى وضع الحافر حيث الحافر، وهذا التقليد الواضح يمكن تفسيره بما حصل لرعيّل التابعين من اقتناع بالمبدأ الشائع الذي يقول: إنَّ الأوّل ما تَرَكَ لِلآخِرِ شيئا يَقُولُهُ، وأنّ ليس في الإمكان أبَدَعُ مما كَانَ(2)

وما يمكن أن نوجزه في نهاية هذا المبحث هو أنّ الدرس اللغويّ عامة وموضوع بحثنا-خاصة- المتمثل في الصفة المشبهة باسم الفاعل كَبَحَثِ هَامٍ من هذا الدرس عرف خلال القرون الهجرية

(1)-محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، منشورات دار الاختلاف، 149 شارع دسبية بن بوعلي، الجزائر العاصمة-الجزائر-ط1، 2010م، ص 24.

(2)-المصدر نفسه، ص 24-25.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

الأولى تطوّراً وتقدّماً ملحوظين، ومن هنا فمهما قال بعضهم عن اقتفاء العلماء المؤسسين لعلوم العربية لأثر سيبويه وعن الشُّروح على الشُّروح وعن التلخيص فإنَّ جهود علمائنا العرب الأوائل في العلوم العربية من نحو وصرفٍ وعروض وصوتيات وبلاغة ومعاجم اللغة لا يمكن أن تُنكر، ولا يمكن أن تُطمس بأي حال لأنهم قد قاموا بواجبهم في هذا المضمار، وحققوا نتائج لافتة لنظر الصديق والعدو فحفظوا بها على كيان اللغة العربية وتراثها الحضاري الثري مهما كانت الدوافع والأسباب التي حفزتهم إلى هذا الفعل الإنساني النبيل، ولذلك فالطريق مُمهّدٌ لمن أراد إتمام البناء وإكمال المسيرة الشاقّة اللذيذة فكما يقول الشاعر

إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: هَا أَنَا ذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: كَانَ أَبِي⁽¹⁾

ونورد في هذا المقام مقولة أحدهم في أواخر القرن العشرين، أي مقام التقليد والتجديد بقوله: «فماذا يُضير العرب أن يقولوا كما قال سلفهم ويكتفوا، أو يضيفوا إليه رؤاهم؟» هذا وإنَّ تقليداً لقریب ثقافياً أولى من تقليدِ الغريبِ حضارياً⁽²⁾.

ملخص القول هنا إن أي بناء عتيدي يبدأ تدريجياً لبنة لبنة، حيث يبدأ ناقصاً ثم ينمو ويتطور شيئاً فشيئاً حتى ينضج ويكتمل، ولا بد أثناء السير في هذا البناء من تعثرات وتشوهات ونقائص وأخطاء على مستويات عديدة، نقائص في المادة، وأخطاء في المنهج، وفوضى في التبويب والتنظيم والفرز ونسيان وغفلة عن أشياء قد تكون مفيدة ودقيقة وهامة، ويبقى هذا المبدأ سائراً دائماً مستمراً، ويظل كما يقول المثل الفضل للمبتدئ وإن أحسن المقتدى.

-تداخل صيغ الصفة المشبهة مع غيرها من المشتقات في الأوزان وسياق الاستعمال-

إنَّ المتَّبَع لصيغ الصِّفَةِ المشبهة ضمَّنَ السياق الاستعمالي سواء في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف وفي كلام العرب يكتشف بقليل من التأمل والتدبُّر ذلك التداخل الموجود بين هذه الصيغ وأبنية وأوزان المشتقات الأخرى نحو: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، حيناً، واسم الآلة والنسب والاسم الجامد حيناً آخر.

ولذا لا ينبغي التعويل والاعتماد على صورة الصيغة وحدها عند الرغبة في الوصول إلى الدلالة الصحيحة للصيغة، ولا يعني ذلك كذلك أننا لا ننظر إلى هذه الأبنية-إطلاقاً-في أوزانها وصورتها من

⁽¹⁾-الشاهد من البحر البسيط، للشاعر الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الديوان، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر (د، ط، د)، ص 34.

⁽²⁾-محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات النسبية، ص ص 57-58.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

حيث هي أوزان وصور وأشكال موضوعة في الأصل للدلالة على معاني صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل التي تفيد الثبوت والدوام والاستمرار في الحال والاستقبال، وإِثْمًا علينا أن ننتبه في استدلالنا عليها إلى عُنْصِرِ البناء والوزن وكذا إلى عُنْصِرِ هذه الصيغة أو تلك في السياق التعبيري للجملة والمقام العام الذي وردت فيه وذلك لأننا قد نُخَدَعُ بالبناء في شكله الظاهري ونُطَلِّقُ الحكم جزأفا بلا تَمَعَّنٍ وَلَا حَيْطَةَ وَلَا تَرِيثَ فَنَقَعُ في خطأ التفسير وفهم المعنى الصحيح، وهذا يحدث عندما نُعْوَلُ على الصيغة وحدها لأنَّه قد يَرِدُ في المسموع الذي لا يقاسُ عليه بعض صيغ الصفة المشبهة خاليًا-مثلا- من مَعْنَى صيغ الصفة المشبهة، مقتصرًا في دلالته على المَعْنَى المجرد الذي لا ثبوت فيه، ولا دوام ولا استمرار في الحال، ولا في الاستقبال، ولا في المِضِيِّ، فهو يدل على معنى آخر غير ما ذكرنا هنا نحو اسم الفاعل الخالي من ذلك الثبوت والدوام، والاستمرار أو على معنى المبالغة، أو على معنى اسم الآلة، أو على معنى النسب، أو حتى على معنى اسم من الأسماء الجامدة المشاركة لها في البناء⁽¹⁾.

والصيغة مثل كلمة "رب" في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾ «والربُّ إمَّا مصدر وإمَّا صفة مشبهة على وزن فَعْلٍ من رَبَّه يَرْبُهُ بمعنى رَبَّاهُ وهو رَبٌّ بمعنى مَرَبٍّ وَسَائِسٍ، فَإِنْ كَانَ مَصْدَرًا عَلَى الْوَجْهَيْنِ فَالوصفُ بِهِ لِلْمبالغةِ وهو ظاهر، وَإِنْ كَانَ صِفَةً مَشْبَهَةً فَهِيَ وَارِدَةٌ عَلَى الْقَلِيلِ فِي أوزانِ الصِّفَةِ المَشْبَهَةِ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ عَلَى فَعْلٍ مِنْ فَعْلٍ يَقَعُلُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: نَمَّ الْحَدِيثَ يَنْمُهُ فَهُوَ نَمٌّ لِلْحَدِيثِ⁽³⁾.

والأظهر أنه مَشْتَقٌّ مِنْ رَبَّه بمعنى رَبَّاهُ وَسَائِسَه، لَامِنْ رَبَّه بمعنى مَلَكُهُ لِأَنَّ الْأَوَّلَ أَنْسَبُ بِالْمَقَامِ هُنَا إِذِ الْمُرَادُ أَنَّهُ مَدْبَرُ الْخَلَائِقِ وَسَائِسُ أُمُورِهَا وَمُبَلِّغُهَا غَايَةَ كَمَا هِيَ، لِأَنَّهُ لَوْ حُمِلَ عَلَى مَعْنَى الْمَالِكِ لَكَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ كَالتَأْكِيدِ وَالتَّأْكِيدُ خِلَافُ الْأَصْلِ وَلَا دَاعِيَ إِلَيْهِ هُنَا... وَإِنْ كَانَ الْأَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَرُودَ الرَّبِّ بِمَعْنَى الْمَلِكِ وَجَوَزَ فِيهِ وَجْهِيَّ الْمَصْدَرِيَّةِ وَالصِّفَةِ، إِلَّا أَنَّ قَرِينَةَ الْمَقَامِ قَدْ تَصَرَّفَتْ عَنْ حَمْلِ اللَّفْظِ عَلَى أَكْثَرِ مَوَارِدِهِ إِلَى حَمَلِهِ عَلَى مَا دَوَّنَهُ فَإِنَّ كِلَا الاسْتِعْمَالَيْنِ شَهِيرٌ حَقِيقِيٌّ أَوْ مَجَازِيٌّ وَالتَّبَادُرُ الْعَارِضُ مِنَ الْمَقَامِ الْمَخْصُوصِ لَا يَقْضِي بِتَبَادُرِ اسْتِعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي جَمِيعِ الْمَوَاقِعِ كَمَا لَا يَخْفَى، وَالْعَرَبُ لَمْ تَكُنْ تَخْصُ لَفْظَ الرَّبِّ بِهِ تَعَالَى لَا مَطْلَقًا وَلَا مَقِيدًا لِمَا عَلِمَتْ مِنْ وَزْنِهِ وَاشْتِقَاقِهِ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ:

(1)-عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف بمصر(د،ط، دت) ج3، صص242، 245.

(2)-سورة الفاتحة، الآية2.

(3)-نم، ورجل نموم ونمام ومنم ونم، أي: قنات، ابن منظور، لسان العرب، مادة(نم)، ج14، ص 295.

الفصل الأول.....الصفة (المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي)

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحِيَارَيْنِ⁽¹⁾ وَالْبَلَاءُ بَلَاءً⁽²⁾

يَعْنِي عَمْرَ بْنَ هِنْدٍ.

وقال النابغة في النعمان بن الحارث:

تَخُوبُ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالِدِي⁽³⁾.(4)

وقال النابغ في النعمان بن المنذر حين مرض:

وَرَبُّ عَلِيٍّ اللَّهُ أَحْسَنَ صُنْعُهُ وَكَانَ لَهُ عَلَى الْبَرِيَّةِ نَاصِراً⁽⁵⁾

وقال صاحبُ الكشافي وَمَنْ تَابَعَهُ: إِنَّهُ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ تَعَالَى إِلَّا مَقِيداً، أَوْ لَمْ يَأْتُوا عَلَى ذَلِكَ بِسَنَدٍ وَقَدْ رَأَيْتِ الْإِسْتِعْمَالَ بِخِلَافِهِ، أَمَا إِطْلَاقُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ آلِهَتَهُمْ فَلَا مَرِيَّةَ فِيهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ السُّلَمِيُّ الصَّحَابِيُّ-رضي الله عنه:

أَرَبُّ يُيُولُ الثَّعْلَبَانَ بِرَأْسِهِ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ⁽⁶⁾،⁽⁷⁾

«وَسَمُّوْهُ الْعَزْمَى⁽⁸⁾ الرَّبَّةُ، وَجَمَعَهُ عَلَى أَرْبَابٍ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى إِطْلَاقِهِ عَلَى مُتَعَدِّ فَكَيْفَ تَصِحَّ

دَعْوَى تَخْصِيصِ إِطْلَاقِهِمْ عِنْدَهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى؟

وَأَمَا إِطْلَاقُهُ مُضَافاً أَوْ مُتَعَلِّقاً بِخَاصِّ فِظَاهِرٍ وَرُودِهِ بِكَثْرَةِ نَحْوِ: رَبِّ الدَّارِ، وَرَبِّ الْفَرَسِ، وَرَبِّ

(1)-الحياران: موضع، ابن منظور، لسان العرب، مادة(حير)، ج3، ص 417.

(2)-الشاهد: من البحر الخفيف، للشاعر الحارث بن حلزة، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الروزي، شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2004م، ص 152.

(3)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، سنة 1997م، مج1، ج1، ص166.

(4)-الشاهد من البحر الطويل، للشاعر النابغة الذبياني، الديوان، ص 53.

(5)-الشاهد: من البحر الطويل، للنابغة الذبياني، الديوان، ص65.

(6)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر: راشد بن عبد ربه السلمي الصحابي-رضي الله عنه يُنظَرُ جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، شرح شواهد المغني، تصحيح وتعليق: محمد محمود ابن التلاميذ التركي الشنقيطي، منشورات دار مكتبة الحياة،(د،ط،د.ت)، ج1، ص317.

(7)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة 1960م، ص 45.

(8)-العز والأت ومناة، جميعها أصنام كانت حول الكعبة تعيدها العرب في الجاهلية وقد حطَّها ﷺ عند فتح مكة، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل-بيروت، ط8، سنة 1995م، مج3، ص281.

بني فلان.

وَقَدْ وَرَدَ الإِطْلَاقُ فِي الإِسْلَامِ أَيْضًا حِينَ حَكَى عَنْ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾⁽¹⁾ إِذَا كَانَ الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَى العَزِيزِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَارِبَاتٌ مَّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾⁽²⁾ فَهَذَا إِطْلَاقٌ لِلرَّبِّ مُضَافٌ وَغَيْرُ مُضَافٍ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الإِسْلَامِ لِأَنَّ اللَّفْظَ عَرَبِيًّا أُطْلِقَ فِي الإِسْلَامِ، وَليْسَ يَوْسُفُ أُطْلِقَ هَذَا اللَّفْظَ بَلْ أُطْلِقَ مُرَادِفُهُ فَلَوْ لَمْ يَصِحَّ التَّعْبِيرُ بِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ المَعْنَى عَبَّرَ بِهِ يَوْسُفُ لِكَانَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الأَلْفَافِ العَرَبِيَّةِ مَعْدُلًا، إِنَّمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ التَّهْيِيُّ عَنِ أَن يَقُولَ أَحَدٌ لِسَيِّدِهِ رَبِّي وَلَيَقُلُّ سَيِّدِي، وَهُوَ نَهْيٌ كَرَاهِيَةٌ لِلتَّأْدِيبِ وَكَذَلِكَ خُصَّ التَّهْيِيُّ بِمَا إِذَا كَانَ المِضَافُ إِلَيْهِ مِمَّنْ يُعْبَدُ عَرُفًا كَأَسْمَاءِ النَّاسِ لِدَفْعِ تُهْمَةِ الإِشْرَاقِ وَقَطَعَ دَابِرَهُ وَحَوَّزُوا أَنْ يَقُولَ: رَبُّ الدَّابَّةِ وَرَبُّ الدَّارِ، وَأَمَّا بِالإِطْلَاقِ وَالكِرَاهَةِ أَشَدُّ فَلَا يَقُلُّ أَحَدٌ لِلْمَلِكِ وَنَحْوِهِ: هَذَا رَبٌّ⁽³⁾ وَ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾ أَيْ مَا لَكُمْ، وَكُلُّ مَنْ مَلَكَ شَيْعًا فَهُوَ رَبُّهُ، فَالرَّبُّ المَالِكُ، وَفِي الصَّحَاحِ: وَالرَّبُّ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَقَالُ فِي غَيْرِهِ إِلاَّ بِالإِضَافَةِ، وَالرَّبُّ: السَّيِّدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾⁽⁵⁾ وَالرَّبُّ: المُصْلِحُ وَالمُدَبِّرُ وَالجَائِرُ وَالفَائِزُ، قَالَ الهَرَوِيُّ وَغَيْرُهُ، يَقَالُ لِمَنْ قَامَ بِإِصْلَاحِ شَيْءٍ وَإِتْمَامِهِ: قَدْ رَبَّهُ يَرْبُهُ فَهُوَ رَبُّ لَهُ وَرَابٌّ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الرَّبَّانِيُّونَ لِقِيَامِهِمْ بِالكُتُبِ، وَيَقَالُ عَلَى التَّكْثِيرِ: رَبَّاهُ وَرَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ، حَكَاهُ النَّحَّاسُ، وَفِي الصَّحَاحِ: وَرَبُّ فُلَانٍ وَكَدَهُ يَرْبُهُ، رَبًّا، وَرَبَّيْتُهُ وَتَرَبَّيْتُهُ بِمَعْنَى، أَيْ رَبَّاهُ، وَالمَرْبُوبُ: المَرْبِيُّ.

قال بعض العلماء: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم لكثرة دعوة الداعين بها، وتأمل ذلك في القرآن، كما في آخر آل عمران⁽⁶⁾.

وسورة إبراهيم⁽⁷⁾ وغيرهما، ولما يُشعر به هذا الوصف من الصلة بين الربِّ والمربوب، مع ما يتضمَّنه من العطف والرحمة والافتقار في كل الأحوال.

(1)-سورة يوسف، الآية 23.

(2)-سورة يوسف، الآية 39.

(3)-محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتقرير، مج 1، ج 1، ص 169.

(4)-سورة الفاتحة، الآية 2.

(5)-سورة يوسف، الآية 42.

(6)-سورة آل عمران، الآيات 191-195.

(7)-سورة إبراهيم، الآيات 35-41.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وَأَخْتَلَفَ فِي اسْتِثْقَاةِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّرْبِيَةِ، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُدَبِّرٌ لَخَلْقِهِ وَمُرَبِّهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾⁽¹⁾ فَسُمِّيَ بِنْتِ الزَّوْجَةِ رَبِيبَةً لِتَرْبِيَةِ الزَّوْجِ لَهَا.

فَعَلَى أَنَّهُ مُدَبِّرٌ لَخَلْقِهِ وَمُرَبِّهِمْ يَكُونُ صِفَةً فِعْلٍ، وَعَلَى أَنَّ الرَّبَّ بِمَعْنَى الْمَالِكِ وَالسَّيِّدِ يَكُونُ صِفَةً ذَاتٍ.

مَتَى أُدْخِلْتَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى "رَبِّ" اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، لِأَنَّهَا لِلْعَهْدِ، وَإِنْ حُذِفَتْ مِنْهُ صَارَ مُشْتَرِكًا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَيُقَالُ: اللَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ، وَزَيْدٌ رَبُّ الدَّارِ، فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ، يَمْلِكُ الْمَالِكَ وَالْمَمْلُوكَ، وَهُوَ خَالِقُ ذَلِكَ وَرَازِقُهُ، وَكُلُّ رَبٍّ سِوَاهُ غَيْرُ خَالِقٍ وَلَا رَازِقٍ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فَمُتَمَلِّكٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَمُنْتَزِعٌ ذَلِكَ مِنْ يَدِهِ، وَإِنَّمَا يَمْلِكُ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَصِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى مَخَالِفَةٌ لِهَذِهِ الْمَعَانِي، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ صِفَةِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِينَ⁽²⁾.

يَتَّبِعِينَ مِمَّا سَبَقَ أَنْ صَرَحَ الْعِلْمُ الشَّامِخُ الْعَتِيدُ يُبَيِّنُ هَكَذَا مِنْ إِضَافَةِ لَبِنَةٍ إِلَى لَبِنَةٍ، لِهَذَا السَّبَبِ فَالْإِجْمَاعُ مِنْ هَذَيْنِ الْعَالَمِيِّينَ وَأَقْعُ عَلَى أَنَّ لَفْظَ "رَبِّ" مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَحَسَنَ إِصْلَاحِ الشَّيْءِ مَعَ الْقُدْرَةِ الْمَطْلُوقَةِ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسَهَا، وَهِيَ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ وَارِدَةٌ عَلَى الْقَلِيلِ فِي أَوْزَانِهَا وَصَيَغِهَا الْمَتَدَاوِلَةِ لِأَنَّ الْمَقَامَ كُلَّهُ يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى أَيِّ مَعْنَى آخَرَ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ -هُوَ الْمُرَبِّيُّ وَهُوَ الْمُدَبِّرُ وَهُوَ الْمَشْرِفُ الدَّائِمُ وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

وَمِنَ الْأَفِيدِ أَنْ تَأْتِي بِمِثَالِ آخَرَ لِنَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ قَدْ تُخَدَعُ بِالْبِنَاءِ فِي شَكْلِهِ الظَّاهِرِيِّ فَنَقَعُ فِي خَطَأِ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ عِنْدَمَا نَعْتَمِدُ عَلَى الصَّيْغَةِ وَحَدَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾، يَقُولُ الْقُرْطُبِيُّ (ت671هـ) فِي مَدَوَّنَتِهِ: «وَ اِخْتَلَفُوا فِي اسْتِثْقَاةِ اسْمِهِ الرَّحْمَانِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا اسْتِثْقَاةَ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ سَبْحَانَهُ، وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُشْتَقًّا مِنَ الرَّحْمَةِ لَاتَّصَلَ بِذِكْرِ الْمَرْحُومِ، فَجَازَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ رَحْمَانٌ بِعِبَادِهِ، كَمَا يُقَالُ: رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ، وَأَيْضًا لَوْ كَانَ مُشْتَقًّا مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ تُنْكَرِهِ الْعَرَبُ حِينَ سَمِعُوهُ، إِذْ كَانُوا لَا يَنْكُرُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ

(1)-سورة النساء، الآية23.

(2)-أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-ط2، 1952م،

مج1، ج1، ص136.

(3)-سورة الفاتحة، الآية3

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

لَهُمْ أَسْجُدٌ وَالَّذِينَ قَالَُوا مَا الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ "الرحمان" مشتق من الرَّحْمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَبَالِغَةِ، وَمَعْنَاهُ ذُو الرَّحْمَةِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، فَلِذَلِكَ لَا يُشْتَقُّ وَلَا يُجْمَعُ كَمَا يُشْتَقُّ "الرحيم" وَيُجْمَعُ.

كما اختلفوا حول: هَلْ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَوْ بِمَعْنَيْنِ؟ فَقِيلَ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، كَنَدْمَانَ نَدِيمٍ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ (ت214هـ): وَقِيلَ لَيْسَ بِنَاءِ فَعْلَانٍ كَفَعِيلٍ، فَإِنَّ فَعْلَانَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى مَبَالِغَةِ الْفِعْلِ؛ نَحْوُ قَوْلِكَ: رَجُلٌ غَضْبَانٌ؛ لِلْمَمْتَلِيِّ غَضْبًا، وَفِعِيلٌ كَوْنٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، قَالَ عَمَلْسُ بْنُ عَقِيلٍ

فَأَمَّا إِذَا عَضَّتْ بِكَ الْحَرْبُ عَضَّةً فَإِنَّكَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمٌ⁽²⁾،⁽³⁾.

و"الرحيم" صفة مطلقة للمخلوقين، وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى الرَّحِيمِ أَيُّ بِالرَّحِيمِ وَصَلْتُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّحْمَانِ، فِ "الرَّحِيمِ" نَعَتْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ نَعَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ: "رَوْفٌ رَحِيمٌ"⁽⁴⁾

وَأَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ "الرحمان" مختصٌّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ قَالَى تَعَالَى:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾⁽⁵⁾ فَعَادَلَ الْاسْمَ الَّذِي لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ⁽⁶⁾

يجري القرطبي في هذا النصِّ مقارنةً بين صيغتي "الرحمان" و"الرحيم" على لسان بعض العلماء حيث قصر استعمال لفظ "الرحمان؟ على الله وحده وأباح استخدام صفة "الرحيم" لغيره من البشر مستدلاً على ذلك من القرآن الكريم المصدر الرئيس في هذا الشأن، لكنه لم يناقش أو يتناول خلال ذلك مسألة دلالة اللَّفْظَيْنِ عَلَى الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ أَوْ صِيغَةِ الْمَبَالِغَةِ أَوْ تَدَاخُلِهِمَا، أَيُّ دَلَالَتَهُمَا عَلَى الْمَعْنَيْنِ فِي آنٍ وَوَاحِدٍ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ فَعْلَانَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى مَبَالِغَةِ الْفِعْلِ، وَفِي تَقْدِيرِنَا أَنَّ فَعْلَانَ لَا يَقَعُ فَقَطْ عَلَى مَبَالِغَةِ الْفِعْلِ وَإِنَّمَا يَقَعُ كَذَلِكَ عَلَى دَلَالَةِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ.

(1)-سورة الفرقان، الآية 60.

(2)-الشاهد: من البحر الطويل للشاعر: عَمَلْسُ بْنُ عَقِيلٍ، يُنْظَرُ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ لَمْتِنِي، مَعَانِي الْقُرْآنِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدٌ فُؤَادُ سَزَكِينِ، مَطْبَعَةُ السَّاعِدَةِ، مِصْرَ، سَنَةِ 1954م، ج1، ص 21.

(3)-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج1، ص 104-105.

(4)-سورة التوبة، الآية 128.

(5)-سورة الاسراء، الآية 110.

(6)-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج1، ص 106.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وأما الزمخشريُّ (ت 538هـ) في كشَّافه فيقول في اللَّفْظَيْنِ: و(الرحمان) فَعْلَانٌ من رَحِمَ، كَعَضْبَانَ وَسَكْرَانَ، من غَضِبَ وَسَكَّرَ، وكذلك(الرحيم) فَعِيلٌ منه، كَمَرِيضٍ وَسَقِيمٍ، من مَرَضَ وَسَقِمَ، و(الرحمان) من المبالغة ما ليس في (الرحيم) ولذلك قالوا: رَحْمَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَحِيمُ الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْبِنَاءِ لَزِيَادَةُ الْمَعْنَى.

وقال الزَّجَّاجُ (ت 311هـ) "فِي الْعَضْبَانَ: هُوَ الْمَمْتَلِيُّ غَضَبًا"⁽¹⁾(2)

وهكذا وبهذا الأسلوب الموجز نلاحظ أن الزمخشري لا يولي هاتين اللفظتين كبير إهتمام وبهذا العمل لا يُجِيبُ عن كثير من تساؤلات واستفسارات القارئ...حول الصيغتين ودلالاتيهما على المبالغة فقط أو على المبالغة مضافا إليها الدلالة على الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام اللائق واللازم والواجب لذات الله-تعالى المترهة عن كل نقص وعيب-وهل فَعْلَانٌ دائما أبلغ من فعيل أم في هذا المقام، مقام «الرحمان الرحيم» فقط؟، وما علاقتهما بصيغة "الرب" السابقة لها في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾؟ وهل صيغة فعلان وفعيل خاصتان بالمبالغة أم بدلالة الصفة المشبهة أم تستخدمان في الدلالة على المعنيين؟ أم أنه لا عبرة بالصيغة في مثل هذه الأحوال التي يتدخل فيها المقام بقوة وسلطان؟ إلى غير ذلك من التساؤلات المعقولة التي كنا ننتظر الإجابة عنها لدى صاحب الكشاف.

وَإِذَا عُدْنَا كَذَلِكَ إِلَى مُصَنَّفِ تَفْسِيرِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ وَهُوَ يَعْضُ لِهَاتَيْنِ اللَّفْظَيْنِ نُفَيْهِ يَقُولُ: «وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْحَقِيقِينَ أَنَّ الرَّحْمَانَ صِفَةٌ مَشْبَهَةٌ كَعَضْبَانَ وَبِذَلِكَ مَثَلُهُ فِي الْكَشَافِ، وَفَعْلٌ رَحِمَ وَإِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًا وَالصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ إِنَّمَا تُصَاغُ مِنْ فِعْلٍ لَازِمٍ إِلَّا أَنَّ الْفِعْلَ الْمُتَعَدِّيَ إِذَا صَارَ كَالسَّجِيَةِ⁽⁴⁾ لِمَوْصُوفِهِ يُنْزَلُ مُتَزَلَّةً أَفْعَالِ الْغَرَائِزِ فَيُحَوَّلُ مِنْ فَعْلٍ بَفَتْحِ الْعَيْنِ أَوْ كَسْرِهَا إِلَى فَعْلٍ بِضَمِّ الْعَيْنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ صَارَ سَجِيَّةً كَمَا قَالُوا فَقَهُ الرَّجُلُ وَظُرْفَ وَفَهْمٌ، ثُمَّ تُشْتَقُّ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ»⁽⁵⁾

(1)- أبو القاسم محمود بن عُمَرَ الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-، ط1، (د،ت)، ج1، ص8.

(2)- إبراهيم بن السري بن سهّل أبو اسحاق الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبد شليبي، عالم الكتب-بيروت-لبنان، ط1، سنة 1988م، ج1، ص43.

(3)- سورة الفاتحة، الآية 2.

(4)- السجية: الطبيعة، الغريزة، الفطرة: ابن منظور، لسان العرب، مادة سجا، ج6، ص185.

(5)- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص170-171.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

سبق وأن قلنا: إِنَّ صَاحِبَ الْكَشَافِ صَاحِبٌ أَنَّهُ مَثَلٌ ب: غَضْبَانَ، وَسَكْرَانَ، وَنَدْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ رَبطَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ "الرَّحْمَانَ" عَلَى أَسَاسِ أَنَّ دَلَالَتَهَا تَفِيدُ الْمَبَالِغَةَ فِي الْفِعْلِ لَا سِيَّمَا عِنْدَمَا عَرَضَ لَهَا فِي إِطَارِ تَنَاوُلِ الْبِسْمَلَةِ حَيْثُ نَجِدُهُ يَقْرُرُ- وَنَحْنُ نَعِيدُ كَلَامَهُ عَنِ الْقَصْدِ- وَ"الرَّحْمَانَ" فَعَلَّانٌ مِنْ رَحِمَ كَعَضْبَانَ وَسَكْرَانَ مِنْ غَضِبَ وَسَكِرَ، وَكَذَلِكَ "الرَّحِيمُ" فَعِيلٌ مِنْهُ كَمَرِيضٍ وَسَقِيمٍ مِنْ مَرَضَ وَسَقِمَ، وَفِي "الرَّحْمَانَ" مِنَ الْمَبَالِغَةِ مَا لَيْسَ فِي "الرَّحِيمِ"»⁽¹⁾

...وَلِذَلِكَ قَالُوا: رَحْمَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَرَحِيمُ الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْبِنَاءِ لَزِيَادَةُ الْمَعْنَى، وَقَالَ الرَّجَّاحُ: هُوَ الْمَمْتَلِيُّ غَضْبَانٌ فِي الْغَضْبَانِ»⁽²⁾⁽³⁾

وَاضِحٌ هُنَا أَنَّ صَاحِبَ الْكَشَافِ قَدْ حَصَرَ دَلَالََةَ صِيغَةِ "الرَّحْمَانَ" وَالرَّحِيمِ فِي الْمَبَالِغَةِ لِأَنَّهَا فِي نَظَرِهِ عَلَى وَزْنِ فَعَلَّانٍ وَفَعِيلٍ، وَغَفَلَ الْحَدِيثَ عَنْهُمَا فِي إِطَارِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، وَدَلَّالَتِهَا وَاشْتِقَاقِهَا، وَتَحْوِيلَاتِهَا الْعَارِضَةِ لَهَا فِي سِيَاقَاتِ الْكَلَامِ.

وَقد عَدْنَا إِلَى الْكَشَافِ مُتَقَصِّينَ اسْتِعْمَالَاتِ لَفْظَةِ "الرَّحْمَانَ" فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَسِيَاقَاتِ عِدَّةٍ فَلَمْ نَعَثِرْ عَلَى شَيْءٍ ذِي بَالٍ فِي مَعَالِجَتِهَا وَسَبْرِ أَغْوَارِهَا، لِذَلِكَ فَنَحْنُ لَا نَدْرِي أَيْنَ صَادَفَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ الْحَدِيثَ فِي "الْكَشَافِ" عَنِ تَنَاوُلِ لَفْظَةِ "الرَّحْمَانَ" فِي نِطَاقِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ؟ وَيُوَاصِلُ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ كَلَامَهُ فَيَقُولُ: «وَإِنَّمَا يُعْرَفُ هَذَا التَّحْوِيلُ أَيَّ تَحْوِيلِ صِيغَةِ فَعْلَةٍ وَإِلَى فَعْلَةٍ وَفَهْمٍ إِلَى فَهْمٍ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِسِمَاعِ الْفِعْلِ الْمُحَوَّلِ مِثْلَ: فَهْمٌ وَإِمَّا بِوُجُودِ أَثَرِهِ وَهُوَ الصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ مِثْلَ: بَلِيغٌ إِذَا صَارَتِ الْبَلَاغَةُ سَجِيَّةً لَهُ، مَعَ عَدَمِ أَوْ قَلَّةِ سِمَاعِ بُلْغٍ، وَمِنْ هَذَا رَحْمَانٌ إِذْ لَمْ يُسْمَعْ وَحُمَ بِالضَّمِّ»⁽⁴⁾

وَكَما هُوَ جَلِيٌّ هُنَا فَإِنَّهَا التَّفَاتَةُ لِطَيْفَةٍ وَذَكِيَّةٍ وَمَوْفِقَةٌ مِنْ صَاحِبِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ حَيْثُ سَمَّى الْأَشْيَاءَ بِأَسْمَائِهَا وَكَشَفَ الْغَطَاءَ عَنْهَا فِي جَلَاءٍ وَدَقَّةٍ فَذَكَرَ أَنَّ الرَّحْمَانَ صِفَةً مَشْبَهَةً كَغَضْبَانَ، وَفَعْلَهَا رَحِمَ مُتَعَدِّ، وَالصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ إِثْمًا تَوْخِذٌ مِنَ الْفِعْلِ اللَّازِمِ، إِلَّا أَنَّ الْفِعْلَ اللَّازِمَ إِذَا صَارَ كَالسَّجِيَّةِ الْمَوْضُوفَةِ يَتَرَلُّ مِثْلَ الطَّبَائِعِ وَالْغَرَائِزِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَعَالِجَةُ الْعِلْمِيَّةُ الصَّحِيحَةُ فِي تَقْدِيرِنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَالْمَسَائِلِ اللَّغَوِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ الْمَتَدَاخِلَةِ الْعَوِيصَةِ لَا أَنْ نَهْرَبُ مِنْهَا وَنَتْرَكُهَا غَامِضَةً مَبْهَمَةً مُضْطَرِبَةً فِي ذَهْنِ الْقَارِئِ وَالتَّعَلُّمِ عَامَةً.

(1)-الزَّمخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، ج 1، ص 8.

(2)-أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَّاحُ، مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ، ج 1، ص 43.

(3)-الزَّمخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، ج 1، ص 8.

(4)-مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ، تَفْسِيرُ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ، مَج 1، ج 1، ص 171.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وَمِنَ النِّحَاةِ مَنْ مَنَعَ أَنْ يَكُونَ الرَّحْمَانُ صِفَةً مُشَبَّهَةً بِنَاءِ عَلِيٍّ أَنَّ الْفِعْلَ الْمَشْتَقَّ هُوَ مِنْهُ فِعْلٌ مُتَعَدٌّ
وَالِيهِ مَالٌ ابْنُ مَالِكٍ (ت 672هـ) فِي شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ فِي بَابِ الصِّفَةِ الْمَشَبَّهَةِ حَيْثُ يَنْصُ بِقَوْلِهِ مِنْ
بِحَرْ الرَّجَزِ:

وَصَوَّغَهَا مَنْ لَازِمٌ لِحَاضِرٍ كَطَاهِرِ الْقَلْبِ جَمِيلِ الظَّاهِرِ
يَعْنِي أَنَّ الصِّفَةَ الْمَشَبَّهَةَ لَا تُصَاغُ مِنْ فِعْلٍ مُتَعَدٍّ، فَلَا تَقُولُ: «زَيْدٌ قَاتِلُ الْأَبِ بَكْرًا» تُرِيدُ: قَاتِلُ
أَبُوهُ بَكْرًا، بَلْ لَا تُصَاغُ إِلَّا مِنْ فِعْلٍ لَازِمٍ، نَحْوُ: طَاهِرِ الْقَلْبِ، وَجَمِيلِ الظَّاهِرِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْحَالِ،
وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: "لِحَاضِرٍ" فَلَا تَقُولُ: "زَيْدٌ حَسَنُ الْوَجْهِ -غَدًا، أَوْ أَمْسَ" (1).

وَمَعَ ذَلِكَ يَظَلُّ هَذَا الْأَصْلُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ مَالِكٍ قَائِمًا فِي صَوْغِ الصِّفَةِ الْمَشَبَّهَةِ مِنَ الْفِعْلِ
الَّذِي لَا يَجُوزُ وَلَا تُصَاغُ مِنْ فِعْلٍ مُتَعَدٍّ، لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ لِأَنَّ هُنَاكَ الْمَقَامَ وَالْحَالَ وَالسِّيَاقَاتِ الْكَلَامِيَّةَ
وَمُقْتَضِيَاتِهَا هِيَ الَّتِي يَجْسَمُ الْمَوْقِفُ فِي هَذَا الْفِضَاءِ الْكَلَامِيِّ الْوَاسِعِ نَحْوُ: قَابِضُ الْأَرْوَاحِ، وَرَازِقُ
الْعِبَادِ، وَخَالِقُ الْأَكْوَاحِ، وَمَسِيرُ الْمَصْنُوعِ وَغَيْرِ هَذَا كَثِيرٌ مِنْهُ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ فَصِيغَةً: قَابِضُ
اسْمِ فَاعِلٍ فِي بِنَائِهَا لَكِنَّهَا تَوَدِّيٌّ مَعْنَى الصِّفَةِ الْمَشَبَّهَةِ هُنَا لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ هُنَا جَاءَ مُضَافًا، وَهُوَ مِنْ
الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّيِّ إِلَى مَفْعُولٍ بِهِ نَحْوُ: قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحَ عَبْدِهِ وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ بَاقِيَ الْأَمْثَلَةِ الْمَذْكُورَةِ
أَعْلَاهُ وَأَمَّا "الرَّحِيمُ" فَذَهَبَ سَبِيوِيهِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَمْثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ يَقُولُ: «وَاجْرُوا اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ
يُبَالِغُوا فِي الْأَمْرِ مَجْرَاهُ إِذَا كَانَ عَلَى بِنَاءِ فَاعِلٍ، لِأَنَّهُ يَرِيدُ بِهِ مَا أَرَادَ بِفَاعِلٍ مِنْ إِيقَاعِ الْفِعْلِ إِلَّا أَنَّهُ يَرِيدُ
أَنَّ يُحَدِّثَ عَنِ الْمُبَالَغَةِ، فَمَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ هَذَا الْمَعْنَى: فَعُولٌ، وَفَعَّالٌ، وَمِفْعَعَلٌ، وَفَعَّلٌ وَقَدْ
جَاءَ: فَعِيلٌ كَرَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَقَدِيرٍ وَسَمِيعٍ وَبَصِيرٍ، يَجُوزُ فِيهِنَّ مَا جَازَ فِي فَاعِلٍ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ
وَالِإِظْهَارِ وَالِإِضْمَارِ» (2)

كَلَامُ سَبِيوِيهِ (ت 180هـ) فِي هَذِهِ الْفِقْرَةِ يَطْرَحُ كَثِيرًا مِنَ التَّسَاؤُلَاتِ وَيَقْتَضِي أَيْضًا كَثِيرًا
مِنَ الْإِيضَاحَاتِ حَتَّى وَإِنْ انْطَلَقَ مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ هَذَا الْمَعْنَى أَوْ الْمَذْهَبِ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَوْ
الْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ وَتَعْلِيلٍ خَاصَّةٍ عِنْدَمَا تُضَادِفُ الْوَاقِعَ الْعَمَلِيَّ وَمَا يَنْبَثِقُ عَنْهُ مِنْ
مَفَاجِآتٍ وَمَلَابَسَاتٍ وَمُسْتَجِدَّاتٍ وَتَفْرِيَعَاتٍ وَشَذُوزٍ كَثِيرًا مَا يَقَعُ صَاحِبُهَا فِي ارْتِبَاكِ وَالشُّعُورِ

(1) -جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الطائي الأندلسي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي

الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط، 20، سنة 1980م، ج3، ص 141.

(2) -سبيويه، الكتاب، ج1، ص 110.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

بالحاجة إلى إعادة النظر فيما بدأ له أنه صواب لا يتطرق إليه الخلل أو الخروج عن الأصل الذي سبق أن قرره.

وكما يُفهم من كلام سيويه أن اسم الفاعل وأمثلة المبالغة والصفة المشبهة صيغ متداخلة ومتشابكة ببعضها تؤثر في بعضها وتتأثر اشتقاقاً وصياغة ودلالة ووظيفة وحكما إعرابيا وتصريفيا، وإذا كان الأمر كذلك فكيف لهذا الأصل أن يضمن انسجام كل هذه العناصر أثناء التركيب والسياق والاستعمال المتنوع، المتعدد الأوجه؟ وكيف يُلقى الكلام هكذا مجملا، لا سيما وأن الأمر منوط بمسائل علمية محضة لا علاقة لها بالإيجاء والتكثيف والتلميح والإشارة.

وكان من الأفضل والأليق أن يبدأ سيويه (ت 180هـ) بتوضيح العلاقة من الناحية الصرفية والاشتقاقية بين كل من اسم الفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واشتقاق كل منها من مصدر الفعل الثلاثي أو الرباعي أو الخماسي اللازم منها أو المتعدي، وكذا تداخلها وتحولاتها وتبدلاتها العارضة لها في الإطار الصرفي كأن «تصاغ الصفة المشبهة من بناء رَحِمَ إذا تحوّل وصار كالسجية إلى وزن المضموم العين: رَحِمَ، وهذا قياسياً جائزٌ، فحينئذ يمكن أن يكون "الرحيم" على وزن (فَعِيل) صفةً مشبهةً نحو: مريض وسقيم وغيرهما، إضافة إلى قرينة السياق والمقام والحال الذي يفيد دلالة البناء على الصفة المشبهة.

والأمر الآخر هو أن اسم الفاعل يُصاغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم منه والمتعدي الدال على الحدوث والتجدد كما يصاغ من الفعل الثلاثي اللازم الدال -في أصله- على الدوام والثبوت والاستمرار نحو: حَسُنَ، حَسَنَ واسم الفاعل منه حَاسِنٌ، وكرَمَ كَرِيمٌ واسم الفاعل منه: كَارِمٌ، وشَرُفَ، شَرِيفٌ واسم الفاعل منه: شَارِفٌ على وزن اسم الفاعل دائماً، (أي: صاحب شرف) (1)

«...والحق ما ذهب إليه سيويه، ولا خلاف بين أهل الله في أن الوصفين واللأن على المبالغة في صفة الرحمة أي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين وإثما الخلاف في طريقة استفادة المبالغة منهما وهل هما مترادفان في الوصف بصفة الرحمة أو بينهما فارق؟» (2)

وأما الرأي في هذه المسألة ونظيرها يرجع بالدرجة الأولى إلى السياق الذي يحسم الموقف؛ ويزيل الخلاف، ويرجح الدلالة، أي صيغة مبالغة أم صفة مشبهة أم يجمعهما معا كما في قوله تعالى:

(1) -عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 240-243.

(2) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 171.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾ فالصَّفَتان-من وجهة نظرنا- ثابتتان ودائمتان ولازمتان الله سبحانه وتعالى لأنهما تدلان على تزيهه وكماله وشمول رحمته لكائناته ومخلوقاته ظاهرها وباطنها، حاضرها وغائبا.

نختم الحديث عن آية ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾ لأن للعلماء الأولين منهم والآخرين كلاما كثيرا في هذه المسألة ليس مقام التفصيل فيه هنا، غير أن ما نريد أن نشير إليه هو ضرورة مراعاة المقام وسياق الاستعمال في جميع الأحوال لتمييز هذه المشتقات بعضها من بعض لأنها- كما أسلفنا القول- شديدة التداخل ببعضها وتتطلب إماما ليس يسيرا بعلوم اللغة العربية وأسرارها ودقائقها لا سيما عند ما يتعلق الأمر بالنصوص مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر ونثر البلغاء والفصحاء والخطباء الذين لهم باع طويل في الأدب والكتابة وفنونهما.

ولا أدل على ذلك من هذه الآية القرآنية الكريمة ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ التي وقف عندها علماء مقتدرون في العربية وعلومها يتدبرونها ويتأولونها كل حسب ما توهمه له ثقافته وخبرته واحتكاكه بالنصوص الأدبية على اختلاف أجناسها وأنماطها، فهم لم يُعولوا- كما لحظنا- على البناء... أو الصيغة وحدها، لأن الاعتماد على الصيغة وحدها تُوجي إلى القارئ البسيط العادي على أنها صيغة مشبهة حيث أن صيغة "رحمان" على وزن "فعلان" وصيغة "رحيم" على وزن "فعليل" وهما وزنان أو بناءان يردان للصفة المشبهة-غالبا- كما يردان للمبالغة أيضا، غير أن البحث والتحري والتحقيق المتأن، ومراعاة سياقات الاستعمال وأحوال المقام كشف للعلماء أن هاتين الصيغتين تفيدان المبالغة أكثر مما تفيد الدلالة على الصفة المشبهة مع وجود الفارق بينهما في قوة الدلالة واتساعها وخصوصيتها وعمومها.

ومن المفيد المؤكد أن نأتي بمثال آخر في الإشكال نفسه الذي يعالج عدم الانخداع بالصيغة في ظاهرها الشكلي الذي يشير إلى دلالة معينة لكن حقيقته شيء آخر تماما نحو قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽³⁾ حسب قراءة حفص.

إن في تعقيب قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بقوله: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ

(1)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(2)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(3)-سورة الفاتحة، الآية 4.

(4)-سورة الفاتحة، الآيتان 2، 3.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

الَّذِينَ ﴿١﴾ إشارة إلى أنه ولي التصرف في الدنيا والآخرة فهو إِذَنْ تَمِيمٌ، وقوله (مَلِك) قرأه الجمهور بدون ألفٍ بعد الميم وقرأه عاصمٌ والكسائي ويَعْقوبُ وَخَلْفٌ (مَالِك) بالألف، فالأول صفة مشبهة صارت اسماً لصاحب الملك (بضم الميم) والثاني اسم فاعلٍ من مَلَكَ إِذَا اتَّصَفَ بِالْمَلِكِ (بكسر الميم) وكلاهما مشتق من مَلَك، فأصل مادة مَلَك في اللغة ترجع تصاريفها إلى معنى الشدِّ والضبط كما قاله ابنُ عَطِيَّةٍ (٢) (ت 546هـ) ثم يتصرف ذلك بالحقيقة والمجاز، والتحقيق والاعتبار، وقرأة مَلِك بدون ألف تدل على تمثيل الهيئة في نفوس السامعين لأنَّ المَلِك (بفتح الميم وكسر اللام) هو ذُو المَلِكِ (بضم الميم) والمَلِكُ أَحَصُّ من المَلِكِ (٣) ... إذ الملك (بضم الميم) هو التصرف في الموجودات والاستيلاء ويختار بتدبير أمور العقلاء وسياسة جمهورهم وأفرادهم ومواطنيهم فلذلك يقال ملك الناس ولا يقال مَلِكُ الدَّوَابِّ أو الدِّراهم، وأما المَلِكُ (بكسر الميم) فهو الاختصاص بالأشياء ومنافعها دون غيره (٤)

وبناء على ما سبق هنا من تتبُّع العلماء للفظ (ملك) في دقة متناهية من حيث البناء ومن حيث الحركات الضابطة لها نوذ أن نؤكد على ضرورة الانتباه إلى هذه الصيغ المتداخلة فيما بينها، والمتقاربة في أبنيتها وأشكالها ودلالاتها، ومضامينها، وأحكامها التصريفية والنحوية-خاصة-ضمن السياق العام للكلام، وكذا مناسبة المقام والحال وقريئتهما.

إنَّ اللّافِت للنظر في هذه الصيغة في هذه الآية القرآنية ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٥) يتجاذبها بناءًان متقارباًن، بناء يشير إلى دلالة الصفة المشبهة (مَلِكِ)، وبناء آخر يرمز إلى دلالة بناء اسم الفاعل (مَالِكِ) فالأول منهما كما ورد في الآية: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (٦) وهي قرأة ورش، والثاني: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧) وهي قرأة لحفص.

وإنَّ القارئ المتبصّر الذي له بعض الإلمام بأصول العربية وقواعدها يتساءل حتما عن سبب هذا الاختلاف في البناءين (مَلِكِ) و(مَالِكِ) الذي سيترتب عنه بالضرورة اختلاف جوهري في الدلالة بين

(١)-سورة الفاتحة، الآية 4.

(٢)- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، سنة 1995م، ج1، ص 68.

(٣)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 175.

(٤)-المصدر نفسه، مج1، ج1، ص175.

(٥)-سورة الفاتحة، الآية 4.

(٦)-سورة الفاتحة، الآية 4.

(٧)-سورة الفاتحة، الآية4.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

هذَيْنِ الْبِنَاءَيْنِ إِذَا مَا تَقِيدُنَا بِالْقَاعِدَةِ اللَّغْوِيَّةِ الشَّاعَةِ الَّتِي تَقَرَّرُ: (أَنَّ كُلَّ زِيَادَةٍ فِي الْمَبْنِيِّ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا زِيَادَةٌ فِي الْمَعْنَى) (1)

وَ النَّاطِرُ فِي الصِّيغَتَيْنِ: (مَلِكٌ) وَ (مَالِكٌ) يَلْحِظُ زِيَادَةَ (الْأَلْفِ) فِي الصِّيغَةِ الثَّانِيَةِ فَيُخَالِإِلَيْهِ أَنَّهَا الصِّيغَةُ الْأَقْوَى وَالْأُولَى مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ ثُمَّ يَأْتِي النَّحَاةَ لِيَقُولُوا كَلِمَتَهُمْ وَأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ يَأْخُذُ دَلَالَةَ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ إِذَا كَانَ مُضَافًا.. لِيَصِيرَ ذَالًا عَلَى مَعْنَى الثَّبُوتِ وَالذَّوَامِ وَاللِّزُومِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ الْمَشْتَقُّ اسْمَ الْفَاعِلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (2) وَمِنْ ثَمَّ فَالْبِنَاءُ أَنْ يُؤَدِّيَانَ الدَّلَالَةَ نَفْسَهَا وَعَلَيْهِ فَالْقَرَاءَتَانِ كِلْتَاهُمَا صَحِيحَتَانِ سِوَا أُدِيَّتْ بِهَذَا الْبِنَاءِ (مَلِكٌ) أَوْ بِذَلِكَ (مَالِكٌ) لِأَنَّ كِلَيْهِمَا يَدُلُّ عَلَى مَتْنِهِ الْعَدْلُ يَوْمَ الْعَدْلِ وَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا أَفْضَلُ الْعَادِلِينَ، وَنَحْنُ بِصَدَدِ الْحَدِيثِ عَنْ تَدَاخُلِ الْأَبْنِيَّةِ وَالصِّيغِ فِي النِّظَامَيْنِ الصَّرْفِيِّ وَالنَّحْوِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى يَحْضُرُنِي تَقْسِيمُ حَدِيثِ اللَّبَاحِثِ اللَّغْوِيِّ تَمَامَ حَسَّانِ الَّذِي جَاءَ بِتَقْسِيمِ جَدِيدِ لِأَبْوَابِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ حَيْثُ جَعَلَهُ نَوْعَيْنِ مِنَ الْمَبَانِي وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا: أ-مَبَانِي التَّقْسِيمِ، تَمَّ ب-مَبَانِي التَّصْرِيفِ.

فَفِي مَبَانِي التَّقْسِيمِ، وَهُوَ تَقْسِيمُ الْكَلَامِ فِي النَّظَامِ الصَّرْفِيِّ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى وَالَّذِي يَخَالَفُ بِهِ التَّقْسِيمَ التَّقْلِيدِيَّ الْمَعْرُوفَ ب: الْكَلَامُ كُلُّهُ، ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ كَمَا يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ جَمْهُورُ النَّحَاةِ وَعُلَمَاءُ الصَّرْفِ وَالِاشْتِقَاقِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ-مِثْلًا-ابْنُ مَالِكٍ فِي أَلْفِيَّتِهِ الشَّهِيرَةِ حَيْثُ يَنْصَرُّ عَلَى الْكَلَامِ وَمَا يَتَأَلَّفُ مِنْهُ:

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ: كَأَسْمَاءٍ وَفِعْلٌ، ثُمَّ حَرْفٌ-الْكَلِمَةُ (3)

فَالْكَلَامُ لَدَى تَمَامِ حَسَّانِ لَا يَنْقَسِمُ-فِي مَذْهَبِهِ اللَّغْوِيِّ-إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَحَسَبَ وَهُوَ مَا جَعَلَ-فِي نَظَرِهِ-الْحَدِيثَ عَنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ مَشُوبًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْغَمُوضِ وَالِاضْطِرَابِ وَالتَّنَاقُضِ أحيانًا، وَهَذَا مَا دَفَعَ هَذَا الْبَاحِثَ اللَّغْوِيِّ إِلَى ابْتِكَارِ رُؤْيَةٍ جَدِيدَةٍ فِي تَقْسِيمِ الْكَلَامِ فِي الْعَرَبِيَّةِ حَيْثُ قَسَمَهُ «إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ-بَدَلِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامِ الَّذِي دَأَبَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ الْأَقْدَمُونَ-كَالْآتِي، وَهِيَ: الْاسْمُ، الصِّفَةُ، الْفِعْلُ، الضَّمِيرُ، الْمَخَالَفَةُ، الظَّرْفُ، الْأَدَاةُ» (4).

(1)-الزَّمخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، ج1، ص8.

(2)-سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، الْآيَةُ4.

(3)-أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ جَمَالُ الدِّينِ مَالِكٌ، الْأَلْفِيَّةُ، شَرَحَ ابْنُ عَقِيلٍ عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ، ج1، ص13.

(4)-تَمَامُ حَسَّانِ، اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا، دَارُ الثَّقَافَةِ-الدارُ الْبَيْضَاءُ-المَغْرِبُ، سَنَةُ 1994م، ص88-90.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وَنَحْنُ مَعَ تَحْفَظْنَا عَلَى هَذَا التَّقْسِيمِ الْجَدِيدِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ عَلَيْنَا الْبَاحِثُ تَمَّامَ حَسَّانَ، وَالَّذِي لَازَلْنَا لَمْ نَهْضِمِهِ بَعْدَ-فَلَا يَهْمُنَا مِنْهُ إِلَّا الْقِسْمَانِ الْأَوَّلَانِ وَهُمَا: الْأِسْمُ وَالصِّفَةُ اللَّذَانِ-فِعْلًا-غَالِبًا مَا يَلْتَبِسُ أَمْرَهُمَا وَيَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لِأَسِيْمَا إِذَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِأَبْنِيَّةِ وَأَوْزَانِ وَصِيغِ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ الَّتِي تَتَعَدَّدُ وَتَتَنَوَّعُ وَتَتَلَوَّنُ فَتَأْتِي عَلَى صُورٍ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ تَشْتَرِكُ فِيهَا وَتَتَقَاطَعُ مَعَ صُورٍ وَأَشْكَالٍ أُخْرَى مُتَجَانِسَةً فِي الْمَبْنِيِّ وَالْمَعْنَى أَوْ مُتَقَارِبَةً التَّجَانُسِ نَحْوُ: الْمَصْدَرِ وَأَنْوَاعِهِ، وَالْأِسْمِ الْفَاعِلِ، وَالْأِسْمِ الْمَفْعُولِ، وَصِيغِ الْمَبَالِغَةِ عَلَى كَثْرَةِ أَوْزَانِهَا وَأَبْنِيَّتِهَا، وَالْأِسْمِ التَّفْضِيلِ، وَالْأِسْمِ الْآلَةِ وَغَيْرِهَا.

وَ لِلتَّوْدِيلِ عَلَى كَلَامِنَا هَذَا سَنَعْرُضُ لِبَعْضِ أَنْوَاعِ هَذَا التَّقَاطَعِ فِي الْأَوْزَانِ وَالْأَبْنِيَّةِ بِإِيْجَازٍ غَيْرِ مُخَلِّ مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَمْثَلَةٍ مِنَ الشُّوَاهِدِ النَّحْوِيَّةِ لِكَيْ يَكُونَ الْأَمْرُ وَاضِحًا حَلِيًّا يُمْكِنُ قِيَاسُ غَيْرِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَبْنِيَّةِ وَالصِّيغِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُجْرَدَةِ مِنْهَا وَالْمَزِيدَةِ، السَّمَاعِيَّةِ وَالشَّاذَةِ.

وَتَثْبِيْتًا لِكَلَامِنَا السَّابِقِ، فَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى إِطْرَادِ عَشْرَةِ أَبْنِيَّةٍ مِنَ الْأِسْمِ الثَّلَاثِيِّ الْمُجْرَدِ الَّذِي يَأْتِي اسْمًا جَامِدًا، وَيَأْتِي أَيْضًا صِفَةً مُشْبَهَةً-فِي أَغْلِبِ الْحَالَاتِ-وَإِخْتَلَفُوا فِي اثْنَيْنِ مِنْهُمَا، أَمَّا الْعَشْرَةُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهَا فَهِيَ:

1-فَعْلٌ: اسْمُ ذَاتِ نَحْوِ: (صَقَّرَ)، وَاسْمُ جَنْسٍ نَحْوِ: (قَمَحَ)، وَمَصْدَرٍ نَحْوِ، (وَعَدَ)، وَبِمَعْنَى الْمَفْعُولِ نَحْوِ: (رَجَلُ)، وَاسْمُ جَمْعٍ نَحْوِ: (صَحْبَ)، وَصِفَةٌ مُشْبَهَةٌ نَحْوِ: (صَعْبَ)، وَ(ضَخْمَ)، وَ(سَهْلَ)، وَ(فَخْمَ)⁽¹⁾.

2-فَعْلٌ: اسْمُ ذَاتِ نَحْوِ: (جَسَمَ)، وَاسْمُ جَنْسٍ نَحْوِ: (طَبَّ)، وَمَصْدَرٍ نَحْوِ: (عَلِمَ)، وَ(صَدَّقَ)، وَصِفَةٌ مُشْبَهَةٌ نَحْوِ: (جَلَفَ)⁽²⁾ وَ(مَلَحَ)، وَ(صَفَّرَ)⁽³⁾، وَ(رَخَوَ)⁽⁴⁾.

3-فَعْلٌ: اسْمُ ذَاتِ نَحْوِ (فُقِلَ)، وَمَصْدَرٍ نَحْوِ: (شُرِبَ)، وَصِفَةٌ مُشْبَهَةٌ نَحْوِ: (حُلُو)، وَ(مُرٌّ).

4-فَعْلٌ: اسْمُ ذَاتِ نَحْوِ: (جَبَلَ)، وَاسْمُ جَنْسٍ نَحْوِ: (شَجَرَ) وَاسْمٌ لِلْجَمْعِ نَحْوِ: (عَيْبَ)⁽⁵⁾، وَمَصْدَرٍ نَحْوِ: (طَلَبَ)، وَبِمَعْنَى الْمَفْعُولِ نَحْوِ (نَفَضَ). بِمَعْنَى الْمَنْفُوضِ، وَصِفَةٌ مُشْبَهَةٌ نَحْوِ: (بَطَلِ).

(1)-أبو حيان محمد يوسف الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط: 1 سنة 2011م، ص ص 28، 29، السيوطي ابن أبي بكر جلال الدين عبد الرحمان، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط: 3، سنة 1958م، ج 2، ص ص 5-6.

(2)-جَلَفٌ، وَالْجَلْفُ بِالْكَسْرِ: الرَّجُلُ الْجَائِفُ الْغَلِيظُ الْخَلْقُ: الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ، مَادَةٌ جَلْفٌ، مَج 3، ص 124.

(3)-صَفَّرٌ، الصَّفْرُ وَالصَّفْرُ وَالصُّفْرُ: الشَّيْءُ الْخَالِي، ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَةٌ صَفْرٌ، ج 7، ص 359.

(4)-رَخَوَ: نَاعِمٌ، لَيْنٌ، هَشٌّ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةٌ (رَخَا)، ج 5، ص 181.

(5)-عَيْبٌ، الْعَائِبُ وَالْعَيْبُ وَالْعَيْبَةُ: الْوَصْمَةُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةٌ (عَيْبَ)، ج 9، ص 490.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

و(حَسَنٍ)، و(رَعْدٍ)، و(عَرَضٍ)⁽¹⁾ و(وَسَطٍ).

5-فِعْلٌ: اسم ذاتٍ نحو: (كَتَفٍ)، ومصدرٍ نحو: (لَعِبٍ)، وصفة مشبهةٍ نحو: (فَرِحَ)، و(جَدِلَ)⁽²⁾، و(طَرِبَ)⁽³⁾ و(رَضِيَ).

6-فُعْلٌ: اسم نحو: (رَجُلٍ)، وصفةٍ مشبهةٍ نحو: (يَقْظُ)، و(نَدَسٌ)، و(شَكِسَ)، على غير القياس ويقال أيضاً: «نَدِسٌ وشَكِسٌ بِكسر العين» على القياس.

7-فُعْلٌ: اسم نحو: (جُرَذٍ)⁽⁴⁾ ومصدرٍ نحو: (هُدًى)، واسم جنسٍ نحو: (رُطْبٍ)⁽⁵⁾ وصفة مشبهة ومبالغةٍ نحو: (حُطْمٍ)⁽⁶⁾ و(لَمَزَ)⁽⁷⁾ و(هُمَزَ)⁽⁸⁾ و(غُدَرَ)، و(وَفَسَقَ)، و(خُبِثَ)...الخ.

8-فُعْلٌ: اسم ذاتٍ نحو: (أُذُنٍ)، ومعنى المفعول نحو: (غَلَقَ)، ومصدرٍ نحو: (شُعْلُ)، ويجمع نحو: صُحُفٌ، وصفة مشبهةٍ نحو: (جُنِبَ)⁽⁹⁾ و(جَزُرَ)⁽¹⁰⁾ و(فُرُطَ)⁽¹¹⁾

9-فِعْلٌ: اسم نحو: (ضَلَعَ)، وصفة مشبهةٍ نحو: (عَدَى)⁽¹²⁾، ولم يذكر سيبويه غير هذه الصفة، وزاد غيره، (قِيمَ)⁽¹³⁾ كما في قوله تعالى: ﴿دَيْنًا قِيمًا﴾⁽¹⁴⁾ و(سَوَى)⁽¹⁵⁾ في قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سَوَى﴾⁽¹⁶⁾ و(زَيْمَ)⁽¹⁷⁾ قال النابغة الذبياني:

(1)-عَرَضٌ: النشيط، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(عرض)، مج2، ص308.

(2)-جَدِلَ: فَرِحَ، المصدر السابق، مادة(الجدل)، مج3، ص347.

(3)-طَرِبَ: حُلُولِ الفَرَحِ وذَهَابِ الحزن، ابن منظور، لسان العرب، مادة طرب، ج8، ص135.

(4)-جُرَذٌ: الذَّكَرُ من الفأر، وقيل الذَّكَرُ الكبير من الفأر، المصدر السابق، مادة جرد، ج2، ص239.

(5)-رُطْبٌ: الرَّعْيُ الأَخْضَرُ من يقول الربيع، المصدر السابق، مادة (رطب)، ج5، ص237.

(6)-حُطْمٌ: رَجُلٌ حُطْمٌ وحُطْمَةٌ إذا كان قليل الرحمة للماشية، ونازٌ حُطْمَةٌ: شديدة، المصدر السابق، مادو حطم، ج3، ص227.

(7)-لَمَزَ: الذي يعيبُ الناسَ وينالُ منهم بالحاجِبِ والعين، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (لمز)، مج2، ص191

(8)-هُمَزَ، الهَمَازُ: الذي يغتاب الناسَ ويطعن في أعراضهم: المصدر السابق، مادة (همز)، مج2، ص191.

(9)-جُنِبَ: الذي يَجِبُ عليه الغُسلُ بالجماعِ وخروج المني. ابن منظور، لسان العرب، مادة(جنب)، ج2، ص374.

(10)-جَزُرَ، الناقَةُ المَجْزُورَةُ: أي المقطوعة: المصدر السابق، مادة(جزر) ج2، ص271.

(11)-فُرُطٌ، المسرف، الجاوز للحد، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(فرط) مج2، ص377.

(12)-عَدَى، قوم عَدَى: متباعدون، وقيل: غرباء، ابن منظور، لسان العرب، مادة(عدأ)، ج9، ص94.

(13)-قِيمًا، أمر قِيمَ: مستقيم حس، المصدر السابق، مادة(قوم)، ج11، ص359.

(14)-سورة الأنعام، الآية: 161.

(15)-سَوَى، ومكان سَوَى وسَوَى: مُعَلَّمٌ: المصدر السابق، مادة(سَوَى) ج6، ص447.

(16)-سورة طه، الآية 58.

(17)-زَيْمٌ، منزلاً زَيْمًا: أي متفرق الثبات، أو أراد تفرق عنه الناسُ: المصدر السابق، مادة(زيم) ج6، ص129.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً بِذِي الْمَجَازِ⁽¹⁾ ثُرَاعِيٍّ مَنزِلًا زَيْمًا⁽²⁾
وَرِضِيٍّ، وَمَاءٌ رَوِيٌّ⁽³⁾ وَكُلُّهَا صِفَاتٌ⁽⁴⁾.

غير أن ابن عصفور الإشبيلي (ت669هـ) كان له في كَلِمَتِي (سَوِيٌّ) و(قِيمٌ) رأي آخر، ففي (سَوِيٌّ)، قال: إِنَّهَا اسْمٌ فِي الْأَصْلِ لِلشَّيْءِ الْمُسْتَوِيِّ ثُمَّ وَصِفَ بِهَذَا الْأَسْمِ، وَلَوْ كَانَتْ صِفَةً أَصْلِيَّةً لَتَمَكَّنَتْ فِي الْوَصْفِيَّةِ فَتَذَكَّرُ مَعَ الْمَذْكَرِ وَتُوَثِّثُ مَعَ الْمُؤنَّثِ لِأَنَّ الصِّفَةَ تُطَابِقُ الْمَوْصُوفَ.

وَلَا حِجَّةَ لِمَنْ جَعَلَ (قِيمًا) صِفَةً لِأَنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ، وَلَا تُقَلَّبُ الْوَاوُ يَاءً إِذَا كَانَتْ مَتَحَرِّكَةً عَيْنًا فِي مُفْرَدٍ، لِانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا إِلَّا بِشَرْطٍ أَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا أَلْفٌ، وَتَكُونُ فِي مَصْدَرٍ لِفِعْلِ مُعْتَلِّ الْعَيْنِ نَحْوُ: قَامَ قِيَامًا، فَذَلَّ انْقِلَابُ الْوَاوِ يَاءً فِي كَلِمَةِ (قِيمٌ) عَلَى أَنَّهَا مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ وَصِفَ بِهَا كَمَا وَصِفَ بِكَلِمَةِ عَدَلٍ وَهِيَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ⁽⁵⁾

وَنَفِي أَيْضًا أَنْ تَكُونَ كَلِمَةً (طَبِيَّةً)⁽⁶⁾ فِي قَوْلِهِمْ: (سَبِيٌّ طَبِيَّةٌ)، مِنْ الصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ (صِرِيٌّ)⁽⁷⁾ فِي قَوْلِهِمْ: مَاءٌ صِرِيٌّ، لِعَدَمِ مِطَابَقَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ، فَكَلِمَةُ (طَبِيَّةٌ) تَدُلُّ عَلَى التَّأْنِيثِ بَيْنَمَا تَبَعَتْ الْمَذْكَرَ (سَبِيٌّ) وَيُوصَفُ الْمَفْرَدُ وَالْجَمْعُ عَلَى السَّوَاءِ فِي كُلِّ مِنْ (صِرِيٌّ) وَ(رَوِيٌّ)، نَحْوُ: مَاءٌ (صِرِيٌّ) وَ(مِيَاءٌ صِرِيٌّ) وَ(مَاءٌ رَوِيٌّ) وَ(مِيَاءٌ رَوِيٌّ)، وَإِذَا كَانَتْ الصِّفَةُ كَذَلِكَ حُكِمَ لَهَا حُكْمُ الْأَسْمَاءِ⁽⁸⁾.

وَ الرَّاجِحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَصْفُورٍ لِانْتِفَاءِ الْمِطَابَقَةِ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ مِنْ جِهَةِ، وَيَكُونُ بَعْضُهَا يَتَّبِعُ الْمَفْرَدَ وَالْجَمْعَ دُونَ تَفْرِيقٍ فِي مَعْنَاهُ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ مَقْطُوعًا بِمَحِيئَتِهَا لَمَا تَرَكَهَا سَبِيوِيَّةً.

(1) - ذِي الْمَجَازِ: سَوْقٌ كَانَتْ لِلْعَرَبِ عَلَى بَعْدِ فَرَسِخٍ مِنْ عَرَفَةَ بِنَاحِيَةِ كَبْكَبِ، الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ، مَادَّةُ (جَاز) - مَج 2، ص 170-171.

(2) - الشَّاهِدُ مِنَ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ، لِلْسَّاعِرِ النَّابِغَةِ الذِّيَابِي، الدِّيَوَانُ، ص 103.

(3) - رَوِيٌّ، وَمَاءٌ رَوِيٌّ: كَثِيرٌ ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانَ الْعَرَبِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (رَوَى) مَج 4، ص 337.

(4) - سَبِيوِيَّةً، الْكِتَابُ، ج 4، ص 242-244، أَبُو حَيَّانٍ مُحَمَّدٌ يُوْسُفُ الْأَنْدَلِسِيُّ، ارْتِشَافُ الضَّرْبِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، ج 1، ص 28-29، ابْنُ عَصْفُورِ الْإِشْبِيلِيِّ، الْمَتَمُّعُ فِي التَّصْرِيفِ، ج 1، ص 61-63، السِّيَوطِيُّ، الْمَزْهَرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاعِهَا، ج 2، ص 5-6.

(5) - ابْنُ عَصْفُورِ الْإِشْبِيلِيِّ، الْمَتَمُّعُ فِي التَّصْرِيفِ، ج 1، ص 64.

(6) - طَبِيَّةٌ، سَبِيٌّ طَبِيَّةٌ: أَيُّ سَبِيٍّ طَبِيٍّ، يَجَلُّ سَبِيَّهُ، وَوَزْنُ فِعْلَةٍ. ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانَ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (طَبِ) ج 8، ص 235.

(7) - صِرِيٌّ وَالصِّرِيُّ: الْمَاءُ الَّذِي طَالَ اسْتِنْقَاعُهُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (صَرَى) ج 7، ص 339.

(8) - ابْنُ عَصْفُورِ الْإِشْبِيلِيِّ، الْمَتَمُّعُ فِي التَّصْرِيفِ، ج 1، ص 62-65.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

10-فِعْلٌ: اسم نحو: إِبِلٌ، وذكر سيبويه أنّ ما جاء على هذا الوزن قليل ولا يُعَلَّم في الأسماء والصفاتِ غيرَه»⁽¹⁾

بينما ذكر أبو عبد الله الحسين بن خالويه (ت 370هـ) ثمانية أسماء هي: (إِبِلٌ) و(إِطْلٌ). بمعنى الخاصرة وبأسنانه جِبْرُ أي صفرة ولَعْبُ الصبيان، (جِلْع) ⁽²⁾(حِلْب) ⁽³⁾، (وَوْتِد) ⁽⁴⁾، ولا أفعل ذلك أبد الإبد ⁽⁵⁾، و(بِلص) وهو اسم لنوع من الطيور، والاسم الذي لم يقع فيه اختلاف هو (إِبِل)، ومن الصفات التي أوردَهَا ابنُ خالَوَيْه (حِطْب)، نِكْح، وامرأة (بِلز) أي ضخمة وهي صفات لم يَتَّفَقْ عليها أيضاً» ⁽⁶⁾ وزاد ابن جني (ت 392هـ): صفةٌ أخرى في قولهم: (أَتَانُ إِبِد)، وهي (إِبِد).

أما الأسماء، نحو: (سِلْم) و(حِجَل) و(جِلْد)، قال الشاعر وهو عبد مناف بن ربيع المذلي من البسيط

إِذَا تَجَرَّدَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبُ أَلِيمَا بَسَبَتْ ⁽⁷⁾ يَلْعَجُ ⁽⁸⁾ الْجِلْدُ ⁽⁹⁾، ⁽¹⁰⁾

فليست على وَزْنِ (فِعْل) بل هي على وَزْنِ (فِعْل) ومثل ذلك قول الشاعر من المتقارب:

أرْتِنِي حِجْلًا عَلَى سَاقِهَا فَهَشَّ الْفُوَادُ لَذَاكَ الْحِجْلِ ⁽¹¹⁾ ⁽¹²⁾

(1)- سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 244.

(2)- جِلْع: المرأة التاركة للحياء، المتكلمة بالقبيح، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلع)، ج 2، ص 329.

(3)- حِلْب: خداع كذاب، المصدر السابق، مادة (حلب)، ج 4، ص 165.

(4)- وَوْتِد: مَارُزٌ في الحائط أو الأرض من الخشب والجمع أوتاد، المصدر السابق، مادة (وتد)، ج 15، ص 204.

(5)- الإِبِد: آخر الدّهر، المصدر السابق، مادة (أبد) ج 1، ص 40.

(6)- أبو عبد الله الحسين المعروف بابن خالويه النحوي اللغوي، كتاب ليس في كلام العرب، تصحيح وضبط وشرح أحمد الأمين الشنقيطي، المطبعة المحمدية التجارية بمصر، ط 1 (د، ت) ص 14.

(7)- سَبَتْ: الجِلْد المد بوع، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبت)، ج 6، ص 140.

(8)- يَلْعَجُ: يؤلم ويحرق الجلد، المصدر السابق، مادة (لعج)، ج 12، ص 289.

(9)- الشاهد: من البحر البسيط، الشاعر: عبد مناف بن ربيع الهذلي، ديوان الهذليين، الدار القومية-القاهرة-ط 1، سنة 1965م، ص 39.

(10)- شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-القاهرة-ط 1 سنة 1954م، ج 1، ص 18-19.

(11)- الحِجْل، والأصل فيه، سكون العين أما كسرهما في البيت فهو لغرض إقامة الوزن: وهو الخلل الذي تضعه المرأة في رجلها، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (حجل)، مج 3، ص 355.

(12)- الشاهد من المتقارب، يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1996م، المحتوى: شعر، مج 6، قافية (اللام)، ص 10، والبيب بلا نسبة في أسرار العربية، ص 415، والإنصاف، ج 2، ص 733، والذّرر: ج 6، ص 302، وشرح المفصل، ج 9، ص 71، والصاحي في فقه اللغة، ص 118، ولسان العرب، ج 11، مادة (رحل)، ومجالس ثعلب، ص 118، والمنصف، ج 1، ص 18، وجمع الهوامع، ج 2، ص 208.

«وَهَذَا مِمَّا يَقْوَى الْقَوْلَ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى وَزْنِ (فَعِلٍ) بِدَلَالَةِ كَلِمَةِ (حِجَلٍ) الْأُولَى فِي هَذَا الْبَيْتِ حَيْثُ جَاءَتْ عَيْنُهَا سَاكِنَةً مِنْ جِهَةٍ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِي الْكَلِمَاتِ الْمَذْكُورَةِ الْإِتْبَاعُ لِعَرَضِ إِقَامَةِ الْوِزْنِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَكَذَلِكَ لَا يُقْبَلُ الْقَوْلُ بِأَنَّ جَنْزَ⁽¹⁾ وَهِيَ صِفَةٌ مَشْبَهَةٌ عَلَى وَزْنِ (فَعِلٍ) الرَّاجِحِ كَوْنِهَا عَلَى وَزْنِ (فَعِلٍ) فِي الْأَصْلِ مِثْلَ (حَذِرٍ)، وَإِنَّمَا كُسِّرَتِ الْفَاءُ إِتْبَاعًا مِنْ أَجْلِ حَرْفِ الْحَلْقِ وَهُوَ الْهَمْزَةُ، يَنْقَلُ حَرَكَةُ عَيْنِهَا إِلَى فَائِهَا وَحُذِفَ حَرَكَةُ الْفَاءِ الْأَصْلِيَّةِ، وَإِحْلَالُ الْكُسْرَةِ مَحَلَّهَا إِتْبَاعًا لِحَرَكَةِ عَيْنِهَا الْأَصْلِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ، وَحَلَّتِ الْكُسْرَةُ مَحَلَّ فَتْحَةِ الْفَاءِ، لِأَنَّهَا أَقْوَى مِنْهَا⁽²⁾.

وَزَادَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْقَطَّاعِ (ت 515هـ) أَسْمَيْنِ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ تَفَرَّدَ بِذِكْرِهِمَا، وَهُمَا مِشْبُطٌ لَعَةً فِي (الْمَشْطِ)، وَإِثْرٌ لَعَةً فِي (الِإِثْرِ)، وَمِنْ الصِّفَاتِ نَحْوُ: (فَرَسٍ إِجْدٍ) لَعَةً فِي أُجْدٍ أَي قَوِيَّةً، وَيُقَالُ فِي زَجْرِ الْبَعِيرِ (بِدِخٍ) وَ(جِحِطٍ): زَجْرُ الْغَنَمِ⁽³⁾ وَأَضَافَ الرَّضِيّ الْإِسْتِرَابَادِيّ اسْمَيْنِ هُمَا: (الْإِبْطُ)⁽⁴⁾ وَ(الْإِقْطُ)⁽⁵⁾ وَهَذَا أَصْلُهُ: الْأَقْطُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ⁽⁷⁾

تلك هي الأبنية العشرة للأسماء الثلاثية المجردة والتي اتفق على ذكرها وتقريرها جمهور علماء العربية القدماء منهم والمحدثون.

ونفضل هنا الاكتفاء بإيراد أبنية الثلاثي المجرد فحسب «وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنْ كَانَتْ أَبْنِيَّةُ الثَّلَاثِي أَكْثَرَ مِنْ أَبْنِيَّةِ الرَّبَاعِي، وَأَنَّ الثَّلَاثِي أَحْفُ لِكُونِهِ أَقَلَّ أَصُولَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَمَكِّنَةِ، وَلِكثَرَةِ اسْتِعْمَالِهِ وَتَدَاوُلِهِ، فَتَصَرَّفُوا فِيهِ لِحَفَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَصَرَّفِهِمْ فِي الرَّبَاعِي، وَلِذَلِكَ أَيْضًا كَانَتْ أَبْنِيَّةُ الرَّبَاعِي أَكْثَرَ مِنْ أَبْنِيَّةِ الْخَمَاسِي، لِأَنَّ الرَّبَاعِيَّ أَقَلَّ حُرُوفًا مِنَ الْخَمَاسِي، فَكَانَ أَحْفَ مِنْهُ، فَتَصَرَّفُوا فِيهِ، لِذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ تَصَرَّفِهِمْ فِي الْخَمَاسِي»⁽⁸⁾.

(1) -جَنْزٌ، وَجَنْزٌ بِالْمَاءِ بِجَاؤُ حَاؤًا إِذَا غَصَّ بِهِ، فَهُوَ جَنْزٌ، عَلَى مَا يُطْرَدُ عَلَيْهِ هَذَا النَّحْوُ فِي لُغَةِ قَوْمِ، ابْنِ مَنْظُورٍ، لِسَانَ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (جَاؤَ)، ج 2، ص 157.

(2) -ناصر حسين علي، الصيغ الثلاثية، مجردة ومزيدة، اشتقاقا ودلالة، المطبعة التعاونية -دمشق-، ط 1، 1989، ص 96.

(3) -أبو القاسم علي بن جعفر بن القطاع، أبنية الأسماء والأفعال والمصدر، تحقيق؛ ودراسة أحمد محمد عبد الدايم، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1999م، ج 2، ص 63-65.

(4) -الإبط، والإبط بسكون العين هو الأصل: باطن المنكب، ابن منظور، لسان العرب، مادة (أ.ب.ط)، ج 1، ص 46.

(5) -و الإقط، والأصل فيه الإقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض يُطبخ ثم يترك حتى يمتلئ، المصدر السابق، مادة (أقط)، ج 1، ص 168.

(6) -رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 1، ص 46.

(7) -ناصر حسين علي، الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة، اشتقاقا ودلالة، ص 96.

(8) -ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، ج 1، ص 69-70.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

ونفضل هنا أيضا أن نعرض على أبنية الرباعي والخماسي لتكون الفائدة أعم، والنظرة أشمل من جهة أولى، ولنضمن شيئا من الإلمام بجوانب الموضوع من جهة ثانية.

فالرباعي المجرد من هذه الأسماء الأصول له ستة أبنية منها على سبيل المثال لا الحصر:

1-فَعَّلٌ: ويكون في الاسم الجامد، والصفة المشبهة.

والاسم الجامد نحو: "جَعَفَرٌ" و"عَنْبَرٌ" والصفة المشبهة نحو: "شَجَعَمٌ"⁽¹⁾ و"سَلْهَبٌ"⁽²⁾

2-وَفَعَّلٌ: ويكون في الاسم الجامد، والصفة المشبهة.

فالاسم الجامد نحو: "زَبْرَجٌ"⁽³⁾ و"زُبَيْرٌ"⁽⁴⁾ والصفة المشبهة نحو: "زَهْلِقٌ"⁽⁵⁾ و"عَنْقَصٌ"⁽⁶⁾،(7).

وَأما مِثَالُ الاسم الخماسي المجرد فله أربعة أبنية متفق عليها ونكتفي بنائين فقط هما:

1-فَعَّلٌ: ويكون في الاسم الجامد، والصفة المشبهة والاسم الجامد نحو: "سَفَرَجَلٌ" و"فَرَزْدَقٌ"

والصفة المشبهة نحو "شَمَرْدَلٌ"⁽⁸⁾ و"هَمْرَجَلٌ"⁽⁹⁾

2-وَفَعَّلٌ: ويكون في الاسم الجامد نحو: "حَزْعَبِلَةٌ"⁽¹⁰⁾ والصفة المشبهة نحو: "قُدْ عَمِلَةٌ"⁽¹¹⁾،(12)

وتشمل ظاهرة التداخل هذه بين الصيغة المذكورة آنفا وغيرها أبنية الاسم المزيد من الثلاثي بحَرْفٍ وَحَرْفَيْنِ وثلاثة أحرف وأربعة، كما تشمل المزيد من الرباعي بحَرْفٍ وَحَرْفَيْنِ وثلاثة أحرف، وكذلك الاسم المزيد من الخماسي وفي هذا الفضاء الشري الواسع الممتد الزاخر كلام يطول ويطول

(1)-شَجَعَمٌ، الشَّجَعَمُ: الطويل من الأسد وغيرها مع عظم، ابن منظور، لسان العرب، مادة (شجعم)، ج 7، ص 38.

(2)-سَلْهَبٌ، السَّلْهَبُ، الطويل عامة، وقيل: هو الطويل من الرجال، المصدر السابق، مادة (سَلْهَبُ)، ج 6، ص 351.

(3)-زَبْرَجٌ، بالكسر: الزينة من وَشِي أو حَوْهر، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة زبرج، مج 1، ص 191.

(4)-زُبَيْرٌ، الزُّبَيْرُ كضئيل وقد نُضِمُ الباء وهو لحن، ما يظهر من دَرَزِ الثوب، المصدر السابق، مادة (زُبَيْرُ)، مج 2، ص 36، 37.

(5)-زَهْلِقٌ، كزبرج: السريع الخفيف، المصدر السابق، مادة (زهلق)، مج 3، ص 243.

(6)-عَنْقَصٌ، العَنْقَصُ: المرأة القليلة الجسم أو البذية القليلة الحياء من النساء: ابن منظور، لسان العرب، مادة عنقص، ج 9، ص 430.

(7)-ابن عصفور الإشبيلي، المتع في التصريف، ج 1، ص 66.

(8)-شَمَرْدَلٌ، الشَّمَرْدَلُ بالدال غير معجمه، من الإبل وغيرها: القويُّ السريعُ الفَيُّ الحَسَنُ الخَلْقُ، ابن منظور، لسان العرب،

مادة(شمردل)، ج 7، ص 192.

(9)-هَمْرَجَلٌ، الهَمْرَجَلُ: الجواد السريع، وعمّ به السيرافي كل خفيف سريع. المصدر السابق، مادة (هَمْرَجَلُ)، ج 15، ص 131.

(10)-حَزْعَبِلَةٌ، والحَزْعَبِلَةُ: الأضحوة، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(الحزعبلة)، مج 3، ص 367.

(11)-قُدْ عَمِلَةٌ، القُدْعَمِلَةُ بضم القاف وفتح الذال: المرأة القصيرة الخسيسة، والضخم من الإبل، المصدر السابق، مادة(القُدْعَمِلَةُ)

مج 4، ص 36.

(12)-ابن عصفور الإشبيلي، المتع في التصريف، ج 1، ص 66-70.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

ليس هنا مقام التصدي له والتوسّع فيه بالملاحظة العلمية والاستقراء والاستقصاء والوصف والتحليل واستنباط القوانين والنتائج.

والجدير بالتنبيه أن التداخل كذلك بين صيغة الصفة المشبهة وغيرها من الصيغ كاسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم التفضيل واسم الآلة والنسب لا يحصل على المستوى التصريفي فحسب ولا يقتصر عليه بل يقع أيضا حتى على مستوى النظام النحوي الإعرابي، فمثلا إضافة اسم الفاعل إلى فاعله تُخرجه -حَتَمًا- من باب من باب من غير تغيير في صيغته التي هو عليها عند إضافته إلى فاعله وتُدخله في باب: «الصفة المشبهة» فتسري عليه كل أحكامها المعروضة في بابها ومن أمثلة ذلك «قول زهير بن أبي سلمى:

أهوى⁽¹⁾ لها أسفع⁽²⁾ الخدين مطرق⁽³⁾ ريش القوادم⁽⁴⁾ لم تُنصب له الشبك⁽⁵⁾⁽⁶⁾

والشاهد فيه: "مطرق" الذي هو صفة مشبهة باسم الفاعل⁽⁷⁾ رغم أنه في شكله الظاهر اسم فاعل. وقال حميد الأرقط:

لاحق⁽⁸⁾ بطن بقراً⁽⁹⁾ سمين⁽¹⁰⁾، (11).

وأعلم أن قوله: «لاحق بطن» وإن كان أصله اسم فاعل كضارب، فقدّر بلاحق بطنه كما قدّر حسن وجه بحسن وجهه فالبطن فاعل في المعنى كما أن الوجه فاعل في المعنى، واسم الفاعل لا يضاف إلى الفاعل، لا تقول: هذا ضارب زيد وزيد فاعل، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، وليس كذلك

(1)-أهوى، هوى، وأهوى، وأنهوى: سَقَطَ وانقَضَ على صيد أو غيره، ابن منظور، لسان العرب، مادة(هوا)، ج15، ص167.

(2)-أسفع، والأسفع: الصقر والثور الوحشي، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(سفع)، مج3، ص38.

(3)-مطرق، أطرق جناح الطائر: لبس الريش الأعلى الريش الأسفل، ووضِع بعض على بعض فتراكب، ابن منظور، لسان العرب، مادة(طرق)، ج8، ص154.

(4)-القوادم، جمع قادمة وقوادم: ريش الطائر الأعلى، المصدر السابق، مادة(قدم)، ج11، ص67.

(5)-الشبك، جمع شبكة: وهي شركة الصيد يصيد بها في البرّ والماء، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(شيك)، مج3، ص308.

(6)-الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط3، سنة2003م، ص80.

(7)-سبيويه، الكتاب، ج1، ص195، والشاهد فيه نصب(ريش)بمطرق، وهي الصفة المشبهة باسم الفاعل.

(8)-لاحق، اللاحق، المراد به هنا الضامر، ابن منظور، لسان العرب، مادة(لحق)، ج12، ص252.

(9)-بقرأ، القرأ: الظاهر، المصدر السابق، مادة(قرأ)، ج11، ص146.

(10)-سمين، والسمين: نفيض الهزال، والسمين بخلاف المهزول، المصدر السابق، مادة(سمن)، ج6، ص374.

(11)-الشاهد: من البحر السريع، للشاعر حميد الأرقط، ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، مج2، ص85.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

الصفة، لأنها نُقِلت والنقل الذي لا يكون في اسم الفاعل»⁽¹⁾ ومن الشواهد القديمة أيضا التي أُجْرِي فيها بناء اسم الفاعل مُجْرَى الصفة المشبهة ما أورده سيبويه في "الكتاب" قال: وقال عدي بن زيد:

مَنْ حَبِيبٍ أَوْ أَحْيَى ثِقَةً أَوْ عَدُوًّا شَاحِطٍ⁽²⁾ دَارًا⁽³⁾⁽⁴⁾

و الشاهد في هذا البيت هو: شاحط الذي جاء على صيغة "فاعل" الذي أُجْرِي هنا مَجْرَى الصفة المشبهة،⁽⁵⁾ وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ الوزن وحده - كما مر معنا - غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام فلا بُدَّ معه من القرينة التي تُعَيِّنُ أَحَدَهُمَا وتُزِيلُ عنه اللبسَ والاحتمال كي يُمكن القطع بعد ذلك بأنّه في دلالاته المعنوية - لا الشكلية اسم فاعل أوصفة مشبهة.

ومنها أن تكون صيغة اسم الفاعل وَعَظِيمًا من الصيغ الأخرى اللفظية صريحة الدلالة على الدوام أو شبهه مثل كلمات دائم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾⁽⁶⁾ وَحَالِدٌ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾⁽⁷⁾ وكلمة باقٍ في قوله سبحانه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁽⁸⁾ وغيرها من نحو هذه الألفاظ الدالة في أصل وضعها على أوصاف الاستمرار والدوام والتواصل والتواتر.

ومنها القرينة المعنوية - وقد مر العرض لها - في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽⁹⁾ وقوله عز وجل ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾⁽¹⁰⁾ ، وقوله جل شأنه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(1) -المبرد، المقتضب، ج 4، ص 160.

(2) -شاحطٍ دارا: البعيد دارا، ابن منظور، لسان العرب، مادة(شحط)، ج 7، ص 45.

(3) -الشاهد: من البحر المديد، للشاعر عدي بن زيد العبادي، الديوان حققه وجمعه محمد جبار المعبد، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، (دط) سنة 1965، ص 101.

(4) -سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 198.

(5) -سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 63.

(6) -سورة الرعد، الآية 35.

(7) -سورة هود، الآية 108.

(8) -سورة النحل، الآية 96.

(9) -سورة الفاتحة، الآية 4.

(10) -سورة الناس، الآية 2.

فهذه الأوصاف المتعلقة بالله تعالى من المُلْكِ والخَلْقِ والتدبير والجزاء الدائم ليست طارئة ولا عارضة، ولا مؤقتة بزمنٍ محدد تنقضي بانقضائه، لأنَّ هذا المعنى لا يناسب المولى جل شأنه ومن ثمَّ كانت تلك الأبنية والصيغ في معناها ودلالاتها: «صفات مشبهة» أيضاً وليست "اسم فاعل" لأنَّ القول الفصل في نحو هذه المقامات والسياقات للمقام والسياق والحال الذي وردت فيه هذه الأبنية والصيغ بغضِّ النظر عن الأصل الذي يحكمها والقاعدة التي تخضع لها والقياس الذي يحوطها⁽²⁾.

وينطلق الأمر السابق نفسه على اسم الفاعل الذي يُصاغُ من مصدر الماضي غير الثلاثي بالإثنيان بمضارعه، وقلب أول هذا المضارع ميماً مضمونة، مع كسر الحرف الذي قبل آخره، إن لم يكن مكسوراً من الأصل، فإذا أردنا الوصول إلى اسم الفاعل من الفعل: "قام" أتينا بمضارعه، وهو "يقاوم" وأجرينا عليه ما سبق، فيكون اسم الفاعل هو "مقاوم"، وفي نحو: "يتبين" وهو مضارع للماضي "تبين" - نقول "متبين"... نحو: الفريسة مُقاومة المُفترسِ، والعَلْبُ مُتَبِّينٌ للقويِّ وفي مثل: أذَلَّ وأعزَّ، ومضارعهما يُذِلُّ ويُعزِّزُ... نقول: "مُذِلٌّ" و"مُعزِّزٌ" كقول عائشة - رضي الله عنها - في رثاء أبيها: «نَضَرَ اللهُ وَجْهَكَ يَا أَبَتِ، فَلَقَدْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا، وَلِلْآخِرَةِ مُعزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا.»⁽³⁾ غير أن مجيء الصيغة من مصدر الفعل غير الثلاثي بالطريقة السالفة لا يكفي - من غير قرينة - للقطع بأنها صيغة "اسم فاعل" فقد يوهمنا مظهرها أنها كذلك، مع أنها في حقيقتها «صفة مشبهة» بسبب دلالتها على معنى ثابت، وهي تأتي في أشكال وصور مختلفة⁽⁴⁾ وقد جاء في حاشية الصَّبَّان (ت 1206هـ) على شرح الأشموني (ت 900هـ) على ألفية بن مالك: «وأن نحو: ضامر الكشَّحِ، ومُطْمِئِنِ القلبِ، ومعتدل القامة أسماء فاعلين قُصِدَ بها الثبوت فعوملت معاملة الصفة المشبهة لا أنها صفات مشبهة»⁽⁵⁾.

وإلى هذا الغرض يرمي عباس حسن بأمثلته التي أوردتها في نحوه الوافي مشيراً إلى نمط الصيغة

(1) - سورة الزمر، الآية 62.

(2) - عباس حسن، النحو الوافي، ص ص 242-243.

(3) - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت 307هـ) المُعْجَمُ، تَحْقِيقُ: إرشاد الحق الأثري، نشر إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد، ط 1، سنة 1986م، ج 1، ص 95.

(4) - عباس حسن، النحو الوافي، ج 3، ص ص 245-264.

(5) - الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك حاشية الصَّبَّان، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي وشركاه (د، ط،

د، ت)، ج 3، ص 4.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

المضافة إلى فاعلها في نحو: «التجم مستدير الشكل، متوقد الجرم، مستضيء الوجه، والكوكب مستدير الشكل، منطفيء الجسم، مظلم السطح».

والأصل: مستدير شكله، متوقد جرمه، مستضيء وجهه، منطفيء جسمه، مظلم سطحه.

وأفعالها هي: (استدار، توقد، استضاء، انطفأ، أظلم...و..) فقد قامت في الأمثلة السابقة قرينة لفظية، (هي إضافة الصيغة إلى فاعلها على الوجه المشروح) وقرينة معنوية (هي اليقين العلمي الشائع بدوام تلك الأوصاف).

وتدل كل من القرينة اللفظية والمعنوية وحدها على أن الصيغة ليست اسم فاعل، بالرغم من صورتها الظاهرة، وإذا لأبد من قرين تقوم بجانب الصفة هنا- كما قامت في صيغة "فاعل" المشتق من مصدر الثلاثي- لنبعد الوهم، ونحدد النوع، أهو اسم فاعل نصاً، أم هو صفة مشبهة قطعاً⁽¹⁾

وتسري القاعدة السابقة نفسها أيضاً على صيغ المبالغة التي تدل على الحدوث وعدم الدوام مثل اسم الفاعل في صيغته الأصلية الصريحة، لكن قد يزداد أيضاً من صيغ المبالغة النص على الثبوت والدوام مع قيام قرينة تدل على هذا، فتصير صفة مشبهة، وتسمى باسم هذه الأخيرة على الرغم من بقائها على صورتها الأصلية وأوزانها المعروفة: (فَعَال، فَعُول، مِفْعَال، فَعِيل، فَعِل، مِفْعِيل، فَعِيل، فَعَال... الخ، ويجري عليها أحكام الصفة المشبهة مثل قول الشاعر القلاخ:

أخا الحرب لبأساً إليها جلالها وليس بولاج الخوالم أعقلاً⁽²⁾.

والشاهد في هذا البيت هي جملة «بولاج الخوالم» والصيغة تحديداً هي "ولاج" وهي في شكلها وظاهرها صيغة مبالغة على وزن "فَعَال" لكنها لما وردت هنا مضافة إلى فاعلها أي مرفوعها صارت صفة مشبهة تدل على ثبوت والدوام لقيام القرينة اللفظية التي تدل على ذلك وهي كلمة "الخوالم" المضاف إليه⁽³⁾

⁽¹⁾-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص245.

⁽²⁾-أخو الحرب: الملازم لها المستعد، والجلال، جمع جُل بالضم: وأصله ما يلبسه الفرس، فجعله لما يلبس المحارب من سلاح كالدرع ونحوها، والولاج: الكثير الدخول في البيوت يتردد فيها، لضعف همنه وعجزه، والخوالم، جمع خالفة: وهي عمود مؤخر البيت، والأعقل: الذي تصطك ركبته في المشي ضِعفاً أو خلقة، الشاهد: من البحر الطويل، يُنظر: سيبويه، الكتاب ج1، ص111، عبد القادر بن عمر البغدادي، خربانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، سنة 2000م، ج8، ص157.

⁽³⁾-سيبويه، الكتاب، ج1، ص111.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

و نَحْوُ هَذَا صَيِّغٌ تَرِدُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: (مَنَاعٌ: حَيَّرَ)، (شَرَّيبٌ حَمَرَ)، (مِفْتَاحٌ حَيَّرَ)، (مِعْلَاقٌ شَرَّ) وَهَكَذَا، فَصَيِّغٌ: (مَنَاعٌ)، وَ(شَرَّيبٌ)، وَ(مِفْتَاحٌ وَمِعْلَاقٌ شَرَّ) فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ جَمِيعًا صِفَاتٌ مَشْبَهَةٌ لِقِيَامِ قَرِينَةٍ لَفْظِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ فِي الْمَضَافِ إِلَيْهِ الَّذِي وَرَدَ بَعْدَهَا جَمِيعًا.

ويكاد يشمل هذا الأصل أو القاعدة اسم المفعول-هو الآخر-حين يُضَافُ-لكنه بَقَلَّةٍ-إلى مرفوعه نحو: العُرْفَةُ مَفْتُوحَةٌ النَّوَافِدِ، وَالبَائِسُ المَقْفِرُ مَنَهَارُ المَعْنَوِيَّاتِ، وَالعَصْفُورُ مَكْسُورُ الجَنَاحِ، وَالاجْتِهَادُ مَحْمُودُ العَوَاقِبِ وَمِنْ نَحْوِ هَذَا مَا وَرَدَ عَنْ سَيَبَوِيهِ فِي "الكتاب" فِي بَابِ الصِّفَةِ المَشْبَهَةِ وَالَّذِي نَعْتَبِرُهُ صِفَةً مَشْبَهَةً جَاءَ عَلَى بِنَاءِ مَفْعُولٍ لِأَنَّ المَقَامَ وَالسِّيَاقَ كِلَيْهِمَا يَدُلَّانِ عَلَى ذَلِكَ قَالَ عمرو بن شَأْسٍ مِنَ الطَّوِيلِ:

أَلْكِنِي⁽¹⁾ إِلَى قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً بَأْيَةٍ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَلَا عُزْلًا⁽²⁾
وَلَا سَـيِّئِي زِيٍّ إِذَا مَا تَلَبَّسُوا إِلَى حَاجَةٍ يَوْمًا مُخَيَّسَةً⁽³⁾ بُزْلًا⁽⁴⁾(5)(6)

حيث استعمل الشاعر في البيت الثاني كلمة "مُخَيَّسَةً" وهي اسم مفعول في بنائها، ومعناها: الإبلُ المذلَّةُ بالركوب التي تدل على أن هذا المعنى صار ثابتا لها ملتصقا بها على الدوام، لم يفارقتها بسبب اكتسابها له عن طريق الممارسة الطويلة.

وَ مِنْ هَذَا القَبِيلِ مِمَّا أوردَهُ سَيَبَوِيهِ أَيْضًا فِي "الكتاب"، قول الشاعر أبي زُبَيْدٍ مِنَ البَسيطِ:

هَيْفَاءَ⁽⁷⁾ مَقْبَلَةً عَجَزَاءَ⁽⁸⁾ مُدْبِرَةً مَحْطُوطَةً⁽⁹⁾ جُدِلَتْ⁽¹⁰⁾، شَنْبَاءُ⁽¹¹⁾ أُنْيَابًا⁽¹²⁾

(1)-ألكني: بَلَغَ سَلَامِي وَكُن رَسُولِي إِلَيْهَا، ابن منظور، لسان العرب، مادة ألك، ج1، ص184.
(2)-عُزْلًا، العُزْلُ والأَعْرَلُ: الَّذِي لَا سِلَاحَ مَعَهُ، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةُ (عَزَلَ)، ج9، ص190.
(3)-مُخَيَّسَةٌ، وَالإِبِلُ المَخَيَّسَةُ: الإِبِلُ الَّتِي لَمْ تُسَرِّحْ، وَلَكِنهَا حُبِسَتْ لِلنَّحْرِ، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةُ (خَيَّسَ)، ج4، ص260.
(4)-بُزْلًا، وَالبُزْلُ وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الجَمْعِ، وَالبَازِلُ: المُسِنَّ، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةُ (بَزَلَ)، ج1، ص400.
(5)-الشاهد، مِنَ البَحْرِ الطَّوِيلِ، لِلشَّاعِرِ عَمْرُو بْنِ شَأْسٍ، الدِّيَوَانُ، تَحْقِيقُ: يَحْيَى الجُبُورِي، دَارُ القَلَمِ، الكُوَيْتِ، ط2، سَنَةِ 1983م،

ص 72

(6)-سَيَبَوِيهِ، الكِتَابُ، ج1، ص197.

(7)-هَيْفَاءُ: الضَّامِرَةُ البَطْرُ أَوْ الخَصْرُ، ابن منظور، لسان العرب، مادة (هيف)، ج15، ص181.

(8)-عَجَزَاءُ، العَجِيزَةُ: العَظِيمَةُ العَجِيزَةُ، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةُ (عَجَزَ)، ج9، ص59.

(9)-مَحْطُوطَةٌ، وَالمَحْطُوطَةُ: المَسَاءُ الظَّهْرِ، الفَيْرُوزُ أَبَادِي، القَامُوسُ المَحِيطُ، مَادَةُ (حَطَطَ)، مَج2، ص354.

(10)-جُدِلَتْ: لَطِيفَةُ القَصَبِ، مَحْكَمَةُ القَتْلِ، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةُ (جَدَلَ)، مَج3، ص346.

(11)-شَنْبَاءُ، مِنَ الشَّنْبِ: وَهُوَ مَاءٌ وَرَدٌّ وَعَذُوبَةٌ فِي الأَسْنَانِ: مَصْدَرُ سَابِقٍ، مَادَةُ (شَنَبَ)، مَج1، ص89.

(12)-سَيَبَوِيهِ، الكِتَابُ، ج1، ص198.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

كما هو جليٌّ فإن الشاعر في البيت ينعتُ هذه المرأة بصفات الحُسن عندهم من ضُمور البطن وِكَبِرِ العجيزة، إلى حُسْنِ الخِلْقَةِ، وطيب الثَّغر وكلها كما هو ظاهر صفات ثابتة ملازمة لهذه الحسنة بما فيه لفظة "مخطوطة" التي جاءت على وزن "مفعول" والتي هي في ظاهرها اسم مفعول ولكنها في حقيقته أمرها ودلالاتها صفة مُشَبَّهة لأن سياق البيت كله ومقام وصف الشاعر لهذه المرأة الحسنة الجميلة بهذه الصِّفات الخَلْقِيَّة الثابتة لها، المفطورة عليها ترجح هذه الدلالة أكثر من غيرها.

وقد أجاز هذا ابنُ مالك (ت 672هـ) في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل حيث يقول: «وقد تقدّم أن اسم المفعول يُجوزُ إضافته إلى مرفوعه، فتقول: زَيْدٌ مَضْرُوبُ الأَبِ، وهو حينئذٍ جَارٍ مَجْرَى الصِّفَةِ المشبَّهة»⁽¹⁾ ومنه قول المتنبي من الطويل:

خُلِقْتُ أَلُوفاً، لَوْ رَجَعْتُ الصِّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ القَلْبِ، بَأَكْيَا⁽²⁾

والأصل: (مفتوحة نوافذها)، (منهارة معنوياته)، (مكسور جناحه)، (موجع قلب)، (محمود عواقبه)، يظل مع إضافته لمرفوعة دالاً على الحدوث، كما كان قبل الإضافة إليه، إلا إن قام قرينة تدل على أن المراد منه الثبوت والملازمة الدائمة فيصير صفة مشبهة، لأن الأصل في اسم المفعول أن يدل على معنى حادث متجدد، غير دائم الملازمة لصاحبه، فهو عند انعدام القرينة-يدل على مجرد الحدوث الذي لا يشمل الماضي ولا المستقبل ولا يفيد الاستمرار فإن قصد به النص على الثبوت والدوام-وقامت قرينة تدل على هذا- صار صفة مشبهة، فيسمى باسمها، ويخضع لأحكامها النحوية والإعرابية، على الرغم من بقائه على صورته الأصلية، إذ لا يصح تغيير صورته بسبب انتقال معناه من الحدوث إلى الدوام والاستمرار، والكثير الغالب في اسم المفعول عدم إضافته إلى مرفوعه إلا إذا أريد تحويله إلى الصفة المشبهة ليدل مثلها على معنى ثابت دائم، لا حادث أي عارض، وبشرط وجود القرينة التي تدل على ثبوته ودوامه نحو: جاء (مبسوط اليد)، (مفتوح الثغر)، (مورد الخدين)، (مصون الحواشي)، فهذه الصيغ: (مبسوط)، (ومفتوح الثغر)، (مورد)، (ومصون) هي هنا عبارة عن صفات خلقية وخلقية اتصف بها هذا الشخص على وجه الثبوت والملازمة والدوام، لذلك فهي في ظاهرها وصيغتها اسم مفعول لكنها في حقيقة أمرها ودلالاتها صفات مشبهة ثابتة ولازمة لمن اتصف

⁽¹⁾-بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي المصري، ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980م، ج3، ص 140.

⁽²⁾-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر أبي الطيب المتنبي، الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح: كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 2008م، مج4، ص 289.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

بها ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً⁽¹⁾.

وَ إِذَا صَارَتْ صِفَةً مَشْبَهَةً جَازَ فِي السِّيِّبِ الْوَاقِعَ بَعْدَهُ الرَّفْعَ، عَلَى اعْتِبَارِهِ "فَاعِلًا" وَلَا يَصِحُّ اعْتِبَارُهُ "نَائِبَ فَاعِلٍ" لِلصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ لِأَنَّ الصِّفَةَ الْمَشْبَهَةَ لَا تَرْفَعُ نَائِبَ فَاعِلٍ مُطْلَقًا، وَالَّتِي جَاءَتْ عَلَى اسْمِ الْمَفْعُولِ.

وَيَجُوزُ فِي السِّيِّبِ النَّصْبُ عَلَى اعْتِبَارِهِ «تَشْبِهُهَا بِالْمَفْعُولِ بِهِ» إِنْ كَانَ مَعْرِفَةً وَ"تَمْيِيزًا" أَوْ "شَبِيهًا" بِالْمَفْعُولِ بِهِ" إِنْ كَانَ نَكْرَةً، وَيَجُوزُ فِيهِ الِجْرَاءُ عَلَى اعْتِبَارِهِ "مُضَافًا إِلَيْهِ" فِيهِ نَحْوُ: أَنْتَ مَرْمُوقُ الْمَكَانَةِ دَائِمًا، مَسْمُوعُ الْكَلِمَةِ، مُحَصَّنٌ خُلُقًا، مُكَمَّلٌ عِلْمًا، يَجُوزُ فِي الْكَلِمَاتِ: (الْمَكَانَةِ، الْكَلِمَةِ، خُلُقًا، عِلْمًا) الرَّفْعُ عَلَى اعْتِبَارِهِ فَاعِلًا لِلصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ، وَيَجُوزُ فِيهَا الْجَرُّ لِاعْتِبَارِهَا مُضَافًا إِلَيْهِ، وَيَجُوزُ فِيهَا النَّصْبُ إِمَّا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ إِنْ كَانَ مَعْرِفَةً، وَإِمَّا عَلَى التَّمْيِيزِ أَوْ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ إِنْ كَانَ نَكْرَةً، وَلَا مَنَاصَ مِنْ قِيَامِ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الصِّيغَةِ هُوَ الصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ وَلَيْسَ اسْمُ الْمَفْعُولِ⁽²⁾

أَمَّا إِذَا أُضِيفَ اسْمُ الْمَفْعُولِ لِمَرْفُوعِهِ بِغَيْرِ تَحْوِيلِهِ إِلَى الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ وَبِغَيْرِ الْقَرِينَةِ الدَّالَّةِ عَلَى إِفَادَةِ الدَّوَامِ-وهذه الإضافة قليلة جائزة - كما جاء في هَمِيعِ الْهَوَامِعِ: «لَمْ يَذْكَرْ هَذَا الْحُكْمَ غَيْرُ ابْنِ مَالِكٍ وَاعْتَنَى بِذِكْرِهِ فِي سَائِرِ كُتُبِهِ، وَقِيَدَ فِي الْأَلْفِيَةِ بِالْقَلَّةِ، ثُمَّ إِنَّمَا يَجُوزُ بِشَرْطَيْنِ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْمَفْعُولِ مِنْ مَتَعَدٍّ إِلَى وَاحِدٍ فَلَا يَجُوزُ مِنْ لَازِمٍ، وَلَا مِنْ مَتَعَدٍّ إِلَى أَكْثَرٍ، وَأَنْ يَقْصِدَ ثُبُوتَ الْوَصْفِ، وَتَنَاسَى فِيهِ الْحُدُوثُ»⁽³⁾ فَإِنْ لَمْ تَتَوَفَّرْ فِيهِ هَذِهِ الشَّرُوطُ فَإِنَّهُ يَظَلُّ مُحْتَفِظًا بِاسْمِهِ وَبِكُلِّ الْأَحْكَامِ الْخَاصَّةِ بِهِ الْمَبْتَوَثَةِ فِي مَصْنَفَاتِ النُّحُوِّ⁽⁴⁾

وعلى ذكر مصنفات النحو-هنا-نحبُّ أن نلفتَ الانتباه-عند تناوُلنا لمسائل تقاطع اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة مع صيغ الصفة المشبهة التي كان فيها للقضايا والموضوعات النحوية والأحكام الإعرابية القسط الأكبر اللافت للانتباه، فمن هنا يتأكد لنا العلاقة الوطيدة، والتفاعل المتبادل الدائم، والتكامل الراسخ العميق بين موضوعات علم التصريف وقضايا النحو بحيث لا يمكن-بأي حال-استيعاب مسائل وموضوعات النحو بمعزل عن الإلمام والتَّعَرُّفِ الْوَاعِي عَلَى

(1)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص266، 276، 277.

(2)-بتصرف: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص266، 276، 277.

(3)-جلال آين السبوطي بن عبد الرحمان، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق، وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية-الكويت، طَب1، 1979م، ج5، ص90.

(4)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص277.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

قضايا وموضوعات علم الصرف وحيثياته وتفصيله في الوقت ذاته، والعكس صحيح فلا يمكن فهم كثير من القضايا والموضوعات الصرفية فهما صحيحا عميقا مع الجهل التام أو شبه التام لأبواب النحوية ومسائله على اختلاف أصولها وفروعها.

و لتوكيد صورة تقاطع صيغ الصفة المشبهة بغيرها من الأوزان والأبنية على كثرة عددها وتنوعها وتفرعها والتباسها-أحيانا- في ذهن القارئ يجدر بنا أن نورد هذا النموذج عن دلالة وزن (فَعِيل)، ومحيته مرة في صورة (مَصْدَرٍ)، وأخرى صيغة (مبالغة)، وثالثة على صيغة (مفعول) ورابعة على صيغة (الصفة المشبهة) وغيرها:

1- (فَعِيل) مصدر نحو: رَحِيلُ الأَحَبَّةِ يثير في النَّفْسِ اللُّوْعَةَ والأَسَى.

2- (فَعِيل) صيغة مبالغة نحو: كَفِيلُ الْيَتِيمِ مُقَامُهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

3- (فَعِيل) صيغة مفعول نحو: القَتِيلُ فِي سَبِيلِ حُرِّيَّةِ الْوَطَنِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

4- (فَعِيل) صفة مشبهة نحو: إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ اسْتَفَادَ مِنْ أخطاءِ نَفْسِهِ⁽¹⁾.

وفي ختام هذا البحث يمكن القول إن تداخل صيغ الصفة المشبهة مع غيرها من أنواع المشتقات سواء أن كان على مستوى الأوزان والأبنية أو على مستوى السياق الاستعمالي الذي كثيرا ما تنبثق عنه دلالات عديدة تحتاج إلى مزيد من البحث الدقيق المتعمق زكثير من التريث والتركيز والتأمل.

فعلى مستوى تداخل الأبنية والأوزان فقد تناولها علماء النحو والصرف والبلاغة قديما وحديثا بكثير من البحث والدرس باعتبارها صيغا وأوزانا قد ينوب بعضها عن بعض في أحيان كثيرة، وقدموا على ذلك أدلة وشواهد من القرآن الكريم والشعر القديم نحو حلول المصدر محل اسم الفاعل، وحلول اسم الفاعل محل الصفة المشبهة، ونيابة اسم المفعول عن اسم الفاعل ولا زال البحث قائم في هذا المضمار إلى يومنا هذا.

وأما على مستوى السياق الاستعمالي الأسلوبي والتركيبى فقد تنبه إليه علماء العربية النحاة والصرفيون والبلاغيون في وقت مبكر وأعانهم ذلك في تمكنهم من الوصول إلى كثير من المعاني التي التبس على بعضهم فهمها وارتكبوا في ادركها وحسم الأمر في مقصودها حتى استعانوا فيها بالمضامين والدلالات السابقة والمعاني اللاحقة المجاروة والمحيطة بالمعنى الذي التبس عليهم.

وقد تفتن كذلك علماء العربية المحدثون اليوم أكثر من ذي قبل إلى أهمية السياق اللغوي

(1)-هادي هُو، الصرف الوائي، دروب للنشر والتوزيع-عمار-الأردن، الطبعة العربية، 2011م، ص153.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وفائدته الجمة في الوصول إلى المقاصد والأغراض الكلامية الخفية المهمة من أجل إفادة المخاطب وإعانتته على الوصول بألسب وطرائق سهلة إلى المعنى المراد من الكلام.

– الصفة المشبهة باسم الفاعل بين القياس والسماع

تَبَيَّنَ لَنَا مِنْ جِلَالِ اسْتِقْرَائِنَا، لِمَصْنَفَاتِ الْقَدَمَاءِ النُّحْوِيَّةِ مِنْهَا وَالصَّرْفِيَّةِ أَنَّ مَوْضُوعَ الْاِسْتِقْتِاقِ عَامَةٌ، وَصَيَغُ الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ لَمْ تَحْظْ إِلَّا بِالنَّزْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الدِّرَاسَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَلْفَاظٌ مَتَنَاثِرَةٌ تَمُرُّ بِكَ هُنَا وَهُنَا، وَقَلَّمَا تُؤَلَّفُ فِيهَا الْمَصْنَفَاتُ، وَتَعْقِدُ لَهَا الْأَبْوَابَ الَّتِي تَتَسَمُّ بِالتَّرَابُطِ، وَالانْسِجَامِ، وَالتَّقْصِي، وَالتَّعَمُّقِ، وَالشُّمُولِ وَالْعِلَاقَاتِ وَالتَّدَاخُلِ الَّتِي تَرْبُطُ فِيهَا بَيْنَهَا.

من هذا التمهيد نريد أن نلج الموضوع إلى ما عدّه سيبويه قياسياً من أبنية الصفة المشبهة باسم الفاعل عندما يقول: «هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وَجَعٌ يَوْجَعُ وَجَعًا وَهُوَ (وَجَعٌ) لتقارب المعاني، وذلك حَبِطٌ يَحْبِطُ حَبِطًا وَهُوَ (حَبِطٌ)، وَحَبِجٌ يَحْبِجُ حَبَجًا وَهُوَ (حَبِجٌ)، وَقَدْ يَجِيئُ الْأِسْمُ فَعِيلًا نَحْوُ: مَرِيضٌ يَمْرُضُ مَرَضًا وَهُوَ (مَرِيضٌ)، وَقَالُوا: سَقِمَ يَسْقُمُ سَقَمًا وَهُوَ (سَقِيمٌ)، وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ: سَقِمٌ، كَمَا قَالُوا: كَرُمٌ كَرَمًا وَهُوَ (كَرِيمٌ)، وَعَسَرَ عَسْرًا وَهُوَ (عَسِيرٌ)، وَقَالُوا: السُّقْمُ كَمَا قَالُوا: الْحُزْنُ، وَقَالُوا: حَزَنَ حَزْنًا وَهُوَ (حَزِينٌ)، جَعَلُوهُ بِمَثَلَةِ الْمَرِيضِ لِأَنَّهُ دَاءٌ، وَقَالُوا: الْحُزْنُ كَمَا قَالُوا: السُّقْمُ».

وقالوا: في مثل وَجَعٌ يَوْجَعُ في بناء الفعل والمصدر وقرب المعنى: وَجَلٌ يَوْجَلُ وَجَلًا وَهُوَ (وَجَلٌ)، ومثله من بنات الياء: رَدِي يَرْدِي وَهُوَ (رَدِي)، وَلَوِي يَلْوِي لَوِي وَهُوَ (لَوِي)، وَوَجِي يَوْجِي وَهُوَ (وَجِي)، وَعَمِي يَعْمي عَمِي وَهُوَ (عَمِي) وَإِنَّمَا جَعَلُوهُ بِلَاءً أَصَابَ قَلْبَهُ⁽¹⁾.

وعلى هذا المنوال وبهذا المنهج يسرد علينا سيبويه هذه الصيغ مرة تحت باب: (فعلان): ومصدره وفعله وهو ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما يكون في الأسماء على فعلان، ويكون المصدر منه الفعل بفتح الفاء والعين، ويكون الفعل على فَعَلٌ يَفْعَلُ، وذلك نحو: ظَمِي يَظْمُ ظَمًا وَهُوَ (ظَمَانٌ)، وَعَطِشَ يَعْطِشُ عَطَشًا وَهُوَ (عَطْشَانٌ)، وَصَدَى وَهُوَ (صَدْيَانٌ) ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِ الصِّيغِ الْمَشْبَهَةِ تَحْتَ عِنْوَانٍ: هَذَا بَابٌ مَا يُبْنَى عَلَى أَفْعَلٍ، لِيَقَرَّرَ فِيهِ مَا يَلِي: «أما الألوان فإنها تُبْنَى عَلَى أَفْعَلٍ وَيَكُونُ فَعْلٌ يَفْعَلُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: أَدِمٌ يَأْدُمُ أَدْمَةً، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: أَدَمٌ يَأْدُمُ

⁽¹⁾ - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص ص 17-21.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

أُدْمَةٌ، وَشَهَبٌ (1) يَشْهَبُ شُهْبَةً، وَقَهَبٌ (2) يَقْهَبُ قُهْبَةً، وَكَهَبٌ (3) يَكْهَبُ كُهْبَةً، وَقَالُوا: كَهَبَ يَكْهَبُ كُهْبَةً، وَشَهَبَ يَشْهَبُ شُهْبَةً» ثم ينتقل بعد ذلك إلى باب آخر فيقول: «هذا باب أيضا في الخصال التي تكون في الأشياء ويورد لذلك أمثلة وشواهد يقول فيها: «أما ما كان حسنا أو قُبْحًا فَإِنَّهُ مِمَّا يُبْنَى فِعْلُهُ عَلَى فِعْلٍ يَفْعَلُ وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ فَعَالًا وَفَعَالَةً وَفُعْلًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: قَبَحَ يَقْبَحُ قَبَاحَةً، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ قُبُوْحَةً، فَبِنَاهُ عَلَى فُعُولَةٍ كَمَا بِنَاهُ عَلَى فَعَالَةٍ، وَوَسَمَ يَوْسُمُ وَسَامَةً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَسَامًا فَلَمْ يُؤْتِ، كَمَا قَالَ: السَّقَامُ وَالسَّقَامَةُ وَمِثْلُ ذَلِكَ جَمَلٌ جَمَالًا» وَتَجِيءُ الْأَسْمَاءُ عَلَى فِعْلٍ، وَذَلِكَ: (قَبِيْحٌ)، وَ(وَسِيْمٌ)، وَ(جَمِيْلٌ)، وَ(شَقِيْحٌ) (4) وَ(ذَمِيْمٌ) (5).

وحيثما انتقلنا إلى الجزء الأول من "الكتاب" ألفتناهُ يَعْقِدُ لهذه الصيغ باباً يتكلم فيه عن عملها، ويسميها-هنا- باسمها الشائع المتداول بيننا اليوم قائلاً: «هذا بابُ الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه ليشعر مباشرة في سرد بعض أحكامها النحوية وأوجهها الإعرابية بشيء من الشرح والتوضيح والتعليل مدعوماً بإحضار الأمثلة والشواهد الشعرية والنثرية المأثورة عن كلام العرب ولغاتهم المختلفة قائلاً: «وَلَمْ تَقَوَّ (أي الصفة المشبهة) أَنْ تَعْمَلَ عَمَلَ الْفَاعِلِ (أي اسم الفعل) فيما عملت فيه، وما تعمل فيه معلوم، إنما تعمل فيما كان من سببها معرّفاً بالألف واللام، أو نكرة لا تُجَاوِزُ هذا، لأنّه ليس بفعل ولا اسم هو في معناه، والإضافة فيه أحسن وأكثر لأنه ليس كما جرى مُجْرَى الْفِعْلِ وَلَا فِي مَعْنَاهُ، فَكَانَ هَذَا أَحْسَنَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَتْبَاعِدَ مِنْهُ فِي اللَّفْظِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْمَعْنَى وَفِي قُوَّتِهِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَالتَّنْوِينِ عَرَبِيٌّ جَيِّدٌ، وَمَعَ هَذَا أَهْمُ لَوْ تَرَكَوا التَّنْوِينَ أَوْ النُّونَ لَمْ يَكُنْ أَبَدًا إِلَّا نَكْرَةً عَلَى حَالِهِ مَنُونًا، فَلَمَّا كَانَ تَرَكَ التَّنْوِينَ فِيهِ وَالنُّونَ، لَا يَجَاوِزُ بِهِ مَعْنَى النُّونِ وَالتَّنْوِينِ، كُنْ تَرَكَهُمَا أَخْفَ عَلَيْهِمْ، فَهَذَا يُقَوِّي أَنْ الْإِضَافَةَ أَحْسَنَ مَعَ التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، فَالْمُضَافُ قَوْلُكَ: هَذَا حَسَنُ الْوَجْهِ، وَهَذِهِ حَسَنَةُ الْوَجْهِ فَالصِّفَةُ تَقَعُ عَلَى الْأَسْمِ الْأَوَّلِ ثُمَّ تُوصِلُهَا إِلَى الْوَجْهِ وَإِلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ سَبَبِهِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ كَمَا تَقُولُ: هَذَا ضَارِبُ الرَّجْلِ، وَهَذِهِ ضَارِبَةُ الرَّجْلِ، إِلَّا أَنَّ الْحُسْنَ فِي الْمَعْنَى لِلْوَجْهِ، وَالضَّرْبُ هَهُنَا لِلأَوَّلِ» (6).

(1)- شَهَبٌ: لَوْنٌ بِيَاضٍ، يَصْدَعُهُ سَوَادٌ، ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَةٌ (شَهَبٌ)، ج 7، ص 220.

(2)- قَهَبٌ، الْأَقْهَبُ: الَّذِي يَخْبِطُ بِيَاضُهُ حُمْرَةً، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةٌ (قَهَبٌ)، ج 11، ص 332.

(3)- كَهَبٌ، الْكُهْبَةُ: غُبْرَةٌ مَشْبُوبَةٌ سَوَادًا فِي أَلْوَانِ الْإِبِلِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةٌ (كَهَبٌ)، ج 12، ص 175.

(4)- شَقِيْحٌ، الْبُسْرَةُ الْمُنْغِيْرَةُ إِلَى الْحَمْرَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَةٌ (شَقِيْحٌ)، ج 7، ص 159.

(5)- سَبِيُوِيهِ، الْكِتَابُ، ج 4، ص 25-28.

(6)- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج 1، ص 194-195.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

ومما جاء منوناً قول زهير بن أبي سلمى وقد تقدم شرح هذا البيت شرحاً كافياً⁽¹⁾

أهوى لها اسفَعُ الخَدَّينِ مُطَّرِقٍ رِيشَ القَوَادِمِ لم تُنصَبْ له الشبِكُ⁽²⁾

وقول العجاج:

مُحْتَبِكُ⁽³⁾ ضَخْمٌ شُؤُونُ⁽⁴⁾ الرَّأْسِ⁽⁵⁾

وقال أيضاً النابغة:

وَنَأخُذُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ⁽⁶⁾ عَيْشٍ أَجَبٌ⁽⁷⁾ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ⁽⁸⁾⁽⁹⁾
وهو في الشعر كثير⁽¹⁰⁾.

«...واعلم أن كينونة الألف واللام في الاسم الآخر أكثر وأحسن من أن لا تكون فيه الألف واللام لأن في الألف واللام وفي غيرهما ههنا على حالة واحدة، وليس كالفاعل، فكان إذحاهما أحسن وأكثر، كما كان ترك التنوين أكثر، وكان الألف واللام أولى لأن معناه: حسن وجهه، فكما لا يكون هذا إلا معرفة اختاروا في ذلك المعرفة، والأخرى عربية، كما أن التنوين والنون عربيٌّ مُطَّرِدٌ فمن ذلك قوله: «هو حديث عهدٍ بالوَجَعِ» وقال عمرو بن شأس:

أَلْكُنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً بَايَةَ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَلَا عُزْلًا

(1) - أنظر، ص 48 من البحث.

(2) - الشاهد في هذا البيت، هو: نصب "ريش" بمطرق، وهي الصفة المشبهة باسم الفاعل سبويه، الكتاب، ج 1، ص 195.

(3) - محبتك، الحبك: الشد، واحتبك بإزاره، شدّه إليه، ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبك)، ج 3، ص 26.

(4) - شؤون: موصل قبائل الرأس، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (شأن)، مج 4، ص 238.

(5) - الشاهد: من بحر الرجز، للشاعر رؤية بن العجاج التميمي البصري، الديوان، رواية عبد الملك بن قريش الأصمعي، شرح وتحقيق: عزة حسن، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1971م، ص 473، والشاهد النحوي فيه: هو نصب "شؤون" بالصفة المشبهة باسم الفاعل، وهي "ضخم".

(6) - الذناب، بكسر الهمزة: عقب كل شيء، ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذنب)، ج 5، ص 63.

(7) - أجَبٌ، الأجب: البعير الذي لا سنام له، المصدر السابق، مادة (جب)، ج 2، ص 161.

(8) - سنام، سنام البعير والناقة: أعلى ظهرها، المصدر السابق، مادة (سنم)، ج 6، ص 394.

(9) - الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر: النابغة الذبياني، الديوان، ص 118، والشاهد النحوي فيه: نصب "الظهر" بأجب على نية التنوين فيه، ولو كان غير متوياً تنوينه لأنجر ما بعده بالإضافة، وجر هو أيضا بالكسوة لإضافته إلى ما بعده ولكنه جرّ هنا بالفتحة، نائبة عن الكسوة لأنه لم يُنصب، سبويه، الكتاب، ج 1، ص 196.

(10) - ابن يعيس، شرح المفصل، ج 6، ص 83.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

ولا سيَّي زيّ إذا ما تَلَبَّسُوا إلى حَاجَةٍ مُخَيَّسَةٍ بُزَلَا⁽¹⁾
واللافت للانتباه أنه سبق التطرق إلى شرح وتحليل هذا البيت⁽²⁾ وقال حميد الأرقط من
السريع:

لاحِقِ بَطْنٍ بَقْرًا سَمِينٍ⁽³⁾

كما أن هذا الشطر من بيتٍ قد سبق تناوله بالشرح والاستثمار⁽⁴⁾

ومما جاء منونا قول أبي زبيد يصف الأسد:

كَأَنَّ أَثْوَابَ نَقَادٍ⁽⁵⁾ قُدْرَنَ⁽⁶⁾ لَهُ يَعْلُو بِخَمَلَتَيْهَا⁽⁷⁾ كَهَيْاءَ⁽⁸⁾ هُدَايَا⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾
وقال أيضا:

هَيْفَاءَ مُقْبَلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ مَحْطُوطَةٌ جُودِلَتْ، شَنْبَاءَ أُنْيَابَا⁽¹¹⁾
وقال عدي بن زيد من المدينة

مَنْ حَبِيبٍ أَوْ أَحْيِي ثِقَةٍ أَوْ عَادُو شَاحِطٍ دَارًا⁽¹²⁾،⁽¹³⁾

وعند اختيارنا لهذه الصيغ، صفة للصفة المشبهة، وإعمال نظرنا فيما كما وردت لدى سيبويه
في "الكتاب" متبديين في عملنا هذا بالمستوى الصرفي، وجدناه يعرض بالمعالجة لبعض أوزان وأبنية

(1)-الشاهد في البيت: إضافة "سيي" إلى "زي" وهو نكرة، على تقدير إثبات (أل) وحذفها للاختصار، سيبويه، الكتاب، ج1، ص197.

(2)-انظر ص 52 من البحث.

(3)-الشاهد في البيت: إضافة "لاحق" إلى "بطن" مع حذف (أل) كما تقدم في سابقه، سيبويه الكتاب، ج1، ص 197.

(4)-انظر ص48 من البحث.

(5)-نقاد، النقاد: راعي الغنم، ابن منظور، لسان العرب، مادة(نقد)، ج14، ص255.

(6)-قُدْرَنَ له: جُعِلن على قَدْر جسمه، المصدر السابق، مادة(قدرن) ج11، ص57.

(7)-بِخَمَلَتَيْهَا: ثوب القطيفة، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(حمل)، مج3، ص371.

(8)-كَهَيْاءَ: غيرة مشوبة سواداً في ألوان الإبل، ابن منظور، لسان العرب، مادة(كهب)، ج12، ص175.

(9)-هُدَايَا، هُدْب الثوب، وهو طَرَفُه الذي لم يُنْسَج، المصدر السابق، مادة(هدب)، ج15، ص46.

(10)-الشاهد في البيت: نصب "هدايا" بقوله: "كهياء" لما فيه من نية التنوين الذي لم يظهر لمنع الصرف، سيبويه، الكتاب، ج1، ص198.

(11)-الشاهد: من البحر البسيط للشاعر، أبي زيد الطائي، الديوان، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد،

ط1، سنة 1967م، ص36.

(12)-الشاهد: من البحر المديد، للشاعر عدي بن زيد، الديوان، ص101.

(13)-الشاهد في هذا البيت: نصب "دار" ب شاحط وهو اسم فاعل أحري مجرى الصفة المشبهة، سيبويه، الكتاب، ج1، ص198.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

هذه الصفة مرفوقة بشواهد وأمثلة لغوية من كلام العرب، من المنظوم والمنثور، مشيراً خلال ذلك إلى تقارب هذه الأوزان والأبنية في دلالاتها ومضامينها، وإلى اشتراكها في هذه الدلالات والمعاني-فهي تعود وإن اختلفت في ظاهرها وصورها في جملتها- إلى الأدوية والأمراض والآلام، أو ترجع إلى الحلي والزينة والتجمل ونحو ذلك، كما كان يُلمح من آنٍ إلى آخر إلى مبدأ الكثرة والقلة-وهو مبدأ منهجي علمي جيد-لكن دون تحديد وتدقيق لها بطبيعة الحال-بقوله: «لأنَّ جملتها كذاً وكذاً، أو هذا أكثر في كلامهم، أو كما دخلَ فعلٌ في فعْلانٍ، أو كما كانَ من كذاً جعلوه بمتزلة كذاً، أو جاءوا بالاسم على بناء ما معناه كمعناه، وبالفعل على ما هو نحوه أيضا في المعنى»⁽¹⁾

وبناء على ما سبق نلاحظ أن سبويه-لا سيما-على المستوى الصرفي- وهذا الأهم في نظرنا- أنه لم يسم الأشياء بأسمائها الصريحة، فلم يُطلق اسم الصفة المشبهة-هنا صراحة-على هذه الأبنية والصيغ وإنما كان يطلق عليها مصطلح "الاسم" أحيانا بالإفراد، وأخرى بالجمع المكسر هكذا: (وَقَدْ يَجِيءُ الْاسْمُ فَعِيلًا نَحْوُ: مَرِضٌ يَمْرُضُ مَرَضًا وَهُوَ (مَرِيضٌ)، وَقَالُوا: سَقِمَ يَسْقُمُ وَهُوَ (سَقِيمٌ)⁽²⁾ و(أَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مَا يُنْبِئُ فِي الْأَسْمَاءِ عَلَى فَعْلَانٍ، وَذَلِكَ نَحْوُ: ظَمِيَ يَظْمَأُ ظَمًا وَهُوَ (ظَمَانٌ)، وَعَطِشَ يَعْطِشُ عَطَشًا وَهُوَ (عَطْشَانٌ)، وَصَدِيَ يَصْدِي وَهُوَ (صَدْيَانٌ))⁽³⁾

وبهذه المنهجية الفطرية العفوية كان المصنّف يشتغل على جمع هذه المادة العلمية الوفيرة الواسعة المتشعبة المتداخلة في أبنيتها وصيغتها، الغامضة في مصطلحاتها-أحيانا-دون تقديم تعريف للصفة المشبهة، يحدّد به مدلولها وبهذه الطريقة المنهجية الساذجة لم يتمكن المؤلف من حصر وتحديد هذه الصفة في مجالها المحدّد الذي يضمن لها عدم الاختلاط والتقاطع بغيرها من الأسماء والصفات، كما أن المصنّف قد غفل الحديث عن مصدر اشتقاقها ورتبتها في الاشتقاق بالنظر إلى مثيلاتها من المشتقات الأخرى نَحْز: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، واسم الآلة وغيرها، كما أنه أيضا لم يعرض لنمط الفعل أو المصدر الذي تشتق منه هذه الصيغ على تعددها وتنوعها في الأبنية والأوزان والمتقاطعة فيها مع أخواتها من المشتقات.

وهل هي تشتق من الفعل؟ أم تشتق من المصدر؟ من الفعل المتعدي؟ أم من الفعل اللازم؟ أم منهما معا وغيرها من الأسئلة كما لم نر الحديث عن أنقياسها وعن سماعتها، نحو: هل جميع صيغ الصفة المشبهة قياسية أو كلها سماعية وعلّة ذلك؟ أم جاء بعضها قياسيا وبعضها سماعيا؟ وماهو

⁽¹⁾-المصدر السابق، ج4، ص 17-21

⁽²⁾-المصدر نفسه، ج4، ص 17.

⁽³⁾-المصدر نفسه، ج4، ص 21.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

القياسي منها تحديدا والسماعي كذلك؟ إلى غير ذلك من المسائل والقضايا الرئيسة في هذا المقام التي لازالت عالقة أو إلى اليوم تنتظر من يكشف عنها الثقب ويُسَلط عليها الأضواء الكاشفة هذا على مستوى النظام الصرفي عند سيبويه، أما على مستوى النظام النحوي فالأمر يختلف رغم أن الجميع متفق على العلاقة الوثيقة بين النظامين الصرفي والنحوي للخدمة العلمية الجلييلة التي يقدمها كل منهما للآخر هذا ورغم ما سبق ذكره من جوانب قوّة وجوانب نقص عند سيبويه فإننا استطعنا من خلال هذا الباب النحوي أن نجمع النماذج التي ذكرها في "الكتاب" ونستخلص منها أبنية الصفة المشبهة عنده وهي:

-أفعل: من ذلك قولهم: "هو أحمر العينين" ومنه قول زهير:

أهوى بها أسفع الحدين مطرقاً ريش القوادم لم ينصب له شبك⁽¹⁾

وقول النابغة الذبياني في "أحب" السابق درسه وتحليله⁽²⁾

ونأخذ بعده بـذنب عيش أجب الظهر ليس له سنم⁽³⁾

وقد ذكر الرضي أن قياس ما كان على "فعل" اللازم ودلّ على العيوب الظاهرة كالعور والعمى أو الحلي كالسواد والبياض والزب⁽⁴⁾ والرّسح⁽⁵⁾ والجرد⁽⁶⁾ والهضم⁽⁷⁾ والصّلح أن يكون على "أفعل" للمذكر و"فعلاء" للمؤنث⁽⁸⁾.

فعلاء: وهي مؤنث "أفعل" للمذكر، وقد جاءت في قول أبي زيد الطائي يصف الأسد وقد تقدم درسه وتحليله⁽⁹⁾.

كان أثواب نقادٍ قدرن له يعلو بخمليتها كهباء هداًبا⁽¹⁰⁾

(1) -المصدر السابق، ج1، ص195، وقد تقدّم شرحه وذكر الشاهد فيه.

(2) -انظر ص48 من البحث.

(3) -الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر النابغة الذبياني، الديوان، ص118.

(4) -الزب: كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعيين، والوصف منه أزب وزبأ، ابن منظور، لسان العرب، مادة(زيب)، ج6، ص7.

(5) -الرّسح: خفة الأليتين ولصوقهما، المصدر السابق، مادة(رسح)، ج5، ص208.

(6) -الجرد: قصر الشعر، وهو عيب في الدواب، والذكر: أجرد، والأنثى: جرداء، المصدر السابق، مادة(جرد) ج2، ص238.

(7) -الهضم: خمص البطن ولطف الكشح، وهو أهضم، وهي هضماء، المصدر السابق، مادة(هضم) ج15، ص100.

(8) -رضي الدين الاسترابادي، شرح الرضي على الشافية، ج1، ص144.

(9) -ينظر صفحة 58 من هذا البحث.

(10) -سيبويه، الكتاب، ج1، ص198.

وقول أبي زيد الطائي أيضا وقد تقدم درسه وتحليله⁽¹⁾
 هيفاء مُقبِلَةٌ، عَجَزَاءُ مُدْبِرَةٌ مَحْطُوطَةٌ جُدِلَتْ، شَنْبَاءٌ أَنْيَابًا⁽²⁾
 وهذا البناء لما كان مؤنث "أفعل" فهو قياسي في المعاني التي ذكرها الرضي فيه وهي: "فَعِل
 يَفْعَل" الدال على العيب أو الحلية أو اللون.
 فَعَل: نحو قولهم: هذا حَسَنُ الوَجْهِ، وهذه حَسَنَةُ الوَجْهِ، وقد جَاءَ هذا البناء قليلا من
 بَابِ "فَعَل" وقد مثل له ابن الحاجب بالمثال المتقدم⁽³⁾.
 فَعَلٌ: ورد في قول رؤبة

الْحَزَنُ⁽⁴⁾ بَابًا وَالْعُقُورُ⁽⁵⁾ كَلْبًا⁽⁶⁾(7)

وَقَوْلُ الشَّمَاخِ:

أَيْنَ دِمْنَتَيْنِ⁽⁸⁾ عَرَسَ⁽⁹⁾ الرِّكْبُ فِيهِمَا
 أَقَامَتْ عَلَى رِبْعَيْهِمَا⁽¹³⁾ جَارَتَا صَفَا⁽¹⁴⁾
 بمقل الرُّخَامِي⁽¹⁰⁾ قَدَ عَفَا⁽¹¹⁾ طَلَلَاهُمَا⁽¹²⁾
 كَمَيْتًا⁽¹⁵⁾ الْأَعَالِي جَوَّتَا⁽¹⁶⁾ مُصْطَلَاهُمَا⁽¹⁷⁾(18)

(1)- ينظر صفحة 59 من هذا البحث.

(2)- سيبويه، الكتاب، ج1، ص 198.

(3)- رضي الذين الاسترابادي، شرح الرضي على الشافية، ج1، ص 148.

(4)- الحزن: ما غلط من كل شيء، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(الحزن)، مج4، ص213.

(5)- العقور: المراد به هنا الكلب الشرس المفترس، ابن منظور، لسان العرب، مادة(عقر) ج9، ص314.

(6)- الشاهد: من بحر الرجز، للشاعر رؤبة بن العجاج، الديوان، ص15.

(7)- والشاهد النحوي فيه: نصب: "بابا" و"كلبا" على حد قولهم: الحَسَنُ وَجْهًا، سيبويه الكتاب، ج1، ص200.

(8)- الدمنة، بكسر الدال: ما بقي من آثار الديار، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مج4، ص223.

(9)- عرس الركب أو المسافر: نزل في وجه الشجر، عرج، ابن منظور، لسان العرب، مادة(عرس)، ج9، ص132.

(10)- الرُّخَامِي: شجر، المصدر السابق، مادة(رخم) ج4، ص118.

(11)- عفا: وأصله المحور والطمس، المصدر نفسه، مادة(عفا)، ج9، ص294.

(12)- طَلَلَاهُمَا، والطلال: ما شخص من آثار الديار، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(طلل) مج4، ص8.

(13)- رِبْعَيْهِمَا، الرِّبْع يعينها حيث كانت، المصدر السابق، مادة(ربيع)، مج3، ص24.

(14)- صَفَا، والصَّفْو: الخالص من كل شيء، ابن منظور، لسان العرب، مادة(صفا)، ج7، ص370.

(15)- كَمَيْتًا الْأَعَالِي: شديداً الحمرة، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(الكميت) مج1، ص156.

(16)- جَوَّتَا والجون: الأسود اليحمومي، ابن منظور، لسان العرب، مادة(جون)، ج2، ص472.

(17)- مُصْطَلَاهُمَا، والمُصْطَلَى: موضع الصلَا وهو النار، المصدر السابق، مادة(صلا)، ج7، ص399.

(18)- الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر الشماخ بن ضرار الذيباني، الديوان، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي دار المعارف

بمصر(د،ط) سنة 2009م، ص307،308.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وقول العجاج: وقد تقدم ذكره وتحليله واستثماره⁽¹⁾

مَحْتَبِكِ ضَخْمٌ شُؤُونَ الرَّأْسِ⁽²⁾

فَعِيل: هو حديث عهدٍ بالوَجَعِ، وهو كريم الأب.

فَعِيل: من الأَجوف وهي بكسر "العين" ومنه قول عَمْرٍو بن شَأْسِ في "سَيِّئ" وقد تقدم ذكره ودرسه وتحليله⁽³⁾

وَلَا سَيِّئٌ زِيٌّ إِذَا مَا تَلَبَّسُوا إِلَى حَاجَةٍ يَوْمًا مُخَيَّسَةً بُزَلًا⁽⁴⁾

فَاعِلٍ وَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَاسْتِثْمَارُهُ⁽⁵⁾

مَنْ حَيْبٍ أَوْ أَحْيٍ ثِقَةٍ أَوْ عَدُوٍّ شَاحِطٍ دَارٍ⁽⁶⁾

وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ الْأَرْقَطِ، وَقَدْ تَمَّتْ مَعَالِجَتُهُ⁽⁷⁾

لَأَحِقِّ بَطْنٍ بَقْرًا سَمِينٍ⁽⁸⁾

والأن يمكننا القول إن هذا العمل من إمامالنحاة هو في حقيقته عمل محمود وإيجابي محسوب له لآتته جاء به في وقت مبكر لم يسبق إليه، وقد مهد السبيل به لمن جاء من بعده فالفضل للمبتدئ وإن أحسن المقتدي في المنهج والعرض، على الرغم من أن سيبويه قد غفل جوانب عديدة مهمة لم ينطرق إليها في موضوع صيغ الصفة المشبهة قد سبقت الإشارة إليها في المقام المناسب فلا نرى فائدة من إعادة الكلام فيها هنا.

ولأبأس من أن تُؤكِّد ما سبق أن قلناه في المبحث الأول لأهميته- في نظرنا- من أن سيبويه قد طبع فكر المؤسسين الأوائل الذين جاءوا من بعده- للعلوم العربية- بنموذجه النحوي خاصة والصرفي

(1)-انظر ص 58 من هذا البحث

(2)-الشاهد من بحر الرجز للشاعر روبة بن العجاج، الديوان، ص 473.

(3)-انظر، ص 52 من هذا البحث.

(4)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر عمرو بن شأس، الديوان، ص 72.

(5)-انظر، ص 59 من هذا البحث.

(6)-الشاهد: من البحر المديد، للشاعر عدي بن زيد العبادي، الديوان، ص 101.

(7)-انظر ص 48 هذا البحث.

(8)-الشاهد: من البحر السريع، الشاعر حميد الأرقط، ابن يعيش، شرح المفصل، مج 2، ص 85.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

عامة، لذلك لم نلاحظ على وجه العموم شيئاً جديداً ذابال عند هؤلاء جميعاً يستحق الوقوف طويلاً عنده لقد صار النحو مقروناً باسمه، فكلما ذكر الناس النحو إلا وذكروا معه اسمه فهو لم يترك لمستزيد من مزيد إلى أيامنا هذه اللهم إلا ما تعلق بتنظيم المادة النحوية والصرفية والصوتية، وتبويبها وتنسيقها، وتصنيفها وفق المناهج العلمية الحديثة المستفادة من التطور الثقافي والفكري والعلمي، والمستعينة بالآلات والأجهزة المخبرية الحديثة.

والحق يقال أيضاً عن المتأخرين من علماء العربية حيث إتهمهم لم يقفوا متفرجين، أو ناقدين ومنتقدين فحسب للتراث الأدبي والثقافي والفكري واللغوي بل بادروا إلى قراءته وهضمه وتنقيته وغربلته مما به من نقصٍ وضعف وهفوات لا يمكن أن يبرأ منها بشر، هذه الهفوات والعثرات لم تعد تتماشى مع ما وصلت إليه العلوم والمعارف من نمو وتطور ملحوظين في جميع ميادين الفلسفة والفكر واللغة والفنون وغيرها.

ومن هؤلاء الذين تقدموا ببحوث ومسائل وقضايا علم التصريف خطوات تُحسب لهم في ميدان البحث العلمي عامة، ومضمار علوم العربية خاصة منهم نذكرهم حسب الترتيب الزمني لوفاتهم: الزمخشري في "المفصل" وابن يعيش في "شرح المفصل" وابن الحاجب (ت 646هـ) في "الكافية في النحو" ورضي الدين الاسترابادي في "شرح شافية ابن الحاجب" وابن مالك في "الألفية" وابن عقيل (ت 769هـ) في "شرح الألفية" والأشموني في "شرح ألفية ابن مالك" وغير هؤلاء كثيرون ليس هنا مقام إحصائهم وذكر مُصنِّفاتهم والتنويه بهم جميعاً.

وإذا تقدمنا خطوات مع الزمن وجدنا بعض المتأخرين من علماء العربية ممن ساروا على درب السلف الشغوف بالعلم، والبحث فيه، ودرسه ومن هذا العلم، علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر اللغوي النحوي رضي الدين الاسترابادي (ت 686هـ) الذي حاول في مصنّفه الموسوم بـ: "شرح الشافية" أن يسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية-لا المجازية- فهو عند تعرضه للتعريف بصيغ الصفة المشبهة ينسبها من البداية إلى بابها في الصرف ويقول بوضوح ودقة: «الصفة المشبهة من نحو: فرح على (فرح) غالباً، وقد جاء معه الضم في بعضها، نحو: نُدسَ وحَدُرَ، وعَجَلَ، وجاءت على (سليم) و(شكس) و(حر) و(صفر) و(عَيور)، ومن الألوان والعيوب والحلي على أفعال»⁽¹⁾

كما نجدّه يتطرق للحديث عن انقياس صيغ الصفة المشبهة فيقول: «أقول: اعلم أن قياس

(1)-رضي الدين الإسترابادي، في شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 143.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

نَعَتِ مَا مَاضِيهِ عَلَى (فَعِلَ) بِالْكَسْرِ- من الأدواء الباطنة (كالوَجَع) و(اللَّوَى)⁽¹⁾ وما يناسب الأدواء من العيوب الباطنة (كالتَّكَد)⁽²⁾ و(العَسْر)⁽³⁾ و(اللَّحَز)⁽⁴⁾ ونحو ذلك من الهيجانات والخفة غير حرارة الباطن، والامتلاء (كالأَرَج)⁽⁵⁾ و(البَطْر)⁽⁶⁾ و(الأَجْر)⁽⁷⁾ و(الأَشْر)⁽⁸⁾ و(الجدَل)⁽⁹⁾ و(الفرَح) و(القَلَق) و(السَّلْس)⁽¹⁰⁾ أن يكونَ عَلَى فَعِل، وقياس ما كانَ من الامتلاء (كالسُّكْر) و(الرِّي)⁽¹¹⁾ و(الغَرث)⁽¹²⁾ و(الشَّع)، ومن حرارة الباطن (كالعَطَش) و(العَضْب) و(اللَّهْف)⁽¹³⁾ و(التَّكَل)⁽¹⁴⁾ - أن يكونَ عَلَى فَعْلان⁽¹⁵⁾

وهكذا نجد الرُّضِيَّ في "شرح الشافية" يُرَدِّدُ مصطلحَ "القياس" غيرَ مأمرة وكلما دعت الحاجة المنهجية العلمية إليه نحو قوله: «وَقِيَاسُ مَا كَانَ مِنَ الْاِمْتِلَاءِ (كَالسُّكْرِ) وَ(الرِّيِّ) وَ(الغَرثِ)»⁽¹⁶⁾ ونحو قوله: «وَقَدْ يَدْخُلُ (أَفْعَل) عَلَى (فَعِل) قَالُوا فِي: وَجَرَ أَي خَافَ- وَهُوَ مِنَ الْعُيُوبِ الْبَاطِنَةِ فَالْقِيَاسُ فَعِلٌ: (وَجَرَ) وَ(أَوْجَرَ)، وَمِثْلُهُ (حَمِقٌ) وَ(أَحْمَقٌ)،...»⁽¹⁷⁾ كما نراه يستخدمُ مُصْطَلِحَاتِهَا صلةً وثيقةً بالقياس والاستقراء اللغوي نحو: مصطلح "المستعمل" و"غير المستعمل" أي المهمل، نحو قوله: «وَقِيلَ: الْأَقْطَعُ وَ(الْأَجْدَمُ)، بِنَاءً عَلَى قَطَعَ وَجَدِمَ وَإِنْ لَمْ يُسْتَعْمَلَا بَلِ الْمُسْتَعْمَلُ قَطَعَ وَجَدِمَ-

(1)- اللَّوَى: وَجَعٌ فِي الْمَعِدَةِ وَأَعْوَجَاجٌ فِي الظَّهْرِ، الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ، مَادَّةُ (لَوَى)، مَج 4، ص 387.

(2)- التَّكَدُ، رَجُلٌ نَكَدٌ وَنَكْدٌ وَنَكَدٌ وَأَنْكَدُ: شَوْمٌ عَسِرٌ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (نَكَدَ) مَج 1، ص 342.

(3)- الْعَسْرُ: ضِدُّ الْيُسْرِ، وَعَسِيرٌ بَيْنَ الْعَسْرِ كَشَيْكِسٍ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (الْعُسْرُ) مَج 2، ص 88.

(4)- اللَّحَزُ: وَاللَّحْزُ صِغَةُ مُشَبَّهَةٌ: الصَّبِيُّ الشَّحِيحُ النَّفْسِ، ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (لَحَزَ)، ج 12، ص 247.

(5)- الْأَرَجُ: نَفْحَةُ الرِّيحِ الطَّيْبَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (أَرَجَ) ج 1، ص 113.

(6)- الْبَطْرُ: النَّشَاطُ، التَّبَخُّرُ، قَلَّةُ اِحْتِمَالِ النِّعْمَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (بَطَرَ) ج 1، ص 429.

(7)- الْأَجْرُ: الْجَبْرِ عَلَى الْكَسْرِ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (أَجَرَ)، ج 1، ص 76.

(8)- الْأَشْرُ: الْمَرَحُ وَالْبَطْرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (أَشَرَ) ج 1، ص 149.

(9)- الْجَدَلُ، وَالْجَدَلُ بِالْتَّحْرِيكِ: الْفَرَحُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (جَدَلَ) ج 2، ص 222.

(10)- السَّلْسُ بِالْفَتْحِ: الْحَيْطُ الَّذِي يُنْظَمُ فِيهِ الْحَرَزُ الْأَبْيَضُ الَّذِي تَلْبَسُهُ الْإِمَاءُ، الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ، مَادَّةُ (سَلْسَ) مَج 2، ص 222.

(11)- الرِّيُّ مِنَ الْمَاءِ: الْغَزِيرُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (رَوَى) مَج 4، ص 337.

(12)- الْغَرْثُ، وَغَرِثٌ كَفَرِحَ: جَاعٌ فَهُوَ غَرِثَانٌ، وَالتَّغْرِيثُ: التَّجْوِيعُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (غَرِثَ)، مَج 1، ص 171.

(13)- اللَّهْفُ، وَلَهْفٌ كَفَرِحَ: حَزْنٌ وَتَحَسُّرٌ، وَاللَّهْفُ: الْحَزْنُ وَالتَّحَسُّرُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (لَهَفَ)، مَج 3، ص 197.

(14)- وَالتَّكَلُ، وَالتَّكَلُ، بِالْتَّحْرِيكِ: فُقْدَانُ الْحَبِيبِ وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي فُقْدَانِ الْمَرْأَةِ زَوْجِهَا: ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (تَكَلَّ)،

ج 2، ص 115.

(15)- رَضِي الدِّينُ الْإِسْتِرَابَادِي، شَرْحُ شَافِيَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ، ج 1، ص 143-144.

(16)- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج 1، ص 144.

(17)- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج 1، ص 145.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

على ما لم يسمَّ فاعله - أي الفعل المبني للمجهول، والقياس مَقْطُوعٌ وَمَجْدُومٌ⁽¹⁾ وكما يستعمل هنا مصطلح "القياس" إلى جانب مصطلح «المستعمل وغير المستعمل» نُلفِيهِ كذلك يَستخدمُ مصطلحَ "القياس" إلى جانب مصطلح "التغليب" وهذا - في نظرنا - إجراء علمي رائع وجيد وفي منتهى الدقة الموضوعية والرؤية الواسعة المدركة للأمور في كثرتها ونقصاتها، في قوتها وضعفها فهو يَقُولُ هُنَا: «أقول: الغالبُ في باب فَعَلَ فَعِيلٌ، ويجيءُ فُعالٌ - بضمّ الفاء وتخفيف العين - مبالغة فَعِيلٌ في هذا الباب كثيرا، لكنّه غير مُطَرِّدٍ، نحو: (طَوِيل) و(طَوَالٍ)، و(شَجِيح) و(شُجاع)، ويَقَلُّ في غير هذا الباب كَعَجِيبٌ وَعُجَابٌ»⁽²⁾

وَ انظر إليه كيف يَنبّه كذلك إلى إمكانية تقاطع صيغ الصفة المشبهة ذاتها وحلول بعضها محل بعض حين يقول: «وقد ينوب فَعَلَانٌ عَنْ فَعِلٍ، (كَعَضْبَانٍ)، والقياس (عَضِبٌ) إِذِ الْعَضْبُ هِيحَانٌ، لِأَنَّ الْعَضْبَ يَلْزِمُهُ فِي الْأَغْلَبِ حَرَارَةُ الْبَاطِنِ...»⁽³⁾

وَلَمْ يَقِفِ المصنّف عند استخدام هذه المصطلحات من نحو: "القياس" و«المستعمل، وغير المستعمل» ومبدأ "التغليب" بل نراه رأي العين - وبطريقة عفوية - يُوظفُ مصطلحات علمية أخرى زيادة على المصطلحات المنهجية السالفة الذكر نحو: "الاطراد"، ومبدأ "الكثرة" و"القلة" هذا كله عندما كان يتناول أبنية وأوزان الصفة المشبهة وما ينقاس منها، وما لا ينقاس وما ينوب عن بعضها بعضا.

وبهذا الإجراء المنهجي العلمي الهادف الواعي المتقصي للكليات والجزئيات استطاع الرّضي في "شرح الشافية" أن يُميط اللثام عن كثير من جوانب اللبس والغموض والارتباك في بحث ودرس صيغ الصفة المشبهة وأبنيتها المتقاطعة فيما بينها أولاً وبين غيرها ثانياً من مثيلاتها من المشتقات ومن أمثلة ذلك تَنبَهُهُ قبل غيره إلى تداخل بناء "فَاعِلٌ" مع أبنية الصفة المشبهة حينما نصّ على ذلك بقوله: «وقد جاء فَاعِلٌ في معنى الصّفة المشبهة - أي: مطلق الأتصاف بالمشتقّ منه من غير معنى الحدوث - في هذا الباب وغيره، وإن كان أصل فَاعِلٍ الحُدُوثُ، وذلك كخَاشِنٍ وسَاخِطٍ وجَائِعٍ»⁽⁴⁾

«وَ هذا رأيٌ للمؤلف خالف به المتقدمين من فطاحل العلماء، فإنّ مذهبهم أنّ الصفة المشبهة موضوعةٌ للدلالة على استمرار الحدّث لصاحبه في جميع الأزمنة، وقد أوضح هذه المخالفة في "شرح الكافية" حيث يقول: «والذي أرى أنّ الصفة المشبهة كما أنّها ليست موضوعةً للحدوث في زمانٍ

(1) - المصدر السابق، ج 1، 145.

(2) - المصدر نفسه، ج 1، 148.

(3) - المصدر نفسه، ج 1، ص 146-147.

(4) - المصدر نفسه، ج 1، ص 147.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

ليست موضوعاً للاستمرار في جميع الأزمنة، لأنَّ الحدوثَ والاستمرار فيه قيّدان في الصّفة(أي مقيدان) ولا دليل فيها عليهما، فليس معنى حسن في الوضع إلا ذو حسنٍ سواء كان في بعض الأزمنة أو جميع الأزمنة، ولا دليل في اللفظ على أحدِ القيدَين، فهو حقيقة في القدر المشترك بينهما، وهو الاتصاف بالحسن، لكن لما أُطلق ذلك ولم يكن بعض الأزمنة أولى من بعضٍ ولم يَجْزُ نَفْيُهُ في جميع الأزمنة، لأنَّك حكمت بثبوته فلا بُدَّ من وقوعه في زمانٍ، كان الظاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قرينة على تخصُّصه ببعضها، كما تقول: كان هذا حسناً فقبَّح أو سيصير حسناً، أو هو الآن حسنٌ فقط، فَطُهُورُهُ في الاستمرار ليس وضعياً»⁽¹⁾

وَ الآن وبكُلِّ ثقةٍ واطمئنان يمكن أن نقرّر بأنَّ الصّفةَ المشبّهةَ في أبنيتها وأوزانها وصيغها المختلفة المتقاطعة قد عرفت على يدي هذين العالَمَين اللغويين العربيين كثيراً من التحديد والضبط والتبويب والتصنيف والفرز والنظر الواعي الثاقب، وكذا حسن استثمار لكثير من المصطلحات المنهجية العلمية التي هي اليوم محط أنظار العلماء والمفكرين في الشرق والغرب لأنها مصطلحات استراتيجية في البحث والدرس والاستقراء اللغوي المنهجي العلمي نحو مصطلحات: القياس، والسماع، والتغليب، والكثرة، والقلة، والقليل، والشاذ، والنادر وغيرها مما يدخل في مناهج البحث اللغوي الحديث، هذا وبعد معاينتنا لمؤلّفات الأولين والآخرين، والنظر بإمعان في صيغ الصفة المشبهة وأبنيتها تكشف لنا بوضوح أنّها لم تنل حظها- كما يجب- من حيث الكلام حول قياسيتها وسماعها، ومن حيث أصل اشتقاقها، ومن جهة اللزوم والتعدي، وكذا من جهة مدى تقاطعها مع غيرها مع مثيلاتها من المشتقات الأخرى المعروفة.

والأمر في هذا النقص أو الضعف في معالجة أبنية وأوزان الصفة المشبهة ينطبق على صاحب "الشفافية" في الصرف و"الكافية" في النحو، حيث نراه يمرّ مرّاً سريعاً، مختصراً الحديث فيها، تاركاً وراءه كثيراً من اللبس والغموض والتردد، انظر إليه-مثلاً- وهو يتكلم حول قياس صيغ الصفة المشبهة في "شرح الكافية" يقول: «صيغ الصفة المشبهة ليست بقياسية كاسم الفاعل واسم المفعول ويجيء في مقدّمة التصريف إن شاء الله تعالى وقد جاءت من الألوان والعيوب الظاهرة قياسية (كأسود) و(أبيض) و(أدعج)⁽²⁾ على وزن أفعل وإِنما عملتِ الصّفةُ المشبّهةُ»⁽³⁾

⁽¹⁾-رضي الدين الاسترأبادي، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1985م، ص205.

⁽²⁾-أدعج، الدّعجُ محرّكةٌ: سواد العين مع سعتها: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة الدّعج، مج 1، ص188.

⁽³⁾-رضي الدين الإسترأبادي، في شرح الكافية في النحو، مج2، ص 205.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

ويلاحظ أن الحديث هنا حَوْلَ قياس أبنية الصفة المشبهة جُذُ مختصر، وسريع، ويسوده التسوييف والإرجاء، وعلى الرغم من هذا التسوييف والإرجاء فقد عُدْنَا ثانية معلقين الأمل الكبير-إلى كتاب مقدمة التصريف الموسوم بـ«شرح شافية ابن الحاجب» فلم نصادف ما يَرُوي الظماً ويشفي الغليل حقيقة في هذا الجانب بالذات وإنما هي مجرد إشارات خاطفة تذكر فيها لفظة "قياس" ضمن هذا الزخم الهائل من المادة اللغوية، وتفسيرها، ووصفها، وشرحها معجمياً، نحو قوله «لأنَّ قياسَ صفة اللازم من هذا الباب فَعِلٌ، وكذا كان قياسُ مصدره خَشِيَ فَعِلٌ: خَشِيَةً حَمَلًا على رَحْمَةٍ»⁽¹⁾ ونحو قوله: «أَعْلَمَ أَنَّ قِيَّاسَ نَعَتِ مَا مَاضِيهِ عَلَى فَعَلٍ-بالكسر-من الأدوية الباطنة كالوَجَعِ وَاللَّوِي وَمَا يَنَاسِبُ الْأَدْوَاءَ مِنَ الْعِيُوبِ الْبَاطِنَةِ كَالنَّكَدِ وَالْعَسْرِ وَاللَّحْزِ»⁽²⁾ وكقوله: «وَقِيَّاسُ مَا كَانَ مِنَ الْإِمْتِلَاءِ كَالسُّكْرِ وَالرِّيِّ وَالْعَرْتِ وَالشَّبَعِ..»⁽³⁾ وكقوله: «وَقِيلَ: الْأَقْطَعُ وَالْأَجْدَمُ، بِنَاءٍ عَلَى قَطَعَ وَجَذِمَ وَإِنْ لَمْ يُسْتَعْمَلَا، بَلِ الْمُسْتَعْمَلُ قُطِعَ وَجُذِمَ-على ما لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ- والقياسُ مَقْطُوعٌ ومَجْدُومٌ»⁽⁴⁾

و هذا ما يتعارض مع الكلام العلمي المترابط المنسق المتكامل العناصر حول هذه المادة العلمية ما جعله مَبْتُورًا في ظل غياب ما يقابل القياس من السماع، وما يقابل الكثرة من الشذوذ، والتغليب من الاستثناء، والقليل من الكثير، والتأخر من القلة وغيرها، إضافة إلى غياب تحديد المصطلحات الواردة تحديداً دقيقاً واضحاً من حيث كمها وكيفها.

وفي ظل غياب هذه الأشياء والوسائل والأدوات المنهجية العلمية الضرورية تظل المادة اللغوية الوفيرة الواسعة تعاني حالات من اللبس، والغموض، والاضطراب ونوعاً من التناقض والهلهلة.

وبعد هذا حولنا وَجْهَتْنَا صَوْبَ مُصَنِّفِ "امفصل للزخشي الذي شرحه ابن يعيش، مُتَّصِفِينَ باب المشتقات عامة وأبنية الصفة المشبهة على وجه الخصوص، أَلْفِينَاهُ لَا يُؤَلِّي اهْتِمَامَهُ إِلَّا إِلَى الْأَحْكَامِ النَحْوِيَّةِ وَالْأَوْجُهَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ لِهَذِهِ الصِّيغِ، لِذَلِكَ فَلَمْ نُطَلِّ الْمَكُوثَ عِنْدَهَا إِلَّا بِالْقَدْرِ الَّذِي عَالَجَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ هَذَا الْجَانِبَ الَّذِي يَظَلُّ بِدَوْرِهِ غَامِضًا فِي ظِلِّ غِيَابِ الْحَدِيثِ الْمُرَكَّبِ الْمَهَادِفِ الْمُنَاسِبِ عَنِ الْقِسْمِ الصَّرْفِيِّ وَالِاشْتِقَاقِيِّ مِنْهُ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ.

ثم انتقلنا مباشرة إلى المصنّف الكبير الشهير أيضاً، والموسوم بـ«جمع الهوامع في شرح جمع الجوامع» لِجَلَّالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ (ت911هـ) فَرَأَيْنَاهُ يُخَصِّصُ مَوْضِعَيْنِ لِهَذِهِ الصِّيغِ، مَوْضِعًا مِنْهُمَا

(1)-المصدر السابق، ج1، ص73.

(2)-المصدر نفسه، ج1، ص143، 144.

(3)-المصدر نفسه، ج1، ص144.

(4)-المصدر نفسه، ج1، ص145.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

لباب النحو الوارد في الجزء الخامس من الكتاب المذكور، يفصل القول فيه ويُطيل ويُسهب إلى حدّ الملل في الأحكام النحوية والأحوال الإعرابية بدقائقيها وجزئياتها وتقريعاتها وأقوال العلماء السابقين فيها، ومَوْضِعاً آخر لصيغ الصفة المشبهة في باب الصَّرف سَمَّاهُ "الأبنية".

وَ قد تَفَاءَلْنَا خيراً كثيراً لما رأينا هذا العالم اللغوي-بعد ابن الحاجب-يُعْطِي لهذه الأبنية وموضوعاتها وقضاياها قيمتها ومكانتها مثلما يُعْطِيها لأبواب النحو وموضوعاته وأحكامه من الدرس والبحث والتحليل والتفصيل ويُخَصِّصُ للمشتقات جميعاً ومنها أبنية الصفة المشبهة أباً في النحو، وبأباً آخر في الصرف، وخاصةً للمشتقات العاملة فيما بعدها نحو: اسم الفاعل: رَأَيْتُهُ جَالِساً الْقُرْفُصَاءَ، واسم المفعول: عَلِيٌّ مَسْتُورٌ عِرْضُهُ، والصفة المشبهة هذه المرأَةُ سَلِيمٌ قَلْبُهَا، واسم المبالغة: مُحَمَّدٌ سَبَاقٌ لِلخَيْرِ، واسم التفصيل المجتهد أَوْفَرُ حَظًّا مِنَ الكَسُولِ.

غير أننا فوجئنا حينما أطلعنا على طريقة وأسلوب معالجة السيوطي لأبنية الصفة المشبهة الذي جاء في باب "الأبنية" من حيث الكيف والكم كذلك حيث قصر كلامه-هنا-عن هذه الصيغ في بضعة سطور، وحصره حول بعض الخلافات البسيطة بين علماء النحو والصرف تتمحور حول بعض المسائل والقضايا التي ليست بذات قيمة كبيرة في هذا الفضاء اللغوي الواسع الثري بالمادة اللغوية نحو قوله: «وَقَلَّ فِيهَا-أَيُّ فِي الصِّفَةِ المَشْبَهَةِ-وزن اسم الفاعل نحو: طاهر القلب، ومُنْطَلِقُ اللِّسَانِ، ومُنْبَسِطُ الوَجْهِ: (خِلَافاً لِمَنْ مَنَعَ مجاراتها المضارع وهو الزَّمْخَشْرِي وابن الحاجب، قال أبو حيان(ت 745هـ) ولا التفات إليه(أي إلى الرأي السابق) لا تَفَاقَهُم على أن (ضامر الكَشْحِ)⁽¹⁾ وَ(سَاهِمٌ⁽²⁾ الوَجْهِ)، وَ(خَامِلٌ⁽³⁾ الذِّكْرِ)، وَ(حَائِلٌ⁽⁴⁾ اللُّونِ)، وَ(ظَاهِرُ الفَاقَةِ)، وَ(ظَاهِرُ العِرْضِ)، وَ(مُطْمَئِنُّ القَلْبِ)، صِفَاتٌ مُشْبَهَةٌ وهي مُجَارِيَةٌ لَهُ»⁽⁵⁾،⁽⁶⁾.

هذا وإنَّ المتتبع لمنهج مثل هذه المعالجة للموضوعات الصرفية لا يخرج برؤية واضحة ودقيقة وشاملة نظر الغياب التصنيف والتبويب والتنسيق للأبواب والموضوعات الرئيسي منها والفرعية بدءاً

(1)-الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (الكشح)، مج1، ص 245.

(2)-سَاهِمُ الوجه، سَهَمَ يَسْهَمُ: إذا تَغَيَّرَ عن حاله لعارض، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سهَم)، ج6، ص 413.

(3)-خامل الذكر، وخامن الذكر، على البدل بمعنى واحد: لا يعرف ولا يذكر: المصدر السابق، مادة (حمل)، ج4، ص 221.

(4)-حائل اللون، وكل تحوّل أو تغيّر من الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (الحول)،

مج3، ص 363.

(5)-أبو حيان الأندلسي الغرناطي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج3، ص 472.

(6)-جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج6، ص 58.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

بتعريف الموضوع وتحديدده، ثم الأهم فالمهم، ومراعاة المسائل والأبواب المتشابهة، والأصول والفروع في العناصر والوحدات ثم المختلّف منها وصولاً إلى الفروع والجزئيات والشاذ منها لنؤسس على ذلك نظرة كلية شمولية منسجمة مُلمّة بجميع أطراف الموضوع وأشتاته وحيثياته.

وَ قد عُدنا كذلك إلى «حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك» وهو يعالج صيغَ الصفة المشبهة ضمن-اسم الفاعل-وهذا في غياب تنظيم وتنسيق وترتيب المادة اللغوية، النحوية منها والصرفية معنيين النظر في كل ما جاء في الشرح، وقد لفت انتباهنا استخدام الشارح لمصطلحات تُمس صميم الموضوع نحو مصطلح: القياس، والشاذ، والسّماع، والقرينة، والأصل وغيرها وللتدليل على ذلك قوله: «صَوِّغُ فَاعِلٍ قَلِيلٍ أَيْ شَاذٌ»⁽¹⁾.

ونحو قوله: «أي قياس فَعْلٍ أي قِياسُ الوصفِ مِنْ فَعْلٍ»⁽²⁾ ونحو قوله: «لَعَلَّهُ لَمْ يَصْرَحْ بِالقياسِ لِعَدَمِ كَثَرَةِ فَعْلٍ وَفَعِيلٍ فِي فَعْلٍ مضموم العين كَثَرَةً يَقطع بقياسهما فيه عنده»⁽³⁾ ونحو قوله: «وَلَا يَرُدُّ أَنَّ أصلَ المبنى للمجهول قد يكون سماعاً من اللازم نحو: جُنَّ فَيَجْعَلُ هذا مِنْهُ»⁽⁴⁾ ثم لاحظ تَنبِيهَهُ عن الوهم الذي قد يُصيبُ بعضَ العلماءِ والباحثين في البحث العلمي عامة واللغوي خاصة عندما يقول: «لأنّ ذِكْرَهُ هنا يُوهِمُ أَنَّ وصفَ الفاعلِ من غيرِ الثلاثي المجرد واسمِ المفعولِ من الثلاثي أو غيره لا يكونان صِفَتَيْنِ مشبّهتين مع أنّهما يكونان صِفَتَيْنِ مشبّهتين إذا قُصِدَ بهما الثبوتُ دون الحدوثِ وأُضيفَ إلى مرفوعهما أو نَصَبَهُما على التشبيهِ بالمفعولِ به أو على التمييزِ كوصفِ الفاعلِ من الثلاثي المجرد»⁽⁵⁾ ونحو قوله: « وَقَصْدُ الثبوتِ طارئٌ فلا يُعْتَبَرُ إلا مَعَ ما يدلُّ على خروجه عن الأصلِ واستعمالِهِ في الثبوتِ من الإضافةِ أو النَّصبِ المذكورين»⁽⁶⁾ ونحو قوله: «وأما غيرَ فاعِلٍ فمَشْتَرِكٌ في الأصلِ بين الحدوثِ والثبوتِ فاكتفى في كونه صِفةً مشبّهةً بِقَصْدِ الثبوتِ»⁽⁷⁾

وَ من خلال هذه العبارات والفقرات التي نقلناها نصّاً عن المدوّنة السالفة الذكر ندرك أن هناك وعياً ونضجاً عميقين في معالجة المادة اللغوية وصفا وتحليلاً واستنباطاً وحسّاً لغوياً لافتاً للنظر يختلف

(1)-محمد بن علي الصبان المصري، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د، ط، دت) ج2، ص 313.

(2)-المصدر نفسه، ج2، ص 313.

(3)-المصدر نفسه، ج2، ص 313.

(4)-المصدر نفسه، ج2، ص 314.

(5)-المصدر نفسه، ج2، ص 314.

(6)-المصدر نفسه، ج2، ص 314.

(7)-المصدر نفسه، ج2، ص 314.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

عما كان عليه عند السابقين من الأولين، فالعبرة ليست بهذا الركام الهائل بالمادة اللغوية ومفرداتها وأبنيته وصيغتها وتراكيبها، إنما العبرة بتنظيمها وتبويبها وتصنيفها وتنسيقها لتكون منسجمة فيما بينها وهذا وفقا لمنهجية علمية دقيقة مدروسة واضحة الرؤية، مدركة للهدف الذي تبغي الوصول إليه.

ومن هنا يمكن القول: إنَّ البَحْثَ اللُّغَوِيَّ ودرسه العِلْمِيَّ قد خَطَأَ عند الصَّبَّانِ (ت1206هـ) خطوةً جديرةً بالتقدير والتَّنوُّيه، وَمَنْ ثَمَّ جديرةً بالوقوف عندها لِتَأْمُلُهَا والإفادة منها، وإدراجها ضمن الدرس والبعث اللغويين الممنهجين الناضجين اللذين يستحقان التَّحْفِيزَ والدفع بهما قُدماً إلى الأمام وصولاً بما إلى التَّطَوُّرَ والرقي والنمو العلمي الواعي المتكامل.

وبعد هذا الاستقراء والاطلاع والفرز والتقييم- عن كُتُب- لأعمال ومصنفات علمائنا الأقدمين الذين عالجوا- خاصة- أوزان وأبنية الصفة المشبهة بشيءٍ من الإيجاز وقليل من التركيز وانعدام التنسيق وبعد عن الشمولية إلا القليل منهم من أولها شيئاً من الاهتمام بمحاولته التوسع والتنسيق بين أبوابها وموضوعاتها والغوص في أعماقها والولوج في جزئياتها وتفصيلها أمثال سيبويه (ت180هـ) في "الكتاب" ورضي الدين الاسترابادي (ت686هـ) في شرح «الشافية لابن الحاجب» والبعض الآخر الذي عرَّض لهذه الأوزان والأبنية ضمن الأحكام النحوية والمسائل الإعرابية فكان الدرس عندهم هامشياً سريعاً مُقتَضِباً معتمداً في معظمه على أقوال غيره من العلماء السابقين له والمعاصرين نحو المبرد (ت285هـ) في كتابه "المقتضب"، وابن يعيش (ت643هـ) في "شرح المفصل" كما لا ننسى الكوكبة الثالثة من علمائنا الذين لهم باع طويل في علم التصريف خاصة وعلم النحو عامة قد غفلوا في مؤلفاتهم الشهيرة الكلام عن المشتقات وأنواعها وعلى وجه الخصوص الحديث بالشرح والتعريف والوصف والتنسيق والعلاقات التي تربط بين هذه المشتقات وأصل اشتقاق كلِّ واحدة منها ومنها الصفة المشبهة على سبيل المثال لا الحصر، بالرغم من أنَّ مُعْظَمَهُمْ تناول موضوع الاشتقاق وأنواعه كابن جني في كتابه الموسوم بـ"الخصائص" وكتابه «سرُّ صناعة الإعراب» خاصة كتابه «التصريف الملوكي» الذي كُنَّا نُعَلِّقُ عليه آمالاً عريضة في تناول أنواع المشتقات استقراءً ووصفاً وتحليلاً وتأسيساً نحو: اسم الفاعل، واسم المفعول، وأبنية المبالغة، وأوزان وصيغ الصفة المشبهة، واسم الآلة، واسم التفضيل، واسم المكان والزمان من الجانب الصرفي وحده على الأقل بالربط بين هذه المشتقات وتداخلها والعلاقة فيما بينها هذا وقد انقسم النحويون وعلماء التصريف الأولون منهم والآخرون حول انقياس هذه الأبنية وسماعها واشتقاقها قسمين: فالقسم الأول رأى أنَّها قياسية نحو: سيبويه، ورضي الدين الاسترابادي، والمبرد وغيرهم، مع إقرارهم كذلك بأن هناك أبنية كثيرة قد شَدَّتْ وخرجت عن القياس المطرَّد نحو: (سَمِيع، عَلِيم، رَحِيم، صَرِيم، ضَرِيب، عَرِيف، فَقِيه،

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وخطيب) وغيرها، قال سيبويه: «وَقَدْ جَاءَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَعَدِيَةِ الَّتِي هِيَ عَلَى (فَاعِلٍ) عَلَى (فَعِيلٍ) حِينَ لَمْ يُرَدِّ بِهِ الْفِعْلُ، شَبَّهُوهُ بِظَرِيفٍ، وَنَحْوِهِ، قَالُوا: ضَرِيبٌ قِدَاحٌ⁽¹⁾، وَصَرِيمٌ لِلصَّارِمِ⁽²⁾، وَالضَّرِيبُ الَّذِي يُضْرَبُ بِالْقِدَاحِ بَيْنَهُمْ، وَقَالَ طَرِيفُ بْنُ تَمِيمٍ الْعَنْبَرِيُّ مِنَ الْكَامِلِ:

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَّتْ عُكَاطَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ⁽³⁾ يَتَوَسَّمُ⁽⁴⁾(5)

وذكر ابن قتيبة (ت 276هـ) في "أدب الكاتب": (فَاعِلًا)، و(فَعِيلًا) تَحْتَ بَابٍ وَاحِدٍ: (بَابُ فَعِيلٍ وَفَاعِلٍ نَحْوُ: سَمِعَ، سَامِعٍ، وَعَلِمَ وَعَالِمٍ)⁽⁶⁾.

أما ابن جني في كتابه «الخصائص فقد ذهب إلى تعليل هذا الشذوذ أو الخروج من باب النقل من (فَعِلٌ وَفَعَلٌ) إلى باب (فَعُلٌ) عند إرادة لزوم الصفة وثباتها، يقول بصريح العبارة في هذا الشأن «لَمَّا كَانَ الْعَلْمُ قَدْ يَكُونُ الْوَصْفُ بَعْدَ الْمَزَاوِلَةِ لَهُ، وَطَوَّلَ الْمَلَابَسَةَ، صَارَ كَأَنَّهُ غَرِيزَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى أَوَّلِ دُخُولِهِ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ مُتَعَلِّمًا عَالِمًا، فَلَمَّا خَرَجَ بِالْغَرِيزَةِ إِلَى بَابِ (فَعُلٌ) صَارَ (عَالِمٌ) فِي الْمَعْنَى كَعَلِيمٍ»⁽⁷⁾.

فالمفردات الشاذة في هذا الباب جاءت على بناء (فَعِيلٍ) للدلالة على الثبوت مما هو خِلْقَةٌ أَوْ مُكْتَسَبٌ، وَهُوَ وَصْفٌ يُبْنَى مِنْ (فَعُلٌ) وَهَذَا الْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى الطَّبَائِعِ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ (ت 395هـ): «وَ الصِّفَاتُ اللَّازِمَةُ لِلنَّفُوسِ عَلَى فَعِيلٍ، نَحْوُ: شَرِيفٌ وَالضُّدُّ وَضِيْعٌ هَذَا هُوَ الْأَغْلَبُ، وَقَدْ يَخْتَلِفُ فِي الْيَسِيرِ»⁽⁸⁾.

وقد جاء في شرح ابن عقيل: «إِلَى أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ يَجُوزُ أَنْ يُبْنَى مِنْهُ (فَعُلٌ) عَلَى (فَعُلٍ) لِقَصْدِ

(1) -ضَرِيبٌ قِدَاحٌ: أسماء قِدَاحِ الْمَيْسَرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانَ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (ضَرِيبٍ) ج 8، ص 38.

(2) -صَرِيمٌ لِلصَّارِمِ: الْقَطْعُ الْبَائِنُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (صَرِمٌ)، ج 7، ص 232.

(3) -عَرِيفِهِمْ، وَالْعَرِيفُ وَالْعَارِفُ مِثْلُ عَلِيمٍ وَعَالِمٍ، وَالْعَرِفَانُ: الْعِلْمُ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (عَرَفَ)، ج 9، ص 153.

(4) -يَتَوَسَّمُ، مِنْ تَوَسَّطَ فِيهِ الْخَيْرُ أَيْ تَفَرَّسَتْ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (وَسَمَ) ج 15، ص 303.

(5) -الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر طريف بن تميم العنبري، يُنظَرُ، أَبُو سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبٍ، الْمَعْرُوفُ بِالْأَصْمَعِيِّ الْبَاهِلِيِّ، الْأَصْمَعِيَّاتُ، تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ: مُحَمَّدُ نَبِيلُ طَرِيفِي، دَارُ صَادِرَتِ، بَيْرُوتَ، ط 3، سَنَةِ 2011م، ص 143 وَالشَّاهِدُ الصَّرْفِيُّ فِيهِ: بِنَاءُ عَارِفٍ عَلَى عَرِيفٍ لِإِرَادَةِ الْوَصْفِ بِالْمَعْرِفَةِ دُونَ إِرَادَةِ الْفِعْلِ، سَبِيوِيَّةٌ، الْكِتَابُ، ج 4، ص 7.

(6) -ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة-بيروت-ط 2، سنة 1986م، ص 562.

(7) -ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط 2، 2003م، مج 2، ص 26.

(8) -أبو الحسين أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة ولسان العرب في كلاهما، تحقيق: مصطفى الشومري، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط 1، 1964، ص 225.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

المدح أو الذم، ويُعاملُ مُعاملة نِعَمَ وَبِئْسَ في جميع ما تقدّم لهما من الأحكام»⁽¹⁾

هَذَا وَقَدْ تَنَبَّهَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ المُحَدِّثِينَ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَيْضًا، يَقُولُ الْبَاحِثُ فَاضِلُ السَّمْرَائِيِّ: «وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الضَّمَّةَ مِنْ أَقْوَى حَرَكَاتِ التَّحَوُّلِ فِي الصِّفَاتِ عَلَى أَنَّ يَكُونُ (فَعْلًا) بِضَمِّ الْعَيْنِ أَيْضًا، وَمَعْنَى التَّحَوُّلِ فِي الصِّفَاتِ أَنَّ تَتَحَوَّلُ الصِّفَةُ لِتُفِيدَ الثَّبُوتَ فِي صَاحِبِهَا، أَوْ عَلَى وَجْهِ قَرِيبٍ مِنَ الثَّبُوتِ كَمَا فِي خَطْبَ وَخَطْبًا، وَبَلَّغَ وَبَلَّغًا، وَصَلَحَ وَصَلَحًا، فَخَطْبًا أَبْلَغُ مِنْ خَطْبًا... ثُمَّ إِنَّ أَفْعَالَ السَّجَايَا وَالغَرَائِزِ فِي الْغَالِبِ مِمَّا يَكُونُ عَيْنُهُ مَضْمُومَةً فِي الْمَاضِي نَحْو: فَبِحَ، وَحَسُنَ»⁽²⁾

وَذَهَبَ عَبْدُ الْفَتَّاحِ الْحَمُوزُ إِلَى أَنَّ هَذَا اللَّوْنُ مِنَ الشُّذُوذِ يُعَلَّلُ فِي ضَوْءِ الْمَغَالِبَةِ يَقُولُ: «وَلَعَلَّ هَذَا التَّغْلِيبَ يَعُودُ إِلَى أَنَّ الضَّمَّ أَقْوَى الْحَرَكَاتِ وَيُعَزِّزُ أَنَّ الْمَغَالِبَةَ أَسْلُوبٌ يَدُورُ فِي فَلَكِ الْعَلْبَةِ وَالْقَهْرِ وَالسَّيْطَرَةِ، فَأَعْطِيَ مَا يُنَاسِبُ هَذَا الْمَعْنَى وَيَلِئِمُهُ وَيُؤَكِّدُهُ، وَهُوَ تَغْلِيبٌ قَرِيبٌ مِمَّا طَالَعْنَا بِهِ ابْنَ جَنِّي: «وَعَلَّتُهُ عِنْدِي أَنَّ هَذَا مَوْضِعُ مَعْنَاهُ الْإِعْتِلَاءُ وَالْعَلْبَةُ، فَدَخَلَهُ بِذَلِكَ مَعْنَى الطَّبِيعَةِ وَالتَّحْزِيزَةِ الَّتِي تَغْلِبُ، وَلَا تُغْلَبُ، وَتُلَازِمُ وَلَا تُفَارِقُ، وَتَلِكُ الْأَفْعَالُ بِأَمَّا: (فَعْلًا يَفْعَلُ، نَحْو: فَفَقَهُ يَفْقَهُ، إِذَا أَحَادَ الْفِقْهَ، وَعَلَّمَ يَعْلَمُ، إِذَا أَحَادَ الْعِلْمَ»⁽³⁾⁽⁴⁾.

«وَوَبَعْدُ، فَيَبْدُو لِي أَنَّ اسْتِقْرَاءَ التَّحْوِيلِ وَالصَّرْفِيِّينَ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ اسْتِقْرَاءٌ بَيِّنٌ، إِذْ رَدُّوا هَذَا الشُّذُوذَ إِلَى الْحَمَلِ عَلَى الْمَعْنَى، مَعْنَى اللُّزُومِ، وَثَبُوتِ الْوَصْفِ الْمُتَوَافِرِ فِي بِنَاءِ (فَعِيلٍ) بِحَيْثُ حُمِلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَفْرَدَاتُ الشَّاذَّةُ، الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ بَابِ (فَاعِلٍ) الْمَشْتَقِ مِنَ الْإِلْزَامِ وَالْمُتَعَدِّيِ إِلَى بَابِ (فَعِيلٍ) الْمَشْتَقِ مِنَ الْإِلْزَامِ، لِأَنَّ التَّقْلُ مِنْ (فَعَلٍ وَفَعَلًا) الْمُتَعَدِّيِّ إِلَى (فَعْلًا) يُشْعِرُ بِاسْتِقْرَارِ الْمَعْنَى وَثَبُوتِ الْوَصْفِ فِي صَبَاحِهِ، فَلَمَّا صَارَ الْعِلْمُ طَبِيعَةً وَسَجِيَّةً فِي صَاحِبِهِ، قِيلَ (عَلِيمٌ) وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ سَارَتْ مَفْرَدَاتُ هَذَا الْبَابِ الشَّاذَّةُ»⁽⁵⁾

أما رضي الدين الاسترابادي في "شرح الكافية" فينفي صراحة قياسية أبنية وصيغ الصفة المشبهة بقوله: «صيغ الصفة المشبهة ليست بقياسية كاسم الفاعل واسم المفعول»⁽⁶⁾ وممن جأراه في ذلك-

⁽¹⁾-ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص 168.

⁽²⁾-فاضل صالح السمرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط2، 2006م، ص 101.

⁽³⁾-الحموز عبد الفتاح، ظاهرة التغليب في العربية، منشورات جامعة مؤتة، ط1، 1993، ص 147.

⁽⁴⁾-ابن جني، الخصائص، مج2، ص26.

⁽⁵⁾-حسن عباس الرفاعي، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، سنة 2006م، ص215-216.

⁽⁶⁾-شرح الرضي على الكافية في النحو لابن الحاجب، ج2، ص205.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

تقريباً- صاحب مُصَنَّف «فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف» حيث يَسْرُدُ علينا الأوزانَ السماعيةَ من المضموم اثني عشر وزناً بأمثلتها نحو: «(1) أَفْعَلُ كَ (أَحْمَقُ)، (2) وَ فَعَلَ كَ (حَسَنَ وَبَطَلَ)، (3) وَ فَعَالَ كَ (جَبَانَ، وَ حَصَانَ) (4)، (4) وَ (فُعَالَ كَفَرَاتٍ) (2)، (5) وَ فَعَلَ كَ (عَفَرَ) (3) وَ بَدَعَ (4) (6) وَ فَعَلَيْتِ كَ (عَفَرَيْتِ)، (7) وَ فَعُلُ بِضَمِّ فَسْكَونِ كَ (عُمَرُ) (5) وَ صُلْبٍ، (8) وَ فَعُولِ كَ (حَصَوْرٍ) أَي لَا شَهْوَةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ، (9) وَ فَاعِلٍ كَ (عَاقِرٍ وَ كَفَاجِرٍ وَ كِبَاسِلٍ) (6) (10) وَ فُعُلُ بِضَمِّهِمَا كَ (جُنُبٍ)، (11) وَ فَعَلَ بِفَتْحِ فَكْسَرٍ كَ (فَطِنٍ وَ حَشِينٍ)، (12) وَ فُعَالَ بِالضَّمِّ فَالتَّشْدِيدِ كَ (وَضَاءٍ) مِنْ وَضُوءٍ» (7).

ومن الأوزان السماعية مِنَ الْمَكْسُورِ اللَّازِمِ أَرْبَعَةٌ أوزان بأمثلتها الآتية: 1- فَعَلَ بِفَتْحِ فَسْكَونِ كَ (شَأَزٍ) مِنْ شَيْزَ الْمَكَانِ: حَشَنَ بِكَثْرَةِ الْحِجَارَةِ فِيهِ، 2- وَ فَعُلُ بِفَتْحِ فَضْمِ كَ (عَجَلُ) عَلَى وَجْهِهِ، 3- وَ فَاعِلٍ كَ (فَإِنْ وَ رَاضٍ) حَمَلًا لِفَنِي عَلَيَّ ذَهَبَ، وَلِرَضِيَّ عَلَى شُكْرٍ، لِلْمُوَافَقَةِ فِي الْمَعْنَى، 4- وَ فَعِيلٍ كَ (سَقِيمٍ وَ مَرِيضٍ)، حَمَلًا لِفَعْلِهِمَا عَلَى ضَعْفٍ لِلْمُنَاسَبَةِ فِي الْمَعْنَى، وَ كَ (بِحِيلٍ) عَلَى كَرَمٍ لِإِنْسَابَةِ الْمُضَادَّةِ.

وَمِنِ الْأَوْزَانِ السَّمَاعِيَةِ كَذَلِكَ مِنَ الْمَفْتُوحِ خَمْسَةٌ أَوْزَانِ:

1- فَعَلَ بِفَتْحِ فَسْكَونِ كَ (شَيْخٍ) مِنْ شَاخَ، 2- وَ فَعُلُ بِفَتْحِهِمَا كَ (عَزَبَ) وَهُوَ مَنْ لَا أَهْلَ لَهُ، 3- وَ فَعِيلٍ كَ (خَفِيفٍ) حَمَلًا لِيَخَفَّ عَلَى ثَقُلٍ لِلْمُضَادَّةِ، 4- وَ فَعِيلٍ بِفَتْحِ وَ كَسْرِ الْعَيْنِ كَ (طَيِّبٍ)، 5- وَ أَفْعَلَ كَ (أَشِيْبٍ) مِنْ شَابَ حَمَلًا عَلَى عَرَجٍ لِمُنَاسَبَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَعْرَاضِ (8).

وَ ذَهَبَ صَالِحٌ بَلْعِيدٍ فِي كِتَابِهِ الْجَامِعِيِّ الْمَوْسُومِ بِ «الصَّرف والنحو، دراسة ووصفية تطبيقية» إِلَى أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ قَرَّرَ بِقَوْلِهِ: «و تُبْنَى الصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ مِنَ الثَّلَاثِي اللَّازِمِ عَلَى أَوْزَانٍ سَمَاعِيَةٍ، وَ تَرِدُ مِنْ أَبْوَابِ الْفِعْلِ الثَّلَاثِي اللَّازِمِ، وَ تُبْنَى مِنْ غَيْرِ الثَّلَاثِيِّ بِقَلْبِ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ مِيمًا مضمومة و كسر ما»

(1)- حَصَانٌ، امْرَأَةٌ حَصَانٌ: عَفِيفَةٌ أَوْ مَتْرُوجَةٌ، الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، مَادَّةُ (حَصَن) مَج 4، ص 214.

(2)- فِرَاتٌ كُفْرَابٌ: الْمَاءُ الْعَذْبُ جَدَا وَ نَهْرٌ بِالْكُوفَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، مَادَّةُ (فِرَاتِ)، مَج 1، ص 154.

(3)- عَفْرٌ: خَبِيثٌ مُنْكَرٌ، الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، مَادَّةُ (عَفْرٍ)، مَج 2، ص 104.

(4)- بَدَعَ، الْبِدْعُ بِالْكَسْرِ: الْأَمْرُ الَّذِي يَكُونُ أَوَّلًا: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، مَادَّةُ (الْبِدْعِ) مَج 3، ص 3.

(5)- عُمَرُ، بِالضَّمِّ وَ يُفْتَحُ: مَنْ لَمْ يُجَرَّبِ الْأُمُورَ، الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، مَادَّةُ (الْعُمَرِ)، مَج 2، ص 104.

(6)- بِاسِيلٌ: شَدِيدٌ أَوْ شَجَاعٌ وَ الْجَمْعُ بِسَلَا وَ يُسَلُّ، ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (يَسَلُّ)، ج 1، ص 411.

(7)- عُمَرُ بُو حَفْصِ الزَّمُورِيِّ، فَتْحُ اللَّطِيفِ فِي التَّصْرِيفِ عَلَى الْبَسْطِ وَ التَّعْرِيفِ، ص 408.

(8)- الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص 408-409.

قبل الآخر»⁽¹⁾

ولم يكتفِ صالحٌ بلعيديٌ بما سبق فحسب بل جَاءنا بنموذج طويل وعريض للصفة المشبهة-على حدِّ قوله- والتي لا تعتمد أوزاناً مُتعارفاً عليها يبلغ تعدادها أربعة وثلاثين بناءً فيه المتجانس وفيه المختلفُ في الشكل والصورة من بينها على سبيل المثال- لا الحصر-: (فَرِحُ) من فَرِحَ، و(عَطَشَانُ) من عَطَشَ، وَجَوَعَانُ من جَاعَ، و(شَرِيفُ) من شَرُفَ، و(ضَخْمُ) من ضَخِمَ، و(صَلْبُ) من صَلَبَ، و(أَحْمَرُ) من حَمَرَ، و(أَعْمَى) من عَمِيَ، وَحَسَنٌ من حَسُنَ، وَطَاهِرٌ من طَهَرَ، و(مَوْفُورٌ) من وَفَرَ»⁽²⁾.

وَيُواصل الباحث الجزائري حديثه ليقول: «وَيَرى المجمعون عدمَ مُسَايَرَةِ رأيي القدامى في مَنع مجيء صيغَةِ (فَعُول) من الفعل اللازم للمبالغة أو الصفة المشبهة بناءً على أن أمثلة المبالغة إنما تجيء من المتعدي، وأن صيغ الصفة المشبهة ليس من القياس فيها ص يغة (فَعُول)»⁽³⁾

ليعود مرة أخرى فيقول -مستشهدا- برأي المجمعين: «ونظرا لما استحدثت من أمثلة كثيرة على وزن(فَعُول)⁽⁴⁾ من الأفعالِ اللازمة يرى المجمعون قِيَاسِيَّةَ صوغ(فَعُول) عند الحاجة على الصِّفَةِ المشبَّهة، وقد تكون للمبالغة بحسب مقاماتِ الكلام»⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

وفي هذه الآراء والأقوال التي تذهب إلى أن أبنية وصيغ الصِّفَةِ المشبَّهة سماعية وليست بقياسية القول: «إنه إذا كان رضي الدين الاستراباذي(ت686هـ) في «شرح الكافية» يقصد بعدم قياسية صيغ الصفة المشبَّهة مثل قياسية اسم الفاعل، واسم المفعول من حيث القوة والضعف في كليهما،

(1)-صالح بلعيد، الصرف والنحو: دراسة وصفية تطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، -بوزريعة-الجزائر العاصمة، 2003م، ص 104.

(2)-المصدر نفسه، ص ص 104-051

(3)-المصدر نفسه، ص 105.

(4)-أَبُوقِ/أَتُومِ/أَجُوجِ/أَرُونُ/أَزُوجِ/أَشُوجِ/أَشُوحِ/أَصُوصِ/أَفُوكِ/أَلُوبِ/أَلُوكِ/أَمُونِ/أَنُوحِ/أَنُوسِ/بَتُولِ/بَيُوضِ/بِرُوكِ/جَزُوعِ/حَرُونِ/حَصُورِ/حَنُونِ/حَشُوعِ/حَضُوعِ/حَنُوعِ/دَلُوجِ/دَلُوحِ/دَلُوحِ/دَلُوحِ/دَلُوحِ/ذَلُوقِ/ذَلُوقِ/ذَلُولِ/ذَهُوبِ/رَجُوفِ/رَسُومِ/رَقُوعِ/سَبُوحِ/سَكُوتِ/سَكُورِ/شَرُودِ/شَطُونِ/شَعُوبِ/شَمُوسِ/صُؤُولِ/صَبُورِ/صَدُوحِ/صَدُوقِ/صَلُودِ/صَمُوتِ/صَمُولِ/ضَحُوكِ/ضَلُوعِ/ضَلُولِ/طَرُوبِ/عَبُوسِ/عَتُورِ/عَجُولِ/عَرُوبِ/عَزُومِ/عَسُوفِ/عَفُوقِ/عَلُوقِ/غَدُورِ/غَشُومِ/غَضُوبِ/غَيُورِ/غَيُومِ/فَخُورِ/فَرُوقِ/فَيُوضِ/فَتُوتِ/قَرُودِ/قَرُونِ/قَطُوبِ/قَطُورِ/قَعُودِ/قَنُوطِ/قَنُوعِ/كَوُودِ/كَذُوبِ/كَسُومِ/كَفُورِ/كَهُودِ/لَجُوجِ/لَجُونِ/لَحُوحِ/لَعُوبِ/مَرُوحِ/مَثُونِ/نُؤُومِ/نَجُوحِ/نَجُوعِ/نَحُورِ/نَزُوحِ/نَزُورِ/نَزُوعِ/نَزُوفِ/نَسُولِ/نَشُوصِ/نَشُوطِ/نَصُوحِ/نَصُوحِ/نَضُوضِ/نَطُوفِ/نَعُورِ/نَفُودِ/هَتُوفِ/هَلُوعِ/هَيُومِ/وَلُودِ/وَلُوعِ/يُؤُوسِ.

(5)-محمد خلف الله أحمد، محمد شوقي أمين إخراج وضبط وتعليق: كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، سنة 1969م، ج2، ص ص3-5.

(6)-صالح بلعيد، الصرف والنحو: دراسة وصفية تطبيقية ص ص105،104.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

حيث أن هذين الأخيرين هما الأقوى في ميزان القياس فهذا مما لا نختلف فيه معه، وأمّا إذا كَانَ يقصد إلى نفي انقياس أبنية وصيغ الصفة المشبهة إطلاقا فهذا ممّا لا نُجاريه فيه ولا نقبله البتة لسبب وحيد نراه وَجِيهاً هو وفرة أمثلتها ومُفرداتها وتراكيبها على مستوى جنس المنظوم عامة، وعلى مستوى جنس المنثور على وجه الخصوص لا سِيماً- النص القرآني-الثري بهذه الصفات صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى نحو: الخبير، الحكيم، السميع، العليم، الملك، الرحمان، الرحيم، القدوس، العزيز، المؤمن، المهيمن، الجبار، المتكبر، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، القابض، الباسط، المعز، المذل، الخالق وغيرها الذي يصل تقريبا إلى المئة والتي جاءت في الموسوعة التفسيرية الموسومة ب: «أسماء الله الحسنى» لمحمد راتب النابلسي⁽¹⁾.

وهذه الصفات والأسماء التي هي لله تبارك وتعالى، والثابتة له، لازالت في نظرنا في حاجة ماسة، ليست على المستوى العقدي أو الديني البحت فحسب، بل على المستوى التحوي والصرفي واللغوي إلى دراسة مستقلة مكيئة مُستوعبة، ذلك أن هذه الأسماء والصفات مهما تباينت صورها وأشكالها، ومظاهرها، وأبنيته، ودلالاتها، ومضامينها ومسمياتها من اسم فاعل، واسم مفعول: وصيغ مبالغة وغيرها، إلا أن مواصفات الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام والملازمة تظل لاصقة وعالقة بها-في تقديرنا-من باب أنها حقٌ وواجب في ذات الله-عز وجل-المتزهة، الثابتة في أوصافها وأسمائها الكاملة، المتزهة عن كل نقص، البريئة من كل عيب وضعف في خلقها، وربوبيتها، وقدرتها، وتصرفها، وتديبرها، وعلمها الشامل بكل صغيرة وكبيرة في أي لحظة، وحكمتها الدقيقة، وهيمنتها المطلقة على كل شؤون الخلق وجميع الكائنات ظاهرها وخفيها.

والكلام نفسه يَنسحب على صاحب مصنف «فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف» السالف ذكره، والذي ساق إلينا جملة من الأبنية والأوزان يزعم أنّها جميعا سماعية نحو: «أَفْعَلٍ» و«فَعَلٍ» و«الْفَعَالِ» و«فُعَالٍ» و«فُعَلٍ» و«فَعُولٍ» و«فَعِلٍ» و«فَعِيلٍ» وغيرها، وإذا كان هذا الكم الهائل المعتبر كله أوزاناً سماعية، ويستوجب علينا الوقوف منه عند المسموع منه الذي لا يتعداه إلى غيره، مع إمكان القياس على كل وزن منه لاستنباط عشرات من الصيغ والمفردات والأبنية التي نحن أحوج ما نكون إليها في وقتنا الراهن، ويمكننا أن نأتي بمثال واحد لدعم وتأييد اعتراضنا على ما يذهب إليه عمر بوحفص الزموري «الموجود في الأحد والسبعين من القرن الرابع عشر من

⁽¹⁾ -محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الحسنى، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق-سورية، طب 5، سنة 2008م، ص 117-118.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

المهجرة»⁽¹⁾ من الأوزان التي يحصرها في زاوية المسموع بصيغة (فَعُول) وهي عنده من الأوزان السماعية، التي صارت اليوم- بعد دراستها والنظر فيها من قبل مجمع اللغة العربية بالقاهرة والنظر في هذه الأمثلة الكثيرة التي تُعدُّ بالمئات- مُتداولةً في المجالات اليومية الحيوية، وفي شتى الميادين والقطاعات العلمية منها والأدبية، والفكرية والثقافية والاجتماعية، والصناعية والاقتصادية.

كما أننا نعترض على الباحث الجامعي الجزائري المعاصر صالح بلعيد في مجارته لأصحاب الرأي القائل ببناء الصفة المشبهة من الثلاثي على أوزان سماعية بتقدمه لنا نماذج مختلفة الأوزان لا تعتمد أوزاناً متعارفاً عليها.

والحق أن الصفة المشبهة لا تُصاغ من الثلاثي اللازم المتصرف وحده بل تصاغ أيضاً من غيره من المزيد اللازم- وهذا باتفاق جمهور علماء العربية القدماء منهم والمحدثين- كما تقدم معنا هنا في المباحث السالفة ذكرها- نحو: مُنْطَلِقُ اللسان، مستقيم الرأي، منبسط الوجه، منشرح الصدر، مُطمئن القلب، منقبض الأسارير، منطوي النفس، مشتت الذهن، منكمش البشرة، مُسَدَلُ الإزار، مستطيل الحية، منتفخ البطن، عريض المنكبين إلى غير ذلك من الأمثلة والمفردات التي تصب في هذا السياق مما لا يمكن حصره وعده في هذا المقام.

كما أن الأمثلة التي ذكرها نحو: فَرِحَ، عَطَشَانَ، شَرِيفَ، ضَحَمَ، أَحْمَرَ، حَسَنَ يمكن أن نجد ما يطابقها عدداً مُعتبراً يكفي للقياس عليها والتسج على منوالها، وقوالبها مئات الأمثلة والنماذج الأمر الذي يجوز لنا أن نُدرجها ضمن نظيرتها لتصير أبنيةً وأمثلةً صالحة لقياس غيرها عليها مما يُستحدث ويُحتاج إليه في جميع الميادين الحياتية الحيوية للإنسان.

والرأي الراجح عندنا في هذا الشأن أن الحاجة الحياتية الحيوية اليومية قد أصبحت ملحة أكثر من أي وقت مضى، لذلك فقد حان الوقت لهذه المفردات والأبنية والصيغ أن تأخذ مكانها المناسب لها لكي تواكب العربية هذا التطور الحضاري الإنساني الهائل التي تشهده المعمورة كل يوم، وفي كل لحظة في مختلف قطاعات الحياة الإنسانية المادية منها والروحية، والأدبية، والفكرية والفلسفية على حدٍ سواء⁽²⁾.

وإذا كانت الحاجة اليومية الحيوية تمارس ضغطها الشديد علينا، فكيف نرضي ببقاء العربية محصورة ضمن أبنية وأوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل القديمة القليلة العدد، وإهمال هذا الكم الأعظم المستحدث منها على الرغم من قدرتها وقابليتها للنماء والنهوض والتطور السريع ومن ثمَّ

(1)-عُمر بوحفص الزموري، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ص 13.

(2)-أنظر ص ص 64، 68 من هذا البحث.

الفصل الأول..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

مواكبة الزمن وأيِّ زَمَن؟ وكذلك التكيف الملائم مع ظروف الحياة العصرية المستجدة المادية منها والروحية، وملابسها، وتغيراتها، واكتشافاتها العلمية والأدبية والصناعية، كل ذلك سيتحقق-لا محالة-بجهود أبنائها المتواصلة، وبفضل ما تمتاز به العربية في أصولها، وجذورها، ومفرداتها، وتراكيبها من حيوية، ومرونة، وطواعية، وخفة، ورشاقة واتساع، واستيعاب أصواتها وحروفها لجميع مخارج الجهاز الصوتي الإنساني.

«إضافة إلى تلك الخاصية الاشتقاقية التي تكاد تنفرد بها وسائر أخوتها السامية من حيث الكثرة والتنوع والتوالد الطبيعي الذاتي المستمر في مفرداتها وصيغها، وجملها، وتراكيبها، وكذا انفتاحها وقدرة الفائقة على استيعاب المعرب، والدخيل الأجنبي كيفها كان زيّه، ولونه وصورتها»⁽¹⁾

وللتدليل على ما تقدم أن قررناه عن خاصية الاشتقاق التي تمتاز بها العربية لننظر-على سبيل المثال لا الحصر-في مادة:(ك،ت،ب) وما لها من أبنية وصيغ وصور مختلفة تتبدل وتتغير في دلالاتها ومعانيها كلما تغيرت من صورة إلى صورة أخرى، ومن شكل إلى شكل آخر نحو: كَتَبَ التلميذُ الدرسَ، جَلَسْتُ على مَكْتَبِ أخي أدبجُ رسالةً، أَكْتُبُ كِتَابَةً حَسَنَةً، نَقَحَ الكَاتِبُ كِتَابَهُ، الدَّرْسُ مَكْتُوبٌ على الكِرَّاسِ، اشْتَرَيْتُ كُتُبًا مُفِيدًا، أَنْجَزْتُ التَّمْرِينَ الكِتَابِيَّ.

فالكلمات:(كَتَبَ)، (مَكْتُبٌ)،(أَكْتُبُ)،(كِتَابَةٌ)،(الكَاتِبُ)، (كِتَابٌ)، (مَكْتُوبٌ)،(الكِتَابِيُّ) منها ما هو فعلٌ ومنها ما هو اسم، وهي جميعاً تشترك في حروف ثلاثة هي: الكَافُ، والتَّاءُ، والباءُ:(ك-ت-ب) وتختلف في غير هذه الحروف، فتؤدِّي لذلك معاني ودلالاتٍ مختلفةً فالصيغة(كَتَبَ) تدل على حدوث الكتابة في الزَّمن الماضي، وصيغة(مَكْتُبٌ) تدلُّ على مكان حدوث الكتابة، والصيغة (أَكْتُبُ) تدل على حدوث الكتابة في الزَّمن الحاضر، والصيغة(أُكْتُبُ) تدل على طلب القيام بالكتابة، والصيغة(كِتَابَةٌ) تدل على مجرد الكتابة، والصيغة(الكَاتِبُ) تدل على مَنْ يقوم بالكتابة-عادةً-والصيغة(مَكْتُوبٌ) تدل على مَنْ وَقَعَت عليه الكِتَابَةُ، والصيغة(كُتُبًا) تدلُّ على أَنَّ ما كَتَبَ فيه(أي الكتاب) صغير الحجم، والصيغة(الكِتَابِيُّ) تدلُّ على أَنَّ التمرين نُسِبَ إلى الكِتَابَةِ.

وَاللَّافِتُ للنظر هنا أَنَّ كل كلمة من هذه الكلمات هي صيغ صرفية أُشْتُقَّتْ لتدل على معانٍ ودلالاتٍ مختلفة جارية على نطاقٍ واسعٍ في الاستعمال التعبيري الكلامي اليومي للأفراد والجماعات على اختلاف وتباين مستوياهم العلمية والثقافية والمهنية والاجتماعية، وانظر كذلك إلى صيغة(فَعِيل)

⁽¹⁾-أبو منصور الجواليقي النحوي اللغوي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، نشرة أحمد شاكر، دار الكتب المصرية (د،ط)، سنة 1940م، ص ص11، 12.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

في بنائها الثابت كيف تدل على معان ودلالات متباينة وهي ضمن السياق والتركييب الكلامي المتعدد، المتنوع، المتلون، فقد تأتي هذه الصيغة-مثلا-بمعنى:

-المصدر نحو: رحيل وذمِيل.

-فَاعِلٍ نحو: عَلِيم، وَسَمِيعُ أَي عَالِمٌ وَسَامِعٌ.

-مفعولٍ نحو: قَتِيلٌ، وَجَرِيحٌ أَي مَقْتُولٌ وَبَجْرُوحٌ.

-الصِّفَةُ المَشْبَهَةُ نَحْو: كَرِيمٌ، وَحَمِيلٌ، وَشَرِيفٌ، وَوَضِيعٌ، وَفَقِيهٌ...الخ.

-مُفَاعِلٍ بضم الميم وكسر العين نحو: حَلِيسٌ، وَسَمِيرٌ أَي مُجَالِسٌ وَمُسَامِرٌ.

-مُفَعِّلٍ بضم الميم وفتح العين نحو: حَكِيمٌ أَي مُحَكِّمٌ.

-مُفَعِّلٌ بضم الميم وكسر العين نحو: بَدِيعٌ أَي مُبْدِعٌ.

ويجدر التنبيه هنا أنه إذا كان (فَعِيلٌ) هذا بمعنى (فَاعِلٍ) أو (مُفَاعِلٍ) أو الصفة المشبهة لحقته تاء التأنيث في المؤنث نحو: رَحِيمَةٌ، وَجَلِيسَةٌ، وَنَدِيمَةٌ، وإذا كان بمعنى (مُفَعِّلٍ) يستوي فيه المذكر والمؤنث إن تَبِعَ موصوفه نحو: رَجُلٌ جَرِيحٌ، وَأَمْرَأَةٌ جَرِيحٌ⁽¹⁾

ونخلص-الآن-في نهاية هذا المبحث، أن كل لغة-في الوقت الراهن خاصة-لا يكون هذا شأنها في سلم النمو والتطور والنهوض والتوالد الدائب المستمر، بالفعل الذاتي والفعل الخارجي، وفي سلم الاتساع، والامتداد، والانتشار بشكل لائق، مُرَضٌ، مواكبة لهذه التسابق الحضاري التكنولوجي والصنّاعي، والعوامة المهيمنة هي لغة مَحْكُومٌ عَلَيْهَا وعلى أهلها بالتبعية الدائمة، ومن ثمّ الجمود والتحجر والفناء والذوبان-في غيرها-إلى أبداً بدين.

(1)-هادي نهر، الصرف الوائي، ص153.

خلاصة الفصل الأول:

وخلاصة القول في هذا الفصل إنّ صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل، وهي من المباحث الصرفية قد جاءت في الدرس اللغوي القديم مختلطة بالموضوعات والمسائل النحوية، فهذا سيبويه وهو الرائد الأوّل للنحو والصرف نراه في كتابه يخلط بعض المسائل النحوية بالصرفية وهذا - في تقديرنا - لا يُعد عيباً أو خطأً من سيبويه، لأنّ النحو والصرف وسائر العلوم العربية - تقريباً - كانت تشكل موضوعاً واحداً، أو جزءاً لا يتجزأ من بعضها؛ وهذا شأن بداية كل علم وفن يظهر ناقصاً ثم ينمو ويتطور تدريجياً إلى أن ينضج ويكتمل.

وإذا سلمنا بان سيبويه هو الرائد الأوّل في هذا المضمار اللغوي الدقيق الخفي المتداخل العناصر؛ والمشارك في كثير من الخصائص فليس يعني ذلك أنّه انطلق من لا شيء بل ارتكز على بعض علماء اللغة الذين سبقوه إلى مضمار علم الصرف، وإن لم تصل إلينا مؤلفاتهم، ولم يكن هناك من تناول في عصرهم الموضوعات التي عالجها هؤلاء العلماء بالبحث والدّرس، فيعود الفضل في ذلك كله إلى سيبويه الذي جمع هذه المسائل والموضوعات الصرفية منها والنحوية وحاول تبويبها وتنظيمها؛ والتنسيق فيما بينها حتى جاءت في صورة مقبولة واضحة مكنت من جاء بعده من التعديل؛ والتنظيم؛ والإضافة، والتوضيح بالأمثلة والشواهد اللغوية العربية الفصيحة الحية مثلما فعل أبو عثمان المازني في كتابه الموسوم بـ "التصريف"، الذي ضم موضوعات ومسائل صرفية خالصة؛ هذا المصنف المستقل في موضوعه الذي بادر العالم اللغوي أبو الفتح ابن جني بتقديم شرح له أسماه "المُنصف في شرح التصريف"، هكذا وبطريقة تدريجية ممتازة أخذ علم التصريف يستقل عن علم النحو بموضوعاته وقضاياها الصرفية الخالصة.

هذا ورغم استقلال علم الصرف بمسائله وموضوعاته خاصّة بظهور منصف "الشّافية في الصرف" لابن الحاجب الذي قدم له بشرح جيد وفريد الشيخ رضي الدّين الاسترأبادي النحوي.

غير أنّ بعض موضوعات الصرف وقضاياها لا زالت حتى اليوم لم تنل حظها من البحث والدرس الكافيين مثل: الاشتقاق، وأنواع المشتقات عامة، وصيغ الصفة المشبهة وأوزانها بوجه خاص، فلم نرَ حتى الآن حسب علمنا دراسة مستقلة شافية دقيقة شاملة متعمقة لها سواء أكان على المستوى النظري أو المستوى التطبيقي المشفوع بالأمثلة والشواهد القرآنية، والشعر العربي وكلام العرب الفصيح.

الفصل الأول.....الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي العربي

وبناء على ذلك فصيغ المشبهة باسم الفاعل وأبنيته المختلفة لا يزال يشوبها كثير من اللبس والغموض في جوانب كثيرة نحو: تحديدها، واشتقاقها، وتداخلها ببعضها، وعلاقتها مع غيرها من أنواع المشتقات، ووظيفتها الإعرابية، ودلالاتها؛ وأغراضها العديدة المتنوعة في الأفراد، والتركيب والسياق، إضافة إلى إشكالية انقياسها جميعاً، أو عدم انقياسها على الإطلاق، أو انقياس بعض صيغها أو أبنيته وعدم انقياس صيغ وأبنية أخرى أو هي جميعاً سماعية يتوقف فيها عند المسموع من كلام العرب والقرآن الكريم من المفردات والأبنية العربية الفصيحة فحسب.

الفصل الثاني:

الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير

(ظلال القرآن)

صيغة (فعل-فاعل-فعل).

المبحث الأول: دلالة صيغة (فعل).

- صيغة (فعل) معرفة.

- صيغة (فعل) نكرة.

المبحث الثاني: دلالة صيغة (فاعل).

- صيغة (فاعل) معرفة.

- صيغة (فاعل) معرفة.

- صيغة (فاعل) نكرة.

المبحث الثالث: دلالة صيغة (فعل).

- صيغة (فعل) معرفة.

- صيغة (فعل) نكرة.

المبحث الأول:
ولالة صيغة (فَعِيل).

- صيغة (فَعِيل) معرفة.

- صيغة (فَعِيل) نكرة.

- دلالة صيغة (فَعِيل) صورة ودلالة:

والمقصود بالتعريف بصيغة فعيل في هذا المقام مجيء الصفة المشبهة على هذا الوزن بالذات، يقول سيبويه في الكتاب: «وقد يجيء الاسم فعيلًا نحو: مَرَضٌ يَمْرُضُ مَرَضًا وهو مريض، وقالوا: سَقِمَ يَسْقَمُ سَقَمًا وهو سَقِيمٌ؛ وقال بعض العرب: سَقَمَ، كما قالوا: كَرُمَ كَرَمًا وهو كَرِيمٌ، وَعَسَرَ عَسْرًا وهو عَسِيرٌ، وقالوا: السُّقْمُ كَمَا قالوا: الحُزْنُ، وقالوا: حَزِنَ حَزَنًا وهو حزين جعلوه بمنزلة المرض لآته ذاء، وقالوا: الحُزْنُ كَمَا قالوا: السُّقْمُ»⁽¹⁾.

ذكر سيبويه هذه المواد اللغوية عن وزن فعيل تحت باب سماه: هذا باب ما جاء من الأدواء على مثالِ وَجَعٍ يَوْجَعُ وَجَعًا وهو وَجَعٌ لتقارب المعاني.

ويلاحظ أن سيبويه عبّر هنا عن مصطلح الصفة المشبهة باسم الفاعل الشائع اليوم - بمصطلح الاسم العام حينما قال: وقد يجيء الاسم فعيلًا وهو مريض وهو سَقِيمٌ؛ وهو كَرِيمٌ؛ وهو عَسِيرٌ؛ وهو حزين، يقصد بجيء الاسم فعيلًا وهو مَرِيضٌ وهو سَقِيمٌ؛ وهو كَرِيمٌ؛ وهو عَسِيرٌ؛ وهو حزين، يقصد بذلك الصفة المشبهة؛ وكل هذه المفردات ودلالاتها تدخل ضمن فضاء الآلام والأدواء والأوجاع سواء ما كان منها آلامًا وأوجاعًا حسية مادية أو معنوية؛ ملمحًا إلى أن هذه الأمثلة والأبينة والمفردات هي التي يمكن لنا الاقتداء بها والنسج على منوالها في هذا المضمار الطويل الشاسع.

ويقول صاحب الكتاب أيضا: «أما ما كَانَ حُسْنًا أو قُبْحًا فَإِنَّهُ مِمَّا يُبْنَى فَعْلُهُ عَلَى فَعْلٍ يَفْعُلُ؛ ويكون المصدر فعلاً وفعالة وفعلاً؛ وذلك قولك: قَبِحَ يَقْبُحُ قُبْحًا؛ وبعضهم يقول: قُبُوْحَةٌ، فبناه على فُعُولَةٍ كَمَا بَنَاهُ عَلَى فَعَالَةٍ.

وَوَسْمٌ يَوْسُمُ وَسَامَةً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَسَامًا فَلَمْ يُوْتِّثْ؛ كَمَا قَالَ: السَّقَامُ وَالسَّقَامَةُ وَمِثْلُ ذَلِكَ جَمَلٌ وَجَمَالًا، وَتَجِيءُ الْأَسْمَاءُ عَلَى فَعِيلٍ؛ وَذَلِكَ: قَبِيحٌ، وَوَسِيمٌ، وَجَمِيلٌ، وَشَقِيحٌ وَذَمِيمٌ»⁽²⁾.

ولا يزال سيبويه يذكر أشياء مفردات أخرى عن وزن فعيل؛ لكن هذه المرة تحت باب من نوع آخر سماه: هذا باب أيضًا في الخصال التي تكون في الأشياء؛ هذه الخصال التي يطبق عليها مصطلح الأسماء لا مصطلح الصفات؛ وهذا واضح من أن سيبويه يعد الصفات في الأسماء ويفرق بينها وبين غيرها من الأسماء أنها تتعلق بخصال الحسن والقبح سواء أكان ماديًا حسيا أو معنويًا أدبيًا.

(1) _ الكتاب، سيبويه، ج4، ص 17.

(2) _ المصدر نفسه، ج4؛ ص 28.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«وقد يبينون الاسم على فَعَل، وذلك نحو: ضَخَم، وفَخَم؛ وَعَبَل⁽¹⁾... وقد يُقال للإنسان قليل كما يُقال قصير؛ فقد وافق ضده وهو العظيم... وقالوا: شَجَع شَجَاعَةً وهو شَجَاعٌ، وقالوا شَجِيعٌ؛ وفَعَالٌ أَخُو فَعِيلٍ... وقد بنوا الاسم على فَعَالٍ كما بنوه على فَعُولٍ فقالوا: جَبَانٌ؛ وقالوا: وقُورٌ، وقالوا: الوقارَة، كما قالوا: الرزّانة... وقالوا: وكيلٌ ووَصِيٌّ وجَرِيٌّ، كما قالوا: أميرٌ، لأنّها ولاية؛ ومثل هذا لتقاربه: الجَلِيسُ/ والعَدِيلُ، والضَّجِيعُ؛ والكَمِيع⁽²⁾، والخَلِيطُ، والنزِيع⁽³⁾، فأصلُّ هذا كَلَّةُ العَدِيلِ⁽⁴⁾.

وقد جاء فَعَلٌ قالوا: حَصَمٌ، وقالوا: حَصِيمٌ، وما أتى من العَقْلِ فهو نحو من ذَا، قالوا: حَلَمٌ يَحْلُمُ حَلِمًا وهو حَلِيمٌ فجاء فَعَلٌ في هذا الباب كما جاء فَعَلٌ فيما ذكرنا.

وقالوا: ظَرْفٌ ظَرْفًا وهو ظَرِيفٌ؛ وقالوا: عِلْمٌ عِلْمًا؛ وقالوا: عِلِيمٌ كما قالوا: عِلِيمٌ كما قالوا: حَلِيمٌ، وقالوا: فِقَهٌ وهو فَقِيهٌ، والمصدر فِقَهٌ، كما قالوا: عِلْمٌ عِلْمًا وهو عِلِيمٌ...»⁽⁵⁾.

ولم يُفتَ سيبويه أنَّ الصِّفَةَ المشبَّهة من باب «فَعَلٌ» المضموم العين قد تأتي على صور وأبنية مختلفة على الرغم من أنها تأتي غالباً على وزن «فَعِيلٌ»: «ككريمٍ؛ وعظيمٍ؛ وحَقِيرٍ؛ وسَمِيحٍ، وحَكِيمٍ، ورئِيسٍ؛ وظَرِيفٍ؛ وشَرِيفٍ؛ وبخِيلٍ، وجمِيلٍ؛ وقَبِيحٍ، ووَضِيءٍ؛ وطَهِيرٍ؛ ومَرِيضٍ؛ وسَقِيمٍ؛ وعَسِيرٍ؛ ونَشِيطٍ؛ وكَبِيرٍ، وصَغِيرٍ، وقليلٍ وكَبِيرٍ، ومَلِيحٍ؛ ووَسِيمٍ وغيره كثير كثيرة تسمح بانقياسه واطراده وبناء القاعدة عليه.

غير أن الاستقراء وتتبُّع كلام العرب أثبتَ مجيء أبنية وضع أخرى من باب «فَعَلٌ» المضموم العين؛ فقد تأتي الصفة المشبهة منه على «فَعِلٌ» مخفف: كـ(خَشِنٌ)، وسَمِحٌ، وطَهْرٌ؛ وعلى «فَعَلٌ» مخفف «فَعَلٌ» كضخَمٌ، وشَهْمٌ؛ وفَخَمٌ؛ وصَعَبٌ؛ وسَمِجٌ؛ وسَمَحٌ وعلى "فَعَلٌ" بفتح عين "فَعَلٌ": كـ(بَطَلٌ)؛ و(حَسَنٌ)؛ وعلى "فَعَالٌ"؛ بزيادة ألف المد على "فَعَلٌ" كـ(جَبَانٌ)؛ و(حَصَانٌ)، و(رِزَانٍ)؛ وعلى "فَعَالٌ": كـ(شَجَاعٌ)؛ و(صُرَاحٌ)؛ وعلى "فُعَلٌ" بضم فسكون: كـ(صُلْبٌ)؛ و(حُلُوٌ)، و(حُرٌّ)، و(مُرٌّ)؛ وعلى "فُعَلٌ" بضمين - كـ(جُنُبٌ)؛ وعلى "فُعُولٌ": كـ(وقُورٌ)، و(طَهُورٌ)؛ وعلى "فاعِلٌ" كـ(طَاهِرٌ) و(فَاضِلٌ).

(1) العَبَلُ: الضخم من كل شيء؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عبل)، ج9، ص 24.

(2) الكَمِيعُ للمرأة: الضجيج لها، المصدر السابق، مادة (كمع)؛ ج12، ص 157.

(3) التزيع: الشريف من القوم الذي نزع إلى عرق كريم، المصدر نفسه، مادة (نزع)؛ ج14، ص 107.

(4) العَدِيلُ: التظير والمثيل، المصدر نفسه؛ مادة (عدل)، ج9، ص 84.

(5) سيبويه، الكتاب، ج4، ص 30، 31، 34.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وقد دفع هذا التداخل في اللغات عند العرب الفصحاء والتعدد فيها بشأن صيغ الصفة المشبهة وأوزانها إلى القول بعدم قياسيتها عامة وبناء "فعل" على وجه الخصوص من قبل بعض العلماء القدماء منهم والمحدثين كما أشرنا إلى ذلك في مبحثه الخاص به⁽¹⁾.

لأن جمهور العلماء القدماء منهم والمحدثين يقول بغلبة مجيء باب "فعل" على "فعل" وهو كثير كثرة بجزر اطراده والقياس عليه، وما جاء بخلاف ذلك فهو قليل شاذ لا يصح إتباعه والاتفات إليه؛ يقول رضي الدين الاسترأبادي في هذا المقام: «أقول: الغالب في باب فعل فعيل؛ ويجيء فعلاً - بضم الفاء وتخفيف العين - مبالغة فعيل في هذا الباب كثيراً؛ ولكنّه مطرد؛ نحو: طويل و طوأل؛ وشجيع وشجاع؛ ويقل في غير هذا الباب كعجيب وعجاب فإن شددت العين كان أبلغ كطوأل؛ ويجيء على فعل كخشين؛ وعلى أفعل كأخشن وخشناء؛ وعلى فاعل كعاقراً»⁽²⁾.

وقد أيد وزكى مجمع اللغة العربية هذا الاتجاه أي القول بجواز الصياغة على وزن «فعل» حيث يُصغّر بقوله: «يُصاغ "فعل" بفتح الفاء بمعنى المبالغة أو الصفة المشبهة، كما يدل على المشاركة؛ وعلى ذلك يجوز صوغ «فعل» للدلالة على الاشتراك من الأفعال التي تقبل ذلك، وقد سُمع من أمثله في فصيح العربية ما يُجيز القياس عليه»⁽³⁾.

وقد جاء نص قرار الجمع في أوانه لأن الحاجة العلمية والاجتماعية والتطور الحضاري الصناعي تدعو إليه؛ كما أن كثرة الألفاظ التي جاءت على صيغة "فعل" في اللغة العربية تسمح بالقول بقياسيتها؛ ومن ثم يجوز أن يُصاغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المضموم العين لفظ على صيغة "فعل" بفتح الفاء وكسر العين.

هذا ومن المفيد أن نحري مقارنة بين صيغة «فعل» ومن صيغة «مفعول» التي هي اسم المفعول - في الأصل - وهو نوع من أنواع المشقة السبعة المعروفة؛ ومن بين الدلالات التي يمكن أن يخرج إليها وزن "فعل" ما يلي:

1- (فعل) مصدراً: رحيل الأحبة يثير في النفس اللوعة والأسى.

2- (فعل) صيغة مبالغة: نصير الحق لا يهاب أعداءه

(1) _ ينظر ص 84 من هذا البحث.

(2) _ رضي الدين الإسترأبادي النحوي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 1، ص 148.

(3) _ محمد خلف الله أحمد، محمد شوقي أمين: إخراج وضبط وتعليق؛ كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية، المنعقد بالقاهرة في مؤتمر 34، 1968، ج 2، ص 38.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

3- (فَعِيل) اسم شخص معين: وسيم الفِلَسْطِينِي تلميذ ودود.

4- (فَعِيل) صفة مشبهة: إِنَّ التَّفِيسَ نَفِيسٌ حَيْثَمَا كَانَ.

5- (فَعِيل) صيغة مفعول: القَتِيلُ فِي سَبِيلِ حَرِيَّةِ الْوَطَنِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ⁽¹⁾.

وكَمَا يَلْحَظُ عَلَى الْمَثَالِ الْخَامِسِ وَالْأَخِيرِ أَنَّهُ قَدْ يُوْتَى بِفَعِيلٍ كَجَرِيحٍ وَقَتِيلٍ، فَيَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ فَيَقَالُ: هُوَ جَرِيحٌ وَهِيَ جَرِيحٌ وَهُوَ أُسِيرٌ وَهِيَ أُسِيرٌ؛ وَهُوَ ذَبِيحٌ؛ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَفْعُولٍ؟

فصيغة (فَعِيل) فِي الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ تَدُلُّ عَلَى وَصْفِ ثَابِتٍ فِي صَاحِبِهِ أَوْ كَالثَّابِتِ؛ طَبِيعَةً أَوْ كَالطَّبِيعَةِ فَتَقُولُ: هُوَ طَوِيلٌ أَوْ قَصِيرٌ؛ وَقَبِيحٌ أَوْ جَمِيلٌ فَهَذِهِ الصِّفَاتُ ثَابِتَةٌ فِي أَصْحَابِهَا؛ وَتَقُولُ: هُوَ خَطِيبٌ وَبَلِيغٌ وَفَقِيهٌ فَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتُ كَالطَّبِيعَةِ فِي صَاحِبِهَا وَكَالسَّجِيَةِ فِيهِ إِذْ هِيَ لَا تَرْتَقِي إِلَى دَرَجَةِ الثَّبُوتِ فِي طَوِيلٍ وَقَصِيرٍ وَنَحْوِهَا⁽²⁾.

وَأَمَّا (فَعِيل) بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَصْفَ قَدْ وَقَعَ عَلَى صَاحِبِهِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ سَجِيَةً لَهُ أَوْ كَالسَّجِيَةِ؛ ثَابِتًا أَوْ كَالثَّابِتِ فَتَقُولُ: (هُوَ مَحْمُودٌ) وَ(هُوَ حَمِيدٌ) وَ(حَمِيدٌ) أَبْلَغُ مِنْ (مَحْمُودٌ) لِأَنَّ حَمِيدًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صِفَةَ الْحَمْدِ لَهُ ثَابِتَةٌ؛ وَكَذَا (الرَّجِيمُ) أَيِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُرْجَمَ عَلَى وَجْهِ الثَّبُوتِ.

وَتَقُولُ: (طَرَفٌ مَكْحُولٌ) وَ(طَرَفٌ كَحِيلٌ) فَكَحِيلٌ أَبْلَغُ مِنْ مَكْحُولٍ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الْكُحْلَ أَصْبَحَ فِي صَاحِبِهِ كَأَنَّهُ خِلْقَةٌ؛ وَتَقُولُ: (كَفٌّ خَضِيبٌ) وَ(كَفٌّ مَخْضُوبٌ) فَخَضِيبٌ أَبْلَغُ مِنْ مَخْضُوبٍ لِأَنَّ خَضِيبًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخِضَابَ أَصْبَحَ فِي صَاحِبِهِ كَأَنَّهُ خِلْقَةٌ بِخِلَافِ مَخْضُوبِ الدَّالِّ عَلَى التَّجَدُّدِ.

فصيغة (فَعِيل) بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) تَدُلُّ عَلَى الثَّبُوتِ أَوْ عَلَى مَعْنَى قَرِيبٍ مِنَ الثَّبُوتِ بِخِلَافِ صِغَةِ مَفْعُولِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحُدُوثِ.

هَذَا مِنْ نَاحِيَةٍ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى أَنَّ صِغَةَ (مَفْعُولٍ) تَحْتَمِلُ الْحَالَ وَالِاسْتِقْبَالَ وَتَحْتَمِلُ غَيْرَهَا - كَمَا مَرَّ - وَمِنْهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لِأُمِّهِ «اعْلَمِي يَا أُمَّاهُ أَنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا» وَمِثْلُهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ: «إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لِمَقْتُولٍ».

وَأَمَّا صِغَةُ (فَعِيل) فَلَا تُطْلَقُ إِلَّا إِذَا اتَّصَفَ صَاحِبُهُ بِهِ؛ فَلَا تَقُولُ: (هُوَ قَتِيلٌ) لِمَنْ لَمْ يُقْتَلْ؛

(1) _ هادي نهر؛ الصرف الوافي، ص 153.

(2) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 53.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ولا تقول: (هو جريح) لِمَنْ لَمْ يُجْرَحْ، ويصح أن تقولهما بصيغة (مفعول)»⁽¹⁾.

قال سيبويه: «وتقول: شاة رمي إذا أردت أن تُخبر أنها قد رُميت»⁽²⁾.

وجاء في أدب الكاتب: «وكذلك شاة رمي: إذا رُميت»⁽³⁾، وجاء في المخصص: «وذكر غير سيبويه: شاة ذبيح و غنم دبحي فيما قد ذبح»⁽⁴⁾، وفي «إصلاح المنطق»: «ناقاة بقر: إذا شقَّ بطنها»⁽⁵⁾.

«ثم إن فعلا أبلغ من مفعول وأشد؛ فإن صبغة (مفعول) تدل على الشدة والضعف في الوصف بخلاف (فعل) التي تفيد الشدة والمبالغة في الوصف فالجروح جرحا صغيرا أو بالغاً يصح أن يسمى مجروحا، ولا يقال جريح إلا إذا كان جرحه بالغا، ومثله المكسور والكسير»⁽⁶⁾.

وجاء في «شرح شذور الذهب» في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾⁽⁷⁾، وأقيم فعيل مقام مفعول لأنه أبلغ منه، ولهذا الأيقال لِمَنْ جُرِحَ في أُمَّلْتِه جريح؛ ويُقال له: مجروح»⁽⁸⁾.

وذكر ابن الناظم أن (مفعولا) يقبل «معناه الشدة والضعف؛ وبعد النقل إلى (فعل) لم يصلح إلا حيث يكون معنى الحدث فيه أشد، ألا ترى أن من أصيب في أُمَّلْتِه بُمُدِيَّة يُسمى مجروحاً ولا يُسمى جريحاً»⁽⁹⁾.

من هذا نستنتج أن فعلا بمعنى مفعول يختلف عن (مفعول) في ثلاثة أمور:

(1) _ المصدر السابق، ص 54.

(2) _ الكتاب؛ لسبويه؛ ج2، ص 213.

(3) _ ابن قتيبة؛ أدب الكاتب، ص 292.

(4) _ أبو الحسين علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي؛ المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة-بيروت-لبنان، ج16، ص 156.

(5) _ أبو يوسف يعقوب بن إسحق المعروف بابن السكت، إصلاح المنطق، شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط3، سنة 1949م، ص 378.

(6) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 54.

(7) _ سورة يونس، الآية 24.

(8) _ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف أحمد بن عبد الله ابن هشام، الأنصاري، المصري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد الدين عبد الحميد، (دط، دت)، ص 102.

(9) _ ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 2000م، ص 226.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

1-الدلالة على أن الوصف قد وقع على صاحبه على وجه الثبوت أو قريب من الثبوت فأصبح فيه كأنه خلقه و طبيعة، فيكون (فعل) على هذا أبلغ من (مفعول) في الوصف، فكحيل أبلغ من مكحول، وذهين أبلغ من مدهون، وحميد أبلغ من محمود لأنه أثبت - كما ذكرنا -

جاء في « الكليات»: « الحميد فعيل من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها»⁽¹⁾.

2- لا يُطلق وصف (فعل) إلا إذا اتصف به صاحبه فلا يقال (أسير) إلا إذا أُسر؛ ولا جريح إلا إذا جرح، في حين أن مفعولا قد يطلق على ما اتصف به صاحبه أو لم يتصف. بمعنى أنه سيتصف به، فقد تطلق كلمة (مأسور) على من لم يؤسر. بمعنى أن سيؤسر، ومقتول على من لم يقتل. بمعنى أن سيقتل، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرُّونَ مَثْبُورًا﴾⁽²⁾، أي ستنبر وهكذا.

3- إن الوصف بفعيل أشد من مفعول كما في جريح ومجروح وكسير ومكسور»⁽³⁾.

قد تلحق تاء التانيث صيغة (فعل) فتحوّلها من الوصفية إلى الاسمية كالذبيحة و التطيحة؛ فالذبيحة اسم لما أعد للذبح.

جاء في « شرح الرضي على الشافية» أنه قد يحوّل فعيل إلى الاسمية وهو ما دخله التاء كالذبيحة والأكلة و الضحية و التطيحة؛ فالذبيحة ليست كالمذبوح بل الذبيحة مختص بما يصلح للذبح ويُعد له من التعم؛ وكذا الأكلة ليس بمعنى المأكول كالحبز والبقول؛ بل يختص بالشاة؛ والضحية مختص بالتعم، و التطيحة بالشاة الميتة بالنطح»⁽⁴⁾.

ومثله في الأطعمة: التقيعة⁽⁵⁾، والوكيرة⁽⁶⁾، والمضيرة⁽⁷⁾، والجزيرة⁽⁸⁾، والبسيصة⁽⁹⁾، وغيرها

(1) _ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويس المصري، دار النشر، الرسالة- بيروت- لبنان، ط 1998م، ص 149.

(2) _ سورة الإسراء، الآية، 102.

(3) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبينة في العربية، ص 55.

(4) _ رضي الدين الاسترأبادي النحوي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 142-143.

(5) _ التقيعة: طعام يُصنع للقادم من السفر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفع)، ج 14، ص 267.

(6) _ الوكيرة: الطعام يتخذه الرجل عند فراغه من بنيانه فيدعو إليه، المصدر السابق، مادة (وكر)، ج 15، ص 383.

(7) _ المضيرة: مريفة تُطبخ باللبن المضير، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (مضر)، مج 2، ص 134.

(8) _ الجزيرة: القطعة من الأرض، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جزر)، ج 2، ص 270.

(9) _ البسيصة: خبز يُحفف ويُذق ويشرب كما يشرب السويق، المصدر السابق مادة (بسس)، ج 1، ص 406.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وكلها خرجت من الوصفية إلى الاسمية.

ولفعيلة دلالة أخرى تختلف عن دلالة (فَعِيل) فالذبيحُ ما ذبحَ ولكنَّ الذبيحةَ ليس كذلك وإِنَّمَا مَا أُعِدَّ لِلذَّبْحِ وَالضَّحِيَّةُ مَا أُعِدَّ لِذَلِكَ»⁽¹⁾.

قال سيبويه: «وتقول: شاة ذبيح كما تقول: ناقة كسير، وتقول: هذه ذبيحة فلانٍ وذبيحتك وذلك أَنَّكَ لَمْ تُرَدَّ أَنْ تُخْبِرَ أَهْمَا قَدْ ذُبِحَتْ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ ذَاكَ وَهِيَ حَيَّةٌ؟ فَإِنَّمَا هِيَ بِمِثْلَةِ ضَحِيَّةٍ، وَتَقُولُ (شاةٌ رَمِي) إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ أَهْمَا قَدْ رُمِيَتْ، وَقَالُوا: (بِئْسَ الرَّمِيَّةُ الأَرْنَبُ) إِنَّمَا تُرِيدُ بِئْسَ الشَّيْءَ مِمَّا يَرْمَى فَهَذِهِ بِمِثْلَةِ الذَّبِيحَةِ... وَأَمَّا الذَّبِيحَةُ فَبِمِثْلَةِ القَتَوْبَةِ والحَلْوَبَةِ وَإِنَّمَا تُرِيدُ هَذِهِ مِمَّا يَقْتَبُونَ وَمِمَّا يَجْلِبُونَهُ، فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: قَتَوْبَةٌ وَلَمْ تَقْتَبْ؛ وَرَكُوبَةٌ وَلَمْ تُرَكَبْ؛ وَكَذَلِكَ فَرِيْسَةُ الأَسَدِ بِمِثْلَةِ الضَّحِيَّةِ وَكَذَلِكَ أَكِيْلَةُ السَّبْعِ»⁽²⁾.

وَجَاءَ فِي «المَخْصَصِ»: «أَعْلَمَ أَنَّهُمْ يُدْخِلُونَ فِي (فَعِيل) الَّذِي بِمَعْنَى مَفْعُولِ المَاءِ عَلَى غَيْرِ القِصْدِ إِلَى وَقُوعِ الفِعْلِ بِهِ وَوُقُوعِهِ، وَمَذْهَبُهُمْ فِي ذَلِكَ الإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ المُتَّخِذِ لِذَلِكَ الفِعْلِ الَّذِي يَصْلَحُ لَهُ، كَقَوْلِهِمْ (ضَحِيَّة) لِلذَّكَرِ والأُنْثَى، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُضْحَى بِهِ، وَذَبِيحَةُ فُلَانٍ لَمَّا قَدْ اتَّخَذَ لِلذَّبْحِ، وَقَوْلُهُمْ: (بِئْسَ الرَّمِيَّةُ الأَرْنَبُ) أَيِ الشَّيْءِ الَّذِي يُرْمَى سِوَاءَ رُمِيٍّ أَوْ لَمْ يَرْمَ»⁽³⁾.

وفي «الكليات» لأبي البقاء (ت 1094هـ): «الذبيحةُ هي ما سَيَذْبَحُ مِنَ النِّعَمِ، فَإِنَّهُ نُقِلَ عَنِ الوِصْفِيَّةِ إِلَى الإِسْمِيَّةِ إِذَا الذَّبِيحُ مَا ذُبِحَ»⁽⁴⁾.

وعلى هذا ففعيلة تختلف عن فعيل في ناحيتين:

- 1- أن (فعيلة) تدل على الاسم لا الوصف إذ إن تاء التأنيث حوّلت فعيلًا من الوصفية إلى الاسمية.
- 2- أن (فعيلًا) يطلق على ما اتّصف به صاحبه، وأمّا "فعيلة" فتطلق على ما اتّخذ لذلك، فالذبيحُ يطلق على ما ذبحَ والذبيحةُ لما اتّخذ لذلك»⁽⁵⁾.

(1) ابن الأجدني - أبو إسحاق إبراهيم أبو إسماعيل بن عبد الله الطرابلسي، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، الناشر: دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة - طرابلس الجماهير الليبية، بيروت، 1987م، ص 67.

(2) سيبويه، الكتاب، ج2، ص 213.

(3) ابن سيده، المخصص، ج16، ص 155.

(4) أبو البقاء، الكليات، ص 188.

(5) فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 57.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إن صيغة "فعليل" هي الصيغة الوحيدة التي وردت بأعداد كبيرة في مدونة تفسير "في ظلال القرآن" حيث تراوح عددها الإجمالي حوالي أربعمئة وإحدى وخمسين صيغة؛ فكان عدد المعرف منها حوالي ثلاثمئة وإحدى وعشرين صيغة، وعدد الصيغ التي وردت نكرة حوالي مئة وثلاثين صيغة. وكانت دراستنا على هذه الصيغ تركز على الصيغ ذات الدلالة العميقة والشاملة، فأبجنا من الصيغ المعرفة عشرين صيغة، ومن الصيغ التي وردت في قالب النكرة عشر صيغ أخضعناها جميعا لمنهج الوصف والاستنتاج مستعينين في ذلك كله بآراء وأقوال علماء اللغة والعقيدة والتفسير والإعجاز والأخلاق، حسب الجدول البياني الآتي.

جدول بياني لجبئ صيغة « فعيل » المعرفة في تفسير ظلال القرآن (الجزء الأول)

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
-1	القليل	11	04	أَنَا الْعَبْدُ الْقَلِيلُ الصَّغِيرُ
-2	الصغير	11	04	أَنَا الْعَبْدُ الْقَلِيلُ الصَّغِيرُ
-3	الجليل	11	05	هَذَا التَّكْرِيمُ الْعُلُوي الْجَلِيلُ
-4	الكريم	11	06	يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ خَالِقُهُ الْكَرِيمُ
-5	الهزيلة	11	08	وَعَشَّتْ - فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ - أَنْظُرْ مِنْ عَلْوٍ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ تَمُوجُ فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اِهْتِمَامَاتِ أَهْلِهَا الصَّغِيرَةِ الْهَزِيلَةِ
-6	الكبير	11	10	وَعَشَّتْ - فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ - أَنْظُرْ مِنْ عَلْوٍ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ تَمُوجُ فِي الْأَرْضِ ... أَنْظُرْ إِلَى تَعَاجِبِ أَهْلِ هَذِهِ الْجَاهِلِيَّةِ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَطْفَالِ وَتَصَوُّرَاتِ الْأَطْفَالِ، وَاهْتِمَامَاتِ الْأَطْفَالِ ... كَمَا يَنْظُرُ الْكَبِيرُ إِلَى عِبَثِ الْأَطْفَالِ، وَلِثَغَةِ الْأَطْفَالِ.
-7	الويئة	11	10	(وَأَعْجَبُ مَا بَالِ هَذَا النَّاسِ؟ مَا بَالِهِمْ يَرْتَكِسُونَ فِي الْحَمَاءَةِ الْوَيْئَةِ وَلَا يَسْمَعُونَ

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

النداء العُلويّ الجليل، النداء الذي يرفع العُمرَ و يباركُه و يُزكِّيُه؟)				
(عشتُ أتملى- في ظلال القرآن- ذلك التّصوّر الكامل الشّامل الرّفيع التّظيّف للوجود... لغاية الوجود كلّه، وغاية الوجود الإنسانيّ...)	12	11	الرّفيع	-8
(عشتُ أتملى- في ظلال القرآن- ذلك التّصوّر الكَامِل الشّامل الرّفيع التّظيّف للوجود لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنسانيّ...)	12	11	التّظيّف	-9
كَيْفَ تَعِيشَ البشريّةُ في المستنقَع الآسن، وفي الدّرك الهابط، وفي الظّلام البهيم !	15	11	البهيم	-10
كيف تعيش البشرية في المستنقَع الآسن؛ وفي الدرك الهابط،... وعند ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء!	16	11	الوضيء	-11
وعشتُ- في ظلال القرآن- أُحسّ التّناسقَ الجميل بين حركة الإنسان كما يريد الله، وحركة الكون الذي أبدعه الله فأرى التّخبط الذي تُعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية.	17	11	الجميل	-12
أَيّ رَاحَةٍ؛ وأيّ سَعَةٍ؛ وأيّ أنس؛ وأيّ ثقة يُفيضُها على القلب هذا التّصور الشامل الكاملُ الفسّيحُ الصّحيحُ؟	07	12	الفسّيحُ	-13
...أيّ رَاحَةٍ؛ وأيّ سَعَةٍ؛ وأيّ أنس؛ أي	07	12	الصّحيحُ	-14

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟				
ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو؛ مطمئن الضمير، واثقا من نصر الله، متعلقا بالرجاء فيه، متوقعا في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد.	24	12	الأكيد	-15
... وكل أمر لحكمة؛ ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تنكشف للنظرة الإنسانية القصيرة.	31	12	العميقة	-16
... وكل أمر لحكمة؛ ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تنكشف للنظرة الإنسانية القصيرة.	31	12	القصيرة	-17
... والاطمئنان إلى رحمة الله... وهو وحده الملاذ الأمين.	08	13	الأمين	-18
... ومن ثم عشت - في ظلال القرآن - قرير الضمير.	15	13	قرير الضمير	-19
... ومن ثم فإن المنهج الإلهي موضوع للمدى الطويل	30	13	الطويل	-20

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- دلالة صيغة (فَعِيل) المعرفة بـ(أل):

العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة فعيل المعرفة: (أنا العبد القليل الصَّغِير) (1).

المعنى اللغوي والاشتقافي لكلمة (قلل): ورد في معجم العين: عن الخليل بن احمد (ت170هـ): «قلّ الشيء فهو قليل، ورجل قليل: صغير الجثة، والقل: القليل، قال لبيد:

كُلُّ بَنِي حَرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْعَدَدِ (2).

والقلال: القليل أيضا، القلة والقلة لغتان، والقلة: رأس كل شيء والرجل يُقل الشيء فيحمله، وكذلك يَسْتَقِلُّه (3).

وَجَاءَ عَنِ ابْنِ مَنْظُورٍ (ت 711هـ) فِي اللِّسَانِ عَنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ: «وَالْقَلَّةُ: خِلَافُ الْكَثْرَةِ، وَالْقُلُّ: خِلَافُ الْكُثْرِ، وَقَدْ قَلَّ يُقَلُّ قَلَّةً وَقُلًّا فَهُوَ قَلِيلٌ، وَقَلَّالٌ وَقَلَّالٌ، بِالْفَتْحِ، عَنِ ابْنِ جَنِّي (4)، (5).

ومن خلال هذا الكشف الموجز عن مدلول لفظة (قلل) في المعاجم اللغوية الموثقة تبين أنها تدور حول معنى: الضالة والضعف، والاحتياج إلى الغير.

وهو المعنى ذاته الذي تدل عليه صيغة «القليل» الواردة في النص المذكور أعلاه؛ وصيغة (القليل) على وزن الفعيل، وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف، المبني للمعلوم: قلّ يقلّ قلةً وقُلًّا فهو قليل نحو قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (6)، وبناء على ذلك فالصيغة صفة مشبهة تفيد الثبوت والملازمة الدائمة، وقد جاءت معرفة دالة على جنس المذكور، أما التعريف فيها بـ (أل) فيفيد معنى الاستغراق والعموم، يقول

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- لبنان، ط12، سنة 1986م، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر لبيد بن ربيعة، الديوان، اعتنى به حمدو طماش، دار المعرفة-بيروت، لبنان، ط3، سنة، 2009م، ص 34.

(3) _ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دار شؤون الثقافة العامة، آفاق عربية: العراق-بغداد (د. ط، د ت)، مادة (قلل)، ج5، ص ص 25-26.

(4) _ هو عثمان بن جني المعروف بأبي الفتح النحوي، من أخصّ أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والصرف، صنّف: الخصائص في النحو، سر الصناعة، شرح تصريف المازني وغيرها، ولد قبل سنة 33هـ ومات سنة 392هـ، السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، سنة 1979م، ج2، ص 132.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلل)، ج11، ص 287.

(6) _ سورة الأنفال، الآية 26.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

صاحب كتاب شرح الأصول من علم الأصول ما مفاده.

«وعلامه الاستغراقية أن يحل محلها "كل"؛ فكل "أل" يحل محل "كل" فهي للعموم، وتسمى استغراقية نحو قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽¹⁾، أي كل إنسان ضعيف ذلكم الضعف البشري المفطور عليه، وقوله عز وجل ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾⁽²⁾، وقوله أيضا: ﴿أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾⁽³⁾، «أو الطفل» هذه مفرد، لأن الطفل هنا للعموم، ولهذا وصف بالجمع، أي: كل الأطفال، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾⁽⁴⁾، احذف "أل" من كلمة "الأطفال" وضع مكانها "كل" وإذا بلغ كل أطفال منكم الحلم فليستأذنوا، فصارت "أل" الاستغراقية من صيغ العموم سواء دخلت على مفرد مثل "الإنسان" الطفل أو دخلت على جمع مثل: "الأطفال"، وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾⁽⁵⁾، فـ"أل" هنا استغراقية أيضا، فكل الرجال قوامون على كل امرأة»⁽⁶⁾.

وهذا الأصل نفسه ينسحب على صيغة "القليل" المعرفة بـ (أل) التي نحن هنا بصدد تحليلها وفك رموزها، فهي قد جاءت بصيغة المفرد المذكر ليعود ضميرها المستتر على الموصوف (العبد) الذي قبلها، فكل عبد من عباد الله قليل ضعيف ضئيل وسوف يظل دائما وأبدا محتاجا إلى المولى سبحانه وتعالى مهما أوتي من قوة في هذه الحياة الدنيا، وسوف تظل صفة الضعف هذه عالقة بهذا العبد وغيره من أفراد جنسه كلهم أجمعين، سواء كان نوعه ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، غنيا أو فقيرا، رئيسا أو مرؤوسا، وبناء على ذلك فإن الكاتب وإن استخدم ضمير المتكلم المفرد (أنا) مشير به إلى نفسه، لكن المعنى يراد به جميع عباد الله الذين وفقهم الله إلى معرفته وهدايته ووقفهم إلى معرفة قدر أنفسهم ونخلص إلى القول هنا: أن الصفة المشبهة المثلثة في صيغة (القليل) تقرر أمرين معا أحدهما: ثبوت ودوام الضعف والاحتياج إلى قوة القاهرة غالبية في جميع الظروف والأحوال.

(1) _ سورة النساء، الآية 28.

(2) _ سورة العصر، الآية 2.

(3) _ سورة النور، الآية 31.

(4) _ سورة النور، الآية 59.

(5) _ سورة النساء، الآية 34.

(6) _ محمد صالح العثيمين، شرح الأصول من علم الأصول، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، (دط، دت)، ص ص 171-

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والأمر الثاني: ثبوت ودوام القدرة الإلهية الأزلية الفاعلة النافذة في الأشياء حسب مشيئته

سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۖ ﴿٣﴾﴾⁽¹⁾ وبأضدادها تمييز الأشياء.

وقد جاءت هذه العبارة في صورة جملة اسمية: (أنا العبد القليل الصغير)، وهي جملة تدل في مضمونها العام على معنى الثبوت والدوام والملازمة؛ إضافة إلى صيغة (القليل) التي تؤكد هذا المعنى الثابت في حق المخلوق الآدمي، وكذلك لفظ (الصغير) الذي هو صفة لكلمة (القليل) الذي يفيد هو الآخر معنى الحقارة والتفاهة بالنظر إلى عناصر الكون الأخرى الضخمة نحو: السماء والأرض، والشمس والقمر، والجبال والبحار...

⁽¹⁾ _ سورة الأعلى، الآيتان: 2، 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة فعيل المعرفة هي: «أنا العبد القليل الصغير»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (صغر).

جاء في مُعْجَم العين: «الصاغر: الراضي بالضيِّم، وصَعُرَ يَصْعُرُ، صَعْرًا وصغارًا، والصَّعْرُ: مصدر الصَّعِيرِ في القد، وأصغرت الناقة وأكبرت، والإصغار: حنينها الخفيض، والإكبار: حنينها الرفيع قالت الخنساء:

حَنِينَ وَالْهَلَةَ ضَلَّتْ أَلِفَتَهَا
لَهَا حَيْنَانِ إِصْغَارَ وَإِكْبَارِ⁽²⁾.
وَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ذِلًّا وَمَهَانَةً⁽³⁾.

ومن معاني هذه اللفظة في اللسان قوله: «والصَّغِيرُ: ضد الكبر، ابن سيده (ت 485هـ)⁽⁴⁾: الصَّعْرُ والصَّعَارَةُ: خلاف العظم، وأصغره غيره وصَّعَرَه تصغيرًا، وتصغير الصَّغِيرِ صُغِيرٌ وصَغِيرٌ، الأولى على القياس والأخرى على غير قياس حكاه سيبويه، وأستصغره: عدّه صغيرًا، وصَّعَرَه وأصغره: جعله صغيرًا»⁽⁵⁾.

من خلال هذا العرض الوجيز تبين لنا أن معاني لفظة (صغر تدور في مجملها حول الذل والهوارع والحقارة والضيِّم المُتَبَثِّقَة في معظمها عن وجود استعداد ما في طرف معين القبول والرضى بهذه الصفات المسلطة عليه من عنصر خارجي طارئ.

ويلحظ هنا أنه نادرا ما تخرج هذه اللفظة عن هذه الدلالات التي تتقارب من بعضها بعضا نحو: الضيم والذل والهوان وبالعودة إلى هذه اللفظة واستعمالاتها نجدها قد وظفت في صيغة الصفة المشبهة على هذا النسق: (أنا العبد... الصَّغِيرِ) وقد وردت معرفة بـ (أل) التي تفيد الاستغراق والعموم، فهي وإن جاءت بمعنى المفرد المتكلم إلا أنه يراد بها الجنس البشري كله، بالرغم من أنها تدل

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ الشاهد من بحر البسيط للشاعرة الخنساء، أم عمرو تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء الديوان، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، سنة 2008م، ص 68.

(3) _ الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (صغر)، ج4، ص 372.

(4) _ علي بن أحمد بن سيده اللغوي النحوي الأندلسي، كان حافظا لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، صنف: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، مات سنة 458هـ، السيوطي، بغية الوعاة، مج 2، ص 143.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (صغر)، ج7، ص 351-352، وأيضا، ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (صغر)، ص 486.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

على ذات ضمير المتكلم الموصوف على وجه التخصيص هذه الذات التي تُقر بضعفها وضآلتها، وهوانها على الناس لولا برّ الله بها، وتفضّاله عليها، وتكريمه لها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (1).

وهو حكم إلهي صادر عن حكمة وتدبير، وتنظيم دقيق، وسنة دائمة مطردة حيث لا تفلت ولا مهرب للعبد "الصغير" الضئيل الفقير من المولى الرحيم الودود.

وما عسى هذا العبد "الصغير" المحكوم عليه ألا بهذا الضعف والنقص والاحتياج أن يفعل إزاء هذه القوة الإلهية القاهرة الجبارة، الماسكة بقبضة من حديد، يزمام هذا الكون، كبيره وصغيره، عظيمه وحقيره، قويه وضعيفه، فما على هذه المخلوقات جميعا إلا العبودية والطاعة، والخضوع المطلق لأوامره ونواهيه يقول جل ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ (2).

وما على هذا «الصغير» الضئيل الهش إلا الاستنجاد بهذه القوة الإلهية العادلة، الحية، القائمة الساهرة على تدبير الكون وتسييره ورعايته على الدوام، والتضرع إليها في السراء والضراء بالحمد والثناء الدائم ليفيض عليها من رحمته وفضله الواسع، السابغ، الظاهر منه والباطن يقول جل شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (3).

(1) _ سورة الإسراء، الآية 70.

(2) _ سورة الذريات، الآيات، 56، 57، 58.

(3) _ سورة الأعراف، الآية 96.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة فعيل معرفة هي: «هذا التكريم العلويّ الجليل»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (جلل):

جاء في معجم العين: «جَلَّ في عَيْني وَأَجَلَّته؛ أي عَظَّمته، وكل شيء يَدِقُّ فِجْلالَهُ خلاف دُقِّاقِهِ، وَجَلَّ كل شيء عَظُمُهُ، وتقول: ماله دِقٌّ وَلَا جِلَّ»⁽²⁾، أي: ليس فيه فائدة ومن دلالات لفظ (جلل) في اللسان: «والجليل: من صفات الله تقدّس وتعالى، وقد يوصف به الأمر العظيم، والرجل ذو القدر الخطير، وهو سبحانه وتعالى الجليل الموصوف بنعوت الجلال، والحاوي جميعها، وهو الجليل المطلق وهو راجع إلى كمال الصفات، كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات.

والجلل: الشيء العظيم والصغير وهو من الأضداد في كلام العرب ويقال للكبير والصغير: جلل، قال امرؤ القيس لما قُتل أبوه:

بَقَّتْ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ
أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَّلٍ⁽³⁾،⁽⁴⁾.

من خلال تتبعنا للفظ (جلل) في المعاجم اللغوية الشهيرة لاحظنا أن هذه اللفظة تدور حول دالتين رئيسيتين أولاهما: الدلالة المركزية وتتمثل في معاني العظمة والقوة والعزة والكمال وكلها معانٍ متقاربة متداخلة شديد الصلة ببعضها، وثانيتها، وتتمثل في الدلالة الفرعية نحو: الكبير والصغير، العظيم والحقير، والدقيق والغليظ وأغلبها معانٍ متضادة متناقضة.

والكاتب في هذا السياق بالذات لم يستخدم صيغة (الجليل) عبثاً، أو استعمالاً عفويًا يا عابراً إنما كان توظيفه لها في هذا المقام عن وعي وقصدية ليصل من خلال ذلك إلى هدف مرسوم مسبقاً، ذلكم الهدف الذي يتمثل في إيقاظ ضمير كل مؤمن مخلص صادق الإيمان، وتوجيهه إلى جلال الله عزوجل بواسطة استثماره لصيغة الصفة المشبهة المشكّلة من صورة (الجليل) وما جاورها ورافقها من أدوات لغوية، وصرفية، ونحوية داعمة لها من أجل تحقيق الغرض المطلوب نحو: اسم الإشارة الذي ابتداءً به النص: (هَذَا التَّكْرِيمُ الْعُلُويُّ الْجَلِيلُ)

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (جلل)، ج6، ص ص 17-18.

(3) _ الشاهد: من بحر المتقارب للشاعر امرئ القيس: جُنِدِحُ بن حَجَرِ الكِنْدِيِّ الملقَّب بامرئ القيس، الديوان، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته: حنا الفاحوري، دار الجليل، بيروت-1ط، سنة 2005م، ص 227.

(4) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (جَلَّلَ)، ج2، ص ص 334-335.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وهو يفيد التنبيه إلى شيءٍ مُهمٍّ وعَظِيمٍ في حياة الناس جميعاً، والمؤمن بوجهِ الخصوص الذي يكون معنياً به أكثر من غيره.

ولكي يؤكّد النصّ هذا الأمرَ الجليلَ الكبيرَ جاء أسلوبه مدعوماً بأدوات التعريف الداخلة على جميع الأسماء والصفات الواردة في النص نحو: (التكريم)، (العلوي)، (الـ... جليل) ليجمع هذه الدلالات الاسمية منها والوصفية قريبة من أبصارنا، ومداركنا بحيث لا نحتاج إلى كبير عناء من أجل الوصول إليها وإدراكها.

وقد جاءت الصيغة الصرفية المتمثلة في لفظ «الجليل» لتزيد تلك المعاني جلاءً، ودقةً، وعمقاً فهي صفة مشبهة تدل على الرسوخ والثبات والملازمة الدائمة الأبدية الأزلية في الإنعام والإكرام، يقول جلّ ذكره: ﴿بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽¹⁾.

إنّ لفظ (الجليل) الذي هو في الحقيقة وصف ثابت لله تقدس وتعالى: وهو من الأوصاف التي يمكن أن توصف به أشياء أخرى غير الله سبحانه، كالإنسان -مثلاً- غير أنّ هذا الوصف في الإنسان نسبي ومشوب بكثير من النقائص، والسلبيات اللاصقة بالضعف الإنساني، وبناء على ذلك فإنّ جلالة الإنسان وعظمته ملحوظة في جانبه الروحي والعقلي والشعوري والإرادي، التي تكرم الله بها عليه ليتمكن من القدرة على القيام بأمانة الخلافة في الأرض وتعميرها وإقامة العدل فيها...

(1) _ سورة الرحمن، الآية 78.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة فاعيل معرفة هي: (يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (كرم):

ومما جاء في كتاب العين من دلالات مادة (كرم): «الكرم: شرف الرجل، رجل كريم وقوم كرم وكرام، نحو: أديم وأدم وعمود وعمد، وكثر ما يجيء فعل في جميع فاعيل وفعول، قال أبو خالد القناني:

وَأَنْ يُعَدِّينَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجَافٍ⁽²⁾.

ورجل كرام، أي: كريم وتكرم عن الشائعات، أي: تزه، وأكرم نفسه عنها: رفعها، والمكرم: الكرم، تقيض الملا. وكرم كرمًا، أي: صار كريما⁽³⁾.

وفي مدونة اشتقاق أسماء الله: «الكرم: الجواد، والكريم: العزيز، والكريم الصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب كلها جائر وصف الله بها⁽⁴⁾»،⁽⁵⁾.

من خلال هذا التقصي السريع للدلالات لفظية (كرم) في معظم اشتقاقاتها وأبنيها المتباينة التي عثرنا عليها في المعاجم والمدونات اللغوية والأدبية تبين لنا أنها تكاد تنحصر في دلالات الجود، والسخاء، والعزة، والصفح والبركة وهي كما يلحظ ذات مضامين جد متقاربة ومتداخلة بحيث يصعب فصل بعضها عن بعض.

وبالتحوّل إلى مدلول اللفظة في سياق النص الذي وردت فيه نراها لم تخرج عن هذه المدلولات اللغوية، بيد أن الصيغة التي وضعت فيها هذه اللفظة هي صيغة «الكريم» بهذه الصورة، تضمنت معظم المعاني المعجمية السالفة الذكر وأفادت معنى جديدا مستنبطا من الصيغة التي استثمرت فيها وهي صيغة الصفة المشبهة الدالة على معنى الثبوت والدوام الأزلي الثابت في ذات الله سبحانه وتعالى،

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ الشاهد: من بحر الوافر للشاعر أبي خالد القناني وفي نسبة البيت خلاف، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج5، المحتوى: شعر، قافية (الفاء)، ص 77.

(3) _ الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (كرم)، ج5، ص ص 368-369.

(4) _ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1986م، ص 176.

(5) _ ينظر هذه اللفظة: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرم)، ج12، ص ص 75-76.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

واتصافه الراسخ الأبدي بالجود والبركة، وإغداقه النعم والخيرات، وفضله وبره بالإنسان على وجه الخصوص» ومن هذا الإغداق، إنسانية هذا الإنسان التي تميّز بها عن سائر مخلوقات الله، والتي يميز بها، وَيَعْقَل، ويدرك ما ينبغي، وما لا ينبغي في جانبه»⁽¹⁾.

« والكرم في كل شيء: الصفات المحمودة في صنّفه ونوعه كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَلْفِي إِلَيْنِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾⁽²⁾، ومنه إطلاق الكرم على السخاء، والجود، والوصف منه كريم»⁽³⁾.

وإنّ بنية «الكريم» بهذه الصيغة الصرفية والدلالة اللغوية والسياقية خاصة، والمعنى النحوي دلّت كلها مجتمعة متضافرة على الوصف الثابت الدائم الأزلي في حقه سبحانه وتعالى، كما دلّت على جودة، وفضله، وتكرمه المطلق على الإنسان بدءاً من نعمة الخلق والإيجاد له على هذه الأرض فهو تعالى «الكريم» قد: « تفضّل علينا وأوجدنا من العدم دون أن يكون لنا حق في أن نوجد ليس لنا حق عنده بل تفضّل علينا وأوجدنا، فنعمة الإيجاد ابتدأها الله دون استحقاق منا، أنت كإنسان عندك موظف، وأخلص إخلاصاً شديداً في وظيفته، وقدم جهداً طيباً ربّما نكأته، فهذه المكافأة، جاءت منك ليس ابتداءً ولكن عقب إحسانه وإخلاصه، مُقابل شيء فعله، أما «الكريم» الحقيقي مولانا عزوجل، أوجدنا من دون اختيار، ومن دون طلب، ويتبرع بالإحسان من غير سؤال»⁽⁴⁾.

وبالتأمل - دائماً - في هيئة «الكريم» داخل السياق الذي أدرجت فيه وهو قوله: (يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم) ومحاولة استنطاق عناصر النص اللغوية وأدواته النحوية والصرفية يمكن أن نستنبط دلالات أخرى كثيرة متنوعة، غير أننا نقتصر على أهمّها، ومن هذه الدلالات الموحية بها أدوات النص، والتي تعبّر عن أفضال الله تعالى، ونعمه ومنتته عبارة «يتفضل به خالقه» التي جاءت بصيغة المضارع الدالة على القدرة والسعة، ووفرة الخير والبركة، والعطاء السخي من جانب، ويدل أيضاً على فيض من التكريم والإغداق اللامحدود، والرحمة والإحسان إلى عباده ومخلوقاته عامة، والاستمرار في إسداء الخير في الحال والاستقبال في الليل والنهار من جانب آخر.

و على من كان هذا التكريم الذي تكرم به الخالق الرحيم السخي «الكريم» إنه تكرم على هذا الإنسان دون استثناء جنس على جنس، أو سكان منطقة جغرافية من هذه الأرض دون منطقة

(1) _ بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، ج30، ص 3847.

(2) _ سورة النمل، الآية 29.

(3) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج4، ص 263.

(4) _ محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج1، ص ص 503-504.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أخرى، أو تفضيل أبيض أو أصفر على أسود؛ أو عربي على أعجمي أو... لذلك جاء لفظ "الإنسان" في النص معرّفًا بـ (أل) التي تفيد هنا معنى العموم، أي: استغراق الجنس البشري كله أجمع، وعلى ذلك ذهب جمهور اللغويين والنحويين والمفسرين، أي: أن (أل) هذه وأشكالها ليس المراد منها إنسانا معينا»⁽¹⁾.

وأما (أل) التعريف الداخلة على صيغة «الكريم» هنا فهي للعهد، أي: هي (أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص، أو موصوف معلوم معين هو الله سبحانه وتعالى الذي لا ينسى ولا يهمل أحدا من عباده بل من مخلوقاته جميعا الحية منها والجمادة ناهيك عن الإنسان العاقل الذي يدرك، ويحلل ويستنبط، ويقارن وبتنبأ، ويربط الماضي بالمستقبل، يقول الله في معرفة جميع الكائنات له وعلمها به اعترافا له بفضلته وكرمه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾⁽²⁾، وقوله في كثير من الناس الذين يتنكرون لآلائه وأفضاله وآياته مع أنها ساطعة كشمس الضحى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾⁽³⁾ ﴿وَحَدِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾⁽³⁾.

إن كرم الله عز وجل مطلق شامل لا تحده حدود، لا سيما في هذه الحياة الدنيا، فهو (الكريم) الجواد العزيز الذي لا يميز في كرمه بين قوم وقوم، وبين جنس وجنس، وبين عرق وعرق، وبين منطقة جغرافية ومنطقة أخرى، كما لم يفرق بين مخلوقاته جميعا، صغيرها وكبيرها، وبين مسلمها وكافرها، فقد ضمن لها رزقها جميعا، وهياً لها مستقرها ومستودعها، ووسائل حمايتها، كل ذلك من أجل ماذا؟ من أجل التعرف عليه، وإخلاص العبودية والطاعة له وحده لا شريك معه.

(1) _ موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش، شرح المفصل، مج 1، ج 5، ص ص 85-86.

(2) _ سورة الإسراء، الآية 44.

(3) _ سورة النمل، الآية 13، 14.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) معرفة هي: (وعشتُ- في ظلال القرآن- أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (هزل):

مما اخترناه من كتاب العين من معاني لفظة (هزل): (الهزل: تقيض الجِدِّ، فلان يَهْزُل في كلامه، إذا لم يكن جاداً، والهزال: نقيض السَّمْن، تقول: هُزِلتِ الدَّابة، وأهزل الرجل، إذا هُزِلتِ دابته، وَ الهزيلة: اسم مشتق من الهزال، كالثيمية من الشَّم، ثم فشيت الهزيلة في الإبل قال الشاعر وهو غير منسوب:

حَتَّى إِذَا نَوَّرَ الْجَرْجَارَ⁽²⁾. وَارْتَفَعَتْ عَنْهَا هَزِيلَتَهَا وَالْفَحْلُ قَدْ ضَرَبَا⁽³⁾،⁽⁴⁾.

وجاء في أساس البلاغة عن دلالات هذه اللفظة: (ومن المجاز: انسابت الهزلي وهي الحيات، صفة غالبية كالأعلم⁽⁵⁾ في البعير والأقرح⁽⁶⁾ في الذباب، قال جثامة الكلبي:

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْمَهْزِلِيِّ صَبَاحًا خُدُودُ صَائِعٍ⁽⁷⁾. جُدِلَتْ تُوَامَا⁽⁸⁾،⁽⁹⁾.

وَهُزِلَتْ حَالُ فُلَانٍ، وتقول: له فضل جزيل، وحال هزيل، وهزله السفر والجذب والمرض⁽¹⁰⁾.

إنَّ الْمُتَمَعِّنَ فِي لَفْظَةِ (هزل) الواردة في المعاجم اللغوية العربية يكتشف أنها تدورُ حَوْلَ دلالات نحو: الضعف، والسُّقْم والرقة، واللعب الذي هو خِلاف الجِدِّ والهمة نحو: فلان يهزل في منطقة، إذا

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ الْجَرْجَارُ: عشبة لها زهرة صفراء، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جرر)، ج6، ص 246.

(3) _ الشاهد: من البحر البسيط الشاعر غير منسوب أنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج1، المحتوى: شعر، قافية (الباء)، ص 118.

(4) _ الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (هزل)، ج4، ص 14.

(5) _ الأعلم: المشقوق الشفة، العليا، ابن منظور، لسان العرب، مادة (علم)، ج9، ص 372.

(6) _ الأقرح: الفرس الذي فيه نورة بيضاء، المصدر السابق، مادة (قرح)، ج11، ص 91.

(7) _ رصائع جمع، الواحدة رصيعة: سُيور مضمفورة في أسْفَلِ الخمائل، المصدر نفسه، مادة (رصح)، ج5، ص 226.

(8) _ تُوَامَا: أثامت المرأة، إذا وضعت اثنين في بطن: المصدر نفسه، مادة (تأم)، ج2، ص 10.

(9) _ الشاهد: من بحر الوافر للشاعر جثامة الكلبي، ينظر إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى شعر، قافية (الميم)، ص 34.

(10) _ الرمنخشري، أساس البلاغة، مادة (هزل)، ج2، ص 545.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

لم يكن جادًا، وهزُل الرجل يَهْزُل هَزْلًا فهو هازل، أي: افتقر.

وبالتحول إلى دلالات صيغة لفظة (هزل) كما وردت في سياق النص نراها قد وُضعت في صورة اسم مشتق هكذا: (الهزيلة) وهو عبارة عن اسم مفرد مؤنث معرف بـ (أل) التي تدل على «العهد فهي (أل) العهدية التي ترمز إلى معهود مخصوص، أو موصوف معين معلوم لدى الخاص والعام»⁽¹⁾، لدى الرجل البالغ ولدى الطفل الصغير، فمن منا لا يفرق بين الغث والسمين؟ ومن منا لا يميز بين الجيد والردىء؟ ومن منا لا يفرق بين النحيف الدقيق والضحخم السمين؟

ومن هنا فلفظة (الهزيلة) بهذه الصورة الصرفية تدل صفة ترسخت وثبتت، وطال عليها الأمد في نفس ووجدان، وعشّشت في عقل هذه الجاهلية الضالة العمياء الغافلة التي فقدت رشدها، وصاعت بذلك في غياهب الجهل والضلال.

ومن الناس من لا يلحظ هذا السقوط الحر الذي هوت فيه البشرية إلى درك سحيق أكثر من أي وقت مضى؟

نقول: إن التأمل مرة أخرى في هذا النص وسياقه ودلالات ألفاظه وأبنيته الصرفية خاصة صيغة (الهزيلة) يكتشف بيسر أن صاحب النص كان عامر القلب بتعاليم الإسلام عامة والقرآن بوجه الخصوص وتوجيهاته وأحكامه، وتصوراته ومفاهيمه، وفي نظرته إلى الكون، والحياة، والإنسان في منطلقاته، وفي إصدار حكمه القاسي المفرط على البشرية الحاضرة، هذا الحكم المتشدد المتطرف الذي جعله ينعت البشرية جميعا ودون استثناء بجاهلية القرن العشرين وهو مرة أخرى حكم جد قاس وفيه كثير من المغالاة والإجحاف في حق هذه البشرية أو في حق شريحة عريضة منها التي هي معذورة -في نظر كثير من العلماء- فيما آلت إليه من أوضاع مرضية (هزيلة) حقا، فكان الأولى بصاحب هذا النص أن يأخذ بيد هذه البشرية أو المجتمعات التائهة إلى بر الأمان لينقذ ما يمكن إنقاذه، خير له ولها من أن يُسلط عليها هذه الأحكام المجانية القاسية! نقول إنه لمن السهولة بمكان أن نطرح المشاكل وأن نُسلط عليها النقد الهدام ولكن في الحقيقة ليست البراعة في طرح المشاكل وانتقادها الانتقاد اللاذع، إنما البراعة في عرض المشاكل ونقدها النقد البناء ثم إيجاد الحلول لها في هدوء وروية وفي إطار الأمن والسلم والحركة البنائية الإيجابية الدّائبة.

هذا وليس المقصود من كلامنا السابق هو محاولة القفز على الواقع المُزري المفزع، نعم إن

(1) _ ابن يعيش، شرح المفصل، مج1، ج5، ص 86.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

البشرية اليوم تتردى تدريجياً إلى الهاوية- ودون وعي منها وبمخططات فكرية وعلمية ومذهبية رهيبة من بعض المتعلمين هنا وهناك غربيين وعرب- بغية الانحدار بالبشرية المسكينة إلى مهاوي الضلال والهلاك بتحويلها إلى الاهتمامات الهابطة (الهزيلة) الصغيرة الساذجة، اهتمامات الأطفال، واهتمامات الحيوان ذي الغرائز الفطرية ذات التّمط الثابت، غرائز الطعام والشراب، وغرائز التناسل والمأوى، وغرائز النهب والافتراس، افتراس الحيوان الأقوى للحيوان الأضعف من أجل التكالب على المال والثروة، والمتاع والرفاه وفرض الإنسان السویرمان المتحكم في زمام البشرية والعالم أجمع، يقول عزّوجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾

لكنها أي: البشرية في أمس الحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى من ينتشلها من الظلمات المحيطة بها من كل جانب لينقذها من هذا المستنقع التّنن إلى ماء غير آسن، ماء مُصْفَى طاهر يعود على صاحبه بالصحة والقوة والرفاه والثمرات الوفيرة، والاطمئنان الروحي والأمن الجسدي والسلام العام.

(١) _ سورة الأعراف، الآية 179.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السادسة التي وردت فيها صيغة (فعل) هي: (وعشتُ- في ظلال القرآن- أنظر إلى الجاهلية التي تموج في الأرض.. أنظر إلى تعجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصوّرات الأطفال، واهتمامات الأطفال... كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ولثغة الأطفال..»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (كبر):

جاء في أساس البلاغة عن مضامين مادة (كبر): (كبر الأمر، وخطب كبير، وكبر عليّ ذلك إذا شق عليك قال جل ثناؤه: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ﴾⁽²⁾، وكبر الرجل في قدره، وكبر في سنه، وشيخ كبير، وعليه الكبرية والمكبر: علو السن، قال الشاعر:

عَجُوزٌ عَلَتْهَا كَبْرَةٌ فِي مَلَا حَةٍ أَقَاتِلِي يَا لِلرَّجَالِ عَجُوزٌ⁽³⁾،⁽⁴⁾.

ومن معاني مادة (كبر) قول الآخر: «الكبير في صفة الله تعالى: العظيم الجليل، والكبرياء: عظمة الله تعالى، والتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده، قال ابن الأثير⁽⁵⁾: في أسماء الله تعالى: المتكبر والكبير، أي: العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه والتاء فيه للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي والتكلف»⁽⁶⁾.

ومن خلال تعقبنا الموجز المتمعن لمضامين لفظة (كبر) في الكتب اللغوية الشهيرة اتضح لنا أن المعنى الأصلي الرئيس يتمثل في دلالة العظمة، والتعظيم والمعظم، والملك والتجبر وما كان مرادفا لها، أو قريبا منها.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ سورة الشورى، الآية 13.

(3) _ الشاهد: من الفجر الطويل وهو بلا نسبة في أساس البلاغة، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج4، المحتوى: شعر، قافية (الزاي)، ص 13.

(4) _ الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص 292-293.

(5) _ هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري، الملقب: ضياء الدين ولد بجزيرة عمر سنة 544هـ وبها نشأ، وانتقل مع أبيه إلى الموصل، وبها اشتغل، وحصل العلوم، وحفظ القرآن الكريم، وكثيرا من الأحاديث النبوية وأخذ النحو عن ابن الدهان ويحيى بن سعدون القرطبي، وله من التصانيف: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، البديع في النحو، الباهر في الفروق في النحو وغيرها، توفي سنة 637هـ، السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص 274.

(6) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كبر)، ج12، ص 12.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وبالعودة إلى هذه اللفظة كما وردت ضمن سياق النص الذي جاءت فيه بهذه الصيغة (الكبير) التي تفيد الثبوت والدوام، والملازمة الطويلة الأمد، إضافة إلى أنها جاءت معرفة بـ (أل) التي تدل على العموم، أي: استغراق الجنس كله⁽¹⁾، وشمولها لصنف معين من الإنسان الذي أدرك سنّ الرشد، والنضج النفسي والعقلي، وصار يتمتع بحظ وفير من الخبرة والمعرفة الواسعتين، والنظرة المستقبلية البعيدة التي تؤهله لدراسة وتحليل مختلف الظواهر العلمية الاجتماعية منها والسياسية، الفكرية والثقافية والاقتصادية والدينية بشيء من الدقة والعمق، وتوقع النتائج والعواقب التي تنجم عن كل ظاهرة وأسبابها.

هذا هو (الكبير) الذي يقصده الكاتب عند استخدامه لهذه الصيغة الصرفية مدعومة بالدلائل النحوية والبلاغية حيث شبه صاحب النص نفسه وهو يتأمل أوضاع الجاهلية الحديثة-حسب رأيه- تتقلب في المستنقع الآسن بالشخص الكبير يتابع عن كثب عبث الأطفال وغوغاء الأطفال، وهو تشبيه تمثيلي حيث شبه صورة منتزعة من متعدد بصورة أخرى وكان الغرض الأدبي منها لفت وجذب انتباه القارئ وتوضيح المعنى وتقريبه من ذهنه وجعله حاضرا بين يديه ولفظة «عشت» في ظلال القرآن- تدل دلالة واضحة على أن الكاتب قد قضى عمرا طويلا من حياته- وهو ما تؤكد أيضا صيغة (الكبير) متأملا في حياة البشرية الحديثة وهي تتقلب في البلاد والمتاع متناهية متعجبة مزهومة بما وصلت إليه من رقي في الاستمتاع بملذات الحياة الدنيا، وبما حققته من رفاه مادي غافلة سامدة عن الآخرة، بعيدة عن خالقها، منشغلة بما بين يديها من اكتشافات علمية واختراعات مادية جعلتها تظن أنها قد مكنت لنفسها في هذا الكون بسبب سيطرتها على عناصر الطبيعة الغلابية، واستثمارها لها إلى أقصى حد؛ من أجل ذلك -حسب زعمها- فهي لم تعد بحاجة إلى دين خرافي، أو أي إله مزعوم، أو كتاب سماوي يُملي عليها الأوامر والنواهي لأنها بتفوقها في العلم تعلم ما يصلح بها وما لا يصلح !!

« والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل، وتورجح في أكفهم ميزان القيم، فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها، وقيمها تصورا صحيحا، ويظل عملهم ظاهرا سطحيا ناقصا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾⁽²⁾، لأن حساب الآخرة في ضمير

(1) _ محمد بن مصطفى بن حسن الحضري الشافعي، حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، شرحها وعلق عليها: تركي فرحات المصطفى، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط4، سنة 2011م، ج1، ص 182.

(2) _ سورة الروم، الآية 7.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الإنسان يُغيّر نظرتَه لكل ما يقع في الأرض، فحياته على الأرض إن هي إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة في الكون، ونصيبه في هذه الأرض إن هو إلا قدر زهيد من نصيبه الضخم في الوجود⁽¹⁾.

ومما لاحظناه في هذه العبارة أنّها تحتوي على كلمات مفتاحية جد هامة -في تقديرنا- والتي من خلالها يمكن للقارئ أن يتعرف على طبيعة إدراك الكاتب لبيئته وعصره والإنسانية قاطبة، هذه الكلمات هي: (الجاهلية)، (تعاجبها)، (حقيقة معرفتها)، و(تصوراتها)، و(اهتماماتها)، و(الأطفال) ثم إنهاؤها بصيغة (الكبير) المتصف بخصائص إنسانية عالية توفر عليها عادة كل من لديه خبرة، ونضج وسعة إطلاع، وقدرة على الحكم على الأشياء، والتنبؤ بما يترتب على الأسباب من نتائج...ومن ثم أخذ ما يلزم من الحيطة والحذر حتى لا يقع المرء فيما لا يحمد عقباه...

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج20، ص 2759.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السابعة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (وأعجب ما بال هذا الناس؟ ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة ولا يسمعون النداء العلوي الجليل، النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويذكره؟⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقافي لكلمة (وبأ):

في مدونة مقاييس اللغة (الواو، والباء، والهمزة كلمة واحدة هي الوباء، وأرض وبئة على فعلة وقولهم: وبأت إليه وأوبأت، أي: أشرت، من باب الإبدال، والأصل: الميم وقد أنشيد بالباء:

تَرَى النَّاسَ مَاسِرِنَا يَسِيرُونَ خَلَفْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْبَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا⁽²⁾،⁽³⁾.

ومما ورد من دلالات اللفظة في لسان العرب: «ومنه الوبأ: الطاعون، بالقصر والمد والهمز، وقيل: كل مرض عام، وفي الحديث: «إِنَّ هَذَا الْوَبَاءَ رَجْزٌ»⁽⁴⁾، وجمع الممدود أو بئة، وجمع المقصور أو باء، وقد وبئت الأرض تَوْبًا وَبًا، وَوُبُوتٌ وَبَاءٌ وَوَبَاءَةٌ وَإِبَاءَةٌ عَلَى الْبَدَلِ وَأَوْ بَاتٌ إِيَاءٌ وَوَبِتٌ تَبِيًّا وَبَاءً، وَأَرْضٌ وَبِيئةٌ عَلَى فَعِيلَةٍ وَضَوْبِيئةٌ عَلَى فَعْلَةٍ وَمَوْبُوءَةٌ وَ مَوْبِيئةٌ: كثيرة الوباء، والاسم البئة إِذْ أَكْثَرَ مَرَضَهَا.

واستوبأت البلد والماء وتوبأته: استوحمته، وهو ماء وبىء على وزن فعيل»⁽⁵⁾.

إن المستقصي المتمعن في كلمة (وبأ) في المعاجم اللغوية، ذات الشهرة العالية يتكشف له أنها تكاد لا تحيد عن معاني المرض العام، والعلة والطاعون، والإجماء على البدل نحو: أو مات بالحاجين والعينين، ووبأت باليدين والثوب والرأس وبالانتقال إلى سياق النص الذي وردت فيه لفظة (وبأ) نراها قد وضعت في هذه الصورة (الوبيئة) على وزن فعيلة، وهي صفة مشبهة تفيد الثبوت والملازمة الطويلة المدى من جانب، كما تدل على المبالغة والكثرة في الوقت ذاته، وأما (أل) التعريف في الصيغة فقد جاءت للعهد لتدل على معهود مخصوص معلوم معين، أي: هو موصوف مخصوص

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج، ج1، ص 10.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل للشاعر الفرزدق، هو همام ابن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته أبو فراس، الديوان، مراجعة الشريبي شريدة، دار اليقين للنشر والتوزيع-مصر، المنصورة، ط1، 2011م، ص 445.

(3) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (وبأ)، ص 946.

(4) _ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: أحمد زهرة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ج3، ص 937.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (وبأ)، ج15، ص 197.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

مصاب بهذا الداء الويئي الخطير الذي طال عليه الأمد وهو يقاسي من آلامه الفتاكة التي تكاد تودي به إلى التهلكة، والتلف النهائي.

وهذا المعنى الذي أشرنا إليه هو المعنى القريب المتبادر إلى الذهن، أما الغرض البعيد الذي يدل عليه وصف (الوَيْئَة) والمستفاد من سياق النص كله فهو ذلك المرض الكاسح العام المدمر الذي يوشك أن يأتي على البشرية جمعاء وهو المرض المعدي المستأصل الذي لا يقي ولا يذر.

وعلى الرغم من هذا الداء المحسوس الآثار الذي يسري في الدماء والعروق فالناس يكادون لا يبالون بآثاره وانتقاله في سرعة البرق من منطقة جغرافية إلى منطقة أخرى، فهم يتمرغون في وحله وهو يوشك أن يَعْمَّ المعمورة وكأن الأمر جدّ عاد، هذا وقد استعان صاحب النص من أجل تشخيص هذا الداء وتجسيده بأسلوب المحاز المتمثل في الكناية في قوله: (الحمأة الويئة): وهي ذات معنيين: معنى ظاهر، وهو هذا الطين الأسود النتن ذو الرائحة الكريهة "وهو ليس المراد هنا، ومعنى خفي: والمراد به هذه المجتمعات المريضة القلب والروح والعقل، المتمرغ في وحل الشهوات ومتاع الحياة الدنيا من أكل وشرب وتناسل وسياحة في البلاد مكذبة بالله وبرسله ويوم الدين، يقول جل ثناؤه في حق هؤلاء المكذبين بيوم الدين ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾⁽¹⁾، ومما ذهب إليه الزمخشري في تأويل هذه الآية المعبرة عن الحمأة الويئة) التي يتمرغ فيه هؤلاء الجاحدون ما مفاده: «يعني أقطع طمعك من أرعوائهم، ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصحية، وخلهم «يأكلوا ويتمتعوا» بدنياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملهم، وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيرا» فسوف يعلمون» سوء صنيعهم... وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار، وإعذار فيه، وفيه تنبيه على أن إثارة التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل، وهذه هجيري أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين»⁽²⁾.

يقول عز وجل: وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ⁽³⁾، يقول محمد الطاهر ابن عاشور: «والمثوى: مكان الثواء، والثواء: الاستقرار»⁽⁴⁾.

(1) _ سورة الحجر، الآية 3.

(2) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 589.

(3) _ سورة محمد، الآية 12.

(4) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج10، ج26، ص90.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ولوانتبهوا في ذلك لُوحي رَحمهم، وتوجيه رسولهم لأذركوا للتو المزلق الخطير الذي يوشكون أن يسقطوا في وحله الموبوء العميق المظلم مُعْتَرين بقصص وأخبار من قبلهم ومتعطين بها يقول الله الودود الرحيم ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايِنُنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشُدِّدْنَا لَهُ كَثَلَ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيِنُنَا فَأَقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (1).

«وإنه لمشهد من المشاهد العجيبة-حقا-، الجديد كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات...إنسان يؤتبه الله آياته، ويخضع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويُعطيه الفرصة كاملة، ويناديه من أعلى عِلين ليرفعه، ويبارك في عمره، ويزكيه، ويوجهه إلى الهدى، والاتصال بمولاه، والارتفاع إليه بدلا من الهبوط والغرق في (الحمأة الوبيئة...).

... ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخا، كأنما الآيات البينات أديم له مُتَبَسِّس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة ليسقط في الأقدار والأنجاس ساجحا فيها، مستمتعا بها، واجدا لذته فيها، وهو انسلاخ الحي من أديمه⁽²⁾، اللاصق بكيانه... أو ليست الكينونة البشرية- هي في الحقيقة- المتلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان؟ ولكن ها هو ذا الكائن الإنساني ينسلخ من آيات الله تعالى ليرتد، ويرتكس وَيَنْكَبُّ على وجهه (في الحمأة الوبيئة) الحافلة بالأقدار، والأدناس وَيَتَجَرَّد من الغطاء الواقعي، ويتجرَّد كذلك من الدرع الحامي، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، والمستنقع الآسن، فيصبح بذلك عرضة لشتى الأمراض الفتاكة تنهش بدنه، ورُوحه، وعقله، كما يُصْبِح بذلك عرضة للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حا، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه ويشاركه في المال والأولاد ويعده الوعود المزخرفة الكاذبة التي تهوي به في مكان سحيق، أي: في «الحمأة الوبيئة»⁽³⁾.

ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بئس نكد...إذا نحن بهذه الخلائق، أي: الآدميين لاصقين بالأرض غارقين إلى آذانهم في (الحمأة الوبيئة) ملطخين بالتجاسات والأقدار، ثم إذا هم مُسَخُوا في

(1) _ سورة الأعراف، الآيتان، 175-176.

(2) _ الأديم: الجلد ما كان، ابن منظور، لسان العرب، مادة (أدم)، ج1، ص 96.

(3) _ بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج9، ص 1396.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

هيئة الحيوانات القذرة النجسة مثل الكلاب، والقردة، والخنازير بسبب ابتعادهم عن الهدى وعبادة الله، واستبدال ذلك بعبادة الطاغوت واللّهات الدائب وراء حطام الدنيا، ومتاعها، وزخرفها، يلهثون دائماً وأبداً حَصَلُوا منه ما حَصَلُوا، القليل منه أو الكثير! لأنَّ جَوْفَ ابن آدم لا يملأه إلا التراب أو كما قال ﷺ⁽¹⁾.

إن السياق في هذه العبارة يمهد من البداية للصيغة التي تحمل مضمونا رديئنا نتنا حيث يبدأ الكاتب بالاستفهام المجازي المفيد للتعجب المقرون بالاستنكار من أمر هذه البشرية اليوم ثم يتبعه بلفظة (يرتكسون) الدالة على السقوط الحر والتمرغ، أين؟ في (الحمأة) وصولاً إلى صيغة (الويثة) التي تفوح منها روائح الأقدار والنجاسات القاتلة...

(1) _ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، سنة 2002م، ج8، ص 92.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثامنة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (عشت أتملى - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود... لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني..)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (رفع):

عرض معجم العين لشرح معاني مادة (رفع) بإيجاز شديد كمايلي: «رَفَعْتَهُ رَفَعًا فَارْتَفَعَ، وَبَرَقَ رَافِعٌ، أَي: سَاطِعٌ، قَالَ الْأَحْوَسُ الْأَنْصَارِيُّ:

أَلَمْ يُحْزَنْكَ رِيحٌ مَرِيضَةٌ وَبَرَقَ تَلَالُأً بِالْعَقِيقَيْنِ رَافِعٌ؟⁽²⁾.

ورَفَعُ الرَّجُلُ يَرْفَعُ رِفَاعَةً فَهُوَ رَفِيعٌ إِذَا شَرَّفَ، وَامْرَأَةٌ رَفِيعَةٌ، وَالْحِمَارُ يَرْفَعُ عَدْوَهُ تَرْفِيعًا، أَي: عَدَا عَدْوًا بَعْضُهُ أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَالرَّفْعُ: نَقِيضُ الْخَفْضِ قَالَ الشَّاعِرُ:.

فَاخْضَعْ وَلَا تُنْكَرْ لِرَبِّكَ قُدْرَةً فَاللَّهُ يَخْفِضُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْفَعُ⁽³⁾
وَالرَّفْعَةُ: نَقِيضُ الذَّلَّةِ⁽⁴⁾.

أما صاحب الصحاح فيذهب في تفسير مضامين هذه اللفظة إلى ما يأتي: «الرفع: خلاف الوضع، والرفع في الإعراب: كالضم في البناء وهو من أوضاع النحويين، ورفع الزرع: أن يُحْمَلْ بَعْدَ الْحَصَادِ إِلَى الْبَيْدَرِ، يُقَالُ: هَذِهِ أَيَّامُ رَفَاعٍ وَرَفَاعٍ، قَالَ الْكَسَائِيُّ⁽⁵⁾: سَمِعْتُ الْجَرَامَ وَالْجِرَامَ وَأَخْوَاتِ، إِلَّا الرَّفَاعَ فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْهَا مَكْسُورَةً»⁽⁶⁾.

من خلال هذا البسط المختصر المتمعن في كلمة (رفع) في المعاجم اللغوية الموثقة استبان لنا أن دلالة هذه اللفظة الأصلية الأساسية تتمحور حول معاني: العلو والشرف، والعزة والجودة، والتبليغ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل للشاعر: الأحوص الأنصاري، أنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج 4، المحتوى: شعر، قافية (العين)، ص 310.

(3) _ الشاهد: من البحر الكامل، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج4، المحتوى: شعر، قافية (العين)، ص 314.

(4) _ الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (رفع)، ج2، ص 125.

(5) _ أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، مولى بني أسد من أهل (باحمّشا)، أخذ عن الرؤاسي، ودخل الكوفة وهو غلام، وأدب ولد الرشيد، مات الكسائي بالرّي سنة 189هـ، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ص 127-130.

(6) _ الجوهرى، الصحاح، مادة (رفع) ص 418.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والتقريب وهي معاني يفضي بعضها إلى بعض.

وبالعودة إلى سياق النص الذي وردت فيه صيغة (الرفيع) بهذه الصورة يتبين لنا أنها جاءت على وزن (الفعيل) وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المضموم العين المبني للمعلوم، وبناء على ذلك فهي صفة مشبهة-بدرجة أولى- مفيدة للثبوت والدوام، وهي أيضا صفة لموصوف قبلها بدليل الضمير المستتر فيها العائد على الموصوف الذي هو (التصور) أما (أل) التعريف الداخلة على صيغة (الرفيع) فهي للعهد تشير إلى معهود مخصوص معين معلوم متصف بصفة الرفعة والسمو والكمال الثابتة في حق الموصوف (التصور) الدائمة، الملازمة له، المخصوص بها حيث لا يشوبه نقص، أو عيب، أو اختلاف، ولا عجب في ذلك وهو تصور من العليّ الجليل: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾⁽¹⁾.

«رفيع الدرجات» خبر عن مبتدأ محذوف هو ضمير اسم الجلالة في قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾⁽²⁾،

وليس خبرا ثانيا بعد قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾⁽³⁾، لأن الكلام هنا في غرض مستجد...

و«رفيع الدرجات» يجوز أن يكون صفة مشبهة، والتعريف في «الدرجات» عوض عن المضاف إليه، والتقدير: رفيع درجاته، فلما حُوِّلَ وَصِفُ ما هو من شؤونه إلى أن يكون وصفا لذاته سلك طريق الإضافة وجعلت الصفة المشبهة خبرا عن ضمير الجلالة وجعلَ فاعِلَ الصفة مضافا إليه، وذلك من حالات الصفة المشبهة، يقال: فلان حَسَنُ فِعْلُهُ، ويقال: فُلَانٌ حَسَنُ الفِعْلِ، فيؤول قوله: «رفيع الدَّرَجَاتِ» إلى صفة ذاته.

و«الدَّرَجَاتِ» مستعار للمجد والعظمة، وجمعها إيذانٌ بكثرة العظّمات باعتبار صِفَاتِ مجد الله التي لا تُحصَر، والمعنى: أنه حقيق بإخلاص الدِّعاء إليه⁽⁴⁾.

«ويجوز أن يكون «رفيع» من أمثلة المبالغة، أي: كثير رفع الدرجات لمن يشاء وهو المعنى قوله

تعالى: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾⁽⁵⁾، وإضافته إلى «الدرجات» من الإضافة إلى المفعول فيكون

(1) _ سورة غافر، الآية 15.

(2) _ سورة غافر، الآية 14.

(3) _ سورة غافر، الآية 13.

(4) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج9، ج24، ص 106.

(5) _ سورة يوسف، الآية 76.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

راجعا إلى صفات الله تعالى، والمقصود تبييتهم على عبادة الله مخلصين له الدين بالترغيب بالتعرض إلى رفع الله درجاتهم كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽¹⁾.

و«ذو العرش» خبر ثان وفيه إشارة إلى أن رفع الدرجات منه متفاوت، كما إن مخلوقاته العليا متفاوتة في العظم والشرف إلى أن تنتهي إلى العرش وهو أعلى المخلوقات كأنه قيل: إن الذي رفع السماوات ورفع العرش ماذا تَقْدِرُونَ رَفَعَهُ درجات عابديه على مراتب عبادتهم وإخلاصهم»⁽²⁾.

وبالعودة ثانية إلى النص في قوله: «ذلك التصورُ الشامل الرفيع النظيف» لنقف قليلا عند اسم الإشارة «ذلك» المشار به هنا إلى البعيد، «والبعيد يراد به منزلة المشار إليه وارتفاع مكانته وشرفه نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾،⁽⁵⁾.

وأما التعريف الدّاخل على هذه الأسماء والصفات: «التصور»، «الكامل»، «الشامل»، «الرفيع»، «النفيف» كما جاءت على الترتيب فهو قد جيء به لتمييز معاني ومفاهيم هذه الأشياء أكمل تمييز ولتقريبها من الذهن والوجدان، وجعلها في متناول الحس، وتزليلها منزلة الأشياء المحسوسة المشاهدة المكشوفة للعيان»⁽⁶⁾.

هذا وإن لفظة (الرفيع) التي وردت في هذه العبارة تبرز أحد القيم الإيجابية المستمدة من التصور الإسلامي الرباني الشامل الكامل النظيف لذلك فمن تعلق به من فرد أو جماعة عقيدة وأخلاقا وعبادة وطاعة وسلوكا إلا ورفع الله إلى أعلى عليين وأعزه، ومن أعرض عنه ونأى خفضه الله ونزل به إلى أسفل الدرجات ولم ينل من الدنيا إلا القشور وفي الآخرة عذاب أليم.

(1) _ سورة المجادلة، الآية 11.

(2) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج9، ج1، ص ص 106-107.

(3) _ سورة البقرة، الآية 2.

(4) _ سورة البقرة، الآية 5.

(5) _ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط5، سنة 2011م، مج1، ج1، ص 85.

(6) _ بتصرف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 84.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة التاسعة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (عشت أتملى - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود... لغاية الوجود، وغاية الوجود الإنساني⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (نظف):

من معاني كلمة (تظف) وعن ابن فارس (ت 395هـ) في مقاييس اللغة: «النون والظاء والفاء كلمة واحدة، وهي قولهم: شيء نظيف: نقي بين النظافة، وقد نَظَفَ يَنْظِفُ، واستنظفَ ما عند الإنسان: استوفيته وأخذته كله، ونَظَّفْتُهُ نَقَيْتُهُ»⁽²⁾.

وفي أساس البلاغة مما وردت فيه هذه اللفظة مجازاً: «... ومن المجاز: استنظف الوالي الخراج: استوفاه، ورجل نظيف الأخلاق: مُهَذَّبٌ، وهو يَنْظِفُ: يَتَرَهُ مِنَ الْمَسَاوِي»⁽³⁾.

حينما تعقبنا لفظ (نظف) بالتأمل المركز في المعاجم اللغوية المختلفة ألفيتها تكاد لا تخرج عن معان نحو: التقاوة، والحسن، والعفاف، والطهارة ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظِيفٌ يَجِبُ النَّظَافَةَ»⁽⁴⁾، وفي اللسان عن ابن الأثير: «نظافة الله كناية عن تتره من سمات الحدث وتعالیه في ذاته عن كل نقص، وحبه النظافة من غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك ومُجانبة الأهواء، ثم نظافة القلب عن الغل والحقد، والحسد وأمثالها، ثم نظافة المطعم والملبس عن الحرام والشبهه، ثم نظافة الظاهر بملابسة العبادات، وعن أكل الحرام والقاذرات، والحث على تطهيرها من النجاسات والسؤال»⁽⁵⁾.

وإذاً رجعنا إلى صيغة «النظيف» كما جاءت في سياق النص نلاحظ أنها وردت على وزن الفعل وهي صفة مشبهة تفيد معاني الثبوت والدوام، والملازمة السرمدية الأزلية للموصوف: (التصور) يقول عز من قائل: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾⁽⁶⁾، فكل ما

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (نظف)، ص 904.

(3) _ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، سنة 1985م، مادة (نظف)، ج2، ص 456.

(4) _ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة ومطبعة الباي الحلبي-القاهرة، ط2، سنة 1975م، ج5، ص 111.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظف)، ج14، ص 195.

(6) _ سورة لقمان، الآية 11.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أبدعه الله تعالى كمال في كمال، وتناسق في تناسق، وجمال في جمال، ونظافة في نظافة، وهذا ما عبّر عنه النص بسياقه كله خاصّة عند استخدامه اسم الإشارة «ذلك» ليدل بذلك في وضوح، وصراحة، وقرب على الكمال، والشمول، والنظافة، نحو قولك (هذا الرجل)، (وهذا البطل)، وهو ما يجوز قياسه على النص الذي بين أيدينا في قوله (ذلك التصور النظيف)، أي: الكامل في الوصف الذي وُصف به، جاء عن سيبويه: «إذا قلت (هذا الرجل فقد يكون أن تعني كماله...)»⁽¹⁾.

وأنت تُحس الفرق بين قولنا (ذلك الرجل) ففي التعريف من الدلالة على الكمال ما ليس في التنكير، جاء في دلائل الإعجاز: «ويبين ذلك أن تقول: (لك في هذا غنى) فتكرّر إذ أردت أن تجعل ذلك من بعض ما يُستعنى عنه، فإذا قتلت: (لك في الغنى) كان الظاهر أنك جعلت كل غناه به، أي: كماله و(أل) هنا تفيد الاستغراق»⁽²⁾.

وَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَشِيرُ هُنَا إِلَى أَنْ (أل) في سياق النص الذي نحن بصدد معالجته لا تفيد الاستغراق كما جاءت في الأمثلة التي استدلت بها الجرجاني على كمال الوصف بل جاءت هنا لتفيد العهد فهي تدل على معهود مخصوص معيّن يتمثل في وصف (النتيف) الذي يتضمن ضميراً مستترا يعود على الموصوف الذي هو (التصور) الذي لا يخفى على العاقل الراسخ في العالم والهدى كماله، وشموليته، وكذا نظافته من عباده الذين قال فيهم حل ثناؤه: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁽³⁾.

هذا وإن وصف «النتيف» المنسوب إلى ذلك التصور الثابت الكامل الشامل الدائم الأزلي، المحكم المنسجم للوجود، والحياة، والإنسان بشقيه الباطني الوجداني الروحي، والظاهر الجشmani الذي يحتاج الكلام فيه إلى آلاف وآلاف من الصفحات وهو مالا يسمح به المقام هنا.

أما المعنى الآخر المجازي الذي هو وصف (النتيف) فهو يتعلق بذات الله عزّ وجل وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «أنّ الله تبارك وتعالى نظيف يُحبُّ النّظافة»⁽⁴⁾، وقال ابن الأثير عن ابن منظور: «نظافة الله كناية عن تترّفه من سمات الحدث وتعالیه في ذاته عن كل نقص، وحبّه النظافة من

(1) _ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 263.

(2) _ عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت-

لبنان، ط1، سنة 2001م، ص 224، انظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج1، ج1، ص 103.

(3) _ سورة فصلت، الآية 53.

(4) _ الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص 111.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك، ومجانبة الأهواء يقول المولى عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (1)، (2).

وقول جل ثناؤه: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مِثْبَاتًا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّخِذِينَ﴾ (3).

«أنتى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الأخيرة على من أحب الطهارة وآثر النظافة وهي مروءة
آدمية ووظيفة شرعية، وفي الترمذي عن عائشة رضوان الله عليها أنها قالت: مُرْنَ أزواجكن أن
يستطيبوا بالماء فإني أستجيبهم، قال: حديث صحيح، وثبت أن النبي ﷺ كان يحمل الماء معه في
الاستنجاء، فكان يستعمل الحجارة تخفيفاً والماء تطهيراً» (4).

هذا والنظافة والجمال سيما المسلم الصحيح يقول ابن الجوزي في كتابه الموسوم بـ (صيد
الخطار): «تَلَمَّحَتْ على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم فمنهم مَنْ لا يَنْطَفِ فمه بِالْحِلَالِ (5)، بعد
الأكل، ومنهم مَنْ لا يَنْقِي يديه في غسلهما من الزَّهْم (6)، ومنهم من لا يكاد يستاك، وفيهم من لا
يكتحل، وفيهم من لا يُرَاعِي الإِبْطَ إلى غير ذلك، فيعود هذا الإهمال بالخلل وفي الدِّين والدنيا، أما
الدِّين، فإنه قد أمر المؤمن بالتنظيف والاعتسال للجمعة، لأجل اجتماعه بالناس، ونهي عن دخول
المسجد إذا أكل الثوم، وأمر الشرع بتنقية البراجم (7)، وقص الأظفار، والسواك، والاستحداد (8)،
وغير ذلك من الآداب.

فإذا أهمل ذلك تَرَكَ مَسْنُونَ الشرع، وربما تعدى بعض ذلك إلى فساد العبادة، مثل أن يهمل
أظفاره فيجمع تحته الوسخ المانع للماء في الوضوء أن يصل» (9)، والحديث في هذا الموضوع يطول؟

(1) _ سورة البقرة، الآية 222.

(2) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظف)، ج14، ص 195.

(3) _ سورة التوبة، الآية 108.

(4) _ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرطبي، المسمى تفسير القرطبي، تحقيق: مجدي محمد سرور
سعد باسلوم، دار البيان العربي- القاهرة، ط1، سنة 2008م، مج5، ص 207.

(5) _ الخلال: العود الذي يتخلل به أسنانه، الجوهري، الصَّحاح، مادة (خلل)، ص 315.

(6) _ الزَّهْم: هو الدَّهن وأثره، المصدر السابق، مادة (زهَم)، ص 462.

(7) _ البراجم: مفاصل الأصابع التي بين الأشجاع والرَّوَّاجِب، المصدر نفسه، مادة (برجم)، ص 82.

(8) _ الاستحداد: حلقُ شَعْر العانة، أبو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (حدد)، مج1، ص 760.

(9) _ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بـ (ابن الجوزي)، صيد الخطار، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد- القاهرة،
ط1، سنة 2009م، ص 81.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إن وصف (النظيف) هنا ثابت دائم في حق التصور الاعتقادي الإسلامي وهو قائم في المبدأ أو الأصل على الطهر والجمال الظاهري والباطني، ملحوظ في هذا التصور الرباني والدليل على ذلك أنه ملموس محسوس في جمال الاعتقاد وفي صفاء التصور، وفي نظافة العبادة والمعاملة، سليم في السلم والحرب، نزيه وبريء في العهود والمواثيق، طاهر وعفيف في المشاعر والأحاسيس لأنه صادر من الله عز وجل الجميل الذي يحب الجمال، والنظيف الذي يحب النظافة...

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة العاشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم!) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (بهم):

ومن معاني هذه اللفظة في الصحاح: «البهائم: جمع بهم، والبهم جمع بهمة، وهي أولاد الضأن والبهمة، والبهمة: اسم للمذكر والمؤنث، والسخال: أولاد المعزى، فإذا اجتمعت البهائم والسخال قلت لهما جميعاً: بهام، أيضاً وقد جعل لبيد أولاد البقر بهاما بقوله: (2).

وَالعَيْن سَاكِنَةٌ عَلَيَّ أَطْلَاطَهَا عَوْدًا تَأْجَلُ بِالْفَضَاءِ بِهَامُهَا

ويقال: هم يُبهِمُونَ البهْمَ تَبْهِيمًا، إذا أفردوه عن أمهاته فرعوه وحده وأمر مُبْهِمٌ، لامأتى له، واستبهم عليه الكلام: استغلق» (3).

أما ما جاء في اللسان من مضامين لفظة (بهم): (وطريق مبهم إذا كان خفياً لا يستبين، وفي حديث الإيمان والقدر: «وترى الحفاة العراء رعاء الإبل والبهم يتناولون في البنيان» (4)، قال الخطابي (ت 388هـ) (5). أراد برعاء الإبل والبهم الأعراب وأصحاب البوادي ينتجعون مواقع الغيث ولا تستقر بهم الدار يعني أن البلاد تفتح فيسكنونها ويتناولون في البنيان ويقال لليالي الثلاث التي لا يطلع فيها القمر بهم وهي جمع بهمة، وقيل: البهيم: الأسود، والبهيم من النعاج: السوداء التي لا بياض فيها والجمع في ذلك بهم وبهم» (6).

من خلال تعقبنا لدلالات لفظة (بهم) في المعاجم اللغوية تكشف لنا أنها تتمحور حول ثلاثة معان أساسية، فالمعنى الرئيس الأول: هو الدلالة على كل ذات أربع قوائم من دواب البر والبحر، أو هو كل حي لا يميز أصلاً فهو بهيمة.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 11.

(2) _ الشاهد: من البحر الكامل للشاعر: لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، ص 165.

(3) _ الجوهري، الصحاح، مادة (بهم)، ص 114.

(4) _ مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، ج 1، ص 36-37.

(5) _ حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي من ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر رضي الله عنه، ولد سنة 319هـ، كان حجة صدوقاً، رحل إلى العراق والحجاز وجمال خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وصنف غريب الحديث، شرح البخاري، شرح أبي داود، العزلة توفي بسنة 388هـ، بالسبوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 1، ص 546-547.

(6) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (بهم)، ج 1، ص 522-527.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والمعنى الأساسي الثاني: هو الدلالة على الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه ويأتي في صيغة البهمة بالضم من البهم أما المعنى الشائع المشهور لهذه المادة هو الدلالة على السواد نحو: البهيم: الأسود، والبهيم من النعاج: السوداء التي لا يبيض فيها، وهناك معان أخرى فرعية لا يسمح لنا المقام بتعقبها وحصرها.

وإذا ما تحولنا إلى دلالات الصيغة كما وردت في سياق النص لمعاينة الصورة التي وضعت فيها نجدها قد جاءت في هذه الهيئة «البهيم» وهي في هذا البناء يجوز أن تكون صفة مشبهة تفيد معنى الثبوت، وطول المدة، واستمرار الحال إلى أمد بعيد، وهي بذلك لم تنحرف عن مغزاها ومرماها عن المعنى الشائع المشهور، أي: دلالتها على معنى السواد الحالك المعتم.

غير أن صيغة «البهيم» في السياق الخارجي للنص جيء بها لتدل على صفة مشبهة تفيد الثبوت وطول الأمد على هذه البشرية وهي ترتكس تحت كابوس الظالم الجاثم على صدرها، وهي تظن-غير مُستيقنة- أنها تتقلب في حضم النعيم، والسعادة، والطمأنينة، والرفاهية.

كما يجوز أن تدل صيغة «البهيم» في هذا السياق أيضا على معنى المبالغة الذي يشير من قريب إلى كثرة الظلام الحالك الكثيف وشدته، في تعدد ألوانه، وزخارفه، وصوره، وأشكاله المصطنعة، واستحواذه على البشرية في هذه العقود الأخيرة في جوانب حياته المختلفة الفكرية منها والسياسية، والثقافية والدينية، والخلقية، والاجتماعية.. إلخ.

ولكي يُقرَّب صاحب النص المعنى أو بالأحرى المشهد والصورة إلى القارئ استعان بعدة وسائل لغوية وبيانية استخدمها في النص ليدقق هدفه المنشود نحو: استخدامه أسلوب التعجب في مستهل النص، موظفا له أداة التعجب «كيف» لكي يجسد بها اندهاشه واستنكاره لهذه الوضعية التي آلت إليها البشرية في اطمئنائها، وتلذذها، وركونها إلى العيش وسط هذا الركام من الظلام الكثيف الضارب أطنابه في أرجاء المعمورة كلها، كما استعان صاحب النص بأداة التعريف، مدخلا إيها على جميع الأسماء والصفات الواردة في النص، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قصدية من الكاتب لاستحضار المعنى، والمشهد الكبير المتعفن، وتقريبه من عين القارئ، وذهنه، وقلبه بل من جميع حواسه، وكأنه بتوظيفه لهذه الأداة التعريفية يقول للمتلقي: هذا هو مشهد "الظلام البهيم" أمام ناظريك وبين يديك ومن خلفك وعن شمالك ويمينك فأنت تعيشه وتعاني ويلاته مثل سائر الناس في هذه المعمورة، أما السبب الرئيس في سيادة «الظلام البهيم» هو انقطاع هذه البشرية اليوم-إلا القليل منها- عن الإيمان بالله، واغترارها بالمستوى العلمي الذي وصلت إليه الأمر الذي جعلها تعبد

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وتقدّسه من دُون الله، وتستغنى كلية عن الله تعالى الخالق كل شيء، المدير الشؤون الكون كله، كما اغترت كذلك بالقوة المادية التي حققتها على أوسع نطاق بفضل التقدم العلمي، والتطور التقني، والإنتاج الصناعي المادي الوفير في جميع قطاعات الحياة مما هيا لها حياة الرفاه، والمتاع، والم لذات على أوسع نطاق، وقد قدّم القرآن الكريم العبرة لمن يعتبر المتمثلة في أمة عاد قوم هود يقول تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبِنَيْنٍ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتْ وَعُمُونِ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴿١﴾

«جاء في الكشف عن تفسير هذه الآيات قوله: «ومنه قولهم: كم ريع أرضك؟ هو ارتفاعها، والآية: العَلَمُ وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فاتخذوا في طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك، لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم، والمصانع: مأخذ الماء، وقيل: القصور المشيّدة والحصون «لعلكم تخلصون» ترجون الخلود في الدنيا، أو تُشبهه حالكم حال مَنْ يَخْلُدُ؛ «وَإِذَا بَطِشْتُمْ» بِسَوْطٍ أَوْ سَيْفٍ كَانَ ذَلِكَ ظِلْمًا وَعُلْوًا، وَقِيلَ: الْجَبَّارُ الَّذِي يَقْتُلُ وَيَضْرِبُ عَلَى الْغَضَبِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: تَبَادُرُونَ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ، لَا تَتَّبِعُونَ مُتَفَكِّرِينَ فِي الْعَوَاقِبِ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴿٢﴾

فإن قلت: لوقيل «أوعظت» أو لم تعظ، كان أحصر، والمعنى واحد، قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق، لأن المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أو لم تكن أصلا من أهله ومباشره، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ، من قرأ: خلق الأولين بالفتح، فمعناه: أن ما جئت به احتلاق الأولين وتخرصهم، كما قالوا: أساطير الأولين، أو ما خلقتنا هذا إلا

(1) _ سورة الشعراء، الآيات: 123-139.

(2) _ سورة الشعراء، الآيات: 136-139.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

خلق القرون الخالية، نَحْيًا كَمَا حَيَّوًا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب، وَمَنْ قرأ «خُلِقَ»، بضمين، وبواحدة، فمعناه: ما هذا الذي نَحْنُ عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم، كانوا يدينونه ويعتقدونه، ونحن بهم مُقْتَدُونَ، أو ما هذا الذي نَحْنُ عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزلْ عَلَيْهَا الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئتَ به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يُلْفَقُونَ مثله وَيُسْطَرُونَهُ»⁽¹⁾.

ولاشيء بعد هذا «الظلام والغطسة والبطش والتجبر الذي ظاهره المتاع، والزينة والجمال الظاهري، وحياة البحبوحة لأناس دون أناس، وعلم مادي محض، وقصور شائخة، ومصانع راسخة حَلَّتْ كلها محل معرفة الله تعالى وعبوديته وطاعته وهمست كلها في آذان أصحابها قائلة لهم اليوم: لقد مات الإله الذي يؤمن به المخرفون، والرجعيون المتحجرون الذي أرهقوا أنفسهم والبشرية جمعاء سنوات طويلة وأشقوها بالتفكير في الإيمان بآله مزعوم موهوم في يوم يكون فيه بعث وحساب وجزاء!!!

إنّ السياق هنا يقوم بدورها وهو يجهد للوصف الأسود الحلك البهيم الذي تبرزه العبارة، مستخدماً أسلوب الاستفهام المجازي، متسائلاً في عجب واستغراب مستنكراً: «كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط» وهذا كان الأمر من العفونة والقذارة إلى السقوط الحر في أسفل الدركات إلى الظلام الحالك الضارب بأطنابه في أرجاء الكون كله، وهي كناية تتعاون وتتظافر مع وصف (البهيم) ليصور ما الوضع المتردي المزري المأسوي الذي آلت إليه البشرية في الوقت الراهن... وهو وضع لا تحسد عليه في الحقيقة...

(1) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 839.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الحادية عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن وفي الدرك الهابط.... وعندها ذلك المرتع الزكبي، وذلك المرتقى العالی، وذلك النور الوضيء) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (وضأ):

ومما جاء في مقاييس اللغة عن مضامين هذه اللفظة: (الواو، والضاء، والهمزة: كلمة واحدة تدل على حسن ونظافة، وضؤ الرجل يوضؤ، وهي وضيء، والوضوء، بفتح الواو: الماء الذي يتوضأ به، والوضوء، بضم الواو: فعلك إذا توضأت من الوضوء، وهي الحسن والنظافة، كأن الغاسل وجهه وضأه، أي: حسنه) (2).

ومن معاني هذه اللفظة في القاموس المحيط (الوضوء): الحسن والنظافة، وقد وضؤ ككرم فهو وضيء من أوضياء ووضاء كرمآن من وضائين ووضاضى وما هو يواضى، أي بوضىء، والميضاءة: الموضع يتوضأ فيه ومنه والمطهرة. وواضأه فوضأه يوضؤه فأخره بالوضوء فغلبه (3).

بعد هذا التعقب المتمن في معاني كلمة (وضأ)، ومشتقاتها، ومفرداتها في المعاجم اللغوية العربية ذات الشهرة العلمية العالية في البلاغة والإبداع والفصاحة نراها تكاد لا تخرج عن دلالات الحسن والنظافة، والبهاء نحو: الوضوء هي الحسن والبهجة، ووضاء، أي حسان نقاء.

ومن اللافت لانتباه أن مشتقات هذه اللفظة ومختلف أبنيتها الفرعية غالباً ما تدل على ما يكون سبباً أو وسيلة إلى الحسن والنظافة والوضوء نحو: الوضوء بالفتح وهو الماء الذي يتوضأ به كالفطور والسحور في هيئتها، وحركاتها جميعاً، والبيضاءة: الموضع الذي يتوضأ فيه ومنه.

وأما صيغة (الوضي) الذي وردت في سياق النص معرفة بـ (أل) العهدية التي جىء بها لتدل على معهود مخصوص معلوم معين بارز للعيان، والمتمثل في الموصوف الذي هو (النور) الإلهي الرباني الكامل الشامل، المشرق القائم على مخلوقاته جميعاً في هذا الكون الكبير الفسيح، الرّحيب والمراد من (الوضي) المبالغة في الحسن والزيادة الفائقة في البهاء والصفاء والنقاوة، والنظافة والجمال، فالله عزّ وجل جميل يحب الجمال ونظيف يحبّ النظافة، وكامل الأوصاف يُحب الكمال في كل شيء.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (وضأ)، ص 958.

(3) _ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (وضأ)، ج1، ص 32.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

كما أن المراد بصيغة (الوضي) هنا الوصف الثابت الأزلي الدائم المستمر ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا لنوره سبحانه وتعالى، وهو نور على نور يُشعّ بنوره ووضاءته على جميع الكائنات وكيف لا؟ وهو القائل عن نفسه في محكم تنزيله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (1).

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ﴾ (2)، وهو ما عبر عنه النص في سياقه بصيغة (الوضي) ظاهر بذاته، مُظهر لغيره، ظاهر بذاته، مُتره عن العدم، بل عن إمكان العدم، مُظهر غيره من ظلمة العدم إلى نور الوجود ووضاءته.

إنّ الذات الظاهرة المظهرة هي النور (الوضي) وهي الله عزّوجل، والوجود نور (وضي) فائض على الأشياء كلها من نور ذاته، إذاً هو نور السماوات والأرض، النور الهادي (الوضي) الدائم المستمر الكامل الرشيد الذي يُرشد هدايته من يشاء فبيّن له الحق، ويلهمه إتباعه.

هناك أشياء عويصة جدا، يأتي مُخترع فيعمل ذهنه سنوات طويلة، وفجأة تلمع أمامه فكرة جديدة، هذه الفكرة التي لمعت أمامه في رأي أهل الدين إلهام من الله عزّوجل، لأنّ الله نور (وضي) وقذف في قلبه وذهنه هذه الحقيقة لقد تلقى هذه الومضة من الله عزّوجل، فالاختراع إذا بآفة (وضيئة) (3).

ولقد من الله عزّوجل بالنور (الوضي) عن طريق إرسال الرسل للبشر والرسول من البشر يقول

المولى سبحانه وتعالى في هذا المقام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴿٤٩﴾ (4).

يقول صاحب تفسير «في ظلال القرآن» عن تفسير هذه الآية: «ولقد سبق في سياق السورة أن المشركين كانوا يستهزئون بالرسول ﷺ - لأنه بشر، وأنهم كانوا يكذبون بالوحي، ويقولون: إنّه سحر أو شعير أو افتراه فهاهم ذا يكشف لهم أنّ إرسال الرسل من البشر هي السنة المطردة، وهذه

(1) _ سورة النور، الآية 35.

(2) _ سورة النور، الآية 35.

(3) _ بتصرف، محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج2، ص 32-34.

(4) _ سورة الأنبياء، الآيات: 48-50.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

نماذج لها من قبل، وأن نزول الكتب على الرسل ليس بدعة مستغربة فهأهما دآن موسى وهارون آتاها الله كتاباً، وسمي هذا الكتاب «الفرقان»، فهناك وحدة حتى في الاسم، ذلك أن الكتب المترلة كلها فرقان بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين منهج في الحياة ومنهج، واتجاه في الحياة واتجاه، فهي في عمومها فرقان، وفي هذه الصفة تلتقى التوراة والفرقان.

وجعل التوراة كذلك «ضياء» يكشف ظلمات القلب والعقيدة، وظلمات الضلال والباطل، وهي ظلمات يتوه فيها العقل ويضل فيها الضمير، وإن القلب البشري ليظل مُظلمًا حتى تشرق فيه شعلة الإيمان، فتتير جوانبه بهذا النور (الوضيء) ويتكشف له منهجه، ويستقيم له اتجاهه، ولا تختلط عليه القيم والمعاني والتقديرات.

وجعل التوراة كالقرآن «وَذَكَرًا لِلْمُنْتَقِينَ» تذكرهم بالله، وتبقى لهم ذكرًا في الناس، وماذا كان بنو إسرائيل قبل التوراة؟ كانوا أذلاء تحت سياط فرعون، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويستذلهم بالسخره والإيذاء.

ويخص المتقين «الذين يخشون ربهم بالغيب» لأن الذين تستشعر قلوبهم خشية الله ولم يروه، «وهم من السّاعة مشفقون» فيعملون لها ويستعدون، هؤلاء هم الذين ينتفعون بالنور «الوضيء» ويسيروا على هداة، فيكون كتاب الله لهم ذكرًا، ويذكرهم بالله ويرفع لهم ذكرًا في الناس»⁽¹⁾.

إنّ السياق في هذه العبارة لكي يوصل دلالة صيغة (الوضيء) بوضوح ودقة وقوة استعان في ذلك باستعمال المقابلة الذي يتمثل في استحضار صورة قائمة قدرة هابطة، واستحضار صورة أخرى وضيئة مشرقة زكية عالية، إضافة إلى استخدام أسلوب الاستفهام المجازي المفيد للتعجب المقرون بالاستنكار بهذا التناقض الفضيع في سلوك البشرية التي كرمها الله بالروح والعقل والإرادة والتدبر وبالتالي القدرة على التمييز بين الخير والشر وبين الضار والنافع، وبين الظلام والنور...

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج17، ص 2384.

الفصل الثاني..... (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية عشرة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) معرّفة هي: (وعشت في ظلال القرآن- أحسُّ التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريد الله، وحركة الكون الذي أبدعه الله.. فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي في كلمة (جمل):

جاء في معجم مقاييس اللغة في التعريف بمادة (جمل) قوله: « الجيم والميم واللام، أصلان: أحدهما: تجمع وعظم الخلق، والآخر: حُسن، ورجل جميل وَجَمَّال، قَالَ ابن قتيبة⁽²⁾: أصله من الجميل، وهو ودك الشحم المذاب، يراد أن ماء السمن يجري في وَجْهه، ويقال: جَمالك أن تَفْعَلَ كذا، أي: أَجْمَلُ وَتَفْعَلُهُ، وَقَالَ أبو ذؤيب الدؤلي:

جَمَالِكُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَرِيحُ سَتَلْقَى مِنْ ثُحْبٍ فَتَسْتَرِيحُ⁽³⁾،⁽⁴⁾.

وجاء في اللسان عن التعريف بالمادة نفسها قوله: « الجمل: الذكر من الإبل، والجمال: مصدر الجميل، والفعل جَمَلٌ، وقوله عزوجل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾⁽⁵⁾، أي: بهاء وحُسن.

قال ابن الأثير والجمال يقع على الصور والمعاني، ومنه الحديث: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»⁽⁶⁾، أي حَسَنَ الأفعال، كامل الأوصاف، وقوله أنشدته ثعلب لعبيد الله بن عتبة:

وَمَا الْحَقُّ أَنْ تَهْوَى فَتُشْعَفَ⁽⁷⁾ بِالذِّي هَوَيْتَ إِذَا مَا كَانَ كَيْسَ بِأَجْمَلِ⁽⁸⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدبوري النحوي اللغوي، ولد سنة 213هـ، نزل بغداد، كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة دينا فاضلا، صَنَّف: إعراب القرآن، معاني القرآن، غريب القرآن، مختلف الحديث، جامع التحو... إلخ، مات سنة 267هـ، السيوطي، بغية الوعاة، مج2، ص ص 63-64.

(3) _ الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر أبي ذؤيب الدؤلي، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج2، المحتوى: شعر، قافية (الحاء)، 121.

(4) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (جمل)، ص ص 175-176

(5) _ سورة النحل، الآية 6.

(6) _ مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر، ج1، ص 93.

(7) _ فتشعف: شعفها حباً: بطنها حباً، وشعفت البعير بالقطران: طليته، الجوهرى، الصحاح، مادة (شعف)، ص 552.

(8) _ الشاهد من البحر الطويل، للشاعر: عبيد الله بن عتية، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج6، المحتوى: شعر، قافية(اللام)، ص 551.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

قال ابن سيده: يجوز أن يكون أجمل بمعنى جميل، وقد يكون أراد ليس بأجمل من غيره كما قالوا: الله أكبر، يريدون من كل شيء»⁽¹⁾.

حينما تتبعنا لفظة (جمل) بشيء من التروي والتأمل في المعاجم اللغوية الشهيرة ألفيناها تجري في دالتين رئيسيتين: أولاهما الدلالة الأصلية نحو: الحُسْنُ والبهاء، والرونق والصفاء والأخرى الدلالة الفرعية نحو تجمع وعظم الخلق، والجمل: الذكر من الإبل وغيرها.

وإذا ما انتقلنا إلى سياق النص الذي وردت فيه مادة (جمل) ناظرين في الهيئة التي جاءت فيها نجدها كالتالي: «الجميل»، وهو في هذه الصورة وصف يدل على معنى ثابت دائم، راسخ ملحوظ في الذات الموصوفة المتمثلة في قوله (هذا التناسق الجميل)، وهو تناسق ملحوظ في كافة مخلوقات الله تعالى في هذا الكون الفسيح الممتد المشهود: في سمائه وأرضه، بره وبحره، في نباته وأشجاره، في حيواته طيره، ومشرانه، وفي أسماكه، نلاحظ حكمه الله الجليلة في طريقة صنعه وإبداعه، فهو قد سخر لئلي الحاجات الضرورية للبشر، كما سخر لئلي الحاجات الروحية منها والنفسية، والوجدانية والشعورية يقول الودود الرحيم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

وحسبنا هنا الإتيان بمثالين دالين للقياس عليهما في حكمة إبداع الله لمخلوقاته جميعا، مثال نراه في السماء-تقريبا- كل يوم، ومثال نراه في الأرض، وهنا نفضل اختيار مثال الحديث في السماء عن القمر منه عن الشمس، «وذلك لتفرغ الناس ليلاً خاصة في فصل الصيف وتأملهم في السماء ونجومها وقمرها سواء سكان الريف منهم أو سكان المدن، فالقمر- مثلاً- يؤدّي وظائف حيوية كثيرة للإنسان- منذ ملايين السنين منها أنه يخفف من حدة الظلام الحالك بعد غياب الشمس فيساعد السّاري ليلاً على تبيّن الطريق المقصود، واجتناب مخاطره كالوديان والأنهار، والأشواك، والأدغال، والصخور، وأماكن الوحوش، كما يساعد على نمو كثير من النباتات والأشجار، ويساعد على معرفة أيام الشهور والأعوام وغيرها مما يلي حاجات الإنسان الضرورية العديدة في الأرض يقول مولانا عز وجل: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾⁽³⁾.

(1) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمل)، ج2، ص 363.

(2) _ سورة الجاثية، الآية 13.

(3) _ سورة يس، الآية 39.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وهو كذلك وظيفه جمالية وجدانية قلبية بإثارته للشعور وتحريكه للأحاسيس الجياشة يقول أحد مفسري القرآن لهذا العصر: «والعباد يرون القمر في منازل تلك يوم يولد هلالاً، ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدراً ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالاً مقوساً كالعرجون القديم، والعرجون هو العِدْقُ الذي يكون فيه البلحُ من النخلة»⁽¹⁾.

والذي يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة يدرك ظل التعبير القرآني في العجيب « حتى عاد كالعرجون القديم»، وخاصة ظل ذلك اللفظ «القديم»، فالقمر في لياليه الأولى هلال وفي لياليه الأخيرة هلال... ولكنه في الأولى يبدو وكأنه يغشاه سهوم ووجوم، ويكسوه شحوب وذبول، دبول العرجون القديم! فليست مصادفة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحى! والحياة مع القمر ليلة بعد ليلة تثير في الحسّ مشاعر وخواطر ندية ثرية، موحية عميقة...»⁽²⁾.

«... والقلب البشري الذي يعيش مع القمر دورة كاملة لاينجو من تأثيرات واستجابات، ومن سبحات مع اليد المبدعة للجمال والجلال، المدبّرة للأجرام السماوية بذلك النظام سواء كان يعلم سرّ هذه المنازل والأشكال القمرية المختلفة أو لا يعلم، فالمشاهدة وحدها كفيلة بتحريك القلب، واستجاشة الشعور، وإثارة التدبّر والتفكير»⁽³⁾.

وإذا تحولنا إلى مثال الأرض سرعان ما نرى حكمة الله في خلقه وتديبه وتقديره فيه يقول الله الحكيم الخبير: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا سِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾⁽⁴⁾.

« وفي بيئة زراعية كالبيئة التي نزل فيها القرآن أول مرة، وأشباهاها كثير، وفي كل بيئة زراعية، والبيئات الزراعية هي الغالبة حتى اليوم في العالم... وفي هذه البيئة، تبرز الأنعام، التي لا حياة بدونها لبني الإنسان، والأنعام المتعارف عليها في الجزيرة كانت هي الإبل والبقر والضأن والمعز، أما الخيل

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج23، ص 2968.

(2) _ المصدر نفسه، مج4، ج14، ص 2161.

(3) _ المصدر نفسه، مج5، ج23، ص 2968.

(4) _ سورة النحل، الآيات 5-9.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والبغال والحمير فللركوب والزينة ولا تؤكل والقرآن إذ يعرض هذه النعمة هنا ينبه إلى مافيه من تلبية لضرورات البشر وتلبية لأشواقهم كذلك: ففي الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وما إليها، ومنها تأكلون لحما ولبنا وسمنا، وفي حمل الأثقال إلى البلد البعيد لا يبلغونها إلى بشق الأنفس، وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء وعند السرح في الصباح، جمال الاستمتاع بمنظرها فارها رائعة صحيحة سميحة تثنو وتصيح، وأهل البادية يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم أكثر مما يدركه أهل المدينة.

وفي الخيل والبغال والحمير تلبية للضرورة في الركوب، وتلبية لحاسة الجمال في الزينة فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة القرآنية في الفطرة الإنسانية وفي بناء هندسة الكون كله، وليست النعمة هي مجرد تلبية للضرورات من طعام وشراب وركوب بل تلبية للأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان»⁽¹⁾.

يرسم سياق هذه العبارة صورتين بارزتين تتمثلان في حركة الإنسان كما أرادها الله، وحركة الكون كما أبدعها الله، وهما حركتان ليستا متناقضتين متنافرتين إنما هما حركتان منسجمتان متكاملتان متناغمتان ويبدو تناسقهما وتكاملهما وتناغمهما عبودية البشر لله وحده من جهة وفي إسلام الوجود كله لله، وعبودية الوجود كله لسلطانه من جهة أخرى. والمؤمن الصادق في إيمانه هو الذي يحس ذلك التناسق والتناغم والتجاوب (الجميل) بين هاتين الحركتين الدائبتين الثابتتين الدائميتين اللتين تحكمان الوجود كله... .

(1) _سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج14، ص 2161.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: «... أي راحة، وأي سعة، وأي أنس، وأي ثقة يُفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة:

(فسح): «قال الليث⁽²⁾ ! الفساحة: السعة الواسعة في الأرض، تقول: بلد فسح، ومفازة فسيحة، وأمر فسح، ولك فسحة، أي: سعة، والرجل يفسح لأخيه في المجلس فسحا: إذا وسع له، والقوم يتفسحون: إذا مكثوا، وقال الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾⁽³⁾،⁽⁴⁾.

ومن مضامين اللفظة أيضا في اللسان: «فسح المكان فساحة وتفسح وانفسح، وهو فسح وفسح، وفي حديث علي عليه السلام: «اللهم افسح له منفسحا يعني جنة عدن، ومجلس فسح، على فعل، وفسح واسع، وانفسح صدره: انشرح»⁽⁵⁾.

من خلال هذا العرض الموجز المتعقب لمضامين كلمة (فسح) في المعاجم اللغوية الشاملة المتمكنة نلاحظ أن هذه اللفظة تكاد لا تنحرف عن دلالات السعة والاتساع، والامتداد والرحابة والانشرح نحو: بلد فسح، ومفازة فسيحة، ومثل فسح، أي: متسع رحب.

وإذا ما اتجهنا بأنظارنا إلى الصيغة التي وردت فيها اللفظة نجدها قد جاءت في هذه الصيغة (الفسيح)، وهي التي تُعينا في سياق النص أكثر من غيرها، وهي كما يلحظ قد وردت معرفة بـ (أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص معين، أي: إلى موصوف محدد باسم الإشارة هكذا: (هذا التصور الفسيح) مما زاد المعنى وضوحا، وتعريفا، وتوكيدا حيث اتصف الموصوف بوصف الانفساح والاتساع، والامتداد إلى ما شاء الله له من الاتساع، والامتداد....

(1) _ المصدر السابق، مج1، ج1، ص12.

(2) _ الليث بن المظفر، هكذا سماه الأزهرى، وسماه غيره بأسماء أحر، قال الأزهرى: كان رجلا صالحا انتحل كتاب العين للخيل لينفق كتابه باسمه، ويرغب فيه، لم يذكر تاريخ ولادته ولا وفاته، السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص270.

(3) _ سورة المجادلة، الآية 11.

(4) _ الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (فسح)، مج3، ص ص 2786-2787.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (فسح)، ج10، ص260.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وهذا الوصف كله جاء على وجه الثبوت والدوام والرسوخ في الموصوف، وهو وصف أيضا تؤكده، وتثبته، وتقويه في سياق النص جميع هذه الأسماء والأوصاف المعرّفة لوصف (الفسيح) نحو اسم (التصور)، ونحو وصف (الكامل) وغيرها لأن هذا المثال النادر لـ (التصور)، ولـ (الفسحة) ولـ (الكامل) لا يصدر إلا عن كامل في ذاته وأوصافه وأسمائه التي عرّف نفسه بها مراراً وتكرار في القرآن الكريم هكذا ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾، ومن أسماء الله الحسنى المتداخلة المكملة لبعضها بعضاً في دقة وتناسق وتكامل متناه: الواسع وهو (الفسيح) المشتق من الفسحة، والواسع مشتق من السعة وهي الفسحة، تُضاف إلى العلم إذا انفسح واتسع، وامتد إلى ما لا نهاية، وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف مرة أخرى إلى الإحسان وبسط النعم.

وبناء على ما سبق فالله هو الواسع (الفسيح) فرحمته أنفست واتبعت لكل شيء، وغناه تفسح ووسع كل فقير، وإحسانه شمل واستوعب كل مخلوق، فلا تضيق دائرة علمه عن شيء، ولا تضيق دائرة إحسانه عن أي شيء، ولا تضيق دائرة قوته عما دونه، فقوته تتعلق بكل ممكن، وإحسانه يتعلق بكل ممكن، وعلمه يتعلق بكل ممكن.

فكلمة (فسيح)، أي: واسع، وسعت رحمتي كل شيء، وسع علمي كل شيء، ووسعت قدرتي كل شيء، ووسع غناي كل شيء، لذلك قيل: الواسع (الفسيح) هو الذي لانهاية لسلطانه فتحن لا نستطيع تصور اللانهاية (الفسيح) فالطريق -مثلاً- له نهاية، وهذه الحجر، بحجرة «التبانة»، وسائر الحجرات لها نهاية، وهذا الرجل الغني مهما عظم ماله عند رقم معين، وهذا الإنسان مهما بلغ من جاهه هناك شيء لا يستطيعه، فمثلاً أمهر طبيب بالعالم إذا مات المريض هل يمكن أن يعيد له الحياة؟ ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا تَسْقَدُونَ﴾⁽²⁾، هذا شيء يفوق طاقته البشرية المحدودة، الضيقة.

إذن (الفسيح) الواسع هو الذي لانهاية لسلطانه، وبالمناسبة الإنسان مهياً ليتعرف على الله إذ لا تملأ نفسه إلا معرفة الله، أي شيء دون الله عزوجل بعد حين يمل منه، يحيط به أولاً، وينتهي من التفكير فيه، لذلك حينما يغفل الإنسان عن الله عزوجل ويتبعد عن هذا التصور الشامل الكامل»

(1) _ سورة الحشر، الآية 24.

(2) _ سورة سبأ، الآية 30.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الفسيح» الصّحيح لهذا الكون، وبعد أن تتحدّد دنياه يشعر بخيبة الأمل، ويشعر بالسأم والضجر لا لشيء إلا لأنّ نفسه مخلوقة لتدرك هذا التّصوّر الشامل الكامل «الفسيح» لتعرف اللانهائيّ، وتعرف المطلق، فإذا اشغلتها بغير المطلق وهو التّنهائي المحدود والضيق سئمت بهذا الضيق والمحدود وملّته وضمّجرت منه»⁽¹⁾.

وقد نطق بهذا لسان حال الإنسان وعبر عنه بمرارة، وملل في مواقف كثيرة عبر المراحل التاريخية قائلا:

سَمَّمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشِ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامٍ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ⁽²⁾

إن السياق التعبيري كله في هذه العبارة جاء ليدعم ويقوي وصف لفظة (الفسيح) الذي يستمد قوته من التّصور الرباني الشامل الكامل للوجود كله فيغمر قلب المؤمن بفيض من الراحة والسعة والأنس، والثقة بالله عز وجل لإيصال دلالة الفسح إلى قلب (المخاطب) وعقله واضحة مؤثرة فيشبهه (التصور) بإنسان يسكب الراحة والأنس... على قلب المؤمن كما يسكب الماء للظمان في صحراء قاحلة، وهو تشبيه تمثيلي منتزع من متعدد جسد به الكاتب دلالة وصف الفسح وجعلها قريبة إلى المدارك والإحساس والجوارح...

(1) _ بتصرف، محمد راتب النابلسي، أسماء الله الحسنى، ج2، ص 296.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل للشاعر: زهير بن أبي سلمى: أنظر: زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 110.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) هي (...أي راحة، وأي سعة، وأي: أنس، وأي ثقة يُفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (صح، صحح):

« قال الليث: الصحة: ذهاب السقم، والبراءة من كل عيب وريب، يقال: صحَّ يصحُّ صحَّةً، وفي الحديث: « الصوم مصحَّة»⁽²⁾، بفتح الصاد، ويقال: مصحَّة بكسرة الصاد، قال: والفتح أعلى»⁽³⁾.

ومن مضامين لفظة (صح، صحح) في اللسان: «الصَّحُّ وَ الصَّحَّة وَ الصَّحَّاح: خلاف السَّقم وذهاب المرض، وقد صحَّ فلان من علته، واستصحَّ قال الأعشى:»⁽⁴⁾.

أَمْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ، فَلَيْنُ نَفْضَ الْأَسْقَامِ عَنْهُ وَاسْتَصَحَّ
لِيُعِيدَنَّ لِمَعَدِّ عِكْرَهَا دَلْحَ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذَ الْمِنْحِ

ورجل صحاح وصحيح من قوم أصحاء، وامرأة صحيحة من نسوة صحائح»⁽⁵⁾.

بعد تعقبنا للفظ (صح) ومعانيها التي جاءت في المعاجم اللغوية العربية و المصادر الأدبية ذات النسق العالي في البيان العربي والإبداع والفصاحة اتضح لنا في نهاية الأمر أن مضامين هذه اللفظة قلما تخرج عن دلالات نحو: البراءة من كل عيب وريب، ونقص، أو علة ومرض.

أما المضامين التي حادت عن الدلالة المركزية فهي قليلة جدا نحو: الترهات الصحاح: وهي الأباطيل، و صحاح الطريق: ما اشد منه ولم يسهّل ولم يُوطأ.

وأما صيغة «الصحيح» فقد وردت معرفة بـ (أل) على وزن الفعيل وهي في هذه الهيئة صفة مشبهة تفيد معنى الثبوت والملازمة الدائمة في الموصوف الذي يدلنا عليه الضمير المستتر في لفظ (الصحيح) العائد على مصدر «التصور» الذي جاء معرفة بـ (أل) هو - الأخر - التي تسهم بقسط

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 12.

(2) _ أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، دار ابن الجوزية، القاهرة، ط1، سنة 2011م، ج1، ص 372.

(3) _ الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (صحح)، مج2، ص ص 1979-1980.

(4) _ الشاهد: من بحر الرمل للشاعر الأعشى الأكبر: ميمون بن قيس، كان أعشى العينين فلقب بالأعشى الديوان، عناية وشرح:

عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة-بيروت، لبنان، ط1، سنة 2005م، ص 63.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (صح)، ج7، ص ص 288-289.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

كبير في تحديد المعنى، وتوضيحه، وتخصصه، إضافة إلى اسم الإشارة (هذا) الذي أسهم هو الآخر في إيضاح، وإبراز، وإحضار مفهوم (التصور) يجعله أمام عين المشاهد حرصاً منه على لفت انتباهه، وشده، وتعيين الشيء المشار إليه دون غيره من المفهومات والصور الذهنية المجرة منها والمحسوسة.

لقد كان القرآن الكريم قد قدّم للناس هذا التفسير (الصحيح) الشامل في الصورة الكاملة التي تقابل كلّ عناصر الكينونة الإنسانية، وتلي كل جوانبها، وتتعامل مع كل مقوماتها... تتعامل مع «الحس» و«الفكر» و«البديهة» والبصيرة ولسان حالها يقول: انتقد انتقاداً بناءً أولاً ثم اعتقد ثانياً، تماشياً مع قوله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽¹⁾، وتماشياً مع سائر الإدراك البشري، والكينونة البشرية - بوجه عام - كما تتعامل مع الواقع المادي للإنسان⁽²⁾، بدءاً من الأكل والشرب، والكساء والنوم، إلى الكيف، إلى الطهارة الظاهرة والباطنة إلى حق الله على عباده، وحق النفس على صاحبها، وحق الأهل والجيران، بعضهم على بعض، إلى حق الغني على الفقير، والفقير على الغني، إلى التعامل مع الحيوان، والنبات والأشجار، والحشرات ضارها ونافعها، إلى النظر ماذا في السماوات والأرض واستخلاص الآيات والنذر والعبر، إلى حسن استثمار خيرات الله المبتوثة في سمائه وأرضه، بره وبجره «هذا الواقع الذي ينشئه وضعه الكوني - في الأسلوب الذي يخاطب ويوحى، ويوجه كل عناصر هذه الكينونة في تناسق هو تناسق الفطرة، كما خرجت من يد بارئها»⁽³⁾. سبحانه وتعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁽⁴⁾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾⁽⁴⁾.

« وهذا الخلق للإنسان في أحسن قوام (بفتح القاف)، أي: عدل وتساوية يتماشى و يتناسب مع عبارة «... التصور... الصحيح» عامة، وصفة «الصحيح» المشبهة الثابتة السرمدية الباقية إلى يوم الدين، وحسن التقويم هو أكملهُ، وأليقه، وأصحهُ، وأنسبهُ لنوع الإنسان، أي: أحسن تقويم له، وهذا يقتضي أنه تقويم خاص بالإنسان لا يشاركه فيه كثير من المخلوقات لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽⁵⁾،

(1) _ سورة البقرة، الآية 256.

(2) _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق-بيروت، ط7، سنة 1980م، ص 6.

(3) _ المصدر نفسه، ص 6.

(4) _ سورة التين، الآية 4، 5.

(5) _ سورة الإسراء، الآية 70.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ويتضح: «التصور الصحيح... أو التصوير الصحيح» للإنسان على سبيل المثال لا الحصر - في تعديل قواه الظاهرة: عيني، ولسان، وشفتي، وأذنين، وأنف ذي منخرين، ويدين، ورجلين، ورأس، وجذع كل في مكانه المناسب «الصحيح» الذي يؤدي به وظيفته في الحياة على أحسن وجه.

ويتضح أيضا: «التصور... الصحيح» في القوى الباطنة للإنسان خاصة: عقل، ونفس، وروح، وشعور، وتفكير، وأجهزة عصبية، وأجهزة هضمية وتنفسية، وعظمية، وخلايا متنوعة ماثوثة في جميع الأجهزة بحيث لا تكون إحدى قواه موقعة له فيما يفسد، ولا يعوق بعض قواه البعض الآخر»⁽¹⁾، يقول جلّ وعلا: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾⁽²⁾، وقد قدم الله لنا: «التصور... الصحيح» الثابت الراسخ، السوي المستقيم الأقوم، المستنير الحق⁽³⁾، للألوهية هو أن الله الأحد، الفرد، الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ذو الإرادة المطلقة، والقدرة اللاهائية، الغني ذو الرحمة الغامرة، الواسع، العليم، الحكيم الخبير، الخالق الرازق، ذو القوة المتين، الغفور الرحيم، المنان الكريم، رب العالمين، فمن أراد أن يعرف الله جلّ وعلا المعرفة الحقيقية الصحيحة فليعرفه من خلال صفاته وأسمائه الماثوثة في الوحي المتزل على رسوله الكريم ﷺ وهي تسعة وتسعون اسماً أو صفه باتفاق جمهور العلماء الأولين منهم والآخرين»⁽⁴⁾.

إنّ السياق التعبيري هنا حينما وظف صيغة (الصحيح) لم يوظفها عبثاً أو مصادفة إنما قصد إليها قصداً ذلك أن الإنسان بفطرته مجبول على حب الصحة والقوة والعافية، والسلامة من أي آفات، كما أن الإنسان كذلك بفطرته مجبول على كراهة السقم والضعف والاضطراب في بدنه وحياته ومحيطه من أجل ذلك فالصحة تظل دائماً وأبداً شيئاً عزيزاً منشوداً طوال حياة الإنسان كلها في عقيدته وتصوره، في أخلاقه وعواطفه في مأكله وملبسه ومشربه، ومركبه ومسكنه...

(1) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 12، ج 30، ص 424.

(2) _ سورة الأنبياء، الآية 22.

(3) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 7، ج 17، ص 38.

(4) _ ابن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص 20.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مُطْمَئِنُّ الضمير، واثقا من نصر الله، مُتعلقا بالرجاء فيه متوقفا في كل لحظة وَعَدَ اللهُ الصَّادِقَ الأَكِيدَ) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (وكد):

جاء في تهذيب اللغة من معاني لفظة (وكد)، وقال الليث: وكَدْتُ العَقْدَ، أي: أوْ ثَقَّته، وكذلك أَكَدْتُهُ، ويقال: وكَدْتُ العَقْدَ، أي: أوْثَقْتُهُ، وكذلك أَكَدَّته، ويقال: وكَدْتُ اليمين، والهمز في العَقْدَ أجود وتقول: إِذَا عَقَدْتَ فَأَكِيدُ، وَإِذَا حَلَفْتَ فَوَكِّدُ، وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ: التوكيد: دَخَلَ فِي الكَلَامِ لِإِخْرَاجِ الشُّكِّ، وَفِي الأَعْدَادِ لِإِحَاطَةِ الأَجْزَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَقُولُ: كَلَّمَنِي أَخُوكَ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَّمَكُ هُوَ أَوْ أَمْرٌ غَلَامُهُ بِأَنْ يُكَلِّمَكَ، فَإِذَا قُلْتَ: كَلَّمَنِي أَخُوكَ تَكَلِّمًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ المَكَلَّمُ لَكَ إِلا هُوَ.

قال: ووَكَّدَ بالمكان يَكِيدُ كَوْدًا: إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَيُقَالُ: وَكَدَهُ يَكِدُهُ وَكَدًا: أَصَابَهُ» (2).

وَمِنْ معاني لفظة (وكد) في اللسان: «وَوَكَّدَا العَقْدَ وَالعَهْدَ: أوْثَقَهُ، وَهَمْزٌ فِيهِ لَغَةٌ، يُقَالُ: أَوْ كَدَّته وَأَكَدَّته إِيكَادًا، وَبِالوَاوِ أَفْصَحَ، أَي: شَدَّدْتَهُ، وَتَوَكَّدَ الأَمْرُ وَتَأَكَّدَ بِمعنى، وَوَكَّدَ الرَّجُلُ وَالسَّرَجُ توكِيدًا: شَدَّةً وَوَكَّدَهُ وَكَدًا: قَصَدَ قَصْدَهُ وَفَعَلَ مِثْلَهُ، وَمَازَالَ ذَاكَ وَكَدِي: أَي مَرَادِي وَهَمِي» (3).

إنَّ المَتَعَبَ لمضامين لفظة (وكد) في المعاجم اللغوية العربية، والمصادر الأدبية العربية ذات النمط العالي في البيان العربي يُلْفِيهَا تَكَادٌ لا تَنَحَرَفُ عَن دَلَالَاتِ: التيقن والإيثاق أو التوثيق وتوكيد الكلام: إِخْرَاجُهُ مِنَ الشُّكِّ، وَالشَّدِّ.

هذا وإن معنى (الأكيد) في هذه العبارة أعلاه هو معنى وصفي ثابت، راسخ عميق، بعيد الغور، ولا نهائي المدى في التحقق وصدق الوقوع في حقه سبحانه وتعالى الصادق المصدوق الذي لا يخلف وعده، لذلك جاءت العبارة محتومة بصيغة (الأكيد) وهو وصف أيضا لاصق، ملازم دائم جار باق، لائق بمقامه تعالى جلَّ شأنه وكُمِلت أسماؤه وصفاته في تعامله، وعلاقته بمخلوقاته جميعا دون استثناء، المحتاجة- في كل حين- إلى رعايته وإعانتته، وبره ورحمته وعطفه، وعفوه ومعونته.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 12.

(2) _ الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (وكد)، مج4، ص 3943.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (وكد)، ج15، ص 383.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إذن فمن كمالات صفات الله سبحانه التي يضيق بها العَدُّ أنه إذا وعد لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَوَعْدُهُ صادق (أكيد) لا يتأخر، ولا يضطرب ولا ينقص، ولا يرجع فيه مع عبده الطائع المنيب الذي يسبحه متعلقا بالرجاء فيه بالعدو، والأصل، متوقعا الاستجابة منه في كل لحظة يقول جل وعلا في هذا الشأن ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، ويقول: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾⁽²⁾، واليقين سكون الفهم مع ثبات الحكم، و(الأكيد) يصدق عليه المعنى نفسه وزيادة الثبوت والدوام، والملازمة الدائمة في المعنى للصيغة الأخيرة.

وقد يطلق اليقين، أي: (الأكيد) في لغة القرآن على الموت، لأنه واقع محتوم (أكيد) لا مفر منه، فيقول سبحانه في سورة الحجر: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾⁽³⁾. أو حتى يأتيك (الأكيد)⁽⁴⁾.

أي: حتى يأتيك القانون الثابت، المطرد، الجاري على المخلوقات جميعا وجاء قوله سبحانه في سورة النمل: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾⁽⁵⁾، وكأن اليقين، أي: (الأكيد) الموثق الثابت، الباقي، اللاهوائي في المدى هو الذي ينبثق من ينبوع البحث، والتأمل، وسعة التدبير، والتفكير فيغمر نور الإيمان الصادق قلب الصادق ويدفعه إلى أداء الفروض والواجبات، ويجعله على الدوام ثابتا على العقيدة السمحاء، موقنا، متذكرا لقاء ربه فيحسن الاستعداد لهذا اللقاء⁽⁶⁾.

ووعد الله الصادق (الأكيد) قائم كذلك على الثقة الكاملة بالله جلّ وعلا، والموثق هو الائتمان، ويطلق - كما مضى في تبيان معاني مادة (وكد) على العهد المؤكد أو (الأكيد) أيضا كالميثاق، والعقد الرسمي لأنه يقع به الائتمان، والوثيق كـ: (الأكيد) الذي لا ريب في وقوعه وهو الصلب الشديد المحكم، ويقال عهد وثيق، أي (أكيد) محكم مثبت، وعزة وثيقة، أي: محكمة لا تنقطع ولا تنفصم⁽⁷⁾.

(1) _ سورة الروم، الآية 6.

(2) _ سورة التكاثر، الآية 5.

(3) _ سورة الحجر، الآية 99.

(4) _ بتصرف، أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، دائرة الرائد العربي-بيروت، لبنان، ط1، سنة 1971م، ج3، ص180.

(5) _ سورة النمل، الآية 3.

(6) _ بتصرف، أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج3، ص186.

(7) _ بتصرف، المصدر نفسه، ج4، ص184.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

لذلك قال المولى عزوجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾⁽¹⁾.

إنَّ العبارة هنا ضمن سياقها العام وردت في جملة اسمية مبتدئة بالأداة (لكن) التي دخلت على
الجملة الإسمية ليبدل هذا السياق في مجموعه على معنى الثبوت ليقرر بذلك أمرين ثابتين دائمين في
علاقة العبد المؤمن بربه، أولهما: الثبات على هذا الدين القيم في خطى ثابتة، وضمير مطمئن وثقة كاملة
بربه وثانيهما تعلقه بالرجاء في الله ودفع التشاؤم واليأس عن نفسه متيقنا بأن ربه لا يخيب حسن ظن
عنده به، كما أن صيغة الأكيد جاءت لتؤكد هي الأخرى بدلالاتها الثابتة الدائمة هذا الود الصادق لذي
لا يتخلف ولا يتبدل ما لم يبدل ولم يغير هذا الهبد المؤمن عهده الوثيق المبرم مع مولاه...

⁽¹⁾ _ سورة البقرة، الآية 256.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السادسة عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (... وكل أمر لحكمة، ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (عمق):

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحِجِّ يَا تُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽²⁾، قال مجاهد: في قوله: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ قال: من كل طريق بعيد.

وقال الليث: الأعماق و الأمعاق: أطراف المفازة البعيدة، وقال رؤبة بن العجاج:

وَقَاتِمَ الْأَعْمَاقِ حَاوِي الْمُخْتَرِقِ⁽³⁾

ومن مضامين هذه اللفظة في اللسان: «الْعَمَقُ وَ الْعَقُّ: البعد إلى أسفل، وقيل: هو قعر البئر والفج والوادي، وقد عَمَقَ البئر وَمَعَقَتْ وَأَعَمَّقَتْهَا وَأَمَعَّقَتْهَا»⁽⁴⁾.

من خلال هذا التعقب الموجز المتأمل في لفظ (عمق) في المعاجم اللغوية الموثقة اتضح لنا أن الدلالة الأصلية الأساسية لهذه اللفظة تتركز حول معاني: البعد والاتساع، والغور والأطراف.

وهي بهذا المفهوم تكاد لا تحيد عن هذا الأصل إلا في القليل النادر التي جاءت شاذة فيه نحو: الحق، والمطمئن من الأرض، والتنطع وغيرها.

وبالعودة إلى معنى كلمة (عمق) في سياق النص الذي وردت فيه نلاحظها قد جاءت في هذه الصيغة (العميقة) برنة (الفعلية) وهي صفة مشبهة تدل على أن الموصوف بهذه الصفة قد بالغ الغاية القصوى، والنهاية البعيدة المدى في الثبوت والتمكن، والملازمة الدائمة الراسخة التي انفرد بها وتميز من دون غيره من المخلوقات ذات الكينونية الإنسانية-بالخصوص- التي وهبها الله تعالى قبساً من نور الحكمة المحدودة، المحصورة المجال، ليستعين بها على معرفة نفسه، وعلى معرفة خالقه، -وهذا هو الأهم- الذي يتصف بالحكمة اللامتناهية التي هي من خصائصه تعالى التي انفرد بها وحده دون مخلوقاته جميعاً- المرئي منها والخفي- في كل أمر من أمور خَلَقَهَا: حياتها منها، ووجودها، والغاية القريبة والبعيدة، الظاهرة والخفية من وجودها، وكذا وظيفتها في هذا الوجود الفاني: ﴿وَمَا تَدْرِي

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 12.

(2) _ سورة الحج، الآية 27.

(3) _ الشاهد: من بحر الرجز للشاعر: رؤبة بن العجاج، الديوان، ص 104.

(4) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عمق)، ج9، ص 400.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا لَا يَعْلَمُهَا﴾ ﴿٢﴾. «وجملة (ويعلم ما في البر والبحر) عطف على جملة (لا يعلمها إلا هو) أو على جملة: (وعنده مفاتيح الغيب) لأن كليهما اشتملت على إثبات علم الله ونفي علم غيره، وذلك علم الأمور الظاهرة التي قد يتوصل الناس إلى علم بعضها، فعطف هذه الجملة على جملة (وعنده مفاتيح الغيب) لإفادة تعميم علم تعالى بالأشياء المتفاوتة في الظهور بعد إفادة عمله بما لا يظهر للناس وهي حكمه الغيب (العميقة) التي تخفى عن كثير من الناس الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون» ﴿٣﴾.

وتتحلى حكمة الغيب (العميقة) الثابتة، الدائمة، السرمدية التي لا تظهر غالبا للنظرة الإنسانية المحدودة الضيقة السطحية: «في أن لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء، ولا للفلتة العارضة يقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤﴾، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ ﴿٥﴾، وقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾، والأسباب التي تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها، والمقدمات التي يراها الناس حتمية قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها» ﴿٧﴾.

وهذا لدينا شيء منه فيما نشاهده كل مساء في نشرة الأخبار الجوية التي يعلن عنها على شاشة التلفزيون، فإذا أعلنت النشرة الجوية - مثلا - إن غدا أو بعد غد ستكون عندنا في الجزائر أمطار طوفانية - لا قدر الله - على منطقة الشرف الجزائري - تحديدا - ثم جاء اليوم المحدد، ولم تكن هناك أمطار في اليوم المسمى الذي أعلنت عنه النشرة استهزأ كثير من الناس وسخروا أيما سخرية من هذه المؤسسة الموقرة الراصدة بأجهزتها العلمية العالية للأحوال الفلكية، واستهزؤوا من علمها الفلكي،

(1) _ سورة لقمان، الآية 34.

(2) _ سورة الأنعام، الآية 59.

(3) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 3، ج 7، ص 272.

(4) _ سورة القمر، الآية 49.

(5) _ سورة الفرقان، الآية 2.

(6) _ سورة البقرة، الآية 216.

(7) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 13.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ومن ثم راح بعضهم يكذبها دائما وأبدا فيما تزعم!

ويُنسى هؤلاء المكذِبُونَ المستهزِؤُونَ، أو يغفلون بل يجهلون تماما أن المقدمات الطبيعية -السالفة ذكرها- من تُولِف السحب، وتراكمها، إلى لمعانِ البرق، وقصف الرعود مجتمعة والتي يراها حتمية قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها فعلها عند الله يقول تعالى: ﴿الْمُرْتَأْنَ اللَّهُ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (1) «... مِنْ خَلْقِهِ، يَعْنِي عَنْ زُرُوعِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» (2).

وهو الدليل الربّاني القرآني-فإن كثيرا من الناس ذوي النظرة القصيرة السطحية يَنسَوْنَ أو بالأحرى يجهلون أنه ليست الأسباب والمقدمات-دائما- هي التي تنشئ الآثار والنتائج حتما، وأن حكمة (الغيب) الثابتة المطردة، وأن القانون الكلي الشامل الكامل لا تدرك بالنظرة البشرية القصيرة المحدودة، وإنما هي الإرادة المدبرة، والمشئنة الإلهية الربانية الطليقة، هي التي تنشئ الآثار والنتائج كما تنشئ الأسباب والمقدمات والمسببات، وهي هذه الإرادة أيضا- بالذات التي أبطلت قوى وخصائص الحرق في النار التي أُلقي فيها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليصير رمادا وغبار، وبذلك يتخلص منه قومه الذين سفّه آهنتهم، واحتقرها، وسخر منها أبما سخرية لتأمرها المشئنة الربانية، المتوكل عليها، الواثق منها، الراجي لها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يقذف به في النار: ﴿قَلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (3).

وعلى الرغم من هذا التعطيل للأسباب والمقدمات، وكذلك رغم تعطيل نتائجها وآثارها من لدن الإرادة المدبرة الحكيمة، والمشئنة الحرة الطليقة أحيانا حين تشاء أن تعطلها فالمؤمن من رغم ذلك كله يظل مُطالباً من ربه سبحانه أن يأخذ دائما وأبدا، وفي كل لحظة في حياته كلها باتخاذ الأسباب وعاملا بمقتضاياتها اللازمة وهذا أحد الصحابة يسأل رسول الله ﷺ، إن ناقتي أتركها في المرعى طليقة وأتوكل؟ فأجابه ﷺ: «بل اعقلها ثم توكل» (4).

(1) _ سورة النور، الآية 43.

(2) _ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري، محمد عادل محمد، محمد عبد اللطيف خلف، محمود موسى عبد الحميد، دار السلام- القاهرة، الإسكندرية، 5، سنة 2012م، مج7، ص 6074.

(3) _ سورة الأنبياء، الآية 69.

(4) _ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم الدارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، 2، سنة 1993م، ج2، ص 510.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

« وفي هذا توجيه للأبصار إلى اتخاذ الأسباب والحيلة والحذر، وبذل الطاقة وعدم ترك الحبل على الغارب»⁽¹⁾، ثم بعد ذلك كله فالله المدبر الحكيم العليم هو الذي يقدر الأمور وآثارها وتنتائجها لتجري كيف يشاء.

«والاطمئنان إلى رحمة الله- في نهاية المطاف- وعدله، وحكمته، وعلمه، هو وحده الملاذ الأمين»⁽²⁾.

السياق العام في العبارة هنا يتمحور حول الحكمة من الخلق، خلق الكائنات كلها بدءاً من خلق هذا الكون إلى خلق الإنسان إلى خلق النملة إلى خلق الفيل... والمؤمن يعتقد ويقر أن كل مخلوق في هذا الكون خلق لحكمة أرادها الله، علم من علم ذلك وجهل من جهله، وهو أمر ثابت مستقل في التصور الاعتقادي الإيمانى للعبد المؤمن، وقد جاء هذا المعنى الثابت بارزاً ضمن جمل اسمية في السياق العام للعبارة منها قوله: «وكل أمر للحكمة»، وقوله: «ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف...» فهذا السياق التعبيرى العام كله يقصد به إلى تثبيت وإقرار دلالة صيغة (العميقة) التي تفيد أن هناك أشياء كثيرة فتظل غائبة غير مكشوفة لدى الإنسان، محفوظة في علم الغيب لا يعلمها إلا الله الذي بيده مفاتيح الغيب الحقيقية الظاهر منه والباطن الخفي المستور...

(1) _ أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج2، ص 219.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 13.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السابعة عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي (... وكل أمر
لحكمة، ولكنّ حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة...) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (قصر):

جاء في تهذيب اللغة عند التعريف بمادة (قصر) قوله: «القَصْرُ: الغاية، وقال أبو زيد
(ت215ه) (2) وغيره.

عِشْ مَا بَدَاكَ قَصْرُكَ الْمَوْتُ لَا مَعْقِلُ مِنْهُ وَفَوْتُ (3)

قال أبو زيد: ويقال: قَصَارَكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، وَقَصْرُكَ وَقَصَارَاكَ، أَي: جُهْدَكَ، وَغَايَتَكَ،
وَالْقَصْرُ: الْحَبْسُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (4)، أَي: محبوسات في خيام من
الدَّرْمُخَدَّرَاتِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْجَنَّةِ وَتَسْمَى الْمَقْصُورَةَ مِنَ النِّسَاءِ: الْقَصُورَةَ، وَأَنْشَدَ لِكَثِيرِ عِزَّة:

عَنَيْتُ قَصُورَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَدْرِ قِصَارَ الْخَطِيءِ، شَرُّ النِّسَاءِ الْبِحَاتِرِ (5). (6). (7).

وفي اللسان قوله: «القَصْرُ وَ الْقَصْرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: خِلَافُ الطُّوْلِ، وَقَدْ قَصُرَ قِصْرًا وَقَصَارَةً،
الْأَخِيرَةَ عَنِ الْحَيَاتِي، فَهُوَ قَصِيرٌ، وَالْجَمْعُ قِصْرَاءُ وَقِصَارٌ، وَالْأُنْثَى قِصِيرَةٌ، وَالْجَمْعُ قِصَارٌ، وَقَصُرْتُ
عَنِ الشَّيْءِ قُصُورًا: عَجَزْتُ عَنْهُ وَلَمْ أُبْلِغْهُ» (8).

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 12.

(2) _ سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد المعروف بأبي زيد الأنصاري، الإمام المشهور، كان إماماً نحويًا، صاحب
تصانيف أدبية ولغوية، وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب، روى عن أبي عمر وابن العلاء ورؤية بن العجاج وعمر بن عبيد
وغيرهم، وله تصانيف كثيرة منها: لغات القرآن، التثليث، القرس والترس، وغيرها، توفي عن تسعين سنة بالبصرة سنة 215هـ،
السيوطي، بغية الوعاة، مج2، ص ص 582.

(3) _ الشاهد: من البحر الكامل وهو غير منسوب، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج1،
المحتوى: شعر، قافية (الناء)، ص 516.

(4) _ سورة الرحمن، الآية 72.

(5) _ البحاطر، جمع بُحْتَرٍ بالضم: القصير المجتمع الخلق، الجوهري، الصحاح، مادة (بحتر)، ص 74.

(6) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر كثير عزة، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب

العلمية-بيروت، لبنان، ط1، سنة 1992م، المحتوى: شعر، قافية (الراء)، ج1، ص 350.

(7) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (قصر)، مج3، ص ص 2975-2976.

(8) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر)، ج11، ص ص 184-185.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

حينما تتبّعنا مادة (قصر) بشيء من التأمل في الكتب اللغوية الشهيرة تأكد لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة تتمحور في معنى: التضييق والحذف، والتقلص والحبس في مكان محدود.

وبالعودة إلى النص الذي وردت فيه صيغة (القصيرة) التي هي بزينة (الفعيلة) اتضح لنا أنها وصف لموصوف معين قبلها مُمَثَّل في (النظرة الإنسانية)، وهو وَصَف ملحوظ مكشوف ثابت متمكن، راسخ ملازم للموصوف -السالف ذكره- يقول جل ذكره: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽¹⁾.

«وقد جاء الوصف مَعْرَفًا بـ (أل) الاستغراقية التي تفيد استغراق الجنس كله الذي هو الجنس البشري⁽²⁾، وقد زادت (أل) هنا المعنى قوة، ووضوحا، وتوكيدا، وتمكينا في الموصوف، وهي بالتالي صفة مشبهة تدل على معنى الثبوت والدوام، والملازمة الأبدية.

كما يجوز أن تكون (أل) التعريف في هذا السياق للعهد، لتدل على معهود مخصوص معروف بسمات وخصائص معينة تمثل في الضعف الإنساني وقصر النظر، وضيق الأفق لتأثر الإنسان بالملابسات الحياتية المختلفة المتمثلة في اتصافه خِلْقَةً بأوصاف النقص كلها: عقلا، وشعورا، ووجداناً، وتفكيراً، وروحا، وبدنًا الأمر الذي يجعله دائما وأبدا محتاجا إلى سواه في مختلف أحواله، وظروفه، وملابساته الحياتية اليومية⁽³⁾.

إنَّ الفطرة الإنسانية تتميز أصلا في جبلتها، وخلقتها، وقدراتها، وملكانها الإدراكية والشعورية بالنظرة الإنسانية (القصيرة) الثابتة في حقها، المتمكنة في ذاتها لأنها تجد نفسها في أحيان كثيرة عاجزة عن إدراك حقائق، ومفاهيم كونية، وخلقية، وإنسانية، كما تجد نفسها «قصيرة» قُصُورا واضحا مكشوفًا حين تعجز عن إيجاد الحلول الحاسمة النهائية لمشاكلها اليومية الكثيرة التي تهدد كيانها وبقائها.

وهاهي الإنسانية ذات النظرة (القصيرة) اليوم تعيش في قلق وحيرة كبيرين من أمرها على الرغم من هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الهائلين، على الرغم من ذلك فهي تقاسي من ويلات الحروب المدمرة، والأمراض المزمنة الفتاكة، وحالات القلق والتشاؤم، وأمراض ضغط الدم، والسكري، والسرطان، وغيرها من المشاكل والآفات التي ولدتها كل من الحضارة والمدنية والعلم المعاصر خاصة وهي في إعراضٍ كامل عن منهج الله.

(1) _ سورة النساء، الآية 28.

(2) _ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ج1، ص ص 108-109.

(3) _ بتصرف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص ص 107-108.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وليس هذا فحسب بل يظل الإنسان يتسم بهذه النظرة الإنسانيّة (القصيرة) المحدودة في الزمان والمكان وهو على هدى من الله، وهو على بصيرة، وهو على صراط مستقيم:

﴿فِطَرْتَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

قلنا: يظل الإنسان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها- على هذه الجبلة والفترة من الضعف، والعجز، والنظرة (القصيرة) المحدودة، المحصورة في نطاق معين مرسوم له مُسبقاً، وهذا دأبه دون أن تُصطنع له العوائق والحواجز التي تحجب عنه الرؤية، رؤية العقل الكاشف، والقلب النوراني السليم، والوجدان الملهم ربانياً، فما بالك إذا نصبت ورُصدت له الحواجز والمعوقات، والمثبّطات الجهنمية على اختلاف ألوانها وأشكالها، بمغرياتها ومُسلّياتها، وشهواتها، ومؤامراتها ودسائسها في الكواليس، وجنح الظلام؟

لذلك فإنّ المجتمع الإنساني- كما يذهب إلى ذلك الطاهر ابن عاشور: «قَدْ مُنِيَ عُصُورًا طَوِيلَةً بِأَوْهَامٍ وَعَوَائِدٍ وَمَأْلُوفَاتٍ- وهي كما ترى معوقات وحواجز- أدخلها عليه أهلُ التضليل فاختلطت عنده بالعلوم الحق فتقاوَل الناسُ عَلَيْهَا وارتاضوا على قبولها، فالتصقت بعقولهم التصاق العنكبوت بينته، قتلك يُخاف منها أن تُتلقى بالتسليم على مرّ العصور فيعسر إقلاعها عنهم وإذاركهم ما فيها من تحريف عن الحق، فليس لتمييزها إلا أهلُ الرُسوخ أصحابُ العلوم الصحيحة- وهم قليل- الذين ضربوا في الوصول إلى الحقائق كل سبيل وأستَوْضَحُوا خَطِيرَهَا وَسَلِيمَهَا فكانوا للسابِلة خير دليل»⁽²⁾.

«وواقع الأمر أن جهلنا يكاد يكون مُطبقاً، فأغلب الأسئلة التي يُلقها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب، لأنّ هناك مناطق غير محدودة في دُنْيَانَا الباطنية مازالت غير معروفة... فنحن لا نعرف- حتى الآن- الإجابة عن أسئلة كثيرة مثل:

- كيف تتحد جزيئات المواد الكيماوية لكي تكوّن المركّب والأعضاء الملقحة للخلية؟

- كيف تُقرّر «الجنين»-وحدات الوراثة- الموجودة في نواة البويضة الملقحة صفات الفرد

المشتقة من هذه البويضة؟

(1) -سورة الروم، الآية 30.

(2) - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج8، ج21، ص92.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- كيف تنتظم الخلايا في جماعاتٍ من تلقاء نفسها، مثل الأنسجة والأعضاء؟ فهي كالنمل والنحل تُعرف مقدّمًا الدور الذي قُدِّر أن تلعبه في حياة المجموع، وتساعدتها العمليات الميكانيكية الخفية على بناء جسم بسيط ومعقد في الوقت ذاته؟

- ما هي طبيعة تكويننا النفسي والفيولوجي؟ إننا نعرف أنه مركب من الأنسجة والأعضاء، والسوائل، والشعور، ولكن العلاقات بين الشعور والمخ مازالت لغزًا...

وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى في موضوعاتٍ تعتبر على غاية من الأهمية بالنسبة لنا، ولكنها ستظل جميعًا بلا جواب... فمن الواضح أن جميع ما حَقَّقَه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان مازال غير كافٍ وأن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية في الغالب»⁽¹⁾.

في هذه العبارة وفي سياقها العام - كما أسلفنا القول فيها - جمل إسمية تظل على معنى الثبوت والدوام والملازمة، وقد جاءت هذه الجمل الإسمية لتدعم هذا المعنى الوارد ضمن صيغة (القصيرة) التي تدل صراحة على محدودية وقصر إدراك وكشف الإنسان لكثير من أسرار وخبايا هذا الوجود وما وراءه من غيب ومجاهل وأدغال رغم محاولته الجادة المتكررة، واجتهاداته الدائبة المستمرة... سيظل كشف لهذه الأسرار والغيوب محدودًا بمحدودية إدراكه وقصور أجهزته الإدراكية.

⁽¹⁾ _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص 62، نقلا عن: الإنسان ذلك المجهول تأليف: ألكسيس كاريل وترجمة: شفيق أسعد فريد: ص 16-18.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثامنة عشرة التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (والاطمئنان إلى رحمة الله وهو وحده المأذ الأمين)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (أمن):

باء في معجم تهذيب اللغة: «قال الليثاني⁽²⁾: أَمِنَ أَمْنًا، وَأَمَنًا، وَأَمَانًا، وَأَمْنَةً، فَهُوَ آمِنٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُغِيثُكُمُ الْعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ﴾⁽³⁾. نَصَبَ «أَمْنَةً» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، كَقَوْلِكَ: فَعَلْتَ ذَلِكَ حَذَرَ الشَّرِّ.

قال: ويُقال: ما كان فلان أمينًا، ولقد أَمِنَ يَأْمُنُ أَمَانَةً، وإِنَّه لرجل أَمَانٌ، أي: له دين، وأنشد أبو عبيد للأعشى (ت 224هـ)⁽⁴⁾.

وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الـ أَمَّانَ مَـوَرُودًا شَـرَّابَهُ⁽⁵⁾.

وروي من عدة طرق أن «الأمين» اسم من أسماء الله تعالى، وأما «الإيمان» فهو مصدر آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن⁽⁶⁾.

ومما اخترناه من معاني هذه اللفظة مما ورد في اللسان: «الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنتُ فأنا أمين، وأمنت غيري من الأمان والأمان، والأمن: ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة، والإيمان: ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق: ضده التكذيب، فأما أمنتُّه المتعدي فهو ضد أخفته، وفي الترتيل العزيز: ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾⁽⁷⁾، والأمن المستجير ليأمن على نفسه⁽⁸⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1 ص 13.

(2) _ علي بن المبارك-وقيل ابن حازم-أبو الحسن الليثاني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة، أخذ عن الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وأبي عبيدة، وله النوادر المشهورة، السيوطي، بغية الوعاة، ج 2، ص 185.

(3) _ سورة الأنفال، الآية 11.

(4) _ القاسم بن سلام-بتشديد اللام- أبو عبيد، كان أبوه مملوكًا روميا، وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد البيهقي وابن الأعرابي والكسائي والفراء وغيرهم، وله من التصانيف الغريب المصنف، وغريب القرآن، وغريب الحديث ومعاني القرآن... الخ، مات بمكة سنة 224هـ، السيوطي، بغية الوعاة، ج 2، ص 253-254.

(5) _ الشاهد: من بحر الرجز المجزوء، للشاعر: الأعشى، الديوان، ص 22.

(6) _ الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (أمن)، مج 1، ص 212.

(7) _ سورة قريش، الآية 4.

(8) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمن)، ج 1، ص 228-223.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

معنى الصيغة كما وردت في سياق النص: (والاطمئنان إلى رحمة الله... وهو وحده المَلَأُ الأمين).

وَمِنْ خِلالِ تَعَقُّبِنَا لِلْفِظَةِ (أَمِنْ) تَكْشِفُ لَنَا أَنَّهَا تَتَوَزَّعُ عَلَى مَحَوْرَيْنِ رَئِيسِيَيْنِ هُمَا: مَحَوْرِ الدَّلَالَةِ المَرَكِزِيَةِ نَحْوِ: رَجُلٍ أَمِنَةٍ لِلذِّي يَأْمَنُهُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ عَائِلَتَهُ، وَرَجُلٍ أَمِنَةٍ، بِالْفَتْحِ، لِلذِّي يَصَدِّقُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، وَنَاقَةِ أَمُونٍ: وَهِيَ الأَمِينَةُ الوَثِيقَةُ، وَالأَمْنُ وَالأَمَانُ: ضِدُّ الخَوْفِ. ثم محور الدلالة الهامشية نحو: إنه لرجل أمان: له دين، والأمان: الزرع...

ونستنتج من كل ما سبق ذكره أن الدلالة الأصلية لكلمة (أمن) تدور حول معانٍ مثل: الطمأنينة، وراحة البال، والاسترخاء النفسي ثم الاسترخاء الجسدي وزوال التوتر والاضطراب العقلي والوجداني تُلَخِّصُهُ الآيَةُ القُرْآنِيَّةُ الكَرِيمَةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (1).

وبالعودة إلى صيغة «الأمين» الواردة في سياق النص وانطلاقاً من توقعها فيه يمكن القول أن المَلَأُ (الأمين) وَصِفَ قَدْ يَأْتِي وَيُقْصَدُ بِهِ مَكَانٌ، أَيْ: بِلَدِكُمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي مَوْطِنِ مَكَّةِ المَكْرَمَةِ الثَّابِتِ فِي حَقِّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا بَلَدُ الأَمِينِ﴾ (2)، وَقَدْ يَأْتِي وَيَكُونُ المَلَأُ (الأمين) شَخْصاً يَلْحَاقُ إِلَيْهِ النَّاسُ عِنْدَ الشَّدَةِ، أَوْ الإِصَابَةِ بِمَكْرُوهِ فَيَسْتَجِيرُونَ بِهِ وَيَتَحَصَّنُونَ بِكَفِّهِ، وَقَدْ يَأْتِي وَيَكُونُ المَلَأُ (الأمين) ذَاتَ وَكَنَفَ اللَّهُ تَعَالَى الوُدُودَ الرَّحِيمِ السَّرْمَدِيَةَ الفَسِيحَةَ الرَّحِيْبَةَ، وَهَذَا المَعْنَى المَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي سِيَاقِ النِّصِّ لِأَغْيَرِهِ.

وَاسْتِنَاداً عَلَى مَا مَضَى ذَكَرَهُ أَيْضاً فَإِنَّ صِيغَةَ (الأمين) تَفِيدُ الدَّلَالَةَ عَلَى المَوْصُوفِ المَذْكُورِ فِي النِّصِّ المَتَمَثِّلِ فِي (رَحْمَةِ اللَّهِ) اتَّصِفَ اتِّصَافاً أَزَلِيّاً ثَابِتاً دَائِماً فِي ذَاتِهِ الحَقَّةِ بِصِفَاتِ الأَمَانِ، وَالأَمْنِ، وَالأَمَانَةِ فِي دَلَالَتِهَا الكَامِلَةِ الشَّامِلَةِ الوَاسِعَةِ لِكُلِّ شَيْءٍ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا نَقْصٌ، وَلَا عَيْبٌ، وَلَا إِهْمَالٌ، وَلَا نَسْيَانٌ إِلَّا لِمَنْ نَسِيَ اللَّهُ فَانْسَاهُ نَفْسَهُ لِذَلِكَ فَأَوْصَافُ الأَمَانِ، وَالأَمْنِ، وَالأَمَانَةِ جَمِيعاً تَصِبُ فِي صِيغَةِ (الأمين) وَهِيَ كَمَا يَلْحَظُ ذَاتَ عِلَاقَاتٍ دَقِيقَةً قَوِيَّةً مُكْمَلِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي المَعْنَى، وَالوِظِيفَةِ، وَالغَرَضِ، وَالكَمَالِ، وَالشُّمُولِيَّةِ، وَالإِتِّسَاعِ قَالِ الوُدُودِ الغَفُورِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

(1) _ سورة الرعد، الآية 28.

(2) _ سورة التين، الآية 3.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

كُلُّ شَيْءٍ فَسَاكَتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

ولما كانت صيغة (الأمين) بهذه الصورة، ودالة على الموصوف بل بالأحرى الضمير المستتر فيها يعود على ذات الله صاحب الرحمة المطلقة الذي وسعت رحمته كل شيء دون من أو تأخر أو جور، من أجل ذلك كله فصيغة (الأمين) في حق الله سبحانه وتعالى جاءت على وجه الثبوت والدوام والاستمرار و(أل) التعريف فيها للعهد فهي تدل على معهود مخصوص معلوم معين عند الكائنات والمخلوقات الحية والجمادة مصداقا لقوله تعالى: ﴿تَسْبِغُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبِغَ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّغْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾. (2) و يصح لنا مع « أل » العهدية هنا أن نفسرها « بعهد الزوم، والوقوف عند الذي التزم به الموصوف، وعقد الميثاق والعزم والمشية على أن يكون موفيا بما وعد به عباده ليكون موضع ثقة، ومحل أمان، واحترام، وحب كبير عند الناس أجمعين فباب رحمته مفتوح للجميع وجنته عرضها عرض السماوات والأرض أعدت للمتقين، وإنه ودود رحيم.

غير أن (أل) العهدية هذه جاءت في صيغة (الأمين) لا تلزم طرفاً واحداً بالعهد أو الميثاق بل تلزم طرفين اثنين بمضمون ما جاء في العقد حتى يضمن كل منهما في النهاية- عند البعث والحساب والجزاء- حقه تماماً غير منقوص، انطلاقاً من هذا المبدأ كان الناس في هذا المعزى، أو هذا الاتجاه، أو في اختياراتهم للملاذ (الأمين نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء، فرار السعداء إلى الله الملاذ (الأمين) الدائم الباقي الخالد المطلق الواسع المريح مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (3) أي: إلى الملاذ (الأمين).

وفرار الأشقياء، وهو والعياذ بالله فرار من الله أي: من الملاذ (الأمين) إلى أين؟ لا إلى الله بل إلى الشيطان، قال الله الودود الرحيم محذراً هذا الصنف من الناس من معبة الشيطان، ومدارجه، وغوايته بصريح العبارة ووضوحها: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ (4). وهؤلاء هم أصحاب العاقبة السيئة وبئس المصير» (5).

(1) _ سورة الأعراف، الآية 156.

(2) _ سورة الإسراء، الآية 44.

(3) _ سورة الذريات، الآية 50.

(4) _ سورة البقرة، الآية 268.

(5) _ بتصرف، الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج6، ص 116.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«والإطمئنان إلى رحمة الله هو وحده الملاذ الأمين» هي جملة اسمية متواضعة في طولها ضمن سياقها العام الذي يقصد به إلى تدعيم وتوكيد وتقوية المعنى الخاص الذي تفيدته صيغة (الأمين) ذلك المعنى الثابت المستقر في سنة الله، والقانون الجاري على العبد إذا ما ضاقت الدنيا على فسحتها ورحابتها أنه لا يجد ملجأ أفضل وأروح من ملجأ الاطمئنان إلى كنف الله ورحمته ورضوانه.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة التاسعة عشرة التي وردت فيها صيغة فعيل معرفة هي: (وَمِنْ ثَمَّ عَشْتٌ فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ - مطمئن السريرة قير الضمير) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة:

(قرّ، قرر، قرقر) جاء في تهذيب اللغة من معاني هذه اللفظة: «أبو العباس (ت 291هـ) (2)، عن ابن الأعرابي (ت 233هـ) (3)، القرُّ ترد يدك الكلام في أذن الأبكم حتى يفهمه، والقرُّ: الفروج، والقرُّ صبُّ الماء دفقة واحدة، قال: وقولهم: قرَّتْ عينه، قال بعضهم هو مأخوذ من القرُّور، وهو الدمع البارد، يخرج مع الفرح، وقيل: هو من القرار، وهو الهدوء.

والقرُّ: مصدر قرّ عليه دلو ماء يُقرُّها قرًّا، والقرُّ أيضا: مركب النساء، وقال امرؤ القيس:

فإمّا تريني في رحالة جابرٍ على حرجٍ كالقرِّ يحمّل أكفاني (4). (5).

ومما ورد في اللسان من معاني هذه اللفظة: «القرُّ: البرد عامة، ومثل العرب للذي يُظهر خلاف ما يُضمّر: «حِرّة تحت قِرّة»، وقارة مُقازة، أي: قرّ معه وسكن، وفي حديث ابن مسعود: «قاروا الصلّاة» (6)، هو من القرار لا من الوقار، ومعناه السكون، أي: اسكنوا فيها ولا تتحركوا ولا تعبتوا» (7).

حينما تعقّبنا في المعاجم اللغوية الشهيرة مادة (قر، قرر، قرقر) تبين لنا أنها تندرج ضمن محورين أساسيين هما: محور الدلالة الرئيسية نحو: الثبات والاتزان، والتوازن والسكون، وراحة البال، والفرح والسرور، والاستقرار النفسي، ثم محور الدلالة الفرعية نحو: القرّ: الفروج، والقرّ: صب الماء دفقة

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 13.

(2) _ أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي الإمام أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة مائتين، ولازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة وسمع من محمد بن سلام الحمصي وعلي بن الأترم وغيرهم صنّف: المصون في النحو، اختلاف النحويين، معاني القرآن وغيرها، مات سنة 291هـ، السيوطي، بغية الوعاة، مج1، ص ص 396-397.

(3) _ محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي من موالي بني هاشم، قال الجاحظ: كان نحويا عالما باللغة ناسا كثير السماع من المفضل بن محمد الطيبي، وله من الكتب: النوادر، الأنواء، صفة المحل وغيرها، ولد سنة 150هـ ومات سنة 233هـ، السيوطي، بغية الوعاة، مج1، ص ص 105-106.

(4) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر: امرؤ القيس، امرؤ القيس، الديوان، ص 87.

(5) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (قر، قرر، قرقر)، مج3، ص 2927.

(6) _ أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم الغريباوي، وتخرّيج الأحاديث: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط2، سنة 1982م، ج1، ص 723.

(7) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قر)، ج11، ص ص 99-104.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

واحدة، والقر: مركب النساء، وما أشبه ذلك وهو كثير متشعب متنوع وإذا ما رجعنا إلى صيغة (قرير) في سياق النص الذي أمام أنظارنا نراها قد وردت مضافة إلى كلمة (الضمير) هكذا: «قرير الضمير» التي تفيد الاختصاص، اختصاص الموصوف بوصف معين ثابت له وملازم لشخصه شطر طويلا من عمره، في المنقضى والحاضر بدليل قرينة (عِشْتُ) اللفظية الواردة في بداية النص، وهي قرينة تدل بوضوح على أن الموصوف قضى زما طويلا في ظل رياض الإيمان والتوحيد معايشا للقرآن الكريم، إضافة إلى دلالتها بطبيعتها «قرير» على وزن (فعليل) على الصفة المشبهة المفيدة للثبوت والدوام، كما أنها تشي من قريب إلى أن المتصيف بها قد التبس كيانه كله: جسدا وروحًا، عقلا وقلبا ووجدانا بمجالات من الهدوء والسكينة والاطمئنان الجسدي والنفسي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (1)، أي: تسكن الضمائر وتهدأ الصدور والقلوب ومن ثم فكلمة (عِشْتُ) أيضا تفيد مرة أخرى: دلالة الإقامة الطبية الرضية، الطويلة المدى، الوارقة الظلال، الدانية الثمار، المستقرة الحال، الآمنة من الحيرة والقلق، الآمنة من الخوف والجوع والاضطراب يقول جل ذكره: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (2).

«الضرورة: الحالة المحوجة إلى اللجأ، والإضرار: افتعال منها، يقال اضطره إلى كذا، والفاعل والمفعول: مضطر، والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله» (3).

وجاء في تفسير ابن كثير (ت 774هـ) عن تأويل هذه الآية قوله: «يُنْبِئُ تعالى - في هذه الآية: أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، وهو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه» (4).

والناس، معظم الناس في هذه الدنيا تراهم حائرين متسائلين دوما عن حقيقة السعادة، والطمأنينة، وراحة الضمير فإذا سألتهم فتلاحظ أن أجوبتهم مختلفة مضطربة طبقا لمذاهبهم واعتقاداتهم

(1) _ سورة الرعد، الآية 28.

(2) _ سورة النمل، الآية 62.

(3) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 864.

(4) _ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (دط، دت)، ج5، ص 247.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ونظراتهم إلى الحياة والموت.

غير أن هذه الأجوبة المتباينة في ظاهرها، المتفقة في جوهرها تصب في الأخير كلها في مجرى واحد، هو أن الناس جميعا على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، ومذاهبهم- من وراء هذا كله- لا ينشدون في واقع الأمر إلا راحة البال، والضمير (القرير) المطمئن، الخالي من الوسواس والاضطراب النفسي، والهلع والخوف، والشك والتردد الديني والأخلاقي ما جعل أحد العلماء الربانيين العارفين يقرر قائلا: «وأحوال الناس التي لا يكاد يخلو عنها أحد في بعض شؤون الحياة هي حال الاضطراب إلى تحصيل الخير، وحال اجتناب السوء، وحال التصرف في الأرض ومنافعها فهذه ثلاثة الأنواع لأحوال البشر، وهي: حالة الاجتياح، وحالة البؤس، وحالة الانتفاع»⁽¹⁾.

إنَّ العبد المؤمن الصادق في إيمانه « قرير الضمير » دائما وأبدا بتخلصه وخلاصه «من هو اجس النفس، ووساوس الصدر وبتتبعه لمكامن الرغائب والمخافات، ومطارح الظنون والشبهات، وتجليه هذا كله بنور العقيدة، وفرقان الإيمان، ووضوح التصور، وشموليته، وصدق المعرفة بحقيقة الألوهية»⁽²⁾.

هذا وكأن عبارة «قرير الضمير» تُريد أن تنطق بلسان حالها مُجسّدة قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾⁽³⁾، أي : إذا ابتغيت أن تكون « قرير الضمير » مُطمئن السريرة، رضى الخاطر فأسع جاهدا لأن تكون مع «الذين قاوموا شهواتهم، وطهروا نفوسهم، وصانوا قلوبهم ابتغاء وجه ربهم، يهبهم الله الهداية، والوقاية، والرعاية، وسكون النفس، وسعادة الدنيا والآخرة بفضلها، وتأيدته، ومن كان الله معه فقد سعد وفاز»⁽⁴⁾.

«وهذا يندرج في مشهد «السلامة وبرد القلب»، وهو مشهد شريف لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى، وطلب الوصول إلى درك تأره وشفاء نفسه بل يفزع قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب، وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه فيكون بذلك مغبوتاً، والرشيد لا يرضى لذلك ويرى أنه من تصرفات السفهية يقول جل ذكره: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ

(1) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج8، ج20، ص 14.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج7، ص 1055.

(3) _ سورة العنكبوت، الآية 69.

(4) _ أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج3، ص 173.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، فأين سلامة القلب؟ وأين الضمير (القرير) من إمتلائهما والوساوس، وإعمال الفكر في إدراك الانتقام من أهل الإيمان والفرقان؟⁽²⁾.

تبدأ العبارة في سياقها العام الداخلة على الظرف في قوله (ومن ثم) وهي شبه جملة في محل جرّ خبر مقدم ثم تأتي بعدها جملة (عشت في ظلال القرآن) وهي جملة فعلية في محل رفع مبتدأ مؤخر، فيها الفعل (عشت) يفيد في معناه اللغوي الصريح الدلالة الثبوت والاستمرار الطويل، حيث أمضى الكاتب شطرا طويلا من عمره يقرأه، ويتدبره ويعمل به، هذه الجمل في سياق العبارة جاءت داعمة مؤكدة مقوية لدلالة صيغة (قرير) المفيدة لمعنى الثبوت والاستمرار والملازمة الطويلة للفعل (عشت) المقرون بالضمير المتصل الذي هو فاعل للفعل (عشت)...

(1) _ سورة البقرة، الآية 13.

(2) _ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين، تحقيق: عاطف صابر شاهين، دار الغد الجديد- القاهرة، ط1، سنة 2012، ج2، ص 45.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة العشرون التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة هي: (وَمَنْ تَمَّ فَإِنَّ الْمَنْهَجَ الْإِلَهِيَّ مَوْضُوعٌ لِلْمَدَى الطَّوِيلِ) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (طال):

من معاني لفظ (طال) في اللسان الطول: تقيض القصر في الناس وغيرهم من الحيوان والموت، ويقال: للشيء الطويل: طال يطول طولاً فهو طويل وطوال، قال النحويون: أصل طال فعل استدلالاً بالاسم منه إذا جاء على فعيل نحو: طويل، حملاً على شرف فهو شريف وكرم فهو كريم، وجمعها طوال، قال سيبويه صححت الواو في طول لصحتها في طويل، فصار طوال من طويل كجوار من جاورت، قال: ووافق الذين قالوا فعيل الذين قالوا فعال لأنهما أختان فجمعوه جمعه، وحكى اللغويون طيال، ولا يوجيه القياس لأن الواو قد صححت في الواحد فحكمها أن تصح في الجمع، قال ابن جنّي لم تُقلب إلا في بيت شاذ وهو قوله:

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ (2) ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَعْزَاءَ الرَّجَالِ طِيَالُهَا (3).

الكسائي (ت189هـ) (4)، في باب المغالبة: طاوَلَنِي فَطَلْتُهُ مِنَ الطَّوْلِ وَالطَّوْلُ جَمِيعًا، وقال سيبويه: يقال طُلْتُ عَلَى فَعَلْتُ لِأَنَّكَ تَقُولُ: طَوِيلٌ كَمَا قُلْتَ: قَبْحٌ وَقَبِيحٌ، قَالَ: وَلَا يَكُونُ طُلْتُهُ كَمَا لَا يَكُونُ فَعَلْتُهُ فِي شَيْءٍ» (5).

بعد هذا العرض السريع المركز تكشف لنا أن لفظة (طال) ذات دلالتين رئيسيتين إحداهما: الدلالة الأصلية الأساسية نحو: الطول: نقيض القصر وهذا في الناس والحيوان والموت، والطول: خلاف العُرض، وطال الشيء: امتد، والطول: مدى الدهر، وهي معانٍ متقاربة متداخلة ببعضها. وأخرهما: نحو: الطول: الجبل الطويل، والطول: بمعنى القدرة، والطول: الغنى وغيرها.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص13.

(2) _ القماء: القصر والذل، الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (قما)، مج3، ص3039.

(3) _ الشاهد: من البحر الطويل وهو غير منسوب، انظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، المحتوى: شعر، مج6، قافية (اللام)، ص174.

(4) _ علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الإمام أبو الحسن الكسائي من ولدِ بُهْمَن بن فيروز، مولى نبي أسد، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين وهو من أهل الكوفة، واستوطن بغداد، وقرأ على حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، وسمع من سليمان بن أرقم، وأبي بكر بن عياش، صنف: معاني القرآن، مختصراً في النحو، القراءات، النوادر: الكبير، الأوسط، الأصغر، مات سنة 189هـ، السيوطي، بغية الوعاة، مج2، ص ص162-164.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (طال)، ج8، ص226.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وبالرجوع إلى معنى كلمة (طال) في سياق النص الذي جاءت فيه نلاحظ أنها قد وردت على هذه الصورة (الطويل) بزنة (الفعيل) وهو من الفعل طول اللازم حملا على شَرُفَ فهو شريف، وكَرُمَ فهو كريم، وسَقَمَ فهو سقيم وهكذا⁽¹⁾.

واستنادا على ما سبق تقريره عن لفظة (طال)، فصيغة (الطويل) صفة مشبهة للموصوف الذي جاء قبلها مباشرة وهو (المدى) المختص بوصف ثابت، دائم، ملازم له، وهو وصف لازم الموصوف بواسطة الصفة المشبهة (الطويل) التي أضفت عليه قوة، وتوكيدا، ووضوحا، وحضورا عينا محسوسا. كما نلاحظ أن الضمير المستتر في وصف «الطويل يعود على المنهج الإلهي من أجل تأدية غرض معنوي معين يتمثل في صلاحية المنهج الإلهي للمدى الطويل على الصعيد الكوني، والحياتي، والوجود الإنساني وفق الطبيعة الكونية، والفطرة الحياتية والإنسانية»⁽²⁾.

ومن تم كتب على هذا المنهج هو الآخر أن يخضع للناموس الإلهي الكوني الأزلي المطرد، ناموس الخضوع للسنن المرحلية، والتدرج، والترفق في السير إلى الغايات العليا، والآمال البعيدة تماشيا مع الطبيعة الكونية، وانسجهاها مع فطرة الوجود الحياتي، والوجود الإنساني.

وقد جاء هذا التدرج، والخضوع للسنن المرحلية في آيات كثيرة موجهة الناس جميعا إلى حكمة الله سبحانه في خلقه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾⁽³⁾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾⁽⁴⁾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾⁽⁵⁾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁽⁶⁾.

فأية خلق السماوات والأرض في ستة أيام كما يذهب إلى ذلك أحد المفسرين المعاصرين-قد تكون ستّ مراحل، وقد تكون ستة أطوار، وقد تكون ستة أيام من أيام الله التي لا تقاس بمقاييس زماننا الناشيء من قيام حركة الأجرام، إذ لم تكن قبل الخلق هذه الأجرام التي نقيس نحن بحركاتها الزمن... !

(1) _ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 31، ج3، ص 115.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج8، ص 1296.

(3) _ سورة الأعراف، الآية 54.

(4) _ سورة المؤمنون، الآيات، 12-14.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وقد تكون شيئاً آخر... فلا يجزم أحد ماذا يعنى هذا العدد على وجه التحديد وكل حمل لهذا النص على «تخمينات» البشرية التي لا تتجاوز مرتبة الفرض والظن باسم « العلم! » هو محاولة تحكّمية، منشؤها الهزيمة الروحية أمام «العلم» الذي لا يتجاوز في هذا المجال درجة الظنون والفروض...!»⁽¹⁾.

والقارئ الواعي المتدبر الفطن يحاول أن يخرج بفوائد جمّة من هذا المنهج الإلهي الموضوع-في أصله- للمدى (الطويل)، وانطلاقاً من السياق الخارجي للنص نُحاول أن تعرّج منه على طريق الدعوة إلى الله، دعوة الناس إلى « السير إلى الله مراعين في ذلك قوانين: التدرج، والترفق، والمرحلية في طريق الدعوة إلى الإسلام، وهو ما نلاحظه مجسّداً في منهج دعوة الرسول ﷺ حين كان يدعو الناس إلى توحيد الله والإيمان به، والعمل بأوامره ونواهيه مطبقاً خلال ذلك كله المنهج الإلهي الرباني ممثلاً في الخطوات السابقة دأعماً ذلك بأخلاق: الصبر، والحلم، والأناة، والتريث قدر الإمكان مراعيًا في ذلك كله نوازع الفطرة الإنسانية ومتطلباتها، واضعاً نصب عينية دائماً وأبداً توجيهات ربه وتعاليمه في طريق الدعوة إليه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾.

وعليه فإنّ دعوته المنهجية المستقيمة ﷺ إلى الإسلام، والإيمان، والتوحيد، وإلى العقيدة الصحيحة أخذت منه عمره كله ليس الثلاث والعشرين فحسب، فتلك فترة نزول القرآن المكي منه في عشر سنوات، والمدني منه في ثلاث عشرة سنة مراعيًا فيها وعاملاً في الوقت ذاته بتوجيهات ربه التي تنزل عليه في نصوص القرآن الكريم بكرة وأصيلاً نحو قوله تعالى مخاطباً إياه: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽³⁾، وقوله له ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّي الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج8، ص 1296.

(2) _ سورة يوسف، الآية 108.

(3) _ سورة طه، الآية، 114.

(4) _ سورة المزمل، الآية 4.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

لِنُثِبْتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴿١﴾، ونحو قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿٢﴾﴾، (٣).

هكذا كانت دعوته ﷺ إلى الإسلام، والإيمان، والتوحيد في ترفق وتدرج، وتمهل، وسماحة، وبساطة، ويسر تماشيا مع المنهج الإلهي الرباني ذي النَّفْسِ (الطويل) المدى، وهكذا كان ذأبة في تربيته للناس.... وتهذيب أخلاقهم، والارتقاء بقيمهم النبيلة، ومثلهم العليا آخذا في اعتباره مبادئ المنهج الإلهي الموضوع للمدى (الطويل) نحو: التأني، والصبر، والعفو، والحلم، والتسامح، والترث، والتمهل، وما لم يتحقق اليوم يتحقق غدا، وما لم يتحقق غدا سيتحقق بعد غد، وما لم يتحقق بعد غد سوف يتحقق بعد شهر أو سنة أو سنتين أو عشر سنوات ! إنه المنهج الإلهي الموضوع للمدى (الطويل) جاء أعرابي من البادية ودخل المسجد ليُصَلِّيَ مع الرسول ﷺ وصحابته فانزوى في ناحية من نواحي المسجد وبال فشاهده الصحابة فهرعوا إليه مستنكرين فعلته وصاحوا به وكان الرسول ﷺ حاضرا ثم جيء به إليه وقصوا عليه الحادثة فقال الرسول للصحابة ضَعُوا عَلَى الْبَوْلِ شَيْئًا مِنَ التُّرَابِ ثم أخذ النبي ﷺ بيد الأعرابي البدوي وأفهمه وعلمه بطريقة هادئة لبقة، وبرفق ولين بأن هذا المكان لا يصلح للذي فعلته فيه أي لقضاء الحاجة، فلم يكرر الأعرابي فعلته تلك أبدا.

وقد صلى بعض الناس في بداية الدعوة الإسلامية وهم سكارى، ومرت بهم فترة زمنية وهم على تلك الحال حتى نزل الوحي على الرسول ينهاهم عن ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿٤﴾﴾، وكانوا أيضا يتكلمون مع بعضهم بعضا بعد إقامة الصلاة حتى جاءت الأحاديث النبوية تنهاهم كذلك عن فعل ذلك أثناء الصلاة، عن زيد بن أرقم قال كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ يُكَلِّمُ الرَّجُلُ مَنْ صَاحِبَةً وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ حَتَّىٰ نَزَلَتْ: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ ﴿٥﴾﴾، فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ ﴿٦﴾.

(١) _ سورة الفرقان، الآية 32.

(٢) _ سورة الإسراء، الآية 106.

(٣) _ بتصرف، علي محمد محمد الصَّلَابي، تبصير المؤمنين بـ: فقه النصر والتمكين (في القرآن الكريم)، دار ابن كثير دمشق- بيروت، ط1، سنة 2007م، ص ص 42-52.

(٤) _ سورة النساء، الآية 43.

(٥) _ سورة البقرة، الآية 238.

(٦) _ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، تخریج وتعليق الأحاديث: عصام الدين الصَّبَاطِي، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبع، 2005م، ج2، ص 673.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرِحْمُكَ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ وَأَتَكَلَّ أُمَّاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْحَادَهُمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمْتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَأَبِي وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلِحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»⁽¹⁾.

هكذا سار النبي ﷺ بهذا المنهج الموضوع للمدى (الطويل)، هذا هو المنهج الثابت، الدائم الراسخ الذي يأخذ به الناس رويدا رويدا، وخطوة خطوة، في رفق ولين وتؤدة ووعي وتبصُّر: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾⁽²⁾.

بهذا المنهج ذي المدى (الطويل) وبهذا الأسلوب السليم المنبثق عنه، هذا المنهج العليم الخبير بجبايا، ونوازع الفطرة الإنسانية، وبهذا الفهم العميق المتبصر لمتطلبات الإنسانية النفسية والعقلية.

«إن أهم ما يتميِّز به هذا المنهج ذي المدى (الطويل) أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، ولا يُحاول أن يُقصره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت نفسه يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئا من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضعط الواقع عليه من هذه النوازع، وبين المثل العليا التي يرسمها له.

الإنسان في نظر هذا المنهج ذي المدى (الطويل) كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان، وإن كان قادرا في بعض حالات المهبوط أن يُصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك، مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للبشر، وليس أي العنصرين غريبا عن طبيعته، ولا مفروض عليه من خارج نفسه....

والغاية العليا لهذا المنهج، هي إيجاد التوازن في نفس الفرد، فيؤدي ذلك إلى إيجاد التوازي في المجتمع، وفي الإنسانية كلها بعد ذلك، بقدر ما يكون هذا في حدود الإمكان: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾⁽³⁾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾⁽³⁾، ووسيلة المنهج ذي

(1) _ المصدر السابق، ج2، ص 676.

(2) _ سورة يوسف، الآية 108.

(3) _ سورة الشمس، الآية 7-10.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

المدى (الطويل) في ذلك أن يُمسك بالإنسان من خيط الصعود، ليساعده على موازنة الثقل الذي يجذبه إلى الأرض: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾⁽¹⁾، ولكنه لا يعنف في جذبه إلى أعلى حتى يمزق أوصاله، أو يقطع ما بينه، وبين الأرض من صلوات: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، لأنه حين ذلك يفقد التوازن المنشود، وهذا المنهج يكره فقدان التوازن ولو كان إلى أعلى، لأنه يُخرض على أهداف الحياة العليا، التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض وكل ما يعمل به ويهدف إليه هو تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لنوارعه، حتى ترتفع الحياة كلها وتصبح كريمة جميلة خليقة بمعنى التكريم الذي أسبغه الله على الإنسان»⁽³⁾.

إنّ السياق العام في هذه العبارة جاء ليخدم دلال الثبوت والدوام الأبدي بدءاً من الجملة الاسمية في قوله: (ومن ثمّ فإنّ المنهج الإلهي موضوع للمدى) ثم صيغة (الطويل) التي تحمل الدلالة نفسها في أصل الوضع اللغوي (الطويل) ومعناه نقيض القصير، فطال الشيء بمعنى امتد واتسع، والطول: مدى الدهر، إضافة إلى البناء الذي وضعت فيه صيغة (الطويل) وهو هنا صفة مشبهة باسم الفاعل الذي يحمل دلالة الثبوت والاستمرار الممتد اللامحدود بأجل مسمى...

(1) _ سورة المائدة، الآية 12.

(2) _ سورة الجمعة، الآية 10.

(3) _ بتصرف، محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق-بيروت، ط6، سنة 1982م، ص ص 69-70.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

2-صيغة «فَعِيل» المنكرة

-إنَّ صيغة (فَعِيل) التي وردت نكرة هي أقل عددا من (فَعِيل) التي وردت معرفة، رغم أن التنكير هو الأصل في اللغة؛ فكان عدد الصيغ التي وردت في الجزء الأول من مدونة في "تفسير ظلال القرآن" حوالي مائة وثلاثين صيغة، غير أننا اقتصرنا في بحثنا هذا على تمثيل وتحليل عشر صيغ في سب أحضعتها لمنهج الوصف والتحليل والاستنتاج حسب الجدول البياني لصيغة (فَعِيل) المنكرة.

-جدول بياني لصيغة (فَعِيل) المنكرة الواردة في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبرة التي وردت فيها الصيغة
1-	كَرِيمٍ	11	05	...أَيُّ مَقَامٍ كَرِيمٍ يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ خَالِقِهِ الْكَرِيمِ؟
2-	لَيْمٍ	11	20	... وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَيُّ شَيْطَانٍ لَيْمٍ هَذَا الَّذِي يَقُودُ خُطَاهَا إِلَى هَذَا الْجَحِيمِ؟
3-	أَصِيلٍ	37	17	...وهنا في عدد قليل من الكلمات والعبارات في أول السورة ترسم ثلاث صُورٍ لثلاثة أنماط من النفوس، كل نمط منها نموذج أصيل عميق مُتَكَرِّرٍ في كل زَمَانٍ وَمَكَانٍ.
4-	سَلِيمٍ	39	03	...لَا بَدَّ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَجِدَ الْهُدَى فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَفِيءَ إِلَيْهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.
5-	قَبِيحًا	68	20	...والدعوة إلى البرِّ وَالمُخَالَفَةِ فِي سُلُوكِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، هِيَ الْأَفْئَةُ الَّتِي تُصِيبُ النَفُوسَ بِالشُّكِّ لَا فِي الدَّعَاةِ وَحَدَهُمْ وَلَكِنْ فِي الدَّعَوَاتِ ذَاتَهَا، وَهِيَ الَّتِي تُبَلِّبُ قُلُوبَ النَّاسِ وَأَفْكَارَهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ قَوْلًا جَمِيلًا، وَيَشْهَدُونَ فِعْلًا قَبِيحًا.
6-	ضَعِيفٍ	68	30	... وَالْفَرْدَ الْفَائِي مَا لَمْ يَتَّصِلْ بِالْقُوَّةِ

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الخالدة ضَعِيفٌ.				
...مما يوحي بأن فترة الإذلال التي قَضَوْهَا تحت حكم فرعون الطاغية قد أَفْسَدَتْ فطرتهم إفسادًا عَمِيقًا.	13	72	عَمِيقًا	-7
...فأَمَّا الصورة الغليظة التي ترسمها: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ فهي صورة فريدة.	27	91	فريدة	-8
إنها معركة العقيدة، إنها ليست معركة الأرض، ولا الغلة، ولا المراكز العسكرية...، إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين، ليخدعونا عن حقيقة المعرفة وطبيعتها.	18	108	دفين	-9
...« قل إنَّ هدى الله هو الهدى » لا مساومة في شيء منه قليل أو كثير	27	118	كثير	-10

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فعل) منكرة الدالة بلفظها على الصفة المشبهة: (أيّ مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم؟) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (كرم):

إنّ أول ما يُطالِعنا عند التعريف بمادة (كرم) في المعاجم اللغوية: «الكرم: شرف الرجل، رجل كريم وقوم كرم وكرام قال أبو خالد القناني:

وَأَنْ يُعَدِّينَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِي فَتَنَّبُو الْعَيْنَ عَنْ كَرَمِ عَجَافٍ (2).

ورجل كرام، أي: كريم، وتكرّم عن الشائعات، أي: تتره (3).

وفي أساس البلاغة من معاني هذه اللفظة المجازية: «وكرم السحاب تكريماً: إذا جاد بمطره، وأرض مكرمة للنبات: إذا جاد نباتها، وكرمت الأرض: زكا نباتها» (4).

وفي مدوّنة: اشتقاق أسماء الله مما جاء في التعريف بمادة (كرم): «الكرم، الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصّفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب كلها جائزة وصف الله بها» (5).

وفي اللسان من معاني اللفظة: «ورجل كرم: كريم، وكذلك الأثنان والجمع المؤنث، تقول: امرأة كرم ونسوة كرم لأنه وصف بالمصدر.

وكرمت الرجل: إذا فاخرته في الكرم، ورجل مكرم: مكرم، وهذا بناء يخص الكثير يُقصد به صيغة المبالغة» (6).

إن المتتبع لمدلولات لفظ (كرم) في المعاجم اللغوية العربية الموثقة يكتشف في نهاية المطاف أنها تكاد تنحصر في مضامين نحو: الجود والسخاء، والعطاء والخير، والنماء والبركة.

وهي كما يلحظ دلالات جد متقاربة ومتداخلة، واستناداً على ذلك فإنّ مولود الكلمة في

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج، ج1، ص 11.

(2) _ الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر أبي خالد القناني، يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج5، المحتوى: شعر، قافية (الفاء)، ص 77.

(3) _ الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (كرم)، ج5، ص ص 368-369.

(4) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (كرم)، ج2، ص ص 304-305.

(5) _ الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، مادة (كرم)، ص 176.

(6) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرم)، ج12، ص ص 75-76.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

سياق النص الذي وردت فيه هو الآخر ذو ارتباط وثيق بالمضامين اللغوية المعجمية.

غير أن الصيغة التي وظفت فيها اللفظة وهي صيغة «كريم» هكذا تضمنت المعاني السابقة، كما أفادت دلالات أخرى جديدة تستنبط من الصيغة التي وضعت فيها وهي صيغة «كريم» المشتقة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم التام التصرف المضموم العين كَرُمَ بزنة: شَرُفَ، وسَقَمَ، وحَلَمَ، وفقه... الخ⁽¹⁾.

والصيغة «كريم» في هذا البناء هكذا تفيد معنى الثبوت العام، والدوام والازوم، والاستمرار الأزلي الثابت في الحال، والثابت⁽²⁾، في حق اسم «المقام» الذي هو الموصوف المختص بوصف «كريم» الذي عرف به، وبينه، وميزه عن سائر المقامات العارضة نحو: مقام خسيس، أو حقير، أو دنيء، أو لثيم... الخ.

لكنه هنا في هذا النص هو: «مقام كريم»، أي: طيب، مبارك، عظيم، عالي المتزلة، رفيع الشأن ولا عجب في ذلك وهو يستظل في ظلال القرآن الكريم، وهي ظلال محفوفة بالرحمة والشفاء والطمأنينة.

من أجل ذلك كله سنكتفي في هذا السياق الخارجي للنص بالتطرق لبعض الآيات القرآنية التي عرضت للحديث عن هذا المقام الكريم بين ظلال القرآن الكريم يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾⁽³⁾.

يقول صاحب الكشاف في تأويل هذه الآية: «وقيل: مواقع النجوم: أوقات وقوع نجوم القرآن، أي: أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب، أونفاع جم المنافع، أو كريم على الله، (في كتاب مكنون) مصون من غير المقرئين من الملائكة، لا يطلع عليه من سواهم، وهم المطهرون من جميع الأذناس، أذناس، الذنوب»⁽⁴⁾.

أما صاحب تفسير التحرير والتنوير فيقرر في تأويل هذه الآية ما يأتي: «والقرآن: الكلام المقروء، أي المتلو المكرر، أي: كلام متعظ به محل تدبر وتلاوة.

(1) _ سيبويه، الكتاب، ج4، ص ص 28-36.

(2) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص ص 69-75.

(3) _ سورة الواقعة، الآيتان، 77، 78.

(4) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 1217.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

و(الكريم) النفيس الرفيع في نوعه كما تقدّم عند قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤَاتِي أَلْقَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾⁽¹⁾، وهذا تفضيل للقرآن على أفراد نوعه من الكتب الإلهية مثل التوراة والانجيل والزبور، وفضله عليها بأنه فاقها في استيفاء أغراض الدّين وأحوال المعاش والمعاد، وإثبات المعتقدات بدلائل التكوين والإبلاغ في دحض الباطل دحضاً لم يشتمل على مثله كتاب سابق، وخاصة الاعتقاد، وفي وُضوح معانيه، وفي كثرة دلالاته مع قلة ألفاظه، وفي فصاحته، وفي حسن آياته، وحسن مواقعها في السّمع وذلك من آثار ما أراد الله به من عموم الهداية به، والصلاحيّة لكل أمة، ولكل زمان، فهذا وصف للقرآن بالرّفعة على جميع الكتب حقّاً لا يستطيع المخالف طعنًا فيه»⁽²⁾.

ولمن يريد أن ينتفع حق النفع، بهذا المقام الكريم في رياض القرآن الكريم، وروحه ورحمته يقول المولى العزيز الرحيم: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾، يقول الرازي (ت604هـ) في تأويل هذه الآية: «ولفظة «من» هاهنا ليست للتبعيض بل هي للجنس كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾⁽⁴⁾.

والمعنى ويُترّك من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء»⁽⁵⁾.

«....»، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان:

الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة، أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فساداً الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة فيها، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة

(1) _ سورة النمل، الآية 29.

(2) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج11، ج27، ص 333.

(3) _ سورة الإسراء، الآية 82.

(4) _ سورة الحج، الآية 30.

(5) _ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن على التميمي البكري الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح العيب تقدم: هاني الحاج، تحقيق وتعليق، ونخريج الأحاديث: عماد زاكي البارودي، المكتبة التوفيقية-جامعة الأزهر- القاهرة، ط3، 2015م، مج11، ج21، ص 31.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني، وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاصد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض»⁽¹⁾.

ومما جاء « في ظلال القرآن» من حديث عن هذه الآية قوله « وفي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من رَوْح، وطمأنينة وأمان.

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن وَيَطْمئن وَيَسْتشعر الحماية والأمن لذلك جاء في النص الذي نحن بصدد درسه: « أيّ مقامٍ كريمٍ يَتَفَضَّلُ به على الإنسان خالقه الكريم، فيرضى وَيَسْتروح الرضى من الله والرضى عن الحياة، والقلق مَرَضٌ، والحيرة نَصَبٌ، والوسوسة داء، ومن ثم فالقرآن رحمة للمؤمنين»⁽²⁾.

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطَّمع والحسد ونزعات الشيطان... وهي آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتُدفع به إلى التحطّم والبلى والانهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلفة في الشعور والتفكير، فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي، ويأخذ بمنهج سليم مضبوط... يجعل نشاطه منتجاً ومأموناً، ويعصمه من الشطط والزلل، وكذلك هو عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبتٍ ولا شطط فيحفظه سليماً معافى ويُدخر طاقاته للانتاج المثمر، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين وأي مقام «كريم» في رياض القرآن الكريم؟

وفي القرآن الكريم شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها، فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينته، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين»⁽³⁾، وأي مقام «كريم» في روحه وريحانه؟ ولما إتفك الناس عن الإسلام وقاطعوا كلام الله سبحانه، وهجروه جاءت شقوتهم وحيرتهم، واضطرابهم وقلقهم، ثم عبدوا المادة فجعلوها إلهها يعبد من دون الله، وقدسوا الدرهم والدينار فكان مصيرهم خسران الدنيا

(1) _ المصدر السابق، مج11، ج21، ص31.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ص11.

(3) _ بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2248.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والخلود في النار يقول عز في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾.

هذه الجملة عبارة عن جملة اسمية أصلها متبداً وخير (أي مقام كريم) يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم، تبتدئ بأسلوب الاستفهام الذي يفيد التعجب المقرون بالتعظيم خاصة وأنه مقام كريم "متفضل به الخالق العظيم الجواد الكريم، وهو تفضل وإنعام ليس خاصاً بجنس دون جنس أو قوم دون قوم، إنه "مقام كريم" لجنس الانسان، لأن (أل) التعريف في لفظ (الإنسان) تفيد استغراق الجنس كله... وهنا المقصود به الجنس البشري كله.

(1) _سورة يونس، الآيتان، 7، 8.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فعل) منكرة هي: «وأقول في نفسي: أيّ شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟!»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي في اللفظة (لأيم):

لقد سبق وأن عالجنا التعريف بهذه المادة في بحث سابق⁽²⁾، ولذلك ننتقل إلى: معنى الصيغة كما وردت في سياق النص (وأقول في نفسي: أيّ شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها (أي البشرية) إلى هذا الجحيم؟!)

هذا وقد جاء الوصف هكذا داخل السياق النصي «أي شيطان لئيم؟!»، وموقعه الإعرابي صفة، وهي صفة كان القصد بها التعريف بالموصوف «شيطان» توضيحه، وتحديدته، وتمييزه من سواه ممن قد يشاركه أو يتلبس به نحو: ديني، حبيث، خسيس، شحيح وغيرها من الأوصاف العارضة له، إذا فهو شيطان «لئيم» وكفى، ومن مساق آخر فقد جاءت العبارة مسبوقه بأداة الاستفهام، أي: لتزيد الأمر إيضاحا وتحديدا بإفادتها في جنس اللؤم والمهانة وكأن الغرض الأدبي من هذا الاستفهام هو الدلالة على التعجب المفيد للذم، والتحقيق الموجه للموصوف المعروف بالدهاء والمكر والحيلة في تزيين القبيح المؤدي بالعبد إلى خسران الدنيا والآخرة يقول سبحانه على لسان هذا الشيطان «اللئيم»: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾⁽³⁾.

«فالشيطان؟ وأي شيطان "لئيم" على هذه الأرض له جنود وأعوان من الجن، وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾⁽⁴⁾، فله جنود يُهاجمون راكبين، راجلين، يُرسلهم على العباد يُحرّ كوفهم إلى الشر تحريكا ﴿الْمُرْتَأَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْوُهُمْ أَزْوَاجَهُمْ﴾⁽⁵⁾، كل إنسان يلزمه شيطان «لئيم» كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ص 11.

(2) _ ينظر: ص 145.

(3) _ سورة الحجر، الآيتان 39، 40.

(4) _ سورة الإسراء، الآية 64.

(5) _ سورة مريم، الآية 83.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يَعُشُّ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾⁽¹⁾، وكقوله تعالى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءً فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

« والمراد بـ « ما بين أيديهم » أمور الدنيا، أي زينوا لهم ما يعملونه في الدنيا من الفساد مثل: عبادة الأصنام، وقتل النفس بالحق، وأكل الأموال، والاعتداء على الناس باليد واللسان وغيرها من المفاسد.

والمراد بـ: « وما خلفهم » الأمور المغيبة عن الحس من صفات الله، وأمور الآخرة من البعث والجزاء مثل الشرك بالله ونسبة الولد إليه وظنهم أنه يخفى عليه مستور أعمالهم وإحالتهم بعثه الرسل، وإحالتهم البعث والجزاء»⁽⁴⁾.

«وللشيطان أولياؤه من الإنس، والشيطان "اللتيم" هذا هو عدو الإنسان الأول الذي يسعى في إهلاكه، ومع ذلك فإن غالبية البشر اتخذوه ولياً يسرون على خطاه...»⁽⁵⁾.

«...، ويرضون بفكره، وما أقبح هذا بالإنسان العاقل أن يتخذ عدوه ولياً ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾⁽⁶⁾، ولقد خسر باتخاذ حسرانا مبينا: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾⁽⁷⁾، خسروا لأن الشيطان أي شيطان «لتيم» سيدسي نفوسهم ويفسدها ويحرمهم من نعمة الهداية، ويرمى بهم في الضلالات والذين كفروا أولياؤهم الظالمون يخرجونهم من النور إلى الظلمة أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»⁽⁸⁾، وخسروا لأنه سيقودهم إلى النار في يوم القيامة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁽⁹⁾، وهؤلاء أولياء الشيطان «اللتيم»

(1) _ سورة الزخرف، الآية 36.

(2) _ سورة فصلت، الآية 25.

(3) _ عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، دار الشهاب للطباعة والنشر - عماد قرني - باتنة، الجزائر، (د.ط، د.ت)، ص 56.

(4) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 6، ج 24، ص ص 274-275.

(5) _ عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، ص 57.

(6) _ سورة الكهف، الآية 50.

(7) _ سورة النساء، الآية 119.

(8) _ سورة البقرة، الآية 257.

(9) _ سورة فاطر، الآية 6.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يتخذهم الشيطان « اللئيم » مطية وجنودا ينفذهم مُخططاته وأهدافه.

لذلك فالناس فريقان: أولياء للرحمان، وأولياء للشيطان « اللئيم » وأولياء الشيطان « اللئيم » هم الكفرة على اختلاف مللهم ونحلهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾.

والشيطان « اللئيم » يُسخر هؤلاء لتضليل المؤمنين بما يُلقونه من الشُّبه والشكوك: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾.

وما هذه الشبهات التي يقوم بها المستشرقون والصليبيون واليهود والملحدون من العُلماء إلا من هذا القبيل، وإنهم ليرصدون الأموال الضخمة ليصدوا الناس عن سبيل الله !!

«وبهذا السبيل كاد إبليسُ "اللئيم" اللعين آدم عليه السلام إذ زين له الأكل من الشجرة التي حرّمها الله عليه، فما زال به يزعم له أن هذه هي شجرة الخلد وأن الأكل منها يجعله خالدًا في الجنة أو ملكًا من الملائكة حتى أطاعه، فخرج من الجنة.

وأنظر إلى أولياء الشيطان "اللئيم" اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في إضلال العباد، فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية... يزعمون أنها هي المذهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضياع والجوع والانتحار والحروب المدمرة... وهذه الدعوات التي تدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن، وتلك الأفكار المسومة التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر... الخ»⁽³⁾.

تبتدئ هذه العبارة في سياقها العام الذي يعبر فيه المؤلف عن تعجبه المقرون هذه المرة بالاستنكار والتوبيخ، في جملة اسمية هكذا: (أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟) فالضمير في كلمة (خطاها) عائد إلى البشرية قاطبة، وتوحي هذه العبارة في سياقها بأمر ثابت مشهود محسوس يجسده ويقربه من ذهن المتلقي اسم الإشارة (هذا) وكذلك (الذي) لتقريب الصورة والمشهد وتوضيحه وتوكيده...

(1) _ سورة الأعراف، الآية 27.

(2) _ سورة الأنعام، الآية 121.

(3) _ يتصرف، عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، ص ص 57-61.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكّرة هي : (وهنا في عدد قليل من الكلمات والعبارات في أوّل السورة ترسم ثلاث صور لثلاثة أنماط من النفوس، كل نمط منها نموذج حي لمجموعة ضخمة من البشر، نموذج أصيل عميق متكرر في كل زمان ومكان)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (أصل):

ومما عَثَرْنَا عليه عند التعريف بمادة (أصل) في المعاجم اللغوية: «الأصل أسفل كل شيء، واستأصلت هذه الشجرة، أي: ثبت أصلها، واستأصل الله بني فلان، أي: لم يدع لهم أصلاً، وفلان أصيل الرأي، وقد أصل رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأي والعقل، والأصيل: هو العشي، وهو الأصل»⁽²⁾.

وفي اللسان: «رجل أصيل: له أصل، ورأي أصيل: له أصل ورجل أصيل: ثابت الرأي عاقل، وقد أصل رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأي والعقل، ومجد أصيل، أي: ذو أصالة»⁽³⁾.

وعن الجوهري (ت 393هـ) في الصحاح: «... الأصل: الحسب والفضل، وأخذت الشيء بأصيلته، أي كله بأصله، ورجل أصيل الرأي، أي مُحْكَم الرأي»⁽⁴⁾.

وبعد التّعقب المتمعن في لَفْظَة (أصل) تبين لنا أن دلالتها الأصلية تجري في معنى الحسب والفضل وإحكام الرأي وثبات العقل ورجاحته وإذا تحولنا إلى معنى الصيغة في سياق النص الذي وردت فيه نجد أنها قد وضعت في هذه الصيغة "أصيل" بزنة فَعِيل، وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم، المضموم العين: أصل، نحو: ضخم ضخامة، ورزُن رزانة، وقد ورد هذا الوصف منكرًا مذكراً موضحاً ومفيداً معنى التخصيص والتقييد للموصوف الذي قبله هكذا: "نموذج أصيل"، وقد جاء هذا الموصوف مفرداً مذكر نكرة، غير أن الوصف الذي تلاه مباشرة قلص من تنكير الموصوف فقربه من المعرفة بتمييزة من غيره من أشباهه من الموصوفين نحو: "نموذج" مزيف، أو هش أو هزيل، أو مُقلّد، أو رديء، أو سريع التلف فأخرجه بذلك من هذه الأوصاف العارضة التي قد يتوهم المخاطب أن يكون أحدها، فأعطاها وصفاً خاصاً به "أصيل"، أي ثابت راسخ ومستقر، من أجل ذلك كله فالوصف صفة مشبهة باسم الفاعل دلّ على الثبوت العام، والملازمة والدوام،

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 37.

(2) _ الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (أصل)، مج1، ص 167-168.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (أصل)، ج1، ص 155-156.

(4) _ الجوهري، الصحاح، مادة (أصل)، ص 45.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والاستمرار في الحال والاستقبال⁽¹⁾.

وإذا انتقلنا إلى السياق الخارجي الذي وردت فيه صيغة «أصيل» ودلالاتها الظاهرة التي تتحدث عن أنماط من النفوس البشرية وموقفها من الإيمان بالله ورسوله، واليوم الآخر، والبعث والجزاء.

وهي كما جاء في سورة البقرة ثلاثة أصناف بشرية «أصيلة» نجدها تتكرر دائما في كل زمان ومكان، وقد جاءت في بدء سورة البقرة وهذه الفئات الثلاث هي أولا فئة المؤمنين التي افتتحت بها سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿الْمَ ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾⁽²⁾.

ثم فئة الكفار المشركين بالله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾⁽³⁾، وهي فئة كما يبدو من ظاهر الآية ميؤوس من إيمانها بالله والأوبة إليه، ثم فئة المنافقين في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩﴾⁽⁴⁾.

هذه الفئات الثلاث هي تمثل النموذج «الأصيل» العريق العميق الذي لا يتبدل ولا يتغير عبر الزمان والمكان مادامت السماوات والأرض في موقفها من التوحيد والعقيدة والإيمان بالله ورسوله فقد جاء عند الزمخشري في «الكشاف» وهو يعرض للحديث عن هاته الفئات الثلاث قوله: «افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم، ثم تنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا، قلوبا وألسنة، ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلنَ مَجْدَلُهُ سَبِيلًا﴾⁽⁵⁾،⁽⁶⁾.

(1) - جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج5، ص ص 92-93.

(2) - سورة البقرة، الآيات 1-4.

(3) - سورة البقرة، الآية 6.

(4) - سورة البقرة، الآيتان 8، 9.

(5) - سورة النساء، الآية 143.

(6) - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 27.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«...، وسمّاهم المنافقين، وكانوا أخص الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده، لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتديساً، وبالشرك استهزاء وخداعاً، ولذلك أنزل فيهم القرآن ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾⁽¹⁾، ووصف حال الكفار في آيتين، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم وسفههم، واستجهلهم واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، وسجل بطغيانهم، وعمههم ودعاهم صمًا بكمًا عمياً، وضرب لهم الأمثال الشنيعة»⁽²⁾.

يقول رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد اخلف، وإذا خاصم فجر»⁽³⁾.

وهذا يقع للمؤمن في حالة الغفلة والتهاون، وغياب المراقبة المستمرة، أما إذا كان يأتي لخصال النفاق عامداً متعمداً، ظناً منه أنه هو الطريق المستقيم، أو عين الحيلة والذكاء، والتحايل على الله العليم الخبير، وعلى عباده الأغرار الكرام المتسامحين فقد هوى في حمأة النفاق، وسقط في هوة لا تحمد عقباها فصدقت في حقه الآية القرآنية: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾⁽⁴⁾.

أما الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمرهم موكول إلى ربه عسى الله أن يتوب عليهم إنّه هو التواب الرحيم، أو يعاقبهم يقول الله عزوجل في هؤلاء: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾⁽⁵⁾.

« وهكذا ترتبط موازين الآخرة الدقيقة، بنواميس الكون الدقيقة بسنن الدعوات وطبائع الحياة والناس، وتلتقي كلها متناسقة موحدة في يد الإرادة الواحدة مما يشهد له النموذج «الأصيل» المتكرر في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها»⁽⁶⁾.

(1) _ سورة النساء، الآية 145.

(2) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 27.

(3) _ مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص 53.

(4) _ سورة البقرة، الآيتان، 9، 10.

(5) _ سورة الأنبياء، الآية 47.

(6) _ بتصرف، سيد قطب، مج4، ج17، ص ص 2381-2382.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

قد يُطلق لفظ (أصيل) ويراد به الدلالة على اسم علم نحو: أصيل فتاة تكافح من أجل العيش في ظل العزة والكرامة والحرية، وقد يطلق ويراد به الدلالة على وقت ما قبل المغرب نحو: أصيل فصل الربيع صاف وجميل أفقه؛ وقد يطلق لفظ "الأصيل" ويراد به الصفة المشبهة باسم الفاعل نحو، الشجاعة والكرم والنجدة قيم أصيلة في طبع العربي، من أجل ذلك فلننتبه إلى هذا في مثل النمط من الألفاظ الأبنية التي لا يفرق فيها بين هذه الدلالات إلا بالاستعانة بالسياق العام والخاص، والقرائن المختلفة.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكورة هي: (لابد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يفِيء إليه بقلب سليم) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (سلم):

إن أول ما يطالعنا في تعريف مادة (سلم) في المعاجم اللغوية «السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشد، والشاذ عنه قليل، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله جل جلاله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (2)، فالسلام لله جل ثناؤه وداره الجنة» (3).

ومن دلالات هذه المادة في اللسان: «السلام والسلامة: البراءة وتسلم منه: تبرأ والتسليم إلى الله والصبر على ما يتبلى به العبد وطلب الشفاء من عنده، وليس ذلك قادحاً في جواز الكي، ولكنه قادح في التوكل، وهي درجة عالية وراء مباشرة الأسباب، وسلم من الأمر سلامة، نجاء، وقوله عز وجل: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ أُتْبِعَ الْهُدَىٰ﴾ (4)، معناه: أن من اتبع هدى الله سلم من سخطه وعذابه والإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى النبي ﷺ، وبذلك يُحَقَّن الدم ويُستدفع المكروه» (5)، وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي (ت 817هـ) من معاني هذه المادة: «والسلام من أسماء الله تعالى والسلامة البراءة من العيوب، والتسليم: الرضا، وأسلم انقاد وصار مسلماً، وتسالماً: تصالحاً وسالماً: صالحاً» (6).

بعد هذا التعقب المتقضي لمعاني مادة (سلم) تكشف لنا أن دلالتها الرئيسة تصب في معاني مثل: السلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، والسلام: معظم بابه من الصحة والعافية وسلم من الأمر سلامة: نجاء، وهكذا كما يلحظ فإنها جميعاً معاني ومضامين متقاربة ومتصلة بعضها ببعض.

وبالتحول إلى معنى الصيغة كما وردت في سياق النص نلاحظها قد وضعت في هذه الصيغة "سلم" على زنة فعيل وهو وصف مذكر منكر مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم التام المتصرف

(1) _ المصدر السابق، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 39.

(2) _ سورة يونس، الآية 25.

(3) _ أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سلم)، ص ص 412-413.

(4) _ سورة طه، الآية 47.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلم)، ج 6، ص ص 242-243.

(6) _ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (سلم)، مج 4، ص ص 129-130.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

المكسور العين (سلم)، يقول سيبويه: «والعرب تَمَّا يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد»⁽¹⁾.

وقد وردت صيغة "سليم" في النص نعتاً مجروراً نكرة لموصوف هو الآخر مجرور نكرة والقصد من الوصف هو تبين وتوضيح، وتتميم معنى الموصوف للتعريف به وتخصيصه، وتعيينه، وتقريبه من السامع والمتلقي، جاء في شرح الشاطبي لألفية ابن مالك في هذا الشأن ما نصّه: «مُتَمُّ ما سبق، أي النعت» يعني أن النعت يُتمم معنى الاسم السابق، أي: الموصوف بالنسبة إلى فهم السامع والمتلقي، لا بالنسبة إلى نفس الاسم لأن الاسم أي الموصوف في نفسه تام الدلالة على معناه وضعا، وإنما التفاوت في تمام الدلالة وعدم ذلك بالنسبة إلى فهم السامع، فقد يكون الاسم السابق بالنسبة إليه تام الدلالة، أي: معروفا عنده، وقد يكون ناقص الدلالة، أي: مُبْهَمًا عنده»⁽²⁾.

لذلك جيء بالنعت هنا "سليم" وهذا غالبا ما يكون مشتقا لبيّنه ويوضحه، ويتمه، ويزيل عن الموصوف الذي قبله الإبهام العام الذي هو عالق به وليقربه شيئا ما من المعرفة بإعطائه شيئا من التخصيص والتحديد، ويميزه من غيره من القلوب المريضة السقيمة، أو القلوب المنهارة، أو المطمئنة أو المضطربة الضالة، التائهة، العمياء كما قال جل في علاه: ﴿فَاتِمَا لَا تَعَى الْأَبْصُرُ وَلَكِنْ تَعَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾⁽⁴⁾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ⁽⁵⁾.

وتوكيدا لما سبق من الحديث عن صيغة «سليم» جاء كذلك عن محمد الطاهر ابن عاشور في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾⁽⁶⁾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ⁽⁷⁾.
«والباء في «بقلب سليم» للمصاحبة، أي: جاء معه قلب صفته السلامة فيؤول إلى معنى: إذ جاء ربه بسلامة قلب، وإنما ذكر القلب ابتداء ثم وصف بـ«سليم» لما في ذكر القلب من إحضار حقيقة ذلك القلب التزيه، ولذلك وأثر تنكير «قلب» دون تعريف»⁽⁸⁾.

ويمكن أن نلاحظ ملاحظة على كلام ابن عاشور هنا فنقول له: أليس وصف القلب بصفة

(1) _ سيبويه، الكتاب، ج2، ص 217.

(2) _ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرح الشاطبي لألفية ابن مالك المسمى المقاصد الشاقية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط1، سنة 2012م، ج4، ص ص 194-195.

(3) _ سورة الحج، الآية 46.

(4) _ سورة الصافات، الآية 84.

(5) _ سورة الصافات، الآيتان 83، 84.

(6) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج9، ج23، ص 137.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

"سليم" هو نوع من التعريف لصنفٍ معينٍ مخصوص من هذه القلوب المتباينة المتميزة عن بعضها؟ وبناءً على ذلك فتنكير "قلب" هنا ليس على إطلاقه بل هو تنكير مُقيد لدخول النعت عليه الذي جعله موسوماً بسمة ميزته عن غيره «وسليم» صفة مشبهة مشتقة من السلامة وهي الخلاص من العلل والأدواء لأنه لما ذكر القلب أن السلامة سلامته مما تصاب به القلوب من أدوائها فلا جائز أن تعني الأدوية الجسدية لأنهم ما كانوا يريدون القلب إلا مقرّ الإدراك والأخلاق فتعيّن أن المراد صاحب القلب مع نفسه. يمثل طاعة الهوى والعُجب والغرور، ومع الناس. يمثل الكِبَر والحَسَدَ وَ الحِقْدَ والرياء والاستخفاف»⁽¹⁾.

وهذا تأويل سديد هادف بعيد المغزى حيث إن القلب الآدمي هو مصدر جميع الأدواء التي تصيب الإنسان سواء على المستوى الظاهري أو الباطني لكيان الإنسان يقول الحديث النبوي الشريف: «ألا إن في الجَسَدِ مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسدت الجسد كله ألا وهي القلب»⁽²⁾.

«وقد حكى عن إبراهيم قوله: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽³⁾، وذلك مجامع مكارم الأخلاق ولذلك وصف إبراهيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾⁽⁴⁾،⁽⁵⁾. ومن هذا نخلص إلى القول إن الإنسان متى انتصر على نفسه وشهواتها واستجاب لأوامر الله ونواهيه وسلم أمره إلى مولاه العلي القدير أصبح صاحب قلب "سليم".

من خلال هذه العبارة الرابعة التي جاءت فيها صيغة (سليم) المنكرة يتبين لنا أن المؤلف جد متأثر بأسلوب وألفاظ القرآن التي يحمل اللفظ الواحد منها دلالات كثيرةً متقاربة، وكلها صحيحة مناسبة في مقامها وسياقها نحو صيغة (سليم) هنا التي تحمل دلالة الصحة والعافية، ودلالة السلامة من العاهة والأذى، ودلالة البراءة من العيب والتشوه، ودلالة طلب الشفاء من عند الله، والدلالة على اتباع الهدى، والدلالة على الانقياد والخضوع لشريعة الله وغيرها الدلالات التي تكشف لنا مدى تمكن الكاتب من ناصية العربية عامة، وأسلوب القرآن خاصة، والتوظيف لها بوعي وقصد، وحذق ومهارة فنية عالية.

(1) _ المصدر السابق، مج9، ج23، ص 137.

(2) _ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج2، ص 663.

(3) _ سورة الشعراء، الآية 89.

(4) _ سورة هود، الآية 75.

(5) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج9، ج23، ص 137.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكرة هي: (والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تُصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (قبح):

إنَّ أول ما يلوح لنا في تعريف مادة (قبح) في المعاجم اللغوية: « قول الله عزوجل: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذَا الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾⁽²⁾، أي: من المبعدين الملعونين، وهو من القبح والإبعاد، قال أبو زيد: قَبِحَ اللهُ فلاناً قَبِحا وَقُبُوحاً، أي أقصاه وباعده من كل خير كقُبُوح الكلب والخنزير، وقال النابغة الجعدي

وَأَيْسَرَتْ بِشَوْهَاءِ مَقْبُوحَةٍ تُوَافِي الدِّيَارَ بَوَاحٍ غَيْرٍ⁽³⁾.⁽⁴⁾

وفي الصَّحاح: «القُبْحُ: نقيض الحسن، وَقَدْ قُبِحَ قَبَاحَةً فهو قبيح، وَ أَقْبَحَ فلانٌ: أتى بقبيح، والاستقباح: ضد الاستحسان»⁽⁵⁾.

وفي مقاييس اللغة: «القاف والباء والحاء كلمة واحدة تدلّ على خلاف الحسن، وهو القبح، يُقال: قَبِحَ اللهُ، وهذا مقبوح وقبيح، وزعم ناس أن المعنى في قَبِحَهُ: نَحَاهُ وَأَبْعَدَهُ»⁽⁶⁾.

هذا وبعد إمعان النظر في دلالة لفظ (قبح) في المعاجم اللغوية تبين لنا في الأخير أن دلالتها الأصلية تتراوح بين معاني الإبعاد والتنحية، والإقصاء، والقُبْحُ: نقيض الحسن أو هو بالتحديد البشاعة.

وإذا انتقلنا إلى لفظ (قبح) كما وردت في ظل سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصيغة "قبيحاً" مفرداً مذكراً نكرة منصوبة يقول سيبويه: «أما ما كان حسناً أو قبيحاً فإنه مما يُبنى فعله على

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 68.

(2) _ سورة القصص، الآية 42.

(3) _ الشاهد: من البحر المتقارب، للشاعر النابغة الجعدي، ينظر: إميل بدیع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج 3، المحتوى: شعر، قافية (الراء)، ص 8.

(4) _ الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (قبح)، مج 3، ص 2870.

(5) _ الجوهري، الصحاح، مادة (قبح)، ص ص 838-833.

(6) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (قبح)، ص 759.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

فَعْلٌ يَفْعَلُ، ويكون المصدر فعلا وفَعَالَةٌ وفُعْلًا وذلك قولك: قُبِحَ يَقْبُحُ قُبَاحًا، وبعضهم يقول: قُبوحًا، فبناء على فعولة كما بناه على فَعَالَةٍ، وتجيء الأسماء (يعني الصفات) على فعيل، وذلك: قبيح، ووسيم، وحميل، وشقيح أي قبيح، ونسيم»⁽¹⁾.

« ويأتي هذا البناء، أي بناء فعيل للدلالة على الثبوت مما هو خِلْقَةٌ أو مُكْتَسَبٌ كطويل وقصير وخطيب وفتية، وإن هذا الوصف يُنْبئ كما أسلفنا القول من (فَعْلٌ) المضموم العين، وهذا الفعل يدل على الطباع وعلى التحول في الصفات فمن الأول: قُبِحَ وَوَسِمَ وَحَمِلَ وَقَصُرَ، ومن الثاني: بُلُغَ وَخَطِبَ وَفَقِهَ، فالفعل (قُبِحَ) يدل على أن صاحبه، أي الموصوف به قبيح، وأن هذا القُبْحُ خَلْقِي غير مُكْتَسَبٍ وَكَذَا جَمَلٌ وَنَحْوَهَا....»⁽²⁾.

وبناء على كل ماسبق فإن صيغة « قبيحًا » في عبارة «ويشهدون فعلاً قبيحاً» صفة مشبهة تدل على الثبوت، والدوام، والملازمة مما هو حلقة ثابتة راسخة في الموصوف في الزمان الماضي، والحاضر، والاستقبال، ومحل إعراب الوصف نعت منصوب تابع للموصوف مُتَمِّمٌ لمعناه، ومُبيِّنٌ، وموضح، ومُخَصَّصٌ له مما ساهم في تقريب الموصوف من المعرفة، وحصره، وتَمييزه من غيره من الأوصاف التي يصح أن تراحمه وتحل محله نحو: رديء، أو بشع، أو مُنكَرٌ أو باطل وغيرها.

وَبِمَجِيءِ وَصْفِ "قُبِيحًا" تَحَدَّدَ وَتَعَيَّنَ، وَعُرِفَ جِنْسُ الْمَوْصُوفِ «فَعَلًا قُبِيحًا».

وَبِالْتَّحَوُّلِ إِلَى السِّيَاقِ الْخَارِجِيِّ لِصِيغَةِ « قُبِيحًا » فِي تَفَاعُلِهَا وَتَأْتِيرِهَا وَتَأْتِيرِهَا بِمَا يَسْبِقُهَا وَمَا يَلْحَقُهَا مِنْ حَالَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَأَحْلَاقِيَّةٍ وَدَعْوِيَّةٍ وَتَرْبُويَّةٍ نَاطِقَةٍ بِالْحَيَاةِ عَلَى مَا يَجْرِي فِي وَاقِعِ النَّاسِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾⁽³⁾.

جاء في تفسير الطبري في تأويل هذه الآية: «حدثني محمد بن عمرو، قال حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال حدثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نُجَيْجٍ، عن مجاهد في قول الله: « لم تقولون ما لا تفعلون » إلى قوله: ﴿مَرَّضُوصٌ﴾⁽⁴⁾، فيما بين ذلك

(1) _ سيبويه، الكتاب، ج4، ص 28.

(2) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، 83.

(3) _ سورة الصف، الآيتان: 2، 3.

(4) _ سورة الصف، الآية 4.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

في نفر من الأنصار فيهم عبدُ الله بنُ رَواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رَواحة»⁽¹⁾.

« لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول: فعلتُ كذا، وفعلت كذا، فعذّبهم الله على افتخارهم ما لم يفعلوا كذبا، ذكر ذلك من قال: حدّثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدّثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَاتَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾.

وقال: بلغني أنّها كانت في الجهاد كان الرَّجُل يقول: قَاتَلْتُ وَفَعَلْتُ، ولم يكن فَعَلَ، فوعظهم الله في ذلك أشدَّ الموعدة.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عُنِيَ بها الذين قالوا: لو عرفنا أحبَّ الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قَصَرُوا في العمل بعدما عرفوا وإنما قُلْتُ: هذا القول أولى بها، لأنَّ الله جلَّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽³⁾، ولو كانت نزلت في المنافقين لم يُسْمُوا، ولم يُوصَفُوا بالإيمان، ولو كانوا وصَفُوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تَعَمَّد قِيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمَلُوا بقولهم: لو عَلِمْنَا أحبَّ الأعمال إلى الله عملناه، أنّهم لو عَلِمُوا بذلك عَمِلُوهُ: فلما عَلِمُوا ضَعَفَتْ قُوَى قوم منهم، عن القيام بما أمَلُوا القيام به قبل العلم، وقَوَى آخرونَ فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف»⁽⁴⁾.

وفي تقديرنا أن مشكلة المسلمين في انهماكهم أمام أعدائهم من اليهود والنصارى والمنافقين أنّهم يعتمدون كثيرا على القول دون الفعل، والثروة الفارغة حتى صار لسان حالهم يقول ويردّد: مَا أَحوجنا اليوم إلى أبطال في الميدان، وما أتعسنا اليوم بأبطال في الثروة والكلام الذي لا طائل وراءهما، والكلام يطول في هذا المضممار فنكتفي بهذا القدر لأنّ واقع المسلمين المُزري يُعني عن أي إفاضة في الكلام في هذا المقام.

في هذه العبارة مع سياقها العام نريد أن نخرج على الحسن البديعي المتمثل في المقابلة الواردة في قوله: (لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ويشهدون فعلاً قبيحاً)، وهي مقابلة فنية جميلة لأنها تعبر تعبيراً دقيقاً

(1) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج10، ص 8016.

(2) _ سورة الصف، الآية 2.

(3) _ سورة الصف، الآية 2.

(4) _ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج10، ص ص 8016-8017.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

عن هذا القبح الشنيع والتقرز المؤلم الذي يُدمي الفؤاد الناتج عن واقع المسلمين المتناقض المقلوب المر، وهو واقع مشهود ملموس لدى العام والخاص، عند الكبير والصغير، وهو واقع يُنكره الشريعة والعلم والعقل والمنطق، غير أنه للأسف الشديد هذا هو الواقع المر المزري المأسوي في بلاد العرب والمسلمين في العقيدة والأخلاق والسياسة والاقتصاد في البيت والشارع والمدرسة والجامعة والمسجد والإدارة.. إلى الحد الذي نتج عنه فقدان الثقة بين المسلمين بعضهم بعضاً، من أعلى هرم في السلطة إلى أسفله وتفشي الكراهية والبغضاء والتحاسد بينهم والفرقة...

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السادسة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكرة هي: (والفرد الفاني مالم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (ضعف):

إنَّ أوَّل ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (ضعف) في المعاجم اللغوية أن: «المضعوف من أضعفت الشيء، وأنشد قول لبيد:

وعالين مضعوفا وفرداً، سُمُوْطُه⁽²⁾. جُمَانٌ ومَرَجَانٌ يَشْكُ المَفَاصِلَا⁽³⁾.

وأما قول الله جل في علاه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾⁽⁴⁾، الهرم، وفيه لغتان: الضَعْفُ وَالضُّعْفُ⁽⁵⁾.

« وفي مقاييس اللغة: «الضاد والعين والفاء: أصلان متباينان يدل أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على أن يُزاد الشيء مثله، فالأول: الضَعْفُ والضُّعْفُ، وهو خلاف القوة، يقال: ضَعُفَ يَضْعُفُ، وَرَجَلَ ضَعِيفٌ وَقَوَّ ضَعْفَاءً وَضِعَافٌ.

وأما الأصل الآخر فقال الخليل (ت 175هـ)⁽⁶⁾: أضعفت الشيء، وضعفته تضعيفاً، وضاعفته مضاعفة، وهو أن يُزَادَ على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر⁽⁷⁾.

وجاء في الصحاح عن التعريف بهذه المادة (الضعف والضُّعْفُ: خلاف القوة وقد ضَعُفَ، وَاسْتَضَعَفَهُ، أي: عدّه ضعيفاً، قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾⁽⁸⁾،

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 68.

(2) _ سُمُوْطُه جمع مفرد سِمَط: السَيُورُ التي تعلق من السرج، الجوهرى، الصحاح، مادة (سكط)، ص 512.

(3) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر: لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 76.

(4) _ سورة الروم، الآية 54.

(5) _ ابن منظور: لسان العرب، مادة (ضعف)، ج 8، ص 62.

(6) _ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، وصاحب العربية والعروض، وله من التصانيف غير العين: كتاب النعم، الجمل والعروض، الشواهد، التقط والشكل، كتاب فائت العين، كتاب الإيقاع توفي الخليل سنة 175هـ، السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص ص 559-560.

(7) _ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ضعف)، ص ص 513-514.

(8) _ سورة الإسراء، الآية 75.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أي: ضَعْفُ العذاب حَيًّا ومَيِّتًا»⁽¹⁾.

معنى الصيغة كما جاءت في ظل سياق النص (والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف).
وبَعْدَ إِنْعَامِ النظر في مادة (ضعف) تكشف لنا أن دلالتها تتركز حول معاني الهزال والتخافة والهشاشة وسرعة التلف.

وبالرجوع إلى لفظة (ضعف) كما وردت في سياق النص، نلاحظها وُضِعَتْ في هذه الصيغة (ضعيف)، وهو وَصْفٌ مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم، التام المتصرف، المضموم العين (ضَعَفَ) بزنة كَرُمٍ وحَلَمٍ وقَبْحٍ، وقَصُرٍ، وضَمُرٍ، فالفعل (ضَعَفَ) يدل على أن صاحبه ضعيف وأن هذا الضعف خلقي غير مكتسب وكذا قصر ونحوها.

وقد ورد هذا الوصف السابق نكرة مسندا خبرا للمبتدأ المسند إليه في قوله: (والفرد الفاني...)
وفيه أي في الخبر الوصف المسند ضمير مستر جوازا فاعل تقديره هو عائد على المسند إليه (الفردُ الفاني...).

وبناء على ما سبق فإنَّ المشتق "ضعيف" صفة مشبهة باسم الفاعل تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمن المنقضي، والحال، والاستقبال، وقد ثبت هذا المعنى حقيقة وواقعا ملموسا مشاهدا في حق الموصوف أو المسند إليه: "الفرد الفاني" بدليل قوله تعالى عز وجل: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿أَلَيْسَ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾⁽⁴⁾، يقول صاحب الكشاف في تأويل الآيات الأخيرة: «كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت ووجدت الطالب أضعف وأضعف وأضعف، لأن الذباب حيوان، وهو جماد، وهو غالب وذاك مغلوب، وعن ابن عباس: أنهم كانوا يطلونها بالزعفران، أي (الأصنام) ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله»⁽⁵⁾، وتام الآية متمثل به في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَجِيعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

(1) _ الجوهري، الصحاح، مادة (ضعف)، ص 622.

(2) _ سورة النساء، الآية 28.

(3) _ سورة الأنفال، الآية 66.

(4) _ سورة الحج، الآية 73.

(5) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 760.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

اللَّهُ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾⁽¹⁾، هذا وقد يكون الطالب والمطلوب إنسانا يستجدي إنسانا آخر نحو: المستضعفين الذين يقفون على أبواب عواقب الملوك والرؤساء يلتمسون منهم الرزق والفتاة مقابل إطاعتهم وعبادتهم وإتباع أوامرهم ونواهيهم، معتقدين فيهم القوة والقدرة على تخليصهم من كل ورطة وشدة !!!

والآن نولي أنظارنا وجهة السياق الخارجي لصيغة « ضعيف ».

ومع صاحب تفسير التحرير والتنوير وتأويل آية: ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾⁽²⁾، يقول: « فشبهت الأصنام المتعددة المتفرقة في قبائل العرب وفي مكة الخصوص بعظماء، أي: عند عابديها، وشبَّهت هيئتها في العجز بهيئة ناس تُعذَّر عليهم خلقٌ أضعف المخلوقات، وهو الذباب، بله المخلوقات العظيمة كالسماوات والأرض، لذلك فالضعيف لا يصنع إلا « ضعيفاً » والعظيم لا يخلف إلا عظيماً، وقد دل إسناد نفي الخلق إليهم على تشبيههم بذوي الإرادة لأن نفي الخلق بمقتضى محاولة إيجاده، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْثَلُكُمْ أَجْزَاءَ﴾⁽³⁾، كما تقدم في سورة النحل، ولو فرض أن الذباب سلبهم شيئاً لم يستطيعوا أخذه منه، ودليل مشاهدة عدم تحركهم، فكما عجزت عن إيجاد أضعف الخلق وعن دفع أضعف المخلوقات عنها فكيف تُوسم بالإلهية ورمز إلى الهيئة المشبه بها بذكر لوازم أركان التشبيه من قوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾⁽⁵⁾، إلى آخره لا جرم حصل تشبيه هيئة الأصنام في عجزها بما دون هيئة أضعف المخلوقات فكانت تمثيلية مكنية»⁽⁶⁾.

والقوي الحقيقي هو الذي لا يسهوه، ولا يغفل، ولا ينام: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا

(1) _ سورة الحج، الآية 73.

(2) _ سورة الحج، الآية 73.

(3) _ سورة النحل، الآية 21.

(4) _ سورة الحج، الآية 73.

(5) _ سورة الحج، الآية 73.

(6) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج7، ج17، ص340.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾، وَلَا يَتَعَبُ، وَلَا يَمْرُضُ وَلَا يَعْتَلُ، لَا يَجُوعُ وَلَا يَعْطَشُ، لَا يَتَأَلَّمُ وَلَا يَشْكُو وَلَا يَضْحَرُ، لَا يَرْزُقُهُ أَحَدٌ وَلَا يَطْعَمُهُ، لَا يَزُولُ مَلِكُهُ وَلَا يَفْنَى، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِثِيلٌ وَلَا نَظِيرٌ، لَا يَفْلَتُ مِنْ قَبْضَتِهِ كَائِنٌ مِنْ كَانٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ.

نرى هذا الكائن الإنساني أو المخلوق الآدمي «ضعيف» في جسده وبدنه، ومشاعره وأحاسيسه سريع التأثير بكل العوارض الخارجية جليلها وحقيرها، كبيرها وصغير فهو هَش طري سريع التلف يقول جل ذكره: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾^(٢)، هؤلاء فقط هم الأقوياء حقا عند الله، هم الذين ظلوا بصلاتهم على صلة دائمة بربهم الباقي الذين وعدهم بالخلود في جنات النعيم.

العبرة في سياقها العام عبارة عن جملة اسمية فيها مبتدأ وخبر تدل في أصلها على ثبوت المعنى ورسوخه وملازمة الغناء للفرد الإنساني، كما أن صفة القوة ثابتة دائمة أزلية في ذات الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى كله يحققه ويشبته ويؤكدده المحسن البديعي المتمثل في الطباق بين كلمتي (الفناء) الذي هو وصف لازم للكائنات كلها ومنها الإنسان، وبين كلمة (الخلود) الذي هو وصف ملازم لذات الله القوي الجبار، فيترتب على هذا أن كل فان ضعيف، وأن كل خالد قوي بالمعنى الواسع العميق الكامل الشامل لصفة القوة المهيمنة المستعالية المدبرة لكل أمر، والمصرفة في كل شأن...

(١) _ سورة البقرة، الآية 255.

(٢) _ سورة المعارج، الآيات 19-23.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السابعة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكّرة هي: (...، مما يوحي بأن فترة الإذلال التي قُضوها تحت حكم فرعون الطاغية قد أفسدت فطرته إفسادًا عميقًا⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (عمق):

قد سبق لنا وأن عالجنا هذه المادة من هذا المنحى مع صيغة (العميق) المعرفة⁽²⁾.

وبناء على ما سبق لنا التعرف عليه عن مادة (عمق) فإن دلالتها الأصلية تدور في محملها حول: العمق: هو البعد والاتساع، والعمق العُور والأطراف والقعر السفلي.

وإذا انتقلنا إلى معنى كلمة (عمق) في ظل سياق النص الذي أدرجت فيها نلاحظها قد جاءت في هذه الصيغة "عميقًا" وعليه فصيغة "عميقًا" صدفة مشبهة باسم الفاعل نكرة مذكر نعت منصوبة للموصوف الذي جاء قلها وهو: "إفسادًا" وكان المقصد من الجيء بالوصف "عميقًا" هو إتمام معنى الموصوف "إفسادًا" الذي كان نوعا ما مبهما قبل مجيء الوصف "عميقًا" بالنسبة إلى فهم السامع والمتلقي لا بالنسبة إلى فهم الاسم لأنّ الاسم في نفسه تام الدلالة على معناه ووضعا، وإنما التفاوت في تمام الدلالة وعدم ذلك بالنسبة إلى فهم السامع، فقد يكون الاسم السابق الموصوف بالنسبة إليه تام الدلالة، أي: معروفا عند السامع، وقد يكون ناقص الدلالة، أي: مبهما عنده فلما جيء بالوصف «عميقًا» تبين ما قبله وأتضح وتمّ معناه وتميز من غيره ممّا قد يُوسم به: نحو: «إفسادا شنعًا»، أو «إفسادًا كبيرًا» أو «إفسادًا خطيرًا» وغيرها⁽³⁾.

وإذا ما تحولنا إلى السياق الخارجي الذي وردت فيها صيغة «عميقًا» نجد أنها جاءت هكذا: «مما يوحي بأن فترة الإذلال التي قُضوها تحت حكم فرعون الطاغية قد أفسدت فطرتهم إفسادًا عميقًا»⁽⁴⁾.

وقد ذكر الله عزّ وجلّ هذه الفطرة الآدمية ناسبًا إيّاها إلى نفسه، راسمًا لها الطريق التي تسير فيه في هذه الحياة الدنيا، ولا تحيد عنه، ولا يليق بها أبدا أن تنحرف عنه ولو قيّد أمّلة في قوله تعالى:

﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 72.

(2) _ ينظر: ص 141 من هذا البحث.

(3) _ الشاطبي، شرح الشاطبي لألفية ابن مالك، ج4، ص ص 194-195.

(4) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 72.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

التكاس لا يعلمون ﴿١﴾.

يقول الطبري (ت 310هـ): « يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها: ونُصِبَتْ فِطْرَةٌ عَلَى المصدر.

حدَّثنا ابن حميد، قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بن وَاصِح، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُس بن أَبِي صَالِح، عَنْ يَزِيد بن أَبِي مَرْيَم، قَالَ مَرْعَمَرُ بَعَاذ بن جَبَل، فَقَالَ: مَا قَوْمَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالَ مَعَاذُ: ثَلَاثٌ، وَهِنَّ الْمُنْجِيَاتُ: الْإِخْلَاصُ وَهُوَ الْفِطْرَةُ: « فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»، وَالصَّلَاةُ: وَهِيَ الْمَلَّةُ، وَالطَّاعَةُ: وَهِيَ الْعِصْمَةُ، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتُ.

وقوله: « لا تُبْدِلُ لِحَلْقِ اللَّهِ » يَقُولُ: لا تَغْيِيرُ لِدِينِ اللَّهِ: أَي لا يَصْلِحُ ذَلِكَ، وَلا يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ ﴿٢﴾.

وعليه فأى محاولة من أي إنسان، أو عالم متحذلق مغرور يُحاول أن يحدث أي تغيير أو تبديل في هذه الجبلية البشرية التي خلقها الله العليم الخبير الحكيم فعدّلها، وسوّاها، وقدرها فهداها فإنه يجرها إلى المسخ والهلاك، والضياع، والدمار.

وقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في تأويل هذه الآية قوله: "فِطْرَةُ اللَّهِ" بدل من ﴿حَنِيفًا﴾ ﴿٣﴾، بدل اشتمال فهو في معنى الحال من «الدين» أيضا وهو حال ثانية فإنّ الحال كالخبر تتعدّد بدون عطف على التحقيق عند النحاة، وهذا أحسن لأنه أصرح في إفادة أن هذا الدين مختص بوصفين: هما: التبرؤ من الإشراك، وموافقته الفطرة، فيفيد أنه دين سمح سهل لاعنت فيه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ ﴿قِيَمًا﴾ ﴿٤﴾، أي الدين الذي هو فطرة الله لأنّ التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل الفطرة ﴿٥﴾.

وبناء على ما سبق فإن فرعون وأشباهه في كل زمان ومكان بنوا دساتيرهم، وموآثيقهم، وقوانينهم ومقرراتهم، ومناهجهم الأرضية.

(١) _ سورة الروم، الآية 30.

(٢) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج 8، ص 6524.

(٣) _ سورة الروم، الآية 30.

(٤) _ سورة الكهف، الآيتان، 1، 2.

(٥) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 8، ج 21، ص 89.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«..من علّو ملوك الأرض وسادة الأقوام.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽¹⁾، دلّ على شدة تمكّن الإفساد من خلقه، ولفعل الكون إفادة تمكّن خبر الفعل من اسمه فَحَصَلَ تأكيد بمعنى تمكّن الإفساد من فرعون، ذلك أن فعله هذا اشتمل على مفساد عظيمة عميقة: الإفساد «العميق» الأول: التكبر والتجبر فإنّه مفسدة نفسية عظيمة «عميقة» تتولد منها مفساد جمّة من احتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم، وسوء معاشرتهم، وبثّ عداوتهم فيهم، وسوء ظنه بهم وغيرها من القائمة الطويلة والإفساد الـ العميق الثاني: أن فرعون جعل أهل المملكة شيعة وفرّقهم أقساما وجعل منهم شيعة مفرّين منه - يمكن أن نشاهد نظير هذا في الأحزاب السياسية في العالم العربي والإسلامي، وفي الحزب المقربّ من النظام والسلطة الذي يمثل الحاشية، ويفهم منه أنّه جعلهم بعضهم بضد بعض، وذلك فساد في الأمة "عميق" لأنّه يثير بينهما التّحاسد والتباغض، ويجعل بعضها يتربص الدوائر ببعض فتكون الفرق المحظوظة عنده متطاوله على الفرق الأخرى وتكدح الفرق الأخرى لتزحزح المحظوظين عن حضورهم بإلقاء النميمة والوشاية الكاذبة، والتملق والتزلف المقيت لفرعون وحاشيته ليحلّوا محلّ الآخرين.

الإفساد "العميق" الثالث: أن يستضعف ويستذل طائفة من أهل مملكته فيجعلها محقرة مهضومة الجانب لا مساواة بينها وبين فرق أخرى، ولا عدل في معاملتها بما يعامل به الفرق الأخرى.

والإفساد "العميق" الرابع: أن فرعون هذا يذبّح أبناءهم بطريقته الخاصة، وفراعنة اليوم في أرجاء الأرض - عربا وعجما - يذبّجون أبناء شعوبهم بطرقهم الخاصة؟

وإسنادا الذبح إلى فرعون مجاز عقلي، والمراد بالأبناء: الذكور من الأطفال والقصد من ذلك أن لا تكون لبني إسرائيل قوة من رجال قبيلتهم حتى يكون النفوذ في الأرض لقومه خاصة.

الإفساد "العميق" الخامس: أنه يَسْتَحْيِ النساء... فأطلق عليهم اسم النساء باعتبار المآل إيماء إلى أنه يستحيهن ليصرن نساء فَتَصْلَحْنَ لما تصلح له النساء وهو أن يَصْرُنَ بغايا إبليس لعن زواج»⁽²⁾.

(1) - سورة القصص، الآية 4.

(2) - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج8، ج20، ص ص 67-70.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«...، وإذا كان احتقارهن بصدّ قومه عن التزوُّج بمن فلم يبق لمن حظ من رجال القوم الإفضاء الشهوة- وهذا ما يجري اليوم في العالم العربي خاصة وهو بصدد الامتداد إلى العالم الغربي والإسلامي وباعتبار هذا المقصد تقلب الاستحياء مفسدة بمثزلة تذييح الأبناء إذ كل ذلك اعتداء على الحق الإنساني شرعا وعقلا واجتماعا»⁽¹⁾.

وبالعودة إلى الصيغة التي هي محل الدرس والتحليل في قول الكاتب: «قد أفسدت فطرتهم إفساداً عميقاً» وهو إفساد مؤكّد حقيقي واقعي مشهود، لذلك جاءت العبارة مؤكدة أولاً بحرف (قد) الذي يفيد التحقيق والتوكيد للمعنى، كما جاء الفعل (أفسدت) هو الآخر مؤكّد بالمفعول المطلق (إفساداً)، ثم صيغة «عميقاً» التي هي وصف مبيّن وموضح لجنس الإفساد الذي كان سبباً مفتعلاً مقصوداً مدبراً للوصول إلى الهدف المنشود الذي هو الهيمنة التامة، والسيطرة الكلية على الوضع، لذلك فهذه الفئة الضالة المضللة- في كل زمان ومكان- تأتي إلا أن يسود الفساد، والفوضى، والخراب في الأرض ليكون البدء لها من تشويه خلق الله، بتغيير الفطرة الإنسانية وذلك بالانحراف بها عن منهج الله فضلت وأضلت، ونكست وانتكست، ونزلت بهذا الآدمي إلى الدرك الأسفل فدمرت عقله، ونفسيته، وروحه، وحولته إلى حيوان يرعى ويُسخّر لخدمة السيد ويؤمر فيطيع وينتهي دوره في الأرض هنا.

وزبدة القول هنا إنّ فترة الإذلال التي قضاها الشعب الجزائري تحت حكم الاستعمار الفرنسي (الفرعون الجديد) ومدتها مائة وثلاثون سنة، هي التي أفسدت فطرته إفساداً عميقاً، والحقيقة أن الفترة ليست هي التي أوقعت الفساد، وإنما هو الإنسان المفسد في الأرض. فالتعبير المنسوب هنا إلى الفترة هو تعبير مجازي وليس تعبيراً حقيقياً، ومن ثمّ فهي استعارة مكنية، شبه بها الكاتب فترة الإذلال بالإنسان الذي يعيث في الأرض فساداً، فحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من صفته العارضة له، على سبيل الاستعارة المكنية.

(1) _محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج8، ج20، ص 70.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثامنة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكّرة هي: (فَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَلِيظَةُ الَّتِي تَرَسُمُهَا: «وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» فهي صورة فريدة)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (فرد):

ومما انتقينا من معاني مادة (فرد) مما جاء في المعاجم اللغوية المعتمدة: «الفرد: الوتر والجمع أفراد وفرادي على غير قياس كأنه جمع فردان.

والفريد: الدرّ إذا نظّم وفُصِّل بغيره، وتَفَرَّدتْ بكذا واستَفَرَّدتْ إِذَا أَنْفَرَدتْ بِهِ»⁽²⁾.

وجاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة: «الله تعالى وتقدّس هو الفرد، وقد تفرد بالأمر دون خلقه، الليث: والفرد في صفات الله تعالى هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثل ولا ثاني.

وَفَرَدَ بِالْأَمْرِ يَفْرُدُ وَتَفَرَّدَ وَاسْتَفَرَّدَ، قال ابن سيده ، وَأَرَى اللَّحْيَانِي حَكَى فَرِدَ وَفَرُدَ، وَاسْتَفَرَّدَ فَلَانًا: انفردَ به، والفرداد: صانع الجوهرة النَّفِيسَة كأنها مفردة في نوعها، وفرائد الدر: كبارها»⁽³⁾.

وأما الزمخشري في أساسه فيقول: «هذا شيء فرُدُّ وفارد وفريد، وهو فاردٌ بهذا الأمر، أي: مُنفرد به»⁽⁴⁾.

وبعد هذا التبع الموجز في التعريف بمادة (فرد) كما جاءت في المعاجم اللغوية تضح لنا أن دلالتها الأصيلة الرئيسية تصب في معنى: الوتر، والفرد في صفات الله تعالى: الواحد الأحد لا نظير ولا ثاني ولا مثل، والفرد: المنفرد بالشيء دون سواه وما أشبه ذلك.

وبالعودة إلى لفظة (فرد) كما جاء في ظل سياق النص نراها قد وضعت في هذه الصيغة «فريدة» بزنة فعيلة، وهي في هذه الهيئة وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم التام، واستنادا أيضا عن ابن سيده عن اللحياني حكى: «فَرَدَ وَفَرُدَ يَفْرُدُ»⁽⁵⁾.

وقد وردت هذه الصيغة مسبوقه بموصوف هكذا: «فهي صورة فريدة» من أجل أن يقوم الوصف المذكور بتتيم معنى الموصوف في ذهن السامع وتبينه، وتوضيحه، وتمييزه من غيره الذي قد

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 91.

(2) _ الجوهري، معجم الصحاح، مادة (فرد)، ص ص 802-803.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرد)، ج10، ص ص 214-215.

(4) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (فرد)، ج2، ص 192.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرد)، ج10، ص 215.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يزاحمه في هذا الوصف الذي يجوز أن يتبادر إلى ذهن السامع هو الآخر، وبذكر وصف « فريدة» يزول الإشكال ويتنحى الإبهام، ويتضح المقصود دون غيره من الأوصاف التي قد تتبادر إلى الذهن نحو: النادر، والواحد، والوحيد.

أما الفاء والضمير في قوله: «فهي صورة فريدة»، فقد جاءت الفاء لتفيد التفصيل والتبيين:

وأما (الضمير: هي) فهو ضمير شأن، أي لتبين شأن الموصوف العالي ولتفخيمه وتعظيمه بلاغياً، وإذا انتقلنا إلى السياق الخارجي للفظة أو صيغة «فريدة» مع موصوفها الذي هو: «صورة» وهي بطبيعة الحال صورة العجل الذي دخل حبه قلوب قوم فرعون الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾⁽¹⁾.

أي تداخله حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبيغ، قوله: «في قلوبهم» بيان لمكان الإشراب كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُوفُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾⁽²⁾. «بكفرهم»⁽³⁾ «بسبب كفرهم»⁽⁴⁾.

« والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيّلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية»⁽⁵⁾.

« فأما الصورة الغليظة التي ترسمها: «و أشربوا في قلوبهم العجل» فهي صورة فريدة- كما أسلفنا القول- لقد أشربوا، أشربوا بفعل فاعل سواهم، أشربوا ماذا؟ أشربوا العجل! وأين أشربوه؟ أشربوه في قلوبهم! ويظل الخيال يتمثل تلك المحاولة العنيفة الغليظة، وتلك الصورة الساخرة الهازئة: صورة العجل يدخل في القلوب إذخالا، ويحشر فيها حشرا، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤدية، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم أشربوه إشراباً

(1) _ سورة البقرة، الآية 93.

(2) _ سورة النساء، الآية 10.

(3) _ سورة البقرة، الآية 93.

(4) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 95.

(5) _ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق-بيروت-لبنان، ط8، سنة 1983م، ص 36.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

في القلوب ! هنا تبدو قمة التعبير القرآني المصوّر، بالقياس إلى التعبير الذهني المفسّر... إنه التصوير... السمة البارزة في التعبير القرآني الجميل...»⁽¹⁾.

ويقول محمد الطاهر بن عاشور في توضيح هذه الصورة القرآنية الفريدة «والإشراب هو جعل الشيء شاربًا، واستعير لجعل الشيء شاربًا، واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيء وداخلاً فيه ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسرّيان لأن الماء أسرى الأجسام في غيره ولذا يقول الأطباء: الماء مطيئة الأغذية والأدوية ومركبها الذي تُسافر به إلى أقطار البدن فلذلك استعاروا الإشراب لشدة التداخل استعارة تبعية.

ومنه قولهم: أشرب الثوب الصبغ، قال الراغب من عادتهم إذا أرادوا مخامرة حبّ وبغض أن يستعبروا لذلك اسم الشراب، وقد اشتهر المعنى المجازي فهجر استعمال الإشراب بمعنى السقي، وذكر القلوب قرينة على أن إشراب العجل على تقدير مضاف من شأن القلب مثل عبادة العجل أو تأليه العجل، وإنما جعل حبهم العجل إشراباً لهم للإشارة إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربهم إياه كقولهم أولع بكذا وشغف، والعجل مفعول أشربوا على حذف مضاف مشهور في أمثاله من تعليق الأحكام وإسنادها إلى الذوات مثل: ﴿حَرَمْتَ عَلَيَّكُمْ أَلْمِيَّةُ﴾⁽²⁾، أي: أكل لحمها، وإنما شغفوا به استحساناً واعتقاداً أنه إلههم وأن فيه نفعهم لأنهم لما رأوه من ذهب قدسوه من فرط حبهم للذهب»⁽³⁾.

ونحن كذلك نحب أن ندلي بدلونا في هذه الصورة «الفريدة» حيث يذهب بنا الخيال والذهن إلى أن هذا الإشراب في القلوب لم يأت قوم موسى من العدم أو سلطة الله عزوجل عليهم ظلماً وعدواناً حاشا لله، فقد تزه سبحانه وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً، وإنما اتاهم الإشراب للعجل في قلوبهم من غلبة شهوات أنفسهم عليهم، وانشغالهم بمتاع الحياة الدنيا وملذاتها، وتقديسهم للمال والأولاد مصداق قول الله فيهم: ﴿سَخَّطْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾⁽⁵⁾، فلما غلبوا على أمرهم، وانهمزوا مع النفس والشيطان،

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص ص 91-92.

(2) _ سورة المائدة، الآية 3.

(3) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1/ ج1، ص 611.

(4) _ سورة الفتح، الآية 11.

(5) _ سورة المؤمنون، الآية 106.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَاسْتَسْلَمُوا لِعَوَايَتِهِمَا، وَ إِضْلَاهُمَا صَارُوا كَأَنَّهُمْ لَا خِيَارَ لَهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ أُجْبِرُوا عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ
مَعْتَقِدِينَ فِيهِ الْأُلُوْهِيَّةَ وَالرَّبُّوِيَّةَ خَاصَّةً وَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنَ الذَّهَبِ الَّذِي مَكَّنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ،
وَاسْتَقَرَّ فِيهِمَا أَيَّمَا اسْتِقْرَارٍ.

جمعية الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة التاسعة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكورة هي: (إنها معركة العقيدة، إنما ليست معركة الأرض، ولا الغلة، ولا المراكز العسكرية...، إنهم يزيّفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (دفن):

إنّ أول ما يطالعنا في التعريف بمادة (دفن) في المعاجم اللغوية المعتمدة: « الدال والفاء والنون: أصل واحد يدل على استخفاء وغموض، يقال: دُفِن الميتُ، وهذه بئر دُفِن: ادْفَنَتْ، والداء الدفين: الغامض الذي لا يُهْتَدَى لوجهه...»⁽²⁾.

« قال الليث: دَفَنَهُ يَدْفِنُهُ دَفْنًا، والماء الدفين: الذي لا يعلم به حتى يظهر منه شرٌّ وَعَزٌّ»⁽³⁾.

« والدَّفِن: الستر والموارة، دَفَنَهُ يَدْفِنُهُ دَفْنًا، وادْفَنَهُ فاندَفَنَ وَنَدَفَنَ فهو مدفون ودفين، والدَّفِن والدِّفين: المدفون، والجمع أَدْفَانٌ ودَفَنَاءٌ، وركيبة دفين، ودِفَانٌ إذا اندفن بعضها، قال لبيد:

سُدْمًا، قَلِيلًا عَهْدُهُ بِأَنْبِسِهِ
من بَيْنِ أَصْفَرِ نَاصِعِ دِفَانٍ⁽⁴⁾.

والندافن: التكاثم⁽⁵⁾».

وبعد هذا البحث المتقّصي للتعريف بمادة (دفن) من خلال المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأصلية المركزية تحري في معاني نحو: الدفن: الستر والموارة، والندافن التكاثم، والدفين: الأمر الغامض الذي لا يُهْتَدَى لوجهه بسهولة ويُسر، وكلها معان ذات صلة وثيقة ببعضها استناد إلى ما ورد في معجم تهذيب اللغة قوله: عبد دفون: إذا كان فَعُولًا لذلك، وناقاة دَفُون: إذا كانت تغيب عن الإبل وتركب رأسها وحدها، ورجُل دَفَنُ المروعة ودفين المروعة: إذا لم تكن له مروعة قال لبيد:

يُيَارِينِ الرِّيحَ لَيْسَ بِجَانِبِي
وَلَا دَفِنِ مُرْوَعَتِهِ لَتِيمِ⁽⁶⁾،⁽⁷⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 108.

(2) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (دفن)، ص 295.

(3) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (دفن)، مج2، ص 1207.

(4) _ الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 133.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (دفن)، ج4، ص 374.

(6) _ الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 120.

(7) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (دفن)، مج2، ص 1208.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إنّ هذه الأمثلة اللغوية الثرية منها أو الشعرية كلها جاءت فيها كلمة (دفن) في صيغة المبالغة مما يسمح لنا في هذا المقام أن نلحق بها صيغة (دَفين)، وعليه يجوز أن تكون صيغة «دَفين» مفيدة للمبالغة تدل على شدة وقوة حرّص... اليهود على إخفاء حقيقة أفعالهم وأقوالهم وأغراضهم المبيتة عن غيرهم من الناس نصارى أو عرباً أو مسلمين، كما يجوز أن تكون صيغة «دَفين» هنا في هذا السياق صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام والملاومة والاستمرار في الزمن الماضي، والحال، والاستقبال لأنه كما جاء عن النحاة العرب: «أن كل صيغة مبالغة يصحّ أن تكون صفة مشبهة في الوقت ذاته ولكن لا يصح أن تكون الصفة المشبهة صيغة مبالغة، وفي «حاشية العُلَيْمِيّ على التصريح»: «إنّ الفقير يُحتمل أن يكون صيغة مبالغة، أي: كثير الفقر، وأن يكون صفة مشبهة، أي: دائم الفقر»⁽¹⁾، وكذلك هنا لغرض دَفين وقوله: «إنّهم يُزيّفونها علينا لغرض في نفوسهم دَفين»⁽²⁾.

إن "أداة تفيد التوكيد.

هم: الضمير هنا يعود على اليهود.

يُزيّفونها: والزيّف: هو الغش والتزوير، وإخفاء الحقيقة.

وهّا: الضمير هنا يعود على حقيقة المعركة بين اليهود والعرب.

علينا: فالضمير يعود على العرب والمسلمين المعاصرين.

هذا وإنّ قصة الصراع بين اليهود والمسلمين والإسلام طويلة وقديمة وذات شجون ونظّتها لا تنتهي إلى قيام الساعة من أجل ذلك كله نحاول في هذا المقام الضيق وفي مجال سياق النص الخارجي أن نقصر الكلام على بعض الأمور التي تبدو لنا جدّ هامة في الوقت الحاضر حول الصراع العربي اليهودي أو الصّهيوني على وجه العموم/ فالصّهيونية اتجاه سياسي عالمي يدعّم اليهود ومخططاتهم وأهدافهم المسّطرة، أما اليهودية في فلسطين والشرق الأوسط فهي تعمل في صراعها ضد العرب والإسلام والمسلمين انطلاقاً من كتبها المقدّسة كالتوراة والتلمود ووصايا الإصحاحات المختلفة التي بين يديها «وقد عرفنا كيف كرّم الله بني آدم، وكيف نظر رسول الله إلى الكعبة وقال: «مَا أَطْبِئِكِ وَأَطْيَبَ رَائِحَتِكِ وَمَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، والمؤمن أعظمُ حرمةً عند الله منك، حرمة دمه

(1) _ «حاشية يس»-دار إحياء الكتب العربية (د.ط، د.ت)، ج 1، ص 3.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، 108.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَعَرَضِهِ وَمَالِهِ»⁽¹⁾.

إن هذه مُقَدَّساتٌ، ومع ذلك فإن الجور استباحها ولما كان الإسلام كلاً لا يتجزأ فإن الله عدَّ استباحة بعض محارمه إضاعة لها كلها، كما عدَّ الكُفْرَ ببعض أنبيائه كُفْرًا بهم جميعاً⁽²⁾.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْقُقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾⁽³⁾.

والتلويح بعدم النصر إشارة إلى أن وسائل القسوة والبطش لا تُكسب ذويها عزة في الدنيا كما لا تُكسبهم كرامة في الدار الآخرة.

ومن خيانة الأمة لرسالتها أن تبرد عاطفتها تجاه حقوق الله، وأن تجعل حُبها وبُغضها مرتبطاً بمصالحها لا بمبادئها.

ولو أنك رأيت امرأةً ينظر إلى علم بلاده وهو يمزق مثلاً ثم لا يُيالي، ما ترددت في الحكم عليه بأنه خائن.

كذلك عند ما ترى تابعاً لدين ما، يستهين بشعائر دينه فما يُعنيه حلالها ولا حرامها، إنك ما ترددت في اتهام عقيدته.

ويوجد ناسٌ ما يسوءهم أبداً أن تعطل الصلاة، ولا أن تذبح الأعراس أمام أعينهم من قبل أعداء الله والرسول ﷺ، أهؤلاء بينهم وبين الله علاقة حسنة؟ مستحيل.

فإذا رأيتهم يصادقون تاركي الفرائض، وفاعلي المناكر، فهل يُحسبون مع ذلك في عداد المؤمنين؟ كلا.

عندما تحلل اليهود من دينهم على هذا النحو قال الله فيهم: ﴿تَكَرَّيْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ

(1) _ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، خرج أحاديثه وعلق عليه: عماد الطيار، ياسر حسن، عز الدين ضلي، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، لبنان، ط1، سنة 2013م، 679.

(2) _ محمد الغزالي، حصاً الغرور، شركة الشهاب-الجزائر، (دط، دت)، ص 29.

(3) _ سورة البقرة، الآيتان، 85، 86.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ (١).

وظاهر أن تقاليد الخير تذبل وتتلاشى مع ضعف الحماس لها، وأن تقاليد الشر تنمو وترسو مع ضعف النكير لها.

من أجل ذلك كله كانت الخصائص الأولى للأمة التي تحمل رسالة الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكانت الشروط الأولى لانتصارها أن يكون هذا النُصر طريقاً لتكوين بيئة تزدهر فيها العبادة، ويسودها التراحم، وتستحكم فيها الرقابة على السلوك العام، وتظهر العلامات الحمراء والخضراء باستمرار في طريق المبادئ والأخلاق، فما كان معروفاً سُمح له بالمرور، وإلا وقف في مكانه وأغلقت في وجهه كل الطرق...!!

ذلك معنى قوله جلّ جلاله في سرد مؤهلات النصر..» (٢).

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٣).

فهل أرض الإسلام الآن على هذا المستوى الشريف الغيور اليقظ؟ أم أن العليل الخلقية والاجتماعية استوطنت بلادنا، وغفا الحراس عنها أو غطوا في نوم عميق؟

في اليهود الذين وبّخهم الوحي الإلهي، ووردَ لعنهم على لسان المرسلين نقرأ قوله تعالى:

﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ رَبِّيَنِيُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (٤).

فهل هذا الوصف للمجتمع اليهودي اللعين وحده؟

(١) _ سورة المائدة، الآيتان، 80، 81.

(٢) _ محمد الغزالي، حصّاد الغرور، ص ص 29-30.

(٣) _ سورة الحج، الآية 41.

(٤) _ سورة المائدة، الآيتان، 62، 63.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أم تُراه صادقاً على مجتمعات شتى في العواصم الإسلامية الصّاحة بالعصيان ودواعيه، الطافحة
بجراة الفسّاق، وجبن العلماء؟

أيجب عاقل أن هذه أسباب التّصر والتحرّر؟

إنّ في بلادنا من يدافع عن حرية الإلحاد، والسّكر والزّنا، بلسانٍ طلق، فإذا حُدّت عن حرية
الإيمان والعفاف واليقظة الفكرية والأدبية امتعض واثمأز فهل يجرّ الهزيمة والعار الأمثل هؤلاء
الدّوّابُّ؟؟

والغريب أنّه في هذا العصر الأعجف فعلَ العرب مثل ما فعل اليهودُ الأقدُمونَ، فقالوا: نحن
عرب، عظمتنا ليست من رسالة الإسلام، ويمكن أن تكون أمة عريقة بعيداً عن تعاليم الإسلام... !

ومن ثمّ قامت في بلاد العرب نهضاتٌ تُؤخّر الدين وتُقدّم الجنس، وهذا كلام من أبطل الباطل،
فالعربُ قبل الإسلام كانوا أمة نكرة، وبغير الإسلام سيكونون ذليلاً للبشرية...؟ ومما يندى له جبين
المسلم المُخلص في هذه الأيام السُّود أنّ اليهودي الأمريكي طرح جنسيّه وجاء فلسطين باسم الدين.

أما العرب فيقال لهم: انسوا الدين واعتصموا بجنسيتكم العربية وحدها؟ فماذا كانت النتيجة؟

أضاعت القومية العربية فلسطين، وظفر بها اليهودُ مُلبين نداء الإيمان بالتوراة والتلمود
والذكريات والتاريخ الأول و..و..و. انقاد الاستعمار لهم، ومنحهم أرضنا⁽¹⁾، «إنها معركة العقيدة،
إنّها ليست معركة الأرض، ولا الغلة ولا المراكز العسكرية، ولا هذه الرايات المزيفة كلها»⁽²⁾.

وقد جاء في السياق التعبيري العام للفقرة عن حقيقة وطبيعة المعركة قول الكاتب: «إنهم
يزيفونها علينا لغرض دفين»، إنها جملة اسمية تتكون من (إن) واسما وخبرها وهي لذلك تفيد معنى
الثبوت والاستمرار الطويل، وثانياً فإن اختيار الكاتب لوصف (دفين) مقصود وواع وإرادي فهو
بدلاً من أن يستعمل كلمات مثل: محبوء، أو مستور، أو خفي، أو مكنون، فقد آثر عليها جميعاً
كلمة "دفين"، وهذا قصد المبالغة في الدلالة على الستر والإخفاء والكتمان...

(1) _ محمد الغزالي، حصاد الغرور، ص ص 30-31.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 108.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

-الصيغة العاشرة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل) منكرة هي: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ﴾⁽¹⁾، لا مساومة في شيء منه قليل أو كثير⁽²⁾.

-المعنى اللغوي والاشتقائي في اللفظ (كثر):

مما اخترناه للتعريف بمادة (كثر) ومعانيها الواردة في المعاجم اللغوية الموثقة: «الكاف والطاء والراء: أصل صحيح يدل على خلاف القلة، من ذلك الشيء الكثير، وقد كَثُرَ والكوثر: الرجل المعطاء، وهو فوعل من الكوثر، قال الكميت بن زيد الأسدي:

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيْبٌ وَكَانَ أَبُو كَ ابْنُ الْعَقَائِلِ كَوْثَرًا⁽³⁾.

والكوثر: نهر بالجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾⁽⁴⁾.

قالوا: هذا، وقالوا: أراد الخير الكثير⁽⁵⁾.

« الليث: الكثرة: نماء العدد، يُقال: كَثُرَ الشيءُ يَكْثُرُ كَثْرَةً، فَهُوَ كَثِيرٌ وَالتَّكَاثُرُ: المكاثرة، أبو ثراب: الكَيْثِرُ بمعنى الكثير، وأنشد:

هَلْ الْعِزُّ إِلَّا اللَّهُمِّي وَالثَّرَا ءِ وَالْعَدْدُ الْكَيْثِرُ الْأَعْظَمُ؟⁽⁶⁾.

والكَثْرُ والكَثْرُ، بفتحتين: حجار النخل، أنصارية، وهو الجذب أيضا⁽⁷⁾.

« خَيْرٌ كَثِيرٌ وَكَوْثَرٌ: بليغ الكثرة، وكَاثُرُوهم فكثروهم: كانوا أكثر منهم، قال الأعشى:

وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ⁽⁸⁾.

(1) _ سورة البقرة، الآية 120.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص108.

(3) _ الشاهد: من بحر الطويل، للشاعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، ط1، سنة 2000م، ص177.

(4) _ سورة الكوثر، الآية1.

(5) _ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (كثر)، ص ص 801-802.

(6) _ الشاهد: من بحر المتقارب وهو غير منسوب، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى: شعر، قافية (الميم)، ص 178.

(7) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كثر)، ج12، ص ص 36-38.

(8) _ الشاهد: من البحر السريع، للشاعر الأعشى ميمون بن قيس، الديوان، ص 107.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ورجل وامرأة مكثر: مهذار»⁽¹⁾.

وَبَعْدَ هَذَا التتبع المتأمل في مادة (كثر) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها الأساسية تدور حول معاني النماء والزيادة، والوفرة والتعدد التي هي معان متقاربة ومتصل بعضها ببعض.

وبالتحوّل إلى معنى لفظة (كثر) في ظل سياق النص الذي أُدرجت فيه نراها قد وُضعت في هذه الصورة (كثير) وهو عبارة عن وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم، التام المتصرف، المبني للمعلوم (كثر) بزنة (فعل) على مثال (شرف)، و(كرم)، و(علم)، و(فقه) وغيرها.

وقد جاءت صيغة (كثير) من حيث الحكم الإعرابي: نعت معطوف على كلمة قليل الذي هو الآخر نعت للموصوف الذي هو: (في شيء) هكذا بهذا التركيب: (في شيء منه قليل أو كثير).

وعليه فالوصف النعت (كثير) جيء به هنا ليتم معنى الاسم الذي قبله وهو الموصوف المتمثل في كلمة (في شيء) ويوضحه، ويبيّنه في ذهن السامع الذي كان مبهماً عنده قبل ذكر النعت لأنّ السامع حينئذ يكون مشتت الذهن، موزع الفكر، فقد يتبادر إلى ذهنه أشياء كثيرة نحو: شيء قليل، أو شيء ضئيل، أو شيء عظيم، أو شيء زهيد، أو فير وغيرها مما يمكن احتمال وروده، وبمجيء النعت (كثير) زال هذا الاحتمال، واختفى الالتباس والإبهام، واتضح المراد من الموصوف لدى المتلقي والسامع.

وبناء على كل ما سبق فالصيغة «كثير» صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمان الماضي هنا والحال والاستقبال لأن السياق يتحدث عن هدى الله الذي هو دينه الذي أوحى به إلى الرّسل كي يبلغوه إلى البشرية كاملاً غير منقوص فهو كل لا يتجزأ، ومن جزأه أو حرفّة أو زاد فيه قليلاً أو «كثير» فهو خائن وفاسق أو زنديق أو منافق ودليل ذلك الآية وردت في بداية النص: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ لَهُمْ بَدِيلًا فَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ فَسَاءَ صَرَفْتُمُوهَا وَتَبَا لَعُنَ الْأُولَىٰ﴾⁽²⁾.

جاء في تفسير الطبري عن تأويل هذه الآية ما مفاده: «يَعْنِي إِنَّ بَيَانَ اللَّهِ هُوَ الْبَيَانُ الْمُنْقَعُ وَالْقَضَاءُ الْفَاصِلُ بَيْنَنَا، فَهَلَّمُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَبَيَانِهِ اللَّهُ هُوَ الْبَيَانُ الْمُنْقَعُ وَالْقَضَاءُ الْفَاصِلُ بَيْنَنَا، فَهَلَّمُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَبَيَانِهِ الَّذِي بَيْنَ فِيهِ لِعِبَادِهِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَهُوَ التَّوْرَةُ الَّتِي تَقْرُونَ جَمِيعًا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يَتَضَحَّ لَكُمْ فِيهَا الْمُحَقُّ مِنَ الْمُبْطَلِ، وَأَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَيْنَا أَهْلُ النَّارِ، وَأَيْنَا عَلَى الصَّوَابِ، وَأَيْنَا عَلَى الْخَطَا! وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى هَدَى اللَّهِ وَبَيَانِهِ، لِأَنَّ فِيهِ تَكْذِيبَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارِ فِيمَا قَالُوا: مِنْ أَنْ

(1) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (كثر)، ج2، ص 297.

(2) _ سورة البقرة، الآية 120.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الجنة لن يَدْخُلها إلا من كان هودًا أو نصارى، وبيان أمر محمد ﷺ وأن المكذبة به من أهل النار دون المصدّق به»⁽¹⁾.

وهذا ظاهر أنّه كذبٌ وافتراءٌ وزيادة في أحكام الله عزوجل لا مبرر لها وهي مساومة في شيء منه «كثير» خاصة عندما يتعلق الأمر بتقرير مصير الناس في دار الخلود الذي وعد الله بها عباده المؤمنين الصادقين المخلصين، وهو أيضا تحريف وتزييف للحق الذي لا يتبدّل ولا يتغير.

ومما ذهب إليه صاحب الكشاف في تأويل الآية السابقة قوله: «على طريقة إجابتهم عن قولهم، يَعْنِي: أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى، وهو الهدى كله ليس وراءه هدى، وما تدعون إلى إتباعه ما هو بهدى إنّما هو هوى»⁽²⁾.

أما الطاهر ابن عاشور فيقول: وقوله: «قل إنّ هدى الله هو الهدى» أمر بالجواب عما تضمنه قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى﴾⁽³⁾، من خلاصة أقوال لهم يقتضي مضمونها أنّهم لا يرضيهم شيء مما يدعوهم النبي إليه إلا أن يتبع ملتهم وأنهم يقولون: إنّ ملتهم هدى فلا ضير عليه إن اتبعها مثل قولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾⁽⁴⁾، وغير ذلك من التلوّن في الإعراض عن الدعوة بعرض مساومات قليلة أو "كثيرة" ولذلك جيء في جواهرهم بما هو الأسلوب في المجاوبة من فعل القول بدون حرف العطف.

ويجوز أن يكون المراد بهدى الله الذي أنزله إلي هو الهدى يعني أن القرآن هو الهدى إبطالا لغرور بأن ما هم عليه من الملة هو الهدى وأنّ ما خالفه ضلال، والمعنى أن القرآن هو الهدى وما أنتم عليه ليس من الهدى لأنّ أكثره من الباطل، بإضافة الهدى إلى الله تشریف، والقصر إضافي، وفيه تعريض بأن ما هم عليه يومئذ شيء حرّفوه ووضعوه لذلك فهم يعرضون على النبي من حين لآخر مساومات «كثيرة»، حتى أنّك تراهم يتنازلون في هذه المساومات "الكثيرة" المتلونة ليقتنعوا بأذن شيء وهو المداهنة المتبادلة بينهم وبين النبي ﷺ وهو ما أخبر به القرآن الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج1، ص ص 673-673.

(2) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 83.

(3) _ سورة البقرة، الآية 120.

(4) _ سورة البقرة، الآية 111.

(5) _ سورة القلم، الآية 9.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

فيكون القصر في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾⁽¹⁾، إما حقيقياً ادعائياً بأن يراد هو الهدى الكامل في الهداية.

وقوله: ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ الضمير: ضمير منفصل، والتعريف في الهدى تعريف الجنس الدال على الاستغراق فيه طريقان من طرف الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به فأيهما اعتبرت طريق قصر كان الآخر تأكيد للقصر وللخبر أيضاً، والتوكيد بأن: لِتَحْقِيقِ الْخَيْرِ وتحقيق نسبه وإبطال تردد المتردد لأن القصر الإضافي لما كان المقصود منه ردّ اعتقاد المخاطب قد لا يتفطن المخاطب إلى ما يقتضيه من التأكيد فزيد هنا مؤكّد آخر وهنا حرف "إن" اهتماماً بتأكيد هذا الحكم، فقد اجتمع في هذه الجملة عدة مؤكّدات هي: حرف "إن"، والقصر بالإضافة والألف واللام، إذ القصر تأكيد على تأكيد كما في المفتاح فهو في قوة مؤكّدين، مع تأكيد القصر بضمير الفصل (هو)، وهي تنحل إلى أربعة مؤكّدات لأن القصر بمتزلة تأكّدين وقد انضمّ إليهما تأكيد القصر بضمير الفصل وتأكيد الجملة بحرف "إن"»⁽²⁾، وعليه فإنّ هدى الله لا مساومة في شيء منه، ولا انقسام ولا تجزئة في تعاليمه، ومبادئه، وأصوله، وأحكامه فيؤخذ كلّه أو يترك كلّه.

(1) _ سورة البقرة، الآية 120.

(2) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 1، ج 1، ص ص 693-694.

المبحث الثاني:
ولالة صيغة (فاعل).

-صيغة (فاعل) معرفة

-صيغة (فاعل) نكرة

- دلالة صيغة "فَاعِل" (1):

«وتكون هذه الصيغة لما كان صاحب شيء من غير مزاوله وكثرة معالجة، فالذي صنعته الثبل من غير صنعة (نابل) وتقول لمن صنعته اللبن والتمر، أي يبيعه: لبان وتمار، وتقول لصاحب اللبن والتمر من غير صنعة أو مزاوله: لابن وتامر» (2).

قال سيبويه: «وأما ما يكون ذا شيء وليس بصنعة يعالجها فإنه مما يكون فاعلا وذلك قولك لذي الدرع: دراع، ولذي الثبل: نابل، ولذي النشاب: ناشب، ولذي التمر: تامر، ولذي اللبن: لابن، قال الحطيئة

فَعَرَّرْتِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ (3).

وتقول لمن كان شيء من هذه صنعة: لبان، وتمار، ونبال، وليس في كل شيء من هذا قيل هذا، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر: برار ولا لصاحب الفاكهة فكاها» (4)، والمبرد يقيس هذا» (5).

أما إذا جاءت هذه الصيغة في اسم الفاعل فهي - كما يقول النحاة - تدل على الحدث والحدوث وفاعله (6)، ويُقصد بالحدث معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت فـ (قائم) - مثلا - اسم فاعل يدل على القيام وهو الحدث، وعلى الحدوث، أي: التغير، فالقيام ليس مُلازماً لصاحبه ويدل على ذات الفاعل، أي: صاحب القيام.

فالفاعل يدل على التجدد والحدوث فإن كان ماضيا دلّ على أنّ حَدَثَهُ تَمَّ في الماضي، وإن كان حالا أو استقبالا دلّ على ذلك، أمّا اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فإن كلمة (قائم) أدوم وأثبت من قام يقوم ولكن ليس ثبوها مثل ثبوت (طويل)، أو

(1) _ يسميه الكوفيون: الفعل الدائم، ينظر، أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، دار عالم الكتب، ط1، سنة 1983م، ج2، ص 43، 222.

(2) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 153.

(3) _ الشاهد: من مجزوء الكامل المرفل، للشاعر: جرول بن أوس بن مالك بن حويزة، الملقب بالحطيئة الديوان، دراسة وتبويب، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط3، سنة 2002، ص 91.

(4) _ سيبويه، الكتاب، ج2، ص 90.

(5) _ حاشية الصبان، الأشموني، ج4، ص 201.

(6) _ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري زين الدين المصري، التصريح على التوضيح على شرح ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط1، سنة 2000م، ج2، ص 65.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

(ذميم)، أو (قصير) فإنه يمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس على الأكثر بعد سويعات قليلة جدا أو غيره، ولكن لا يمكن الانفكاك عن الطول أو الذمامة أو القصر»⁽¹⁾.

وقد تكون هناك صفات مشبهة يمكن الانفكاك عنها كعطشان وصدّيان ولكن يبقى الخلاف بينها وبين اسم الفاعل جلياً كما وضّحناه في مبحث الصفة المشبهة⁽²⁾.

وحرّي بنا أن نضرب أمثلة هنا توضّح ثبوت اسم الفاعل بالنسبة للفعل، فقد تسأل طالباً: أنتجح هذا العام؟ فيقول لك: أنا ناجح، أي كأن الأمر قد تمّ وانتهى وثبت لصاحبه وإن لم يكن كذلك، فكلمة (ناجح) دلّت على الثبوت بعكس (تنتجح)، وتقول: ألا ينأم أخوك؟ فتقول هو نائم وثمة فرق واضح بين قولك: هو يجدُّ وهو مجدُّ، وهو يجتهدُ، ويحفظُ وحافظُ، فإن اسم الفاعل - كما ترى - يدلُّ على ثبوت الوصف بالنسبة للفعل ولكنه يدل على الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة كما ذكرنا في قائم وطويل ونائم وكريم⁽³⁾.

جاء في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾⁽⁴⁾، فإن قلت: لم عدل عن (ضيق) إلى (ضائق)؟ قلنا ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرًا، ومثله قولك (زيدٌ سيّدٌ وحواد) تريد السيادة والوجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت: سائدٌ وجائدٌ⁽⁵⁾.

«وجاء فيه أن الفرق بين الميت والمائت ان الميّت صفة لازمة كالسيد، وأما المائت فصفة حادثة تقول (زيدٌ مائت غداً) كما تقول: (سائد غداً) أي: سيموت وميسود، وإذا قلت (زيدٌ ميّت) فكما تقول (حيّ) في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت»⁽⁶⁾.

وفيه أيضاً: «أن الميّت كالحَيّ صفة ثابتة، وأما المائتُ فيدلُّ على الحدوث تقول: زيدٌ مائت

(1) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص ص 41-42.

(2) _ ينظر: ص 72 من البحث.

(3) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 42 بتصرف.

(4) _ سورة هود، الآية 12.

(5) _ الرَّخْشَرِي، الكشاف، ج2، ص 92.

(6) _ المصدر السابق، ج3، ص 31.

الفصل الثاني..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الآنَ وَمَائَتَ غَدًا، كما تقول: يموت، ونحوهما: ضيقٌ وضائقٌ في قوله تعالى: ﴿وَصَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾⁽¹⁾،⁽²⁾.

وجاء في «معاني القرآن» للفراء (ت 207هـ): «والعرب تقول لمن لم يمّت: إنك ميّتٌ عن قليل ومائة، ولا يقولون للميت الذي قد مات: (هذا مائة) إنما يقال في الاستقبال ولا يجاوز به الاستقبال، وكذلك يقال: (هذا سيد قومه اليوم) فإذا أخبرت أنه يكون سيدهم عن قليل قلت: (هذا سائد قومه عن قليل وسيد)، وكذلك الطمع تقول (هو طامع فيما قبلك غداً) فإذا وصفته بالطمع قلت: (هو طمع)، وكذلك الشريف تقول (إنه لشريف قومه) (هو شريفٌ عن قليل)، وهذا الباب كله في العربية على ما وصفتُ لك»⁽³⁾.

«وكأني بالعرب هنا يُسوون في الدلالة بين البنائين، بناء الصفة المشبهة باسم الفاعل، وبناء اسم الفاعل، وفي هذه المسألة نظر»⁽⁴⁾.

وجاء فيه في الفرق بين الحاذِر والحَذِر: «كَانَ (الحاذِر) الذي يحذرُك الآن، وَ«كَانَ (الحَذِر) المخلوق حذراً لا تُلْقَاهُ إِلَّا حَذراً»⁽⁵⁾.

وفي «الكشاف» أن «الحذر: اليقظ، والحاذر الذي يُجَدِّدُ حِذْرَهُ» وفي «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾⁽⁶⁾، والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على معنى ثابت والعامي على عمى حادثٍ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَصَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ﴾⁽⁷⁾،⁽⁸⁾.

ولذا كان إذا أردت أن تُحوّل الصفة المشبهة من الدلالة على الثبوت إلى الحدوث حولتها إلى اسم الفاعل، جاء في «التصريح»: «إنك إن أردت ثبوت الوصف قلت: (حسنٌ) وإن أردت حدوثه

(1) _ سورة هود، الآية 12.

(2) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، 359.

(3) _ الفراء، معاني القرآن، ج2، ص 232.

(4) _ المصدر نفسه، ج2، ص 280.

(5) _ المصدر نفسه، ج2، ص 280.

(6) _ سورة الأعراف، الآية 64.

(7) _ سورة هود، الآية 12.

(8) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 426.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

قُلت: (حَاسِن) وَلَا تَقُول: حَسَنٌ»⁽¹⁾.

ومن الشواهد القديمة التي أُحْرِي فيها بناء اسم الفاعل مجرى الصفة المشبهة ما أورده سيبويه في الكتاب قال: وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

مِنْ حَبِيبٍ أَوْ أَحْيِي ثِقَةً أَوْ عَادُوا شَاحِطٍ دَارٍ⁽²⁾.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الوزن وحده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام، فلا بد معه من القرينة التي تُعَيِّن أحدهما، وتزيل عنه اللبس والاحتمال كي يُمكن القَطْع بعد ذلك في دلالته المعنوية- لا الشكلية- اسم فاعل، أو صفة مشبهة.

وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ صِيغَةً اسْمِ الْفَاعِلِ وَغَيْرُهَا مِنَ الصِّيغِ الْأُخْرَى اللَّفْظِيَّةِ صَرِيحَةً الدَّلَالَةِ عَلَى الدَّوَامِ أَوْ شَبْهِهِ مِثْلَ كَلِمَاتٍ: (دَائِم) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾⁽³⁾، (وَخَالِد) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنْ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾⁽⁴⁾، وَكَلِمَةُ بَاقٍ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁽⁵⁾، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّلَالَةِ فِي أَصْلِ وَضْعِهَا- عَلَى أَوْصَافِ الْإِسْتِمْرَارِ وَالتَّوَاتُرِ. وَالدَّوَامِ وَالتَّوَاتُرِ.

وَمِنْهَا الْقَرِينَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ- وَقَدْ مَرَّتْ مَعْنَى أَيْضًا- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽⁶⁾، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾⁽⁷⁾، وَقَوْلِهِ سَمَا وَعَلَا: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾⁽⁸⁾.

(1) _ خالد الأزهرى، المعروف بالوقاد، التصريح على التوضيح على شرح ألفية ابن مالك، ج2، ص 82.

(2) _ الشاهد: من البحر المديد، للشاعر بن زيد، الديوان، ص 101، والشاهد النحوي فيه هو: شاحط الذي جاء على صيغة «فاعل» الذي أحرى هنا مجرى الصفة المشبهة، سيبويه، الكتاب، ج1، ص 198.

(3) _ سورة الرعد، الآية 35.

(4) _ سورة هود، الآية 108.

(5) _ سورة النحل، الآية 96.

(6) _ سورة الفاتحة، الآية 4.

(7) _ سورة الناس، الآية 2.

(8) _ سورة الزمر، الآية 62.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«فهذه الأوصاف المتصلة بالله من المُلْك والخلق والتدبير والجزاء الدائم ليست طارئة، ولا عارضة، ومؤقتة بزمن مُحدّد تنقضي بانقضائه لأن هذا لا يناسب المولى جل شأنه ومن ثم كانت تلك الصيغ والأبنية في معناها ودلالاتها: «صفاتٍ مشبهة» أيضا وليست "اسم فاعل"، وكان القول الفصل فيها للسياق والمقام والحالات التي وردت فيها هذه الأبنية والصيغ بغض النظر عن الأصل الذي يحكمها أو القاعدة التي تضبطها.

وينسحب الأمر السابق نفسه على اسم الفاعل الذي يُصاغ من مصدر الماضي الثلاثي بالإتيان بمضارعه، وقلب أول المضارع ميما مضمومة، مع كسر الحرف الذي قبل آخره، إن لم يكن مكسورا من الأصل، فإذا أردنا الوصول إلى اسم الفاعل من الفعل: «قام» أتينا بمضارعه وهو يقاوم» وأجرينا عليه ما سبق، فيكون اسمُ الفاعل هو: «مقاوم»، وفي مثل: «يتبين» وهو مضارع للماضي «تبين» - تقول: «متبين»... نحو الفريسة مقاومة المفترس، والغلب متبين للقوي، وفي مثل: أذلّ وأعزّ، ومضارعهما يذل ويُعزّ... نقول: «مذلّ» و«مُعزّ» كقول عائشة-رضي الله عنها- في رثاء أبيها: «نصر الله وجهك يا أبت، فقد كنتَ للدنيا مُذلاّ بإدبارك عنها، وللآخرة معزا بإقبالك عنها... غير أنّ مجيء الصيغة من مصدر الفعل غير الثلاثي بالطريقة السالفة لا يكفي - من غير قرينة - للقطع بأنها صيغة «اسم فاعل» فقد يوهمنا مظهرها أنها كذلك، مع أنها في حقيقتها "صفة مشبهة" بسبب دلالتها على معنى ثابت، وهي تأتي في أشكال وصور مختلفة»⁽¹⁾.

وجاء في «حاشية الصبان» أنه «إذا قصد بها-يعني الصفة المشبهة- النصّ على الحدوث حوّلت إلى فاعل... وفي «التصريح» عن الشاطبي وغيره إذا أريد حدوث الحُسن قيل: حاسن لا حَسَن...»

والفرق بين فاعل وغيره من تلك الصفات أنّ الأصل في (فاعل) قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئ»⁽²⁾.

وعنه أيضا: «وأنّ نحو: ضامر الكشح ومطمئن القلب، ومعتدل القامة أسماء فاعلين قصد بها الثبوت فعوملت معاملة الصفة المشبهة لا أنّها صفات مشبهة»⁽³⁾.

وإلى هذا يذهب عباس حسن بأمثله التي جاءت في «النحو الوافي» مشير إلى نمط الصيغة

(1) _ عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص ص 243-244.

(2) _ محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموي على ألفية بن مالك، ح2، ص 314.

(3) _ المصدر نفسه، ج3، ص 4.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

المضافة إلى فاعلها في نحو: «النجم مستدير الشكل، مُتوقِّد الجرم، مستضيء الوجه والكوكب مُستدير الشكل، مُنطفيء الجسم، مُظلم السطح)

والأصل: مستدير شكله، مُتوقِّد جرمه، مستضيء وجهه، مُنطفيء جسمه، مُظلم سطحه (1).

وأفعالها هي (استدار-توقد- استضاء- انطفأ- أظلم....و....)

فقد قامت في الأمثلة السابقة قرينة لفظية، هي إضافة الصيغة إلى فاعلها على الوجه المشروح، وقرينة معنوية هي: اليقين العلمي الشائع بدوام تلك الأوصاف.

وتدل كل من القرينة اللفظية والمعنوية وحدها على أن الصيغة ليست اسم فاعل، على الرغم من صورتها الظاهرة، وإذ لا بد من قرينة تقوم بجانب الصيغة هنا- كما قامت في صيغة «فاعل» المشتق من مصدر الثلاثي- لتبعد الوهم، ونحدد النوع، وهو اسم فاعل نصاً، أم صفة مشبهة قطعاً...» (2).

ومن كل ما سبق نستنتج أن بناء «فاعل» الذي هو «اسم الفاعل» تأتي عليه حالات أو دلالات من حيث درجة الحدوث والثبوت كالاتي:

1- الحالة الأولى: وهي الحالة الأصلية الغالبة عليه وهي حالة دلالاته على الحدوث والتجدد أي عدم الدوام على صفة واحدة نحو: زيد قائم الآن، وبعد زمن قليل أو قصير قد يكون جالساً أو سائراً أو نائماً أو جارياً.

2- الحالة الثانية: وهي الحالة التي تكون فيها دلالة الثبوت تتراوح بين الطول والقصر زمنياً، وهي حالات يتصف فيها بعض الناس أو الأشياء ببعض الصفات والمعاني قد تطول وقد تقصر من حيث المدة الزمنية نحو: علي تلميذ مجتهد لأنه ساهر على هضم دروسه واستيعابها طوال السنة الدراسية، وحاضر دوماً غير متأخر عن الحصص الدراسية اليومية.

3- والحالة الثالثة: وهي الحالة التي تكون فيها صيغة اسم الفاعل وغيرها من الصيغ صريحة الدلالة على الدوام أو شبه الدوام، والخلود، والاستمرار، والتواصل، والبقاء والتواتر نحو: العلم نفعه دائم، ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (3)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا

(1) _عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 244-245.

(2) _ المصدر نفسه، ج1، ص 111.

(3) _ سورة المائدة، الآية 119.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾، وقوله جل شأنه: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢﴾، (٣).

وَالْحَالَةُ الْخَامِسَةُ: وهي التي كَصِفَاتِ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِ، وعددها تسعة وتسعون اسماً أو صفة خاصة ما جاء منها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهي تامة الدوام، كاملة الثبوت لله عزوجل المتصف بالكمال المطلق في ذاته لا يصيبه نقص ولا عيب ولا تحلف ولا غفلة ولا نوم ولا عجز ولا تقصير، وما يهمننا من هذه الصفات والأسماء هو الوارد منها على بناء «فاعل» الذي هو «اسم الفاعل» في أصله إلا أن القرينة اللفظية والمعنوية هي التي جعلته يعدل في دلالته عن هذا الأصل نحو الخالق الباري، والمصور، الباعث، المقتدر، المقدم، المؤخر، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المنتقم، المالك، المقسط، الجامع، المعني، المانع، الضار، النافع، الهادي، الباقي، الوارد، المؤمن، المهيمن، المتكبر، المعطي، المضل وغيرها، وهما بعض الشواهد القرآنية التي تؤيد ما نذهب إليه هنا تتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَرُ﴾ (٤)، وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٥)، وقوله جل شأنه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾ (٦)، وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (٧)، وقوله عزوجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٨)، (٩).

وتجدر الإشارة هنا إلا أنه لا يهمننا في هذه الشواهد القرآنية إلا أبنية أسماء الفاعلين فقط، مجردة ومزيدة، ولا يهمننا غيرها من الأبنية الأخرى كأبنية المبالغة الواردة معها كالفهارة والعزير والجبار وغيرها.

(١) _ سورة الزخرف، الآية 28.

(٢) _ سورة المعارج، الآية 23.

(٣) _ بتصرف، فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية، ص ص 41-45.

(٤) _ سورة الرعد، الآية 16.

(٥) _ سورة الحشر، الآية 24.

(٦) _ سورة الكهف، الآية 45.

(٧) _ سورة الحديد، الآية 3.

(٨) _ سورة الحشر، الآية 23.

(٩) _ أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص ص 19-21.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

-صيغة (فَاعِل) المعرفة بـ(أَل)

إن صيغة (فَاعِل) المعرفة بـ(أَل) قد وردت في المدونة بأعداد معتبرة لكنها لم تبلغ الكثرة التي بلغتها صيغة (فَعِيل)، فصيغة (فاعل) بلغ عدد المعرف منها مائة وستا وعشرين صيغة اكتفينا في تمثيلنا وتحليلنا منها بتسع صيغ فقط، وإليك الجدول البياني لهذه الصيغة.

-جدول بياني لصيغة (فَاعِل) المعرفة بـ(أَل) الواردة في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول

صيغة «فَاعِل» المعرفة الدالة على الصفة المشبهة باسم الفاعل بقريظة.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	الكامل	11	12	...، عشتُ أتملى - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل
2-	الخالق	12	03	...، كَوْنِ ذِي رُوحٍ تَتَلَقَى وَتَسْتَجِيبُ، وَتَتَّجِهَ إِلَى الْخَالِقِ الْوَاحِدِ الَّذِي تَتَّجِهَ إِلَيْهِ رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ فِي خَشْوَعٍ.
3-	الواحد	12	03	...، كَوْنِ ذِي رُوحٍ تَتَلَقَى وَتَسْتَجِيبُ، وَتَتَّجِهَ إِلَى الْخَالِقِ الْوَاحِدِ الَّذِي تَتَّجِهَ إِلَيْهِ رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ فِي خَشْوَعٍ
4-	الشامل	12	06	...، أَيِّ رَاحَةٍ، وَأَيِّ سَعَةٍ، وَأَيِّ أُنْسٍ يُفِيضُهَا عَلَى الْقَلْبِ هَذَا التَّصَوُّرَ الشَّامِلَ الْكَامِلَ الْفَسِيحَ الصَّحِيحَ.
5-	الدائمة	23	06	...ثم لِيَطْمَئِنَّ ضَمِيرُ هَذِهِ الْعَوَالِمِ إِلَى رِعَايَةِ اللَّهِ الدَّائِمَةِ
6-	البارئ	49	22	...، وَهَكَذَا يَبْدُو التَّنَوُّعُ فِي صِنْعَةِ الْبَارِئِ هَاتِلًا يُدِيرُ الرَّؤُوسَ.
7-	الرازق	52	18	..، وَعِنْدَ هَذَا الْبَيَانِ الْكَاشِفِ لِآثَارِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا يَتَوَجَّهُ إِلَى النَّاسِ بِاسْتِنْكَارٍ كَفَرَهُمْ بِاللَّهِ الْمُحْسِنِ الْمَمِيتِ، الْخَالِقِ الرَّازِقِ، الْمُدَبِّرِ الْعَلِيمِ.
8-	الخالدة	58	08	وَالآنَ لَقَدْ انْكَشَفَ مِيدَانُ الْمَعْرَكَةِ الْخَالِدَةِ..
9-	الثابت	89	07	وَأَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ الْمِيزَانِ الثَّابِتِ الَّذِي لَا يَتَأَرْجَحُ مَعَ الرِّضَى وَالْعَضْبِ.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فَاعِل) معرفة بـ(أل): (...، عِشْتُ أَتَمَلِي - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (كمل):

إنَّ أوَّلَ ما يُطالِعنا عند محاولة التعريف بمادة (كمل) في المعاجم اللغوية المعتمدة « كمل الشيء يَكْمُلُ كمالاً، ولغة أخرى: كَمَلَ يَكْمُلُ، فهو كامل في اللغتين، وَ أَكْمَلْتُ الشيء، أي أَجْمَلْتُهُ وَأَتَمَّمْتُهُ، والكمال التمام، وقال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾⁽²⁾، معناه - والله أعلم - أَكْمَلْتُ لَكُمْ الدِّينَ بِأَنْ كَفَيْتُكُمْ خَوْفَ عَدُوِّكُمْ، وَأَظْهَرْتُكُمْ عَلَيْهِمْ»⁽³⁾.

وفي اللسان: «الكمال: التمام، وفيه ثلاث لغات: كمل الشيء يَكْمُلُ، وَكَمَلَ وَكَمَّلَ وَكَمَّلًا وَكُمُولًا، قال الجوهري: والكسر أردؤها، وأكمله هو استكمله وَكَمَلَهُ: أَتَمَّهُ وَجَمَلَهُ»⁽⁴⁾.

وفي القاموس المحيط: «الكمال - أيضا - التمام، كَمَلَ، كَنَصَرَ وَكَرَّمَ وَعَلَّمَ كَمَالًا وَكُمُولًا فهو كامل وكَمِيلٌ، وَتَكَامَلَ وَتَكَمَّلَ وَأَكْمَلَهُ وَاسْتَكَمَّلَهُ وَكَمَلَهُ أَتَمَّهُ وَجَمَلَهُ، وَأَعْطَاهُ الْمَالَ كَمَالًا مُحْرَكَةً، أي: كَامِلًا»⁽⁵⁾.

وبعد هذا التعقب المنتقي لدلالة مادة (كمل) في المعاجم اللغوية تكشف لنا أن الدلالة الأصلية لها تتمحور حول معان مثل: الكمال التمام، وأكملت الشيء: أَجْمَلْتُهُ وَأَتَمَّمْتُهُ وكلها معان ذات أصل واحد مشترك وبالرجوع إلى لفظ (كمل) كما وردت في ظل سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصيغة: (الكامل) بزنة الفاعل، وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم التام التصرف، وهذا البناء في شكله الظاهري اسم فاعل، لأصِفَة مشبهة -قطعا- غير أن ظل السياق الذي ورد فيه هذا البناء يجعله صفة مشبهة لأن موصوفه وهو (ذلك التصور) الذي جاء في القرآن الكريم هو تصور للوجود، والحياة والإنسان، وسائر الكائنات والمخلوقات في علاقاتها وارتباطاتها ببعضها، وانسجامها، وتناسقها، وتفاعلها، وهذا القرآن من عند الله كلامه عز وجل المعجز الخالد،

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 11.

(2) _ سورة المائدة، الآية 3.

(3) _ الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (كمل)، مج4، ص ص 3184-3138.

(4) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمل)، ج12، ص 157.

(5) _ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (كمل)، مج4، ص 46.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

لذلك فهو (الكامل) لأنه صادر من الكامل المطلق: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾⁽²⁾.

وبناء على ذلك فصيغة (الكامل) واستنادا على قرينة صدور « ذلك التصور » في هذا السياق جاءت لتدل على الثبوت والدوام والاستمرار لا الدلالة على الحدوث والتجدد الثابت لاسم الفاعل.

وإذا ما تأملنا النص خاصة جملة الأخيرة، وهي قوله: « ذلك التصور الكامل»، وهي هنا (أل) العهدية التي تشير هي الأخرى إلى معهود مخصوص، أي: موصوف معين معلوم (التصور) المدرك من قبل جُلّ العلماء العارفين المنصفين الحياديين المكلفين بتبليغه، وتبينانه، وتفصيله للعربي والأعجمي وسائر البشر في أنحاء المعمورة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾⁽³⁾.

وعليه فهو ليس اي تصور من التصورات الأرضية البشرية العادية المقيدة بشخص معين: سقراط، أو أفلاطون، أو أرسطو، أو هيكل، أو ديكارت، أو كارل ماركس، أو جان بول سارتر إلى آخره، وبالزمان والمكان، والبيئة، وبالظروف والملابسات العارضة التي ما تلبث أن تتغير وتبديل لتصير هذه التصورات الوضعية البشرية غير صالحة لهذا الإنسان وزمانه ومكانه ومن الدلالات التي يمكن أن تدخل في السياق الخارجي لصيغة « الكامل » قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽⁴⁾، إن أحسن وأدق وأعمق ما جاء في تأويل هذه الآية مما له علاقة وطيدة بالصيغة السالفة ذكرها ما عثرنا عند صاحب تفسير: "في ظلال القرآن" حيث يقول: « اليوم... الذي نزلت فيه هذه الآية في حجة الوداع... أكمل الله هذا الدين فما عادت فيه زيادة لمستزيد، وأتم نعمته الكبرى على المؤمنين بهذا المنهج « الكامل » الشامل، ورضي لهم « الإسلام » دينًا، فمن لا يرتضيه منهجًا لحياته-إذن- فإنما يرفض ما ارتضاه الله للمؤمنين.

ويقف المؤمن أمام هذه الكلمات الهائلة، فلا يكاد ينتهي من استعراض ما تحمله في ثناياها من حقائق كبيرة، وتوجيهات عميقة، ومقتضيات وتكاليف.

(1) _ سورة البقرة، الآية 2.

(2) _ سورة الكهف، الآيتان، 1، 2.

(3) _ سورة سبأ، الآية 28.

(4) _ سورة المائدة، الآية 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إنَّ المؤمن يقف أولاً: أمام إكمال هذا الدين، يستعرض موكب الإيمان، وموكب الرسالات، وموكب الرسل، منذ فجر البشرية، ومنذ أول رسول-آدم عليه السلام- إلى هذه الرسالة الأخيرة، رسالة النبي الأمي إلى البشر أجمعين... فماذا يرى؟ يرى هذا الموكب المتطاوّل المتواصل، موكب الهدى والنور، ويرى معالم الطريق، على طول الطريق... ولكنه يجد كل رسول-قبل خاتم النبيين- إنما أرسل لقومه، ويرى كل رسالة- قبل الرسالة الأخيرة- إنما جاءت لمرحلة من الزمان... رسالة خاصة، لمجموعة خاصة، في بيئة خاصة... ومن ثم كانت كل تلك الرسالات محكومة بظروفها هذه، متكيفة بهذه الظروف... كلُّها تدعو إلى إله واحد- فهذا هو التوحيد- وكلها تدعو إلى عبودية واحدة لهذا الإله الواحد- فهذا هو الدين- وكلها تدعو إلى التلقي عن هذا الإله الواحد والطاعة لهذا الإله الواحد- فهذا هو الإسلام- ولكن لكل منها شريعة للحياة الواقعية تُناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان والظروف.

حتى إذ أراد الله أن يجتَم رسالاته إلى البشر، أرسل إلى الناس كافةً، رسولا خاتم النبيين برسالة "للإنسان" لا لمجموعة من الأناسي في بيئة خاصة، في زمان خاص، في ظروف خاصة... رسالة تُخاطب "الإنسان" من وراء الظروف والبيئات والأزمنة، لأنها تُخاطب فطرة الإنسان التي لا تبدل ولا تتحوّر ولا ينالها التغيير: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ﴾⁽¹⁾.

... وفصل في هذه الرسالة شريعة تتناول حياة «الإنسان» من جميع أطرافها، وفي كل جوانب نشاطها، وتضع المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحوّر بتغير الزمان والمكان، وتضع الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحوّر بتغير الزمان والمكان... وكذلك كانت هذه الشريعة بمبادئها الكلية وبأحكامها التفصيلية محتوية كل ما تحتاج إليه حياة "الإنسان" منذ تلك الرسالة إلى آخر الزمان، من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات، لكي تستمر، وتتنوّر، وتتطور، وتتجدد حول هذا المحور ودخل هذا الإطار... وقال الله- سبحانه- للذين آمنوا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽²⁾.

(1) _ سورة الروم، الآية 30.

(2) _ سورة المائدة، الآية 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

فَأَعْلَنَ لَهُمْ إِكْمَالَ الْعَقِيدَةِ، وَإِكْمَالَ الشَّرِيعَةِ مَعًا.... فهذا هو الدين، وَلَمْ يُعَدِّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّ هَذَا الدِّينَ - بِمَعْنَاهُ هَذَا - تَفْصِيلٌ يَسْتَدْعِي الْإِكْمَالَ، وَلَا قُصُورًا يَسْتَدْعِي الْإِضَافَةَ، وَلَا مَحَلِّيَّةَ أَوْ زَمَانِيَّةَ، تَسْتَدْعِي التَّطْوِيرَ أَوْ التَّحْوِيرَ.... وَإِلَّا فَمَا هُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَا هُوَ بِمُقَرَّبٍ بِصَدَقِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ بِمُرْتَضٍ مَا ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ !

إِنَّ شَرِيعَةَ ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، هِيَ شَرِيعَةُ كُلِّ زَمَانٍ، لِأَنَّهَا - بِشَهَادَةِ اللَّهِ - شَرِيعَةُ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ "لِلْإِنْسَانِ" فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا لِجَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ، فِي جِيلٍ مِنَ الْأَجْيَالِ، فِي مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكَنَةِ، كَمَا كَانَتْ تَجِيءُ الرُّسُلُ وَالرَّسَالَاتُ.

الأحكام التفصيلية جاءت لتبقى كما هي، والمبادئ الكلية جاءت لتكون هي الإطار الذي تنمو في داخله الحياة البشرية إلى آخر الزمان، دون أن تخرج عليه، إلا أن تخرج من إطار الإيمان!

وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَ "الْإِنْسَانَ" وَيَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ، هُوَ الَّذِي رَضِيَ لَهُ هَذَا الدِّينَ، الْمَحْتَوِي عَلَى هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، فَلَا يَقُولُ: إِنَّ شَرِيعَةَ الْيَوْمِ لَيْسَ شَرِيعَةً، إِلَّا رَجُلٌ يَزْعُمُ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ بِحَاجَاتِ الْإِنْسَانِ، وَبِأَطْوَارِ الْإِنْسَانِ»⁽¹⁾، أَمْثَالُ دَارُونَ وَمَارْكَسِ وَأُوْجِيستِ كَوْنَتْ وَغَيْرِهِمْ !!!؟! وفلسفة الشيوعية، والوجودية، والإباحية !!!

وهناك ووقفات، ووقفات، ووقفات في هذا المعنى لا يتسع لنا المقام هنا للإتيان عليها كلها في هذه التوقيعات.

إِنَّ دَلَالََةَ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ وَالْمَلَاذِمَةَ تَتَكَشَّفُ لَنَا ابْتِدَاءً مِنَ السِّيَاقِ الْعَامِّ لِلْعِبَارَةِ بَدَاءً مِنْ لَفْظَةِ "عَشْتٌ" الَّتِي تَعْطِي مَعْنَى الْفَتْرَةِ الزَّمْنِيَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي قَضَاهَا الْكَاتِبُ مُتَأَمِّلًا فِي ذَلِكَ التَّصَوُّرِ (الْكَامِلِ) لِلوُجُودِ كُلِّهِ، الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَمِنْ هُنَا فَالْكَامِلُ لَا يَنْشَأُ إِلَّا عَنِ الْكَامِلِ وَالْمَطْلُوقِ فِي كَمَالِهِ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْمَتَمَكِّنُ الثَّابِتُ الرَّاسِخُ الْمُهَيِّمُ الدَّائِمُ فِي كَمَالِهِ، الَّذِي لَا يَشُوبُهُ نَقْصٌ وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا أَدْنَى تَشْوِهِ وَاحْتِلَالٍ فِي صَنْعِهِ وَإِبْدَاعِهِ، فَقَدْ حَصَّ عِبَادَهُ بِالنَّقْصِ، وَقَدْ حَصَّ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْكَامِلِ الْمَطْلُوقِ...

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج2، ج6، ص 843.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فَاعِل) معرفة بـ(أَل) هي: كَوْنُ ذِي رُوحٍ تَتَلَقَى وَتَسْتَجِيبُ، وتتنجس إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (خلق):

مما انتقناه من معاني لفظ (خلق) مما جاء في مقاييس اللغة قوله: «الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، إذا قَدَّرْتَهُ قال زهير من الكامل:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ — ض الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي⁽²⁾.

ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قَدَّرَ عليه.

وفلان خليق بكذا، وأَخْلَقُ بِهِ، أي: ما أَخْلَقَهُ أي هو ممن يُقَدَّرُ فيه ذلك

وَالْخَلِاقُ: النَّصِيبُ، لَأَنَّهُ قَدْ قَدَّرَ لِكُلِّ أَحَدٍ نَصِيبَهُ.

ومن الباب رجلٌ محتلق: تام الخلق، والخلقُ ذ: خَلَقُ الكذب، وهو اختلافه، واختراعه وتقديره

في النفس قال الله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾.

«...»، وأما الأصل الثاني: فصخرة خلقاء، أي: ملساء، قال الأعشى:

قَدْ يَتْرُكُ الدَّهْرُ فِي خَلْقَاءِ رَاسِيَةٍ وَهَيَّا وَيُنْزِلُ مِنْهَا الْأَعْصَمَ الصَّدْعَا⁽⁵⁾.

ويقال: اخْلَوْلِقِ السَّحَابَ: استوى»⁽⁶⁾.

وجاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله: «الله تعالى وتقدس الخالق، والخلق، وفي

التزليل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ﴾⁽⁷⁾.

وفيه: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁸⁾، ورجل خليق بين الخلق: تام الخلق معتدل والأثنى خليق

(1) _ المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 12.

(2) _ الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر: زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 56.

(3) _ سورة العنكبوت، الآية 17.

(4) _ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (خلق)، ص 268.

(5) _ الشاهد: من البحر البسيط وهو للشاعر: الأعشى الأكبر، الديوان، ص 117.

(6) _ أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (خلق)، ص ص 268-269.

(7) _ سورة الحشر، الآية 24.

(8) _ سورة (يس)، الآية 81.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وخليقة ومُختَلَقَةٌ، وَقَدْ خَلَقْتُ خَلِيقَةً، والنعت خَلَقْتُ المرأةَ خَلِيقَةً إِذَا تمَّ خَلَقَهَا»⁽¹⁾.

«والخلق: التقدير، يقال: خَلَقْتُ الأديم، إِذَا قَدَرْتَهُ قَبْلَ الْقَطْعِ، قال زهير:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعُ — ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي⁽²⁾.

وَقَدْ خَلَقَ لَذَلِكَ بِالضَّمِّ، كَأَنَّهُ مِمَّا يُقَدَّرُ فِيهِ ذَلِكَ وَتُرَى فِيهِ مَخَايِلُهُ»⁽³⁾.

ومن خلال هذا العَرَضِ المتقَصَّى لمعاني مادة (خلق) اتضح لنا في آخر المطاف أن دلالتها الرئيسية تتركز حول: تقدير الشيء، وملامسة الشيء، وتمام الخلق واعتداله.

وإذا انتقلنا إلى لفظة (خلق) كما وردت في ظل سياق النص نجدها قد وُضِعَتْ في هذه الصيغة (الخالق) بزنة الفاعل وهو عبارة عن وَصْفِ مَصْوُوعٍ من مصدر الفعل الثلاثي المفتوح العين المتعدي إلى مفعول به واحد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾⁽⁴⁾.

فصيغة (الخالق) على زنة (الفاعل) الذي هو اسم فاعل في شكله الظاهري، غير أن ظل السياق الذي أدرج فيه جاء ليفيد الثبوت والدوام لا الحدوث والتغير، لأن قرينة الوصف (الخالق) بالألف واللام لا تجوز لغير الله عز وجل الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة»⁽⁵⁾، لذلك فصفة (الخالق) هنا صفة مُشَبَّهَةٌ تفيد الثبوت والدوام، وإن جاءت في صيغة (فاعل) الذي هو وزن اسم الفاعل في واقع الأمر، وأصل القاعدة الذي هو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي المفتوح العين (خَلَقَ).

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الوزن وحده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الدوام، فلا بد معه من القرينة التي تُعَيِّنُ أحدهما وتُزِيلُ عنه اللَّبْسَ والاحتمال كَمَا يُمَكِّنُ الْقَطْعَ بعد ذلك في دلالاته المعنوية — لا الشكلية — اسم فاعل أو صفة مُشَبَّهَةٌ، والأمر المحسوم هنا أن صيغة اسم الفاعل (الخالق) هنا من الصيغ اللفظية الصريحة الدلالة على الثبوت والدوام والاستمرار الأبدي، كما جاء عن علماء الأصول والعقيدة، كما أن للقرينة المعنوية دخل في هذه الصيغة حيث أن فعل الخلق الأولى والحقيقي للأشياء جميعها ثابت في ذات الله العليّ التقدير الخالق المصور.

(1) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق)، ص ص 192-193.

(2) _ الشاهد، من البحر الكامل وهو للشاعر زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 56.

(3) _ الجوهرى، الصحاح، مادة (خلق)، ص 314.

(4) _ سورة الملك، الآية 2.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق)، ج 4، ص 192.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَجَاءَ فِي الْكَشَافِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾⁽¹⁾، و«الخالق» المقدر لِمَا يُوجَدُهُ»⁽²⁾.

وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ عَنِ تَأْوِيلِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ نَفْسَهَا قَوْلَهُ: وَجُمْلَةٌ ﴿اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ تَفِيدُ قِصْرًا بِطَرِيقِ تَعْرِيفِ جِزْأَيِ الْجُمْلَةِ هُوَ الْخَالِقُ لَا شُرَكَاءَ لَهُمْ وَهَذَا إِبْطَالٌ لِإِلَهِيَّةِ مَا لَا يَخْلُقُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ﴾⁽³⁾، وَقَالَ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾.

وإن كان عائدا على اسم الجلالة المتقدم، فاسم الجلالة بعده خبر عنه و"الخالق" صفة. والخالق: اسم فاعل من الخلق، وأصل الخلق في اللغة إيجاد الشيء على صورة مخصوصة، ويُطلق الخلق على معنى أخص من إيجاد الصور وهو إيجاد ما لم يكن موجوداً كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾⁽⁵⁾، وهذا هو المعنى الغالب من إطلاق اسم الله تعالى "الخالق".

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي عَارِضَةِ الْأَحْوَذِيِّ عَلَى سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: "الخالق" المخرج الأشياء من العدم إلى الوجود المقدر لها على صفاتها فخلط بين»⁽⁶⁾.

وَأَمَّا عَنِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي تَتَّجِهُ إِلَى "الخالق" الَّذِي يَنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ جَمِيعًا وَحَدَهُ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي تُبَيِّنُهُ، وَتَفَرِّبُهُ، وَتَقْوِيهِ (أَل) التَّعْرِيفِ الْعَهْدِيَّةِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَى مَعْهُودٍ، أَي مَوْصُوفٍ مَخْصُوصٍ مَعْلُومٍ مَعِينٍ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى تَلْكَ الَّتِي يَبْدُو فِي الظَّاهِرِ أَنَّهَا تُشَارِكُهُ فِي صَنْعِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ ذَاتِ الْخِصَائِصِ وَالسَّمَاتِ الْبَسِيطَةِ كَالْإِنْسَانِ الَّذِي يَجْتَهِدُ أَحْيَانًا وَيَقُومُ بِصَنْعِ بَعْضِ الْأَجْهَازِ وَالآلَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ الْجَارِيَةِ وَالَّتِي تَدُلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى قُصُورِ عَقْلِهِ، وَمَحْدُودِيَّةِ وَضِيقِ رُؤْيَيْهِ، وَهَشَاشَةِ مَصْنُوعَاتِهِ، وَسُرْعَةِ تَلْفِهَا فِي حِينِ أَنَّ الْخَالِقَ الْبَارِئَ الْمَصُورَ

(1) _ سورة الحشر، الآية 24.

(2) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 1237.

(3) _ سورة النحل، الآية 20.

(4) _ سورة النحل، الآية 17.

(5) _ سورة (ق)، الآية 38.

(6) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير، مج11، ج28، ص ص 123-124.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الذي يتجه إليه المؤمن بروحه يتلقى منه التعليمات الربانية ويستجيب له، فمصنوعاته ومخلوقاته جميعا معجزة في ذاتها وكيانها، في صورتها وأجزائها، في قوتها وحركاتها، وفي صنعتها، وفي وظائفها، وفي نظامها لذلك لا يمكن لهذا "الإنسان" الضعيف الحال إلا أن يعود بهذا الجهاز الإنساني في أي عطب، وفي أي اختلال خارجي أو داخلي إلى صانعه ومبدعه الأول الذي يعلم من خلق، أي يعلم أسرار هذا النفس، ويعلم مداخلها ومخارجها، ومسارها وأغوارها، وما يصلح لها وما يُفسد حالها مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾.

« إنه النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، «خالقهم» الذي تفرّد بالخلق، فوجب أن يتفرّد بالعبادة... وللعبادة هدفٌ لعلهم ينتهون إليه ويحققونه: «لعلكم تتقون» لعلكم تصبرون إلى تلك الصورة المختارة من صور البشرية، صورة العابدين لله، المتقين لله، الذين أدوا حق الربوبية «الخالقة»، فعبدوا «الخالق» وحده، رب الحاضرين والغابرين، و«خالق» الناس أجمعين، ورازقهم كذلك من الأرض والسماء بلا نَدٍّ ولا شريكٍ»⁽²⁾.

ومن ثمّ فلا سعادة لهذه الإنسانية اليوم في هذا الوجود ولا استقرار ولا أمن إلا بالتوجه إلى الخالق الواحد، وقرآنه الموحى به إلى رسوله ونبيه الكريم محمد ﷺ تتلقى منه نظام حياتها، وعقيدتها وشريعته، وأخلاقها، وثقافتها... وتلجأ إليه في كل شأن من شؤون حياتها البسيطة منها والمعقدة...

(1) _ سورة البقرة، الآية 21.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص ص 46-47.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فَاعِل) معرفة بـ(أل) هي: (...، كَوْنُ ذِي رُوحٍ تَتَلَقَى وَتَسْتَجِيبُ، وتتنجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خُشُوع) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (وحد):

إن أوّل ما يصادفنا عند التعريف بمادة (وحد) في المعاجم اللغوية الموثقة: «فلان واحد ذهره، أي: لا نظير له، وأوجده الله: جعله واحدَ زمانه، وفلان أوحد أهل زمانه، والجمع أُحدان، مثل أسود وسودان، وأصله وُحدان قال الكميت.

فَبَاكِرُهُ وَالشَّمْسُ لَمْ يَيَّدُقْرُنْهَا بِأَحْدَانِهِ الْمَسْتَوْلِعَاتِ (2). المَكْلَبُ (3).

يعني كلابه التي لامثلها كلاب، أي: هي واحدة الكلاب...» (4).

«اللحياني: يقال: وَحِدَ فُلَانٌ يُوَحِّدُ، أي بقي وحده، ويُقال: وَحِدَ وَوَحَّدَ وَفَرَّدَ وَفَرَّدَ، وَفَقَّهَ، وَفَقَّهَ، وَسَفَّهَ وَسَفَّهَ، وَسَقَمَ وَسَقَمَ، وَفَرَعَ وَفَرَعَ، وَحَرَضَ وَحَرَضَ» (5).

«الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد من ذلك الوحدة» (6).

وبعد هذا التتبع المتمعن في مادة (وحد) في المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأصلية هي: الانفراد، والواحد: أول العدد، ورجل وَحِدٌ وَوَحِدٌ ووَحِيدٌ، أي: منفرد، والمتوحد برأيه: المنفرد به، وكل هذه المعاني الجزئية متقاربة مشتركة ويُفْضِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَإِذَا وَلَّيْنَا نَظْرَنَا تُجَاهَ لَفْظَةِ (وحد) كما جاءت في سياق النص نراها قد وُضِعَتْ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ (الواحد) وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي التام المتصرف اللازم على زنة الفاعل الذي هو أصله اسمُ الفاعل الذي يدل على الحدوث والتغير غير أن القرينة المعنوية هنا هي التي جعلته يعدل في دلالاته عن هذا الأصل نحو: الخالق، والبارئ، والمصور، والباعث، والمُحْصِي، والمبدئ، والمُعِيد، والباطن، والمالك، والقادر وغيرها ومن صفاته «الواحد» الأحد، وعليه فـ «الواحد» في سياق النص هنا بناء على القرينة

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص12.

(2) _ المستولغات، رجل مُسْتَوْلِغٌ: لا يبالغ ذمًا ولا عارًا، الجوهري، الصّحاح، مادة (ولغ)، ص1160.

(3) _ الشاهد: من البحر الطويل، يُنْظَرُ: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية، مج1، المحتوى: شعر، قافية (الباء)، ص261.

(4) _ الجوهري، الصّحاح، مادة (وحد)، ص ص1126-1127.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (وحد)، ج15، ص ص230-233.

(6) _ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (وحد)، ص ص948-949.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل) في تفسير (ظلال القرآن)

المعنوية صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في الزمن المنقضي كله والحال والاستقبال كله على الإطلاق لأنها صفة ثابتة في حق ذات الله عز وجل فالله «الواحد» أحد غير قابل للتعدد الصمد لم يلد ولم يولد و(أل) التعريف في وصف «الواحد» للعهد، أي عهدية تدل على معهود مخصوص معلوم معين متميز ومتفرد بهذا الوصف لا يشركه فيه واحد من الكائنات المخلوقة القابلة للزيادة والنقصان والكثرة أو التكاثر والتعدد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾⁽¹⁾، «قد يموت الأب وهو يملك معملاً ويخلف خمسة أولاد وهؤلاء الأولاد يتسلمون هذا المعمل، فالموظف الذي عندهم يتلقى الأمر من فلان وفلان، أما إن كان للمعمل مدير واحد فالأمر واحد والمسؤولية محدّدة، ومشكلة المشاكل أن يكون لك عدة رؤساء تتلقى منهم الأوامر فتقع في حيرة، تُرضي من؟ وتغضب من؟ وتتهتم بأمر من؟ وتُهمل أمر من؟ ومن تقترب. وعمّن تبتعد؟ فكلهم أقوياء وكلهم يأمرونك، هذا مثل تقريبي، ولو تعامل الإنسان في الحياة الدنيا مع جهات عديدة لتمزقت نفسه، إن أرضى فلاناً غضب فلان وإن أعرض عن فلان استشاط الآخر غيظاً فيبقى في حيرة من أمره، لكنّه لو كان الأمر بيد واحد لصار التعامل سهلاً جداً، لذلك أحد أسباب نجاح المؤمن في حياته عدم التشتت والتمزق والتبعثر فكل قواه مُجمّعة لإرضاء الإله «الواحد»⁽²⁾، قال تعالى: ﴿يَصْنَعِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرَ أَمْرِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽³⁾.

السؤال الذي يُمكن أن يثار في هذه العبارة هو حول صيغة الواحد (الواحد) التي وردن هنا بالواو، ولم ترد بالهمزة (أحد)، وأيهما أقوى تمكنا في وصف الموصوف وما علّة ذلك؟ هناك جدل كبير من قبل علماء العربية والتفسير والإعجاز حول هذه القضية، وما يتشعب عنها من اختلافات حول اشتقاق الكلمتين، وحول مدلول الوصفين (الواحد) و(أحد)، ليس هنا مجال مناقشتها وإبداء الرأي فيها، في هذا المجال الضيق المحدود، والسبب الرئيس في هذا الجدل والخلاف الدائر هو وجود كل من اللفظتين في كتابه تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد...

(1) _ سورة الأنبياء، الآية 22.

(2) _ محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج2، ص ص 322-323.

(3) _ سورة يوسف، الآية 39.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) معرفة بـ(أل) هي: (...، أي راحة، وأيّ سعة، وأيّ أنس يُفيضها على القلب هذا التصوّر الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (الشامل):

إنّ أوّل ما يلوح لنا في التعريف بمادة (شمل) في المعاجم اللغوية المثبتة قوله (هو خير شامل، وشملهم الخير، وأنا مشمول بنعمة الله تعالى، وجمع الله شملهم، وهو كريم الشمائل، وما ذلك من شمالي قال لبيد:.

هُم قَوْمٌ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُمْ شَمَائِلٌ بُدِّلُوها مِنْ شِمَالِي (2)

من شمالي: من خلّقي» (3).

وفي اللسان: «الشمّال: نقيض اليمين، والجمع أشمّل وشمائل وشمّل.

قال أبو النجم العجلي:

يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلٍ (4).

وفي التنزيل: «عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ» (5)، (6).

وفي القاموس، في التعريف بهذه المادة: «الشمّال ضد اليمين كالشمّال والشمّال بكسرهن جمع أشمّل وشمائل وشمّل، وشملهم الأمر كفرح ونصر شملاً وشملاً وشمولاً: عمّهم، وشملهم خيراً أو شراً كفرح: أصابهم، واشتمل بالثوب أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده، واشتمل عليه الأمر أحاط به» (7).

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 12.

(2) _ الشاهد: من بحر الوافر، وهو للشاعر: لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 71.

(3) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (شمل)، ج1، ص 505.

(4) _ الشاهد: من بحر الرجز، وقد روي مشطوراً في الديوان: يرى لها، وفي المخصص، مج16، ص 190، وفي اللسان، مادة

(بير)، ج15، ص 433، وللعجاج في ديوانه، ص 195 بيت مثله: تبرى له من أيمن وأشمل، للشاعر أبي النجم العجلي، الديوان،

جمع وشرح وتحقيق: محمد أديب عبد الواحد حجران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ط سنة، 2006م، ص 349.

(5) _ سورة النحل، الآية 48.

(6) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمل)، ج7، ص 199.

(7) _ الفيروز آبادي، القاموس من المحيط، مادة (شمل)، مج3، ص 402-403.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَعَلَىٰ ضَوْءِ هَذَا الْعَرَضِ الْمُتَمَعِنِ فِي مَادَّةِ (شَمَل) فِي الْمَعَاجِمِ اللَّغَوِيَّةِ تَكْشِفُ لَنَا أَنَّ دَلَالَتَهَا الْأَصْلِيَّةَ تَعَطُّبْنَا مَعْنَى: الْعُمُومِ وَالْغَشِيَانِ وَالْإِحَاطَةَ وَالِاتِّفَافَ، وَكُلَّهَا مَعَانٍ - كَمَا تَرَى - مُتَقَارِبَةً وَوَثِيقَةً الصِّلَةَ بِبَعْضِهَا.

وَإِذَا اتَّجَهْنَا بِأَنْظَارِنَا إِلَى السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ لَفْظَةُ (شَمَل) نَرَاهَا قَدْ جَاءَتْ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ "الشامل" عَلَى زِنَةِ (الفاعل) وَهُوَ وَصْفٌ مَصُوعٌ مِنْ مَصْدَرِ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّي إِلَى مَفْعُولٍ بِهِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ، وَهُوَ وَزْنٌ خَاصٌّ بِاسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي يَدُلُّ - كَمَا تَقُولُ النَّحَاةُ - عَلَى الْحَدُوثِ وَالْحَدُوثِ وَفَاعِلُهُ»⁽¹⁾.

وَيُقْصَدُ بِالْحَدُوثِ مَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَبِالْحَدُوثِ مَا يُقَابَلُ الثَّبُوتَ فَـ (الشامل) اسْمُ فَاعِلٍ يَدُلُّ عَلَى الشُّمُولِ وَهُوَ الْحَدُوثُ، وَعَلَى الْحَدُوثِ، أَي: التَّغْيِيرِ وَالتَّجَدُّدِ، فَالشُّمُولُ هُنَا لَيْسَ مُلَازِمًا لِصَاحِبِهِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَاتِ الْفَاعِلِ، أَي: صَاحِبِ الشُّمُولِ.

يَبْدُ أَنْ ظَلَّ السِّيَاقُ الَّذِي أُدْرِجَتْ فِيهِ صِيغَةُ (الشامل) فِي قَوْلِهِ «هَذَا التَّصَوُّرُ الشَّامِلُ الْكَامِلُ» الْمُرَادُ بِهِ التَّصَوُّرُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوْ هَذَا الدِّينُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - جَلَّ فِي عِلَاةِ - الَّذِي أَوْحَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِوَسْطَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِيَبْلُغَهُ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽²⁾.

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّهُ - أَي الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - الْمُنْهَجُ الرَّبَّانِيُّ أَوْ الشَّرِيعَةُ الْقَوِيمَةُ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ ، وَلَا تَتَحَوَّرُ، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْقَرِينَةَ - هُنَا - مَعْنَوِيَّةٌ وَهِيَ تُعَيِّنُ بِالتَّالِي صِيغَةَ «الشامل» الَّتِي جَاءَتْ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبُوتِ، وَالِدَوَامِ، وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الزَّمَانِ الْمُتَقَضَى، وَالْحَاضِرِ، وَالِاسْتِقْبَالِ، وَمِنْ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ هُنَا أَنَّ الصِّيغَةَ وَحَدَهَا - إِذَا - غَيْرُ كَافِيَةٍ لِلْقَطْعِ عَلَى أَنَّهَا اسْمُ فَاعِلٍ، أَوْ صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ، أَوْ اسْمُ مَفْعُولٍ أَوْ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ وَإِنَّمَا الْقَرِينَةُ اللَّفْظِيَّةُ أَوْ الْمَعْنَوِيَّةُ - فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ - هِيَ الَّتِي تَحَدِّدُ وَتُعَيِّنُ الدَّلَالََةَ عَلَى الْحَدُوثِ أَوْ الثَّبُوتِ.

وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ فَصِيغَةُ «الشامل» فِي هَذَا السِّيَاقِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا هِيَ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ تَفِيدُ الثَّبُوتَ وَالِدَوَامَ وَالِاسْتِمْرَارَ الثَّابِتَ فِي حَقِّ كَلَامِ اللَّهِ وَالتَّصَوُّرَ «الشامل» لِلْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ فِي عِلَاقَاتِهَا وَارْتِبَاطَاتِهَا وَتَنَاسُقِهَا وَانْسِجَامِهَا مَعَ الْقَانُونِ الْأَزَلِيِّ الْإِلَهِيِّ الثَّابِتِ، لَا الْحَدُوثِ وَالتَّجَدُّدِ

(1) - خالد بن عبد الله الجرجاوي الأزهرى، التصريح على التوضيح على شرح ألفية ابن مالك، ج2، ص 65.

(2) - سورة المائدة، الآية 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والتغير الذي كان وزن « فاعل » يدل عليه في أصل القاعدة المطردة الثابتة له.

بقي أن نشير-ولو بصورة وجيزة- إلى الأغراض والمعاني النحوية التي أدتها أداة التعريف واسم الإشارة في ظل سياق النص، في قوله: «هذا التصور الشامل» حيث كان الغرض منه تمييز «التصور الشامل» عن غيره من التصورات العديدة التي جاء بها البشر عبر العصور التاريخية للإنسان، وادّعوا أنّها تفضل وتتفوق على هذا التصور الإلهي «الشامل» بالإشارة المحسوسة إلى المقصود، وبالتالي تتربل هذا «التصور الشامل» الذي يدرك بالعقل، وغير المشاهد متزلة الأشياء المحسوسة المشاهدة، وجعله حاضرا قريبا من المخاطب والسامع والقارئ، كما أن اسم الإشارة جاء ليرز عظمة المشار إليه واستحضاره أمام القلوب والعيون ليجعلها تتشوق إليه»⁽¹⁾.

وأما أداة التعريف التي جاءت مقرونة بصيغة "الشامل" فهي للعهد أي: هي (أل) العهدية التي تشير من قريب إلى معهود، أي: موصوف مخصوص معلوم معين والذي هو «التصور المميز بصفة "الشامل" وهي الشمولية الخاصة التي يتفرد بها الموصوف عن غيره من تصورات البشر عبر التاريخ البشري والتي يدعى أصحابها أنهم جاؤوا بها ليصححوا ويُنقذوا البشرية من خرافات، وضلالات، وتدجيل الأديان السماوية التي لا تثبت أمام علمهم المخبري المشاهد المحسوس المادي نحو: تصورات العالم الطبيعي: «دَارُون»، و«كارل ماركس» اليهودي الأصل، و«آدم سميت»، و«جان بول سارتر»، و«هيغل»، و«فرويد»، و«دوركايم» وغيرهم كثيرين.

هذا وإن جميع الأسماء والصفات التي جاءت تالية لاسم الإشارة "هذا" نحو: "التصور" و"الشامل" هي تُعرب: بدل من اسم الإشارة، لذلك فهي تأخذ جميع المعاني والأغراض التي سبق الحديث عنها عند الحديث عن أغراض ومعاني اسم الإشارة، مؤثرين الاختصار وقلة الكلام، والآن نود الحديث وبشيء من الاختصار دائما، وهذه المرة عن السياق الخارجيّ للنص عامة، فعبارة: «هذا التصور الشامل» للوجود الذي جاء به القرآن الكريم وشريعة الله ممثلين في الإسلام على وجه الخصوص، ولنستعين في شأن توضيح: «التصور الشامل» لمنهج القرآن بكلمة لأحد علماء هذا العصر الأكفاء المخلصين لدين الله جل جلاله ومكّنت حكمته حيث يقول هذا العالم الفذ: «وقد تجددت الحملة على الإيمان في الآونة الأخيرة فرأينا أن ندفع ما فيها من باطل، تحت العنوان نفسه الذي اختاره المبطلون وهو: لغز الحياة: ماذا ترى عندما تعبث الأيدي بأوراق اللعب، أو بأزهار الترد؟»

(1) _ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج 1، ج 1، ص 84.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إنها تُلقِي مَا بَهَا أو تستقبل مَا أَمَامَهَا دون أن تُدْرِي عنه شيئاً، ثم تتأمله بعد أن يقع لتعرف ماذا يحتوي !

أترى الأطفالَ وَهُمْ يَلْهَوْنَ بِالْأَلْعَابِ الْمُهْدَاةِ إِلَيْهِمْ؟ إِنَّهُمْ يَرْمُونَهَا يُمَنِّهَ أَوْ يُسْرِةَ وَيُحَرِّكُونَهَا بِضَعْفٍ أَوْ قُوَّةٍ دون أن يكون لهم هدف أكثر من حبِّ العبث وطلب المرح.

هذه الحركاتُ التي تلمحها في الصَّغار والكبار لا يُمكن أن تُوصف بأنها مقرونة بحكمةٍ أو محكمةٍ بقانون، أو مصوغة في إطارٍ من سدادِ الفكر ودقة الغاية، إنها حركات وَحَسْب.

وَنُحِبُّ أَنْ نَسْأَلَ: هَلْ خَلَقَ الْعَالَمَ بِـ«هَذَا التَّصَوُّرِ الشَّامِلِ الْكَامِلِ» جاء على هذا الغرار؟ فَرُكِّمَتْ مَوَادُّ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ دون قَصْدٍ، وَسَيَّرَتْ حَرَكَاتَهُ مَلُوءًا وَسُفْلًا دون ضَبْطٍ، كَأَنَّ الْخَالِقَ أَرَادَ مِنْ هَذَا الصَّنِيعِ اللَّهْوَ وَالتَّسْلِيَةَ!

والجواب السريع لا، فإنَّ مُبْدِعَ هَذِهِ الْعَوَالِمِ قَالَ فِي وُضُوحٍ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلَاءً لَنُخَذَنَّ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١﴾، وفي آيةٍ أُخْرَى يُبَيِّنُ أَنَّ كِيَانَ هَذَا الْعَالَمِ تَضَامٌ وَتَمَاسُكٌ، أَوْ تَحْرُكٌ وَانْطِلَاقٌ وَفَقٌّ نِظَامٍ «شَامِلٍ رَاقٍ، وَسَنَنٍ مُتَّسِقٍ، وَغَايَةِ مَرْسُومَةٍ، وَمَرَاكِزٍ مَعْلُومَةٍ» ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾

وَحَرِيٌّ بِنَا هُنَا أَنْ نَقِفَ وَقْفَةً إِجْلَالٍ عِنْدَ كَلِمَةِ «بِالْحَقِّ» هَذِهِ، فَإِنَّهَا تَكَرَّرَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ، وَهِيَ فِي شَتَّى مَوَاضِعِهَا تَعْنِي أَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَسِيرُ حَبْطَ عَشْوَاءٍ، بَلْ تَسِيرُ وَفَقَّ «التَّصَوُّرِ الشَّامِلِ الْكَامِلِ»، وَأَنَّ بِنَاءَ الْكُونِ قَائِمٌ عَلَى بَصَرٍ نَافِذٍ وَأَوْضَاعٍ اِكْتَنَفَهَا مِنْ أَلْفِهَا إِلَى يَأْتِهَا إِعْدَادٌ حَكِيمٌ، وَ«تَصَوُّرٌ شَامِلٌ»، وَبِتَنْظِيمٍ مُضْبُوطٍ، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَطَّرَقَ إِلَيْهِ خَلَلٌ أَوْ يَنْتَابَهُ عَوَجٌ، فَكُلُّ قَطْرَةٍ فِي الْمَحِيطَاتِ الْفَسِيحَةِ أَخَذَتْ سَمْتَهَا وَالتَّقَتْ مَعَ سِوَاهَا وَتَهَيَّأَتْ لِحَمْلِ السَّفْنِ الْمَاخِرَةِ، أَوْ صَلَّحَتْ لِحَيَاةِ الْأَسْمَاكِ وَالْحَيْتَانِ وَثَارَتْ مَوْجًا غَاتِيَا، أَوْ حَالَتْ جَلِيدًا بَارِدًا... كُلُّ قَطْرَةٍ فِي عَالَمِ الْمَاءِ الْعَمِيقِ الْوَسِيعِ تَكُونَتْ عَلَى هَذَا النَّحْوِ وَفَقَّ قَانُونِ عَتِيدٍ وَخِطَّةِ مَوْسُومَةٍ، وَصَلَ الْعِلْمُ الْبَشَرِيُّ إِلَى جِزْءٍ

(١) _ سورة الأنبياء، الآيتان، 16، 17.

(٢) _ سورة الدخان، الآيتان، 38، 39.

(٣) _ بتصرف، محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، دار الشهاب، للطباعة والنشر، عمار قريفي، باتنة- الجزائر، ص ص

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

بسيط جدا منها، وربما وصل إلى أجزاء أخرى مع إدمان النظر والتفكير.

وكل ذرّة في القارات الراسية من أرض مُخصّبة أو مُجذّبة تماسكت مع غيرها وَصَلَتْ مهادًا للناس يستخرجون دفائنهما، ويرتفقون ظواهرها، ويجوبون أقطارها، ويعمّرون فجاجها، كل ذلك ما يتم إلا في نطاق التخطيط الأزلي، و«التصور الشامل الكامل» الذي وضعه البارئ الأعلى للكائنات كلها، فهي مطبوعة به، مُنسّقة إليه لا تعرف غيره ولا تحيد عنه.

أجل، فالنظام «الشامل» يسود كل حركة وسكّنة تتعرض لها الكائنات جملة وتفصيلا.

وعندما وَجّه فرعون إلى موسى وأخيه هذا السؤال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ (١)، إن هداية كل شيء في الحياة ليقوم بوظيفته المطبوع عليها، هو «التقدير» الذي سير الله به الحياة تسييرا مُتقنًا...! ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ (٢).

وذلك هو معنى الحق الذي قامت به السماوات والأرض، فلا تحسبن نبتًا ينبثق من ترابه كما يحلّوله، إن مقادير الأغذية التي يحملها أو الروائح التي يطلقها عبث فيه وفق سنن قائمة ثابتة لا تريدو لا تنقص ولا تحسبن نجما يخترق هذا الفضاء، متحوّلًا فهو يُسرّع إذا أحبّ ويُبطيء إذا أحبّ، إنه يجري تبعًا لقوانين قيّد بها، وقوى حبس في حدود أذن الله بها، ولم يأذن بغيرها.

وقد وزعت هذه الإحياءات من بدء الخليقة توزيعًا لا يلحقه اضطراب ولا ترقى إليه فوضى (٣). بل هو يسير دائمًا وباضطراد ثابت وفق «التصور الإلهي الشامل الكامل الفسيح» (٤) الذي لا يمكن أن تفي بحقه هذه الوريقات القليلة الزهيدة التي لا تشكل لا قطرة من بحر ولا ذرة من الهباء المنثور في الهواء: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (٥)، وقوله عزّ في علاه: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (٦).

(١) _ سورة (طه)، الآيتان 49-50.

(٢) _ سورة الأعلى، الآيات 1-3.

(٣) _ بتصريف يسير، محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص 42.

(٤) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 23.

(٥) _ سورة الكهف، الآية 109.

(٦) _ سورة لقمان، الآية 27.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يطمئن قلب المؤمن، ويرتاح ضميره، ويهدأ باله عندما يدرك تمام الإدراك أن هذا الكون ليس متروكا للخبث العشوائي، ولا للصدفة العمياء، بل هو محكوم بقدره إلهية مهيمنة، مستعلية، مدبرة له، مُصرّفة له وفق تصور شامل مضبوط بسنن صارمة دقيقة، وقوانين حكيمة يجري فيها الوجود كله، وتسبح فيها الكائنات جميعا، وفق خط مرسوم لها مسبقا، ومنهج إلهي قويم لا ينحرف ولا يجور، ولا يتخلف إلا بإذنه الحكيم العزيز القدير الخبير...

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فَاعِل) معرفة بـ(أل) هي: (...), ثُمَّ لِيَطْمَئِنُّ ضَمِيرُ هَذِهِ الْعَوَالِمِ إِلَى رِعَايَةِ اللَّهِ الدَّائِمَةِ⁽¹⁾.

المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (دوم):

ومما اتقينا من معان عند التعريف بمادة (دام) مما عثرنا عليه في المعاجم اللغوية المحكّمة: قال ثعلب عن ابن الأعرابي: دام الشيء: إذا دار، ودَامَ: إذا وقف ودَامَ: إذا تعب، ومنه استدأم الرجل عزيمة واستدأمه: إذا رفق به⁽²⁾.

ومما ورد في اللسان، في التعريف بهذه المادة: دَامَ الشيء يدُوم ويَدَامُ، أما دَامَ يدومُ: فَعِلَ يَفْعُلُ فليس بقوي، دوماً ودواماً ودُيُومَة.

وَدَوِّمَتِ الْكِلَابُ: أَمَعَتِ فِي السَّيْرِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

حَتَّى إِذَا دَوِّمَتْ فِي الْأَرْضِ رَاجِعُهُ كَبِيرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ⁽³⁾.

« والماء الدائم: الساكن، ودَامَ الشيء: سكن، ودَوِّمَتُ الْقِدْرُ:

وَأَدْمَتْهَا: إِذَا سَكَّنَتْ غَلِيَانَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَاءِ، وَاسْتَدَمَّتُ الْأَمْرُ: إِذَا تَأَنَّنَتْ بِهِ، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ:

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمَّهُ فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمَا سَتَدِيمُ⁽⁵⁾.

وَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى الْأَمْرِ: الْمَوَاطِبَةُ عَلَيْهِ⁽⁶⁾.

حينما تعقبنا مادة (دوم) في المعاجم اللغوية العربية تبين لنا أن دلالتها الأصيلة تتراوح بين هذه المعاني الجزئية المتقاربة المشتركة نحو: البقاء والاستمرار، والسكون والثبات والوقوف ولها معانٍ أخرى هامشية لا يتسع هنا المقام لذكرها.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 23.

(2) _ الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (دوم)، مج2، ص ص 1133-1135.

(3) _ الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر، غيلان بن عقبة ذي الرمة، الديوان، اعتنى به وشرح غريبة: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2006م، ص 20.

(4) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (دوم)، ج4، ص ص 445-447.

(5) _ الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر قيس بن زهير، يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى: شعر: قافية (الميم)، ص 437.

(6) _ الجوهري، الصحاح، مادة (دوم)، ص 363.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَإِذَا مَا تَحَوَّلْنَا بِأَنْظَارِنَا إِلَى لَفْظَةِ (دوم) كما وردت في سياق النص نلاحظها قد وُضعت في هذه الصيغة هكذا: «الدائمة» بزنة الفاعلة وهو وَصَف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المني للمعلوم (دَام، يَدوم)، والصيغة في هذه الهيئة أو البناء «الدائمة» هي في واقع الأمر اسم فاعل الذي يدل - في الأصل - على الحدوث والتجدد والتغير لا الدلالة على الثبوت والدوام، بيد أن القرينة اللفظية تدل بذاتها على الثبوت لأنها من الصيغ اللفظية الصريحة الدالة على الثبوت والدوام والاستمرار نحو: بَاقٍ، وَخَالِدٍ، وَمُسْتَمِرٌّ وَثَابِتٌ وَغَيْرَهَا.

إضافة إلى أداة التعريف المقرونة بصيغة «الدائمة» التي هي للعهد فهي تسمى (أل) العهدية التي توميء إلى معهود، أي: موصوف مخصوص معين معلوم الذي يُحيل عليه الضمير المستتر في صيغة «الدائمة» الذي هو «رعاية الله» الذي لا يشاركه غيره في هذه الصفة الأزلية الثابتة في حقه وحده نحو: رعاية الوالدين ، أو الحاكم للرعية، أو الولي، أو السلطان، أو المدير، أو هيئة التربية، أو الاستشفاء، أو أي هيئة اجتماعية أخرى ترعى القُصّر واليتامى، والعجزة، والمساكين وغيرها من الجهات التي عادة ما قد يوكل أو تتكفل بالرعاية والإشراف على الكائن الإنساني المعوز الضعيف.

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص نلاحظ أن لمعنى رعاية الله لمخلوقاته مفهوم عميقا وحكيما يتجلى ذلك من خلال آيات عديدة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى في سؤال فرعون لموسى وأخيه: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾⁽¹⁾، حدثنا الحسن، قال أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة قوله: «أعطى كل شيء خلقه» قال: أعطى كل شيء ما يصلحُه، ثم هداه له»⁽²⁾.

من هنا نعلم أن لهذه الرعاية الربانية مفهومًا واسعًا شاملاً تنبئ في هداية جميع المخلوقات وإرشادها وتوفيقها إلى القانون الثابت المطرد وتتجلى الرعاية «الدائمة» من الله عزوجل للعالم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾⁽³⁾.

وجاء في تأويل هذه الآية عن صاحب التحرير والتنوير قوله: «والمعنى: قدر الأشياء كلها فهداها إلى أداء وظائفها كما قدر لها، فالله لما قدر للإنسان أن يكون قابلاً للنطق والعلم والصناعة بما وهبه من العقل وآلات الجسد هداه لاستعمال فكره لما يحصل من خلق له، وكلما قدر البقرة للدَّر

(1) - سورة طه، الآيتان 49، 50.

(2) - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج7، ص 5595.

(3) - سورة الأعلى، الآيتان 2، 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أَلْهَمَهَا الرَّعْيَ وَرَثْمَانَ وَوَلَدَهَا لِتَدْرَّ بِذَلِكَ لِلْحَالِبِ، وَلَمَّا قَدَّرَ النَّحْلُ لِإِنْتِاجِ الْعَسَلِ أَلْهَمَهَا أَنْ تَرَعَى التُّورَ وَالشَّمَارَ وَأَلْهَمَهَا بِنَاءَ الْجَبْحِ حَوْ حَلَايَاهِ الْمَسْدَسَةِ الَّتِي تَضَعُ فِيهَا الْعَسَلَ.

وَمِنْ أَجْلِ مَظَاهِرِ التَّقْدِيرِ وَالْهُدَايَةِ وَالرَّعَايَةِ « الدَّائِمَةُ » تَقْدِيرِ وَرِعَايَةِ قَوَى التَّنَاسُلِ لِلْحَيَوَانَ لِبِقَاءِ النَّوْعِ، فَمَفْعُولٌ « هَدَى » مَحْذُوفٌ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ وَهُوَ عَامٌ مَخْصُوصٌ بِمَا فِيهِ قَابِلِيَّةُ الْهُدَى فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِذَوَاتِ الْإِدْرَاكِ وَالْإِرَادَةِ وَهِيَ أَنْوَاعُ الْحَيَوَانَ فَإِنَّ الْأَنْوَاعَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ وَقَدَّرَ نِظَامَهَا الثَّابِتَ الْأَبَدِيَّ وَلَمْ يَقْدِرْ لَهَا الْإِدْرَاكِ مِثْلَ تَقْدِيرِ الْأَثْمَارِ لِلشَّجَرِ، وَإِنْتِاجِ الزَّرْبَعَةِ لِتَجَدُّدِ الْإِنْبَاتِ، فَذَلِكَ غَيْرُ مُرَادٍ مِنْ قَوْلِهِ: « فَهَدَى » لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَمَقْدَّرَةٌ وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مَهْدِيَةٍ لِعَدَمِ صِلَاحِهَا لِلْإِهْتِدَاءِ، وَإِنْ جَعَلَ مَفْعُولٌ « خَلَقَ » خَاصًّا وَهُوَ الْإِنْسَانُ، وَكَانَتْ الْهُدَايَةُ هِدَايَةً خَاصَّةً وَهِيَ دَلَالَةُ الْإِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ وَأَوْثَرُ وَصْفًا التَّسْوِيَةَ وَالْهُدَايَةَ مِنْ بَيْنِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ نَعَمٌ عَلَى النَّاسِ وَذَالَةٌ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّزْيِينِ لِأَنَّ لِهَذَا الْوَصْفَيْنِ مَنَاسِبَةً بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ السُّورَةِ فَإِنَّ الَّذِي يُسَوِّيَ خَلَقَ النَّبِيَّ ﷺ تَسْوِيَةً تَلَاثَمَ مَا خَلَقَهُ لِأَجَلِهِ مِنْ تَحْمِيلِ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ لَا يَفُوتُهُ أَنْ يُهَيِّئَهُ لِحِفْظِ مَا يُوحِيهِ إِلَيْهِ وَتَيْسِيرِهِ عَلَيْهِ وَإِعْطَائِهِ شَرِيْعَةً مَنَاسِبَةً لِذَلِكَ التَّيْسِيرِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾⁽¹⁾، وَقَالَ ﴿ وَيُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

هَذَا غِيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، وَهَذَا جَانِبٌ وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِ مَلَائِينَ جَوَانِبِ رِعَايَةِ اللَّهِ « الدَّائِمَةُ » لِلْمَخْلُوقَاتِ وَالْعَوَالِمِ الْعَجِيْبَةِ الَّتِي تَبْهَرُ الْعُقُولَ، وَتَحْيِرُ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَالْعَارِفِينَ لِقُدْرَةِ تَعَالَى عَلَوا كَبِيْرًا.

(1) _سورة الأعلى، الآية 6.

(2) _سورة الأعلى، الآية 8.

(3) _بشيء من التصرف، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 12، ج 3، ص 277.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السادسة التي وردت فيها صيغة (فَاعِل) معرفة بـ(أَل) هي: (...، وهكذا يَبْدُو التَّنوع في صيغة الباري هائلا يُدير الرؤوس) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (برأ):

إنَّ أوَّل ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (برأ) في المعاجم اللغوية الموثقة أنك: « تقول: برئت منك، ومن الديون والعيوب براءة، وبرئتُ من المرض بُرْءاً بالضم، وبرأته تَبْرئة، والبرأة-بالضم- قُترأة الصائد، والجمع بُراً مثل: صُبْرَة وصُبْر، قال الأعشى.

فأوردها عينا من السيف رية بها برأ مثل الفسيل (2). المكمم (3). (4).

وفي اللسان: « الباري من أسماء الله عز وجل، والله الباري الذاري، وفي التنزيل العزيز ﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (5)، وقال تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ (6)، قال الباري هو الذي خَلَقَ الخَلْقَ لا عن مثال، والبرية: الخلق، وأصلها الهمز، وقد تركت العرب همزها، ونظيره: النبي والذرية، ابن الأعرابي: بريء: إذا تخلص، وبريء: إذا تتره وتباعد، وبريء: إذا أعذر وأندر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (7)، أي إعدار وإنذار» (8).

وجاء في مقاييس اللغة في التعريف بمادة (برأ): « فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب، أحدهما: الخلق، والآخر: التباعد من الشيء ومُزَايلته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يقال برئتُ وبرأتُ» (9).

وَأَرْتِكَازًا على هَذِهِ الفُهْمِ والدَّلالات لمادة (برأ) في المعاجم اللغوية تأكد لنا أنها تصب في معنى التباعد والتخلص، والتتره والمزايلة كلها معان مشتركة متداخلة ويُفْضِي بَعْضُهَا إلى بعض.

(1) _ سيد قطب، وفي ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 49.

(2) _ الفسيل والفسيلة: الودى وهو صغار النحل، الجوهري، الصحاح، مادة (فسل)، ص 812.

(3) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر الأعشى الأكبر، الديوان، ص 175

(4) _ الجوهري، الصحاح، مادة (برأ)، ص 81.

(5) _ سورة الحشر، الآية 24.

(6) _ سورة البقرة، الآية 54.

(7) _ سورة التوبة، الآية 1.

(8) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (برأ)، ج1، ص 356.

(9) _ أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (برأ)، ص 88.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وإِذَا صَرَفْنَا أَبْصَارَنَا وَجْهَةً لَفْظَةً (برأ) كما وردت في سياق النص تُلفيها قد وضعت في هذه الصيغة (البارئ) بزنة الفاعل، وهي -هكذا- في هذا البناء وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف (برأ- يبرأ) من المبني للمعلوم.

والصيغة في هذا البناء (البارئ) هي في الواقع وطبقا للقاعدة الأصلية اسم فاعل الذي يدل- في الأصل- على الحدوث والتغير لا على الثبوت والدوام، بيد أن القرينة المعنوية-هنا- في هذا السياق هي التي جعلت صيغة (فاعل) التي هي -كما قلنا- اسم فاعل في الحقيقة لا تدل على الحدوث والتجدد لأنه وصف متصل بالله عز وجل، فهو وصف ثابت دائم أبدي أزلي في ذات المولى عز وجل وليس وصفا عارضا ولا طارئا، ولا مؤقتا بزمان محدد ينقضي بانقضائه لأن هذا لا يناسب المولى جل شأنه، ولذا كانت هذه الصيغة في معناها ودلالاتها صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في الزمان الماضي والحاضر والمستقبل وليست «اسم فاعل».

والفصل هنا للسياق والمقام بغض النظر عن الأصل الذي يحكم هذه الصيغ أو القاعدة النحوية أو الصرفية التي تضبطها.

وعلى المستوى النحوي للصيغة فإننا نلمحها جاءت هكذا: «البارئ» مقترنة بـ (أل) التعريف العهدية التي تدل على العهد، أي معهود أو موصوف مخصوص معين معلوم لدى العام والخاص، الذي هو الله جل شأنه لتمييزه وتفرده عن غير من الخالقين: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾⁽¹⁾، ومن هنا فقد يشاركه غيره في الخلق لأشياء كثيرة لكن شتان شتان بين خلق الله عز وجل وخلق الإنسان فخلق الإنسان مسبوق دائما وناتج عن التقليد، ناقص متغير، متفاوت في الكيفية بين إنسان وإنسان، له أشباه ونظائر كثيرة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽²⁾.

وخلق الله غير مسبوق، وكامل لا يبارى ولا يجارى، وغير متغير ولا يمكن تقليده بأي حال في خصائصه وأوصافه العليا نحو: الخلايا والشرابين والأوعية والأعصاب، والعقل والقلب والنفس والإدراك والتفكير والتحاكم والاستنباط والحجاج والتخيل والتصوير والتنبؤ وغيرها مما لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثله إنسا أو جئا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا⁽³⁾.

(1) - سورة الحشر، الآية 24.

(2) - سورة النحل، الآية 60.

(3) - بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، ج28، ص ص 3532-3533.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وإذا اتَّجَّهنا بأنظارنا إلى الصيغة في سياق النص الخارجي نجد صاحب الكشاف يقول فيها و« البارئ» المميّز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة... وعن حاطب ابن أبي بلتعة قرأ: «البارئ المصوّر، يفتح الواو ونصب الراء، أي: الذي يبرأ المصوّر، أي يميّز ما يَصوِّره بتفاوتِ الهيئات...»⁽¹⁾.

أما صاحب تفسير التحرير والتنوير فيقول: «البارئ» اسم فاعل من برأ مهمزاً، قال في الكشاف: المميّز لما يُوجده بعضه من بعض بالأشكال المختلفة، وهو مغاير لمعنى الخالق بالخصوص، وفي الحديث: «من شرّ ما خلق وذراً وبرأ»⁽²⁾، ومن كلام علي رضي الله عنه: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، فيكون اسم البريئة غير خاص بالناس في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم شُرُّ الْبَرِيَّةِ﴾⁽³⁾، و﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾⁽⁴⁾، وقال الراغب: البريئة: الخلق وقال ابن العربي في العارضة: «البارئ»: خالق الناس من البرى مقصوِّراً وهو التراب خاصاً بخلق جنس الإنسان، وعليه يكون اسم البريئة خاصاً بالبشر في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم شُرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ و﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

وفسره ابن عطية بمعنى الخالق، وكذلك صاحب القاموس، وفسره الغزالي بأنّه الموجود المخترع، وقد علّمت أنه غير منطبق فأحسن تفسير له ما في الكشاف.

وإنما ذكرت هذه الصفات: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾⁽⁵⁾، متتابعة لأنّ من مجموعها يحصل تصور الإبداع الإلهي للإنسان»⁽⁶⁾.

ومن هذا التطواف الممتع مع صيغة «البارئ» تبين لنا في النهاية الخلاف الكبير الدائر بين العلماء القدامى منهم والمحدثين حول دلالتها الصحيحة ويبدو أن هذا الخلاف لم يحسم فيها حتى الآن سواء على المستوى اللغوي أو المستوى السياقي خاصة منه دلالتها في السياق القرآني، فكل عالم يُدلي بدلوّه، مختلفاً مع من سبقه ومع من عاصره، ومنه من تراه يتفادى الخوض في تفسيرها ومنا قشتها،

(1) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 1237.

(2) _ مجد الدين أبو السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزواي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت، ط 1979م، مادة (ذراً)، ص 306.

(3) _ سورة البينة، الآية 6.

(4) _ سورة البينة، الآية 7.

(5) _ سورة الحشر، الآية 27.

(6) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 11، ج 28، ص 125.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وإذا عَرَضَ لها يعرِّض عرضاً سطحياً ليمرَّ بها مرور الكرام حتى لا يورط نَفْسَه في معضلة الاتهامات المعروفة في هذا المجال بين علمائنا خاصة حينما يعرِّض لمثل هذه القضايا اللغوية والاصطلاحية الشائكة ذات الصلة الوثيقة بالمعتقد والعقيدة نحو: أسماء الله الحسنى، وصفاته، وذات الله وأفعاله، والقضاء والقدر، وقضية خلق القرآن وما أشبه ذلك.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السابعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المعرفة بـ: (أل) هي: (...،) وعند هذا البيان الكاشف لآثار الكفر والفسوق في الأرض كلها يتوجه إلى الناس باستنكار كفرهم بالله المحيي المميت، الخالق الرازق، المدبر العليم⁽¹⁾.

المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (رزق): مَّا عَشَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ مَعَانٍ عِنْدَ التَّعْرِيفِ بِمَادَةِ (رِزْقٍ) فِي الْمَعْجَمِ اللَّغَوِيِّ الْحِكْمَةِ أَنَّ «الرَّاءَ وَالزَّايَ وَالْقَافَ أَصِيلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى عَطَاءِ لَوْقَتٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُ الْمَوْقُوتِ، فَالرِّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ»⁽²⁾.

« الرَّازِقُ وَالرَّزَاقُ: فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يَرِزُقُ الْخَلْقَ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ، وَهُوَ الَّذِي أَعْطَى الْخَلَائِقَ أَرْزَاقَهَا وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِمْ، وَفَعَّلَ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁽³⁾.

وَالرَّازِقِيُّ: الضَّعِيفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالرَّازِقِيُّ: ضَرَبٌ مِنْ عُنْبِ الطَّائِفِ أَيْضَ طَوِيلِ الْحَبِّ»⁽⁴⁾.
أما صاحب القاموس فيقول عند التعريف بمادة (رزق): « الرَّزْقُ بِالْكَسْرِ: مَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَالْمُرْتَزَقِ

وَالْمَطْرُ جَمْعُ أَرْزَاقٍ وَبِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ وَالْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ: أَوْصَلَ إِلَيْهِ رِزْقًا، وَرَجُلٌ مَرْزُوقٌ: مَحْدُودٌ»⁽⁵⁾.

وَلَمَّا تَعَقَّبْنَا مَادَةَ (رِزْقٍ) فِي الْمَعْجَمِ اللَّغَوِيِّ بَانَ لَنَا أَنَّ دَلَالَتَهَا الْأَسَاسِيَّةَ هِيَ: الرِّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَالرَّازِقُ وَالرَّزَاقُ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يَرِزُقُ الْخَلْقَ أَجْمَعِينَ، وَرَجُلٌ مَرْزُوقٌ: مَحْدُودٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَبِالرُّجُوعِ إِلَى لَفْظَةِ (رِزْقٍ) كَمَا جَاءَتْ فِي ظِلِّ سِيَاقِ النَّصِّ نَجَّدَهَا قَدْ وَضَعَتْ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ (الرَّازِقِ) بَزَنَةَ الْفَاعِلِ، وَهِيَ فِي هَذَا الْبِنَاءِ وَصِفِ مَصْوُغٍ مِنْ مَصْدَرِ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّيِ الْمُتَصَرِّفِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ (رِزْقٍ - يَرِزُقُ) نَحْوُ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 52.

(2) _ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (رزق)، ص 333.

(3) _ سورة هود، الآية 6.

(4) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (رزق)، ج5، ص ص 203-204.

(5) _ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (رزق)، مج3، ص 235.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أَعَزِّزُ⁽¹⁾. والصيغة في هذا البناء (الرازق) هي في واقع الأمر وجريا على القاعدة الأصلية اسم فاعل الذي يدل- في الأصل- على الحدوث والتجدد لا على الثبوت والدوام والاستمرار، بيد أن القرينة المعنوية-هنا- وفي هذا السياق بالذات هي التي جعلت صيغة (فَاعِل) التي هي- كما أسلفنا اسم فاعل لا تدل على الحدوث والتغير لأنه وصف متصل بالله جل شأنه، فهو هنا وصف دائم ثابت أبدي أزلي في حق ذات المولى عزّوجل، وليس وصفاً عارضاً ولا طارئاً، ولا مؤقتاً بزمن معين محدّد ينقضي بانقضائه لأنّ هذا الوصف الأخير- العارض- لا يناسب سبحانه وتعالى، ومن هنا كانت الصيغة في معناها ودلالاتها صفةً مشبّهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وليست « اسم فاعل » ولذا فالكلمة الفصل هنا ليست للصيغة وإنما هي للسياق والمقام بغض النظر عن الأصل الذي يحكم مثل هذه الصيغ والقاعدة النحوية أو الصرفية التي تضبطها وتقيدها.

وعلى المستوى الأسلوبي نلاحظ أن صيغة « الرازق » قد وردت مقترنة بـ (أل) التعريف و (أل) هنا جاءت للعهد فهي (أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص معلوم معين الذي هو المولى جل شأنه رازق المخلوقات جميعاً على ظهر الأرض: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾⁽²⁾، فـ (أل) تفيد القصر والتخصيص هنا أيضاً فالموصوف هو الله عزوجل يتميز من غيره ويتفرد بمعنى أو فعل أو صفة ذاتية يستحيل أن يشاركه فيها غيره من المخلوقات فقد يوصل إليك إنسان ما رزقا فتظن-جهلاً منك- أنه لولا هذا الإنسان لما أصابك هذا المال أو هذا الرزق ولكن اعتقادك هذا في الحقيقة خاطئ كل الخطأ فالله عزوجل هو المصدر الأول لهذه الأرزاق وهو خالقها وهو الذي ييسر أسبابها لتصل إلينا بطريقة أو بأخرى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾⁽³⁾، ومن هنا فالعبد المؤمن يتخذ الأسباب للرزق فيعمل ويكدح ويجتهد وعلى الله النتائج أي: توزيع الأنصبة والآن نحاول أن نعرّج بصورة موجزة على السياق الخارجي للنص ليكون ختام مسك وطيب ليقول قائل: « الشيء الدقيق والذي يلفت النظر حقاً: أنك إذا اعلمت أن الله الرزاق ذو القوة المتين أفردته بالقصد، الناس أحياناً يتجهون إلى زيد، إلى عبّيد، إلى فلان، إلى هذه الجهة، ليأخذوا، ولكن إذا علمت أن الله وحده هو «الرازق» فإنك تُفردّه بالقصد لا تسأل أحداً سواه، تكسب العزّة

(1) _ سورة الشورى، الآية 19.

(2) _ سورة هود، الآية 6.

(3) _ سورة العنكبوت، الآية 60.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والكرامة والطمأنينة والحظوة عند الله عزوجل بتفويضك الأمر إليه، وصدق التوجه والتوكل.

قيلَ لإنسانٍ آخر: من أين تأكل؟ قال: من خزائن ملكٍ لا تدخلها اللصوص، ولا يأكلها السوس، خزائن الله عزوجل مفتوحة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْإِقْدَارِ مَعْلُومٍ﴾⁽¹⁾.

من الجهل بقوانين الله عزوجل أن يقول كثير من علماء الغرب الماديين وغيرهم: إن موارد الأرض تشح شيئاً فشيئاً، إن الأرض مهددة بمجاعة، ازدياد السكان ازدياد هندسي، «مالتوس» يقول: الانفجار السكاني سيوقع الناس بمجاعة كبيرة، هذه كلها كلمات من لا يعرف الله عزوجل، لأن كل تقشير أو تقليل في الرزق هو تقليل من نوع التأديب لا من نوع العجز، والإنسان وحده إذا قتر فعن عجز فيما بين يديه، أما الإله إذا قلل فلغاية التأديب فقط: «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَدَّ فِي الْأَرْضِ جَحِيمٌ مِمَّا يَبْدَأُ بِهِ إِنْ يُشَاءُ لَهُ إِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الْبَصِيرِ»⁽²⁾.

إن الله عزوجل خصّ الأغنياء بوجود الأرزاق وخصّ الفقراء بشهود «الرازق» فمن شهد «الرازق» ما ضره ما فاته من الأرزاق، من علامة المؤمن أنه إذا عرف الله ووصل إليه ما تألم على شيء فاته من الدنيا قط، إذا تألمت ألماً شديداً، وإذا احترق القلب حرقة لاذعة على شيء فأتك من الدنيا فهذه علامة على أنك لا تعرف الله، وأنتك ما وصلت إليه فلو وصلت إليه لما تألمت، ولما حزنت على شيء فأتك من الدنيا إطلاقاً أحياناً تجلس مع إنسان تُحسُّ قلبه يحترق ألماً وحسرة ونوما لأن هذه الأرض باعها ثم ارتفع ثمنها إلى مئة ضعف، إنه متألم ألماً شديداً لا حدود له، بل إن معظم الأمراض اليوم أمراض القلب والشرايين، وأمراض المعدة، وأمراض الأعصاب وأمراض الأوعية، هذه الأمراض أكثرها بسبب الآلام والندم، والحسرة والحرقة!!»⁽³⁾.

في سياق هذه الفقرة مجموعة من الصفات وردت كلها معرفة بأداة التعريف (أل) وهي: (الحبيبي)، (المميت)، (الخالق) و(الرازق)، و(المدير)، و(العليم) وكلها أوصاف ثابتة ماكنة أزلية في حق الله سبحانه جل ذكره.

وما يُهمنا هنا من هذه الأوصاف كلها هو وصف (الرازق) لجميع مخلوقاته كبيرها وصغيرها،

(1) _ سورة الحجر، الآية 21.

(2) _ سورة الشورى، الآية 27.

(3) _ بتصرف، مؤسوعة أسماء الله الحسنى، محمد راتب التابلسي، ج1، ص ص 282-284.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

شريفها وحقيرها. ووصف (الرازق) هذا خاص بالموصوف وحده وهو هنا الله جل وعلا، وهذا هو المعنى الذي جاءت أداة التعريف (أل) لتقويه، وتأكده وتحصره في المولى سبحانه وتعالى وهذا من أجل أن يتوجه الناس جميعا في شأن أرزاقهم ومعاشهم إليه وحده فيحصل لهم الاطمئنان النفسي وراحة البال، وقلة الانشغال بما تكفل الله به ليس للإنسان وحده فقط بل تكفل به لجميع مخلوقاته تحت الأرض وفوق الأرض ، وفي البرّ والجو وحيثما كان مستقرها ومستودعها كل مضمون في كتاب مبین، مقدر لها سلفا..

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثامنة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المعرفة بـ: (أل) هي: (...والآن.... لقد انكشف ميدان المعركة الخالدة)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (خلد):

إنَّ أول ما يطالعنا عند التعريف بمادة (خلد) في المعاجم اللغوية أن «الخلود: البقاء في دار لا يُخرج منها، والفعل: خَلَدَ يَخْلُدُ، وأخْلَدَ اللهُ أهل الجنة إخلادًا.

وَالخُلْدُ: اسم من أسماء الجنان، وأخلد فلان إلى كذا وكذا، أي: ركن إليه ورَضِي به، وقال الفراء، في قوله عز وجل: ﴿وَلَنَكْنَهُنَّ أَخْلَدًا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَهُنَّ﴾⁽²⁾، أي: ركن إليها وسكن⁽³⁾. وفي اللسان: «الخُلْدُ: دوام البقاء، خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْدًا وَخُلُودًا: بقي وأقام وَخَلَدَ بالمكان يَخْلُدُ خُلُودًا، وأخلد: أقام، وهو من ذلك قال زهير⁽⁴⁾.

لَمَنِ الْكِبَارُ غَشِيَهَا بِالْعَرَفِ كَالوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلَدِ⁽⁵⁾

الليث: ويقال للرجل إذا بقي بمواد رأسه وَلُوْحِيَتْهُ عَلَى الْكِبَرِ: إله كَمُخْلَدٌ».

وفي أساس البلاغة عن التعريف بهذه اللفظة: «خلد بالمكان وأخْلَدَ: أطل به الإقامة، وما بالدار إلا ضُمَّ خوالد وهي الأثافي، وخلد في السجن، وخلد في النعيم: بقي فيه أبداً، ومن المجاز: فلان مُخْلَدٌ: للذي أبطأ عنه الشيب، والذي لا تُسْقَطُ له سنٌ لإخلاده على حالته الأولى وثباته عليها»⁽⁶⁾.

وبعد هذا التعقّب المتفحص للتعريف بمادة (خلد) ومعانيها كما جاءت في المعاجم اللغوية تأكد لدينا أن دلالتها المركزية لا تخرج عن معنى الدوام والبقاء، والثبات والقيام والسكون.

وبالرجوع إلى لفظ (خلد) في ظل السياق النصي الذي وردت فيه نراها قد وضعت في هذه الصيغة «الخالدة» بزنة الفاعلة وهي في هذه الصورة وصف مصوع من مصدر الفعل الثلاثي اللازم

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 85.

(2) _ سورة الأعراف، الآية 176.

(3) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (خلد)، مج1، ص 1080.

(4) _ الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 45.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلد)، ج4، ص 171.

(6) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (خلد)، ج1، ص 245.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

(خَلَدَ يَخْلُدُ) المبني للمعلوم نحو قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾⁽¹⁾.

والصيغة في هذا البناء (الخالدة) هي في الحقيقة وتبعاً للقاعدة الأصلية اسم فاعل الذي يدل - في الأصل - على الحدوث والتغير لا على الثبوت والدوام، بيد أن القرينة اللفظية - هنا - في هذا السياق النصي هي التي جعلت صيغة (فاعل) التي هي - كما أسلفنا - اسم فاعل لا تدل على الحدوث والتجدد لأن صيغة اسم الفاعل هنا صريحة الدلالة على الثبوت والدوام، فهي دالة - في أصل وضعها - على وصف الاستمرار والتواصل والدوام والثبوت.

ومن هنا كانت الصيغة في معناها اللفظي الصريح صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في الماضي البعيد والحاضر والمستقبل الذي لا يعلم مداه إلا الله العليم الخبير، وليست الصيغة اسم فاعل، ولذلك كانت الكلمة الفصل هنا ليست للصيغة "الخالدة" في حد ذاتها وإنما كانت لدلالاتها ومعناها في أصل وضعها، وللسياق والمقام بغض النظر عن الأصل الذي يحكم مثل هذه الصيغ والقانون النحوي أو الصرفي الذي يقيدها ويضبطها.

وعلى المستوى الأسلوبي (النحوي) نلاحظ إن صيغة «الخالدة» قد وردت مقترنة بـ (أل) التعريف العهدية فهي إذا للعهد، أي: أنها تشير إلى معهود مخصوص معين معلوم متمثلاً في «المعركة» أي: «المعركة الخالدة»، وهي المعركة القديمة الدائمة بين الشيطان والإنسان، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾⁽³⁾، وقوله لآدم وحواء: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾⁽⁴⁾، كما أن (أل) التعريف تفيد القصر والتخصيص لأنها معركة خاصة متميزة متفردة تختلف اختلافاً جوهرياً عن المعارك المعهودة عند الناس نحو: معركة بين إنسان وإنسان، وقبيلة وقبيلة وبين دولة ودولة أو بين دول متحالفة، إنها معارك عارضة عابرة مؤقتة تنتهي في الجولة الأولى أو الثانية أو الثالثة، بيد أن المعركة بين الشيطان وآدم فهي «المعركة الخالدة»: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُمْ﴾⁽⁵⁾.

(1) _ سورة الشعراء، الآية 129.

(2) _ سورة يوسف، الآية 5.

(3) _ سورة الإسراء، الآية 53.

(4) _ سورة الأعراف، الآية 22.

(5) _ سورة الأنفال، الآية 48.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وقوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾⁽¹⁾، إضافة إلى (أن) التعريف في هذا السياق النصي أفادت التبيين والتوضيح وتقريب المعنى وإحضاره أمام ذهن وعين المخاطب والسامع وأزالت عنه الإبهام الذي حافا كان محتفا به قبل أن تقترن بالاسم وهو نكرة عامة غامضة

وإذا انتقلنا إلى مستوى السياق الخارجي للنص نرى القرآن الكريم يبين لنا أكثر قدم هذه المعركة «الخالدة» بين الشيطان والإنسان ودوامها واستمرارها إلى أمد لا يعلمه إلا الله فنجد القرآن يقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾⁽²⁾ يقول الطبري في تفسيره: «يقول: إن الشيطان كان لآدم وذريته عدوًّا، قد أبان لهم عدواته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجته من الجنة»⁽³⁾.

وقوله سبحانه وتعالى على لسان الشيطان اللعين: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِذْ لَاقِيَا﴾⁽⁴⁾.

«عطف على جملة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾⁽⁵⁾، أي: واذكر إذ قلنا للملائكة، والمقصود من هذا تذكير النبي ﷺ بما لقي الأنبياء قبله من معاندة الأعداء والحسدة من عهد آدم حين حسده إبليس على فضله، وأنهم لا يعدمون مع ذلك معترفين بفضلهم وهم خيرة زمانهم كما كانت الملائكة نحو آدم عليه السلام، وأن كلا الفريقين في كل عصر يمتُّ إلى أحد الفريقين الذي في عهد آدم فلفريق الملائكة المؤمنون وفريق الشيطان الكافرون.

وجملة: «قال أرايتك...» بدل اشتمال من جملة: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾⁽⁶⁾، باعتبار ما تشتمل عليه من احتقار آدم وتغليب الإرادة من تفضيله، فقد أعيد إنكار التفضيل بقوله: «أرايتك» عن جملة: «قال أسجد» كما وقع في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾⁽⁷⁾.

(1) _ سورة البقرة، الآية 268.

(2) _ سورة الإسراء، الآية 53.

(3) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج 7، ص 5191.

(4) _ سورة الإسراء، الآية 62.

(5) _ سورة الإسراء، الآية 60.

(6) _ سورة الإسراء، الآية 61.

(7) _ سورة طه، الآية 120.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

و«أرأيتك» تركيب يُفتتحُ بها الكلام الذي يُرادُ تحقيقه والاهتمام به...»⁽¹⁾.

«... ومعناه: أخبرني عمار رأيتَ، وهو مركّب من همزة استفهام، «رأى» التي بمعنى علم وتاء المخاطب المفرد المرفوع، ثم يُزاد على ضمير الخطاب كاف خطاب تشبه ضمير الخطاب المنصوب بحسب المخاطب واحداً أو متعدداً يقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾⁽²⁾، في سورة الأنعام، وهذه الكاف عند البصريين تأكيد لمعنى الخطاب الذي تفيد تاء الخطاب التي في محل رفع، وهو يشبه التوكيد اللفظي، وقال الفراء: الكاف ضمير نصب، والتركيب: أرأيت نفسك، وهذا أقرب للاستعمال، ويُسوَّغُه أن أفعال الظن والعلم قد تنصب على المفعولية ما هو ضمير فاعلها نحو قول طرفة:

فمالي أراني وأبن عمي مالكا متى أذن منه ينأ عني ويعد⁽³⁾.

أي: أرى نفسي.

واسم الإشارة مستعمل في التحقير، كقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾⁽⁴⁾، والمعنى: أخبرني عن نيتك هذا الذي كرمته عليّ بلا وجه وجملة: «لئن أخرتني إلى يوم القيامة» إلخ مستأنفة استئنافية ابتدائية، وهي جملة قسمية واللام موطئة للقسم المحذوف مع الشرط، والخبر مستعمل في الدعاء فهو في معنى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽⁵⁾.

وهذا الكلام صدر من إبليس إغراباً عما في ضميره، وإنما شرط التأخير إلى يوم القيامة ليُعمّ بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم فلا يكون جيل آمناً من إغوائه وهي المعركة «الخالدة» الطويلة الأمد. وصدر ذلك من إبليس عن وجدان أُلقي في نفسه صادف مراد الله منه فإن الله لما خلقه قدر له أن يكون عنصر إغواء إلى يوم القيامة وأنه يعوي كثيرا من البشر ويسلم منه قليل منهم.

وإنما اقتصر على إغواء ذرية آدم ولم يذكر إغواء آدم وهو أولى بالذكر، إذ آدم هو أصل

(1) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج15، ص150.

(2) _ سورة الأنعام، الآية 40.

(3) _ الشاهد: من الطويل، للشاعر: طرفة بن العبد، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة-بيروت-لبنان، ط2، سنة 2006م، ص35.

(4) _ سورة الأنبياء، الآية 36.

(5) _ سورة الحجر، الآية 36.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ النَّاشِئَةُ عَنِ الْحَسَدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ، إِمَّا لِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَالَهُ بَعْدَ أَنْ أُغْوِيَ آدَمُ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَدْ شُفِيَ غَلِيلُهُ مِنْهُ وَبَقِيَتْ الْعَدَاوَةُ مُسْتَرْسَلَةً فِي ذُرِّيَةِ آدَمَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (1)، (2).

في هذه العبارة تفيد دلالة صيغة الخالدة في أصل وضعها اللغوي معنى الدوام، والاستمرار والبقاء، إضافة إلى المعنى العام الذي يستفاد من السياق العام للنص المتمثل في الصراع الدائب المستمر وتزيين الشيطان أفعال الشر كلها لبني آدم وترصده الدائم لهم عند صراط الله المستقيم ليصدّهم ويعدّهم عنه.

(1) _سورة فاطر، الآية 6.

(2) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج15، ص ص 150-151.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة التاسعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) معرفة بـ(أل) هي: (وأن يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت الذي لا يتأرجح مع الرضى والغضب...»⁽¹⁾.

المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (ثبت):

ومما انتقينا من معاني لفظ (ثبت) في المعاجم اللغوية الموثقة قوله (ثبت الشيء ثباتاً وثبوتاً، وأثبتته غيره وثبته بمعنى، ورجل ثبت، أي: ثابت القلب، وتقول: لا أحكم بكذا إلا بثبت، أي: بحجة، والثببت، أي: الثابت العقل، قال طرفة

والهبيبت⁽²⁾. لا فؤاد له والثببت قلبه قيمه⁽³⁾.

تقول منه: ثببت، بالضم، أي صار ثببتاً⁽⁴⁾.

«ثببت في الأمر والرأي، واستثبت: تأنى فيه ولم يعجل واستثبت في أمره: إذا شاور وفحص عنه، قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁵⁾. قال الزجاج: أي: ينفقونها مقرين بأنها مما يثيب الله عليها⁽⁶⁾.

«ومن المجاز: أثبتوه: حبسوه، وضربوه حتى أثبتوه، أي: أثنوه وأثبتته الجراحات وأثبتته السقم إذا لم يقدر على الحراك⁽⁷⁾».

حين تبتعنا لمادة (ثبت) في المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأصلية هي: ثبات القلب، وثبات العقل، فيها معاني: التأي والتريث والقدرة على إقامة الحجة وإيضاحها.

وإذا ما انتقلنا بأنظارنا تجاه لفظ (ثبت) كما وردت في النص نجد أنها قد وضعت في هذه الصيغة «الثابت» بزنة الفاعل وهي أي: الصيغة على هذه الهيئة وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم (ثبت يثبت) نحو: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 89.

(2) _ الهبيبت: الجبان الذاهب العقل، الجوهري، الصحاح، مادة (هبت)، ص 1084.

(3) _ الشاهد: من البحر المديد، للشاعر طرفة بن العبد، الديوان، ص 81.

(4) _ الجوهري، الصحاح، مادة، (ثبت)، ص 135.

(5) _ سورة البقرة، الآية 265.

(6) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثبت)، ج 2، ص 79.

(7) _ الزمخشري، أساس البلاغة، ج 1، ص 88-89.

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿١﴾ (1).

والصيغة في هذه الصورة (الثابت) هي في واقع الأمر ووفقا للقاعدة الصرفية الأصلية اسم فاعل الذي يدل - في أصله- على الحدوث والتجدد والتغير لا على الثبوت والدوام والملازمة، بيد أن القرينة اللفظية-هنا- في هذا السياق النصي هي التي جعلت صيغة (فاعل) التي هي -في الأصل- اسم فاعل لا تدل على الحدوث والتجدد لأن صيغة اسم الفاعل هنا جاءت صريحة الدلالة على الثبوت والدوام والاستقرار الثابت، والاستمرار الأزلي الأبدى.

ولذلك كانت صيغة (الثابت) في معناها ودلالاتها اللفظية الصريحة صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في الماضي السحيق الغابر والحاضر والاستقبال الذي لا يعلم مدها إلا الله العليم الخبير وليست الصيغة « اسم فاعل » المعهود المعلوم، ولذا كانت الكلمة الفصل هنا ليست للصيغة «الثابت» في حد ذاتها وإنما كانت لدلالاتها ومعناها في أصل وضعها اللغوي، وللسياق والمقام كذلك، بغض النظر عن الأصل الذي يحكم مثل هذه الصيغ ولا القاعدة النحوية أو الصرفية التي تُفِيدها وتضبطها.

وعلى المستوى التركيبي، أي: الأسلوبي، نلمح أن صيغة « الثابت » قد وردت مقترنة بـ (أل) التعريف العهدية فهي إذا جاءت للعهد، أي: أنها تُلَمَّحُ إلى معهود مخصوص معين معلوم ممثلا في «الميزان»، أي: « الميزان الثابت » الذي لا يتحوّل ولا يتغير ولا يتبدّل، ولا يضطرب ولا يختل ولا يغش كسائر الموازين البشرية التي تتحوّل وتتبدّل، وتضطرب وتغش يقول الله تعالى في شأن هذه الموازين البشرية المتغيرة المغشوشة مهّدا أصحابها الذين ما انفكوا يغشون ويدلسون ويخدعون: وَيَلُّمُّ الْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُحْسِرُونَ ﴿٣﴾ (2).

وبحبيصة الثبات يتميز «الميزان الثابت» المستقر المطمئن، ويتفرد من غيره من الموازين المعتلة المضطربة المتلونة المتبدلة التي لا تستقر على حال، ولا تثبت على مبدأ، ولا تملك تصورا شاملا كاملا مُطمئنا، الأمر الذي ينتج عنه بلبلة واضطراب، وفوضى عارمة في الكون كله بما في ذلك: الوجود، والإنسان، والحياة ويختلط بذلك الحابل بالنابل، فيهبط العالي الثقيل في الموازين، ويعلو السافل الخفيف في الموازين، فالدنيا تصير مرتع ظليم والآخرة مُستقر العدل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ،

(1) - سورة إبراهيم، الآية 27.

(2) - سورة المطففين، الآيات 1-3.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

﴿ ٦ ﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ ٧ ﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿ ٨ ﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿ ٩ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿ ١٠ ﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿ ١١ ﴾ ﴿⁽¹⁾، هذا يقع يوم يقف الناس أمام رب العالمين للحساب والجزاء، يوم يعدل الله عزوجل بين العباد بالميزان « الثابت».

ونحب أن نلفت النظر إلى الحديث عن الميزان الحق، الميزان « الثابت» حديث طويل شائق غير مملول، متشعب واسع عميق لا يمكن أن نفيَ بغرضه، ولا تقوم بحقه هذه الوريقات الزهيدة والكلمات الضئيلة الهزيلة خاصة وأن العلمانية واللائكية المادية وكذلك الفلسفة الوضعية ممثلة في الإلحاد بقيادة كارل ماركس وأوجيست كونت ودوركايم وفرويد عملت قصارى جهدها لرحضة وزعزعة هذا الميزان «الثابت» ميزان الكون والحياة والإنسان: ﴿ أَلَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾⁽²⁾، ويقول كذلك المولى عزوجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿ ٧ ﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿ ٨ ﴾ ﴾⁽³⁾.

وقوله عزوجل: ﴿ يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾⁽⁴⁾.

«فالمرونة- القابلة للتشكل الدائم- أغرت التفسير المادي للتاريخ ممثلا في اليهودي كارل ماركس أن يظن أنه لا يوجد « كيان» « ثابت» للإنسان، وأنه ليس لهذا الكيان كلمة ذاتية في الموضوع ! عليه-فقط أن يتلقى المؤثرات المادية الغريزية فيستجيب لها!»⁽⁵⁾.

جاء في سياق هذه العبارة قوله: (وقد يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت...) والذي يُهمنا في الختام هو اسم الإشارة، ذلك المشار به إلى البعيد، فهو يفيد هنا التفخيم والتعظيم، وعلو المكانة والشأن. وليس عجيبا أن يكون لميزان الله الثابت المستقر الذي لا يتأرجح، ولا يضرب هذا المعنى الجليل الفخم فهو القسطاس المستقيم الذي لا تفلت من قبضته، ودقته، ورصده حبة الغبار التي تتراءى لنا في ضوء الشمس طائفة في الهواء، من خير أو شر..، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين..

(1) _ سورة القارعة، الآيات 6-11.

(2) _ سورة الشورى، الآية 17.

(3) _ سورة الرحمن، الآية 7.

(4) _ سورة الصف، الآية 8.

(5) _ بتصرف، محمد قطب، التطور والنبات في حياة البشر، دار الشروق -بيروت-لبنان، ط4، سنة 1980م، ص 84.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

-صيغة (فَاعِل) المعرفة بالإضافة

صيغة (فَاعِل) المعرفة بالإضافة قد روت في المدونة في كم قليل معدود، حيث بلغ مجموع هذه الصيغة أربع عشرة صيغة، وأخضعنا منها للتمثيل والتحليل تسع صيغ، كما هي مبينة في الجدول البياني الآتي:

-جدول بياني لصيغة (فَاعِل) المعرفة بالإضافة الدالة على الصفة المشبهة باسم الفاعل الواردة في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول

صيغة «اسم الفاعل المضاف» الدال بقريظة على الصفة المشبهة باسم الفاعل.

العبارة التي وردت فيها الصيغة	الصفحة	السطر	الصيغة كما وردت في النص	رقم الصيغة
ولكنّه يَمْضِي في طريقة تَابَت الخَطْو، مُطْمَئِنّ الصَّمِير، واثقا من نصر الله، مُتَعَلِّقا بالرجاء فيه	12	13	مُطْمَئِن الصَّمِير	-1
... التَّنَوُّع في الأنواع والأجناس، والتنوع في الأشكال والسّمات، والتنوع في المزيّا والصفات... وكله مرّدّه إلى الخلية الواحدة المتشابهة التكوين.	49	30	المتشابهة التكوين	-2
... وإفراذُ المنعم بالعبادة اعترافاً بالجميل.	54	19	وإفراذ المنعم	-3
.... ويزيغ أناسٌ فيزعمون أنّ هناك خلقا للحوادث أو تصرفا، يُفصد به إلى مجرد الفن- بمعنى التزيق الذي لا يتقيّد بواقع- ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مستقيم الفطرة هو أن المناسبة الموضوعية هي التي تُحدّد القدر الذي يُعرض من القصة	55	15	وهو مستقيم الفطرة	-4

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

في كل موضع.				
...، باعتبار أنهم، أي: اليهود، أمة واحدة متضامنة الأجيال متحدة الجبهة.	19	64	مُتَّصِمُهُ الأجيال	-5
...، وكذلك يجد المتدبر للقرآن في التوصية الذي قُصد به بنو إسرائيل أول مرة، توجيهها دائما مستمر الإيحاء للجميع.	23	69	مُسْتَمِرُّ الإيحاء	-6
...، فالتعديل الجزئي وَفْق مُقْتَضِيَاتِ الأحوال- في فترة الرسالة- هو لصالح البشرية، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها والله خالق كل الناس... هو الذي قَدَّر هذا، فإذا نَسَخَ آيَةً أَلْقَاهَا فِي عَالَمِ النَّسِيَانِ.	07	102	والله خالق كل الناس	-7
...، فالتعديل الجزئي وَفْق مُقْتَضِيَاتِ الأحوال- في فترة الرسالة- هو لصالح البشرية، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها، والله خالق كل الناس ومُرْسِلُ الرُّسُلِ... هو الذي يَقَدِّرُ هذا، فإذا نَسَخَ آيَةً أَلْقَاهَا فِي عَالَمِ النَّسِيَانِ.	07	102	وَمُرْسِلُ الرُّسُلِ	-8
...، والله خالق كل الناس، ومُرْسِلُ الرُّسُلِ، ومُتَزَّلُ الآيَاتِ.	07	102	وَمُتَزَّلُ الآيَاتِ	-9

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة اسم (فَاعِل) المضاف هي: (...، ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطوي، مُطْمَئِنِّ الضَّمِير، واثقاً من نَصْرِ اللَّهِ، مُتَعَلِّقاً بالرجاء فيه»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (طمئن):

إنَّ أوَّل ما يطالعنا عند التعريف بمادة (طمئن) في الكتب اللغوية الشهيرة الموثقة: «اطمأن قلبه إذا سكن، واطمأنت نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾⁽²⁾، أي: ليسكن إلى المعاينة بعد الإيمان بالغيب، والاسم: الطُمَأْنِينَةُ»⁽³⁾.

وَجاء عن التعريف بمادة (طمئن) قوله: «ومن المجاز: في فلان وقار وطمأنينة وتطمأنن، واطمأن إليه: سَكَنَ ووَثِقَ به، واطمأن ربه القرار، واطمأن جالساً»⁽⁴⁾.

ومما عثرنا عليه في اللسان من مدلولات لفظ (طمئن) خادماً لغرضنا قوله: طَمَّنَ الشيء: سَكَّنَهُ، والطمأنينة السكوت، واطمأن الرجل اطمئناناً وطمأنينة، أي: سكن واطمأنت الأرض وتطمأنت: انخفضت، ويقال: طَمَّنَ ظَهْرَهُ إذا حنى ظهره بغير همز لأن الهمزة التي في اطمأن أُدْخِلَتْ فيها حِذَارُ الجَمْعِ بَيْنَ السَّاكِنِينَ»⁽⁵⁾.

ومن خلال هذا التعقب المفيد المختصر في مادة (طمئن) اتضح لنا أن دلالتها الأصلية الأساسية تدور حول معنى السكون والاستقرار، والهدوء والارتياح المادي والأدبي معا.

وإذا انتقلنا إلى لفظ (طمئن)، وتأملنا في صورة ورودها في النص، وكذلك أنعمنا النظر في الدلالات التي تستوعبها في سياق النص نراها قد وَضَعَتْ في هذه الصيغة «مُطْمَئِنِّ» بزنة مُفْتَعِلٍ وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الخماسي المزيد بحرفين اللازم المتصرف المبني للمعلوم: اطمأن يطمئن طُمَأْنِينَةً واطمئناناً نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾⁽⁶⁾.

فصيغة «مُطْمَئِنِّ» في النص صفة مشبهة من المزيد، على وزن «مُفْتَعِلٍ» بكسر العين، وهو في الأصل اسم فاعل، فلما أريد به الثبوت والدوام أضيف إلى الاسم الذي هو هنا كلمة «الضمير»

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص12.

(2) _ سورة البقرة، الآية 260.

(3) _ أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (طمئن)، مج3، ص220.

(4) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (طمئن)، ج2، ص81.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (طمئن)، ج8، ص204.

(6) _ سورة النساء، الآية 103.

الفصل الثاني..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

فصار صفة مشبهة دالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار لأن إضافة اسم الفاعل إلى فاعله - كما جاء عند جمهور النحاة - تخرجه - حتما من باب من غير تغيير في صورته التي هو عليها عند إضافته لفاعله، وتدخله في باب «الصفة المشبهة» فتسري عليه كل أحكامها المعروضة في بابها»⁽¹⁾.

وأما على المستوى الأسلوبي فنلاحظ أن صيغة «مطمئن» جاءت مفردا مذكرا معرفا بالإضافة، والتعريف بالإضافة كالتعريف بـ (أل) قد يكون للعهد، وقد يكون للجنس، فمن تعريف العهد قوله تعالى: ﴿لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾، فهذا كله من تعريف العهد لأنه يدل على واحد بعينه، ومن تعريف الجنس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيَبْتَئُنَّ آذَانَ الْعَنَعِ﴾⁽⁶⁾.

ومثله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁽⁷⁾، فكل هذا من تعريف الجنس لأنه لا يراد به واحد بعينه بل هو لعموم الجنس»⁽⁸⁾.

ومن هنا فإن (أل) قد وردت للعهد بدليل الضمير في لفظي «لكنه» و«طريقه» الذي يشير في كل منهما إلى واحد بعينه، أي شخص بعينه، وعليه فهي تدل على معهود أو موصوف مخصوص معلوم معين يتصف بهذا الوصف ممثلا في شخص المؤمن الساكن القلب، المرتاح البال، الوثاق من نصر الله في العاجل والآجل، المعلق الرجاء فيه.

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص نفضل أن تتحاور مع النص من خلال دلالة «الطمأنينة» النفسية وسكون القلب، وهذا من خلال القرآن الكريم والعلماء الربانيين العارفين بقدر الله عزوجل، فـ«الطمأنينة» سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: «

(1) _ عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

(2) _ سورة النساء، الآية 84.

(3) _ سورة البقرة، الآية 258.

(4) _ سورة التوبة، الآية 61.

(5) _ سورة النساء، الآية 10.

(6) _ سورة النساء، الآية 119.

(7) _ سورة النساء، الآية 76.

(8) _ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ج3، ص 107.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»⁽¹⁾، أي: الصدق يُطمئنُ إليه قلب السامع، ويجد عنده سكونا إليه والكذب يوجب له اضطراباً وارتياباً، ومنه قوله ﷺ: «البرُّ ما اطمأنَّ إليه القلب»⁽²⁾، أي: سكن وزال عنه اضطرابه...

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾^(٢٨)، دليل على أنها لا ترجع إليه إلا إذا كانت «مطمئنة» فهناك ترجع إليه، وتدخّل في عبادته، وتدخّل جنته، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم هب لي نفساً «مطمئنة» إليك.

قال صاحب المنال: «الطمأنينة سُكون يقويه أمنٌ صحيح، شبيه بالعيان، وبينها وبين السكينة فرقان، أحدهما: أن «السكينة» صولة تورث خمود الهيبة أحياناً، و«الطمأنينة» سُكون أمن في استراحة أنس والثاني: أن «السكينة» تكون نعتاً، وتكون حيناً بعد حين، و«الطمأنينة» لا تفارق صاحبها، «الطمأنينة» موجب السكينة... وأثر من آثارها، وكأنها نهاية السكينة.

فقوله: «سكون يقويه أمن»، أي: سُكون القلب مع قوة الأمن الصحيح الذي لا يكون أمن غرور، فإن القلب قد يسكن إلى أمن الغرور، ولكن لا يطمئن به لمفارقة ذلك السكون له، و«الطمأنينة» لا تفارقه، فإنها مأخوذة من الإقامة، يقال: اطمأن بالمكان والمترلة: إذا أقام به.

وسبب صحة هذا الأمن المقوي للسكون: شبيهه بالعيان بحيث لا يبقى معه شيء من مجوزات الظنون والأوهام، بل كان صاحبه يُعاین ما يطمئن به، فيأمن به اضطراب قلبه وقلقه وارتيابه»⁽⁴⁾.

إن السياق العام لهذه العبارة كله يوحي بحالة الثبات والسكون والاستقرار بدءاً من الجملة الاسمية التي تبتدئ بها الفقرة والتي تدل هي الأخرى على الثبوت والدوام هكذا (ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو...) إلى الفعل الماضي (يمضي في طريقه) الذي يوحي هو الآخر بإتيان الفعل الحركي بطريقة دائبة نشيطة مستمرة لا يبالي بالمشاق والابتلاءات التي تعترض سبيله.

(1) _ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، ص 629.

(2) _ المصدر نفسه، ص 601.

(3) _ سورة الفجر، الآيتان، 27، 28.

(4) _ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2، ص ص 186-187.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة اسم (فَاعِل) المضاف هي: «التنوع في الأنواع والأجناس، والتنوع في الأشكال والسمات والتنوع في المزايا والصفات... وكله... كله مرده إلى الخلية الواحدة المتشابهة التكوين»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (شبه):

يقول الجوهري في معنى هذه اللفظة: «شَبَّهَ وشَبَّهه، لغتان بمعنى، أي: بمعنى واحد، يقال: هذا شَبَّهُهُ، أي: شَبَّهَهُ... والشَّبَّهَةُ: الالتباس، والمشتبهات من الأمور: المشكلات... والمتشابهات: المتماثلات، وتَشَبَّهه فُلانٌ بِكَذَا، والتشبيبه: التمثيل، وأشَبَّهت فلانًا وشابهته»⁽²⁾.

وجاء في أساس البلاغة من معاني هذه اللفظة قوله: «مَا لَهُ شَبَّهٌ وشَبَّهٌ وشَبَّهٌ، وفيه شبهة، وقد أشبهه أباه، وشابهه، وما أشبهه بأبيه...، وتشابه الشيطان واشتبهها، وشبهته به وشبهته إياه، واشتبهت الأمور وتشابَهت: التبست لإشباها بعضها ببعض»⁽³⁾.

ومما ورد في اللسان عن معاني اللفظة السالفة ذكرها: «الشَّبَّهُ والشَّبَّه والشَّبَّه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء مآثله، وفي المثل: مَنْ أَشَبَّهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ... وتشابه الشيطان واشتبهها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وفي التزليل: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾⁽⁴⁾، قيل: معناه يُشَبِّه بعضها بعضا»⁽⁵⁾.

على ضوء الشروح السابقة للفظ (شبه) لدى علماء اللغة والمعجم العربية الأصيلة يمكن أن نستنتج أن معنى الشبه هو المثل، والتشابه هو التماثل والتناظر، وهو أيضا الالتباس والإشكال، والمتشابه ضد المحكم، وهو كما قال الطاهر ابن عاشور: «والمتشابهات مقابل المحكمات، فهي التي دلت على معاني تشابهت في أن يكون كل منها هو المراد، ومعنى تشابهها: أنها تشابهت في صحة القصد إليها، أي: لم يكن بعضها أرجح من بعضها، أو يكون معناها-أي: الآيات القرآنية- صادقا بصورة كثيرة متناقضة أو غير مناسبة لأن تكون مرادا، فلا تبين العرض منها»⁽⁶⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 49.

(2) _ الجوهري، الصحاح، مادة (شبه)، ص 533.

(3) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (شبه)، ج 1، ص 477.

(4) _ سورة آل عمران، الآية 7.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبه)، ج 7، ص 23.

(6) _ الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ج 3، ص 155.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يبدو من خلال هذا العرض السريع الموجز أن معنى الشبه والاشتباه والتشابه واحد، أو متقارب الدلالة ومشارك، بصورة دقيقة جدا بحيث يصعب على الباحث والدارس استخلاص الفروق اللطيفة الخفية بين معاني هذه الألفاظ المختلفة الأبنية والهيئات.

وبالعودة إلى النص والتأمل في تركيب: « المتشابهة التكوين » نلاحظ أنه من التركيب الذي يُدعى بالتركيب الإضافي متكون من جزأين فالجزء الأول منه هو صيغة الوصف: « المتشابهة » وهو المضاف، والجزء الثاني هو اسم: « التكوين » وهو المضاف إليه المحرور لفظا، المرفوع في المعنى فاعل الوصف.

وهذا النوع من التركيب أيضا هو من نوع الإضافة غير المحضة، يقول الشاطبي في شرحه لألفية ابن مالك: « وأما القسم الثاني من قسمي الإضافة فهو الذي قال فيه، أي: ابن مالك من الرجز:

وَإِنْ يُشَابِهِ الْمُضَافُ يَفْعَلُ وَصَفًا فَعَنْ تَنْكِيرِهِ لَا يُعْدَلُ
كَرْبٌ رَاجِيْنَا عَظِيمُ الْأَمَلِ مُرَوِّعُ الْقَلْبِ قَلِيلُ الْحِيلِ⁽¹⁾.

يعني أن المضاف إن كان شبيها بالفعل المُوازن لِيَفْعَلُ، وهو المضارع، ووَاقِعًا مَوْقَعَهُ، وهو وصف من الأوصاف، فإن الإضافة لا تؤثر فيه تعريفاً ولا تخصيصاً، بل يبقى على ما كان عليه من التنكير قبل الإضافة.

وَمِنْ هَذَا نَخْلُصُ إِلَى النَّتِيجَةِ أَنَّهُ جَعَلَ مَا إِضَافَتَهُ غَيْرَ مُحَضَّةٍ مَحْضُورٍ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ وَهِيَ الَّتِي أَتَى بِأَمْثَلَتِهَا فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ: اسْمُ الْفَاعِلِ: « رَاجِيْنَا »، وَاسْمُ الْمَفْعُولِ: « مُرَوِّعُ الْقَلْبِ »، وَالصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ: « عَظِيمُ الْأَمَلِ »، وَأَهْمَلُ أَشْيَاءَ أُخْرَى مِنْهَا: أَمْثَلَةُ الْمُبَالَغَةِ، وَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ، وَإِضَافَةُ الْاسْمِ إِلَى الصِّفَةِ نَحْوُ: مَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَصَلَاةِ الْوَلِيِّ وَغَيْرِهَا⁽²⁾.

وعلى ضوء ما سبق يمكن الإشارة إلى الصيغة التي اشتمل عليها المركب الإضافي « المتشابهة التكوين » فهذا البناء « المتشابهة » هو في واقع الأمر اسم فاعل بزنة « المتفاعلة » نحو: المتقاتلة، المتماثلة، المتصارعة، المتشاكلة، المتنافسة: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُنْفَسُونَ ﴾⁽³⁾.

(1) _ بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج3، ص 44.

(2) _ الشاطبي، شرح الشاطبي لألفية ابن مالك، تحقيق: محمد السيد عثمان، ج3، ص 499-500.

(3) _ سورة المطففين، الآية 26.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يبد أن بناء اسم الفاعل هذا «المتشابهة كما جاء ضمن التركيب الإضافي انتقل إلى الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار وصار يخضع لأحكام الصفة المشبهة وإعراها مع احتفاظه بصورته الأولى الأصلية طبقاً للقاعدة الواردة في بيتي ابن مالك السابقين.

« والواقع أن المقصود من الكلام هو الركن الأول من الإضافة، ولكن لأنه لما لم يُخصَّ أو لم يُعرَّف احتيج إلى شيء من ذلك يتقيد به، ويُحدده، فكانت إضافته إلى ما يقيدُه أو يُنسب إليه، فيُحدّد جانباً من أبعاده الدلالية»⁽¹⁾.

وهذا يعني أنه لما كان هذا البناء نكرة: «متشابهة» كان معناه عاما شائعا غامضاً غير مقيد لا مُحدّد يصدق على أفراد كثيرة غير قابلة للعدّ والحصر، ولما أُضيف إلى اسم آخر: «التكوين» وصار مركباً إضافياً: «المتشابهة التكوين» صارت دلالته مقيدة محصورة في معنى معين محدّد معلوم، وأفادت بذلك التعريف والتخصيص والتوضيح في الوقت ذاته وحصل المراد من الكلام.

وإذا ما تحولنا إلى مستوى سياق النص الخارجي مركزين الحديث حول التركيب الإضافي في جملة: «المتشابهة التكوين» الذي جاء ليكشف عن بعض جوانب مضمون قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾.

قوله: «كلما رزقوا منها» يتناول جميع المرات فيتناول المرة الأولى فلهم في المرة الأولى من أرزاق الجنة شيء لا بدو أن يقولوا هذا الذي رزقنا من قبل، ولا يكون قبل المرة الأولى شيء من أرزاق الجنة حتى يُشبه ذلك به فوجب حمله على أرزاق الدنيا، القول الثاني: أن المُشبه به رزق الجنة أيضاً والمراد تشابه أرزاقهم ثم اختلفوا فيما حصلت «المشابهة فيه» على وجهين: الأول: المراد تساوي ثوابهم في كل الأوقات في القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص، الثاني: المراد «تشابهها» في المنظر فيكون الثاني كأنه الأول على ما روي عن الحسن ثم هؤلاء مختلفون فمنهم من يقول «الاشتباه» كما يقع في المنظر يقع في الطعام، فإن الرجل إذا ألتذ بشيء وأعجب به لا تتعلق به نفسه إلا بمثله، فإذا جاء ما يشبه الأول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة ومنهم من يقول إنّه وإن حصل «الاشتباه» في اللون لكنها تكون مختلفة في الطعام، قال الحسن يُؤتي أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يُؤتي

(1) _ إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، سنة 2007م، ج4، ص 291.

(2) _ سورة البقرة، الآية 25.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

بالأخرى فيقول هذا الذي أوتينا به من قبل، فيقول الملك: كُلُّ فاللون وَاحِدٌ والطَّعْمُ مُخْتَلَفٌ... أما قوله: « وَأوتوا به مُتَشَابِهًا ».

ففيه سؤالان: السؤال الأول: إلامَ يَرجع الضمير في قوله: « وَأوتوا به »؟ الجواب: إن قلنا المشبه به هو رزق الدنيا فإلى الشيء المرزوق في الدنيا والآخرة يَعني أوتوا بذلك النوع « مُتَشَابِهًا » يُشبهه الحاصل منه في الآخرة ما كان حاصلاً منه في الدنيا، وإن قلنا المشبه به هو رزق الجنة أيضاً، فإلى الشيء المرزوق في الجنة، يَعني أوتوا بذلك النوع في الجنة بحيث يُشبهه بعضه بعضاً: السؤال الثاني: كيف مَوْقع قوله: « وَأوتوا به مُتَشَابِهًا » من نَظْمِ الكلام؟ والجواب: أن الله تعالى لما حكى عن أهل الجنة إِدْعَاءَ «تَشَابُه» الأرزاق في قوله: «قَالُوا هذا الذي رُزِقْنَا من قَبْلُ» فالله تعالى صَدَّقَهُم في تلك الدعوة بقوله: « وَأوتوا به مُتَشَابِهًا »⁽¹⁾.

إذا عزلنا لفظة (المتشابهة) وهي هنا المضاف عن لفظة (التكوين)، وهي المضاف إليه يظل المعنى غامضاً لأن المتلقي يتساءل من أول وهلة في أي شيء كان هذا التشابه؟ وما جنسه؟ وما شكله؟ وما وجهه؟ وما سماته؟ وعندما نضيف كلمة (التكوين) وتقول: (متشابهة التكوين) نكون قد أزلنا بذلك كثيراً من الغموض والالتباسي، وبذلك يدخل معنى الجملة في ثبوت شيء لشيء آخر، وهو ثبوت التشابه في تكون الخلية من عناصر وأجزاء معينة كشف عنها العلم الحديث...

⁽¹⁾ _ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مُج 1، ص ص 129-130.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة اسم (فَاعِل) المضاف هي: (وَإِفْرَادُ الْمُنْعَمِ بِالْعِبَادَةِ

اعترافاً بالجميل) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (نعم):

إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَكَشَفُ لَنَا عِنْدَ التَّعْرِيفِ بِمَادَّةِ (نعم) فِي الْمَعَامِجِ اللَّغَوِيَّةِ الشَّهِيرَةِ الْحِكْمَةُ أَنَّ: «نعم يَنْعَمُ نِعْمَةً فَهُوَ نِعَمٌ: بَيْنَ الْمُنْعَمِ، وَنِعْمَةِ الْعَيْشِ: حُسْنُهُ وَغَضَارَتُهُ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ: مَنَّةٌ وَعَطَاؤُهُ، بِكَسْرِ النُّونِ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (2)، وَيُقَالُ: جَارِيَةٌ مُنْعَمَةٌ وَمَنَاعِمَةٌ، أَي: مَتْرَفَةٌ وَنَاعِمٌ حَبْلُكَ وَغَيْرُهُ، أَي: أَحْكَمُهُ، وَالتَّعِيمُ: مَوْضِعٌ بِقَرْبِ مَكَّةَ» (3).

وفي أساس البلاغة في التعريف بهذه المادة ذاتها يقول: ومن المجاز: «خَفَّتْ نِعَامَتُهُمْ»: ذَهَبُوا،

قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ:

إِذَا اخْتَرْتُ أَرْضًا لِلْمُقَامِ رَضِيْتُهَا لِنَفْسِي وَلَمْ يَثْقُلْ عَلَيَّ مُقَامُهَا

ضَرَبْتُ لَهَا جَأْشًا فَقَرَّتْ نِعَامَتِي إِذَا اخْفَ مِنْهَا بِالرِّجَالِ نِعَامُهَا (4).

ويقال للطَّوَالِ: يَا طِلَّ النَّعَامَةَ (5).

ومما ورد في اللسان عن التعريف بمادة (نعم) قوله: «التَّعِيمُ وَالتُّعْمَى وَالتَّعْمَاءُ وَالتَّعْمَةُ كُلُّهُ:

الْحَفْضُ وَالدَّعَةُ وَالمَالُ، وَهُوَ ضِدُّ البَأْسَاءِ وَالبُؤْسَى، وَالتُّعْمُ، بِالضَّمِّ: خِلَافُ البُؤْسِ، وَتُعْمُ الشَّيْءُ نُعُومَةً، أَي: صَارَ نَاعِمًا لَيْنًا، وَالتَّعْمَةُ: الْيَدُ الْبَيْضَاءُ الصَّالِحَةُ وَالصَّنِيعَةُ وَالمِنَّةُ، وَنَعْمُ الْعُودِ: اخْتَضَرَّ وَنَضَرَ، وَيُقَالُ: أَتَيْتُ أَرْضًا فَتَنَعَّمْتَنِي، أَي: وَفَّقْتَنِي وَأَقَمْتَنِي بِهَا» (6).

وبناء على التأسيس السابق يمكن أن نخلص إلى نتيجة هو أن التركيب الإضافي في قوله: «

وَإِفْرَادُ... الْمُنْعَمِ...» جَاءَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ وَصِفًا مُشْتَقًا لَا اسْمًا جَامِدًا، وَالمَغَالِبُ فِيهِ أَنْ يَحْتَلِ الرِّبْتَةُ الْأُولَى لِيَكُونَ هُوَ الْمُضَافُ وَمَا بَعْدَهُ مُضَافًا إِلَيْهِ لَكِن بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَدْ جَوَّزُوا ذَلِكَ «لَأَنَّ الرِّكْنَ الْأَوَّلَ أُسَاسٌ

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 54.

(2) _ سورة لقمان، الآية 20.

(3) _ الأزهري: تهذيب اللغة، مادة (نعم)، مج 4، ص 3615-3616.

(4) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر: زياد الأعجم، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج 7،

المحتوى: شعر، قافية (الميم)، ص 135، 137.

(5) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (نعم)، ج 2، ص 459.

(6) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نعم)، ج 14، ص 207-214.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

في بناء الجملة المراد التحدثُ بها، وقد احتيج إلى تخصيصه أو تعريفه بنسبته إلى اسم آخر أو وصف مشتق، ولذا فإنه المضاف، والثاني، أي لإتمام مدلول معين فيه يقصده المتحدث، ويحدده ويُقيد دلالته، ولذلك فإن الثاني هو المقيد للأول، وهو المحدد له⁽¹⁾.

وعليه فإن التركيب الإضافي في جملة: « وإفراد... المنعم » يتكون من ركنين أساسيين، والركن الأول هو المضاف وهو الأساس في بناء هذه الجملة المراد التحدث به، وقد جاء في صيغة المصدر: (إفراد)، والمصدر - كما هو معلوم - هو العمدة في الصدارة والعمل فيما بعده من الكلام حيث تمنح الأولوية هنا دائما للأقوى في أصل اشتقاق الكلام وللعنصر الأكثر تأثيرا فيما بعده.

والمصدر « إفراد » يتمتع بجميع هذه الإمكانيات والوسائل المخولة له لأن يكون الأقوى في هذا التركيب الإضافي: « إفراد المنعم » بيد أن المضاف إليه هنا هو « المنعم » وهو بناء اسم الفاعل بزنة المفعّل محتاج إلى تخصيص وتعريف، وقد كان له ذلك فجاء معرفًا بالإضافة، أي: كونه مضافا إليه، ومعرفا بـ (أل) التعريف التي زادته تعريفا وتوضيحا.

أما التخصيص فقد اكتسبه من المضاف « إفراد » وهو العمدة والأساس في مكونات الجملة حيث نال - على وجه التخصيص والتفرد - الخالق الرازق الواهب الكريم الاعتراف الجميل من عباده المؤمنين بما أغدق عليهم من النعم الجليلة النادرة التي ليس في مقدور أحد أن يمنحها إياهم نحو: نعمة الوجود، ونعمة العقل، ونعمة الروح، ونعمة الإسلام، ونعمة إرسال الأنبياء والرسول: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾⁽²⁾، فضلا عن عبادته على سائر مخلوقاته أكرم تفضيل وأحسنه من هذه التقديمية من الكلام حول الجانب التركيبي التنظيمي تنتقل إلى الحديث عن المستوى السياقي للنص منطلقين مما يوحي به المركب الإضافي وأيضا من السياق الذي ورد فيه وما يحمل من إيجاءات دلالية جانبية حيث يرى أحد الربانيين العارفين المعاصرين: « أن المعرفة المختصرة لله « المنعم » على عباده بشئى النعم لا تقوى على حملك على طاعته، فلا بد من أن تتبحر في المعرفة من أجل أن تعرف من هو الله...؟ »

فهاهو الله يعرف بنفسه عن طريق آثاره الكونية ومخلوقاته المبتوثة في الأرض والسماء فيقول:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ

(1) - إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، ج4، ص 293.

(2) - سورة النحل، الآية 18.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١﴾.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٣).

ماذا يريد الله من هذه الآيات؟ أي: يا عبادي أعرفوني، أنا «المنعم» وبيدي النعم كلها جميعاً، الشمس والقمر، بيدي الليل والنهار، بيدي خلقكم وبعثكم، حياتكم وموتكم ورزقكم، بيدي المطر، بيدي الصحة والمرض، بيدي كل شيء فلا تلتفتوا إلى سواي.

فلذلك عند ما يعرف الإنسان الله عزوجل وهو يدري من هو الله ويُقدّر الله قدره، وهو يعلم علم اليقين أنه ربه وخالقه، وأنه الرازق «المنعم» الوهاب، الكريم، المتان، العزيز الجبار، الودود الرحيم، تجده قد التزم منهجه بشكل صحيح، أقبل عليه، ابتغى مرضاته، سعى إلى طاعته... إذا إلا شيء يعلو على أن تعرف الله سبحانه، إنك إن عرفته أطعته، وإن أطعته أقبلت عليه، وإن أقبلت عليه سعدت بقربه، وإن سعدت بقربه تأقت نفسك إلى الجنة.

من الملاحظ بدهاء أنه في مُقْتَبِلِ العمر تكون الأمور متشابهة عند جميع الناس إلى حد بعيد... فالشباب في أول حياته يكون خطة الباني في صعود وارتقاء، لكن بعد حين يبدأ الخط البياني الصاعد يسير مستقيماً ثم بيد أن ينحدر، فإنه عندئذ يؤذن بيده النهاية، نهاية المطاف وهي صعبة جداً، إلا لمن أمضى حياته في طاعة الله «المنعم»، فالمغادرة لا تحتمل إلا لمن قدّم بين يديه أعمالاً صالحة كبيرة.

الاسم هو «الأكرم»، والأكرم اسم تفضيل... قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٤). من الكرم، والكرم ضد اللؤم...

أتحب أن تكون عند الله أكرم الناس؟ أطعته، الشيء بين يديك مبدول، آلاف الناس لن تستطيع أن تصل إليهم، ولن تستطيع أن تخطب ود أحدهم، ولن تستطيع أن تُقابلهُ فالأبواب دونك

(١) _ سورة الطلاق، الآية 12.

(٢) _ سورة النحل، الآية 65.

(٣) _ سورة الروم، الآية 54.

(٤) _ سورة العلق، الآية 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

مُغلقة، لكن الله جل جلاله «المنعم» خالق الكون يقول لك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾⁽¹⁾، فأى إنسان يُطع الله عزوجل يُقربّه ويرفع مكانته، أمّا إذا وصف الله عزوجل بالإنعام والكرم، فإنما هو اسم لإحسانه وإنعامه المتلاحق الدائم»⁽²⁾.

التعبير هنا في قوله (وإفراد الله) فيه أسلوب حصر وقصر العبادة لله وحده، وهو شيء معقول ومنطقي لأنّ الله عز وجل المنعم المتفضل، الجواد الكريم، الذي أصبغ نعمه ظاهرة وباطنة على هذا الإنسان لا يستطيع أن يحصيها إذا ما أراد ذلك، فكيف يمكن أن ينكر ذلك؟ وبأي شيء يمكنه ردّ هذا الجميل؟ بشيء واحد بسيط أمره مولاه: بالحمد والشكر والطاعة ممثلة في العبادة...

(1) _ سورة الحجرات، الآية 13.

(2) _ بتصرف، محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج3، ص ص 331-343.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المضاف هي: (ويزيغ أناس فيزعمون أنّ هناك خلقا للحوادث أو تصرّفا فيها، يقصد به إلى مجرّد الفن- بمعنى التزييق الذي لا يتقيد بواقع- ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مستقيم الفطرة ، هو أنّ المناسبة الموضوعية هي التي تحدّد القدر الذي يُعرض من القصة في كل موضع...⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (قوم):

جاء في تهذيب اللغة عن معنى لفظ (قوم) «القيم الاستقامة، دينا قيما مستقيما، ويقال: رمح قويم، وقوام قويم، أي: مستقيم، وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه، وقال أبو إسحاق: القيوم والقيام في صفة الله: القائم بتدبير خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بإمكانهم»⁽²⁾.

وجاء في اللسان عن مدلولات هذه اللفظة: «والقيام: نقيض الجلوس، قام يقوم قوماً وقياماً وقومة وقامة، ومعنى القيام: العزم، والملة القيمة: المعتدلة، والأمة القيمة كذلك»⁽³⁾.

«وأقام بالمكان إقامة وقامة دام، واستقام: اعتدل؛ وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم». وبعد هذا العرض المتقصر لمادة (قوم) في المعاجم اللغوية تأكد لنا أن دلالتها الرئيسية هو الاعتدال والاستواء، والانتصاب والعزم والثبات، وإزالة كل إعوجاج في الشيء ماديا كان أو معنوياً.

وإذا ما تحولنا بأبصارنا تجاه النص وسياقه المشحون بأنواع الدلالات يستقطب أنظارنا جملة «وهو مستقيم الفطرة» وهو عبارة عن مركب إضافي يتكون من جملة اسمية بسيطة مبدؤها ضمير الرفع المنفصل «هو» وهو المبتدأ ثم يليه الخبر «مستقيم» وهو أيضا المضاف الذي هو الركن الأساسي والعمدة في بناء الجملة، اسم «الفطرة» وهو مضاف إليه مجرور لفظاً، مرفوع محلاً للصفة المشبهة «مستقيم».

ولامنا ص من التذكير هنا بأن المضاف في هذا التركيب الإضافي قد جاء وصفاً وهو في صورته الظاهرية اسم فاعل «مستقيم» بزنة مُستفعل لأن أصل الياء هنا واو «مُسْتَقِيم» فأبدلت الواو وياء لمناسبة الياء للكسر، وكذلك لاجتناب الثقل في النطق فصار «مستقيم» لأنه من المعتل العين والأصل في بناء اسم الفاعل هو الدلالة على الحدوث والحدث والذات، غير أنّ الأمر هنا جاء مخالفاً للأصل

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 55.

(2) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (قوم)، مج3، ص 2862-2865.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم)، ج11، ص 357-361.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

المطرّد فجاء اسم الفاعل «مستقيم» دالا على الثبوت والدوام لأن بناء «مستقيم» وضع في مركب إضافي فهو مضاف، والإضافة من هذا النوع يطلق عليها الإضافة غير المحضة، أو غير الحقيقية، وهي: «التي يكون المضاف فيها صفة مشتقة عاملة في المضاف إليه نحو: قول ابن مالك:

كَرْبٌ رَاجِبًا عَظِيمُ الْأَمَلِ مُرَوِّعُ الْقَلْبِ قَلِيلُ الْحَيْلِ⁽¹⁾.

وهي مسألة على خلاف كبير من النحاة وفيها تأويلات وتفسيرات تبيح للمانع المنع، وللمحوّز التحويز، كما تبيح له إدخال الإضافة غير المحضة في المحضة، وإخراج المحضة وإدخالها في غير المحضة؟ الأمر الذي لا يسمح ل لنا في هذه العجالة والمقام للتطرق بالتفصيل لهذا الموضوع الخلافي الدقيق.

وبكفي أن نورد مثالا واحدا موجزا على هذه المسألة الخلافية مما جاء في حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: «قوله كَرْبٌ رَاجِبًا» قيل هذا المثال مُشكَلٌ لأن ربَّ تَصَرَّفَ ما بعدها إلى الماضي فتكون إضافته محضة، أي: حقيقية وفيه نظر فإن المذكور في همع الهوامع إنما هو أن الأكثرين يقولون بوجوب مجرورها وأن ابن السراج يُجَوِّزُ كَوْنَهُ حالا وابن مالك يُجَوِّزُ كَوْنَهُ حالا أو مستقبلا»⁽²⁾.

وعلى ضوء هذا التوضيح ومحاولة إزالة اللبس في هذه المسألة التي لم يحسم فيها الأمر بين النحاة فإننا نميل إلى الأخذ بالاتجاه السياقي في هذه المسألة النحوية التي تتعلق بالمضاف المشتق العامل والمضاف غير العامل فيما بعده لنقرر بأن المركب الإضافي في جملة «وهو مستقيم الفطرة» تفيد الثبوت والدوام انطلاقا من السياق الذي وردت فيه من جانب وهو أمر يتعلق بالنفس الإنسانية واستعداداتها الفطرية عامة والفرد الآدمي على وجه الخصوص ومكتسباته الأسرية والاجتماعية والبيئية والظروف الزمانية، وأيضا دلالة الجملة النحوية في سياق النص على أن الناظر في قصص القرآن الذي ينبغي الوصول فيه إلى الحقيقة الموضوعية القطعية يتطلب منه استعداد مسبق يكون قد تحقق فيه وثبت له وانغرس في كيانه موهبة فطرية، واكتسابا محصلا بالتشعّشعة والتربية الاجتماعية العلمية الصحيحة، وعليه فجملة: «وهو مستقيم الفطرة» يُشتمّ فيها راتحة الدلالة على الماضي والحال معاً الذي يكون فيه المقبل على هذا العمل الجليل والخطير في الآن نفسه مزودا باستعداد الاستقامة الفطرية التي تؤهله لفهم مقاصد القرآن وأغراضه الحقيقة المستنبطة من قصص القرآن وأخبار الأنبياء

(1) _ بماء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج3، ص 44.

(2) _ محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج2، ص 240.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والمرسلين مع أقوامهم، وما جرى لهؤلاء الأقسام المكذبين برسالات أنبيائهم من تحقق وعد الله فيهم بالثواب والعقاب: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾⁽¹⁾، لذلك فالغرض من القصص القرآني ليس هو التسلية والترفيه أو المتعة الفنية فحسب وإنما القصد منه بالدرجة الأولى هو تعريف الناس جميعاً بخالقهم والغرض من استخلافهم في هذه الأرض لتنفيذ أوامر الله وتوجيهاته ووصاياهم ليقوموا بتحقيق دورهم المنوط بهم حتى لا يتوهوا في الدهاليز والأنفاق المظلمة التي يقودهم إليها شياطين الإنس والجن الذين يوحون إلى أوليائهم زخرف القول والفعل غروراً: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾⁽²⁾.

وبناء على التعريفات السابقة لمدلول لفظة (نعم) الواردة في معاجم اللغة العربية الأصيلة يمكن أن نستخلص أن معنى النعمة هو الحسن والعصارة، وهو المن والعطاء الغامر، وهو رخاء العيش وترفيه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾⁽³⁾، أي: لتسألن يوم القيامة عن كل ما استمتعتم به في الدنيا، وجمع النعمة نعم وأنعم كشدّة وأشدّد، حكاها، سيبويه، وقال التابعه:

فَلَنْ أَذْكَرَ النَّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدِيًّا وَأَنْعَمًا⁽⁴⁾.

والنعم، بالضم: خلاف البؤس، يقال: يوم نعم ويوم بؤس، والجمع أنعم وأنعم وأبؤس⁽⁵⁾.

وبتحوّلنا إلى النص وسياقه المتعدّد المستويات يلفت أنظارنا الجملة الآتية: «وإفراد... المنعم» وهو تركيب إضافي يتكوّن من ركنين أساسيين هما: الاسم الأول: «إفراد»، وهو المضاف، والثاني: مضاف إليه، والإضافة في اللغة هي: الإسناد، قال امرؤ القيس:

فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا ظُهُورَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشْطَبٍ⁽⁶⁾.

أي: لما دخلنا هذا البيت أسندنا ظهورنا إلى كل رحل منسوب إلى الحيرة مُخطط فيه طرائق

(1) _ سورة يس، الآية 52.

(2) _ سورة الأنعام، الآية 112.

(3) _ سورة التكاثر، الآية 8.

(4) _ الشاهد من البحر الطويل، للشاعر النابغة الديباني، يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى: شعر، قافية (الميم)، ص 85.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نعم)، ج14، ص 208.

(6) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر: امرئ القيس، الديوان، ص 83.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وفي الاصطلاح: هي إسناد اسم إلى غيره تنزِيل الثاني من الأول منزلة تنوينه، أو ما يقوم مقامه⁽¹⁾.

وعَلَى ضوء هذا التعريف السابق يتبين لنا أنه لم يحدّد بدقة ووضوح نوع الاسمين المسندين إلى بعضهما، هل هما اسم وصفة، أو هما صفة واسم جامد، أو هما اسمان جامدان لا غير، أو هما اسمان مشتقان؟ وهذا يوحي لنا بأنّ المضاف قد يكون وصفاً أو اسماً جامداً، والمضاف إليه كذلك أو يأتيان مختلفين ولا ضير في ذلك فلا يترتب عليه أيُّ أثر يُخل بمعنى الجملة الإسنادية.

«وقدّ وضح مما سبق أن النسبة إسنادٌ وإمالة ونسبة تقييدية، فكل من ركني النسبة مسند إلى الآخر، أو مضاف إليه، لأنّ ضمير العائب في شبه الجملة (إليه) يجوز أن يعودَ إلى الأوّل، فيكون المصطلح للثاني، أي: يكون الثاني مضافاً إلى الأوّل، ويجوز أن يعود الضمير على الثاني، فيكون المصطلح للأوّل، أي: يكون الأوّل مضافاً إلى الثاني فهما لذلك مُتضايقان⁽²⁾، أي: يصلحُ أن يكون كل منهما مضافاً أو مضافاً إليه وإذا ما اتجهنا إلى مستوى السياق الخارجي للنص من أجل الاقتراب من بعض دلالاته الهامة لا نجد أفضل من الاستعانة على ذلك بقوله تبار وتعالى في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³⁾ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾ ﴿١٤﴾⁽³⁾.

وكلمة «الاستقامة» تفيد- كما في لسان العرب- معنى الاعتدال والاستواء، استقام له الأمر، أي: اعتدل، ومن ذلك ما ورد في السنة بشأن الاصططاف في الصلاة، وهو: «تسوية الصف من إقامة الصلاة»⁽⁴⁾، أي: جعلها سليمة معتدلة، وكلمة «الاستقامة» مشتقة من مادة «القيام»⁽⁵⁾.

وفي هذه المادة معنى الملازمة والمحافظة والثبات والمواظبة، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾⁽⁶⁾، أي: ملازماً ومحافظاً ومواظباً، ويقال: قام عندهم الحق، أي: ثبت ولم يبرح، وكذلك جاء في كتاب الله العزيز: ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾⁽⁷⁾، أي: جماعة ثابتة على الذين متمسكة به.

(1) _ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 325.

(2) _ خالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك في النحو، ج 3، ص 89.

(3) _ سورة الأحقاف، الآية 13.

(4) _ أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجامع الصحيح، ج 1، ص 148.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم)، ج 11، ص 356.

(6) _ سورة آل عمران، الآية 75.

(7) _ سورة آل عمران، الآية 113.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وقد تأتي المادة بمعنى الإصلاح والنهوض بالتبعات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾⁽¹⁾، وفي مادة الاستقامة معنى الدوام والاستمرار، وهو ما يتوافق مع التركيب الإضافي تماما: «مُسْتَقِيمِ الْفِطْرَةِ» ثابت على السلامة والاعتدال والانتزاع، محافظ عليها، وقد جاء في الحديث: «اسْتَقِيمُوا لِقَرِيْشٍ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ»⁽²⁾، أي: دُومُوا لَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، واثبتوا عليها، ماداموا على الدين، وما داموا ثابتين على الإسلام، كما جاء في الحديث أيضا: «العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»⁽³⁾، قال العلماء إن القائمة هي الدائمة المستمرة، التي يتصل بها العمل ولا يُترك، وبمثل هذا فسروا قول القرآن الكريم في شأن المؤمنين: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾⁽⁴⁾.

أي: يُدِيمُونَهَا، ولقد روى حكيم بن حزام عن نفسه فقال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أُخْرَى إِلَّا قَائِمًا»، أي: لا أموت إلا مستقيما على الإسلام مُسْتَمْسِكًا بِهِ. ومن هذا البيان السابق نفهم أن الاستقامة في لغة القرآن تتسق وتنسجم إلى حد بعيد مع معنى التركيب الإضافي: «مستقيم الفطرة» الذي يعني فيما يعني الإقامة على الإسلام»⁽⁵⁾.

... والدوام على هدى الله عز وجل، والاستمرار في التقيد بقيوده، والوقوف عند حدوده، والاستجابة لأوامره، والانتهاز عن محارمه، وهذا هو عمر الفاروق يقول: «الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ وروغان التعلب»⁽⁶⁾.

إن عبارة (وهو مستقيم الفطرة) في سياقها العام وردت فيها الحال جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار للفرد السوي الشخصية، والسليم الفطرة، والمتحرر من الأهواء والتزوات والمتحرر كذلك من الآراء والأفكار المسبقة والمذاهب والتيارات الهدامة، والطائفية والحزبية القائمة على المصالح الذاتية، هذه هي العوامل كلها تحول دون الوصول إلى الحق المجرد الناصع والحقيقة المطلقة الساطعة...

(1) _ سورة النساء، الآية 34.

(2) _ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، سنة 2001م، ج37، ص71.

(3) _ ابن ماجه، شرح سنن ابن ماجه، ج1، ص78.

(4) _ سورة البقرة، الآية 3.

(5) _ بتصريف يسير، عن أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج1، ص164-165.

(6) _ المصدر نفسه، ج1، ص165، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص485.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المضاف هي: (باعتبار أنهم، أي: اليهود، أمة واحدة متضامنة الأجيال مُتحدة الجبلّة) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (ضمن):

إنَّ أوَّلَ مَا يَعْرُضُ لَنَا عِنْدَ التَّعْرِيفِ بِمَادَّةِ (ضَمَّنَ) فِي الْمَعْجَمِ اللَّغَوِيِّ الْمُوثَقَةِ الشَّهِيرَةِ أَنْ: (ضَمَّنْتُ الشَّيْءَ ضَمَانًا كَفَلْتُ بِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ فِي وَعَاءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ، وَفَهْمْتُ مَا تَضَمَّنَتْهُ كِتَابِيكَ، أَي: مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي ضِمْنِهِ، وَالْمُضَامِينَ: مَا فِي أَصْلَابِ الْفُحُولِ، وَنُهِيَ عَنِ بَيْعِ الْمُضَامِينَ وَالْمَلَأَقِيحِ) (2).

ومما ورد في أساسي البلاغة عن التعريف بهذه المادة قوله: «ومن المحاز ضمن الوعاء الشيء وتضمنه، وضمنته إيّاه، وهو في ضمّنه، وضمّن القبر الميت، وضمّن كتابه وكلامه معنى حسناً، وضمن الرجل، زمن، ورجل ضمّن، وقوم ضمّن، وهو من الضمان معناه: لزم مكانه كما يلزم الكفيل العهدة أو لزم عِلْتُهُ» (3).

وجاء في اللسان عن التعريف بمادة (ضمن) قوله: «الضّمين: الكفيل، يقال: ضمنت الشيء أضمنه ضماناً، فأنا ضامن وهو مضمون، ضمّنه: أودع فيه والضمّن والضمان والضمانة: الداء في الجسد من بلاء وكبر ورجل ضمّن: عاشق وفلان ضمّن على أهله وأصحابه، أي، كلّ وفي الحديث «مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ» (4)، أي: ذو ضمان على الله» (5).

وعلى ضوء هذا العرض المتفحص في معاني لفظ (ضمن) المستمد من معجم اللغة العربية الأصيلة تكشف لنا في النهاية أن المعنى الأصلي لهذه اللفظة يتراوح ترواحاً متقارباً جداً بين دلالات الكفالة والاحتواء، وبين دلالات الحفظ والقيام على الشيء والإشراف عليه إشرافاً كاملاً، والضامن يأتي أيضاً بمعنى الوكيل والمشرف والحامي والمحتضن يقول المولى عزوجل طالبا منا أن نتخذة وكيلا علينا، راعياً لنا

في كل آن فهو ربّ المشرق والمغرب: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (6)، (7).

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 64.

(2) _ الجوهري، معجم الصحاح، مادة (ضمن)، ص ص 626-627.

(3) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ضمن)، ج 2، ص 54.

(4) _ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري التيسابوري، صحيح مسلم، ج 2، ص 803.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضمن)، ج 8، ص ص 89-92.

(6) _ سورة المزمل، الآية 9.

(7) _ محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الحسنی، ج 2، ص 291.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وإذ ما انتقلنا إلى معنى الصيغة ضمن التركيب الإضافي كما ورد في النص نجد أنه قد وردا في هذا المركب: «متضامنة الأجيال» بزنة متفاعلة وهو وصف مشتق مضاف من مصدر الفعل الخماسي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: تَضَامَنَ يتضامن تَضَامَنَا على وزن تَقَاتَلَ وتَصَارَعَ وتنافس وتكاثرت يقول عز وجل ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾⁽¹⁾.

ويحس بنا هنا أن ننبه أن المضاف في هذا التركيب الإضافي قد جاء وصفاً، وهو في صورته الظاهرة اسم فاعل «مُتَضَامِنَةٌ» على زنة مُتَفَاعَلَةٌ الدال على الحدث والحدوث وذات القائم بالمعنى أو المتصف به ومن ثم فالأصل الثابت المطرد لبناء اسم الفاعل هو الدلالة على الحدوث والتجدد لا الدلالة على الثبوت والدوام بيد أن الأمر هنا جاء على خلاف الأصل المقرر الجاري به القياس فجاء بناء اسم الفاعل «متضامنة» دالاً على الثبوت والدوام لأن صيغة «مُتَضَامِنَةٌ» جاءت في مركب إضافي هكذا «متضامنة الأجيال» فهي لذلك تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار، وإن كانت هذه المسألة فيها نظر وخلاف كبيران بين النحاة⁽²⁾، أما الأمر في هذه المسألة عندنا فيعود الحسب فيه إلى السياق النصي العام وإلى التركيب، وأيضاً إلى دلالة المفردة الموظفة في التركيب ذاتها وفريقتها لفظية أو معنوية، والتركيب الإضافي هذا الذي معنا يجسد هذا الكلام أفضل تجسيداً «متضامنة الأجيال» وهو يتحدث عن ملة ووجهة ومذهب بني إسرائيل وصفاتهم ومواقفهم في جميع العصور، أي: على عهد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، إذا فدلالة هذا التركيب الإضافي في سياقه العام وسائر مفرداته يحمل معنى الدلالة على الماضي والحال على الأقل وأيضاً يحمل الدلالة على الاستقبال كما أخبر بذلك القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تعنتهم وعنادهم ونكتهم للعهود والمواثيق مع أنبيائهم ومع عفو الله عنهم، مرارا وتكراراً وإغداق النعم من الله عليهم، وقد حدث الأمر نفسه مع خاتم النبيين محمد ﷺ فقد واجهوا الدعوة في المدينة مواجهة نكرة، وقاوموها مقاومة خفية وظاهرة، وكادوا لها كيدا موصولاً، لم يفتر لحظة منذ أن ظهر الإسلام بالمدينة وتبين لهم أنه في طريقه إلى الهيمنة على مقاليدها، وعزلهم من القيادة الأدبية والاقتصادية التي كانت لهم... هذه المعركة التي شنها اليهود على الإسلام والمسلمين منذ ذلك التاريخ البعيد ثم لم ينجح أوارها حتى اللحظة الحاضرة، بنفس الوسائل، ونفس الأساليب، لا يتغير شكلها، أمّا حقيقتها فباقية، وأما طبيعتها فواحدة، وذلك على الرغم من أن العالم كله كان يطاردهم من جهة إلى جهة، ومن قرن إلى قرن،

(1) _ سورة التكاثر، الآية 1.

(2) _ انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 240.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

فلا يجدون لهم صدرا حنوناً إلا في العالم الإسلامي المفتوح، الذي ينكر الاضطهادات الدينية والعنصرية، ويفتح أبوابه لكل مسلم لا يؤذي الإسلام ولا يكيّد للمسلمين⁽¹⁾.

غير أن طبعهم، وغدرهم هو غدرهم، وخيانتهم هي خيانتهم، وإفسادهم في الأرض وللعباد والبلاد هم إفسادهم يقول جل ثناؤه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنْعُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾⁽²⁾.

هذا من حيث الزمن الماضي البعيد، أي من حيث دلالة التركيب الإضافي: «متضامنة الأجيال» على الماضي، أما من حيث دلالاته على الحال فعالم الشهادة والحال يُعني عن أي استدلال عليه وهو ما يجري في الوقت الحاضر بالذات في فلسطين، وفي غزة، وفي العالم بأسره من فساد وإفساد، وسفك لدماء الأبرياء من نساء وفتيات وأطفال وشيوخ وحتى المعوقين منهم، وتدمير وتخريب للقاعدة التحتية ومن فتن ومؤامرات في الليل والنهار، كل هذا من تدبير وتخطيط وتآمر إسرائيلي وزعيمتها الصهيونية العالمية المسيطرة على المال والإعلام والتجارة والاقتصاد وتنصيب الرؤساء والحكام الذي يخدمون مصالحها ويأتمرون بأوامرها، وينتهون بنواهيها مشرقاً ومغرباً، هذه الصهيونية العالمية هي التي أوجدت «وعد بلفور»⁽³⁾، النحس المشؤوم على فلسطين الأرض السليبية، والنحس المشؤوم على العالم العربي الإسلامي بالدرجة الأولى، ثم على العالم برمته بالدرجة الأخيرة....؟؟؟؟

فالمركب الإضافي: «متضامنة الأجيال» يوحي بقافلة كبيرة طويلة، متسلسلة الحلقات تسير بخطى ثابتة على وتيرة واحدة ذات سيمفونية متناغمة، ماثلة الأداء لا يجيد قطع منها عن الآخر قيد أمثلة وكما يقول المثل: «من شابه أباه فما ظلم»؟

«خاصة إذا كان هذا الأب والجد دائبين في عملهما، جادّين حريصين على أن يلقنا أبناءهما وأحفادهما ما جاء به التلمود والتوراة الذي يحرص كل منهما على أن يغرس في أعماق هؤلاء الأبناء في الماضي والحاضر والمستقبل بأنهم شعب الله المختار الذي يحكم العالم !!!

(1) _ بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص ص 63-64.

(2) _ سورة الإسراء، الآية 4.

(3) _ انظر: يوسف القرضاوي، هموم المسلم المعاصر، الناشر: عبد الله حجاج، دار الشهاب، الطباعة والنشر، عمار قري-باتنة-الجزائر، (د.ط، د.ت)، ص 154.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾⁽¹⁾.

ولقد عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فسلط الله عليه المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين حتى كان العصر الحديث فسلط الله عليهم «هتلر» زعيم ألمانيا في الحرب العالمية الثانية... ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد- وهذا هو طبعهم، وهذا هو دأبهم الدنيء الخسيس- في صورة «إسرائيل التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، ولْيُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، تصديقا لوعد الله القاطع، وَقَفَا لِسْتَهُ الَّتِي لَا تَخْلَفُ... وَإِنَّ عَدَا لَنَاظِرَةً لِقَرِيبٍ!»، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

يوحي سياق هذه العبارة عامة، والجملة الاسمية فيه على وجه الخصوص بمعنى الثبوت والثبات واستمرارية العنصر اليهودي في سيره على نهج واحد وخطة مرسومة ضمنت لهم الوحدة والتماسك، والتلاحم فيما بينهم عبر مسيرة الأجيال، وهي الأسباب الرئيسة التي جعلت اليهود اليوم في قمة هرم التقدم والتفوق الاقتصادي والسياسي والتكنولوجي...

(1) _ سورة الإسراء، الآية 8.

(2) _ سورة الحج، الآية 40.

(3) _ بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص 2214.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السادسة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المضاف هي: « وكذلك يجد المتدبر للقرآن في التوجيه الذي قُصد به بنو إسرائيل أول مرة، توجيهًا دائمًا مُستمرَّ الإيحاء للجميع...»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (مر، مرر، مرمر):

جاء في القاموس عند التعريف بمادة (مرّ)، قوله: «مرّاً ومروراً: جاز وذهب كاستمر ومرّ به: جاز عليه، وامرّ به، وعلية: جاز عليه، والمرّ بالضم: ضد الحلو، مرّ يُمرّ بالفتح، والضم مرارة وأمرّ»⁽²⁾.

والمعنى الأصلي للفظ (مر، مرر، مرمر) هو الإمضاء والانقياد، والمرارة: ضدّ الحلاوة، والمرور اجتياز المكان.

وإذا ما انتقلنا إلى النص وسياقه ذي الدلالات المتعددة المتنوعة يلفت نظرنا «مُستمرَّ الإيحاء للجميع...» وهي عبارة عن مركب إضافي متكوّن من عُنصرين، فالعنصر الأول وهو الركن الأساسي في الجملة وهو «مستمر» نعت منصوب لما قبله، والعنصر الثاني: «الإيحاء» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

ويلاحظ أن المضاف في هذا المركب الإضافي قد جاء وصفا هكذا: «مُستمر» وهو في هيئته الظاهرة بناء اسم فاعل بزنة مُستفعل وأصله: «مُستمر» عند فك إدغامه لأن أصل الراء المدغمة راءان فلما أدغمتا ببعضهما كُسر ما قبلهما وشدّدت الراء فصارت «مستمر».

والجدير بالذكر أن الأصل في بناء اسم الفاعل هو الدلالة على الحدوث والتغير لا الدلالة على الثبوت والدوام، غير أن الوضع جاء خلافا للقاعدة الأصلية المطردة فجاء اسم الفاعل في هذا السياق دالا على الثبوت والدوام لسببين رئيسين هامين، اولهما: أنه قد وضع في مركب إضافي، فهو مضاف، وبناء اسم الفاعل إذا كان مضافا فهو ينتقل إلى الصفة المشبهة ويأخذ حكمها وإعرابها كما ورد ذلك عن طائفة من النحاة الكبار⁽³⁾، وقد ناقشنا هذه المسألة ووضحناها بالأدلة وبأقوال العلماء في التركيب الإضافي السابق لهذا المركب لذلك فلا نرى جدوى من إعادة الكلام فيه هنا.

(1) _ المصدر السابق، مج1، ج1، ص96.

(2) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (مرّ، مرر)، ج2، ص377-378.

(3) _ انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج2، ص240، ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص44، إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، ج4، ص293.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وبناء على ذلك فإننا نميل في بحث هذه المسألة الخلافية إلى الأخذ بالاتجاه السياقي القديم والحديث لنقرر بأن التركيب الإضافي في جملة « مستمر الإيحاء» يفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار للسبب السابق ذكره، أي: كونه ورد مضافاً، والسبب الثاني أن في هذا التركيب الإضافي «مستمر الإيحاء» تلحظ قرينة لفظية صريحة في "مستمر" التي جاءت تدل بذاتها على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار.

أما على مستوى السياق الخارجي للنص فيلحظ بصورة واضحة أن المولى سبحانه وتعالى في توجيهه لبني إسرائيل لم يقصد به فقط بني إسرائيل وحدهم إنما هو توجيه دائم « مستمر الإيحاء» لجميع الناس، خاصة منهم أهل الكتب السماوية نحو بني إسرائيل الذين نزل فيهم التوراة على موسى، والنصارى الذين نزل فيهم الإنجيل على عيسى، والعرب الذين نزل فيهم القرآن على محمد، يقول جل وعلا: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِمَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾⁽¹⁾.

« إسرائيل» هو يعقوب عليه السلام لقب له، ومعناه في لسانهم: صفة الله، وقيل: عبد الله، وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة، وقريء «إسرائيل» و«إسرائيل» وذكرهم النعمة: أن لا يُخلوا بشكرها، ويعتدوا بها، ويستعظموها، ويطيعوا مآتحها، وأراد بها ما أنعم به على آباؤهم مما عدّد عليهم: من الإنجاء من فرعون وعذابه، ومن الغرق، ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم وغير ذلك، وما أنعم عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به في التوراة والإنجيل، والعهد يُضَاف إلى المعاهد والمعاهد جميعاً.

ومعنى: « وأوفوا بعهدى» وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة.... ويجوز أن يريد بقوله: « وأوفوا بعهدى» ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ﴾⁽²⁾، أول كافر به... وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفةهم به وبصفتهم، ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه والمستفتحين على الذين كفروا به، وكانوا يعدون أتباعه أول الناس كلهم، فلما بُعث كان أمرهم على العكس كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى

(1) _ سورة البقرة، الآية 40.

(2) _ سورة البقرة، الآية 41.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾، إلى قوله: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (٢)، (٣).

وجاء في مدونة تفسير التحرير والتنوير «أن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ (٤).

إلى بني إسرائيل وهم أشهر الأمم المتدينة ذات الكتاب الشهير والشريعة الواسعة، وذلك لأن هذا القرآن جاء يهدي للتي أقوم فكانت هذه السورة التي هي فسطاطة مشتملة على الغرض الذي جاء لأجله وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبداع الأساليب وأكمل وجوه البلاغة فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب وآثار هديه وما يكتسب متبعوه من الفلاح دنيا وآخرة، وبالتحذير من سوء مغبة من يعرض عن هديه ويتنكب طريقه عربياً أو يهودياً أو نصرانياً، ووصف في خلال ذلك أحوال الناس تجاه تلقي هذا الكتاب من مؤمن وكافر ومنافق، بعد ذلك أقبل على أصناف أولئك بالدعوة إلى المقصود، وقد انحصر الأصناف الثلاثة من الناس المتلقين لهذا الكتاب بالنسبة لحالهم تجاه الدعوة الإسلامية في صنفين لأنهم إما مشرك أو متدين، أي: كتابي، إذ قد أدرج صنف المنافقين في الصنف المتدين لأنهم من اليهود كما قدمناه، فدعا المشركين إلى عبادته تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (٥)، فالناس إن كان المراد به المشركين كما هو اصطلاح القرآن غالباً، وإن كان المراد به كل الناس فقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يختص بهم لا محالة إذ ليس المؤمنون بداخلين في ذلك» (٦).

هذا «وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنفُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧)، فأما بعدما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوا عن التزامهم وعهدهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم

(١) _ سورة البينة، الآية 1.

(٢) _ سورة البينة، الآية 4.

(٣) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 60.

(٤) _ سورة البقرة، الآية 40.

(٥) _ سورة البقرة، الآية 21.

(٦) _ الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 447.

(٧) _ سورة البقرة، الآيتان، 47، 48.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

باللغة وَالْعُزْبُ وَالذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد وتذكيرهم بتفضيلهم على العالمين، هو تذكير لهم بما كان لهم من فضل الله وعهده، وإطماع لهم لينتهزوا الفرصة المتاحة على يدي الدعوة الإسلامية، فيعودوا إلى موكب الإيمان، وإلى عهد الله، شكرا على تفضيله لآبائهم، ورغبة في العودة إلى مقام التكريم الذي يناله المؤمنون.

ومع الإطماع في الفضل والنعمة، التحذير من اليوم الذي يأتي وصفه وهو التوجيه الدائم

«المستمر الإيحاء» لجميع الناس أفرادا وجماعات: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾⁽¹⁾.

فالتبعية فردية، والحساب شخصي، وكل نفس مسؤولة عن نفسها، ولا تُعني نفس عن نفس شيئا.... وهذا هو المبدأ الأساسي العظيم، مبدأ التبعية الفردية القائمة على الإرادة والتمييز من الإنسان، وعلى العدل المطلق من الله، وهو أقوم المبادئ التي تشعر الإنسان بكرامته، والتي تستجيش اليقظة الدائمة في ضميره، وكلاهما عامل من عوامل التربية، فوق انه قيمة إنسانية تُضاف إلى رصيده من القيم التي يُكرمه بها الإسلام.

﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾⁽²⁾.

فلا شفاعة تنفع يومئذ من لم يُقدّم إيمانا وعملا صالحا: عربيا كان أو يهوديا أو نصرانيا فالتوجيه القرآني هنا لم يقصد بني إسرائيل وحدهم إنما هو التوجيه الدائم «المستمر الإيحاء» يشمل الجميع، ولا فدية من أحد تؤخذ منه للتجاوز عن كفره ومَعْصِيَتِهِ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾⁽³⁾.

فما من ناصر يعصمهم من الله، ويُنجيهم من عذابه... وقد عَبرَ عنها بالجمع باعتبار مجموع النفوس التي لا تجزي نفسٌ منها عن نفس، ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل، وانصرف عن الخطاب في أول الآية إلى صيغة الغيبة في آخرها للتعميم، ليدل على إن الأمر يُهم الجميع، فهذا مبدأ كَلِّي ينال المخاطبين وغير المخاطبين من الناس أجمعين⁽⁴⁾.

والإيحاء أسلوب من أساليب القرآن البلاغية الراقية المبتوث في تضاعيف وثنايا آياته وجمله

(1) _ سورة البقرة، الآية 48.

(2) _ سورة البقرة، الآية 48.

(3) _ سورة البقرة، الآية 48.

(4) _ يتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 69-70.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وعباراته، فهو قلماً يتحدث عن نفس دون نفس، أو عن قوم دون قوم، وإذا كان في مقام التحذير والترهيب والتخويف فهو يحذر ويرهب ويخوف الجميع، القريب والبعيد، الكافر والمنافق والمؤمن بطريقته الخاصة، وإذا كان في مقام الترغيب، والطمأنينة والتبشير فهو يرغب ويطمئن ويبشر الجميع بطريقته الخاصة مع كل طائفة لئلا يوقظ الهمم ويستجيش الضمائر وينبه العقول فيفتح بذلك باب التوبة والرحمة والغفران على مصرعيه للجميع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾.

في هذه العبارة يلفت السياق انتباهنا إلى عنصر لغوي هام يتمثل في أسلوب التوكيد الذي يقتضيه المقام، وقد جاء به المؤلف ليؤكد ديمومة واستمرارية التوجيه الإلهي في قوله: «في التوجيه الذي قصد به بنو إسرائيل أول مرة توجيهها دائماً مستمراً» هذا التوجيه الدائم المستمر المكرر المؤكد عليه ليس لبني إسرائيل وحدهم بل لجميع الناس، خاصة منهم أهل الكتب السماوية بما فيهم العرب الذي نزل فيهم القرآن على محمد ﷺ...

⁽¹⁾ _ سورة البقرة، الآية 21.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة السابعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المضاف هي: «فالتعديل الجزئي وفق مقتضيات الأحوال- في فترة الرسالة- هو لصالح البشرية، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها والله خالق الناس... هو الذي يُقدّر هذا، فإذا انسَخ آية أَلْفَاها في عالم النسيان...»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (خلق):

لقد عولجت هذه المادة في موضع آخر من هذا البحث مع صيغة فاعل المضاف الدالة في سياقها على الصفة المشبهة⁽²⁾.

فلا نرى جدوى من العودة إليها ثانية، وإعادة الكلام وتكراره فيها، لذلك يكفي أن نذكر بمعناها الأصلي مُلَخَّصًا من لسان العرب نحو قوله: الخلق: تقدير الشيء، وخلقت الأديم للسقاء: إذا قدرته، ورجل خليق: بين الخلق تام معتدل وغيرها من هذه المعاني المتقاربة المتداخلة التي تصب جميعاً في دلالة واحدة هي دلالة: الصنعة والاختراع والإحداث والدرء⁽³⁾.

وإذا ما تحولنا بأنظارنا إلى النص وسياقه ذي الدلالات المتعدد المتنوعة يستقطب نظرنا جملة «وَالله خَالِقِ النَّاسِ...» وهو عبارة عن مركب إضافي يتكون من جملة اسمية تشتمل على مبتدأ هو «الله» ذو الجلالة، وخبر هو: «خالق» وهو مضاف، ومضاف إليه وهو: «الناس».

والركن الأساسي والعمدة في التركيب الإضافي هو المضاف «خالق» والعنصر الثاني المكمل له هو المضاف إليه: «الناس».

والملاحظ أن المضاف في هذا المركب الإضافي قد ورد وصفاً: «خالق» وهو في شكله الظاهري اسم فاعل بزنة فاعل مشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي المتصرف المبني للمعلوم خَلَقَ يَخْلُقُ خَلْقًا نحو قوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽⁴⁾.

والأصل في بناء فاعل في الغالب إذا جاء وصفاً هو الدلالة على الحدوث والتجدد وليس الدلالة على الثبوت والدوام، لكن الأمر هنا في هذا التركيب الإضافي وضمن سياق هذا النص جاء مخالفاً للقاعدة المقررة المطردة، فقد جاء اسم الفاعل «خالق» في هذا السياق دالاً على الثبوت

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 102.

(2) _ انظر صفحة 218 من هذا البحث وما بعدها...

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق)، ج4، ص ص 192-198.

(4) _ سورة الأنعام، الآية 101.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

والدوام، والملازمة والاستمرار لسببين أساسيين هامين، أولهما: أنه قد وضع في مركب إضافي، فهو هنا مضاف، وبناء اسم الفاعل إذا كان مضافا فإنه يتحول إلى الصفة المشبهة ويجري عليه أحكامها وإعرابها مع بقاءه على صورته الأصلية، ووزنه المعلوم المشهور «فَاعِلٌ»⁽¹⁾.

وَأَسْتَدَادًا عَلَى كُلِّ مَا سَبَقَ فَإِنَّا نَطْمِئِنُ فِي بَحْثِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْخِلَافِيَّةِ وَالْحِسْمِ فِيهَا إِلَى تَرْجِيحِ الْإِتِّجَاهِ السِّيَاقِيِّ وَالْأَخْذِ بِهِ لِنَقَرَّرَ بِأَنَّ التَّرْكِيبَ الْإِضَافِيَّ فِي جُمْلَةِ « وَاللَّهُ خَالِقُ النَّاسِ » يَدُلُّ عَلَى الثَّبُوتِ وَالِدَوَامِ، وَالْمَلَازِمَةَ وَالِاسْتِمْرَارَ لِلسَّبَبِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ، أَي كَوْنَهُ وَرَدَ مُضَافًا، وَالسَّبَبُ الرَّئِيسُ الثَّانِي أَنَّ الْمُضَافَ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْمَرْكَبِ الْإِضَافِيِّ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَهُوَ وَصْفٌ خَاصٌ ثَابِتٌ دَائِمٌ أَبَدِيٌّ أَزَلِيٌّ فِي ذَاتِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

وعند محاولة استنتاج سياق النص الخارجي ومحاوره إيجازاته نستعين بقول الله عزوجل في هذا الشأن: ﴿مَا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(1٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(1٠٧)⁽³⁾.

ومن هنا فسياق النص الخارجي يشير من قريب ومن بعيد إلى قضية النسخ والمنسوخ في القرآن الكريم على عهد رسول ﷺ وأسبابه ودواعيه وملابساته ثم ردود فعل المشركين والمنافقين وعلى رأسهم اليهود، وأيضا- وهذا هو الأهم- إثارته للصخب والصحيح والبلبله واغتنام الفرصة لإثارة الشك في قلوب المؤمنين وللطعن في الإسلام وأحكامه التشريعية والتعبدية، ثم تعاليمه وتوجيهاته الربانية الموجهة إلى الرسول ﷺ، وأصحابه وأتباعه من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه: «روى أنهم طعنوا في النَّسْخِ فَقَالُوا: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِأَمْرٍ، ثُمَّ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِخِلَافِهِ، وَيَقُولُ الْيَوْمَ قَوْلًا وَيَرْجِعُ عَنْهُ غَدًا؟»، وَنَسَخَ الْآيَةَ إِزَالَتَهَا بِإِبْدَالِ أُخْرَى مَكَانَهَا، وَإِنْسَاخَهَا: الْأَمْرُ بِنَسْخِهَا، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَجْعَلَهَا مَنْسُوخَةً بِالْإِعْلَامِ بِنَسْخِهَا وَنَسْوُهَا، تَأْخِيرُهَا وَإِذْهَابُهَا، لَا إِلَى بَدَلٍ، وَإِنْسَاؤُهَا أَنْ يَذْهَبَ بِحِفْظِهَا عَنِ الْقُلُوبِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ آيَةٍ يَذْهَبُ بِهَا عَلَى مَا تَوَجَّهَ الْمَصْلُحَةُ مِنْ إِزَالَةِ لَفْظِهَا وَحُكْمِهَا مَعًا، أَوْ مِنْ إِزَالَةِ أَحَدِهِمَا إِلَى بَدَلٍ أَوْ

(1) _ انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج2، ص 240، ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج3، ص 44، عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

(2) _ سورة الأعراف، الآية 180.

(3) _ سورة البقرة، الآية 106، 107.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

غير بدل « نأتِ » بآية خير منها للعباد، أي: بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك: « على كل شيء قدير » فهو يقدر على الخير، وما هو خير منه، وعلى مثله في الخير: « له ملك السماوات والأرض » فهو يملك أموركم يُدبرها ويجريها على حسب ما يُصلحكم، وهو أعلم بما يتبعكم به من ناسخ ومنسوخ لِمَا بين لهم أنه مَالِكُ أمورهم ومُدبِرُها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره، وقررهم على ذلك بقوله: « ألم تعلم » أراد أن يُوصيهم بالثقة به فيما هو...»⁽¹⁾.

«...، أصلح لهم مما يتبعدهم به ويتزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء

اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم: ﴿ أَجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ ﴾⁽²⁾. ﴿ أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾⁽³⁾، وغير ذلك، ﴿ وَمَنْ يَتَّبِدْ أَلْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ﴾⁽⁴⁾. أي: ومن ترك الثقة بالآيات المتزلة، وشك فيها، واقترح غيرها ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾⁽⁵⁾،⁽⁶⁾ أي: فقد انحرف عن الصراط القويم، واتبع هواه، وسُبل الشيطان فتردى في جُرفٍ هارٍ فأنهار به في جهنم الدنيا والآخرة، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

تحدثت هذه العبارة ضمن سياقها العام والخاص عن قضية الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وفي المدونات القديمة خلاف كبير، فمن العلماء من يقره ومنهم من ينفي وروده في القرآن، ويبدو من خلال السياق العام والخاص للفقرة أن مؤلف هذه السطور من الذين يقرون مسألة الناسخ والمنسوخ بدليل قوله: (هو لصالح البشرية)، وقوله: (لتحقيق خير أكبر) وقوله في السياق (والله خالق الناس) أي يعرف ما يصلح لهم، وما لا يصلح لهم... وكيف يتدرج بهم في أحكامه وتشريعاته، ويأخذ بيدهم إلى بر الأمان والفوز في الدنيا والآخرة حتى لا يكون التصادم بين فطرتهم التي فطرهم الله عليها وبين هذه الأحكام التشريعية الربانية التي جاءت لتربي النفوس على الاستجابة يُيسر ودون مشقة كبيرة إلى طاعة الله وعبادته...

(1) _ الكشاف، الزمخشري، ج1، ص ص 79-80.

(2) _ سورة الأعراف، الآية 138.

(3) _ سورة النساء، الآية 153.

(4) _ سورة البقرة، الآية 108.

(5) _ سورة البقرة، الآية 108.

(6) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 80.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثامنة التي وردت فيها صيغة (فاعل) هي: « فالتعديل الجزئي وفق مقتضيات الأحوال- في فترة الرسالة- هو لصالح البشرية، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها والله خالق الناس ومُرسل الرُّسل... هو الذي يقدر هذا، فإذا نسخ آية ألقاها في عالم التسيان»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (رسل):

جاء في الصحاح أن من معاني هذه اللفظة: « شَعْرَ رَسَل، أي: مسترسل، وبعير رَسَل، أي: سهّل السير، وناقاة رَسَلَة، ويقال: وأرسلت فلاناً في رسالة، فهو مرسل ورَسُول، والجمع رُسُل ورُسُل، والمرسلات: الرياح، ويقال: الملائكة، والرسول أيضاً: الرسالة، يقول الشاعر كثير:

لَقَدْ كَذَبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ⁽²⁾.

وَأَسْتَرَسَلَ الشَّعْرُ، أي صار سَبْطاً، واسترسل إليه، أي: انبسط واستأنس، وترسل في قراءته، أي: إتاد فيها»⁽³⁾.

وقد جاء في اللسان من معاني لفظ (رسل): « وَالتَّرْسُلُ كالتَّرْسُلِ، والترسل في القراءة والترسيل واحد، وهو التَّحْقِيقُ بلا عَجَلَةٍ، وقيل: بعضه على إثر بعض، والترسل من الرِّسْلِ في الأمور والمنطق كالتمهل والتوقر والتشب، قال ابن جنبة: الترسل في الكلام: التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديداً، قال الأزهري: قال الأخفش: وسُمِّيَ الرَّسُولُ رسولاً لأنه ذو رَسُولٍ، أي: ذو رسالة، وحديث مُرْسَلٍ: إذا كان غير متصل الأسناد، وجمعه مَراسيل، وأرسل الشيء: أطلقه وأهمله، ورجل مُرْسَلٌ: كثير الرِّسْلِ واللِّبْنِ والشرب، قال تَابُطُ شَرًّا.

وَكَسَّتْ بَرَاعِي ثَلَاثَةً وَسَطَهَا طَوِيلِ الْعَصَا غُرْنِيقِ ضَحَلِ مُرْسَلٍ⁽⁴⁾.

مُرْسَلٌ: كثير اللبن فهو كَالْغُرْنِيقِ وهو شبه الكُرْكِي في الماء أبداً»⁽⁵⁾.

من خلال هذا العرض السريع المصنّف الموجز لمعاني لفظ (رسل) يمكن أن نخلص إلى أن المعنى الأصلي الرئيس للفظ يتمحور حول دلالات الإطلاق والتوقر والتثبت، والتأني والتفهم كَتَفَهُمُ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 102.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر كثير عزة، الديوان، ص 110.

(3) _ الجوهري: الصحاح، مادة (رسل)، ص ص 406-407.

(4) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن بن فهم القيسيين المضرين الملقب تابط شرا، الديوان، اعتنى به: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط 3، سنة 2012م، ص 23.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (رسل)، ج 5، ص ص 212-215.

الفصل الثاني..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الرسالة والكتاب، والكلام المرسل المتلوه.

وبانتقالنا إلى سياق النص ودلالاته الداخلية نلاحظ أن أول ما يلفت انتباهنا هو جملة «والله مُرْسِلُ الرُّسُلِ» التي هي عبارة عن مركب إضافي يتكون من جملة اسمية بسيطة تشتمل على المبتدأ الذي هو اسم الجلالة «الله»، والخبر الذي هو «مُرْسِلٌ» وهو المضاف ثم «الرُّسُلِ» وهو المضاف إليه المحرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

والركن الأساسي في هذا التركيب الإضافي الذي يهمننا أكثر من غيره في هذه الجملة الاسمية هو المضاف «مُرْسِلٌ» لأنّ الكلام سينصب عليه ثم العنصر الثاني الذي يليه مباشرة وهو المضاف إليه «الرُّسُلِ» وهو ركن أيضا له أهميته التي لا يستهان بها في هذا المركب لأنّ المعنى لا يتم إلا بوجوده وبإمعان النظر في هذا التركيب نلاحظ أن المضاف فيه قد ورد وصفا «مُرْسِلٌ» وهو في صورته الظاهرة بناء اسم الفاعل على زنة مُفْعِلٍ مشتق من مصدر الفعل الرباعي المتعدي المتصرف المبني للمعلوم: أَرْسَلَ يُرْسِلُ إِرْسَالًا نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

والغالب في بناء فاعلٍ وُقفاً للقاعدة الأصلية المطردة إذا جاء وصفا هو الدلالة على الحدوث والتغير لا الدلالة على الثبوت والدوام، بيد أن الوضع هنا في هذا التركيب الإضافي وضمن سياق هذا النص جاء مغايرا للأصل المقرر الثابت، فقد ورد اسم الفاعل «مُرْسِلٌ» في هذا السياق النصي الداخلي دالا على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار لسببين هاميين رئيسين، أولهما: أنه قد وُضع في جملة اسمية مشتملة على مركب إضافي، واسم الفاعل في موقع المضاف: «مُرْسِلُ الرُّسُلِ» وبناء اسم الفاعل إذا كان مضافا إلى فاعله يخرج هذا -حتمًا- من يابه من غير تغيير في صيغته التي هو عليها عند إضافته لفاعله، وتُدخله في باب: «الصفة المشبهة، فتسري عليه كل أحكامها المعروضة في بابها»⁽²⁾.

وبناء على ذلك فإننا نحسم الخلاف في هذه المسألة بين بعض العلماء إلى الأخذ بالنظرية السياقية في إعطاء الأولوية للسياق لنقرر بأن المركب الإضافي في جملة: «والله مُرْسِلُ الرُّسُلِ» يفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار لانتقاله إلى الصفة المشبهة للأسباب السابق ذكرها، وثاني السببين أن المضاف في جملة هذا التركيب الإضافي جاء وصفا لله سُبْحَانَهُ جَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ وَعَظَّمَتْ أَوْصَافُهُ بدليل الضمير المستتر في الاسم المضاف الوصف «مُرْسِلُ الرُّسُلِ» العائد على اسم الجلالة قبله في قول الكاتب: «والله مُرْسِلُ الرُّسُلِ» من أجل ذلك فهو وصف خاص ثابت دائم أبدي أزلي لله

(1) _ سورة الأنبياء، الآية 107.

(2) _ عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

سبحانه لا يتبدل عنه ولا يتغير، ولا يتأخر ولا ينقص فهو المدير والمتصرف، والمريد والمعطي والمانع، والقباض والباسط إلى أبد الآبدين، مالك الملك، المهيمن العزيز الجبار، الودود الرحيم.

وبالتحول إلى مستوى سياق النص الخارجي نجد قول الله تعالى يبرز إحدى هذه الدلالات

ذات البعد العقدي الرباني: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾⁽¹⁾.

« يم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يكون بدلا من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾⁽²⁾، « ورحمة من ربك» مفعول له، على معنى: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ، لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، وأن يكون تعليلا ليقرق، أو لقوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾⁽³⁾، ورحمة: مفعول به، وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسَلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾⁽⁴⁾، أي: يفصل في هذه الليلة كل أمر، أو تصدر الأوامر من عندنا، لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا، وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة، وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عزّ وعلا، لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع، والأصل: إِنَّا كُنَّا « مُرْسِلِينَ » رحمة منا ومنها إرسال الرسل، فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الرُّبُوبِيَّة تقتضي الرحمة على المربوبين»⁽⁵⁾.

وجاء في مدونة تفسير التحرير والتنوير عن تأويل آية: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾⁽⁶⁾ ومفعول «مرسلين» محذوف دل عليه مادة اسم الفاعل التي هي هنا صفة مشبهة دالة على الثبوت والدوام في حق المولى جل وعلا الذي شأنه ودأبه إرسال الرسل، أي: مرسلين الرسل الآية.

و«رحمة من ربك» مفعول له من «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ»، أي: كُنَّا مُرْسِلِينَ لأجل رحمتنا، أي: بالعباد المرسل إليهم لأن الإرسال بالإنذار رحمة بالناس ليتجنبوا مهاوي العذاب ويكتسبوا مكاسب الثواب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽⁶⁾.

وإيراد لفظ الرب في قوله: «من ربك» إظهار في مقام الإضمار لأن مقتضى الظاهر أن يقول:

(1) _ سورة الدخان، الآيتان 5، 6.

(2) _ سورة الدخان، الآية 3.

(3) _ سورة الدخان، الآية 5.

(4) _ سورة فاطر، الآية 2.

(5) _ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 1125.

(6) _ سورة الأنبياء، الآية 107.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

رحمة منا، وفائدة هذا الإظهار الإشعار بأن معنى الربوبية يستدعي الرحمة، بالمربوبين ثم إضافة «رب» إلى ضمير الرسول ﷺ صرّف للكلام عن مواجهة المشركين إلى مواجهة النبي ﷺ بالخطاب لأنه الذي جرى خطابهم هذا بواسطته فهو كحاضر معهم عند توجيه الخطاب إليهم فيصرف وجه الكلام تارة إليه كما في قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾⁽¹⁾، وهذا لقصد التنويه بشأنه بعد التنويه بشأن الكتاب الذي جاء به.

وإضافة الربّ إلى ضمير الرسول ﷺ لِيُتَوَصَّلَ إِلَى حَظِّ لِه فِي خِلَالِ هَذِهِ التَّشْرِيعَاتِ بِأَنَّ ذَلِكَ كَلِمَةٌ مِنْ رَبِّهِ هُوَ «مُرْسِلُ الرُّسُلِ»، أي: بواسطته فإنه إذا كان الإرسال رحمة كان الرسول ﷺ رحمة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، ويعلم من كونه ربّ الرسول ﷺ أنه ربّ الناس كلهم إذ لا يكون الربُّ ربُّ بعض الناس دون بعض فأغنى عن أن يقول: رحمة من ربك وربهم، لأن غرض إضافة رب إلى ضمير الرسول ﷺ يأبى ذلك ثم سيصرح بأنه ربهم في قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽³⁾.

وجملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁴⁾، تعليل بجملة: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾⁽⁵⁾، أي: كنا مُرْسِلِينَ رحمة بالناس لأنه عَلِمَ عِبَادَةَ الْمُشْرِكِينَ لِلْأَصْنَامِ، وَعَلِمَ إِغْوَاءَ أُمَّةِ الْكُفْرِ لِلْأُمَّمِ، وَعَلِمَ ضَلَالَةَ النَّاسِ مِنْ ظُلْمِ قُوِيَّتِهِمْ ضَعْفِيَّتِهِمْ، وَعَلِمَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ فَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِتَقْوِيمِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ، وَعَلِمَ أَيْضًا نَوَايَا النَّاسِ وَأَفْعَالَهُمْ وَإِفْسَادَهُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَرْسَلَ الرُّسُلَ بِالشَّرَائِعِ لِكِفِّ النَّاسِ عَنِ الْفِسَادِ وَإِصْلَاحِ عِقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَأَشِيرَ إِلَى عِلْمِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ بِوَصْفِ «السَّمِيعِ» لِأَنَّ السَّمِيعَ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْأَقْوَالَ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَشِيرَ إِلَى عِلْمِ النَّوْعِ الثَّانِي بِوَصْفِ «الْعَلِيمِ» الشَّامِلِ لِمَجْمُوعِ الْمَعْلُومَاتِ، وَقَدَّمَ «السَّمِيعَ» لِلاَهْتِمَامِ بِالمُتَمَوِّعَاتِ لِأَنَّ أَصْلَ الْكُفْرِ هُوَ دُعَاؤُ الْمُشْرِكِينَ أَصْنَامَهُمْ.

وَاعْلَمَ أَنَّ السَّمِيعَ وَالْعَلِيمَ تَعْلِيلَانِ لِجُمْلَةٍ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ بطريق الكناية الرمزية لأنَّ عِلَّةَ الْإِرْسَالِ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ إِرَادَةُ الصَّلَاحِ وَرَحْمَةُ الْخَلْقِ، وَأَمَّا الْعِلْمُ فَهُوَ الصِّفَةُ الَّتِي تَجْرِي إِرَادَةُ عَلَى

(1) _ سورة يوسف، الآية 29.

(2) _ سورة الأنبياء، الآية 107.

(3) _ سورة الدخان، الآية 8.

(4) _ سورة الدخان، الآية 6.

(5) _ سورة الدخان، الآيتان 5، 6.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وفقه، فالتعليل بصفة العلم بناء على مقدمة أخرى وهي أن الله تعالى حكيم لا يجب الفساد، فإذا كان لا يجب ذلك وكان عليمًا بتصرفات الخلق كان علمه وحكمته مقتضيين أن يرسل للناس رُسُلًا رحمة بهم، فهو «مُرْسَل الرُّسُل» إليهم ومُنزَل الآيات عليهم لإصلاح أحوالهم وذرء المفاصد المنغصة لحياتهم. وضمير الفَصْل أفادَ الحَصْر، أي هو السميع العليم لا أصنامكم التي تدعونها، وفي هذا إيماء إلى الحاجة إلى إرسال الرسول إليهم بإبطال عبادة الأصنام المتعددة الألوان والأشكال»⁽¹⁾.

والذي يؤخذ على المؤلف مما جاء في هذه الفقرة (فإذا نسخ الله آية ألقاها في عالم النسيان) ونحن نتساءل هنا فنقول: كيف يعقل شرعا وعقلا ومنطقا أن يتزل الله آية قرآنية ثم ينسخها بآية أخرى ويلقي الأولى في عالم النسيان؟ إنَّ كلام غير مستقيم ولا يتماشى مع الرسالة الختامية التي بها النبي محمد ﷺ...

(1) _ بتصرف يسير، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج10، ج25، ص ص 281-282.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة التاسعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) المضاف هي: «... والله خالق الناس، ومرسل الرسل، ومترّل الآيات...»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (نزل):

جاء في الصّحاح من معاني هذه اللفظة: النُّزْل: ما يهياً للتزِيل، والجمع الأنزال، والنُّزْل أيضاً الرِّيع، ابن الأعرابي: وحدتُ القوم على نزلاتهم، أي: منازلهم، وقال الفراء: الناس على نزلاتهم، أي: على استقامتهم، مثل سَكَنَاتِهِم وَالْمَنْزِل: المنهَل والدار، والمنزلة مثله، وقال ذو الرمة من الطويل:

أَمَنْزَلْتَنِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ؟⁽²⁾.

والمنزلة: المرتبة لأتجمع، وأستترل فلان: حُط عن مرتبته وأنزله غيره وأستترله بمعنى ونزله تنزيلاً، والتنزيل أيضاً: الترتيب، ونزال، مثل قَطَام: بمعنى أنزل، وهو معدول عن المنازلة والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان، والتترل: التزول في مهلة، والتنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس»⁽³⁾.

وجاء في اللسان من معاني هذه اللفظة أيضاً قوله: «التزول: الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم يتزل نزولاً ومنزلاً ومترلاً، بالكسر شاذ، وتترله، وأنزله ونزله بمعنى، قال سيبويه: وكان أبو عمرو يفرق بين نزلتُ وأنزلتُ ولم يذكر وجه الفرق، قال أبو الحسن: لا فرق عندي بين نزلتُ وأنزلتُ إلا صيغة التكثير في نزلت في قراءة ابن مسعود: وأنزل الملائكة تنزيلاً، أنزل: كتزل

والتزِيل: الضيف قال الشاعر من الوافر:

نَزِيلُ الْقَوْمِ أَعْظَمُهُمْ حُقُوقًا وَحَقُّ اللَّهِ فِي حَقِّ النَّزِيلِ⁽⁴⁾.

سيبويه: ورجل نزيل نازل، وأنزال القوم: أرزاقهم.

والمُنزَل: الإنزال، تقول: أنزلني مُترلاً مباركاً، والنزل: المكان الصّلب السّريع السّيل، وأرض

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 102.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر ذي الرمة، الديوان، 156.

(3) _ الجوهرى، الصّحاح، مادة (نزل)، ص 1034.

(4) _ الشاهد: من البحر الوافر، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج6، المحتوى: شعر، قافية (اللام)، ص 580.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

نَزَلَةٌ: تَسِيلٌ مِنْ أَدْنَى مَطَرٍ»⁽¹⁾.

بناء على التفسير السابقة للفظ (نزل) الواردة في مصادر اللغة والمعاجم اللغوية العربية الأصيلة يمكن لنا أن نستخلص معنى التُّزْل وهو ما يُهَيَأُ للتزِيل، ومنها الناس على نَزْلَاتِهِمْ، أي: على استقامتهم، ونَزْلَهُ تَزِيلًا، أي: رَتْبُهُ وَنَظْمُهُ، وأنزله ونَزَلَهُ بمعنى واحد.

ويظهر من خلال هذا العرض الموجز لمعنى (نزل) أن معنى الإنزال والتزِيل واحد أو هما متقاربا الدلالة ومشتركاها إلى حدٍّ بعيد جدا بحيث يصعب على الباحث استخلاص الفروق الدقيقة بينهما، الأمر الذي جعل سيبويه يقول: «وكان أبو عمرو (ت 154هـ)⁽²⁾، يفرق بين نَزَلَتْ وأُنزِلَتْ ولم يذكر وَجْهَ الفرق، وَقَالَ أبو الحسن (ت 210هـ)⁽³⁾: لا فرق عندي بين نَزَلَتْ وأُنزِلَتْ إلا صيغة التكثير في نَزَلَتْ في قراءة ابن مسعود: ﴿وَنَزَّلْنَاكَ تَنْزِيلًا﴾⁽⁴⁾، أنزل كَنَزَلٌ»⁽⁵⁾.

وبانتقالنا إلى سياق النص نلاحظ أول ما يلفت النظر فيه هو جملة «... وَمُنَزَّلَ الآيات...» التي هي في حقيقتها مركب إضافي يتألف من جملة اسمية بسيطة تشتمل في أصلها على المبتدأ الذي هو اسم الجلالة «الله» المقدر في الجمل الاسمية المعطوفة السابقة، والخبر الذي هو «مُنَزَّلٌ» وهو المضاف هنا ثم الاسم «الآيات» هو المضاف إليه المجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

والركن الرئيس في هذا التركيب الإضافي الذي هو عبارة عن جملة اسمية هو المضاف «مُنَزَّلٌ» لأن الكلام سيتمحور حوله ثم العنصر الثاني الذي يليه مباشرة هو المضاف إليه «الآيات» وهو ركن أيضا له أهميته التي لا يستهان بها في هذا المركب الاسمي الوصفي لأن المعنى لا يتم إلا بوجوده.

وبتركيز الانتباه في هذا التركيب نلاحظ أن المضاف فيه قد ورد وصفاً "مُنَزَّلٌ" وهو في شكله الظاهر بناء اسم الفاعل على وزن "مُفَعَّلٌ" مشتق من مصدر الفعل الرباعي المتعدي المتصرف المبني

(1) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزل)، ج14، ص ص 111-113.

(2) _ أبو عمرو بن العلاء، وفي بعض الروايات اسمه زيان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين التيمي المازني وهو بصري، أخذ عن ابن إسحاق، وكان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغيرها من عبد الله بن إسحاق، وكان من جلة القراء والمؤثوق بهم، مات سنة 154هـ، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ص 35-40.

(3) _ سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط، وهو أحد الأخفاش الثلاثة المشهورين ورابع الأخفاش من أهل بلخ، سكن البصرة، قرأ النحو على سيبويه، وكان معتزليا، حدث عن الكلبي والتخمي وهشام بن عروة وروى عنه أبو حاتم السجستاني، صنف: الأوساط في النحو، معاني القرآن، الاشتقاق وغيرها، توفي سنة 210هـ، السيوطي، بغية الوعاة، مج1، ص ص 590-591.

(4) _ سورة الفرقان، الآية 25.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزل)، ج14، ص 111.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

للمعلوم: نزل، يُنزل، تُنزلًا نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (1)

والغالب في بناء فاعل تبعاً للقاعدة الأصلية المقررة الثابتة إذا جاء وصفاً هو الدلالة على الحدوث والتجدد لا للدلالة على الثبوت و الملازمة الدائمة، بيد أن الوضع هنا في هذا التركيب الاسمي الإضافي ضمن سياق هذا النص جاء مخالفاً للأصل المطرد الثابت، فقد جاء اسم الفاعل "مُنزَّل" في هذا السياق النصي الباطني دالاً على الثبوت والملازمة الدائمة لسببين رئيسين، أولهما: أنه قد وُضِعَ في جملة اسمية متكونة من مركب إضافي، و اسم الفاعل في موقع المضاف: «...مُنزَّلُ الآيات...» وبناء اسم الفاعل إذا كان مضافاً إلى فاعله- كما أسلفنا القول- يخرج حتماً- من بابه من غير تغير في صيغته التي هو عليها عند إضافته لفاعله ويدخله في باب الصفة المشبهة، فتجري عليه كل أحكامها المعروضة في بابها» (2)

وارتكازاً على ما سبق يُحسَمُ الخِلافُ هنا الواقع بين بعض العلماء بالعمل بالنظرية السياقية وإعطاء الأولوية للسياق لنقرر بأن المركب الإضافي في جملة: «وَاللَّهُ مُنَزَّلُ الْآيَاتِ» يفيد الثبوت والملازمة الدائمة، والاستمرار لانتقال بناء اسم الفاعل: "مُنزَّلُ" إلى الصفة المشبهة وذلك للأسباب السابق ذكرها، و السبب الثاني أن الاسم المضاف الوصف في عبارة هذا التركيب الإضافي جاء وصفاً لله سبحانه تعالى بدليل الضمير المستتر في المضاف الوصف «مُنزَّلُ الْآيَاتِ...» العائد على اسم الجلالة قبله مباشرة في قول الكاتب: «وَاللَّهُ مُنَزَّلُ الْآيَاتِ..» من أجل ذلك كله فهو وصف خاص ثابت دائم ملازم لذات الله سبحانه لا ينفك عنه ولا يشركه فيه غيره.

هذا وحينما نتحوّل بوجهتنا صوب استنطاق السياق الخارجي للنص والتحاوّر معه من خلال إيجاءاته، ودلالته الخارجية المتعددة الأبعاد نجد أنفسنا مضطرين إلى الاستعانة في هذا الشأن بقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَارْ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (3)

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده، أنه يصير إليها في الآخرة بتكذيبه يقول الله لنبيه

(1)-سورة الحجر، الآية 9.

(2)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

(3)-سورة هود، الآية 17.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

محمد ﷺ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْذِبُ اللَّهُ لَهُ الْهَؤُلَاءِ﴾⁽¹⁾ يقول: فلا تكُ في شك منه، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار، وأن هذا القرآن، فقال: إن هنا القرآن الذي أنزلناه إليك من عند الله، ثم ابتداءً أجلّ ثناؤه الخبر عن القرآن، فقال: إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد الحق من ربك لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلك كذلك»⁽²⁾

ومراعاة لدلالات النص السياقية الخارجية الإيجابية في قول المؤلف: «وَاللَّهُ مُنْزِلُ الْآيَاتِ..» التي جاءت لترد على الجاحدين المشككين الذين يكذبون بكون القرآن وآياته الباهرة المعجزة من عند الله تبقى هذه الآيات التي تتصدى لهؤلاء المشركين والكفار على اختلاف مللهم ونحلهم وفي كل الأزمنة والأمكنة يقول الله جل ثناؤه متحديا معجزا لهؤلاء المرتابين المتقلبين في ريبهم: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽³⁾

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تأويل هذه الآية: «وَأُتِيَ ب(إن) في تعليق هذا الشرط وهو كونهم في ريب وقد علم في فن المعاني اختصاص (إن) بمقام عَدَمِ الجزم بوقوع الشرط، لأن مدلول هذا الشرط قد حَفَّ به من الدلائل ما شأنه أن يَقْلَعَ الشرط، لأن أصله بحيث يكون وَقُوعُهُ مَفْرُوضاً فيكون الإثيان بـ(إن) مع تحقق المخاطب علم المتكلم بتحقيق الشرط توبيخاً على تحقق ذلك الشرط، كأن ريبهم في القرآن مُسْتَضْعَفُ الوقوع، ووجه ذلك أن القرآن قد اشتطت ألفاظه»⁽⁴⁾

«...» ومعانيه على ما لو تَدَبَّرَهُ العقلُ السليم لجزم بكونه من عند الله تعالى فإنه جاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلها من فحول بُلْغَائِهِمْ، وهم فيه متوافرون متكاثرون حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته واعترف بعضهم بأنه ليس بكلام بشر، وقد اشتمل من المعاني على ما لم يطرقة شعراؤهم وخطبائهم وحكماؤهم، بل وعلى ما لم يبلغ إلى بعضه علماء الأمم، ولم يزل العلم في طول الزمان يُظهِرُ حبايا القرآن ويبرهن على صدق كونه من عند الله فهذه الصفات كافية لهم في إدراك ذلك وهم أهل العقول الراجحة والفتنة الواضحة التي دَلَّتْ عليها أشعارهم وأخبارهم وبداهتهم ومناظرهم، والتي شهد لهم بها الأمم في كل زمان، فكيف يبقى بعد ذلك كله مسلك

(1)-سورة هود، الآية 109.

(2)-ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج6، ص 4312.

(3)-سورة البقرة، الآية 23.

(4)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 335-336.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

للرَّيب فيه إليهم فضلا عن أن يكونوا منغمسين فيه.

ووجه الإتيان بفي الدالة على الظرفية الإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريبُ و أحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف واستعارة "في". بمعنى الملابس شائعة في كلام العرب كقولهم: هو في نعمة، وأتى (نزل) دون (أنزل) لأن القرآن نزل نُجوماً، وقد تقدم في أول التفسير أن (فعل) يدل على التقضي شيئاً فشيئاً، على أن صاحب الكشف قد ذكر أن اختياره هنا في مقام التحدي لمراعاة ما كانوا يقولون لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة فلما كان ذلك من مثرات شبيههم ناسب ذكره في تحديهم أن يأتوا بسورة مثله منجمة، وجعل لفظ سورة اسماً جنسياً لأجزاء من القرآن اصطلاح جاء به القرآن، وهي مشتقة من السور، وهو الجدار الذي يحيط بالقرية أو الحظيرة، فاسم السورة خاص بالأجزاء المعينة من القرآن دون غيره من الكتب، وإنما كان التحدي بسورة ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن لأن من جملة وجوه الإعجاز أمور الا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفى في غرض من الأغراض وإنما تترل سور القرآن في أغراض مقصودة فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام وخواتمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له للكلام، وصحة التقسيم، ونكت الإجمال والتفصيل، وأحكام الانتقال من فن إلى آخر من فنون الغرض، ومناسبات الاستطراد والاعتراف والخروج والرجوع، وفصل الجمل⁽¹⁾

«...ووصلها، والإيجاز والإطناب، و نحو ذلك مما يرجع إلى نكت مجموع نظم الكلام، وتلك لا تظهر مطابقتها جلية إلا إذا تم الكلام واستوفى الغرض حقه، فلا جرم كان لنظم القرآن وحسن سبكه إعجاز يفوت قدرة البشر هو غير الإعجاز لجمله وتراكيبه وفصاحة ألفاظه، فكانت السورة من القرآن بمنزلة خطبة الخطيب وقصيدة الشاعر لا يحكم لها بالتفوق إلا باعتبارات مجموعها بعد اعتبار أجزائها، قال الطيبي في حاشية الكشف عند قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾⁽²⁾ في سورة الأنفال، وكسرت النظم القرآني كان التحدي بالسورة وإن كانت قصيرة دون الآيات وإن كانت ذوات عدد⁽³⁾.

هذا ويطول الكلام ويمتد ويتسع كما تشق المتابعة ويعجز اللسان، وينفذ المداد لاستيفاء كلمات ربي حقها، ويتعب القلم الأدمي وهو يخط من أجل استجلاء آيات الله الماثوثة هنا وهناك في

⁽¹⁾ -المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 336-337.

⁽²⁾ -سورة الأنفال، الآية 17.

⁽³⁾ -الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 1، ج 1، ص 337.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

سور القرآن، والمعروضة في الآفاق وفي الأنفس مصدقا لقوله تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁽¹⁾ وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾⁽²⁾

ولا عجب في ذلك وهو كلام العلي القدير العزيز الجبار المهيمن المستوعب لكل جليل وحقير، كبير وصغير من النملة إلى الفيل، ومن الحصبة إلى الجرم، ومن النبع الصغير إلى المحيطات..

عبد القادر للعطوم الإسلامية

(1)-سورة فصلت، الآية 53.

(2)-سورة الكهف، الآية 109.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

-صيغة "فَاعِل" النكرة

وردت هذه الصيغة في المدونة في كم قليل لا يتعدى في مجموعه خمسة وعشرين صيغة، واقتصرنا في التمثيل والتحليل منها على خمس صيغ كما هي مبينة في الجدول البياني أدناه:

-جدول بياني لصيغة (فاعل) النكرة الواردة غب تفسير ظلال القرآن الجزء الأول:

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها
-1	بَاقِيَةٌ	14	23	وَالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِحْسَانَ أَصِيلَةً كَالْحَقِّ، بَاقِيَةٌ بَقَاءَهُ فِي الْأَرْضِ
-2	قَائِمًا	48	25	وهذا التحدي ظل قائماً في حياة الرسول ﷺ وما يزال قائماً إلى يومنا هذا.
-3	وَاضِحًا	48	26	وما يزال القرآن يتميز من كل كلام البشر تَمَيُّزًا وَاضِحًا قَاطِعًا، وَسَيَّظَلُّ كَذَلِكَ.
-4	دَائِم	61	11	وَالْإِنْسَانُ هُوَ نَفْسُهُ مِيدَانُ الْمَعْرَكَةِ، وَهُوَ نَفْسُهُ الْكَاسِبِ أَوْ الْخَاسِرِ فِيهَا وَفِي هَذَا إِجْمَاعٍ دَائِمٍ بِالْيَقِظَةِ.
-5	وَاحِدَةٌ	106	31	-فالكل من خلقه بدرجة واحدة وبأداة وَاحِدَةٍ.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فَاعِل) نكرة هي: (والخير والصلاح والإحسان أصيلة كالحق، بآقية بقاءه في الأرض) (1)

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (بقي):

إنَّ أوَّل ما يصادفنا عند التعريف بمادة (بقي) في المعاجم اللغوية المعتمدة: قال الليث: «بقي الشيء يبقى بقاءً، وهو ضدُّ الفناء، واستبقيتُ فلاناً في معنى العفو عن ذنبه، واستبقاه مودّته، وقال النابغة:

وَلَكَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحْراً لَا تَلْمُهُ
عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ؟ (2)

وقال اللحياني: بَقَيْتُهُ وَبَقَوْتُهُ: نظرتُ إليه» (3)

ومما جاء في اللسان في التعريف بهذه المادة: «في أسماء الله الحُسنى الباقي: هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر ينتهي إليه، ويُعبّرُ عنه بأنه أبدي الوجود، والبقاء: ضدُّ الفناء» (4)

«الباء والقاف والياء أصل واحد، وهو الدوام، وبَقَيْتُ فلاناً أَبْقِيَهُ: إذا رَعَيْتَهُ وانتظرتَه، ويُقال: ابق لي الأذان، أي أرقبه لي، وأنشد:

فَمَا زِلْتُ أَبْقِي الظَّنَّ حَتَّى كَانَتْهَا
أَوَاقِي سَدَى تَعْتَا لهنَّ الحَوَائِكُ (5) (6)

» يقول: شبّهت الأظعان في تباعدها عن عَيْني ودُخولها في السَرَاب بالغَزَل التي تُسديه الحائكة فيتناقص أو لا فأولاً» (7)

- ولَمَّا تقصّينا مادة (بقي) في المعاجم اللغوية تكشف لنا أن دلالتها الأصلية هي أن البقاء: ضدُّ الفناء، والباقي هو الذي لا ينتهي وجوده في الاستقبال إلى آخر ينتهي إليه، وبقي: دام واستمر، وهي دلالة واحدة رئيسة و إذا تحوّلنا إلى لفظ (بقي): كما جاءت في ظل سياق النص نجدها قد وُضعت في هذه الصيغة "بأقية" وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ص 14.

(2) - الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر النابغة الذبياني، ص 26.

(3) - الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (بقو، بقي)، مج 1، ص 374-375.

(4) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بقو، بقي)، ج 1، ص 467.

(5) - الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر الكمي، الديوان، ص 416.

(6) - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (بقو، بقي) ص 103.

(7) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بقو، بقي) ج 1، ص 468.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١)

و الصيغة في هذه الصورة (باقية) ووفقاً للقاعدة الصرفية الأصلية اسم فاعل الذي يدل-في الأصل-على الحدوث والتجدد لا على الثبوت والداوم، غير أن القرينة اللفظية-هنا-في السياق النصي هي التي حوّلت صيغة (فاعل) التي هي في الأصل اسم فاعل إلى اسم فاعل لا يدل على الحدوث والتغير لأن صيغة اسم الفاعل-هنا-جاءت قرينة لفظية صريحة الدلالة على الثبوت والداوم، والاستمرار الأزلي الأبدي، واستناداً على ذلك كله كانت صيغة (باقية) في معناها ودلالاتها اللفظية الصريحة صفة مشبهة تدل على الثبوت والداوم والاستمرار في الماضي البعيد والحاضر والمستقبل الذي لا يعلم غايته إلا الله العليم الخبير وليست الصيغة "اسم فاعل" المعهود المعلوم.

ولذا كانت الكلمة الفصل هنا ليست للصيغة "باقية" الواردة في النص في حد ذاتها وإنما كانت لدلالاتها ومعناها في أصل وضعها اللغوي الأول، وكذلك للسياق والمقام أيضاً، بغض النظر عن الأصل الذي يحكم هذه الصيغ والقاعدة النحوية أو الصرفية التي تضبطها.

وإذا ما عدنا إلى المستوى التركيبي، أي: الأسلوب نجد أن صيغة: "باقية" قد وردت مفردة مؤنثة مُنكرة تشير إلى موصوف معين يحدده السياق والمقام من جهة، ويعينه الضمير المستتر في صيغة "باقية" العائد على مبادئ: الخير والإصلاح والإحسان ويسهم في هذا التعيين والتخصيص الأسلوب البياني المتمثل في التشبيه الجمل في قوله: «والخير والإصلاح والإحسان أصيلة كالحق..» فشبّه عناصر الخير والإصلاح والإحسان بالحق وهو المشبه به والحق هنا هو الدين، وهو الصراط المستقيم وهو المنهج القويم الذي لا يميل ولا يعوج ولا يختل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٢)

وإذا حاولنا المقاربة إلى مستوى السياق الخارجي للنص دون أن نبعد كثيراً عن صيغة "باقية" ولفظة "الحق" مستعنيين بما جاء عن بعض العلماء الأفاضل الذي يقول: «من أسماء الله الحسنى الباقي، هو الحي الباقي على الدوام، والبقاء ضد الفناء، شأن الخلق الفناء، وشأن الله البقاء، شأن الخلق أن كل من عليها فأن، وشأن الخالق أنه "باق" على الدوام، إلا أن كلمة "باقية" جاءت في القرآن الكريم

(١)-سورة الزخرف، الآية 28.

(٢)-سورة الأنعام، الآية 153.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

تعني طاعة، قال تعالى: ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾⁽¹⁾ «بقية الله خير لكم...» أي طاعته خير لكم، من هنا كان الخير أصيلاً كالحق «بأق بقاءه في الأرض» وطاعة الله خير، وما أدراك ما طاعة الله فهي الخير كله، من أين استنبطنا أن البقية هي الطاعة؟ الله جل جلاله أودع في الإنسان الشهوات، هذه الشهوات حيادية يمكن استخدامها⁽²⁾

«...وفق منهج الله وبخلاف منهج الله، إن مارست الشهوات وفق منهج الله فأنت أخذت "بقية الله" كسب المال أنواع كثيرة محرمة، قد يكون اغتصاباً، سرقةً تدليساً، كذباً غشاً، خداعاً، أما التجارة الشرعية عن قبول ورضاً وصدق وأمانة فهذه بقية الله خير لكم "باقية" بقاءه في الأرض، هذه المرأة الأجنبية محرّم أن تنظر إليها، وهذه وتلك، إلا أن الزوجة والمحارم بقية لك من النساء "باقية" بقاء الحق في الأرض، فلك أن تنظر إليها، فالبقية هي الطاعة... وسرّ تسمية البقية الطاعة أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان شهوات يمكن أن تتحرك من خلالها على نحو واسع جداً، إلا أن من هذا التحرك الواسع تحركاً منهجياً، تحركاً شرعياً خيراً، صالحاً مُصلحاً، تحركاً وفق ما أمر الله ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾⁽³⁾ لذلك المؤمن لو عرض عليه مال كثير إن لم يكن شرعياً يركله بقدمه يقول: الله هو الغني، ويسأل الله الغني أن يُغنيه الله مالا حلالاً من فضله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾⁽⁴⁾

أحياناً تدعو امرأة ذات منصب وجمال شاباً طائعاً لله يقول: معاذ الله إنني أخاف الله رب العالمين، بقية الله لهذا الشاب زوجته: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁵⁾

إذاً البقاء ضد الفناء، وبقية الله طاعته وانتظار ثوابه، أحياناً الطاعة تكون مُجهدّة ومُتعبّة وفيها كلفة، ما سُمّي التكليف تكليفاً إلا لأنه ذو كلفة، لكن هذه الكلفة تمضي ويبقى الثواب، أما المعصية ممتعة، والمتعة تمضي ويبقى العقاب، فهذا كله شيء عابر، متاعب الطاعة عابرة، لذا

(1)-سورة هود، الآية 86.

(2)-بتصرف، محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج3، ص 181.

(3)-سورة هود، الآية 86.

(4)-سورة التوبة، الآية 59.

(5)-سورة يوسف، الآية 23.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

المعاصي عابرة، ما الذي يبقى إلى أبد الآبدين؟ ثواب الطاعة، وجزاء المعصية، فالمؤمن يفكر في

"الباقية" ولا يفكر في "الفانية"، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ (1)، (2)

إن السياق العام لهذه العبارة كله - بدءا - من الجملة الاسمية في قول المؤلف: (والخير والصلاح والإحسان) بما تشتمل عليه من قيم إيجابية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير من مجتمع إلى مجتمع، وبما جاء فيها من ألفاظ وصيغ صريحة الدلالة على الدوام والاستمرار كلها متظافرة ومتعاونة تفيد معنى الثبوت والبقاء، بقاء الإنسان خليفة في هذه الأرض ولا مجال للأخذ والرد في هذا في منظور الدين الحق. هذا ولا التفات لآراء الملاحدة والعلمانيين الذين يزعمون أن الأخلاق والقيم تتغير وتتبدل من مجتمع إلى مجتمع، فما هو خير ومعروف وإحسان في مجتمع معين فهو شر ومنكرٌ وسوءٌ بالنسبة لمجتمع آخر، ولا التفات أيضا لهؤلاء الفلاسفة الماديين الذي يزعمون أن المثل العليا والقيم الأخلاقية الإنسانية هي من شيم وخصال الضعفاء الجبناء الكسلاء الذين ما تلبثوا الحياة أن تنبذهم لأن الحياة تقتضي الصراع الدائم، والقوة، والنشاط، والطموح إلى الأعلى والأفضل: لإيجاد الإنسان السوبرمان...

(1) -سورة الأعلى، الآيتان: 16، 17.

(2) -بتصرف، محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج3، ص182.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

العبرة الثانية التي وردت فيها صيغة (فاعل) نكرة هي: «وهذا التحدي ظل قائما في حياة الرسول ﷺ وما يزال قائما إلى يومنا هذا»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي لكلمة (قوم):

مما انتقيناها من معاني ومضامين لفظة (قوم) مما عثرنا عليه في معجم تهذيب اللغة قوله: قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾⁽²⁾ إنما هو من المواظبة على الدين والقيام عليه، وَقَالَ أَبُو اسْحَاقَ: الْقِيَامُ وَالْقِيَامُ فِي صِفَةِ اللَّهِ: الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ أَمْرِ خَلْقِهِ فِي إِنْشَائِهِمْ وَرِزْقِهِمْ وَعَلْمِهِ بِأَمَكَّتِهِمْ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي الْقِيَمِ: هُوَ مِنَ الْفَعْلِ فَعِيلٌ، أَصْلُهُ قَوِيمٌ، وَكَذَلِكَ سَيِّدُ سُوَيْدٍ، وَجَيْدٌ جَوَيْدٌ، بوزن ظريف وكريم، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، أبو زيد الأنصاري: أَقَمْتُ الشَّيْءَ وَ قَوَّمْتُهُ فِقَامًا، بمعنى استقام، قال: والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه»⁽³⁾

ومما حاولنا انتقاءه من معاني، لفظة (قوم) في اللسان قوله: «القيام: نقيض الجلوس، قام يقوم قوماً وقياماً و قومةً وقامةً، والقومة: المرة الواحدة.»
ومعنى القيام: العزم، كقول النابغة الذبياني:

نُبْتُ حِصْنًا وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ قَامُوا فَقَالُوا: حِمَانًا غَيْرَ مَقْرُوبٍ⁽⁴⁾
أي: عزموا فقالوا، وكقول حسان بن ثابت:

عَلَامٌ قَامَ يَشْتُمُنِي لَيْمٌ كَخَتِرِي تَمَرَّغَ فِي رَمَادٍ⁽⁵⁾
معناه: علام يعزم على شتمي.

ويقال: قام الماء: إذا ثبت متحيرًا لا يجذ منقذًا، وإذا حمد أيضا وعليه فسر بيت أبي الطيب المتنبي.

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 48.

(2) - سورة آل عمران، الآية 113.

(3) - الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (قوم)، مج3، ص 2864-2865.

(4) - الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر النابغة الذبياني، الديوان، ص 22.

(5) - الشاهد من البحر الوافر: حسان بن ثابت الانصاري، الديوان، تحقيق: محمد نعيم بربر، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، سنة 2010، ص 99.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ يَلْدَةً سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ⁽¹⁾
أي: ثبت متحيراً جامداً⁽²⁾

«...ويقال: قوام الأمر، ملاكهُ، ونظامهُ، وعماده الذي يقوم به، قال لبيد:

أَفْتَلِكْ أُمَّ وَحَشِيَّةً مَسْبُوعَةً خُذِلَتْ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِ قِوَامُهَا؟⁽³⁾

ويُقال: قام ميزان النهار فهو قائم أي: اعتدل

وفي الحديث: «أتاني ملك فقال: أنت قنمٌ وَ خُلُقُكَ قَيِّمٌ»⁽⁴⁾؛ أي: مستقيم حسن، وقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَمُوا الْقَيْمُ﴾⁽⁵⁾ أي: المستقيم الذي لا زيف فيه ولا ميل عن الحق، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا

كُتِبَ قِيمَةٌ﴾⁽⁶⁾ أي: مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان والملة القيمة: المعتدلة،
والأمة القِيمة كذلك»⁽⁷⁾

حينما نَعَبْنَا أثر مَضَامِين لفظة (قوم) في معاجم اللغة تبين لنا أن لفظة (قوم) تنشطر شطرين رئيسين كبيرين هما: شطر الدلالة المركزية الأصلية نحو: الاستقامة: اعتدال الشيء، واستوائه، وقومته فقام، بمعنى استقام واعتدل واستوفى، والقيام: نقيض الجلوس، ومعنى القيام: العزم، وهكذا نلاحظ أن الدلالة الأصلية جميعاً تصب في معنى الاعتدال والاستواء والعزم والثبات، ثم يأتي شطر الدلالة الهامشية الفرعية نحو: القيام بمعنى المواظبة على الشيء، والقيوم والقيام في صفة الله: القائم بتدبير خلقه في انشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم، وقام الماء، إذا ثبت متحيراً لا يجد منفذاً، وما أشبه ذلك من هذه المعاني والمضامين التي تكاد لا تنفصل عن بعضها فهي ذات دلالات متقاربة متداخلة يفضي بعضها إلى بعض وتكاد تشكل رافداً واحداً، قلما تجيد عنه في مجراها وانصبأها.

وَ إذا حوّلنا أنظار تجاه لفظة (قوم) كما وردت في سياق النص نلاحظها قد وضعت في هذه الصيغة "قائماً" وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم نحو: قام

(1)-الشاهد من البحر الكامل، للشاعر أبي الطيب المتنبي، الديوان، 216.

(2)-ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم) ج11، صص 354-355.

(3)-الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 111.

(4)-مجد الدين أبو السعادات المبارة الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص 135.

(5)-سورة التوبة، الآية 36.

(6)-سورة البينة، الآية 3.

(7)-ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم)، ج11، صص 357-359.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

عَبَدَ اللهُ يَدْعُو أَقْرَبَاءَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

والصيغة على هذه الهيئة (قائماً) ووفقاً للقاعدة الصرفية الأصلية اسم فاعل الذي يدل - في أصله - على الحدوث والتجدد والتغير لا على الثبوت والدوام والملازمة، بيد أن القرينة اللفظية - هنا - في هذا السياق النصي هي التي جعلت صيغة (فاعل) التي هي - في الأصل - اسم فاعل لا تدل على الحدوث والتغير لأن صيغة اسم الفاعل - هنا - جاءت صريحة الدلالة على الثبوت و الدوام والملازمة والاستمرار الأزلي الأبدي، ولذلك كانت صيغة "قائماً" في معناها ودلالاتها اللفظية الصريحة صفة مشبهة تدل على الثبوت والاستمرار في الزمن المنقضي وهو زمن الرسول ﷺ والقرآن يتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وفي الحاضر والمستقبل الذي لا يعلم مداه إلا الله العليم الخبير، وليست الصيغة "اسم فاعل" المعهود المعلوم بدلالة فعل المضارع الدال على الاستمرار والملازمة الذي جاء مقترناً بالصيغة هكذا: «وما يزال قائماً إلى يومنا هذا» أي: وما يزال تحدي القرآن للإنس والجن قائماً إلى يومنا هذا، ولذا كانت الكلمة الفصل هنا ليست للصيغة "قائماً" الواردة في النص في حد ذاتها إنما كانت لدلالاتها ومعناها في أصل وضعها اللغوي الأول حيث تعني الثبات والملازمة والاستقرار والمواظبة إضافة إلى السياق الذي وردت فيه مسبوقه بفعل المضارع الناقص: (وما يزال) الدال على الاستمرار اللامحدود واللاهائي، بغض النظر عن الأصل الذي يحكم الصيغة والقاعدة النحوية أو الصرفية التي تضبطها، وإذا عدنا إلى المستوى الأسلوبي: النحوي والصرفي نلاحظ أن صيغة "قائماً" قد وردت مفردة مذكورة منكرة، بيد أنه يومية إلى موصوف معين معلوم يحدده ويعينه السياق والمقام من جهة، وكذلك يحدده الضمير المستتر في صيغة "قائماً"، ذلك الضمير العائد على الموصوف الذي هو: تحدي القرآن وإفحامه بإعجازه البياني خاصة لكل من الجن والإنس ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (1)

وجاء في تفسير الطبري في تأويل هذه الآية قوله: «حدثنا القاسم، قال حدثنا الحسين؛ قال: حدثني حمّاج، عن ابن جريح، قوله: لئن اجتمعت الإنس والجن... إلى قوله: «ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» قال: معينا، قال: يقول: لو برزت الجن وأعانهم الإنس، فتظاهروا لم يأتوا بهذا القرآن، وقوله عز وجل: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ﴿رَفَعُ﴾ وهو جواب لقوله "لئن"، لأن العرب إذا أجابت لئن "بلا" رفَعوا ما بعدها، لأن "لئن" كاليمين وجواب اليمين ب: "لا" مرفوع، وربما جزم لأن "أن" التي

(1) - سورة الإسراء، الآية 88.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

يجاب بها زيدت عليه لام، كما قال الأعشى من البسيط:

لِئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفَنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَتَفَلُّ⁽¹⁾،⁽²⁾

ونحن نقول بدورنا: لو كان هذا الكلام من بشر لبشر لَمَا تجرأ-أبدا-أن يتحدى مثل هذا التحدي ولتردد بعض التردد أو اضطرب بعض الاضطراب أو تحفظ-على الأقل-بعض التحفظ ولكنه تحد صراح جريء كل الجرأة ليس فيه شيء من الاضطراب أو التردد أو التحفظ أو ما يشبهه، فقد تحدى صاحب هذا الكلام العرب الفصحاء، والمشركين واليهود والنصارى بل الجن والإنس جميعا على حدّ سواء؟

«وَقَصَّةُ إِيْمَانِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقِصَّةُ تَوَلَّى الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، نُمُوذَجَانِ مِنْ قِصَصِ كَثِيرَةٍ لِلْإِيْمَانِ وَالتَّوَلَّى، وَكِلْتَاهُمَا تَكْشِفَانِ عَنِ هَذَا السِّحْرِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي أَخَذَ الْعَرَبُ مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى، وَتَبَيَّنَانِ فِي اتِّجَاهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ-عَنْ مَدَى هَذَا السِّحْرِ الْقَاهِرِ، وَالتَّحْدِي الصَّرِيحِ الْجَرِيءِ، الَّذِي يَسْتَوِي فِي الْإِقْرَارِ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالكَافِرُونَ.

فأما قصة إيمان عمر ففيها روايات كثيرة نكتفي بإيراد واحدة منها فقط-لضيق المساحة هنا:

منها رواية لعطاء ومجاهد نقلها ابن اسحاق عن عبد الله ابن أبي نُجَيْحٍ تَذَكَّرَ أَنَّ عَمْرًا رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُبَاعِدًا، وَكُنْتُ صَاحِبَ خَمْرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَحَبَّهَا وَأَشْرَبَهَا، وَكَانَ لَنَا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ قَرِيْشٍ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ جِلْسَاتِي أَوْلَثُكُ/ فَلَمْ أَجِدْ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَقُلْتُ لَوْ أَتَيْتُ جِئْتُ فَلَانًا الْخَمَّارَ! وَخَرَجْتُ فَجِئْتُهُ، فَلَمْ أَجِدْهُ، قُلْتُ: لَوْ أَتَيْتُ جِئْتُ الْكَعْبَةَ فَطَفْتُ بِهَا سَبْعًا أَوْ سَبْعِينَ!، فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ يَصَلِّي، وَكَانَ إِذَا صَلَّى اسْتَقْبَلَ الشَّامَ، وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ، وَاتَّخَذَ مَكَانَهُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ، وَالرُّكْنَ الْيَمَانِي، فَقُلْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ: وَ اللَّهِ لَوْ أَنِّي اسْتَمَعْتُ لِحَمْدِ اللَّيْلَةِ حَتَّى أَسْمَعَ مَا يَقُولُ؟ وَقَامَ بِنَفْسِي أَنِّي لَوْ دَنَوْتُ أَسْمَعَ لِأُرْوَعْنَهُ، فَجِئْتُ مِنْ قَبْلِ الْحَجَرِ، فَدَخَلْتُ تَحْتَ ثِيَابِهَا، مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا ثِيَابُ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا سَمِعْتُ الْقُرْآنَ رَقَّ لِي قَلْبِي فَبَكَيْتُ، وَدَخَلَنِي الْإِسْلَامُ وَكُلُّ الرُّوَايَاتِ تُجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ سَمِعَ أَوْ قَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَانَ هَذَا دَاعِيَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِنَ التَّعَمُّلِ الَّذِي لَا دَاعِيَ لَهُ أَنْ نَغْضُ النَّظَرَ عَنِ الْعَوَامِلِ النَّفْسِيَّةِ الْأُخْرَى فِي تَارِيخِ عَمْرِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْعَوَامِلُ لَا تَنْفِي أَنَّهُ كَانَ لِسِحْرِ الْقُرْآنِ وَالتَّحْدِيءِ، ذَلِكَ الْأَثْرُ الْحَاسِمُ فِي الْإِسْرَاعِ بِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

(1)-الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر الأعشى الأكبر ميمون فيس، الديوان، ص 151.

(2)-الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج7، ص 5254.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

تلك قصة إيمان عمر بن الخطاب، فأما قصة تولي الوليد بن المغيرة، ففيها روايات كثيرة أيضا ملخصها: إن الوليد بن المغيرة سمع شيئا من القرآن الكريم فكأثما رقى له فقالت قريش: صبا والله الوليد، ولتصبون قريش كلهم، فأوفدوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه و اعتزازه بنسبه وماله ويطلب إليه أن يقول في القرآن يعلم به قومه أنه له كاره»⁽¹⁾، قال: «فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا، والله: إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ما يعلو» قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه»⁽²⁾

وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ ۱۸ فُقِّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ۱۹ ثُمَّ قُنِيَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ۲۰ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ۲۱ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ۲۲ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ ۲۳ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِأَسْحَرُ يُؤْثِرُ ۖ ۲۴﴾⁽³⁾

سحر يؤثر، يفرق بين الرجل وأهله و ولده ومواليه.. تلك قوله رجل يتقاعس عن الإسلام، ويتكبر أن يسلم لمحمد، ويعتز بنسبه وماله وولده، وليست قولة رجل آمن، فهو يعلل إيمانه بهذا السحر الذي لا يغالب، وإنه لأدّل على "سحر القرآن" للعرب، وتحديه لهم، ذلكم التحدي الذي لا يزال «قائما إلى يومنا هذا» من كل كلام يقوله المؤمنون، لأنها لا تقال ولدى قائلها حيلة للسكوت عنها، أو مفر من الاعتراف بها !

ومن هنا تلتقي قصة الكفر بقصة الإيمان، في الإقرار بسحر هذا القرآن وتحديه الذي كان "قائما" في حياة الرسول ﷺ ولا يزال "قائما" إلى يومنا هذا، وتلتقي على الإقرار به شخصيتان قويتان، بينهما من المدى في الاختلاف ما بين عمر بن الخطاب والوليد بن المغيرة.

فتشرح التقوى صدر عمر للإسلام، وتصد الكبرياء الوليد عن الإذعان، ويذهبان في طريقيهما متدبرين، بعد أن يلتقيا في نقطة واحدة: نقطة الإقرار بسحر القرآن وتحديه لفصحاء العرب جميعا.

ولا يقل عن هاتين القصتين في الدلالة على هذا السحر والتحدي ما حكاه القرآن عن قول بعض

(1) -سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ص 13-14.

(2) -ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 7، ص 158.

(3) -سورة المدثر، الآيات من 18-24.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الكفار: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (1)

فإنّ هذا يدل على الذعر الذي كان يضطرب في نفوسهم، من تأثير هذا القرآن فيهم وفي أتباعهم، وهم يرون هؤلاء الأتباع يُسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوها محمد أو أحد أتباعه السابقين، فتنقاد إليهم النفوس، وتَهوي إليهم الأفتدة، ويُهرع إليهم المتقون.

ولم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشياعهم هذه المقالة، وهم في نجوة من سحر القرآن وتحديه، فلولا أنهم أحسّوا في أعماقهم هزة روعتهم، ما أمروا أتباعهم هذا الأمر، وما أشاعوا في قومهم بهذا التحذير الذي هو أدل من كل قول على عمق التأثير!.

و قد قالوا في لجة الإنكار كما حكى عنهم القرآن: ﴿أَسْطِيزُ الْأُولِينَ أَكْتَبَهَا فِيهِ تُمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (2) وقالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأُولِينَ﴾ (3) وقالوا: ﴿أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (4) فتحداهم مرة: ﴿قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُقْتَرِبَاتٍ﴾ (5) ... ﴿قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (6) ولكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ولم يُحاولوا هذه المحاولة أصلا، إلا ماض قيل من محاولة بعض المتنبيين بعد محمد، و ليس هذا من الجد في الشيء ولا يجوز له في هذا المجال حساب، أما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فليس وزن يُقام» (7)

هذا وكثير من كلام ومنطق هؤلاء المشركين ذكرتهم الآيات القرآنية يشبه تماما كلام ومنطق الأطفال الصغار الذي نسمعهم يتفوهون به كل يوم، فيقول بعضهم لبعض حين يعجز عن فعل أمر ما قام به زميله: إني لو أشياء لفعلتُ مثلما فعلتَ أو أحسن منه وهو قول إن دل على شيء فإنما يدل على سخف في العقل وعجز مفضوح في الخصم؟ وقالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾

(1)-سورة فصلت، الآية 26.

(2)-سورة الفرقان، الآية 5.

(3)-سورة الأنفال، الآية 31

(4)-سورة الأنبياء، الآية 5.

(5)-سورة هود، الآية 13.

(6)-سورة يونس، الآية 38.

(7)-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 15.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوْلِيَيْنِ ﴿١﴾

يوظف السياق في هذه العبارة لفظة (التحدي) مسبوقة باسم الإشارة (هذا) قصد نفيته وتعظيمه، والحفاظ عليه والمزيد منه، والاستمرار عليه لأنه موقف مشرف للنبي ﷺ وأصحابه، وأتباعه ضد الكفر والباطل عبر الأجيال المسلمة المتعاقبة...

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(١)-سورة الأنفال، الآية 31.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة فاعل نكرة هي: (وما يزال القرآن يتميز من كل كلام البشر تميزاً قاطعاً، وسيظل كذلك)⁽¹⁾
- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (وضح):

إنَّ أوَّلَ ما يطالِعنا في التعريف بمادة (وضح) في المعاجم اللغوية المثبتة: «وَصَحَّ الأمرُ يَضحُ وُضوحاً، واتَّضح، أي: بَانَ، وَ أَوْضَحْتُهُ أَنَا»

وَ الوَضَحُ: الضَّوءُ، والبياض، والوضَّاح أيضا: الرَّجُلُ الأبيض اللون الحَسَنُ وَ الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك قال طرفة:

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَئُهُ لَا تَرَكَ اللهُ لَهُ وَاضِحَهُ⁽²⁾⁽³⁾

إِذْ أَتَيْتُكُمْ شَيَّانُ، فِي وَضَحِ الصُّ بَحٍ، بِكَبْشٍ تَرَى لَهُ قُدَّامًا⁽⁴⁾

«وَوَضَّاحٌ: فَعَالٌ مِنَ الوُضُوحِ، الظهور»⁽⁵⁾

وَمِنَ الجَازِ فِي أساسِ البلاغة: «لَهُ النَّسَبُ الوَضَّاحِ، وَوَضَّحَتِ الحَامِلُ بِاللَّبَنِ إِذَا أَلْمَعَتْ، وَحَبَّذا الوَضَّاحُ، أي: اللَّبَنُ»⁽⁶⁾

وَعَلَى ضَوْءِ هَذَا التَّعَقُّبِ لِمَادَةِ (وضح) في المعاجم اللغوية تكشف لدينا أن دلالتها الأصلية تتمحور حول معاني الظهور، والانكشاف، والوضاءة، والبروز، والبيان.

وَإِذَا ما صرفنا أبصارنا إلى لفظ (وضح) كما استعملت في ظل سياق النص نراها قد استخدمت في هذه الصيغة "وأضحاً" وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم (وَصَحَّ يَضحُ) نحو قول بعضهم:

عُظْمِيمٍ وَضَّاحٍ ضِحْنٌ اللَّيْلَةَ لَا تَضِحَنَّ بَعْدَهَا مِنْ لَيْلَةٍ⁽⁷⁾

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 48.

(2) - الشاهد: من بحر السريع، للشاعر: طرفه بن العبد، الديوان، ص 15.

(3) - الجوهري، الصَّحاح، مادة (وضح)، ص 1144.

(4) - الشاهد: من بحر الوافر، للشاعر: الأعشى، الديوان، ص 192.

(5) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (وضح)، ج15، صص 323-325.

(6) - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (وضح)، ج2، ص 513.

(7) - لم نقف له على أثر، الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (وضح)، مج4، ص 394.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَ الصيغة في هذا البناء "واضحاً" ووفقاً للقاعدة الصرفية الأصلية المعلومة اسم فاعل الذي يدل- في أصله- على الحدوث والتجدد لا على الثبوت والدوام، والملازمة المستمرة، بيد أن القرينة بل القرائن اللفظية- هنا- في ظل السياق النصي هي التي جعلت صيغة (فاعل) التي هي في واقع الأمر اسم فاعل لا تدل على الحدوث والتغيير لأن صيغة اسم الفاعل- هنا- مرتبطة بالسياق وأدواته اللغوية القبلية والبعدية نحو: الفعل المضارع الناقص الدال بوضوح على الدوام والاستمرار وهو الذي جاء في أول السياق النصي المتمثل في قوله: «وما يزال القرآن يتميز من كلام البشر تميّزاً واضحاً» ونحو الفعل المضارع الناقص الآخر الدال على كذلك على الدوام والاستمرار الذي جاء في آخر سياق النص وهو قوله: «وسيطل كذلك».

واستناداً على ذلك كله كانت صيغة "وأضحاً" في معناها ودلالاتها اللفظية- مدعمة من آليات سياق النص ومفيدة منها- صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام، والاستمرار في الزمن المنقضي والحاضر والاستقبال الذي لا يعلم مداه إلا الله الواسع العليم الخبير: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾^(١) وقوله عزّ في علاه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿٣﴾﴾^(٣)

وإذا ما عدنا ثانية إلى المستوى التركيبي، أي النحوي منه والصرفي نجد الصيغة "وأضحاً" قد وردت في صيغة المفرد المذكر المنكر، بيد أنها تُشير من قريب إلى موصوف معين معلوم يعينه السياق والمقام من منحى، ويعينه الضمير المستتر في صيغة "واضحاً" ذلكم الضمير القائد على موصوف معين متمثل في القرآن الكريم في قوله: ﴿وَلِئِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾﴾^(٤) من منحى ثانٍ، وجاء في تفسير "الكشاف" عن تأويل هذه الآية قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ فالباء إما أن تتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان، وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد عليهم السلام، وإما أن تتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي (لَتَجَافُوا عَنْهُ أَصْلًا)^(٥) لقالوا

(١)- سورة الزمر، الآية 28.

(٢)- سورة الزخرف، الآية 3.

(٣)- سورة النحل، الآية 103.

(٤)- سورة الشعراء، الآية 192 - 195.

(٥)- الزمخشري، الكشاف، ج، ص 843.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ما نصنع بما لانفهمه فيتعذر لإنذار به، وفي هذا الوجه أن تزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تزييل له على قلبك لأنك تفهمه و يفهمه قومك، ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراسَ حروف لا تفهم معانيها⁽¹⁾

وبالعودة إلى النص وسياقه الخارجي نحب أن نوجز الكلام حول ثلاثة عناصر أساسية في أسلوب القرآن هي: اللفظة القرآنية والعبارة القرآنية والتصوير الفني في القرآن ولنبداً بلفظة القرآن لنبادر بالقول إننا لا يجب أن نتحدث هنا-عن مدى اهتمام العرب الأوائل بالألفاظ وشروطهم لها فليس هذا مما يدخل في صميم بحثنا⁽²⁾ وإنما ينصب حديثنا-هنا حول لفظة القرآن ومعالم جمالها وحسنها وفتحها، فإنها لا تقتصر على كل المحاسن التي ذكرناها، بل تتعداها إلى الإعجاز، إذ ليست هي في حد ذاتها كأبي لفظة أخرى في الكلام العربي، لأن ما تتميز به يحتل القرآن كله، كمعجم تركيب للغة العرب وهذا لا يتوفر في الإنتاج البشري حتى في مقال واحد، كذلك فإن هذه السمة لا تخص اللفظ فقط بل تتجاوزها إلى العبارة⁽³⁾

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن لفظة القرآن نود الحديث عن خاصية واحدة بالتمثيل من بين عشرات الخصائص نحو: الدقة في الوضع، والدقة في الاختيار، والدقة في المعنى، والدقة في التنافس، ولفظة القرآن مُصورة، ولفظة القرآن ناطقة، ولفظة القرآن معبرة⁽⁴⁾ وغيرها، لنتناول فقط خاصية: الدقة في الاختيار: «وأعني بذلك أن لفظة القرآن لا يمكن أن يستبدل بها لفظة أخرى، وأما مختارة من بين مجموعة من بين مجموعة من الألفاظ، حتم عليها دقة معنى الجملة عامة، وأما اتسمت بسمة خاصة كالسلاسة أو الجزالة أو الرشاقة أو غيرها من الصفات مع ملاحظة الدقة في تحليلها بذلك، يقول تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾⁽⁵⁾ قال الزمخشري: «فإن قلت: لم كُنِّي عنه هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، فلما

(1)-الرازي، التفسير الكبير، مج2، ص155.

(2)-للإفادة والتوسع في قضية اللفظ والمعنى ينظر: -البيان والتبيين والحيوان للحافظ، -تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، -إعجاز القرآن للباقلاني، -والنكت في إعجاز القرآن للرماني، -ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وغيرها.

(3)-عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مصنع الكتاب الشركة التونسية للتوزيع، تونس، سنة 1980، ص 72.

(4)-لمزيد من الإفادة والتوسع يحسن الرجوع إلى: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبد الرحمان بنت الشاطي، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، الإعجاز الفني في القرآن لعمر السلامي وغيرها.

(5)-سورة البقرة، الآية 187.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

تغشاها، بأشروهن، أو لامستم النساء، دخلتم بهن، فاتوا حرثكم، ومن قبل أن تمسوهن، فما استمتعتن بهن، وتقربوهن؟ قلت: استهجانا منهم لها وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانياً لأنفسهم»⁽¹⁾

اختيرت هذه اللفظة-دون سائر الألفاظ التي ذكرها الزمخشري-لدقة منافستها للمعنى العام للآية، فالذي يناسب النفس وهي تهمس في أذن صاحبها بالاتصال بأهله-يناسبها لفظ يحمل في مغزاه حقيقة هذه الهمسات، وما تستحقه من صفاتٍ يخلفها عليه القرآن، فكانت لفظة «الرفث التي هي من رفث: الرء والفاء والثناء أصل واحد، وكل كلام يُستحي من إظهاره وأصله من الرفث وهو النكاح...والرفث الفحش في الكلام يقال: أرثت ورفثت»⁽²⁾ وهي كناية عن المضاجعة فكانت مُختارة، وبها شيء من قبح الصفة كما يشير إلى ذلك الزمخشري، لكن هذا القبح آتٍ من المعنى العام، لأن لفظة «أحل» تُشعر وكأنه في ليالي الصيام لا يُسمح بإتيان النساء، إنَّ دقة الاختيار في وضع لفظة الرفث مؤدبة لهذا المعنى، لتكون جزلة مرنة»⁽³⁾

ومن الحديث عن لفظة القرآن نتقل بسرعة للحديث عن عبارة القرآن لنقول في مقدمة سريعة أيضاً: لم تُفشل عناية العرب بها عن عنايتهم بالألفاظ»⁽⁴⁾

«..فالألفاظ تمثل دلالات مستقلة، والعبارة تمثلها مجتمعة، وفي وحدة فكرة، منسجمة ومنظمة، ولم تكن هذه العناية-بصورة عامة- إلا عناية بالأفكار والمعاني التي هي ملك للعقل البشري حيثما كان، وبقدر اهتمام العمل الأدبي بالألفاظ والعبارة والأفكار، بقدر ما ينقل إلى القارئ من صور جماعية وفنية، تحرك العقل وتثير النفس والوجدان والمخيّلة...

وإذ تستطيع العبارة القرآنية أن تقوم بهذا الدور، فلأنها تميّزت تميزاً واضحاً قاطعاً في سبكها ونظمها وأسلوب عرض أفكارها وفي روحها وتصويرها وظلال صورها وإيجاءاتها...ولهذه الخصائص مظاهر عامة، ولنكتفٍ بخاصية واحدة هي خاصية: القوة في عبارة القرآن: إنَّ قوة العبارة مصدرها القوة والدقة في التعبير، وإننا نلمس في العبارة القرآنية حلول الألفاظ في مواضعها، وترتيبها على حسب الأهمية، ومتانة في سبكها، وإحكاماً في تركيبها، وغزارة في معانيها، وسلاسة في نسقها،

(1)-الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 230.

(2)-ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة(رفث)، ص 345.

(3)-عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص 76

(4)-مصدر سابق، ص 108.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ونجدها تبعث في النفس اهتزازاً مُشبعاً بالإعجاب والقوة، وتُحفّزها للتجاوب والتفاعل يقول تعالى:

﴿الْأَثْقَانُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ وَأَوَّلَ
مَرَّةٍ أَخَشَوْنَهُمْ ۗ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْزِلُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾^(١)

هذه العبارة قد لا تحتاج إلى توضيح لقوتها، فكل قارئ يلمس ذلك، لأنها تملك الوجدان والحواس، وتمس العقيدة والواجب، وتعرض نماذج بشرية لا تستحق الحياة بشهادة خالقها»^(٢).

وَحَرِيٌّ بِنَا هُنَا أَنْ نَذَكَرَ بَعْضَ جَوَانِبِهَا الْفَنِيةِ الَّتِي أَسهَمَتْ فِي هَذِهِ الْقُوَّةِ، «فَبَدَأَ الْآيَةَ: بِـ"إِلَّا" دَفَعُ لِلنَّفْسِ إِلَى حِطِّ الْقِتَالِ وَمَسَّ النَّفْسَ مِنْ جَانِبِ عَقِيدَتِهَا، وَوَأَجَبَهَا، وَخَلَقَهَا وَقِيمَهَا، فَالْعَرَبُ مَجْبُولُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَقَدْ انْتَهَكَتْ قَرِيشٌ ذَلِكَ، وَنَكَّثَتْ وَنَقَضَتْ مَا عَهَدَتِ الرَّسُولَ عَلَيْهِ، وَطَعْنَتْ فِي دِينِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ إِنَّ الرُّوحَ الْخَفِيَّةَ الَّتِي تَسْرِي دَاخِلَ الْعِبَارَاتِ، وَالَّتِي تُشْعِرُ النَّفْسَ بِالنَّصْرِ عَلَى كِفَارِ قَرِيشٍ، تَدْفَعُ النَّفْسَ الْمُؤْمِنَةَ إِلَى التَّضْحِيَّةِ فِي سَبِيلِ إِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ، وَمَا يَلْحَقُ بِهَذِهِ اللَّفَاتِ الْفَنِيةِ، تَكَرَّرَ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ "كَمْ" الَّذِي يَجِدُ جَرَسًا خَاصًا فِي النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ إِبَانِ نُزُولِهَا، وَتَحْمَلُ رُوحَ الْحَثِّ الْمَشُوبِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوْبِيخِ، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْمَطَالِبَةَ بِمَقَاتِلَةِ أُمَّةِ الْكُفْرِ صِرَاحَةً، وَذَكَرَ أَلْفَاظَ صَرِيحَةً فِي انْخِذَالِ الْعَدُوِّ وَانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ، كَلِمَاتٌ تُسَهِّمُ فِي قُوَّةِ الْعِبَارَةِ»^(٣)

ومن الحديث عن العبارة القرآنية نختم الحديث عن الصورة الفنية أو التصوير الفني في القرآن الكريم، «والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية»^(٤).

(١)-سورة التوبة، الآيات 13-15.

(٢)-عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، ص108.

(٣)-المصدر نفسه، ص ص 136-137.

(٤)-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص36.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وهنا نفضل أن نكتفي بضرب مثال واحد كافٍ-لضيق المساحة هنا-على المعاني الذهنية المتجرّدة التي تخرج في صورة حسية في القرآن الكريم حين يريد أن يبين أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله، ولن يدخلوا الجنة إطلاقاً، وأن القبول أو الدخول أمر مستحيل، هذه هي الطريقة الذهنية للتعبير عن هذه المعاني المجردة، ولكن أسلوب التصوير القرآني الذي يتميز عن كلام البشر تميزاً "واضحاً" يعرضها في الصورة الآتية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (1)

ويدعك ترسم بخيالك صورة لتفتّح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في سمّ الخياط، ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم "الجملة" خاصة في هذا المقام، ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ما شاء الله له التأثير، ليستقر في النهاية معنى الاستحالة، في أعماق النفس، وقد ورد إليها من طريق العين والحس-تخيلاً-وعبر إليها من منافذ شتى، في هيئة وتؤدّة، لا من منفذ الذهن وحده، في سرعة الذهن التجريدية(2) وهماهي بعض الآيات القرآنية التي يمكنك أن تطبق معها القاعدة نفسها لتتملاها وتستمتع بها فنياً وجمالياً يقول عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (3) ويقول: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ (4) وقوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾ (5)

يتحدث السياق العام في هذه العبارة عن دوام وبقاء تميز القرآن الكريم من كل كلام البشر تميزاً واضحاً، وهذا أمر صحيح، ثابت، وظاهرة واقعية لأن الشخص الذي عايش هذا القرآن طويلاً لا تغيب عنه لفظة واحدة من القرآن حين يسمعها لأول وهلة، فبمجرد ما يسمعها يربطها بالآية كلها، كما يذكر السورة التي وردت فيها.... وسبب نزولها إن كان لها سبب نزول والقصد منها...

(1)-سورة الأعراف، الآية 40

(2)-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 38.

(3)-سورة الفرقان، الآية 23.

(4)-سورة ابراهيم، الآية 18

(5)-سورة آل عمران، الآية 117.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فاعل) نكرة هي: (والإنسان هو نفسه ميدان المعركة، وهو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها وفي هذا إيجاء دائم باليقظة)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (دوم):

لقد سبق لنا وأن تناولنا هذه المادة بالتعريف في مبحث سابق مع صيغة فاعل "المعرفة"⁽²⁾

ولما تتبعنا مادة (دوم) للتعريف بها في المعاجم اللغوية المعتمدة في المبحث السابق المشار إليه في الهامش تبين لنا أن دلالتها المركزية الرئيسة تدور حول معاني: البقاء والاستمرار، وكل شيء يسكن فقد دام، ومنه قيل للماء الذي يسكن فلا يجري: دائم وما أشبه ذلك من هذه المعاني التي تجري في مجرى واحد تقريباً هو معنى: الوقوف والسكون، والثبات والاستقرار على حالة واحدة.

وإذا ما صرفنا أنظارنا وجهة لفظ (دوم) كما وردت في سياق النص نراها قد وضعت في هذه الصيغة هكذا "دائم" بزنة فاعل وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم، التام التصرف، المبني للمعلوم (دام يدوم) نحو: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾⁽³⁾

والصيغة في هذا البناء: «دائم» هي في واقع الأمر اسم فاعل يدل - في أصل القاعدة - على الحدوث والتجدد لا الدلالة على الثبوت والدوام بيد أن القرينة اللفظية - هنا - تدل بذاتها عن الثبوت والدوام، لأنها من الصيغ اللفظية الصريحة في دلالتها الدالة على الثبوت والدوام والاستمرار، نحو: باق، وخالد ومستمر، وثابت. وما أشبه ذلك.

لأجل ذلك كله فإن صيغة "دائم" ذاتُ بناء فاعل هي صفةٌ مُشبهةٌ تدل على الثبوت والدوام والملازمة والاستمرار في الحال والاستقبال وعلى المستوى الأسلوبى: النحوي والصرفي نلاحظ أن صيغة "دائم" وردت مفرداً مذكراً منكرًا يُومئى من قريب إلى موصوف معين معلوم يُعيّنه السياق والمقام من جهة، ويدل عليه ويعينه الضمير المستتر في صيغة "دائم" ذلكم الضمير العائد على موصوف معين متمثل في قوله: «وفي هذا إيجاء...» وهذا أمر واقع وصحيح في كثير من الأحيان يكون التلميح والإيجاء فيه أبلغ من التصريح واللبيب بالإشارة يفهم والغني إلا أن يقرع بالعصا؟ يقول

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 61.

(2) - ينظر: ص 233 من البحث مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

(3) - سورة الرعد، الآية 35.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الله عز وجل منها رسول الله إلى هذا النوع من الخلق الأغبياء الذي يشبهون الأنعام في مستوى الفهم وإدراك الأمور: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (1)

يقول أحد العارفين عن الغفلة واليقظة: «فأما منازل العبودية: اليقظة»، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، والله ما أنفع هذه الروعة!، وما أعظم قدرها وخطرها! وما أشد إيعانتها على السلوك! فمن أحسَّ بها فقد أحسَّ والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة فإذا انتبه شَمَرَ لِلَّهِ بِهَمَّتِهِ إِلَى السَّفَرِ إِلَى مَنَازِلِهِ الْأُولَى وَ أَوْطَانِهِ الَّتِي سَبِي مِنْهَا:

فَحَيَّ عَلَى حَنَاتٍ عَدَنٍ فَإِنَّمَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى، وَفِيهَا الْمُخَيِّمُ
وَلَكِنَّا سَبِي الْعَدُوِّ، فَهَلْ تُرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ (2)

فأخذ في أهبة السفر إلى منزلة "العزم" وهو العقد الجازم على المسير، ومفارقة قاطع ومُعَوَّق، ومرافقة كل مُعِين ومُوصِّل، وبِحَسَبِ كَمَالِ انْتِبَاهِهِ وَيَقِظَتِهِ يَكُونُ عَزْمُهُ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ عَزْمِهِ يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُ.

فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة "الفكرة" وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعدَّ له مُجْمَلًا، وَلَمَّا يَهْتَدِ إِلَى تَفْصِيلِهِ وَطَرِيقِ الْوَصُولِ إِلَيْهِ.. (3) فإذا صَحَّتْ فِكْرَتُهُ أَوْجِبَتْ لَهُ "البصيرة" فهي نور في القلب يُبَصِّرُ بِهِ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي هَذِهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَفِي هَذِهِ لِأَعْدَائِهِ، فَأَبْصَرَ النَّاسَ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَقَدْ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ فَأَحَاطَتْ بِهِمْ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ نَصَبَ كُرْسِيَهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَقَدْ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَوَضَعَ الْكِتَابَ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقَدْ نُصِبَ الْمِيزَانُ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ، وَاجْتَمَعَتِ الْخُصُومُ، وَتَعَلَّقَ كُلُّ غَرِيمٍ بِغَرِيمِهِ وَوَلَّاحَ الْحَوْضُ وَكَثُرَ الْعِطَاشُ وَقَلَّ الْوَارِدُ، وَنَصَبَ الْجَسْرَ لِلْعُبُورِ وَلَزَّ النَّاسَ إِلَيْهِ. وَقُسِّمَتِ الْأَنْوَارُ دُونَ ظُلْمَتِهِ لِلْعُبُورِ عَلَيْهِ، وَالنَّارُ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا تَحْتَهُ، وَالْمُتَسَاقِطُونَ فِيهَا أَضْعَافُ النَّاجِينَ» (4)

(1) -سورة الفرقان، الآية 44.

(2) -الشاهد، من بحر الطويل، للشاعر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ص 115.

(3) -المصدر نفسه، ج 1، ص 115.

(4) -المصدر نفسه، ج 1، ص 115.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

هذا ويؤكد القرآن الحكيم الأمر باليقظة "الدائمة" والحذر والانتباه والدعوة إليه، فيقول في سورة المائدة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾⁽¹⁾ ونفهم من هذا النص الكريم أن الحذر الذي هو "اليقظة الدائمة" يقتضي الطاعة، وأن الطاعة تُعوّد صاحبها الحذر "الدائم" والبعد عن المخالفة، فيحذر المطيع أن يُصيب شيئا مما نهى عنه الرسول، لأن طاعة الرسول من طاعة الله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁽²⁾ كما نفهم أيضا أن انعدام روح الحذر في نفس الإنسان يؤدي به إلى الإعراض عن سبيل الله، والتولي بعيدا عن صراطه المستقيم، ويا سوء من استخفّ بأمر ربه، وأعرض عن طاعته، فإن له عذاب الجحيم وبئس المصير، ويقول التزليل في سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾

أي: يخالفون أمره بترك مقتضاه، ويسلكون طريقا غير طريقه، أو يتبعون نهجا غير منهجيه، وكأن كلمة "يخالفون" فيها معنى كلمة "يُعرضون" ولذلك قال: «يخالفون أمره بترك مقتضاه، ويسلكون طريقا غير طريقه، أو يتبعون نهجا غير منهجيه، وكأن كلمة "يخالفون" فيها معنى كلمة "يُعرضون" ولذلك قال: «يخالفون عن أمره» أي: يُعرضون عن أمره، ولو أنّهم أصروا على مخالفتهم، واستمروا في غيهم فإن الله تعالى يصيبهم بفتنة، أي: محنة في الدنيا، أو يصيبهم عذاب أليم في الدار الآخرة

ونستطيع أن نفهم عن القرآن المجيد أن فضيلة الحذر أو اليقظة "الدائمة" تكون ثمرة للتفقه في الدين والتأثر بالإنذار، ولذلك يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا فَزَعَنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾⁽⁴⁾،⁽⁵⁾

واعظم معضلة يعيشها المسلمون اليوم جهلهم بدينهم، وضعف مستواهم العلمي والثقافي والفكري واعتمادهم في هذا على عدوهم الذي يتربص بهم الدوائر ويكيدهم كيذا ويرمي لهم بالفتات المغشوش.

(1) -سورة المائدة، الآية 92.

(2) -سورة النساء، الآية 80.

(3) -سورة النور، الآية 63.

(4) -سورة التوبة، الآية 122.

(5) -أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج2، صص 82-83.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

سياق العبارة هنا ينيط المسؤولية في هذه الأرض بالإنسان الذي هو في حقيقته وطبيعته ميدان الصراع، فيوظف الكاتب لذلك لفظة الإنسان معرفة بـ (أل) عن قصدية ووعي منه دلالة منه على استغراق الجنس البشري كله لا تخصيص جنس دون جنس، أو قوم دون قوم، أو عرق دون عرق، أو سكان منطقة جغرافية من الأرض دون منطقة جغرافية أخرى ... فالإنسان في النظرية الإسلامية الأخلاقية عاقل واع حر ومسؤول على أفعاله يثاب ويحاسب ويعاقب عليها جميعا ول كانت مثقال ذرة لأوتي بها...

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فاعل) نكرة هي: (فالكل من خلقه بدرجة واحدة وبأداة واحدة)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (وحد):

هذه اللفظة أيضا مما سبق أن عاجلنا التعريف بها في مبحث صيغة (فاعل) "المعرفة"⁽²⁾ فلا جدوى من إعادة الكلام فيها هنا.

معنى الصيغة كما وردت في سياق النص: (فالكل من خلقه بدرجة واحدة وبأداة واحدة).

حينما تتبّعنا معاني لفظ (وحد) في معاجم اللغة العربية الأصيلة، وفي أمهات المصادر الأدبية ذات النمط العالي النادر مثله في الفصاحة والإبداع والبلاغة العربية تأكد لنا هذه اللفظة تتوزع على شقين كبيرين رئيسيين هما: شق الدلالة المركزية الأصلية نحو: الوحدة، الانفراد، والواحد: أول العدد، ورجل وَحَدٍ وَ وَحِدٍ وَ وَحِيدٍ، أي: منفرد، وتوحد برأيه: تفرّد به، وما أشبه ذلك من هذه المعاني الذي يصب جميعها في أصل واحد يتمثل في التفرّد والانفراد، أو التميز والندرة، والعزلة أو الانعزال ثم شق الدلالة الهامشية نحو: أنتم حي واحد، وحيّ واحدون، أي: شَرِذمة قليلون، والوحيد بطن من العرب من بني كلاب بن ربيعة، وَ وَحِدَهُ اللهُ بعصمته وغيرها من هذه المعاني التي لا تربطها ببعضها أي علاقة وَإِذَا مَا تَحَوَّلْنَا بِأَنْظَارِنَا إِلَى لَفْظَةِ (وحد) كما جاءت في سياق النص، نلاحظها قد أدرجت في هذه الصيغة "واحدة" وهو وَصَفَ مَصُوعٌ مِنْ مَصْدَرِ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْإِلَازِمِ التَّامِ التَّصَرُّفِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ نَحْوُ: وَحَدَ يَجِدُ حِدَةً، جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهٌُ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾

غير أن القرينة المعنوية هنا هي التي جعلته يعدل في دلالاته عن الأصل نحو: الخالق، والبارئ، والمصوّر، والباعث، والواحد وغيرها من صفات وأسماء الله الحسنی التي منها صفة "واحدة" التي تومئ إلى إرادة الله عز وجل الواحد الأحد الصمد، وعليه فصيغة "واحدة" في سياق النص هنا بناء على هذه القرينة المعنوية صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في الزمن الماضي اللاهائي اللا محدود وفي الزمن الحاضر والاستقبال اللاهائي المطلق لأنها صفة ثابتة في حق ذات الله عز وجل المرید القادر على فعل أي شيء إذا أراد أن يقول له: كن فيكون قبل أن يرتد البصر إلى صاحبه، فالله

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص106.

(2)- ينظر: ص 222 من البحث.

(3)- سورة البقرة، الآية 163.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

"واحد" أحد غير قابلٍ للتعدد فرد صمد لم يلد ولم يولد يكن له مثيل ولا نظير.

وعلى المستوي الأسلوبى: النحوي والصرفي فقد وردت صيغة "واحدة" أي: إرادة واحدة هي إرادة الله- سبحانه وتعالى- في صيغة الإفراد والتأنيث والتنكير الذي يشير إلى موصوف مخصوص معين معلوم هو: إرادة الواحد العزيز القهار، فهو متفرد متميز بهذا الوصف لا يشركه فيه واحد من الكائنات المخلوقة القابلة للزيادة والنقصان والكثرة والتكاثر والتعدد والتعرض للضعف والغفلة والنسيان يقول الأزهرى (ت370هـ): «والواحد من صفات الله تعالى، معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن يُنعتَ الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يُنعتُ به غير الله تعالى لخصوص هذا الاسم الشريف له، جل ثناؤه»⁽¹⁾

ومن هنا فإنَّ إيجاء السياق الخارجى للنص يسمح لنا أن ندرج بدلالاته المتعددة مستنديين على قوله تعالى: ﴿أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽³⁾ وتروقنا في هذا الصدد لفتة رائعة ذكية من أحد علمائنا المعاصرين الأجلاء، بصدد خلق الوجود كله بدرجة "واحدة" وبأداة "واحدة" فهذا العالم النحرير لم يكتف بالحديث عن المساواة الذي درج الناس بالحديث عنها كثيرا بين النوع الإنساني من جنس أسود وأصفر وأبيض وأحمر، أو المساواة بين الجنسين: الرجل والمرأة كما جاءت في التعاليم الإسلامية والتنظيمات التشريعية والفقهية الإسلامية بل راح يتحدث عن وحدة الوجود بمفهوم مغاير ذكي عميق وشفاف حيث يقول حين تطرقه لوحدة خلق الوجود بمفهوم مغاير ذكي عميق وشفاف حيث يقول حين تطرقه لوحدة خلق الوجود على قدم المساواة وربطها بوحدة المبدأ ووحدة المصير: «لا نعني بذلك ما يعنيه المصطلح الصوفي في حصر الوجود كله في مظهر واحد يتبدى فيه الخالق والمخلوق معاً، وإنما نعني به الترابط الوجودي المتين بين الإنسان والكون سواء على مستوى المآتى والمصير..»⁽⁴⁾ المشتركين، أو على مستوى الكينونة بينهما.

فعلى مستوى المآتى والمصير يبين القرآن الكريم أن الكون والإنسان جميعاً بدرجة "واحدة" ينتظمان وحدة متساوية في مصدر وجودهما، وهو الخلق الإلهي من عدم كما بيّنه قوله تعالى:

(1)-الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة(وحد) مج4، ص3847.

(2)-سورة يوسف، الآية 39.

(3)-سورة الرعد، الآية 16.

(4)-عبد المجيد عمر النجار، قيمة الإنسان، دار الزيتونة للنشر-الرباط-المملكة المغربية، ط1، سنة 1996م، ص60.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾⁽¹⁾ كما ينتظمان وحدة متساوية أيضا في نهاية هذا الوجود، حيث يكون الرجوع إلى الله بانتفاض عالم الشهادة، وتبدد وجوده المعهود كما يصوره قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁽³⁾.

إلا أن هذا المصير المشترك وبدرجة "واحدة" بين الإنسان والكون إنما هو مصير موحد في انتفاض الوجود المشاهد، أما فيما بعده، فيفترق المصير بينهما بين هلاك لسائر العناصر الكونية، وبين حياة أخرى بالنسبة للإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁾ وعلى مستوى الترابط الوجودي بين الإنسان والكون يُبين القرآن الكريم أن كل ما في الكون بما في ذلك الإنسان خلق على قدر معين، بحيث يكون متساوقاً مع سائر الموجودات الأخرى، فيسهم بذلك القدر في السيرة الوجودية للكون بأسره، حتى إنه لا يوجد شيء واحد من الموجودات هو في وجوده مستقل عن المنظومة الوجودية العامة، فكل عنصر كوني مترابط معها في كينونتها وسيورتها، وهو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾⁽⁵⁾ أي: بحكمة وترتيب يُسهمان في حفظ الوجود، وتحقيق المسيرة الكونية لتبلغ إلى غايتها، وما يُرى ظاهراً في حفظ الوجود، وتحقيق المسيرة الكونية لتبلغ إلى غايتها، وما يُرى ظاهراً أنه معطل للترابط الوجودي بين الموجودات مما يبدو وأنه شرور ضارة، إذا نُظر إليه في نطاق كلي بأن أنه مُحقق لهذا الترابط لا معطل له⁽⁶⁾.

وجاء عن ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) قوله: «فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللاتقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله»⁽⁷⁾.

(1) -سورة الفرقان، الآية 2

(2) -سورة المائدة، الآية 18.

(3) -سورة آل عمران، الآية 109

(4) -سورة القصص، الآية 88.

(5) -سورة القمر، الآية 49

(6) -عبد المجيد عمر النجار، قيمة الانسان، ص ص60-62

(7) -ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، تحقيق: سيد عمران، السيد محمد سيد، دار الحديث القاهرة، سنة الطبع 2005م، ص 349.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«ومن اليبين بنفسه أن حفظ الوجود الإنساني مُتَوَقَّفٌ على الاستمرار الوجودي لموجودات الكون من غذاء وماء وأنعام وهواء وغيرها، وهو ما كان مناطا لامتنان الإلهي على الإنسان في عديد المواطن مثل قوله تعالى...»⁽¹⁾، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّيْسَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾.

يبدو في الظاهر أن الموجودات الكونية مستقلة في وجودها عن الوجود الإنساني، إذ هي ليست متوقفة عليه، لا ابتداء ولا استمرارا، ولكن العقيدة الإسلامية تقرر عكس ذلك، إذ تُبَيَّن أن الكون لم يوجد إلا من أجل الإنسان، فهو قد أعدَّ لاستقباله، واستمرار وجوده تبعا لذلك رهين الوجود الإنساني، وهو ما يبدو في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾⁽³⁾. وفي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾. وعلى مستوى وحدة التكوين: حرص القرآن الكريم على بيان ما بين الإنسان والكون من وحدة التكوين، فالإنسان ليس إلا متكوَّنًا من نفس العناصر التي تتكوَّن منها الموجودات الكونية الجامدة والحية، فحينما يُقارَنُ بما على الأرض من جمادات يتبين على ما يبدو في الظاهر من اختلاف بينهما أن أصل تكوينه ليس إلا من تلك الجمادات المعبر عنها بالتراب في قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾⁽⁵⁾ ..

وإذا قورن بما على الأرض من مظاهر الحياة تبين أن وحدة التكوين الجامعة بينهما هي عنصر الماء كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾⁽⁶⁾. وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾⁽⁷⁾.

وكما تبدو وحدة التكوين بين الإنسان والكون في وحدة العنصر تبدو أيضا في الكيفية التركيبية، إذ ركبت الموجودات كلها بكيفية التزاوج كما يثبتته قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا

(1)- عبد المجيد عمر النجار، قيمة الانسان، ص 62

(2)- سورة لقمان، الآية 20

(3)- سورة البقرة، الآية 29.

(4)- سورة الجاثية، الآية 13.

(5)- سورة الحج، الآية 5

(6)- سورة الأنبياء، الآية 30

(7)- سورة النور، الآية 45

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿٢﴾ وإذا كانت هذه الزوجية بادية في الذكورة والأنوثة، بالنسبة للحيوان وأصناف من النبات، فإن العلم الحديث كشف عن زوجية في تركيب المادة كلها حامدة وحية، وهي المتمثلة فيما تتكون منه الذرة من شحنات كهربائية موجبة وأخرى سالبة» ﴿٣﴾.

وقد جاء التعبير القرآني رائعاً في دلالاته على الوحدة الجامعة بين الإنسان والنبات والجماد في الترابط التكويني بينها إذ يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴿٤﴾ ففي الآية تعليم بأن الإنسان مخلوق من عناصر الأرض مثل النبات ﴿٥﴾.

«وهو تعليم يهدف إلى إشعار الإنسان بوحدته العنصرية مع الكون، إذ المقام مقام استدلال على وجود الله وقدرته ونعمته، ومن الآيات الدالة على ذلك رجوع الموجودات كلها: إنسانا ونباتا وجمادا في معرض كثرتها وتغايرها إلى أصل واحد في التكوين.

هذا و إن مظاهر الوحدة الأنفة ذكرها بين الإنسان والكون لا تتعدى في دلالتها معنى الاشتراك بينهما في جزء من الطبيعة المادية بحكم الانتماء إلى نفس الطرف في ثنائية الوجود، لكن في التفاضل القيمي يبقى الإنسان متميِّزا على الكون تميز استعلاء ورفعة، وهو الأمر الذي جاء القرآن الكريم يبرزه ويؤكد ككلما ذكر الإنسان في معرض الموجودات، وجماع ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٦﴾ فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشریفه فوق غيره ﴿٧﴾، ولا شك أن إقحام لفظ كثير في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧﴾ المراد منه التقييد والاحتراز والتعليم الذي لا غرور فيه، فيعلم منه أن ثمة مخلوقات غير مفضل عليها بنو آدم تكون مساوية أو أفضل إجمالاً أو تفصيلاً، وتبينه يتلقى من الشريعة فيما بينه من ذلك وما

(١) -سورة الذاريات الآية 49.

(٢) -سورة يس، الآية 36

(٣) -عبد المجيد عمر النجار، قيمة الإنسان، ص64.

(٤) -سورة نوح، الآية 17.

(٥) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج12، ج29، ص 204.

(٦) -سورة الإسراء، الآية 70.

(٧) -عبد المجيد عمر النجار، قيمة الانسان، ص ص 65-68.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

سكتت فلا نبحت عنه.

والإتيان بالمفعول المطلق في قوله: "تفضيلاً" لإفادة ما في التنكير من التعظيم أي: تفضيلاً كثيراً⁽¹⁾.

«ويبدو هذا الاستعلاء الإنساني على موجودات الكون في مظاهر عدة، ربّما رجعت في معرض كثرتها إلى معان ثلاثة أساسية: استعلاء في أصل الوجود، واستعلاء في التكوين، واستعلاء بالاستيعاب والتمثل فالاستعلاء الوجودي ونعني به ذلك الوضع المحوري الذي وهبه الله للإنسان في نسبته من سائر الموجودات الأخرى، والاستعلاء التكويني ونعني به أن الإنسان في نسبته من سائر الموجودات الأخرى، والاستعلاء التكويني ونعني به أن الإنسان في تكوينه استجمع من عناصر التكوين ما تفرق في الكون منها فالعناصر الموجودة في الكون ترجع إلى عنصرين أساسيين: روعي ومادي، والإنسان قد استقل بالجمع بينهما، أما استعلاء التمثيل والاستيعاب هو أن الإنسان قد خص بقدرة معرفية تمكنه من أن يستجمع صورة الكون في ذهنه تمثلاً واستيعاباً، مثلما استجمع عناصره تكويناً، فهو مهياً بوسائله الإدراكية لأن ينقل العالم الخارجي في صورته الكمية والكيفية إلى عالمه الداخلي، فيصبح هذا الكائن الصغير يحمل في ذاته ذلك العالم الكبير...»⁽²⁾.

سياق العبارة هنا يغرق جميع الكائنات المنظورة تحت حكم واحد مستخدماً لذلك (أل) التعريف التي تفيد في هذا السياق استغراق الجنس كله وموظفاً لذلك لفظة (كل) التي تدل بلفظها الصريح المباشر على العموم .

وهذا في -منظورنا- غير صحيح لأن جميع المخلوقات في واقع الأمر ليس بدرجة واحدة ولا بأداة واحدة ، فكيف يمكن أن نسوي هذا الإنسان الذي كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً بغيره من الكائنات الأرضية التي هي في درجة دنيا؟ إضافة إلى أن العبارة في سياقها يحيط بها كثير من الغموض واللبس.

(1)- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج15، ص 166.

(2)- عبد المجيد عمر النجار، قيمة الانسان، ص ص69-74.

المبحث الثالث:

ولالة صيغة (فَعَلَ) بفتح الفاء وسكون العين

-صيغة (فَعَلَ) معرفة

-صيغة (فَعَلَ) نكرة

- دلالة صيغة (فعل) بفتح الفاء وسكون العين

صيغة "فعل" ترجع في أصلها وحقيقتها إلى باب (فعل) المضموم العين وأوزانه غالبية فقط، وأشهرها (فعل) كما مر معنا في مبحث سابق⁽¹⁾. نحو: (جميل) و(شريف) و(مرير) (قوي القلب) و(عتيد) و(رزين) و(طويل)، ثم (فعل) ساكن العين إما مفتوح الفاء نحو: (ضخم) و(شهم) و(سهل) و(عذب) و(سمح) و(فخم) و(صعب) و(رطب)، أو مضمومها نحو: صلب وغمر (غير مجرب) أو مكسورها نحو: (عفر) (حيث) ويلى هذه الأوزان (فعل) مفتوح الفاء والعين نحو: (حسن) و(بطل)، أو مضمومها نحو: (جنب) و(سرح)، ولم نقف على مثال لمكسورهما، و(فعال) نحو: (بيان) و(حصان) و(رزان) و(سيف كهام) (كليل) و(سحاب جهام) لا ماء فيه، و(فعال) ك(شجاع) و(فراءت)، و(فعال) ك(قراء) و(وضاء)، و(فعل) ك(وقور) و(صبور) و(شكور)، و(أفعل) ك(أحرش) (خشن)، وغير هذا من أوزان نادرة⁽²⁾.

وما يُعينا هنا من هذه الصيغ والأوزان هو وزن (فعل) مفتوح الفاء ساكن العين وقد جاء في الكتاب لسببويه: «وقد يَنُونُ الاسم على (فعل)، وذلك نحو: (ضخم)، و(فخم)، و(عبل)، و(جهم) نحو من هذا»⁽³⁾

ويَصِدُّ سببويه بمصطلح (الاسم) الصفة المشبهة باسم الفاعل، كما أنه أورد هذا الوزن في إطار تداخل اللغات والأبنية والأوزان التي تندرج ضمن مبدأ القليل والنادر الذي لا يرقى إلى القياس الذي يصح أن يُنسج أو يحمل عليه غيره من غير المنقول من اللغات والنماذج الكلامية المتداولة بين الفينة والأخرى بين الناس في حياتهم اليومية العادية في شتى الميادين والقطاعات الحيوية وغير الحيوية.

ومما ذكر سببويه في هذا الباب نفسه: «وقالوا: صَعَبَ صُعُوبَةً وهو (صعب)، لأن هذا إنما من الغلط والحزونة...»⁽⁴⁾

وقد جاء فعل، قالوا: خصم، وقالوا: خصيم، وما أتى من العقل فهو نحو من ذا، قالوا: حلم يحلم حُلماً وهو حليم، فجاء (فعل) في هذا الباب كما جاء (فعل) فيما ذكرنا»⁽⁵⁾

(1)- ينظر: ص 85، من البحث.

(2)- محمد الطنطاوي، تصريف الأسماء، المكتبة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط6، سنة 1987، ص 103.

(3)- الكتاب، سببويه، ج 4، ص 30.

(4)- المصدر نفسه، ج 4، ص 32.

(5)- المصدر نفسه، ج 4، ص 34.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

إذا فهي كما نلاحظ عبارة عن لغات عديدة متداخلة ومختلفة اللهجات مردها جميعا إلى بابٍ وأحد هو بابُ (فَعْل) المضموم العين وردت عن العرب تارة بوزن (فَعْل) وأخرى بوزن (فَعِيل)، قَالَ جَلُّ ثَنَاؤُهُ: «أولم ير الإنسانُ أنا خلقناه من نُطفةٍ فإذا هو خَصِيمٌ مَبِينٌ»⁽¹⁾ وقد جاء القرآن- كما نلاحظ- مؤكدا لهذا التداخل في اللغات واللهجات عند القبائل العربية المتواجدة في أصقاع الجزيرة العربية المترامية الأطراف، ورغم ذلك يبقى هذا الوزن من النادر الذي ليس بذى بال وخطر في رأي اللغويين القدماء منهم والحديثين، لذلك فوزن (فَعْل) في رأي هؤلاء العلماء يُحمل على الشاذ الذي لا يصحّ ولا يجوز القياس عليه حتى الآن.

ومن الشواهد الشعرية القليلة القديمة في هذا الباب ما ورد عن سيبويه للشاعر الجاهلي رؤبة بن العجاج، «وقال العجاج:

مُحْتَبِكٌ ضَخْمٌ شُؤُونُ الرَّأْسِ⁽²⁾

وما يهمننا في مشطور العجاج هو الشاهد في توظيفه للفظه "ضخم" التي هي على زنة "فَعْل" ونصبها للشبيه بالمفعول به بعدها وهو "شؤون" بالصفة المشبهة وهي كلمة "ضخم"⁽³⁾.

ومن هذا القبيل قول الشماخ:

أَمِنَ دِمْتَيْنِ عَرَسَ الرَّكْبُ فِيهِمَا بِحَقْلِ الرَّحَامَى قَدَ عَقَا طَلَاهُمَا
أَقَامَتْ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْتَا الْأَعَالِي حَوْتَنَا مُصْطَلَاهُمَا⁽⁴⁾

وما يعيننا في البيت الثاني هي لفظه: "حَوْتَنَا" التي على وزن "فَعْل" وهي صفة مشبهة وردت في صيغة المثني التي تصف الأثفتين اللتين يميل لؤئهما إلى السواد الباهت الفاتر⁽⁵⁾.
ومنه أيضا: قول رؤبة:

الْحَزَنُ بَاباً وَالْعَقُورُ كَلْباً⁽⁶⁾.

(1)-سورة (يس)، الآية 77.

(2)-الشاهد: من بحر الرجل، للشاعر رؤبة بن العجاج، الديوان، ص 473.

(3)-سبويه، الكتاب، ج 1، ص 196.

(4)-الشاهد من البحر الطويل، للشاعر الشماخ بن ضرار الأيباني، الديوان، ص 307-308.

(5)-سبويه، الكتاب، ج 1، ص 199.

(6)-الشاهد: من بحر الرجز، للشاعر رؤبة بن العجاج، الديوان، ص 15.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وصف الشاعر في هذا الشطر من بيت شعري رجلا بشدة الحجاب ومنع الضيف، كأنّ بابه وثيق لا يُستطاع فتحه، وأنّ كلبه عقور لمن نزل بساحته باغيا معروفه.

والشاهد فيه هو كلمة "الحزن" التي جاءت على وزن "فَعَلَ" وهو بناء من أبنية "الصفة" المشبهة الذي بابه "فَعَلَ"، ومن مصدر فعله الثلاثي اللازم المضموم العين "حَزُن": اشتقت الصفة المشبهة باسم الفاعل "الحزن" وعملت فيما بعدها عمل هذا الأخير وهو النصب على التشبيه بالمفعولية⁽¹⁾.

وعند تتبعنا لبناء "فعل" في المصادر والمراجع والمؤلفات القديمة والحديثة تكشف لنا أنها انقسمت فيه إلى قسمين: منها من أهمل البحث فيه كابن جنّي في كتابه الخصائص، وابن عصفور في كتابه: الممتع في التصريف، وأبي عثمان المازني في كتابه: التصريف، ومنهم من عرض للبحث فيه، ولكن في إنجاز شديد مع النقل الحر في عن الخليل وسيبويه كصاحب الشافية وابن سيدة في المخصّص وابن قتيبة في أدب الكاتب⁽²⁾.

والأمر نفسه بالنسبة للباحثين والدارسين المحدثين الذين عرضوا لدراسة "الكتاب" لسيبويه... قديما مثل السيوفي النحوي في «ضوء شرحه لكتاب سيبويه»⁽³⁾ حديثا نحو: الباحثة اللغوية خديجة الحديثي في كتابها الموسوم بـ: «أبنية الصرف في كتاب سيبويه»⁽⁴⁾ فقد كان هؤلاء جميعا يكتفون باللمسات العابرة لمثل هذه الأبنية، أو كان بعضهم كالسيرا في مثلا يكتفي ببعض الشرح والتعليق السطحي المختصر في الغالب الأعم مُعتمداً عن سيبويه والأمر نفسه بالنسبة لخديجة الحديثي لما عرضت لبناء "فَعَلَ" في كتابها المذكور فقد اكتفت بالنقل الحر في عن سيبويه فيما يتعلق ببناء (فَعَلَ) دون أي شرح أو تعليق ويبقى أن تقول كلمة مختصرة في شأن انقياس بناء (فَعَلَ) وعدم انقياسه بالنسبة لكثير من علمائنا، قديما وحديثا، هو أنّ عصرنا هذا كمالا يخفى على أحد منا هو عصر الاكتشافات والاختراعات العلمية المتتابعة، وكذلك عصر التطور العلمي والصناعي والتقني والتكنولوجي المتسارع الذي ساد العمورة، لذلك كله فنحن أحوج ما يكون إلى المصطلحات

(1)- سيبويه، الكتاب، ج1، ص200.

(2)- ينظر: رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص148، وابن سيدة، المخصّص، ج1، السفر الثاني، ص152-153، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص484.

(3)- ينظر: السيرا في النحوي في ضوء شرحه للكتاب سيبويه، دراسة وتحقيق: عبد المنعم فائز، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، سنة 1983م، ص ص85-120.

(4)- ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة بغداد، ط1، سنة 1965م، ص ص275-277.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

العلمية الحديثة والمفردات الأدبية والثقافية والفلسفية والفنية المستجدة التي تواكب العصر الذي نعيش فيه لذلك فمن غير المعقول، ومن غير المقبول ألا نستغل أي فرصة للتوسع في المصطلحات والصيغ التي ندعم بها تطورنا العلمي والصناعي والأدبي والثقافي والفني، خاصة وأن العربية ليست باللغة الفقيرة الجامدة الخالية من المفردات والألفاظ بل هي لغة من اللغات الحية التي تملك في ذاتها وكيانها وسائل تنميتها وتوليدها وتكاثرها، وهو القول نفسه الذي يصدق على هذا البناء (فَعَلَ) الذي وردت منه أمثلة ونماذج وشواهد تضم كلمات ومفردات كثيرة متنوعة في كلام العرب وشعرهم، وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف نحو: كلمات: رَطْبٌ، وَعَذْبٌ، جاء في القرآن لكريم: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾⁽¹⁾ وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَأَبِلُ فَرَكَّهُ، صَلْدًا﴾⁽³⁾ ونحو "شهم" وفي الحديث: «كان شهما نافذا في الأمور ماضيا»⁽⁴⁾ ونحو: سَهْلٌ، وَصَعْبٌ، وَفَرْدٌ، وَنَحْسٌ، وَشَأَزٌ⁽⁵⁾ وَفَحْمٌ، وَنَذَلٌ وغيرها كثير مما وجدناه سهلا ميسورا في متناول أيدينا دون بحث وإجهاد نفس في مظان كلام العرب وشعرهم ونثرهم مما يجعلنا واثقين تمام الثقة بوجود عشرات وعشرات الأبنية والمفردات لبناء (فَعَلَ) بفتح الفاء وسكون العين مما يسمح لنا في الوقت الراهن أن نقيس عليها ونلحق بها غيرها من غير المنقول الذي يدخل في هذا المضمار مبني ومعنى.

وبعد الحديث عن صيغة "فَعَلَ" بفتح الفاء وسُكُونِ العين يمكن أن نقول إنها جاءت بأعداد متواضعة حيث بلغ مجموعها اثنتين وعشرين صيغة منها عشر صيغ في صورة المعرفة، ومنها اثنتا عشرة صيغة في صورة النكرة غير أن تواجدها في كلام العرب منظومه ومنثوره ينبئ بالكثرة لهذا فإننا لا نوافق بعض علماء العربية الذي يقول بعدم انقياسها.

(1) -سورة الأنعام، الآية 59.

(2) -سورة فاطر، الآية 12.

(3) -سورة البقرة، الآية 264.

(4) -مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر،

ج2، ص516.

(5) -شأن شمر مكاننا شأز: غلظ واشتد، ويقال: قَلِقَ وشَأَز: قَلِقَ، الجوهرى، الصحاح، مادة(شأن)، ص530.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

دلالة صيغة (فعل) المعرفة بـ(أل):

-صيغة (فعل) بفتح الفاء وسكون العين المعرفة بـ(أل)، لقد وردت هذه الصيغة في المدونة بعدد قليل لا يتجاوز عشر صيغ في المجموع الكلي؛ وقد اكتفينا من هذا العدد في التمثيل والتحليل بخمس صيغ حسب الجدول البياني الآتي:

جدول بياني لصيغة "فعل" المعرفة الواردة في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
-1	السَّمْحَة	14	13	وَلَا يُحَاوِلُ إِنضَاجَهَا بَعِيرٍ وَسَائِلَ الْفِطْرَةِ الْمُتَزَنَةِ السَّمْحَةِ الْوَدُودِ...إنه المنهج الإلهي في الوجود كله.
-2	الضَّخْمَة	56	14	...، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز، وخامات، وتسخير هذا كله-ياذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه
-3	الضَّخْمَة	56	20	..، كي لا يَقَعَ التَّصَادُمُ بَيْنَ هَذِهِ النَّوَامِيسِ وَتِلْكَ، وَكِي لَا تَتَحَطَّمْ طَاقَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى صَخْرَةِ الْكُونِ الضَّخْمَةِ.
-4	الْقَوْلُ الْفَصْلُ	86	02	...، هنا يَأْتِيهِمْ (أي: اليهود) الجواب القاطع والقول الفصل في هذه الدعوى.
-5	الْحَيُّ	91	25	...، وهذا التَّصْوِيرُ الْحَيُّ لِلْوَاقِعِ يَوْمِيَّ إِلَى مَبْدِئِ كُلِّيِّ مِنْ مَبَادِئِ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَا قِيَمَةَ لِقَوْلِ بِلَا عَمَلٍ

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فعل) بفتح الفاء وسكون العين المعرفة بـ(أل) هي: (وَلَا يُحَاوِلُ إِضَاعَتَهَا بِغَيْرِ وَسَائِلٍ الْفَطْرَةَ الْمُتَزَنَةَ السَّمْحَةَ الْوَدُودَ... إِنَّهُ الْمَنْهَجُ الْإِلَهِيُّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (سمح):

إن أول ما يعرض لنا عند التعريف بمادة (سمح) في المعاجم اللغوية الموثقة أن: «السين والميم والحاء أصل يدل على سلامة وسهولة، يقال: سَمَحَ له بالشيء، ورجل سَمِحٌ، أي: جواد، وقوم سُمَحَاءٌ ومساميحٌ..» (2)

وفي اللسان: «السماح والسماحة: الجود، سَمَحَ سَمَاحَةً، سُمُوْحَةٌ وَسِمَاحًا، جَادَ وَرَجُلٌ سَمِيحٌ وَمِسْمِخٌ وَمِسْمَاحٌ: سَمِحٌ، وَرَجَالٌ وَنِسَاءٌ مَسَامِيحٌ، قَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيُّ: غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَالِدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضَلَاتِ وَسَادَهَا (3) وتقول العرب: عليك بالحقِّ فَإِنَّ فِيهِ لِمَسْمَحًا، أي: مُتَّسَعًا، كما قالوا، إِنَّ فِيهِ لَمَنْدُوْحَةٌ، قَالَ ابن مقبل:

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي، وَفِي الْحَقِّ مَسْمَحٌ إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أَتَعَذَّرًا (4) (5)

وفي القاموس المحيط عند التعريف بمادة (سمح) نجده يقول: «سَمَحَ كَكَرَّمَ سَمَاحًا وَسَمَاحَةً وَسُمُوْحًا وَسُمُوْحَةً وَسَمَّحًا وَسِمَاحًا، وَالتَّسْمِيحُ، السَّيْرُ السَّهْلُ، وَالْهَرَبُ وَالْمَسَاهَلَةُ كَالْمَسَامِحَةِ» (6)

حينما تقصينا معاني لفظ (سمح) بأن لنا أن دلالتها الأصلية تتراوح بين معاني السلاسة والسهولة، والجود والعطاء، والإذعان والانقياد وكلها يُفضي بعضها إلى بعض بكبير صلة وقرابة وبالرجوع إلى لفظ (سمح) كما أدرجت في ظل سياق النص نجدها، قد وُضِعَتْ في هذه الصورة

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص14.

(2)- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سمح)، ص416.

(3)- الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر عدي بن الرقاع العاملي، جمع وشرح ودراسة: حسن محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1990، ص40.

(4)- الشاهد من بحر الطويل، للشاعر تميم بن أبي مقبل أبو كعب، الديوان، تحقيق: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2006م، ص62.

(5)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سمح)، ج6، ص354-355.

(6)- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (سمح)، ج1، ص229.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

"السّمحة" وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم نحو: سَمَحَ يَسْمَحُ وَسَمَاحًا وَسَمَاحَةً، وَصِيغَةُ "السّمحة بزنة الفَعْلَة" وهو وزن من أوزان الصفة المشبهة ترجع في أصلها إلى باب "فَعْلَ" المضموم المعين وأوزانه غالبه وأشهرها "فَعِيل" نحو: جميل وشريف وعتيد، ثم (فَعْل) وَصَعْبٌ وَرَطْبٌ وَعَذَبٌ...»⁽¹⁾

وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ صِيغَةَ "السّمحة" صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والاستمرار في المنقضي من الزمان والحال والاستقبال الذي لا يعلم مداه إلاّ الله العليم الحكيم الخبير.

وقد وردت الصيغة مقترنة بـ"أل" التعريف التي تدل على العهد لتشير إلى معهود مخصوص معين معلوم، أي: إلى موصوف محدد ثبتت في حقه الصفة أي: صفة السّماحة والسّهولة والانقياد، كما أفادت أداة التعريف التوضيح والتقريب وإحضار الصّفة أمام الحسّ والعين، إضافة إلى موقعها الإعرابي الذي زاد في نقلها من المعنى الذهني المجرد إلى شيء يشبه المشخص المحسوس الحاضر بين يدي القارئ والمتلقي.

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ الْآنَ عَنِ السِّيَاقِ الْخَارِجِيِّ لِلنَّصِّ -هنا- فيحدر بنا أن نتناوله من حيث المنهج الإلهي الربّاني الذي رُوِّعِيَتْ فِيهِ الْفِطْرَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ بِالْأَسَاسِ فَكَانَ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَنَعْنِي بِالْمَنْهَجِ الطَّرِيقَةَ وَالْأَسْلُوبَ وَالْوَسَائِلَ الْآخَرَى التَّابِعَةَ لَهُ وَالْمُنْبَثِقَةَ عَنْهُ، وَهُوَ الْأَسْلُوبُ الَّذِي اتَّبَعَهُ التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيُّ فِي تَقْدِيمِ أَحْكَامِهِ وَتَنَاوُلِهَا، وَبِمَحْتَوَى الْأَحْكَامِ وَالْمَوَادِّ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَهَا ذَلِكَ التَّشْرِيعُ.

وَكَأَنَّ تَعَرُّضَ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تَضُمُّ الْمَنْهَجَ وَالْمَحْتَوَى إِلَى حَمَلَاتٍ كَبِيرَةٍ، فَقَدْ تَعَرَّضَ كُلٌّ مِنَ الْمَنْهَجِ وَالْمَحْتَوَى لِحَمَلَاتٍ تَشْوِيهِيَّةٍ مَشَابِهَةٍ، وَكَانَ الْمَهْدَفُ مِنْهَا هُوَ نَفْسُ الْمَهْدَفِ الْقَائِمِ وَرَاءَ كُلِّ شَبْهَةٍ وَافْتِرَاءٍ، أَلَا وَهُوَ الْقَضَاءُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَبْرَزُ شَبَهَاتِ هَذَا الْقِسْمِ تَمَثُّلُ فِيمَا يَلِي:

1- زعم الانقلاب الشامل في دعوة النبي ﷺ وأسلوبه بعد الهجرة إلى المدينة.

2- القول بأن التشريع الإسلامي عملي أكثر منه أخلاقياً وفلسفياً.

3- الزعم بأن التشريع إصلاحي محلي لا يتجاوز عدداً من الشعائر الزهدية في شكل صلوات وامتناع اختياري عن الطعام والشراب، وأعمال خيرية لم تحدّد كيفيتها.

4- الادّعاء بأن التشريع الإسلامي تابع للنصرانية والقانون الروماني ومستمد منها.

(1)- محمد الطنطاوي، تصريف الأسماء، ص 103.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

5- اتهام التشريع الإسلامي بالبلى والقدم وعدم ملاءمته للعصر، وعدم صلاحيته للتطبيق.

6- اتهام التشريع بعدم الوفاء بحاجات المجتمع الاقتصادية والسياسية: وقد أفردنا للشبهتين الخامسة والسادسة مبحثاً نحاول تناولهما فيه بشيء من الإيجاز، أما عن الشبهات الأخرى فهي محض افتراء وادعاء لا دليل عليه⁽¹⁾

وبناء على هذه المفتريات على الاسلام يمكن القول: إن الناس أعداء ما جهلوا، والجهل يفعل بصاحبه ما يفعل العدو بعدوه يقوله الله تعالى في حق أمثال هذه الجماعة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾⁽²⁾.

إن ما توحى لنا به لفظة (السَّمْحَة) في سياقها التعبيري العام هو ضرورة معرفة الفطرة الإنسانية بعمق، وإدراك اسرارها ومكنوناتها؛ ومتطلباتها، وحاجاتها الأساسية الأولية، وهذا من أجل أن نُحسن التعامل معها دون الإضرار بها في تلبية هذه الحاجيات والميول، والرغبات العميقة الأصيلة، كل ذلك يجب أن يتم في تدرج ورفق وتسامح؛ ومراعاة لمبدأ المرحلية في التعليم والتلقين، والتزود العقلي، والنفسي، والشعوري والجسدي.

⁽¹⁾ -محمد نبيل غنایم، شبهات حول التشريع الإسلامي، أحد بحوث المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، دار الآفاق- الأبيار- الجزائر العاصمة (د ت، د ط)، صص 48-49.

⁽²⁾ -سورة البقرة، الآية 170.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فَعَل) المعرفة بـ(أل) هي: «...وكشَفَ ما في هذه الأرض من قوى وطاقاتٍ، وكنوز وِخَاماتٍ، وتسخير هذا كله-ياذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها إليه»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (ضخم):

إنَّ أوَّل ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (ضخم) في المعاجم اللغوية المحققة أنَّ «الضخم: العظيم من كل شيء، والمصدر: الضخامة، وقد ضخم، بالضم وامرأة ضخمة ونسوة ضخّمت-بسكون الخاء-لأنَّه نعت والأسماء تجمع على "فَعَلات" بالفتح-نحو: شَرَبَت وشَرَبَات، وقرية وقرىات، وبناءت الواو في الأسماء تُجمع على "فَعَلَات" بالسكون-نحو: جَوْزَة وجَوْزات»⁽²⁾.

وفي اللسان: «الضخم: الغليظ من كل شيء، والضخام: العظيم من كل شيء وَ المضمخ: الشديد الصدم والضرب، والمضمخ: السيد الضخم الشريف وَ الضخمة: العريضة الأريضة الناعمة»⁽³⁾

وفي أساس البلاغة: «جسم ضخم، ومن المجاز فيه: سيّد ضخم، وله شأن ضخم، وسودد ضخم، وماء ضخم: ثقيل»⁽⁴⁾

وبعد هذا التعقب المتقضي لمادة (ضخم) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها الأصلية المركزية تصب في معنى العظيم من كل شيء، والغليظ من كل شيء، والعريض والثقيل، وهي دلالات متقاربة ومتداخلة ويمت بعضها إلى بعض بصلة وقرابة كبيرة.

وإذا ما تحوّلنا بأنظرنا إلى لفظة (ضخم) كما وردت في إطار سياق النص نراها قد وُضعت في هذه الصيغة (الضخمة بزنة الفَعلة-بسكون العين-وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المضمون العين المبني للمعلوم: ضخم يَضخم، نحو قوله رؤية:

ضخمٌ يُجِبُّ الخُلُقَ الأَضخَمًا⁽⁵⁾.

(1)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص56.

(2)-الأزهري، تهذيب اللغة، مادة(ضخم) مج3، ص2100.

(3)-ابن منظور، لسان العرب، مادة(ضخم)، ج8، ص33-34.

(4)-الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ضخم)، ج2، ص44.

(5)-الشاهد: من بحر السريع، للشاعر: رؤية بن العجاج، الديوان، ص183.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ومن هنا فإن صيغة (الضخمة) تدرج ضمن أوزان الصفة المشبهة ومن ثمة فهي تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمان البعيد منذ أن استخلف الله عز وجل الإنسان على هذه الأرض وكلفه بحمل هذه الأمانة (الضخمة) في الزمان الماضي البعيد، وفي الزمن الحاضر، وفي الزمن المستقبل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والصيغة كما هو ظاهر وردت في صيغة المفرد المؤنث المعرف، وقد جاءت معرفة ب: (أل) التعريف العهدية لتدل على معهود مخصوص معلوم معين، أي: أنها تشير من قريب إلى موصوف محدد بعينه متمثل في لفظ (المهمة) الذي ورد هو الآخر معرّفًا ليفيد التوضيح والتجسيد، وإحضار الشيء أمام العين محسوسا ملموسا ليجعل المخاطب والمتلقى على بينة وبصيرة من أمره غير تارك له فرصة محاولة للتفلسف أو التملص أو الاعتذار مهما كان نوعه يقول المولى عز وجل في هذا الشأن، شأن استخلاف آدم وتكليفه بالنهوض بهذه المهمة (الضخمة) في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽¹⁾ قال أبو جعفر: «والصواب في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: مستخلف في الأرض خليفة ومُصَيَّر فيها خلقا، وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة: القول في تأويل قوله تعالى: "خليفة" والخليفة الفعيلة، من قولك: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده، كما قال جل جلاله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾ يعني بذلك: أنه أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاء بعدهم ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة، لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفا، يقال منه خلف الخليفة يخلف خليفاً».

حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن اسحاق: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

يقول: ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها خلفاً ليس منكم»⁽³⁾

هذا وقد عرض لهذه الآية عدد كبير من كبار المفسرين، قدماء ومعاصرين، اختلط في تفسيرهم الرأي الإسلامي الصحيح، بإسرائيليات صارخة، وأساطير العجم، ولكن يبدو من وراء هذا الضباب الفكري، حقائق القرآن الخالدة وهي:

⁽¹⁾ -سورة البقرة، الآية 30..

⁽²⁾ -سورة يونس، الآية 14.

⁽³⁾ -الطبري، جامع البيان عن تأويل أي، القرآن، مج1، ص298.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى، أنبأ الملائكة بأنه سيستخلف في الأرض خليفة.

ثانياً: أن هذا الخليفة هو آدم بالذات.

ثالثاً: أن الملائكة استفسروا أو أظهر الدهشة واعترضوا لأن الله تعالى اذن لهم أن يقولوا ما بداهم، باعتبار أن خلق صنفٍ آخر من مخلوقات الله، أمر يحتاج إلى تلقين وتفهم وتعليم لعظم المهمة "الضخمة" التي سيقوم بها، ولجدة العلاقة التي ستقوم بين الملائكة وبين هذا الصنف الجديد الذي سيكون منه الأنبياء والمقربون، والشهداء والصالحون، كما سيكون منه الكفار والمشركون، وشياطين الإنس، وسيصدر عن ذريته الفساد وسفك الدماء.

رابعاً: أن هذا المخلوق الجديد الذي خصّه الله بعناية خاصة كانت بدايتها كلام الله تعالى إلى ملائكته عنه، وإنبائهم باستخلافه، وتساؤلهم عن مُسوّغ هذا الاستخلاف مع ما في هذا المخلوق من آفات ونقائص، كان هذا المخلوق الجديد وظهور على الأرض امتحاناً للملائكة فاكتفوا جميعاً بالدهشة والتساؤل، إلا إبليس أبى واستكبر.

خامساً: أن الله تعالى لم يلبث حتى امتحن الملائكة بما يعرفه آدم، فثبت لهم، أنه أعلم منهم، فأدركوا أن لخلافته ما يسوّغها.

سادساً: ثم انتهى هذا كله إلى أمر من الله للملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا. هذه الآيات، هي ركن الزاوية في البناء الفكري، الذي أقامه الإسلام، على قاعدة المبدأ العام: «ولقد كرّمنا بني آدم» وأن تميز الإنسان على من سواه من المخلوقات، سواء مرئية أو غيبية، مردّه أمران:

أولاً: استعداده العقلي والنفسي والروحي، للتلقي والتعلم والتطور والتقدم.

ثانياً: أنه مُعرّض للخطأ والزيغ والضلال، وأنه قادر على الإتيان بجلائل الأعمال، والتردي في المعاصي والذنوب، وأن ما بدا من نقص في هذا الجانب، هو ما هيأه لمقام الخلافة دون غيره من عباد الله، حتى الملائكة الذين لا يخطئون والذين وصفهم..»⁽¹⁾

فالإسلام قائم على مجاهدة النفس، والابتلاء بالامتحان، فالله تعالى قال للمسلمين

﴿وَلَبَّوْاْكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّاهِرِينَ وَبَلَّوْاْ أَخْبَارَكُمْ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿وَبَلَّوْاْهُمْ بِالْحَسَنَاتِ

(1)-فتحى رضوان، الإسلام والإنسان المعاصر، دار المعارف-بمصر- ط سنة 1975م، ص ص152-153.

(2)-سورة محمد الآية 31.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ (1)

وبهذا الابتلاء، يمكن للإنسان أن يتقدم، وأن يتطور، وأن ينتقل من الضعف إلى القوة ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلام إلى النور، ولأن الإنسان خلق مستعداً لهذا التقدم، بفضل الابتلاء والفتنة والامتحان فقد أصبح قادراً على القيام بوظائف الخلافة، وبهذه المهمة "الضخمة" التي قال فيها مولانا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (2) إذ لو كان مخلوقاً لا يُخطئ؛ لكان جميع أفراد ذريته، على شاكلة واحدة، ولكانوا أمة واحدة، ولقد سبقت إرادة الله ومشيتته ألا يكون الناس أمة واحدة وقد كان هذا-يغير شبهة أوشك في مقدوره-: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (3) ويُكَمِّل هذا المبدأ، ويأتي تبعاً له، مبادئ كلية في العقيدة الإسلامية منها:

أولاً: مبدأ التوبة.

ثانياً: مبدأ تحريم القنوط واليأس.

ثالثاً: مبدأ أن الأمر كله للإنسان، المؤمن، الذي يملك أن يُغيّر حياته، وينسخ قبيحها، ويمحو عيوبها، ويحيلها إلى رفعة متصلة وطمأنينة شاملة، ومعرفة سابعة: «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم» (4)، (5).

«وَإِذْ فِيهَا الْمَشِيئَةُ الْعُلْيَا تَرِيدُ أَنْ تُسَلِّمَ لِهَذَا الْكَائِنِ الْجَدِيدِ فِي الْوُجُودِ زَمَامَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وتُطلق فيها يده، وتُكَلِّل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحليل والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقت، وكُنُوز وخامات» (6)

ومن هنا فإن مصير الإنسان الذي استخلفه الله على هذه الأرض بيده-إن استقام على هدى

(1)-سورة الأعراف، الآية 168.

(2)-سورة الأحزاب، الآية 72

(3)-سورة المائدة، الآية 48.

(4)-سورة الأنفال، الآية 53.

(5)-فتحي رضوان، الإسلام والإنسان المعاصر، دار المعارف-بمصر-ط سنة 1975م، صص 152-154.

(6)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 56.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الله والتزام بمنهجه العلوي-استطاع أن يعيش في رخاء وسعادة وطمأنينة وسلام، وإن انحرف عن نهج الله واتبع هواه عاش حياة ضنكاً وحُشراً يوم القيامة أعمى لنسيانه آيات الله واستهانته بها، وتفريطه فيها.

إننا في هذه العبارة مع سياقها العام أمام كل ما تجود به الأرض والسماء من ثروات وخيرات وكنوز ظاهرة وباطنة، وكلها لله إلى هذا الإنسان، ليستغلها للنفع العام، ولذلك فهذا الإنسان أمام مهمة (ضخمة)، فهذه اللفظة وحدها كفيلة بتصوير هذه المسؤولية الثقيلة، فهي تملأ فم الناطق بما لقوتها وفخامتها، ويحدثها ربنا موسيقيا قويا ثقيلا ثقل هذه المهمة الشاقة التي ناءت بحملها الجبال والسموات والأرض، وحملها هذا الإنسان الجهول...

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فَعَل) المعرفة بـ(أل) هي: (كَي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكَي لا تنحطم طقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (ضخم):

لقد مرّ بنا تناول هذه المادة والتعريف بها في مبحث سابق⁽²⁾ فلا نرى فائدة من إعادة الكلام فيها.

حينما تتبّعنا مادة (ضخم) للتعريف بها في المعاجم اللغوية في المبحث السابق المشار إليه في الهامش تكشف لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة هي: الضخم: العظيم من كل شيء، والضخم: الغليظ من كل شيء، والضخم: الثقيل والعريض، وقد ضُخِم الشيء يَضُخِم، ضِخْمًا وضخامة، وهذا أضخم منه وغيرها من هذه المعاني المتقاربة المشتركة التي تجري في مجرى العظم، والغلظة والكبر وإذا ما توجّهنا بأنظارنا إلى لفظة (ضخم) كما وردت في سياق النص المذكور آنفاً نجد أنها قد وُضعت في هذه الصيغة: "الضخمة" بزنة الفَعْلَة وهو وَصَف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرّف المضموم العين المبني للمعلوم: (ضُخِمَ يَضُخِم) نحو: قول الشاعر رؤبة بن العجاج:

ضُخِمَ يُحِبُّ الخُلُقَ الأَضْحَمًا⁽³⁾.

وبناء على ذلك فإنّ صيغة: الضخمة" تبعا لهذه الخصائص والمواصفات النحوية والصرفية تندرج ضمن أوزان الصفة المشبهة التي تحمل معنى الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمان المنقضي البعيد، والحال والاستقبال الذي لا يعلم مداه البعيد إلا الله.

والصيغة-أيضا- وكما هو ظاهر وردت في صيغة المفرد المؤنث المعروف، وكان هذا التعريف ب: (أل) العهدية لتدل على معهود مخصوص معلوم معين، أي: على موصوف محدّد بعينه متمثل في جملة: (على صخرة الكون) التي تتألف من المضاف والمضاف إليه الذي هو نوع من المعارف التي جاءت متوالية متظافرة لتُفيد معنى التوضيح، ومعنى الإشارة القريبة، والحضور العيني المشاهد لكل من الصفة والموصوف معاً، رغبة ونشدانا في تحديد المعنى وتوضيحه لكل من القارئ والمُخاطب المُتلقّي

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 56.

(2)- يُنظر: ص 327 من البحث.

(3)- الشاهد: من بحر السريع، للشاعر رؤبة بن العجاج، الديوان، ص 183.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

للنص يقول المولى سبحانه: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽¹⁾

وإذا عدنا إلى السياق الخارجي للنص مُحاولين استنطاقه من خلال ألفاظه وعباراته ورموزه اللغوية المتنوعة نكتشف بشيء من التأمل المتأني أنه يكلمنا عن نوعين من السنن أو النواميس الإلهية الربانية في هذا الكون: نواميس تحكم الأرض-وتحكم الكون كله-والنواميس التي تحكم هذا المخلوق الآتمي وقواه وطاقاته العديدة المتنوعة المتباينة: الفكرية منها والعقلية والنفسية والقلبية والروحية والبدنية.

وهنا يأتي مبدأ التوازن في الكون والإنسان والحياة لِيَسْتَقَ بينها جميعا كخاصية من خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ليحسم الأمر في هذه المسألة المستعصية-تماما- " على التصورات الفلسفية أو التصورات الدينية التي شوّهتها التصورات البشرية بما أضافته إليها، أو نقصته منها، أو أوّلته تأويلا خاطئاً، وأضافت هذا التأويل الخاطيء إلى صلب العقيدة.

وتتمثل خاصية التوازن في عدة توازنات تُذكر منها أبرزها وأهمها:

هناك التوازن بين الجانب الذي تتلقاه الكينونة لتدركه وتسلم به، وينتهي عملها فيه عند التسليم، والجانب الذي تتلقاه لتدركه، وتبحث حُججه وبراهينه..»⁽²⁾. «...وتحاول معرفة عِلله وغاياته وتفكر في مقتضياته العملية، وتُطبّقها في حياتها الواقعية، والفطرة البشرية تستريح لهذا ولهذا، لأنّ كليهما يُلبّي جانباً أصلاً، مُودعاً فيها وهي تخرج من يدِ بارئها، وقد علم الله أنّ الإدراك البشري لن يتسع لكل أسرار هذا الوجود، ولن يقوى على إدراكها كلها، فأودع فطرته الارتياح للمجهول، والارتياح للمعلوم، والتوازن بين هذا وذاك في كيانها كي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون "الضخمة" العاتية، كالتوازن بين هذا وذاك في صميم الوجود.

إنّ العقيدة التي لا غيب فيها ولا مجهول، ولا حقيقة أكبر من الإدراك البشري المحدود، ليست عقيدة، ولا تجد فيها النفس ما يلبي فطرتها، وأشواقها الخفية إلى المجهول المستتر وراء الحُجب المسدلة.. كما أنّ العقيدة التي لا شيء فيها إلاّ المُعميات التي لا تدركها العقول ليست عقيدة؟ فالكينونة البشرية تحتوي على عنصر الوعي، والفكر الإنساني لا بد أن يتلقى شيئاً مفهوماً له، له فيه عمل، يملك أن يتدبّرهُ ويُطبّقهُ والعقيدة الشاملة هي التي تُلبي هذا الجانب وذاك التوازن بها الفطرة،

(1)-سورة فاطر، الآية 43.

(2)-سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص136.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وهي تجدد في العقيدة كفاء ماهو مودع فيها من طاقات وأشواق.

فإذا كانت ماهية الذات الإلهية، وكيفية تعلق إرادة الله بالخلق وحقيقة الروح،،، من الحقائق التي لا سبيل إلى الإحاطة بها- كما أسلفنا- (1) فهناك خصائص الذات الإلهية: من وجود، ووحدانية، وقُدرة، وإرادة، وخلق، وتُدبير وكلها مما يعمل الفكر البشري في إدراكه، ومما يستطيع أن يُدرك ضرورته ومقتضياته في الوجود.

والإسلام يعرِّضُ هذه الخصائص ببراهينها المقتنعة... وهناك: الكون" وحقيقته، ومصدر وجوده، وعلاقته بخالقه، وعبوديته له، واستعداده لاستقبال الحياة، وعلاقته بالإنسان وعلاقة الإنسان به... وهناك "الحياة" بشي أنواعها وأجناسها وأشكالها ودرجاتها، ومصدرها، وعلاقتها بطبيعة الكون، وعلاقتها بمبدعه ومُبدِعها...

وهناك "الإنسان" وحقيقته، وخصائصه ومصدره، وغاية وجوده، ومنهج حياته... وكلها تردُّ في منطِق مفهومٍ واضح، مُريح للعقل والقلب، مدعم بالبراهين التي تتلقاها الفطرة بالقبول والتسليم:

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) ﴿ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٣٦) ﴿ أَمْ آتَّخَذُوا إِلهَةً مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ (٣١) ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨١) ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) (5).

وهكذا وهكذا من الحجج الملزمة، والآيات المعروضة في الأنفس والآفاق، وهي معروضة للنظر والتدبر، كما أنها معروضة للبرهنة والحجة... والإدراك البشري مطلق للنظر فيها، والتلقي عنها، ومناقشة حجيتها على القضايا المسوقة لإثباتها، وكلها في دائرة النظر، وفي مستوى الإدراك.

(1)-راجع خاصية: الربانية في كتاب: سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص51.

(2)-سورة الطور، الآية 35-36.

(3)-سورة الأنبياء، الآية 21.

(4)-سورة الأنبياء، الآيات 22-24.

(5)-سورة (يس) الآيتان 81-82، وانظر في هذا الشأن: يس: 78، 79 والنمل: 60-64، وسورة الروم: 20-25.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وهكذا تجدد الفطرة البشرية في التصور الإسلامي ما يليب أشواقها كلها: من معلوم ومجهول ومن غيب لا تحيط به الأفهام ولا تراه الأبصار، ومكشوف تحول فيه العقول وتتدبره القلوب، ومن مجال أوسع من إدراكها تستشعر إزائه جلال الخالق الكبير، ومجال يعمل فيه إدراكها وتستشعر إزائه قيمة الإنسان في الكون وكرامته على الله.

وتتوازن الكينونة الإنسانية بهذا أو ذاك ولا تتحطم على صخرة الكون "الضخمة" هي تؤمن بالجهول الكبير، وهي تتدبر المعلوم الكبير.

والتوازن بين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية... فالمشيئة الإلهية طليقة، لا يرد عليها قيداً ما، مما يخطر على الفكر البشري جملة، وهي تبدع كل شيء. مجرد توجُّهها إلى إبداعه، وليست هنالك قاعدة ملزمة، ولا قالب مفروض تلتزمه المشيئة الإلهية حين تريد أن تفعل ما تريد: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠) ⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي كَافِرٌ وَلَقَدْ بَلَغْتَ الْكِبَرَ وَأَمْرًا قَائِمًا فَذَكَرْنَاكَ اللَّهُ نَدِيمًا فَإِنَّمَا تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ﴾ (٤٠) ⁽²⁾.

وقوله: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨) قلنا ينار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ⁽³⁾ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ⁽⁴⁾ وهكذا، وهكذا، مما يقرر طلاقة المشيئة الإلهية، وعدم تقيدها، مما يخطر على الفكر البشري، مما يحسبه قانوناً لازماً، وحمية لافكاك منها...

وفي الوقت ذاته يثبت للمشيئة الإنسانية الإيجابية ويجعل للإنسان الدور الأول في الأرض وخلافته، وهو دور ضخم، يُعطي الإنسان مركزاً ممتازاً في نظام الكون كله، ويمنحه مجالاً هائلاً للعمل والفاعلية والتأثير، ولكن في توازن تام مع الاعتقاد بطلاقة المشيئة الإلهية وتفردتها بالفاعلية الحقيقية، من وراء الأسباب الظاهرة، وذلك باعتبار أن النشاط الإنساني هو أحد هذه الأسباب الظاهرة، وباعتبار أن وجود الإنسان ابتداءً وإرادته وعمله، وحركته ونشاطه، داخل في نطاق المشيئة الطليقة المحيطة بهذا الوجود وما فيه ومن فيه» ⁽⁴⁾.

(1) -سورة النحل، الآية 40..

(2) -سورة آل عمران، الآية 40..

(3) -سورة الأنبياء، الآيات 68-70، انظر في هذا الشأن: سورة آل عمران، 47، سورة هود: 71-72، وسورة آل عمران،

59-60، وسورة آل عمران: 49، وسورة البقرة: 259، وسورة الشعراء: 61-63.

(4) -بتصرف، سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 138-144.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ومن خلال هذا التطواف مع هذا العالم المعاصر الذي سبقت الإشارة إليه يتبين لنا أن هذا الوجود بأسره بما فيه الإنسان محكوم بسنن ونواميس إلهية مطردة ثابتة مستقرة لا يمكن لشيء في هذا الوجود التفلت منها والحياد عنها بأي حال، بيد أن هذه السنن والنواميس الإلهية التي تحكم الكائن الإنساني وما في كيانه من تفكير، وعقل، وإرادة، وقلب، وروح، ونفس، وبدن ليست هي نفسها القوانين والسنن التي تحكم الأرض والكون وما فيه من مجرات، وهي كلها، أي: النواميس والقوانين التي يُسَيَّرُ بها الكون والإنسان والحياة من مشيئة الله عز وجل الحرة الطليقة وتحت هيمنته وتديره، وتصريفه وأمره وبِحِكمته، متى شاء أوقفها، ومتى شاء غير مجراها، ومتى شاء استبدالها بغيرها، وهي كذلك بطبيعة الحال تعمل كلها في وحدة كلية متناسقة، ومتسقة، مُنسجمة لا تجور الواحدة على الأخرى ولا تطغى.

وهي هكذا على هذه الصنعة والإبداع الفريد المميز الخارق تصبّ جميعاً في خدمة الإنسان وسعادته، وراحته، وسلامته، وأمنه، وطمأنينته إذا ما راعى وصايا خالقه، وتوجيهاته، وتعاليمه وعمل بها وفقاً لتعاليم الكتب السماوية الصحيحة وتوجيهات وشروح الأنبياء والمرسلين منذ سيدنا نوح عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فعل) المعرفة بـ(أل) هي: (هنا يأتيهم، أي: (اليهود) الجوابُ القاطعُ والقولُ الفصلُ في هذه الدعوى) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (فصل):

ومما اخترناه من معاني مادة (فصل): مما ورد في المعاجم اللغوية الموثقة «فَصَلَّت الشيء فانفصل، أي: قطعتَه فانقطع، وفصل من الناحية، أي: خرج، وفصلت الرضيع عن أمه، وافتصلته: إذا فَطَّمته» (2).

وفي اللسان: «الفصل: البونُ ما بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل وأنشد:

وَصَلًّا وَفَصَلًّا وَتَجْمِيعًا وَمُفْتَرِقًا فَتَقًا وَرَتَقًا وَتَأْلِيفًا لِإِنْسَانٍ (3)

وقوله عزّ وجل ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (4) أي: هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازي كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم» (5) وفي تهذيب اللغة «الفصل: القضاء بين الحق والباطل، وقول الله عز وجل: ﴿كَذَّبُ فُصِّلَتْ أَيْتُهُ﴾ (6) له معنيان: أحدهما: تفصل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني: فصلناه: بيناه» (7).

وعلى ضوء هذا العرض المتعقب المتفحص لمادة (فصل) في المعاجم اللغوية تأكدنا أن الدلالة الأصلية الأساسية لهذه المادة هي: قطع الشيء عن غيره، والبون بين الشيئين، والحاجز بين الشيئين وغيرها من المعاني التي تصب كلها في مجرى دلالة: التعريف والتقطيع والإبعاد.

وبالرجوع إلى لفظة (فصل) كما جاءت في سياق النص نجد أنها قد وضعت في هذه الصيغة (الفصل) بزنة (الفعل) وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل المتعدي المتصرف المبني للمعلوم،

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص86.

(2) - الجوهري، الصحاح، مادة (فصل)، ص814.

(3) - الشاهد: من بحر البسيط، البيت غير منسوب في لسان العرب، مادة (فصل)، ج10، ص273.

(4) - سورة المرسلات، الآية38.

(5) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)، ج10، ص274.

(6) - سورة فصلت، الآية3.

(7) - الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، مادة (فصل)، مج3، ص2794-2795.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

لأنَّ «فَصلاً يكون لازماً ومتعدياً، وإذا كان متعدياً فمصدره الفصل، وإذا كان لازماً فمصدره الفُصول»⁽¹⁾.

نحو قوله تعالى من الفعل اللازم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَاهُو بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾⁽²⁾ وقوله تعالى من الفعل المتعدي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾⁽³⁾ ومن ثم فإنَّ صيغة "الفصل" تبعاً لهذه المواصفات النحوية والصرفية والسياقية تندرج ضمن أبنية الصفة المشبهة التي تحمل معنى الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمان الماضي البعيد منذ أن أنزل الله جل ذكره الوحي على محمد صلى الله بكلمة "الفصل" في شأن بني اسرائيل بشأن هذه الدعوى التي ادّعوها: بأنَّ النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة فجاء السؤال المفحم حاملاً التبكيث والتقريع والتوبيخ أمراً الله رسوله بأن يسألهم السؤال الواضح الصريح كذلك: ﴿قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾⁽⁴⁾ ولا يزال هذا السؤال والجواب القاطع فيه، والقول "الفصل" إلى يومنا هذا وسيظل قائماً حجة دامغة، شاهدة عليهم إلى يوم القيامة.

وقد وردت صيغة "الفصل" في هيئة المفرد المذكّر المعرف بـ: (أل) التي هي (أل) العهدية التي تومئ إلى معهود مخصوص معين معلوم مُمثل في الموصوف الذي هو "القول" المنسوب في السياق إلى الله جل ثناؤه الذي إليه تصير الأمور في نهاية المطاف، قال الزجاج: «أن الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصل القضاء بين الخلق»⁽⁵⁾.

وهذه التعاريف المتعاقبة في الموصوف والصفة في قوله: «والقول الفصل» زادت المعنى وضوحاً، وحضوراً حسياً في ذهن القارئ والمتلقي عامة، وهو القول "الفصل" الثابت المستقر الذي لا تردّد فيه ولا رجوع، ولا تغيير.

ونبقى دائماً مع الجواب القاطع و"القول الفصل" في إطار السياق الخارجي هذه المرة، وهو عبارة عن جواب من عند الله عزّ وجل على دعوى بني اسرائيل وزعمهم وأمانتهم الفارغة التي لا تستقيم مع عدل الله، ولا تتفق مع سنته، ولا تتماشى مع التصور الصحيح للعمل والجزاء... أن

(1)-ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)، ج10، ص274.

(2)-سورة الطارق، الآية 13-14.

(3)-سورة الحج، الآية 17.

(4)-البقرة، الآية 80.

(5)-ابن منظور، لسان العرب، مادة(فصل)، ج10، ص 273.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل) في تفسير (ظلال القرآن)

يَحْسِبُوا أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا فَعَلُوا، وَأَنَّ النَّارَ لَنْ تَمْسَهُمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ يَخْرُجُونَ بِعَدَاهَا إِلَى النَّعِيمِ..علام يعتمدون في هذه الأمنية؟ علام يُحدِّدون الوقت كأنهم مستوثقون؟ وكأنها معاهدة محدودة الأجل معلومة الميقات؟ لاشيء إلا أمانى الأميين الجهال، وأكاذيب المختالين العلماء، الأمانى التي يلجأ إليها المنحرفون عن العقيدة الصَّحيحة وأكاذيب المختالين العلماء؟ الأمانى التي يلجأ إليها المنحرفون عن العقيدة الصَّحيحة حين يطول بهم الأمد، وينقطع ما بينهم وبين حقيقة دينهم فلا يبقى لهم⁽¹⁾، لن تمسهم إلا أياماً معدودة فجاء السؤال المفحم حَامِلاً التبيكيت والتفريع والتوبيخ أمر الله رسوله بأن يسألهم الواضح الصريح كذلك: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾⁽²⁾ ولا يزال هذا السؤال والجواب القاطع فيه والقول "الفصل" إلى يومنا هذا وسيظل بعد ذلك قائماً حجة دامغة، شاهدة عليهم إلى يوم القيامة وقد وردت صيغة "الفصل" في هيئة صيغة المفرد المذكر المعرف ب" (أل) وهي أل العهدية التي تدل على معهود مخصوص معين معلوم ممثل في الموصوف الذي هو "القول" المنسوب في سياق الكلام إلى الله عزّ وجل الذي تصير الأمور، قال الرَّجَّاجُ: «أَنَّ الْفَاصِلَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْخَلْقِ»⁽³⁾ وهذا التعريف المتوالي، المتعاقب في الموصوف والصفة في قوله: "والقول الفصل" زاد المعنى وضوحاً، وقرباً، وحضوراً في ذهن القارئ لا تردد ولا رجوع فيه، ولا تغيير ولا تبديل في حيثياته جملة وتفضيلاً.

وهذا هو التلقين الإلهي للحجة الدامغة: «أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ»...فأين هو هذا العهد؟ «أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟» وهذا هو الواقع، فالاستفهام هنا للتقرير، ولكنه في صورة الاستفهام يحمل معنى الإنكار والتوبيخ؟ هنا يأتيهم الجواب القاطع والقول "الفصل" في هذه الدعوى، في صورة كلية من كليات التصور الإسلامي، تنبع من فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان: إنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَوَفْقَ هَذَا الْعَمَلِ: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٨١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٨٢) ﴿٨٢﴾⁽⁴⁾

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص85.

(2)- سورة البقرة، الآية 80.

(3)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصل)، ج10، ص273.

(4)- سورة البقرة الآيتان 81-82.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الخطيئة كسب؟ إنَّ المعنى الذهني المقصود هو اجتراح الخطيئة، ولكنَّ التعبير يرمي إلى حالة نفسية معروفة... إنَّ الذي يجترح الخطيئة إنما يجترحُها عادةً وهو يلتذُّها ويستسيغها، ويحسُّها كسباً له-على معني من المعاني- ولو أنَّها كانت كريهة في حسِّه ما اجترحها، ولو أنَّه كان يُحسُّ أنَّها خسارة ما أقدم عليها متحمساً، ومن تركها تملأً عليه نفسه وتُحيط بعالمه، لأنَّه خَلِقَ لو كرهها وأحسَّ ما فيها من خسارة أن يهرب من ظلها-حتى لو اندفع لارتكابها-وأن يستغفر منها، ويُلَوِّذُ إلى كنفٍ غير كنفها، وفي هذه الحالة لا تحيط به، ولا تملأُ عليه عالمه، ولا تُغلقُ عليه منافذ التوبة والتكفير... وفي التعبير: «وأحاطت به خطيئته»... تجسيم لهذا المعنى، وهذه خاصية من خواص التعبير القرآني، وسمة واضحة من سماته تجعل له وقفاً في الحسِّ يختلف عن وقع المعاني الذهنية المجردة، والتعبيرات الذهنية التي لا ظل لها ولا حركة، وأي تعبير ذهني عن اللجاجة في الخطيئة ما كان ليَشعَّ مثل هذا الظلِّ الذي يُصوِّرُ المجرِّحَ الأثمَّ جَبِيسَ خطيئته: يعيش في إطارها، ويتنفس في جوِّها، ويجيا معها ولها.

عندئذ... عندما تُغلقُ منافذ التوبة على النفس في سجن الخطيئة عندئذ يحق ذلك الجزاء العادل الحاسم "الفصل": ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽¹⁾ هذا هو الجو القاطع والقول "الفصل" على دعوى بني إسرائيل ودعواها الفارغة؛ وأمانيتها الطائرة في مهَبِّ الريح؟⁽²⁾

في هذا السياق التعبيري يذكر الكاتب مواجهة القرآن الكريم لليهود الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار، الذي لا تمسه النار يوم القيامة إلا أيام معدودة، يخرجون بعدها إلى النعيم المقيم، وهو في الحقيقة زعم باطل لا يرتكز على أي أساس اعتقادي صحيح، ولا على سلطان من العمل يدعم هذا الأساس...

(1)-سورة البقرة الآيتان 81.

(2)-بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص86.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فَعَل) - بفتح الفاء وسكون العين - المعرفة بـ (أل) هي: «وهذا التصوير الحي للواقع يُوميء إلى مَبْدَأٍ كَلْبِيٍّ من مبادئ الإسلام: إنَّه لا قيمة لقول بلا عمل»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (حَيٍّ):

إنَّ أوَّل ما يطالعنا عند التعريف بمادة (حَيٍّ) في المعاجم اللغوية المعتمدة أن: «الحيُّ: الحق، والليُّ: الباطل، ومنه قولهم: لا يعرف الحيُّ من الليِّ، والحيوانُ اسمٌ يُطلَق على كل شيء حي، وسَمِّي الله عزَّ وجل الآخرة حيواناً، فقال: «وإنَّ الدَّارَ الآخرةَ لهي الحيوانُ»⁽²⁾ قال: "هي الحياة"⁽³⁾ وفي اللسان: «الحياة: نقيض الموت، والحياء: مَفْعَلٌ من الحياة، وتقول: محياي ومماتي، ومعنى حيٌّ: أَعْجَلٌ وَأَقْبَلٌ»⁽⁴⁾.

وفي مقاييس اللغة: «الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما: خلاف الموت، والآخر: الاستيحاء الذي هو ضدُّ الوقاحة»⁽⁵⁾

حينما تعقبنا مادة (حَيٍّ) بشيء من الإيجاز المتمعن في المعاجم اللغوية تكشف لنا أن دلالة هذه المادة الأصلية الرئيسة تتراوح بين معنى الحياة: نقيض الموت، والحي: الحق، والحي: النشاط والحركة والفعالية.

وإذا ما عدنا إلى دلالة صيغة لفظ (حَيٍّ) كما وردت في سياق النص نلاحظ -أولاً- أن هذه اللفظة قد وضعت في هذه الصيغة هكذا: "الحيُّ" بزنة الفَعْل - بفتح الفاء وسكون العين - وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: حَيَّيَ - يَحْيِيَانِ أو حَيَّيَ يَحْيِيَانِ نحو قوله تعالى: «وَيَحْيِيَانِ مَن حَيَّيَ عَن بَيْنَةٍ»⁽⁶⁾.

وبناء على هذه المواصفات النحوية والصرفية فإن صيغة (الحي) هنا في هذا النص صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمن الماضي والحال والاستقبال، ذلك أن هذا

(1) - سورة العنكبوت، الآية 54.

(2) - الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (حَيٍّ) مج 1، ص 950-953.

(3) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حي) ج 3، ص 424-433.

(4) - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (حَيٍّ)، ص 233.

(5) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 85.

(6) - سورة الأنفال، الآية 42.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

التصوير "الحي" نزل به القرآن في بني إسرائيل منذ عهد نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، «وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَرَّةُ الْوَحِيدَةَ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ الْمِيثَاقُ تَحْتَ الصَّخْرَةِ، وَكَانَ هُنَاكَ التَّمْرُدُ وَالْمَعْصِيَةُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (1)، (2).

ونحب أن نبقي قليلاً مع السياق الداخلي للنص وهذه المرة مع الأدوات اللغوية ودلالاتها المتنوعة التي جاء فيها صيغة "الحي" مفرداً مذكراً معرفة وهي نعت تابع للموصوف قبلها: "التصوير الحي"، أما (أل) التعريف هنا فهي للعهد التي تومي إلى معهود مخصوص معلوم معين أي: موصوف محدد وهو "التصوير" الذي قيده وخصصته الصفة وميزته من غيره من سائر التصوير الساذج البسيط، العابر المتغير، الفاتر الميت.

وقد تظافرت هنا أدوات التعريف الداخلة على كل من الاسم الموصوف "التصوير"، والصفة المشبهة "الحي" واسم الإشارة قبلها في قوله: "وهذا التصوير الحي" قلنا: تظافرت على إبراز المعنى وتقريبه وتشخيصه وإحضاره أمام المشاهد والمتلقي على مرأى ومسمع منهما.

وإذا انتقلنا بوجهتنا إلى السياق الخارجي للنص-وهو واسع جداً وذو أبعاد ومستويات حافلة بالدلالات والدروس والعبر-مركزين على بعد واحد أو درس واحد نبدوّه فيما جاء عن الطبري في تأويل هذه الآية التي نزلت في بني إسرائيل على عهد نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام والعهود التي كانوا يرمونها مع الله ثم ما يلبثون أن ينقضوها ويخالفوها القول في تأويل قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (3).

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» واذكروا إذ أخذنا عهدكم بأن خذوا ما آتيناكم من التوراة التي أنزلتها إليكم أن تعملوا بما فيها من أمري، وتنتهوا عما نهيتكم فيها بجد في ذلك ونشاط، فأعطيتم على العمل بذلك ميثاقكم، إذ رفعنا فوقكم الجبل.

أما قوله: "واسمعوا" فإن معناه: واسمعوا ما أمرتكم به، وتقبلوه بالطاعة: كقول الرجل للرجل يأمره بالأمر: سمعت وأطعت، يعنى بذلك: سمعت قولك وأطعت أمرك، قال الراجز من الرجز:

(1)-سورة البقرة، الآية 93.

(2)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص82.

(3)-سورة البقرة، الآية 93.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالتَّسْلِيمُ خَيْرٌ وَأَعْفَىٰ لِـبَنِي تَمِيمٍ⁽¹⁾

يَعْنِي بِقَوْلِهِ السَّمْعُ: قَبُولُ مَا يَسْمَعُ، وَالطَّاعَةُ لِمَا يُؤْمَرُ، فَكَذَا لَكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: "وَاسْمَعُوا" أَقْبَلُوا مَا سَمِعْتُمْ، وَاعْمَلُوا بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: "قَالُوا سَمِعْنَا" فَإِنَّ الْكَلَامَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَبْرِ عَنِ الْغَائِبِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْإِبْتِدَاءَ بِالْخُطَابِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَا وَصَفْنَا مِنْ أَنْ إِبْتِدَاءَ الْكَلَامِ إِذَا كَانَ حِكَايَةً فَالْعَرَبُ تُخَاطَبُ فِيهِ ثُمَّ تَعُودُ فِيهِ إِلَى الْخَبْرِ عَنِ الْغَائِبِ، وَتُخْبِرُ عَنِ الْغَائِبِ، ثُمَّ تُخَاطَبُ كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى قَبْلَ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» بِمَعْنَى: قُلْنَا لَكُمْ فَأَجَبْتُمُونَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «قَالُوا سَمِعْنَا» فَإِنَّهُ خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا فِي التَّوْرَةِ، وَأَنْ يُطِيعُوا فِيمَا يَسْمَعُونَ مِنْهَا أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ «سَمِعْنَا قَوْلَكَ، وَعَصَيْنَا أَمْرَكَ»⁽²⁾ وَإِنَّهُ لِأَمْرٍ غَرِيبٍ عَجِيبٍ أَمْرُ الْيَهُودِ هَذَا، وَهُوَ أَمْرٌ مُضْحِكٌ فِي آنٍ وَاحِدٍ، إِنَّهُمْ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ شَعَبُ اللَّهِ الْمُخْتَارِ، وَإِنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنْ عَزَّيْرَهُمْ ابْنُ اللَّهِ، وَإِنَّهُمْ يَحْتَلُونَ أَرْضَ الْمَقْدِسِ بِفِلَسْطِينَ بِاسْمِ التَّوْرَةِ وَأَنَّهَا أَرْضُ الْمِعَادِ لَهُمْ...و...و...و... ثُمَّ يَعْصُونَ اللَّهَ جَهَارًا نَهَارًا وَيُخَالِفُونَ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى نَبِيِّهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَزَلَ يَقُولُ فِيهِمْ مَوْجِبًا لَهُمْ مُسْتَنْكَرًا مِنْهُمْ فَعَلْتَهُمْ الشَّنِيعَةَ هَذِهِ وَهِيَ مُخَالَفَةُ أَقْوَالِهِمْ لِأَفْعَالِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَإِذْ خُذُوا مَآءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾⁽³⁾.

وَكَأَنَّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُنَا فِي هَذِهِ الْقُرْآنِيَّةِ، آيَةُ عَصِيانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَكْثِهِمْ لِلْعَهْدِ وَالْمَوَاقِفِ الَّتِي أBRمَوْهَا مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَحْذِرُ الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَغْبَةِ الْوَقُوعِ فِيهَا وَقَعَتْ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَبِالْفِعْلِ فَقَدْ وَقَعَ هَذَا لَفْتَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ نَزَلَتْ آيَةُ تَعَاتَبُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُؤْمِنَةِ مُسْتَنْكَرَةً مِنْهَا ذَلِكَ التَّرَاجُعُ، وَالْخَلْفُ بَيْنَ أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا وَبِالتَّالِي عَصِيانِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، وَالتَّهَافُونَ فِي إِتْيَانِ تَعَالِيمِهِ يَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي حَقِّ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُؤْمِنَةِ الْمُتَخَاذِلَةِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾⁽⁴⁾.

(1)-الشاهد: من بحر الرجز، الشاعر جبير بن الضحاك، انظر تفسير الطبري، مج 1، ص 565.

(2)-الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج 1، ص 565.

(3)-سورة البقرة، الآية 93.

(4)-سورة الصف، الآيتان 2، 3.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وقد جاء في الكشاف عن تأويل هذه الآية قوله: "لِمَ" هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيره من حروف الجر في قولك: بِمِ، وَفِيمِ، وَمِمِّ، وَعَمِّ، وَإِلَامِ، وَعِلَامِ، وَإِنَّمَا حُذِفَتِ الألفُ، لأنَّ ما والحرف كشيء واحد، وقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم، وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان، من أسكن في الوصل فإجرائه مَجْرَى الوقف، كما سمع: ثلاثة، أربعة، بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة، وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد.

ورُوي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمر بالقتال: لو نعلمُ أحبَّ الأعمالِ إلى الله تعالى لَعَمَلْنَاهُ وَكَبَدْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا وَأَنْفُسَنَا، فَدَلَّهمُ اللهُ تعالى على الجهاد في سبيله، فَوَلَّوْا يَوْمَ أَحَدٍ فَعَيَّرَهُمْ، وَقِيلَ: لما أخبر الله بنوآب شهداء بدر قالوا: لئن لَقِينَا قِتَالًا لَنَفْرَعَنَّ فِيهِ وَنُسَعْنَا، ففَرُّوا يَوْمَ أَحَدٍ وَلَمْ يَفُوا، وَقِيلَ: كان الرجل يقول: قَتَلْتُ وَلَمْ يَقْتُلْ، وَطَعَنْتُ وَلَمْ يَطْعَنْ، وَضَرَبْتُ وَلَمْ يَضْرِبْ، وَصَبِرْتُ وَلَمْ يَصْبِرْ⁽¹⁾

وإذا كان هذا قد وَقَعَ مع الرعيل الأول الذي هو النموذج والقُدوة الحسنة لغيره من الأجيال المسلمة التي تعاني الفرقة والتمزق الفطيع، والمسلم بدوره كفردٍ غريب عن إسلامه يعاني من البُعد الشاسع عن دينه، ويعيش الغزو الثقافي الغربي في نفسه وفي أسرته وفي محيطه وفي مدرسته وفي جامعته بل حتى في مسجده الذي يؤدي فيه صلاته بتلك الحركات الآلية التمثيلية التي لا تسمن العقل ولا الروح ولا النفس ولا البدن ولا تغني من جوع.

(1)-الزمخشري، الكشاف، ج2، ص1243..

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

-صيغة (فعل) المنكرة:

-صيغة (فعل) بفتح الفاء وسكون العين، جاءت هذه الصيغة في المدونة في كم قليل، حيث لا يتعدى مجموعه اثني عشرة صيغة، وقد وقع تمثيلنا وتحليلنا على ثلاث صيغ فقط، حسب الجدول البياني المبين أسفله.

-جدول بياني لصيغة (فعل) المنكرة الواردة في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول.

الرقم	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	حِيَّة	33	05	ومن ثمَّ يكثر الالتفاتُ في السياق من خطاب قوم موسى إلى خطاب اليهود في المدينة، إلى خطاب أجيال بين هذين الجيلين، ومن ثمَّ تبقى كلماتُ القرآن حِيَّةً كأنما تواجه موقفَ الأمة المسلمة وموقف اليهود منها.
2-	صَلْدَةٌ	42	11	...،إنَّها صُورَةٌ صَلْدَةٌ، مُظْلِمَةٌ، جَامِدَةٌ، ترتسم من خلال الحركة الثابتة.
3-	صَعْبَةٌ	69	08	..،أي إنَّ هذه الدَّعوةَ إلى الاعتراف بالحق في وجه هذه العوامل كبيرة وصعبة وشاقة.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فَعَلَ) -بفتح الفاء وسكون العين- نكرة هي: «وَمَنْ ثُمَّ يَكْثُرُ الْاَلْتِفَاتُ فِي السِّيَاقِ مِنْ خُطَابِ ثَوْمِ مُوسَى إِلَى خُطَابِ الْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ، إِلَى خُطَابِ أَجْيَالٍ بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، وَمَنْ ثُمَّ تَبْقَى كَلِمَاتُ»⁽¹⁾ القرآن حيةً كأنما تواجه موقف الأمة المسلمة وموقف اليهود منها.

- المعنى اللغوي والاشتقائي في اللفظة (حَيٌّ):

لقد سبق لنا وأن تناولنا هذه المادة نفسها والتعريف بها مع صيغة "فعل" المعرفة⁽²⁾ أما هذه المرة فنعرض لدراسة هذه اللفظة في سياق مغاير لكن مع صيغة "فعل" المنكرة، وبما أنهما جاءتا في أعقاب بعضهما مترادفتين فلا جدوى من العودة إليها وتكرير القول فيها، من أجل ذلك سنعرض لمعنى لفظة "حَيٌّ" مباشرة كما وردت في سياق النص منكرة لا غير.

بعدَ العَرَضِ المتقَصِّى في المبحث السابق المشار إليه في الهامش تبين لنا أن الدلالة الأصلية المركزية لمادة (حَيٌّ) تدور حول: الحياة: نقيض الموت، والحَي: الحق، والحَيِّ: الكثير الحركة والنشاط والفعالية.

وإذا ما عدنا إلى دلالة صيغة لفظة (حَيٌّ) كما جاءت في سياق النص نلاحظ-أولاً- أن هذه اللفظة قد وُضعت في هذه الصيغة "حِيَّة" بزنة فَعَلَّة-بفتح الفاء وسكون العين- وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: حَيَّ، يَحْيِي أو حَيَّ يَحْيِيُّ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلا حَيَّاكُنَّا أَلا دُنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾⁽³⁾

وارتكازا على هذه المواصفات النحوية والصرفية الثابتة للصيغة فإن صيغة "حِيَّة" هنا صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمان البعيد، أي منذ نزول القرآن الكريم، أو بالأحرى كلمات القرآن على سيدنا محمد ﷺ إلى يومنا هذا، وإلى ما يأتي من الزمن المستقبل الذي لا يعلم مداه إلا الله جل شأنه.

وَحَرِي بِنَا هُنَا أَنَّ نَحَاوِرَ قَلِيلاً السِّيَاقِ الدَّاخِلِي لِلنَّصِّ مَتَجَهِّينَ رَأْساً إِلَى صِيغَةِ "حِيَّة" مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا جَاءَتْ فِي صِيغَةِ التَّأْنِيثِ وَالْإِفْرَادِ وَالتَّنْكِيرِ لَا تَدُلُّ بِهَذَا التَّنْكِيرِ عَلَى الْعُمُومِ وَالْإِطْلَاقِ إِنَّمَا تَدُلُّ

⁽¹⁾-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص33.

⁽²⁾-ينظر: ص341 من البحث.

⁽³⁾-سورة المؤمنون، الآية 37.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

على شيء مخصوص معين معلوم ألا وهي "كلمات القرآن" تحديداً دون غيرها من سائر كلام البشر الذي يأتي عليها حين من الدهر فتضعف وتفنى وتضمحل بينما كلمات القرآن بأقية "حية" على مرّ الدهور ثابتة واقفة، فاعلة متفاعلة مع كل ما يستجد وما يطرأ من ظواهر اجتماعية وثقافية وعلمية وسياسية واقتصادية وأخلاقية إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن وكلماته لتظل "حية" تواجه كل موقف وكل طارئة يعرض للأمة المسلمة، وموقف اليهود من هذه الأمة المسلمة ومن كلمات القرآن الكريم وأحكامه وتعاليمه ووصاياهم وتحذيراته من أعدائها يقول المولى سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽¹⁾.

يقول صاحب الكشاف في تأويل هذه الآية: «إنا نحن نزلنا الذكر» ردّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾⁽²⁾ لذلك قال: إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المتزل على القطع والثبات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصداً، حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان، وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتولَّ حفظها، وإنما استحفظها الربانيون والأحبار فاختلّفوا فيها بينهم بغيا فكان التحريف..»⁽³⁾

وجاء في تفسير التحرير والتنوير عن تأويل هذه الآية قوله: «وكان هذا الجواب من نوع القول بالموجب بتقرير إنزال الذكر على الرسول ﷺ مجازة لظاهر كلامهم، والمقصود الرد عليهم في استهزائهم فأكد الخبر "إنا" وضمير الفصل مع موافقته لما في الواقع كقوله: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾⁽⁴⁾ ثم زاد ذلك ارتقاءً ونكاية لهم بأن متزل الذكر هو حافظه من كيد الأعداء فجملة "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" معترضة والواو اعتراضية.

والضمير المجرور باللام عائد إلى "الذكر" واللام لتقوية عمل العامل لضعفه بالتأخير عن معموله.

وشمل حفظه الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه، بأن يسرّ توأثره وأسباب

(1)-سورة الحجر، الآية 9.

(2)-سورة الحجر، الآية 6.

(3)-الكشاف، الزمخشري، ج 1، ص 590.

(4)-سورة المنافقون، الآية 1.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

ذلك، وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبي ﷺ، فاستقر بين الأمة بمسمع من النبي ﷺ وصار حُفاظه بالغيث عدد التواتر في كل مصر.

وفي تفسير القرطبي في خبر رواه عن يحيى بن أكثم: أنه ذكر قصة إسلام رجل يهودي في زمن المأمون، وحدث بها سفيان بن عيينة فقال سفيان: قال الله في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ فجعل حفظه إليهم فضع، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾ فحفظه الله تعالى فلم يضع، ولعل هذا من توارد الخواطر.

وفي هذا مع التنويه بشأن القرآن إغاضة للمشركين بأن أمر هذا الدين سيتم وينتشر القرآن ويبقى "حيًا" على مر الأزمان، وهذا من التحدي ليكون هذا الكلام كدليل على أن القرآن منزل من عند الله آية على صدق الرسول صلى الله لأنه لو كان من قول البشر أو لم يكن آية لتطرت إليه الزيادة والنقصان ولا اشتمل على الاختلاف قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽³⁾⁽⁴⁾

وإذا اعتبرنا الكلام السابق عن كلمات القرآن كناية عن القرآن كله أو آياته وسوره فإننا نحاول الآن الحديث عن لفظة القرآن حقيقة لا مجازا وكيف وردت في القرآن الكريم حية نابضة متحركة ناطقة، دقيقة في الاختيار، ودقيقة الاختيار في الوضع، ودقيقة الاختيار في المعنى غير أننا مضطرون لأن نكتفي بالحديث عن سمة واحدة من هذه السمات التي تتميز بها الكلمة في القرآن الكريم⁽⁵⁾ عذرنا في ذلك دائما هو ضيق المساحة، مساحة البحث وموضوعه المحدد اللذان لا يسمحان لنا بالتوسع والذهاب بعيدا مع دلالات هذه الصيغ الغنية الغزيرة المعاني، العميقة الرحبة الموجية بظلالها، الممتدة الأبعاد والمستويات الأسلوبية والبيانية، والأخلاقية والاجتماعية والتربوية، والعقائدية والإيديولوجية والفكرية والسياسية والثقافية والعلمية والحضارية لتتناول مثلا واحدا يتعلق بدقة اختيار اللفظة تركز على معنى الجملة عامة، لتسيطر على دقائقها وخصائص صفاتها ولتؤدي المعنى

(1)-سورة المائدة، الآية 44.

(2)-سورة الحجر، الآية 9.

(3)-سورة النساء، الآية 82.

(4)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج14، ص ص20-22.

(5)-انظر هذا الموضوع، في كتاب: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 36، كتاب: عمر السلامي، الإعجاز: الفني في

القرآن، ص 35.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

بصفة مختارة مقبولة في النفس.

إن صفاتها المتعددة لتشعُّ في الجملة نوعاً خاصاً من رونق العرض، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽¹⁾ يعرض لفظه "نعماً" وهي بسيطة، جزلة وشيقة تبعث الاطمئنان والراحة في نفس القارئ، إنها تستوحي كل هذه الصفات من المعنى العام للآية، لتحل في مكافئها الطبيعي كلفظة مختارة ودقيقة في هذا الاختيار.

إن استحالة استبدال لفظه بأخرى في القرآن، تؤكد الدقة، وهي خاصية تُعمُّ القرآن كله بدون استثناء، إننا نلمس ذلك بوضوح في مجال تنوعها، فدقة الاختيار التي أوضحت معالمها، يزيدنا وضوحاً توالي الآيات في هذا الميدان، يقول تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾⁽²⁾ إن لفظه "يبتغون" المختارة بدل يبعون أو يريدون أو يرجون أو يلتمسون، تحمل نفساً يشعُّ بتواضع النفس فيما تلمسه من خالقها، إن الآية بفضل كلمة "يبتغون" تعرض لنا نفساً بسيطة، مدينة لربها وفضله، خائفة لجبروته وعظمته ولذلك كانت لفظه "يبتغون" المختارة لنقل حقيقة روح ونفس الرسول وأصحابه، وفي الختام نقول هنا: ما أروع وما أمتع البحث في كلمات وعبارات القرآن، ذلكم البحث والدرس والتلمي الذي لا يُمل أبداً !!!

(1) -سورة النساء، الآية 58.

(2) -سورة الفتح، الآية 29.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فعل) -بفتح الفاء والسكون العين- نكرة

هي: (إنما صورة صلدة، مُظلمة، جامدة، ترتسم من خلال الحركة الثابتة)⁽¹⁾.

المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (صلد): إن أول ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (صلد) في المعاجم اللغوية الموثقة أن: «صلد: حَجَرَ صلد، أي: صلب أملس، وأرض صلدة، وجبين صلد، والصلود: القدر البطيئة الغلي، والفرس الذي لا يعرق، وناقاة صلود ومصلاد، أي بكيفة»⁽²⁾

وفي اللسان: «حَجَرَ صلد وصلود: بين الصلدة، قال المثقب العبدى:

يَنمي بِنَهَاضٍ⁽³⁾ إلى حَارِكٍ⁽⁴⁾ ثمَّ، كَرُكُنَ الحَجَرَ الأَصْلِدِ⁽⁵⁾

قال الله تعالى: «فَتَرَكَهَ صِلْدًا»⁽⁶⁾ ورجل صلد وصلود وأصلد: بخيل جدا، وصلد يصلد صلداً، وصلد صلادة، والأصلد البخيل»⁽⁷⁾.

وفي القاموس المحيط: «الصلد ويكسر: الصلب الأملس كالصلود، والصلداً، والصلدأة بكسرهما: الأرض الغليظة الصلبة، وناقاة صلدة جلدة ومصلاد نتجت وما لها لبن وصلدد»⁽⁸⁾.

وبعد أن عرّضنا بشيء من التأمل لمادة (صلد) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها المركزية الرئيسية تتمحور حول معاني: الصلابة، والملاسة، والجمود، والغلظة، وهي كما ترى ذات علاقة وشيخة متداخلة ومشاركة ببعضها.

وبالعودة إلى معنى اللفظة كما جاءت في سياق النص نلاحظها قد وضعت في هذه الصيغة "صلدة" بزنة فعلة-مفتوحة الفاء، ساكنة العين- وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: صلد يصلد صلادة، نحو قوله تعالى: "فتركه صلداً" وهو بهذه الخصائص بناء

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص42.

(2)- الجوهري، الصحاح، مادة(صلد)، ص598.

(3)- التهاض: السرعة، ابن متزور، لسان العرب، مادة(نمض)، ج14، ص308.

(4)- حَارِك، الحارِك من الفرس: فروع الكتفين، وهو أيضا الكاهل، المصدر السابق، مادة(حرك)، ج3، ص136.

(5)- الشاهد: من البحر السريع، للشاعر: المثقب العبدى، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة لعربية، مج2، المحتوى: شعر، قافية الدال، ص432.

(6)- سورة البقرة، الآية 264.

(7)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلد)، ج7، ص386-387.

(8)- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (صلد)، مج1، ص308.

الفصل الثاني..... الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

من أبنية الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام، والملازمة الطويلة الذي لا تعلم غايته ومداه.

أما حال الصيغة الأسلوبية فهي جات في صيغة المفرد المؤنث النكرة، ومن ثم فهي نكرة مفيدة، للخصوص المقيد لأما تشبي إلى موصوف في معلوم معين متمثل في صورة الكافر، وطبيعته، ونفسه الجافة الغليظة الصلبة القاسية قوة الحجارة الصلدة أو أشد قسوة لأن من الحجارة ما يتفجر منه الأتهار، ومنها ما يهبط من خشية الله، يقول الله عز وجل في أصحاب هذه القلوب الصلدة القاسية الجافية من قوم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (1)

ونحن تناول الصيغة السابقة، صيغة "صلدة" من زاوية السياق الخارجي نحب أن نعرِّج على ما قاله علماءنا الأجلاء في تأويل هذه الآية التي نزلت في حق قوم موسى الجفافة الغلاظ القلوب، يقول أبو جعفر الطبري في تأويل هذه الآية يعني بقوله: «فهي» قلوبكم، يقول: ثم صلبت قلوبكم بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه عن الخضوع له والإذعان لواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صلابة وغلظا ويُساً وشدة، أو أشد قسوة: يعني قلوبكم عن الإذعان لواجب حق الله عليهم، والإقرار لهم باللازم من حقوقه لهم بالحجارة.

فإنَّ سأل سائل فقال: وما وجه قوله: «فهي كالحجارة أو أشد قسوة» و"أو" عند أهل العربية إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك، والله تعالى -جل ذكره- غير جائز في خبره الشك؟

قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته من أنه مثل من الله -جل ذكره- فيما أخبر عنه، ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية أنها عند عباده الذين هم أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة عندهم وعند من عرف شأنهم، وقد قال في ذلك جماعة من أهل العربية أقوالاً (2)

وجاء عن صاحب تفسير التحرير والتنوير عن تأويل الآية السابقة نفسها قوله: «ثم»: هنا للترتيب الرتبي الذي تنهياً له إذا عطفت الجمل أي: ومع ذلك كله لم تَلن قلوبكم ولن تنفعكم الآيات «فقسست قلوبكم» وكان من البعيد قسوتها، وقوله: "من بعد ذلك" زيادة تعجيب من طرق

(1) -سورة البقرة، الآية 74.

(2) -ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج1، ص 496.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

القساوة للقلب بعد تكرّر جميع الآيات السابقة المشار إلى مجموعها بذلك على حدّ قول القطامي:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةَ الرَّتَاعَا⁽¹⁾.

أي: كيف نعمتك، أي: لا أكفرها مع إنجاحك لي من الموت، إلخ⁽²⁾

وَوَجِهَ استعمال "بعد" في هذا المعنى أنّها مجاز في معنى "مع" لأنّ شأن المسبّب أن يتأخر عن السبب ولما لم يكن المقصد التنبية على تأخره للعلم بذلك وأريد التنبية على أنه معه إثباتا أو نفيًا عبّر بـ "بعد" عن معنى "مع" مع الإشارة إلى التأخر الرتبي.

والقسوة والقساوة توصف بها الأجسام وتوصف بها النفوس المعبر عنها بالقلوب والأمر نفسه ينسحب على وصف "صلدة" الواردة في النص الذي قيد الدراسة والتحليل.

فالمعنى الجامع للوصفين هو عدم قبول التحول عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها، وسواء أكانت القساوة موضوعة للقدر المشترك بين هذين المعنيين الحسي والقلبي وهو احتمال ضعيف، أم كانت موضوعة للأجسام حقيقة واستعملت في القلوب الجافة الجافية "الصلدة" مجازاً وهو الصحيح، فقد شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة وصار غير محتاج إلى القرينة فال اللفظ إلى الدلالة على القدر المشترك بالاستعمال لا بأصل الوضع وقد دلّ على ذلك العطف في قوله: "أو أشد قسوة" قوله: «فهي كالحجارة» تشبيه فرّع بالفاء لإرادة ظهور التشبيه بعد حكاية الحالة المعبر عنها بـ "قست" لأنّ القسوة أو الصلادة هي وجه الشبه ولأنّ أشهر الأشياء في هذا الوصف هو الحجر فإذا ذكرت القسوة فقد تهيأ التشبيه بالحجر ولذا عطف بالفاء أي إذا علمت أنّها قاسية "صلدة" فشبّها بالحجارة كقول النابغة يصف الحجيج:

عَلَيْهِنَّ شُعْتُ عَامِدُونَ لِرَبِّهِمْ فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحَيِّ خَوَاشِعِ⁽³⁾

وقد كانت صلابة الحجر أعرف للناس وأشهر لأنّها محسوسة فلذلك شبّه بها، وهذا الأسلوب يسمّى عندي تهيئة التشبيه وهو من محاسنه، وإذا تبعت أساليب التشبيه في كلامهم تجدها على ضربين ضرب لا يهيأ فيه التشبيه وهو الغالب وضرب يهيأ فيه كما هنا والعطف بالفاء في مثله حسن جداً

(1) -الشاهد: من بحر الوافر، للشاعر: عمر بن شيم الملقب بالقطامي، الديوان، تحقيق: ابراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، دار الثقافة-بيروت-ط1، سنة 1960، ص 37.

(2) -محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص562.

(3) -الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر النابغة الذبياني، الديوان، ص 86، في الديوان: لِحَجَمٍ، وَخَوَاضِعِ.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

وأما أن يأتي المتكلم بما لا يناسب التشبيه فذلك عندي يُعدّ مذموماً، وقد رأيت بيتاً جمَعَ تهيئة التشبيه والبعد عنه وهو قول ابن نُباتة:

في الرِّيقِ سُكْرٌ وفي الأصداعِ تَجْعِيدُ هَذَا الْمُدَامُ وَهَاتِيكَ الْعِنَاقِيدُ⁽¹⁾.
فإنه لما ذكر السكرَ تهيئاً التشبيه بالخمر ولكنه قوله تجعيد لا يناسب العناقيد، فإن قلت لم عدّدته مذموماً وما هو إلا كَتَجْرِيدِ الاستعارة، قلت لا لأن التجريد يَجِي بعد تكرر الاستعارة وَعِلْمُ بها فيكونُ تَفَنُّناً لطيفاً بخلاف ما يجيء قبل العلم بالتشبيه⁽²⁾.

«يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾ ختمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ⁽⁴⁾ فلما لم ينفع الإنذار فيهم، أي: في هؤلاء الكفار- من قبل رسول الله ﷺ طبع الله على جوارحهم من قلب وسمع وبصر فسُدَّت عليهم هذه القنوات والمنافذ التي ينفذ إليها منها الدواء الشافي الوافي نحو: الشفاء القرآني ورحمة الله الواسعة الغامرة الشاملة، وذكر الله الذي تطمئن به القلوب، ونحو: حمايته ورعايته كما انقطعت صلة هذه الجوارح مع ملائكة الرحمان صَدَّت قلوبهم وشاركهم الشيطان في الأموال والأولاد وصَحِبَهُمْ في مآكلهم مشربهم وملبسهم ويَقْطَعُهُمْ ومنا مهم فصارت حواسهم وعلى رأسها القلبُ والنفس والروح والعقل(صلدة) كالحجارة أو أشد قسوة لا تعرف رحمة ولا شفقة ولا حُباً ولا أنساً، ولا اطمئناناً ولا رضا ولا شكر الله على نعمه وآلائه التي لا تُعدَّ ولا تُحصى⁽⁴⁾.

إنّ السياق العام لهذه العبارة كله يشعُر منه صدى الصلابة، والقساوة، واليبوسة، ويتجسد هذا أكثر في لفظة (صلدة) وحروفها المتكونة منها، وهي: (الصاد، واللام، والذال، والتاء)، لتعطي برنينها دلالات الصلابة والجفاء، والجفاف، والتّصخر حتى إن الأسنان لتُصْطَك ببعضها عند النطق بها، لشدة صلابتها ورنينها القاسي اليابس...

(1)-الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر: جمال الدين أبو بكر ابن نباتة المصدرى الفارقي، الديوان، المطبعة اللبنانية-بيروت، ط1 سنة 1883م، ص 19.

(2)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص562-563.

(3)-سورة البقرة، الآيتان 6-7.

(4)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص563.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فعل) - بفتح الفاء وسكون العين - نكرة هي: (.أي، إن هذه الدعوة إلى الاعتراف بالحق في وجه هذه العوامل كبيرة وصعبة وشاقّة⁽¹⁾)

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (صعب):

مما انتقيناها من معاني لفظ (صعب) مما صادفناه في المعاجم اللغوية المثبتة: «عَقَبَة صَعْبَة: إذا كانت شاقّة، وجمَل مُصْعَب: إذا لم يكن منوّقاً وكان محرّم الظهر، وجمال مصعب ومصاعيب. وأصعبت الأمر: إذا ألفتته صعباً ومنه قول الشاعر:

لا يُصعبُ الأمرُ إلا ريثَ يركبُهُ ولا تعربُّ إلا حوالَهُ العَرَبُ⁽²⁾

وَصَعَبَ الأمرُ - بالضم - يصعبُ صعوبةً فهو صعب⁽³⁾ ومنه: «الصَّعب: خلاف السَّهل، نقيض الدَّلُول، والأثنى صَعْبَة، بالهاء وجمعها صِعَاب، نساء صِعَابَات، بالتسكين لأنه صفة، ومنه واستصعبَ عليه الأمر، أي: صَعِب، والمصعبان: مُصْعَبُ بن الزُّبير وابنه عيسى بن مُصْعَب، وكان ذو القرنين المنذر بن ماء السماء يُلقَّب بالصَّعب، قال لبيد:

وَالصَّعبُ ذُو القرنينِ أصبحَ ثاوياً بالحنوِ في حَدَثِ أميمٍ مُقيمٍ⁽⁴⁾،⁽⁵⁾

وبعد هذا التعقب المتأمل في مادة (صعب) في المعاجم اللغوية تكشف لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة هي: عقبة صعبة: إذا كانت شاقّة، وأصعبت الأمر: إذا ألفتته صعباً، وصعب: هو خلال السهل، والصعب من الدواب: نقيض الدَّلُول، وهي دلالات متقاربة متداخلة تصب في مجرى واحد. وإذا صرفنا أبصارنا إلى معنى اللفظة كما وردت في سياق النص نلاحظها قد وُضعت في هذه الصيغة "صَعْبَة" بزنة فعلة - بفتح الفاء وسكون العين - وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: صَعِبَ، يصعبُ، صُعُوبَة نحو: قول ابن عباس:

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص69.

(2) - الشاهد: من البحر البسيط، يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج1، المحتوى: شعر، قافية (الباء)، ص205.

(3) - الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (صعب)، ص ص 2012-2013.

(4) - الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر لبيد بن ربيعة، الديوان، ص121.

(5) - الجوهري، الصحاح، مادة (صعب)، ص589.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَةَ وَالذُّلُولَ لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ»⁽¹⁾ أي شدائد الأمور وسهولها. وهذا الوصف بهذه الصيغة "صعبة" وزن من أوزان الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام، والملازمة الطويلة والاستمر في الحال والاستقبال الذي لا يعلم مداه إلا الله والراسخون في العلم.

«أما وضع الصيغة الأسلوبية، أي: النحوي والصرفي فهي جاءت في صيغة المفرد المؤنث المنكر، وعلى هذا فهي نكرة تفيد الخصوص التقييدي لأنها تشير إلى موصوف معين معلوم متمثل في قوله: «صعباً» وشاقاً في وجه من يتصدى إلى الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، إن الطريق طويل وشاق، والعمل هنا "صعب" وكل هذا يدخل في سنة الابتلاء- بصفة عامة- وهي سنة الله تعالى في خلقه، وهذا واضح من الآيات القرآنية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّحَلَّاتٍ عَلَى الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءٍ اتَّكُمُ﴾⁽²⁾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽³⁾ وقال جل شأنه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽⁴⁾ وقال جل شأنه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾⁽⁵⁾ والابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً، فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يمكن لأمة إلا أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله-تعالى- أن يتلي المؤمنين ويختبرهم بالظروف والعوامل والعوائق الكبيرة "الصعبة" ليمحص إيمانهم، ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك»⁽⁶⁾، ولذلك جاء هذا المعنى على لسان الإمام الشافعي-رحمة الله- حين سأله رجل: «أيُّهما أفضل للمرء، أن يُمكنَ أو يُبتلى؟ فقال الإمام الشافعي: لا يمكنُ حتى يُبتلى، فإنَّ الله تعالى - ابتلى نوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فلما صبروا مكَّنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة»⁽⁷⁾.

(1)-ابن منظور، لسان العرب، مادة (صعب)، ج7، ص 340.

(2)-سورة الأنعام، الآية 165.

(3)-سورة الكهف، الآية 7.

(4)-سورة الملك، الآية 2.

(5)-سورة الإنسان، الآية 2.

(6)-علي محمد الصلابي، تبصير المؤمنين ب: فقه النصر والتمكين (في القرآن الكريم)، ص 477.

(7)-ابن قيم الجوزية، الفوائد، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة، ص 184.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

«وابتلاء المؤمنين قبل التمكين أمر حتمي من أجل التمحيص، ليقوم بُنيانهم بعد ذلك على تمكين ورسوخ، وهذا الابتلاء للمؤمنين ابتلاء الرحمة لا ابتلاء الغضب، وابتلاء الاختيار لا مجرد الاختبار.

فلو أن قائداً أراد إعداد جنده للفوز في معركة ضارية، أيكون من الرحمة بهم أن يُخَفِّفَ لهم التدريب ويُهَوِّنَ عليهم الإعداد؟ أم تكون الرحمة الحقيقية أن يُشَدِّدَ عليهم في التدريب على قدر ما تقتضيه المعركة الضارية التي يُعَدُّهم من أجلها؟

والمؤمنون هم حزب الله وُجنوده-والله المثل الأعلى-والمعركة التي يُعَدُّهم من أجلها هي المعركة العظمى، معركة الحق والباطل، والنتيجة المطلوبة من المعركة ليست مجرد النصر، وإتاما هي بعد ذلك إقرار المنهج الرباني في الأرض بكل المعاني والقيم التي يحملها ذلك المنهج، وهي الأمانة التي تُعَرِّضُ لحملها الإنسان بِقَدَرِ الله.

وحمل الأمانة-بعد الانتصار على الباطل-لا يصلح له كل الناس، إئتما يحتاج لقوم مختارين، يُعَدُّون إعداداً خاصاً يُحَسِّنُوا القيام به»⁽¹⁾

وقد علم الله تعالى أن الابتلاء هو وسيلة الإعداد لهذه المهمة العظيمة، وفي قصة طالوت شاهد على ذلك⁽²⁾ «فطالوت كان مُقَدِّماً على معركةٍ معه جيش من أمة مغلوبة، عرفت الهزيمة في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجه أمة غالبية، فلا بد إذاً من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف أمام القوى الظاهرة الغالبة، هذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة التي تضبط الشهوات والتروات، وتصمد للحرمان والمشاق، والحن والشدائد "الصعبة" وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء، فلا بد للقائد إذاً أن يبلو جيشه وصموده وصبره، صموده أو لا للرغبات والشهوات، وصبره ثانياً على الحرمان والمتاعب "الصعبة" الشاقة الكبيرة، ولقد اختار طالوت هذه التجربة وهم عطاش ليعلم من يصبر معه مَن يَنْقَلِبُ على عقبه»⁽³⁾ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾⁽⁴⁾ ولقد بين الله تعالى هذا الأمر للأمة

(1)-محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، المجموعة الإسلامية، ط:3 دون تاريخ، ص 111، 112.

(2)-محمد السيد محمد يوسف، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار السلام بالقاهرة، ط1، سنة 1997م، ص235.

(3)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج2، 268.

(4)-سورة البقرة، الآية 249.

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

الإسلامية حتى تكون على بينة من طريقها ورسالتها، وطبيعة هذا الطريق وتلك الرسالة⁽¹⁾ وإنه ليأخذك العَجَبُ العُجَابُ اليوم من أقوام يزعمون: في وقاحة وعناد وسخف وسفاهة أن محمدا هذا ليس رسولا موحى إليه من عند الله إنما هو بشر لا غير.

ونحن نقول لهم: عودوا إلى رشدكم وانتهوا عن غيكم وضلالاكم وتدبروا هذا القرآن المعجز في كل شيء، كيف يستطيع رجل أمي عادي كان يرمى الغنم، وكان وعائلته يأكلان القديد ويحلبان الشاة أن يأتي-وهو يعيش في صحراء مقفرة- بهذه المبادئ والقواعد التربوية العسكرية ذات المستوى العالي بين عشية وضحاها، كترية الجندي على اليقظة الدائمة، والصرامة، والشدة والقسوة، والصبر والبلاء في الحرب وتحمل المشاق "الصعبة" مشاق التحكم في الرغبة النفسية الجامحة أمام الشهوات والتزوات، ومشاق الصمود للحرمان والجوع والعطش وترك النوم ثم الطاعة الكاملة للقائد العسكري الحكيم المُجِب لجنده، المغامر بنفسه في الصفوف الأولى أثناء المعركة، الأمر الذي لم تتمكن من إدراكه واستيعابه والعمل به الجيوش العسكرية الحديثة والقادة العسكريون في العهود الأخيرة إلا في وقتٍ جدّ متأخر؟

(1)-علي محمد محمد الصّلاي، فقه التّصبر والتمكين في القرآن الكريم، ص ص 478-479.

خلاصة الفصل الثاني:

وخاتمة القول عن الفصل الثاني الذي جمع صيغ (فعل)، و(فاعل)، و(فعل) التي لدينا بعض الملاحظات على كل واحدة منها بصورة وجيزة، ففيما يخص صيغة (فعل) التي جاءت في المدونة بأعداد كبيرة وهذا موافق لما نص عليه الجانب النظري التقعيدي الذي توصل إليه علماء العربية من خلال تعاملهم مع النصوص الراقية المختلفة، هذا العدد الذي أئحنا إليه في عدة مناسبات ودونا شيئاً منه في الجدول البياني الخاص بهذه الصيغة.

ومما يلحظ على صيغة (فعل) أنها تأتي في أبنية وصيغ متباينة على الرغم من أنها غالباً ما تؤخذ من باب (فعل) المضموم العين اللازم المتصرف، فقد تأتي الصفة المشبهة باسم الفاعل منه على وزن (فعل) مخفف نحو: (خَشِن) و(سَمَج) و(طَهَر) وعلى وزن (فعل) مفتوح الفاء ساكن العين مخفف نحو: (ضَخَم) و(شَهَم) و(فَخَم) و(صَعَب)، و(سَمَح)، وعلى وزن (فعل) بفتح الفاء وعينها معاً يصعب على القارئ والدارس مهمة الوصول إلى صيغة الصفة المشبهة باسم الفاعل، هذه الملاحظة الأولى، والثانية هي كيف يمكن إخضاع هذه الصيغة التي تأتي في أبنية وصيغ متعددة متباينة لقاعدة مضبوطة مطردة يمكننا قياس غيرها عليها؟ هذا الأمر هو الذي جعل بعض علماء الصرف والنحو يقولون بعدم انقياس صيغة (فعل) ومن ثم يرجحون سماعتها هي وغيرها؛ إضافة إلى كثرة تداخل هذه الصيغة مع غيرها من الصيغ والأسماء الجامدة، والأبنية مع أن هذه الأسماء والصيغ والأبنية لا علاقة لها بدلالة هذه الصيغة نحو: (الرَّحِيل)، و(الدَّبِيحَة)، و(الأَكِيلَة)، و(النَّطِيحَة)، و(النَّقِيعة) و(الوكيزة)... الخ، وكل هذه الأسماء في الحقيقة قد خرجت من الوصفية إلى الاسمية؟

وفيما يخص صيغة (فاعل) التي هي في أصلها تدل على الحدث والحدث أي: التجدد غير أن هذه الدلالة الأصلية لهذه الصيغة كثيراً ما تزول وتغيب عنها حين تكون ضمن التراكيب اللغوية؛ والسياق العام للكلام، وعليه فالمعتمد عليه هنا هو التركيب اللغوي والسياق العام للعبارة أو النصوص لا الصورة أو الشكل الذي ترد فيه صيغة (فاعل) نحو: (الله هو الرازق)، و(الله هو الخالق)، و(الله هو القابض)، و(الله هو الباسط)، و(الله هو الرافع)، و(الله هو الخافض) وغيرها مما لا يُعد ولا يُحصى من صفات الله وأسمائه الحسنى، أما فيما يخص صيغة (فعل) بفتح الفاء وسكون العين فهي ترجع في أصلها - كما أسلفنا القول مع صيغة (فعل) إلى باب (فعل) المضمون العين وأوزانه غالبية فقط وأشهرها (فعل) إلى باب (فعل) المضمون العين وأوزانه غالبية فقط وأشهرها (فعل) نحو (جميل)، و(شريف)، و(عبيد) و(وزين)، و(طويل)... الخ، ثم (فعل) بفتح الفاء وسكون العين نحو:

الفصل الثاني..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير (ظلال القرآن)

(ضَخْم)، و(شَهْم)، و(سهل)، و(عَذْب)، و(سَمَح)... الخ، وما يُعنيها هنا والذي يبعث على التساؤل هو إدراج هذا الوزن أو البناء ضمن مبدأ القليل والناذر الذي لا يرقى إلى القياس الذي يصح أن يُحمل عليه غيره من غير المنقول من اللغات والنماذج الكلامية المتداولة مع ورود أمثلة وشواهد لغوية كثيرة منه في الكلام العربي الفصيح قديمة وحديثة.

الفصل الثالث:

الصفة (المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن")

-صيغة (أفعل - فيعل - مفعول)

المبحث الأول: دلالة صيغة (أفعل)

-صيغة (أفعل) معرفة.

-صيغة (أفعل) نكرة

المبحث الثاني: دلالة صيغة (فيعل)

-صيغة (فيعل) معرفة.

-صيغة (فيعل) نكرة

المبحث الثالث: دلالة صيغة (مفعول)

-صيغة (مفعول) معرفة.

-صيغة (مفعول) نكرة

المبحث الأول: ولالة صيغة (افعل)

-صيغة (أفعل) معرفة.

-صيغة (أفعل) نكرة

ويكون «أفعل» وصفا للألوان والعيوب الظاهرة والحلى من خلقة أو ما هو بمتزلتها فالألوان نحو: (أحمر) و(أزرق)، والعيوب الظاهرة نحو: (أعمى) و(أجهر)⁽¹⁾، و(أعور) و(أحول)⁽²⁾، و(أخفش)⁽³⁾، ونعني بالحلي: العلامات الظاهرة للعين نحو: (أغيد)⁽⁴⁾، و(أهيف)⁽⁵⁾، و(أكحل)، و(الأكحل) من كانت عينه سوداء خلقة كأنها كُجِلت، وقيل الكحل في العين أن تسود مواضع الكحل، والكحلاء هي التي تراها مكحولة وإن لم تكحل ومنه:

لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ⁽⁶⁾.

وقيل: الحلي: «الخلق الظاهرة كـ(الزيب)⁽⁷⁾، و(الغمم)⁽⁸⁾، فيعمُّ الألوان والعيوب»⁽⁹⁾. والمراد بالخلقة: «الحال الظاهري الذي خُلِقَ عليه الإنسان»⁽¹⁰⁾، نحو ما مر من الأمثلة وكالأفوه: وهو الواسع الفم، والأرأس: العظيم الرأس. وأما بمتزلة الخلقة فهو وصف حصل له على وجه الثبوت فأصبح كالخلقة كالأقطع، أي: المقطوع اليد، و(الأجدع)⁽¹¹⁾، و(الأخرم)⁽¹²⁾، و(الأشرم)⁽¹³⁾.

جاء في شرح "الرضي على الشافية"، «وما كان من العيوب الظاهرة كالعور والعمى ومن الحلي كالسواد والبياض... والصَّلْعُ أن يكون على (أفعل) ومؤنثه (فعلاء) وجَمَعها (فُعَل) فمن ثم قيل: في عمى القلب عمٍ لكونه باطنا، وفي عمى العين أعمى... وقد يدخل (فَعِل) على (أفعل) في

- (1) _ والأجهر: الحسن المنظر والجسم التامه، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (جهر)، مج 1، ص 395.
- (2) _ أحول: ظهور البياض في مؤخرة العين، المصدر السابق، مادة (حول)، مج 3، ص 364.
- (3) _ أخفش: صغير العين، ضعيف البصر، المصدر نفسه، مادة (خفش)، مج 2، ص 273.
- (4) _ أغيد: الناعم اللين، المتني، المصدر نفسه، مادة (غيد)، مج 1، ص 321.
- (5) _ أهيف: ضامر البطن، رقيق الخاصرة، المصدر نفسه، مادة (هيف)، مج 3، ص 208.
- (6) _ الشاهد: من البحر البسيط، ينظر: خالد الأزهرى زين الدين المصري المعروف بالوقاد، شرح التصريح على التوضيح على شرح ألفية ابن مالك، ج 2، ص 78.
- (7) _ الزيب، مصدر الأزب، وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (زيب)، ج 6، ص 7.
- (8) _ الغمم: أن يسيل الشعر حتف يضيق الوجه والقفا، المصدر السابق، مادة (غمم)، ج 10، ص 129.
- (9) _ رضي اللين الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب في الصرف، ج 1، ص 148.
- (10) _ حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج 2، ص 313.
- (11) _ الأجدع: مقطوع الأذن، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جدع)، ج 2، ص 208.
- (12) _ الأخرم: مثقوب الأذن، المصدر السابق، مادة (خرم)، ج 4، ص 76.
- (13) _ الأشرم، وأذن شرماء ومشرمة قُطِعَ من أعلاها شيء يسير، المصدر نفسه، مادة (شرم)، ج 7، ص 101.

العيوب الظاهرة والحلى نحو: ((شعث) و(أشعث)، و(جدب) و(أجدب)، و(كدر) و(أكدر))⁽¹⁾.

وفي "البهجة المرضية" أن هذا البناء يكون في الخلق والألوان⁽²⁾.

قال سيبويه: «أما الألوان فإنها تبني على أفعل... وقد بيني على أفعل ويكون الفعل على فعل يفعل والمصدر فعل ما كان داء أو عيبا لأن العيب نحو الداء ففعلوا على فعل يفعل والمصدر فعل ما كان داء أو عيبا لأن العيب نحو الداء ففعلوا ذلك كما قالوا: أجرب وأنكد وذلك قولهم: عور يعور وهو (أعور)»⁽³⁾.

وفي «شرح الشافية» لسيد عبد الله: «والصفة المشبهة من فعل بكسر العين في الألوان والعيوب الظاهرة والحلى على أفعل للمذكر وفعلاء للمؤنث وإنما يقال أعمى من عمى العين، وأما في عمى القلب فإنما يقال عم لكونه من العيوب الباطنة»⁽⁴⁾.

ومن هذا يتضح أن بناء (أفعل) يختص بالصفات الظاهرة مما كان حلقة أو بمرتلتها فالأعسر مثلا هو الذي يعمل بيسراه من العسر ولكن (العسير) من العسر والقدير من القدرة ولكن (الأقدر): القصير العنق، والقصير معروف ولكن (الأقصر) من فيه يئس في العنق من داء لا يستطيع الالتفات، والشريف معروف ولكن (الأشرف): المرتفع الطويل الذي أشرفت وابلته أو المرتفع المنكبين، والملح من الملاحه و(الأملاح) من الملح وهو أشد الزرق الذي يضرب إلى البياض وهو لون، والبليد من البلادة وهو معروف، أما (الأبلد) فمن البلدة وهو الذي ليس بمقرون أي نقي ما بين الحاجبين، والصبيح من الصباحة وأما (الأصبح) فهو ما كان لونه قريبا من الأصهب وهو احمرار الشعر مع بياض، والفصيح من الفصاحة وأما (الأفصح) فهو الأبيض الذي ليس بشديد البياض وهو لون، والعجوز معروف أما (الأعجز) فهو العظيم العجيزة، والخطيب معروف وهو من الخطابة أما (الأخطب) فهو لون أحمر بكدره، والهادئ معروف وهو من الهدوء أما (الأهدأ) فهو المرتفع الكتف المطمئن الصدر، والعليم من العلم وهو معروف أما (الأعلم) فهو المشقوق الشفة العليا»⁽⁵⁾.

(1) _ رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب في الصرف، ج1، ص ص 143-144.

(2) _ جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك، طبع دار إحياء الكتب العربية، (د.ط، د.ت)، ص 131.

(3) _ سيبويه، الكتاب، ج2، ص 222.

(4) _ السيد عبد الله بن محمد الحسيني، شرح الشافية في الصرف لابن الحاجب، استانبول، مطبعة أحمد كامل، ط2، د.ت،

ص37.

(5) _ ابن سيده، المخصص، ج1، ص 158، 100، 163 والجزء 2، ص 19.

إلى غير ذلك من النعوت الظاهرة كالاسمر والأزرق، والأصقع من الطير ما كان على رأسه بياض، والأصلع والأشعر. بمعنى الكثير الشعر، والأشفه أي: العظيم الشفة، و(الأخرس) و(الأبكم) و(الأخن)⁽¹⁾، و(الأثغ)⁽²⁾، (الألكن)⁽³⁾، و(الألف)⁽⁴⁾، و(الأعم)⁽⁵⁾، و(الأشل)⁽⁶⁾، و(الأقعس)⁽⁷⁾، و(الأخمص)⁽⁸⁾، و(الأسعف)⁽⁹⁾، و(الأفرق)⁽¹⁰⁾، و(الأقرن)⁽¹¹⁾، و(الأشرم)⁽¹²⁾، و(الأهتم)⁽¹³⁾، و(الأجدع)⁽¹⁴⁾، ونحوه مما هو خلقه أو بمرتلتها من الأوصاف الظاهرة»⁽¹⁵⁾، فبنوا علي (أفعل) مكان ظاهرا للعين من الحلبي.

ثم إن (أفعل) يدل على الثبوت بخلاف (فعل) الذي هو للأعراض جاء في "شرح شافية ابن الحاجب": «وما كان من العيوب الظاهرة كالعور والعمى ومن الحلبي كالسواد والبياض، ثم قيل في عمى القلب عم لكونه باطنا، وفي عمى العين أعمى، وقد يدخل أفعل على فعل قالوا: في وجر - أي خاف - وهو من العيوب الباطنة، فالقياس فعل: (وجر) و(أوجر)، ومثله (حمق) و(أحمق) وكذا يدخل فعل على أفعل في العيوب الظاهرة والحلي نحو: (شعث) و(أشعث) و(حذب) و(أحذب) و(كدر) و(أكدر)... الخ⁽¹⁶⁾.

- (1) _ الأخن، ورجل أحن أي أغن: مسدود الخياشيم: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خنن)، ج4، ص 237.
- (2) _ الأثغ: الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء أو يجعل الراء غنيبا أو لاما، المصدر السابق، مادة (لثغ)، ج12، ص 235.
- (3) _ الألكن: الذي لا يقم العربية من عجمه في لسانه: المصدر نفسه، مادة (لكنن)، ج12، ص 323.
- (4) _ الألف، ورجل ألف: بين اللف عني بطيء الكلام إذا تكلم مأل لسانه فمه، الفيروز أبادي، القاموس، مادة (لفه)، مج3، ص 196.
- (5) _ والأعم: الغليظ: المصدر السابق، مادة (عمم)، مج4، ص 155.
- (6) _ الأشل: المعوج المعصم، المتعطل الكف، ابن منظور، لسان العرب، مادة (شلل)، ج7، ص 184.
- (7) _ الأقعس: الذي في صدره انكباب إلى ظهره: المصدر السابق، مادة (قعس)، ج11، ص 243.
- (8) _ الأخمص، الأخمص من باطن القدم ما لم يُصب الأرض، وكان ﷺ خُمصان الأخمصين: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خمص)، مج3، ص 302.
- (9) _ الأسعف، من الخيل: الأبيض الناصبة، المصدر السابق، مادة (سعف)، مج3، ص 152.
- (10) _ الأفرق، رجل أفرق: كأن ناصبته أو لحيته مفروقة بين الفرق، المصدر السابق، مادة (فرق)، مج3، ص 275.
- (11) _ الأقرن، رجل أقرن بين القرن، وهو المقرون الحاجبين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرن)، ج11، ص 140.
- (12) _ الأشرم، ورجل أشرم بين الشرم: مشروم الأنف، المصدر السابق، مادة (شرم)، ج7، ص 101.
- (13) _ الأهتم: الذي انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (هتم)، مج4، ص 187.
- (14) _ الأجدع، فهو أجدع بين الجدع: مقطوع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة، المصدر السابق، مادة (جدع)، ج3، ص 11.
- (15) _ ابن سيده، المخصص، ج1، ص 137-142، 185-164، 62 والجزء2، ص 12، 14، 17-19، 52، 105، 118، 119.
- (16) _ رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 144-145.

وعلى هذا لا نذهب إلى ما ذكره سيبويه وغيره إلى أن أفعال وفَعَلًا قد يتعاوران ك(وجر) و(أوجر) و(حمق) و(أحمق) و(شعث) و(أشعث) و(كدر) و(أكدر) ونحوها فإن البناءين مختلفان في القصد والمعنى، فإن ما بني منه على (فعل) قد يُبني على إرادة الداء أو الهيج مع إرادة العرض، وأن ما بني منه على (أفعل) بني على إرادة الوصف الظاهر وعلى وجه الثبوت⁽¹⁾، فـ(الكدر) من (الكدر)، والماء الكدر: ما خاضت فيه الدواب وبالت فيه وبعرت⁽²⁾، وأما الأكدر فهو لون، يقال (جمار أكدر) وهو الذي في لونه كُدرة⁽³⁾.

وكذا يقال في (وجر) و(أوجر) فإن (وجرا) بني على إرادة الداء لأن الخوف أصبح فيه كالداء وإن فيه ظاهرة الهيج النفسي، وأما (أوجر) فأراه على وجه الثبوت واللزوم كأنه خلقة في صاحبه وأن هذا الخوف لشدة ظهوره في صاحبه أصبح كأنه يرى بالعين فُبي على الأوصاف الظاهرة. وهكذا نرى أن لكل باب معناه وأنه لا يبنى وصف على باين إلا على إرادة معنيين في الغالب⁽⁴⁾.

والرأي عندنا في هذين البناءين اللذين يختلف فيهما فاضل صالح السمرائي مع سيبويه وإن سار في فلكه أننا حاولنا التأكد من هذه المسألة بالتتبع والتقصي في مظان المصادر والمراجع القديمة مثل: «المخصص» لابن سيده، و«لسان العرب» لابن منظور، و«القاموس المحيط» للفيروز أبادي، و«شذا العرف في فن الصرف» لأحمد الحملاوي، و«كتر الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، لابن إسحاق السكيت وغيرها، لكننا لم نخرج برأي حاسم قاطع لأن الأمر تبين لنا فيما بعد أنه يحتاج إلى شيء من التريث ومزيد من البحث واستشارة المراجع والمصنفات اللغوية على اختلافها وتنوعها - قديمها وحديثها - ولا يمكن للمرء أن ييث في هذه المسألة الدقيقة شطي في صفحات تعد على الأصابع، وإن كان لنا رأي عاجل مع ما فيه من التحفظ أننا نميل إلى ما ذهب إليه فاضل صالح السمرائي، وهذا الرأي الذي نميل إليه اقتنعنا به بعض الاقتناع من خلال الأمثلة والشواهد والمفردات التي اطلعنا عليها في «المخصص» و«اللسان» والقاموس المحيط و«تهذيب الألفاظ»، وكلها تؤيد - تقريبا ما ذهب إليه

(1) _ فاضل صالح السمرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 77.

(2) _ أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، 1974م، ص 252.

(3) _ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، كتر الحفاظ في تهذيب الألفاظ، طبع وضبط وجمع الأب لويس شيخو السيوحي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1895م، ص 558.

(4) _ فاضل صالح السمرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 78.

هذا الباحث اللغوي الحديث.

ويجدر بنا في آخر المطاف أن نذكر أن المجموع المتبقى المنجز المطبق عليه من صيغ «أفعل وفعلاء» هي ثماني صيغ، وقد جاء منها في صيغة المعرفة ست صيغ، وقد جاء منها في صيغة النكرة صيغتان فقط.

ونحن نتساءل هنا عن سبب جعل هذه الصيغة غير قياسية مع أنها متواجدة بوفرة في كلام العرب حتى وإن أتت في مدونة تفسير «في ظلال القرآن» بهذه القلة فلا يعني أنها نادرة الوجود في غيرها من مدونات ومصنفات المنظوم والمنثور، وفي كلام العرب نحو: (الأخرس)، و(الأبكم)، و(الأعمى)، و(الأعور)، و(الأعرج)، و(الأخن)، و(الألثغ)، و(الألكن)، و(الألف)، و(الأعم)، و(الأشل)، و(الأفمس)، و(الأخمص)، و(الأفطس)، و(الأسعف)، و(الأفرق)، و(الأقرن)، و(الأشرم)، و(الأجدع) وغيرها كثير مما هو حلقة أو بمرتلتها من الأوصاف الظاهرة»⁽¹⁾.

مع أن الضرورة الاجتماعية والحضارة الحالية ومواكبة هذا التطور العلمي والثقافي والفكري، والتقني والصناعي والفني كلها تقضي وتستدعي بأن تكون قياسية مطردة يحمل عليها غيرها من غير المنقول عن العرب الفصحاء الأقحاح في العربية.

⁽¹⁾ - ابن سيده، المخصص، ج1، ص ص 142-137 و 164-158 و 62، والجزء2، ص ص 14-12 و 19-17 و 52 و 105، 118، 119.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن....

صيغتا (أفعل وفعلاء⁽¹⁾) المعرفتين:

إن هاتين الصيغتين قد وردتا في المدونة في عدد قليل جدا، حيث لا يتعدى ست صيغ، وقد اكتفينا في التمثيل والتحليل لها بثلاث صيغ كما هو مبين في الجدول البياني أدناه:

جدول بياني لصيغتي « أفعلَ وفعلاء » المعرفتين الواردتين في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبرة التي وردت فيها الصيغة
-1	العمياء	12	29	في ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء، ولا للفلتة العارضة.
-2	الصّماء	54	04	...، الذين يحقرون دور الإنسان ووضعهُ، فيجعلونه تابعا للآلة الصّماء وهو السيد الكريم!
-3	الأسود	102	27	والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين وما زالت تفيض.

(1) _ صيغة (فعلاء) هذه هي مؤنث (أفعل)، لهذا أدرجناهما معا في الجدول البياني، وأي حديث في التفاصيل عن إحداهما يعني عن الثانية اللهم إلا الفرق في الجنس.

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة «أفعل أو فعلاء» المعرفتان هي: (في ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء، ولا للفتنة العارضة) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (عمي):

إن أول ما يطالعنا عند التعريف بمادة (عمي) في المعاجم اللغوية أن (العمي ذهاب البصر، وقد عمي فهو أعمى وقوم عمي وتعمى الرجل: أرى من نفسه ذلك، وعمي عليه الأمر: التبس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ (2)، ورجل عمي القلب، أي: جاهل، وإمرأة عمية عن الصواب، واعتَمِيَتْ الشيء: اخترته، وما أعماه: يراد به ما أعمى قلبه» (3).

ومنه في اللسان: «العمياء والعماية والعمية و العمية، كله: العواية واللجاجة في الباطل، وقيل: العمية: الفتنة، وقيل الضلالة، وقال الراعي:.

فَذَاهَا وَهِيَ مُحْمَرٌ نَوَاجِدُهَا كَمَا يَذُودُ أَخُو الْعِمِيَّةِ التَّجُدُ (4)

يعني صاحب فتنة، وعماء يعمو: إذا خضع وذل» (5).

ومنه في مقاييس اللغة: «العين والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ستر وتغطية، من ذلك العمي: ذهاب البصر من العينين كليهما، والفعل منه عَمِيَ يَعْمَى عَمَى، وربما قالوا: إِعْمَايَ يَعْمَايَ اعمياء، مثل اذهام، أخرجوه على لفظ الصحيح» (6).

وحيث تعقبنا المتقضي لمادة (عمي) في المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة تصب في معنى ذهاب البصر، وأعماه الله أضله، وعمي عليه الأمر: التبس، ومنه عمي القلب عن رؤية الحق والسقوط في الغواية والضلال.

وإذا ما عدنا إلى معنى الصيغة كما وردت في سياق النص نراها قد جاءت هكذا: «العمياء» بزنة الفَعْلَاء وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: عَمِيَ يَعْمَى

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ص 1، ص 12.

(2) _ سورة القصص، الآية 66.

(3) _ الجوهرى، الصحاح، مادة (عمي)، ص 744.

(4) _ الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر: الراعي النميري، هو لقب عبید بن حصين، الديوان، جمعه وحققه: راينهرت قايرت، دار النشر فرانتس شتاينر بقسبادن، ط1، سنة 1980م، ص 70.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عمي)، ج9، ص ص 410-413.

(6) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (عمي)، ص 604.

نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾، في التفكر في النفس وفي الآفاق!

وقد جاء في شرح «الرضى على الشافية»: «وما كان من العيوب الظاهرة كالعور والعمى ومن الحلى كالسواد والبياض... والصّلح أن يكون على (أفعل) ومؤنثه فعلاء وجمعها فُعل، فمن ثم قيل في عمى القلب عم لكونه باطناً، وفي عمى العين أعمى... وقد يدخل (فعل) على (أفعل) في العيوب الظاهرة والحلى نحو: شعث وأشعث، وحذب وأحذب، وكدر وأكدر»⁽²⁾.

وبناء على هذه المواصفات الصرفية الثابتة لصيغة «العمياء» فهي صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الزمن الماضي والحاضر والمآل وإلى أن يشاء الله مبدل السنن والأحوال.

أما على الصعيد التركيبي، أي: الأسلوبى فإننا نلاحظ أن صيغة "العمياء" جاءت في صيغة التأنيث المفرد المعرف بـ (أل) التي هي للعهدية، فهي (أل) العهدية التي تومئ من قريب إلى معهود، أي موصوف مخصوص معين معلوم قد اتصف ووسم بصفة «العمى» وهو معني صادق في حق الموصوف «المصادفة» الذي سبق الصفة في تموقعه في قوله: لا مكان: «للمصادفة العمياء»، ومن الوجهة البلاغية البيانية فقد شُبّهت: «المصادفة» بالكائن الحي، إنسان أو حيوان الذي يتمتع بخاصية الرؤية فحذف المشبه به وهو الحيوان وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو العمى على سبيل الاستعارة المكنية الذي زادت المعنى وضوحاً وقوة وجاذبية واتساعاً.

وإذا ما انتقلنا إلى السياق الخارجي للنص الذي وردت فيه صيغة «العمياء» والجدير بالذكر أنه سبق لنا أن عرضنا في صيغة سابقة ومعنى قانون الصدفة الفلسفي والعلمي ومفهومه الإسلامي القرآني هذا وإن مبدأ المصادفة العمياء الذي تؤمن به الجبرية والقدرية وهو مبدأ يشل الإنسان عن الحركة والنشاط وبذل أي جهد والسعي من أجل معرفة الأسباب والقوانين العلمية التي تتحكم في حركة الكون والحياة والإنسان لذلك ظهر مبدأ آخر يناقض هذا المبدأ المعطل لنشاط الإنسان وتفعيل عناصر الوجود هذا المبدأ يسمى: مبدأ السبب الكافي وهو يصادر على أن لكل حادثة سبباً يفسر حدوثها، وقد عبر عنه الفيلسوف (ليبتنيز) بقوله: «لا يحدث أي شيء دون أن يكون له علة أو على الأقل سبب يحدده، أي: شيء ما صالح لأن يبين بصورة قبلية لماذا حدث الشيء على هذه الصفة دون غيرها.

(1) _ سورة الأنعام، الآية 50.

(2) _ رضى الدين الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب في الصرف، ج1، ص ص 143-144.

إنّ هذا المبدأ الهام ينطبق على جميع الحوادث ولا تمكن مناقضته أبداً، ومهما كنا لا نعرف الشيء الكثير عن هذه الأسباب التي تحدث الحوادث فإننا لا نكف عن استشفافها»⁽¹⁾، ويسمى هذا المبدأ أيضاً (مبدأ السببية) القائل بأن لكل حادثة سبباً وأن نفس الأسباب تحدث دائماً نفس النتائج، أما في العلوم التجريبية فإنه يستبدل بمبدأ (الحتمية) التي يرى العلماء بمقتضاها أن حدوث الحوادث لا يتبع الصدفة «العمياء» والاتفاق بل هناك شروط تُحدد وجودها وحدوثها بحيث تحدث الحادثة حتماً عندما تتوفر شروطها وترتفع بارتفاعها أي أنه يمكن التنبؤ بحدوثها ابتداءً من حدوث شروطها فسوء التفاهم والشجار المستمر بين زوجين معينين ينتج عنه أبناء غير أسوياء وغير صالحين حتماً، كما أنّ تعريض قطعة لحم للهواء والحرارة سيتسبب في ننتها وإتلافها حتماً بعد سويعات فقط من الزمن وعندئذ يبدو لنا العقل كما لو كان مجموعة من المبادئ والقوانين التي توجه التفكير، وتتجلى لنا هذه المبادئ كما لو كانت كلية يستعملها جميع الناس في جميع الظروف وضرورية تفرض نفسها على التفكير الذي لا يمكن أن يوجد بدونها، وفي تفسير أصل هذه المبادئ آراء كثيرة نذكر منها النظرية الفطرية وعلى رأسها أفلاطون اليوناني، والنظرية التجريبية وعلى رأسها الفيلسوف الإنجليزي دافيد هيوم، ونظرية العلة الأولى عند الغزالي وغيرها من النظريات العلمية والفلسفية»⁽²⁾.

من خلال السياق العام لهذه العبارة نُحصّل فائدتين: الأولى أنه من أراد أن يتعلم العلم الصحيح الموصل إلى حقائق الوجود الأساسية الكبرى فعليه بالقرآن وعلومه الكثيرة التي استنبطها العلماء بالبحث في القرآن الكريم، والفائدة الثانية أنه من بين العلوم الأساسية التي نتعلمها من القرآن هو علم الأسباب والعلل الأولى التي تقوم عليها النواميس الكونية الثابتة الأولى، والمسببات والنتائج التي تحصل بصورة حتمية عن هذه العلل والأسباب الأولى، وهو مبدأ حتمي عام، وشامل يجري على كل ما في هذا الكون من حوادث والظواهر فلكية، وطبيعية، واجتماعية، وثقافية، ونفسية، واقتصادية، وعلمية، وأخلاقية... فكلها تخضع لقوانين علمية ثابتة مضبوطة صارمة لا تحيد عنها قيد أمثلة...

(1) _ leibniz:theodicée 1ère partie chap,44.

(2) _ محمود يعقوبي، الوجيز في الفلسفة، مكتبة الشركة الجزائرية-باب عزون-الجزائر، ط2، سنة 1973م، ص ص 320-

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة «أفعل أو فعلاء» معرفتين هي: (...)، الذين يحقرون دور الإنسان ووضعه، فيجعلونه تابعا للآلة الصّماء وهو السيد الكريم! (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (صم، صمم، صمصم):

إن أول ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (صم) في المعاجم اللغوية أن «الصمم في الأذن: ذهاب سمعها، وفي القناة: اكتناز جوفها، وفي الحجر: صلابته، وفي الأمر: شدته، قال الله في صفة الكفار: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَمٌّ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (2)، يقول القائل: جعلهم الله صُمًّا وهم يسمعون، وبكما وهم ناطقون، وعميا وهم لا يبصرون، وجمع الأصم صُمٌّ وصُمَّان، والصمان: أرض غليظة، والصمصامة: السيف الصارم الذي لا ينثني» (3).

ومما جاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة: «الصّم: انسداد الأذن وثقل السمع، صَمَّ يَصُمُّ وصِمِم، وصمّ رأس القارورة يصمّه صمًّا وأصمه سدّه وشدّه، وصمأها: سدادها وشداها.

وأصمى الفرس على لجامه إذا عضّ عليه ومضى، وأنشد:

وأصمى على فأس اللجام، وقربه بالماء يقطر تارة ويسيل (4)، (5).

ومن المجاز في أساس البلاغة عن مادة (صمم): «حجر أصم، وصخرة صماء، وقناة صماء: مكتترة، وداهية وفتنة صماء، وخطوب صمّ» «وصمت حصاة بدم» إذا اشتد الأمر، أي: كثرت دماء، أي كثرت حتى لو طرحت فيها حصاة لم تصوت» (6).

وبعد التفتيش والنظر في مادة (صمم) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها الأساسية تدور حول: الصمم في الأذن: ذهاب سمعها، وفي القناة: اكتناز جوفها، وفي الحجر: صلابته، وفي الأمر: شدته، وما أشبه ذلك من هذه المدلولات التي يصب جميعها في دلالة: الصلابة والشدّة، والثقل، والانسداد المحكم، والغلظة.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 54.

(2) _ سورة البقرة، الآية 171.

(3) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (صمم)، ص ص 2058-2060.

(4) _ الشاهد: من البحر الكامل، ينظر: إميل بدیع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج6، المحتوى، شعر، قافية (اللام)، ص 333.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (صمم)، ج7، ص ص 410-415.

(6) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (صمم)، ج2، ص ص 27-28.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

وإذا ما عدنا إلى معنى صيغة (صمم) كما أدرجت في ظل سياق النص نجدها قد جاءت في هذه الصيغة: «الصِّمَاءُ» بزنة الفعلاء وهو بناء من أبنية الصفة المشبهة، فهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي الذي ورد لازماً، وورد متعدياً متصرفاً فمن اللازم قول الحجاج: (1).

صَمَاءٌ لَا يُبْرِئُهَا مِنَ الصَّمِّ حَوَادِثُ الدَّهْرِ وَلَا طُولُ الْقِدَمِ

ومن الفعل المتعدي قول امرئ القيس:

صَمَّ صَدَاهَا، وَعَفَا رَسْمُهَا وَاسْتَعَجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ (2).

وفي شرح الشافية لسيد عبد الله: «والصفة المشبهة من فعل - بكسر العين - في الألوان والعيوب الظاهرة والحلى على أفعل للمذكر وفعلاء للمؤنث» (3)، ويلحق به: أصم وصمَاء على وزنه في الجمع: صمُّ بكم عُمي.

وعليه فإن صيغة «الصماء» صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام والملازمة والاستمرار في الحال والاستقبال، وقد جاء في قوله تعالى في حق المنافقين السفهاء: ﴿صُمُّ بكم عُمي فهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (4).

« وإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ شُبِّهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصَّمِّ البُكْمِ العُمي، أي: كل واحد منهم اجتمعت له هذه الصفات الثلاث وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع، فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى وليس المعنى على التوزيع فلا يفهم أن بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى، وليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان، قال صاحب الكشاف: «فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قُلْتُ مختلف فيه، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون، أي: لأن الاستعارة تعتمد على لفظ المستعار منه أو المستعار له في جملة الاستعارة فمتى ذُكِرَ معاً فهو تشبيه، ولا يضر ذكر لفظ المستعار له أي المشبه في غير جملة الاستعارة لظهور أنه لولا العلم بالمستعار له في الكلام لما ظهرت الاستعارة لذلك اتفقوا على أن قول ابن العميد من الكامل:

(1) _ الشاهد: من بحر الرجز للشاعر رؤية في العجاج، الديوان، ج1، ص 429.

(2) _ الشاهد: من البحر السريع، للشاعر امرئ القيس، الديوان، ص 251.

(3) _ سيد عبد الله، شرح شافية الصرف، ص 222.

(4) _ سورة البقرة، الآية 18.

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ (1).

أن قوله شمس استعارة ولم يمنعهم من ذلك المستعار له قبل في قوله: نفس أعز، وضميرها في قوله: قامت تظللني وكذا إذا كان لفظ المستعار غير مقصود ابتداء التشبيه عليه لم يكن مانعا من الاستعارة.

والصمّ البكم والعُمي جمع أصم وأعمى وأبكم والمؤنث منه: «صماء» و«عمياء» و«وبكماء» وهم من أتصف بالصمم والبكم والعُمي، فالصمّ انعدام إحساس السمع عمّن من شأنه أن يكون سميعا، والبكم انعدام النطق عمّن من شأنه النطق، والعُمي انعدام البصر عمّن من شأنه الإبصار» (2).

وبالعودة إلى صيغة «الصماء» والإطار الأسلوبي الذي جاءت فيه يمكن أن نلاحظ أنها جاءت مفردة مؤنثة معرفة بـ (أل) التي تسمى هنا: (أل) العهدية التي تشير إلى معهود، أي موصوف مخصوص معين معلوم متميز عن غيره من الأشياء والأدوات والكائنات «الصماء» الجامدة كالحجارة والحديد والرصاص والجبال والأشجار وغيرها وبذلك أفادت (أل) التعريف: توضيح المعنى وإحضاره وتقريبه من العين والذهن والقلب بتخصيصه وتحديدته وتمييزه عما سواه.

والآن يمكننا أن نتحول إلى الحديث عن السياق الخارجي الذي وردت فيه صيغة «الصماء» حيث شبه هنا الإنسان بالآلة «الصماء» وهو تشبيه بليغ يبرز التحقير والإهانة والإذلال الذي فرضه المذهب المادي في الوقت الحاضر على الإنسان بإغراقه في عالم الغرائز والشهوات وتجريده من العقل والإرادة وحرية التحكم في سلوكه وتصرفاته ومشاعره.

(1) _ الشاهد من البحر الكامل، للشاعر بن العميد، ينظر محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة تحقيق وتعليق وفهرسة: غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط سنة 2014م، ص 119.

(2) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 314.

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة « أفعل أو فعلاء » معرفتين هي: (والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الحسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، ومازالت تفيض⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (سود):

ومما اخترناه من معاني لفظ (سود) مما صادفناه في المعاجم اللغوية الموثقة «السواد: لون، وقد سود الرجل، كما تقول: عَوْرَتُ عَيْنِهِ قَالَ نَصِيبُ: (2). (3).

سَوِدْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَادِي وَتَحْتَهُ قَمِيصٌ مِنَ الْقُوْهِ بِبَيْضٍ بَنَائِقُهُ

والسواد: السرار، تقول: سَاوَدْتَهُ مَسَاوِدَةً وَسَوَادًا، أي: سَارَرْتَهُ، وأصله إِذْنَاءُ سَوَادِكَ مِنْ سَوَادِهِ وَهُوَ الشَّخْصُ⁽⁴⁾.

وقد ورد في اللسان في تعريف هذه المادة: « السواد: نقيض البياض، وفي المثل: كلمته فما رد على سوداء ولا بيبضاء، أي: كلمة قبيحة ولا حسنة، أي: مارد علي شيئا، وفي الحديث: «أنه أمر بقتل الأسودين في الصلاة»⁽⁵⁾، قال شمر: أراد بالأسودين: الحية والعقرب والأسود: علم في رأس جبل قال الأعشى:

كَأَلَّا، يَمِينَ اللَّهِ حَتَّى تَنْزِلُوا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ إِلَيْنَا الْأَسْوَدَا⁽⁶⁾، (7).

وما جاء في هذه اللفظة من المجاز: «رأيت سواداً وأسودة وأسوداً، شخصوا، قال الأعشى:

تَنَاهَيْتُمُو عَنَّا وَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ أَسَاوِدُ صَرَعَى لَمْ يُوسِدْ قَبِيلَهَا⁽⁸⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 102.

(2) _ بنائقة: البنية من القميص: لبنته: الجوهري، الصحاح، مادة (بنق)، ص 110.

(3) _ الشاهد: من البحر الطويل للشاعر نصيب بن رباح، الديوان، جمع وتقديم داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1967م، ص 110.

(4) _ الجوهري، الصحاح، مادة (سود)، ص ص 522-523.

(5) _ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: محمد عبد الله، محمد علي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، سنة 2004م، ص 114.

(6) _ الشاهد من البحر الكامل، للشاعر الأعشى الأكبر، الديوان، ص 79.

(7) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (سود)، ج6، ص 420-425.

(8) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر الأكبر الأعشى (ميمون قيس)، الديوان، ص 141.

وهو أسود الكبد: عدو، وهم سود الأكباد، واجعل هذا في سويداء قلبك»⁽¹⁾.

وبعد هذا التتبع المتمعن في مادة (سود) في المعاجم اللغوية تكشف أن دلالتها المركزية تتمحور حول: السواد: لون، والسوداء: نقيض البياض والأسود: الأكل وما أشبه ذلك من هذه الدلالة التي هي اللون المناقض للبياض.

وبالعودة إلى معنى الصيغة كما وردت في سياق النص نجد أنها قد جاءت في هذه الصيغة «الأسود» بزنة الأفعال وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم سود يسود سودا، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّبِعَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾⁽²⁾، وبناء على ذلك « فلا نذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه وغيره إلى أن أفعل وفعلا قد يتعاوران، أي: يتداخلان كوجرٍ وأوجرٍ، وحمقٍ وأحمق، وشعثٍ وأشعث، وكدرٍ وأكدرٍ ونحوه فإن البناءين مختلفان في القصد والمعنى، فإن ما بني منه على (فعل) قد يُبنى على إرادة الداء أو الهيج مع إرادة العرض، وأن ما بُني منه على (أفعل) بُني على إرادة الوصف الظاهر وعلى وجه الثبوت»⁽³⁾، فالكدر من الكدر، والماء الكدر: ما خاصت فيه الدواب وبالت فيه وبعرت»⁽⁴⁾، وأما الأكدر فهو لون، يقال: حمار أكدر وهو الذي في لونه كُدرة»⁽⁵⁾.

وعلى هذا الأخير تحمل صيغة «الأسود» في هذا النص، ومن ثم فإن صيغة «الأسود» هنا صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام والملازمة الطويلة المدى، والاستمرار المجهول الغاية في المنقضي من الزمن، والحال، والاستقبال.

وسياق النص بألفاظه، وعباراته، وإيجاءاته، وظلاله ترشح هذا المعنى، معنى الثبوت والدوام، والامتداد والاستمرار نحو: «فاضت به نفوس اليهود»، أي: فاضت بالحسد «الأسود» في الزمن الماضي البعيد مع الأنبياء السابقين لحمد ﷺ وأتباعهم المسلمين، وقوله: «وما زالت تفيض» في الزمن الحاضر والمستقبل إلى أجل لا يعلم مداه إلا الله جل ذكره.

وأما على المستوى الأسلوبي والسياق الداخلي فنرى أن صيغة «الأسود» وردت مفردا،

(1) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (سود)، ج1، ص 465.

(2) _ سورة البقرة، الآية 187.

(3) _ فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 77.

(4) _ أبو إبراهيم الفارابي، ديوان الأدب، ص 252.

(5) _ ابن أبي إسحاق السكيت، كثر الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، ص 558.

مذكرا، معرفا بـ (أل) العهدية، فهي جاءت للعهد في هذا السياق الذي يدل على معهود مخصوص، أي: موصوف معلوم معين معروف لدى غالبية الناس وهو هنا في النص يقصد «الحسد» المشار إليه بعدة أدوات نحو: اسم الإشارة و(أل) التعريف وضمير الفصل (هو) وهذا كله من أجل تمييزه أكمل تمييز بالإشارة المحسوسة إليه، وتزيله منزلة الأشياء المحسوسة المشاهدة فالحسد شيء معنوي غير مشاهد ولا محسوس، لذلك فالإشارة إليه بهذه الأدوات النحوية والصرفية هي بقصد استحضار صفاته وتقييحه والتنفير منه ومن أصحابه اليهود جملة وتفصيلا»⁽¹⁾.

أما إذا صرفنا أنظارنا إلى السياق الخارجي للنص فنصادف هذا الحسد الخسيس الذني المقيت المحرق متأصلا في نفوس اليهود مصورا في قوله تعالى بصريح اللفظ والعبارة يقول عزوجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽²⁾، وقد جاء في الكشاف عن تأويل هذه الآية: «رُوي أن قنحاص بن عازراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هُزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلا، فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد قال: فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود: أما هذا فقد صبا، وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت بالله ربا، وبمحمد نبيا، وبالإسلام دينا، وبالقرآن إماما، وبالكعبة قبله، وبالمؤمنين إخوانا، ثم أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه فقال: «أصبتما خيرا وأفلحتما»، فترلت، فإن قلت: بم تعلق قوله: «من عند أنفسهم» قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بـ«ودد»، على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم، لامن قبل التدين والميل، مع الحق، لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق، فكيف يكون تمنيه من قبل الحق؟ وإما أن يتعلق بـ: حسدا؛ أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل أنفسهم، «فا عفاوا واصفحوا» فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعدواة»⁽³⁾.

وأما حال المسلمين اليوم فحدثت ولا حرج، وخاصة حينما يقفون موقفا يشبه موقف الصحابييين: حذيفة بن اليمان وموقف عمار بن ياسر -رضي الله عنهما- مع اليهوديين السالف

(1) _ بتصرف، فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج1، ج1، ص 84.

(2) _ سورة البقرة، الآية 109.

(3) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 80.

ذكرهما، فكيف تكون- يا ترى- إجابة غالية «مسلمي» اليوم؟

إنّ الإجابة دون أدنى شك ستكون بالإثبات والموافقة حينما يُعادُ طرح السؤال نفسه من قبل اليهود والنصارى المعادين لمحمد ﷺ ودين محمد؟ لو كان الإسلام هذا الذي جاء به محمد الذي تزعمون أنه مرسل من ربه لما هزمتم ولما كنتم اليوم في ذيل القافلة؟

«لكن هذا التخلف المريع يعود برأي محمد عبده ومحمد إقبال إلى سببين أساسيين:

أحدهما خارجي والآخر داخلي.

فالسبب الخارجي هو طغيان الثقافة الغربية على حياتنا بغير هضم ولا تحليل، وفرض نوع من القيم والنظم لا تتبع في الأساس من نظام فكرنا ومعطيات واقعنا.

أما السبب الثاني: فهو تخلف وجهل بعض الذين نصّبوا أنفسهم قادة وأوصياء على فكر الإسلام العتيق، وحاولوا فعليا دون تداوله والاجتهاد في تأويله من قبل الناس إلى ما يستجد باستمرار»⁽¹⁾.

ونحن نعقب بقولنا في هذا المقام: إنّ الأمة العربية والإسلامية تملك إمكانات متنوعة هائلة للنهوض من كبوتها إذا ما توفرت النية والإرادة الصادقتان والخالصتان من أجل البناء والعمل للحاق بركب الأمم المتحضرة، وما ذلك عليها بعزيز.

(1) _ عطية سليمان عودة أبو عاذرة، مشكلتنا الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد إقبال، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1985، ص ص 7-8.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن....

-صيغة «أفعلَ وفَعلاء» المنكرتان:

إنَّ هاتين الصيغتين وردتا في المدونة في كم قليل جدا، حيث لم يتجاوز صيغتين، وقد اقتصرنا في التمثيل والتحليل على صيغة واحدة، كما هو في الجدول البياني أدناه:

-جدول بياني لصيغتي (أفعل وفَعلاء) المنكرتين الوارديتين في تفسير ظلال القرآن الجزء

الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
-1	صمَّاءَ	13	18	...إنَّ الوجود ليس متروكاً لقوانين آلية صمَّاءَ

- العبارة الوحيدة التي وردت فيها صيغة «أفعل أو فعلاء» منكرة هي: (إنّ الوجود ليس متروكاً لقوانين آية صماء) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (صم، صمم، صمصم):

لقد سبق لنا أن عاجلنا مادة (صم) في مبحث سابق فلا جدوى من إعادة الكلام نفسه في هذا الموضوع (2).

ومن الجدير بالذكر أن دلالة مادة (صم) الأصلية الأساسية بعد تعقبنا المتقضي لها في المعاجم اللغوية تبين لنا أنها تتراوح بين معاني: الصّم في الأذن: ذهاب سمعها، وفي القناة اكتناز جوفها، وفي الحجر: صلابته، وفي الأمر شدته، وما أشبه ذلك من هذه المدلولات المتقاربة المتقاطعة التي يصب جميعها في دلالة: الصلابة والشدّة، والثقل والغلظة، والانسداد والشد المحكم.

وإذا ما عدنا إلى معنى صيغة «صمم» كما أدرجت في سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصيغة «صماء» بزنة فعلاء-بفتح الفاء وسكون العين- وهو في هذه الهيئة بناء من أبنية الصفة المشبهة، وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي الذي يجيء لازماً، ويجيء متهدياً «فالمتعدي منه: صَمَّ يَصُمُّ القربة سدها وشدها، والجرح: شده وضمده، أما اللازم منه فنحو: صَمَّ يَصُمُّ صَمًّا وَصَمًّا، انسدت أذنه أو حنفيته أو حنجرته، أو ذهب سمعه فهو أصمُّ والمصدر: صمماً وَصَمًّا والجمع: صُمٌّ وِصْمَانٌ» (3)، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ (4).

وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوْا كَثِيْرٌ مِنْهُمْ﴾ (5).

وفي «شرح الشافية لسيد عبد الله»: «والصفة المشبهة من فعل بكسر العين في الألوان والعيوب الظاهرة والحلى على أفعل للمذكر وفعلاء المؤنث» (6).

ويلحق به: أصم وسماء على وزنه في الجمع: صم بكم عُمي.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 13.

(2) _ يُنظر: ص 371 من البحث.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (صمم)، ج 7، ص ص 410-414.

(4) _ سورة الأنعام، الآية 39.

(5) _ سورة المائدة، الآية 71.

(6) _ سيد عبد الله، شرح الشافية في الصرف، ص 222.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير «ظلال القرآن» ...

وبناء على ذلك فإنَّ صيغة «صَمَاء» هنا في سياق هذا النص هي صفة مشبهة تفيد معنى الثبوت والدَّوام، والملازمة والاستمرار في الزمن الماضي، والحاضر، والزَّمن المستقبل.

إنَّ نفي عدم السماع والوعي، والانقياد لقوانين الوجود نفي أبدي في الزمن المنقضي البعيد الأمد، والحال، والاستقبال، ذلك أن هذا الوجود محكوم بقوانين وسنن إلهية ربانية ثابتة غير متغيرة يستوي في ذلك عناصر الوجود كلها نحو: الكون والحياة والإنسان، والنبات والحيوان، والشمس والقمر، والرياح والأمطار، والليل والنهار، وسائر الكواكب والمجرات إلى الأسمك في الأهمار والبحيرات، إلى أصغر حشرة وكهارب ذرات البروتون والالكترونات.

ومع ورود الصيغة منكرة، والنكرة- كما هو معلوم- عن دلالتها الشائعة أنَّها تفيد العموم في غالب الأحوال إلا أنها في هذا السياق جاءت لتدل على شيء مخصوص معلوم، أي أنها تدل على موصوف معين متميز متفرد عن غيره من القوانين العديدة المتنوعة الوضعية التي يضعها الناس لأنفسهم نحو: قانون المالية، وقانون العمل، وقانون الأسرة، والمرور، والتجارة وغيرها من القوانين المتبدلة، المتغيرة بين الفينة والأخرى التي لا تثبت على حال، فهي تتبدل مع الظروف المستجدة والأحوال والملايسات العارضة.

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص، وصيغة «الصماء» التي وردت فيه، هانحن نعود إلى المعنى الواسع، العميق، المتعدد الأبعاد والمستويات التي سنعرض إلى بعد واحد له صلة وثيقة بسياق النص وبالصيغة السالفة الذكر مستعينين بقوله عزوجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

إنَّ هذه النواميس والقوانين التي تحكم الوجود ليست ناتجة عن المصادفة العمياء، ولا آتية من الاتفاق والحبطاء العشوائية إنما هي كما قال احد علمائنا الأجلاء «خاصية ربانية- منها تنبثق سائر الخصائص الأخرى، وبما أنه «رباني» صادر من الله، وظيفه الكينونة الإنسانية فيه هي التلقي والاستجابة والتكيف والتطبيق في واقع الحياة، وبما أنه ليس نتاجا فكريا بشريا، ولا بيئة معيّنة، ولا فترة من الزمن خاصة، ولا عوامل أرضية على وجه العموم... إنما هو ذلك الهدى الموهوب للإنسان هبة لدنية خالصة من خالق الإنسان، رحمة بالإنسان.. يقول مولانا عزوجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا

(1) _سورة الروم، الآية 30.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أُلْتُلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾⁽¹⁾، إنها ليست قوانين «صماء» بل هناك «ثبات» في «مقومات» هذا التصور العام الشامل الأساسية و«قيمه» الذاتية فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير «ظواهر» الحياة الواقعية و«أشكال» الأوضاع العملية... يقول الله عز وجل ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽²⁾.

فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع، يظل محكوما بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور العام الشامل، الواقعي الإيجابي، الثابت... ولا يقتضي، أو يعني هذا «تجميد» حركة الفكر والحياة، ولكنه يعني السماح لها بالحركة- بل دفعها إلى الحركة- ولكن داخل هذا الإطار الثابت الواعي، العليم، الحكيم، الخبير، المقدر للأمور تقديرها، الهادف إلى غاية مقصودة محسوب لها حسابها في لوح محفوظ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾⁽³⁾، إنها الحركة-دوما- حول هذا المحور الثابت المقدر لها سلفا لا تحيد عنه قيد أمثلة (!)

وهذه السمة- سمة الحركة داخل إطار ثابت ومحور ثابت-هي طابع الصنعة الإلهية في الكون كله-فيما يبدو لنا-لا في التصور الإسلامي وحده...⁽⁴⁾.

«مادة» هذا الكون-سواء كانت هي الذرة أو الإشعاع البسيط المنطلق عند تحطيمها، أو أية صورة أخرى- ثابتة الماهية، ولكنها تتحرك، فتتخذ أشكالا دائمة التغير والتحول والتطور.

والذرة ذات نواة ثابتة تدور حولها الإلكترونات في مدار ثابت.

وكل كوكب وكل نجم له مداره، يتحرك فيه حول محوره، حركة منتظمة، محكومة بنظام خاص.

و«إنسانية» هذا الإنسان، المستمدة من كونه مخلوقا فيه نفحة من روح الله اكتسب بها

(1) _ سورة (يس)، الآيات 38-40.

(2) _ سورة فاطر، الآية 43.

(3) _ سورة الفرقان، الآية 2.

(4) _ بتصرف، سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ص 85-86.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

إنسانيته المتميزة عن سائر طبائع المخلوقات حوله... إنسانية هذا الإنسان ثابتة⁽¹⁾، ولكن هذا « الإنسان » يمر بأطوار جنينية شتى من النطفة إلى الشيخوخة ! ويمر بأطوار اجتماعية شتى، يرتقي فيها وينحط حسب اقترابه وابتعاده من مصدر إنسانيته... ولكن هذه الأطوار وتلك لا تخرجه من حقيقة «إنسانيته» الثابتة، ونوازعها وطاقاتها واستعداداتها المنبثقة من حقيقة إنسانيته.

ونزوع هذا الإنسان إلى الحركة لتغيير الواقع الأرضي وتطويره.... حقيقة ثابتة كذلك... منبثقة أولاً من الطبيعة الكونية العامة، الممثلة في حركة المادة الكونية الأولى وحركة سائر الأجرام في الكون، ومنبثقة ثانياً من فطرة الإنسان التي فطرة الله عليها لا تبديل لخلق الله، وهي مقتضى وظيفته في خلافة الأرض، فهذه الخلافة تقتضي الحركة لتطوير الواقع الأرضي وترقيته بصورة دائمة... أما أشكال هذه الحركة فتتنوع وتتغير وتتطور⁽²⁾.⁽³⁾، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾. وقوله: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَنْعْنَا مِنَ الْفُلْكِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ﴾⁽⁵⁾.

إنها حركة دائبة في الأرض مدعومة بإعانة السماء التي لا تدع المؤمن بها نهبا للوساوس والخوف والاضطراب «... وهكذا تبدو سمة: «الحركة الدائبة داخل إطار ثابت حول محور ثابت» سمة عميقة في الصنعة الإلهية، ومن ثم فهي بارزة عميقة عامة وشاملة في الكون والحياة والإنسان في طبيعة التصور الإسلامي»⁽⁶⁾.

إن سياق العبارة العام يؤكد من البداية بالأداة (إنّ) الداخلة على الجملة الاسمية التي تفيد ثبوت الحكم المنفي، وهذا النفي تأكيد للحكم الذي جاء في الجملة الاسمية، وهو كون هذا الوجود في

(1) بدأت الداروينية الحديثة تصحح الدار وبنية القديمة، فتقرر ان الإنسان فريد من الناحية البيولوجية، ومن النواحي العقلية النفسية كذلك، وأنه في هذا تتميز تميزاً تاماً عن جميع الحيوانات... وبين هذا وبين القول بأن إنسانية الإنسان خاصية ثابتة فيه منذ البدء... خطوة... وإن كان لا يزال يعز على الداروينيين أن يخطوها !

(2) يُراجع في عرض هذه القاعدة بتوسع وعمق ووضوح أكثر كتاب « معركة التقاليد » ل محمد قطب، ص 84 و 85.

(3) _ بتصرف، سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ص 86-87

(4) _ سورة الجمعة، الآية 10.

(5) _ سورة البقرة، الآية 127.

(6) _ بتصرف، سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 87.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

واقع الأمر غير متروك لآلة (صماء) لا تملك بصيرة، ولا إرادة، ولا قصدية، ولا حكمة، ولا غاية، وهذا يتنافى -إطلاقاً- مع هذا النظام الكوني الدقيق المشهود العجيب الذي يسير بمقتضاه الوجود كله... وما فيه ومن فيه من كائنات حية وجامدة، ثابتة ومتحركة، تحضر تارة، وتغيب عنا تارة أخرى... نحو الشمس والقمر وبعض النجوم.

المبحث الثاني:
ولالة صيغة (فِيْعِل)

-صيغة (فِيْعِل) معرفة

-صيغة (فِيْعِل) نكرة

دلالة بصيغة «فِعِل»، أو «فِعِلَة» للمؤنث:

فِعِل: من مصدر الفعل الثلاثي الأجوف اللازم منه والمتعدي، وهو بكسر العين كما يرى الخليل لأنه يجوز أن يأتي بناء في المعتل لم يأت مثاله في غير المعتل، بينما يرى غيره أنه «فِعِل» بالفتح، والجدير بالذكر أننا في هذا المقام الضيق المساحة والمحدد الموضوع لا نرغب في عرض «الخلافات والمذاهب المبنوثة في مدونات الصرف في بناء «فِعِل» بكسر العين، و«فِعِل» بفتح العين فلا نرى فائدة من التفصيل والتدقيق في هذا الموضوع الخلافي هنا.

هذا وقد وافق سيبويه الخليل بشأن كسر عين «فِعِل» ومنه قول عمرو بن شأس في لفظة "سَيْي" وقد مر بنا البيتان في مبحث سابق⁽¹⁾.

أَلْكِنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامِ رِسَالَةَ بآيَةٍ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَلَا عُزْلًا
وَلَا سَيْيِّ زِيٍّ إِذَا مَا تَلَبَّسُوا إِلَى حَاجَةٍ يَوْمًا مُخَيَّسَةً بُزْلًا⁽²⁾.

ومنه قول الفرزدق من قصيدة له:

فَعَجَّتْهَا⁽³⁾ قَبْلَ الْأَخْيَارِ مَنَزَلَةً وَالطَّيِّبِي كُلِّ مَا التَّائَتْ⁽⁴⁾ بِهِ الْأُزْرُ⁽⁵⁾.

ويعتبر كل من الخليل وسيبويه أولاً من لفتا الانتباه إلى بناء «فِعِل» ببعض الأمثلة والشواهد اللغوية الشعرية والنثرية غير أنها قليلة لا تفي بالغرض المنشود وذكر ابن الحاجب أمثلة أخرى هي: سيّد وميت وجيّد وبين وضيق من الأجوف قال: «وهي (أي الصفة المشبهة) من فَعَل قليلة وقد جاء نحو حريصٍ وأشيبٍ وضيقٍ وتجيء من الجميع. بمعنى الجوع والعطش ضدّها على فعلان نحو:

(1) _ أنظر ص 58، 59 من البحث.

(2) _ يذكر الشاعر غربته عن قومه نبي أسد، وقد اقتضاه ذلك أن يُوفد إليهم رسولاً ليحمل إليهم السلام، ويجعل آية كونه منهم ومعرفته بهم مانعته من القوة والعدة، وحسن زيهم إذا ما وفدوا على الملوك، والشاهد: من البحر الطويل في إضافة الصفة المشبهة، وهي لفظة «سَيْي»، إلى «زِيٍّ»، وهو نكرة على تقدير إثبات (أل) وحذفها للاختصار، سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 197.

(3) _ فَعَجَّتْهَا، أي الناقة، من عَجَّتُ البعير أعوجه عَوْجًا ومعاجًا، إذا عطفتُ رأسه، ابن منظور، لسان العرب، مادة (عوج)، ج 9، ص 456.

(4) _ التَّائَتْ: أي اختلطت والتفتت، المصدر السابق، مادة (وت)، ج 12، ص 353.

(5) _ الْأُزْرُ بضمّين جمع الإزار، الملحفة، والإزار يذكر ويؤنث، المصدر السابق، مادة (أزر)، ج 1، ص 130.

(6) _ محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج 3، ص 7، الشاهد: من البحر البسيط قوله: فإن (الطيبي): صفة مشبهة مضافة إلى "كل" الذي هو مضاف إلى موصول.

جوعان وشبَعان وعَطشان وريان»⁽¹⁾.

ويظل مثل هذا الكلام يسوده كثير من الغموض والاضطراب حين يقرر في البداية أن الصفة المشبهة من بناء (فَعَل) مفتوح العين قليلة ويقدم أمثلة وشواهد مختلطة عن هاته القلة التي تأتي على وزن (فَعَل) المفتوح العين ليعود مرة ثانية فيقرر بأن الصفة المشبهة تأتي من الجمع فأى جمع وأي قلة يقصد المؤلف؟ تبقى لدينا أسئلة عديدة ومتنوعة دون تحديد ومن غير إجابة شافية كافية، ورغم الغموض والاضطراب في عدم مراعاة الترتيب المنطقي الصارم والأهم في الشرح والتحليل والإيضاح الذي نلحظه أحيانا عند ابن الحاجب أثناء معالجة بعض المسائل اللغوية والصرفية الدقيقة الشائكة والأبنية المتداخلة المتشابكة في المبنى والمعنى، نقول بالرغم من ذلك كله يظل هذا العالم اللغوي مميزا من أقرانه وفرسان ميدانه - قديما وحديثا - فهذا هو مثلا يجري مقارنة بسيطة في ظاهرها عميقة في مغزائها وجوهرها بين بناء (فَعَل) مكسور العين، وبناء (فَعَل) مفتوح العين ليوضح لنا الفروق اللغوية والصرفية الدقيقة الخفية بين هذين البناءين وهما في حقيقتهما فضاءان واسعان مختلفان كل الاختلاف من حيث الصور والأشكال والدلالات والمضامين التي تخفى على الكثير: (أقول: «إنما يكثر الصفة المشبهة في (فَعَل) (المكسور العين) لأنه غالب في الأدواء الباطنة والعيوب الظاهرة والحلى، والثلاثة لازمة في الأغلب لصاحبه، والصفة المشبهة كما مر في شرح الكافية لازمة، وظاهرة الاستمرار، وكذا فَعَل للغرائز، وهي غير متعدية ومستمرة، وأمّا فَعَل (يفتح العين) فليس الأغلب فيه الفَعَل لللازم، وما جاء منه لازماً أيضا ليس بمستمر كالدخول والخروج، والقيام والقعود، وأشيب نادر، وكذا أميل من مال يميل...»⁽²⁾.

... وحكى غير سيبويه مِيل يَمِيلُ يَجِيدُ يَجِيدُ فهو أجيد، وفَعِل (مكسور العين) لا يكون إلا في الأجوف، كالسَيْدِ والمَيْتِ والجَيْدِ والبيّن، وفَعِل بفتح العين - لا يكون إلا في الصّحيح العين، اسمًا كان أو صفة، كالشَيْلِم⁽³⁾، والغَيْلِم⁽⁴⁾، والنَّيرِب⁽⁵⁾، والصَّيرِف⁽⁶⁾. وقد جاء حرف واحد في المُعْتَلِّ

(1) - رضي الدين الإستراباذي، شرح الشافية في الصرف لابن الحاجب، ج1، ص 149.

(2) - المصدر نفسه، ج1، ص 148، 149.

(3) - السَيْلِمُ والشوْمُ والشالم: حب صغار مستطيل أحمر قائم كآته في خلقه سوس الحنطة ولا يسكر ولكنه يُجر الطعام إمرارا شديدا، ابن منظور، لسان العرب، مادة (شلم)، ج7، 185.

(4) - الغيلم: الجارية المغتلمة، منبع الماء في الآبار، الضفدع، السلحفاة الذكر، الشاب العريض المفرق الكثير الشعر، المصدر السابق، مادة (علم)، ج10، ص 112.

(5) - النيرب: الشر والنميمة، المصدر نفسه، مادة (نرب)، ج14، ص 102.

(6) - الصيرف: التّقاد، وهو الذي يبيع الفضة بالذهب، وهو المختال المُحرب، المصدر نفسه، مادة (صرف)، ج7، 329.

بالفتح، قال الشاعر من الرجز المشطور:

مَا بَالَ عَيْنِي كَالشَّعِيبِ (1) الْعَيْنِ (2). (3).

وقد كان المؤلف هنا- في تقديرنا- موقفاً إلى حد بعيد في التعريف والتحديد والتوضيح والتوصيف حين فرق بين بناء (فعل) بكسر العين الذي تجيء منه الصفة المشبهة بكثرة، ثم ذكر الخصائص التي يتميز بها هذا البناء من غيره في الأغلب، ومن بين هذه الخصائص لزوم الصفة المشبهة لصاحبها، وكذا استمرارها فيه مدة قد تدوم، وقد تطول، وقد تقصر، وقد تتراوح بين الطول والقصر، وهي غير متعدية بل لازمة.

وأما بناء (فعل) بفتح العين، فمن خصائصه أنّ الغالب فيه أن يجيء من المتعدي وأنه قد يأتي من اللازم ولكنه ليس بمستمر ولا دائم كما كان المؤلف لا يتوانى في تعزيز كلامه وشروحاته بأمثلة وشواهد في كل بناء من هذه الأبينة المختلفة نحو: الخروج والدخول والقيام والقعود الخاصة ببناء (فعل) بفتح العين هذه الصفات التي هي من مصدر الفعل الثلاثي اللازم: خرج، دخل، قام، قعد، ولكنها كما تلحظ ليست دائمة ولا مستمرة ولا ثابتة لصاحبها بل هي متغيرة بين الفينة والأخرى، وهذا العمل من المؤلف، أي مؤلف هو المطلوب خاصة في مثل هذا السياق الذي يتطلب فيه التقعيد والتنظير ضرب الأمثلة وإحضار الشواهد المختلفة تحقيقاً للمقولة الشائعة: بالمثل يتضح الحال، والأشياء تنكشف وتتضح بأضدادها، وهذا ما عمله ابن الحاجب حين وصل إلى أن بناء (فعل) بكسر العين لا يكون إلا في مصدر الفعل الثلاثي الأجوف لازماً ومتعدياً، وليس بمستمر في الأغلب نحو: جيد، وسيّد وميت وبيّن، وهو قليل لا يصح القياس عليه عند جمهور العلماء.

ومن خلال هذا التعريف السريع الموجز بصيغة «فعل» المفتوح الفاء المكسور العين يجدر بنا إلى أن ننبه إلى مجموع عدد هذه الصيغة المنتقى المنجز المطبق عليه هو عشرون صيغة وجاء في صورة المعرفة منها إحدى عشرة صيغة، وفي صورة النكرة تسع صيغ فقط.

(1) _ الشَّعِيبُ: الزادة الصغيرة، المصدر نفسه، مادة (شعب)، ج7، ص125.

(2) _ الْعَيْنُ، بفتح عينه في بناء (فعل): التي فيها عيون وثقوب فهي تسيل، المصدر نفسه، مادة (عين)، ج9، ص507.

(3) _ رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص149، 150 والشاهد في البيّن كما قال الأعلام بجيء عين على فِعْلٍ بالفتح، وهو شاذ في المعتل، لم يسمَعْ إلا في هذه الكلمة، وكان قياسها أن تكسر العين مثل سيدوهين ولين وقيل نحو هذا، وهذا بناء يختص به المعتل ولا يكون في الصحيح.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

وقد جاء هذا العدد المتواضع فيها موافقا لما نص عليه علماء اللغة العربية في مدونات اللغة والأدب والنحو والصرف.

غير أن هذا العدد الذي جاء في المنظوم والمنثور يصحّ أن ينظر فيه علماء العربية ويجدون له مُسوِّغا طبقا للأصول ومبادئ العربية للقياس عليه مادامت الحاجة والضرورة الحضارية والعلمية والثقافية ومواكبة التطور في جميع مجالات الحياة يُلح علينا لمسايرة العصر والتخلص من ربة التخلف للحاق بركب الأمم المتحضرة تفاديا لإشكالية المصطلح العلمي والثقافي واللغوي والأدبي والنقدي عندنا.

-صيغة (فِعِلْ وَفِيْعِلْ) معرفتان:

إنَّ هاتين الصيغتين قد وردتا في المدونة في عدد قليل، حيث لا يتعدى عددها إحدى عشرة صيغة، وقد أخضعنا للتمثيل والتحليل منها أربع صيغ فقط، كما هو مبين في الجدول البياني الآتي:

جدول بياني لصيغتي (فِعِلْ وَفِيْعِلْ) المعرفتين الواردتين في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	سَيِّئُوا النَّيَّةَ	16	22	... فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة والإبداع الإنساني في الكفة الأخرى... فهم سيئوا النية شريراً.
2-	السَّيِّدُ الأوَّلُ	54	05،إنَّه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض، والسَّيِّدُ الأوَّلُ في هذا الميراث الواسع.
3-	الضَّيِّقَةَ	90	23	... وهذه الطبيعة التي تبدو هنا في يهود هي الطبيعة الكنُود، طبيعة الأثرة الضَّيِّقَةَ التي تحيا في نطاق من التعصب شديد.
4-	البَيِّنَاتِ	94	05	... لقد كشف القرآن هنا عن علة كفر بني إسرائيل بتلك الآيات البيِّنَاتِ التي أنزلها الله... إنه الفُسُوق وانحراف الفطرة.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير «ظلال القرآن» ...

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فَيَعْل) أو (فَيَعْلَة) معرفة هي: « فَأَمَّا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَضَعُونَ الْمِثْقَالَ الْإِلَهِيَّ فِي كِفَّةٍ وَالْإِبْدَاعَ الْإِنْسَانِيَّ فِي عَالَمِ الْمَادَّةِ فِي الْكِفَّةِ الْآخَرَى..... فَهَمَّ سَيِّئُوا النِّيَّةَ شَرِيْرُونَ»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (سوء):

إنَّ أوَّلَ ما يطلعوننا عند التعريف بمادة (سوء) في المعاجم اللغوية أن «السين والواو والهمزة فليست من ذلك إنما هي من باب القبح، تقول: رجل أسوأ، أي: قبيح، وامرأة سوءاء، أي: قبيحة، قال رسول الله ﷺ: «سوءاء وُلود خير من حسناء عقيم»⁽²⁾، ولذلك سميت السيئة سيئة، وسميت النار سوءاً، لقبح منظرها قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَنَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأَأُوا السُّؤَى﴾⁽³⁾،⁽⁴⁾.

وفي اللسان عن التعريف بهذه المادة: «سَاءَهُ يَسُوءُهُ سَوْءًا وَسُوءًا وَسِوَاءً وَسِوَاءَةً وَسِوَايَةً وَسِوَايَةً وَمِسَاءَةً وَمِسَايَةً وَمِسَاءً وَمِسَائِيَّةً: فعل به ما يكره، نقيض سره»⁽⁵⁾.

وفي الصحاح: «وَالسُّوَاءُ: العورة، والفاحشة، والسُّوَاءَةُ السُّوَاءُ الخالة القبيحة، وسوأتُ عليه ماصنَعْتُ سُوُوَةً وَتَسُوُوْتُهُ، إِذَا عَبَيْتَهُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: أَسَأْتُ»⁽⁶⁾.

ومن خلال استعراضنا الموجز المتمعن في معاني لفظ (سوأ) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها الرئيسة تجري في معاني القبح والخطأ، والبشاعة، وارتكاب المعاصي والفواحش والمنكرات، وإذا ما عدنا إلى لفظ (سوء) في ظل سياق النص الذي وردت فيه نلاحظ أنها قد جاءت في هذه الصيغة «سيئوا» بزنة فيعلو وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم الأجوف، ويأتي الفعل منه لازم ومتعدياً نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽⁷⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 16.

(2) _ محمد ناصر الدين الألباني، الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية، صناعة: سليم بن عبد الهلالي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، سنة 1996م، ج1، ص 493.

(3) _ سور الروم، الآية 10.

(4) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سوء)، ص 421.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوء)، ج6، ص ص 416-419.

(6) _ الجوهري، الصحاح، مادة (سوأ)، ص 521.

(7) _ سورة النساء، الآية 22.

وذكر ابن الحاجب أمثلة أخرى هي: سَيِّدٌ وَمَيِّتٌ وَجَيِّدٌ وَبَيْنٌ وَضَيِّقٌ مِنَ الْأَجُوفِ قَالَ: «وهي (أي الصفة المشبهة) من فَعَلَ قليلة وقد جاء نحو: حريص وأشيب وضيق وتحيء من الجميع بمعنى الجوع والعطش وضدهما على فَعْلَانِ نحو: جوعان وَشَبَعَانٌ وَعَطْشَانٌ وَرِيَّانٌ»⁽¹⁾.

«...» وحكى غير سيبويه مِيلٌ يَمِيلُ كَجَيِّدٍ يَجِيدُ فهو أجيد، وفِعْلٌ (مكسور العين) لا يكون إلا في الأجوف، كالسيد والميت والجيد والبين، وفِعْلٌ (بفتح العين) لا يكون إلا في الصحيح العين، أسما كان أو صفة، كالشيلم والعيلم والتيرب والصيرف، وقد جاء حرف واحد في المعتل بالفتح، قال الشاعر من الرجز المشطور:

مَا بَالَ عَيْنِي كَالشَّعِيبِ الْعَيْنِ (2). (3).

وبناء على ذلك كله فإن صيغة «سيئوا النية» صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في الماضي البعيد والحال والاستقبال الذي لا يعلم غايته إلا الله العليم القهار.

وأما على المستوى الأسلوبي، أي: النحوي والصرفي فقد جاء بناء «سيئوا النية» جمعاً، مذكراً سالماً، مُعرِفاً بالإضافة، «والتعريف بالإضافة كالتعريف بـ «أل» قد يكون للعهد، وقد يكون للجنس، فمن تعريف العهد قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

فهذا كله من تعريف العهد، لأنه يدل على واحد بعينه»⁽⁷⁾.

ومن هذا القبيل تعريف الإضافة في صيغة «سيئوا النية» فالتعريف بالإضافة هنا للعهد، أي: يدل على معهود مخصوص معين معلوم حيث يُحيل عليه الضمير المستتر في صيغة «سيئوا النية» الذي يعود على فئة معينة من علماء الطبيعة أو المادة التي راحت تفصل بين المنهج الإلهي الرباني الشامل الكامل التصور للوجود مادة وروحا وبين الإبداع الإنساني في عالم المادة وهي مسألة جد

(1) _ رضي الدين الإستراباذي، شرح الشافية في الصرف لابن الحاجب، ج1، ص 149.

(2) _ الشاهد: من بحر الرجز، للشاعر رؤية بن العجاج، الديوان، ص 160.

(3) _ رضي الدين الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 149-150.

(4) _ سورة النساء، الآية 84.

(5) _ سورة البقرة، الآية 258.

(6) _ سورة التوبة، الآية 61.

(7) _ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ج3، ص 107.

خطيرة في حياة الإنسان والإنسانية عامة وأيضا معركة حاسمة تهدد كيان الإنسانية،

وفي هذا الشأن يزعم المذهب المادي تَمْوِيْهًا وإخفاءً لنيته المبيتة لنظرته عن الإنسان: «إنَّ الإنسان هو القوة الفعّالة في هذا الوجود» وتلك جملة براقية قد توحى بأنَّ أنصار هذا المذهب يؤمنون بالإنسان، وبالإنسانية في صورها الرفيعة التَّبِيْلَة، الإنسان في مجموعته بما فيه من جسد وعقل وروح، ولكن الحق أنَّهم عند ما يقولون ذلك يقصدون فقط أن الإنسان وحده لا شريك له هو المسيطر على الأرض، أي أنَّ وجود إله مسيطر على الخلق عَالَمٍ بوجودهم، مدبرٌ لشؤونهم، لغاية يريدتها، هذا كله خارج من حسابهم، ولكن لينفوا فقط تدخل الإله في شؤون الخلق!

أما إيمانهم بالإنسان فعلى أساس أنَّه «مادة!» وبالتالي مثله مثل الآلة «الصماء» التي لا تتمتع بأي إرادة أو عقل أو تفكير «إنَّ الوحدة الحقيقية للعالم تنحصر في ماديته... ولكن إذا سألنا: وإذا سألنا: وإذن ما هو الفكر وما هو الشعور ومن أين ينبعثان، يتضح لنا أنَّهما نتاج الدماغ البشري، وأنَّ الإنسان نفسه نتاج الطبيعة»⁽¹⁾، «إنَّ الأفكار يتدعها دماغ الإنسان، وهذا الدماغ ليس إلا «مادة» دقيقة التركيب، وهو جزء من الجسم يعكس مؤثرات العالم الخارجي»⁽²⁾.

فهم إذن لا يؤمنون إلا بالجانب المادي من الإنسان، والعقل في نظرهم أداة مادية تعكس المؤثرات الخارجية ثم تتأثر بها، ولكنه هو في ذاته ليس حقيقة فعالة مؤثرة مريدة!

ويقول كارل ماركس: «في الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها، وهي مستقلة عن إرادتهم، وعلاقات الإنتاج تطابق مرحلة محدودة من تطور قواهم المادية في الإنتاج، والمجموع الكلي لهذه العلاقات يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع، وهو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية، والتي تطابقها أشكال محدودة من الوعي الاجتماعي، فأسلوب الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يعيّن الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية في الحياة، وليس شعور الناس هو الذي يُعيّن وجودهم، بل إنَّ وجودهم هو الذي يُعيّن مشاعرهم...»⁽³⁾.

وعليه فالإنسان آلة مادة «صماء» ولا أثر للروح والعقل والإرادة فيها.

(1) كارل ماركس، كتاب: "Anti-Diihring"، ترجمة راشد البراوي، ط: سنة 1934م، ص 44.

(2) عبد الفتاح إبراهيم، دراسات في الاجتماع، دار التراث - القاهرة، (دت، د.ط)، ص 68.

(3) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 57.

والإيمان بعالم المادة وحده مجرد من الروح «بدأ منذ دارون» أو بالأحرى منذ «فرنسيس بيكون» حينما بدأ العلم ينفصل عن الفلسفة ويتخذ له طابعا آخر غير البحث النظري، فاتجه إلى التجربة العملية، واستخلاص النتائج من التجارب الواقعية التي تقع في محيط الحواس، وخطا العلم خطوات جبارة في هذا السبيل في القرنين التاسع عشر والعشرين، ووصل في الهندسة والطبيعة والكيمياء خاصة إلى ما يشبه المعجزات، وكانت القمة التي وصل إليها هي تحطيم الذرة واستخلاص طاقتها، ومحاولة استغلالها فيما يعن للإنسان أن يستغلها فيه.... من تخريب أو تعمير»⁽¹⁾.

ويبدو لنا أن جانب التخريب، تخريب البلاد والعباد هو الذي طغى أكثر من غيره، وذلك بسبب الغرور الذي انتاب هذا الإنسان فحسب نفسه أنه في غنى عن أي قوة أخرى يستعين بها على ضعفه المتعدد الجوانب ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِّيَطْغَى﴾⁽²⁾، ﴿أَنْ رَأَاهُ أَشْتَقَى﴾⁽³⁾، كما راح يتنافس ويتسابق إلى التفوق المادي بما لديه من وسائل وإمكانات ذاتية وإن لم تف هذه الإمكانيات الذاتية بحث عنها في مناطق نفوذ ونهب وسلب وسطو على الجار الضعيف باستعمال القوة التي يتوفر عليها.

«وقد كانت النتائج التي وصل إليها العلم التجريبي من العظمة والجبروت حتى بهرت الناس في الغرب والشرق، بل وصل الأمر في الغرب خاصة إلى عبادة هذا الكائن الجديد، والنظر إليه بعين الإيمان المطلق الذي لا تشوبه شائبة من شك أو جحود!»⁽³⁾.

وهكذا أغلق كثير من الناس في الشرق والغرب -خاصة العلماء منهم- جميع منافذ المعرفة، وآمنوا فقط بكل ما تصل إليه حواسهم، وألغوا من حسابهم مالا تقدر أن تصل إليه هذه الحواس، والحواس الخارجية هذه- كما هو معلوم- لا تتعامل إلا مع المادي الملموس، وكل ما عداه فهو خرافة وأوهام وساقط من حساباتها ونتائجها العلمية: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾⁽⁴⁾.

والعبارة في سياقها العام كله تهدف إلى إثبات حكم معين وتقريره في ذهن المتلقي، وقد استعمل الكاتب لذلك الأداة (أمّا) التي تُعطي معنى التفصيل والتوكيد معا، ضمن جملة اسمية تفيد معنى الثبوت وترسيخ الدلالة التي يكشف بها المؤلف عن النوايا الحبيثة للعلمانيين واللائكيين، والملحدّين أصحاب المذاهب، والنظريات الهدامة، التي تسعى جاهدة لفصل المنهج الإلهي الحكيم عن الحياة العامة وحشره في الكنيسة والمسجد لا غير....

(1) _ محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 47.

(2) _ سورة العلق، الآيات، 6، 7.

(3) _ محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 47.

(4) _ سورة الروم، الآية 7.

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فَيْعَلُ أو فَيْعَلَةٌ) معرفة هي: «إِنَّهُ الْكَائِنُ الْأَعْلَى فِي هَذَا الْمَلِكِ الْعَرِيضِ، وَالسَّيِّدِ الْأَوَّلِ فِي هَذَا الْمِيرَاثِ الْوَاسِعِ»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (سود، ساد):

واللافت للانتباه أننا قد سبق وأن عرضنا للمعنى اللغوي والاشتقائي لهذه المادة مع صيغة «أفعل» و«فعلاء» المعرفتين⁽²⁾، لذلك فلا نرى فائدة من العودة إليها هنا ثانية إنما نكتفي بما يليها من المنهجية في العمل كالاتي:

بعد التعقب المشار إليه في الهامش والمتعلق بالتعريف على مادة (سود) في معاجم اللغة العربية الأصلية بان لنا أن هذه اللفظة تتوزع على محورين كبيرين أساسيين هما: محور الدلالة المركزية الأصلية نحو: السواد: لون، وساودي فلان فسدته من سواد اللون، والسيد: الذي فاق غيره، ذو العقل والمال والدفع والتفجع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه، فذلك السيد، وسمي سيّداً لأنه يسود سواد الناس، أي: معظمهم، والسيد: الرئيس والإمام و ما أشبه ذلك من هذه المعاني التي يصب جميعها في دلالات: سواد اللون مرة، والسيد الذي فاق غيره، والسيد: الرئيس والإمام المتحكم في زمام الأمور كلها.

ثم محور الدلالة الهامشية الفرعية، وهي هنا جد مشعبة ومتفرعة ومتعددة نحو: الأسودان: التمر والماء، والسيد من المعز: المسن، والسواد: الشخص، ولفلان سواد: أي: مال كثير، وسواد الكوفة والبصرة: قراهما، وسواد القلب: جنته، وسواد الناس: عامتهم، إلى ما هناك من هذه المعاني الجزئية العديدة التي توشك لا تربطها ببعضها أي رابطة سوى رابطة الاشتراك في المادة الأصلية، وأحيانا تشابهها في الوزن والحركات والسكنات مع اختلاف في الدلالات.

وإذا ما تحولنا إلى معنى الصيغة كما وردت في سياق النص نراها قد وضعت في هذه الصيغة «السيد» بزنة الفَيْعَلِ، وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي المتصرف المبني للمعلوم سَادَ يَسُودُ سيادة نحو قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْفِيَا

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، 1، ص 54.

(2) _ انظر: ص 357 من البحث.

(3) _ سورة آل عمران، الآية 39.

سَيِّدَهَا لَدَا أَبَائِهِ ﴿١﴾.

وبناء على ذلك فصيغة «السيد» هنا جاءت صفة مشبهة تدل على معنى ثبوت وصف السيادة للموصوف ودوامه، وملازمته واستمراره فيه في الزمن المنقضي والحال والاستقبال وإلى ما شاء الله له. وسياق النص بألفاظه وعباراته وظلاله وإيحاءاته، والمدد الذي يستمد منه أفكاره ومعانيه وتعاليمه ألا وهو القرآن الكريم جميعها يؤكد هذا المعنى، معنى الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار نحول قوله: «إنه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض» يقول المولى عزوجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٢)، فأبي تكريم؟! وأي تفضيل وأي رزق؟! وأي تسخير للبر والبحر؟! ولن ؟ إن لهذا المخلوق الضعيف القوي، الحقير العظيم، الفقير الغني، وممن جاء هذا التكريم الثابت، الدائم، والمغدق، الملازم الوفير؟ إنه من مولاة العلي القدير، الرحمن الرحيم الودود ذي العرش الكريم.

ونحو قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)، فأبي هبة؟ وأي منحة ربانية هذه؟ رغم اعتراض الملائكة المقربين إلى الله اعتراض تساؤل واستفسار معبر عن حيرة ودهشة وشفقة مزدوجة: شفقه على آدم الضعيف من أن يعصي الله في الأرض فيفسد ويعبث ثم قلقهم وانزعاجهم وهم يرون الله عزوجل يعصى ويتمرد على الله في هذه الأرض والله أعلم.

وعلى المستوى الأسلوبي، أي: النحوي والصرفي نلاحظ أن وصف «السيد» جاء مفردا، مذكرا، معرفا بـ(أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص معلوم معين وحده دون سواه، متميز ومتفرد عن غيره من المخلوقات الأخرى نزلت أو صعدت في الرقي البدني والعقلي والشعوري ما زاد المعنى قربا ووضوحا وحضورا عينيا ملموسا.

أما على مستوى السياق الخارجي للنص فنلاحظ أن الإنسان الكائن الأعلى قد كان «السيد» الأول لما أشتمل عليه من ميزات وخصائص ذاتية شخصية لم تتوفر عليها كائنات أخرى على هذه

(١) _ سورة يوسف، الآية 25.

(٢) _ سورة الإسراء، الآية 70.

(٣) _ سورة البقرة، الآية 30.

الأرض من هذه الميزات التي تميز بها «السيد» الأول في هذا الميراث الواسع:

أ- استعلاء الإنسان على الكون: يتجلى في الوحدة بين الإنسان والكون والتي لا تتعدى في دلالتها معنى الاشتراك بينهما في جزء من الطبيعة المادية بحكم الانتماء إلى نفس الطرف في ثنائية الوجود، ولكن في التفاضل القيمي يبقى الإنسان متميزاً على الكون تميزاً استعلاء ورفعة، وهو الأمر الذي جاء القرآن الكريم يبرزه ويؤكد كده كلما ذكر الإنسان «السيد»⁽¹⁾.

في معرض الموجودات، وجماع ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾⁽²⁾، فالتكريم منظور فيه إلى تكريم في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره....⁽³⁾.

ولا شك أن إقحام لفظ "كثير" في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ المراد منه التقييد والاحتراز والتعليم الذي لا غرور فيه، فيعلم منه أن ثم مخلوقات غير مفضل عليها بنو آدم تكون مساوية أو أفضل إجمالاً أو تفصيلاً⁽⁴⁾.

ويبدو هذا الاستعلاء الإنساني على موجودات الكون في مظاهر عدة، ربما رجعت في معرض كثرتها إلى معان ثلاثة أساسية: استعلاء في أصل الوجود، واستعلاء في التكوين، واستعلاء بالاستيعاب والتمثل.

1- الاستعلاء الوجودي: ونعني به ذلك الوضع المحوري الذي وهبه الله للإنسان في نسبه من سائر الموجودات الأخرى حتى لكأن الإنسان «السيد» منذ وجوده أصبح كقُطب الرُحى في تراجع الموجودات إليه تراجع تقدير وخدمة وأول ما يبدو ذلك فإنه يبدو في أول آيات القرآن نزولاً إذ يقول تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾⁽⁵⁾، فتخصيص الإنسان بالذكر في معرض البيان لنشأة وجوده بعد بيان نشأة الوجود كله إجمالاً، فيه دلالة على الوضع القيمي لهذا الإنسان المخصوص بالذكر والبيان بالنسبة للوجود كله، وهو وضع يضيف عليه هذا التخصيص رفعة

(1) _ عبد المجيد عمر النجار، قيمة الإنسان، ص 68.

(2) _ سورة الإسراء، الآية 70.

(3) _ عبد المجيد عمر النجار، قيمة الإنسان، ص 68.

(4) _ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 6، 15، ص 166.

(5) _ سورة العلق، الآيتان 1، 2.

وتفضيلاً، إذ هو وضع يصير به الإنسان قطب الوجود.....

2- الاستعلاء التكويني: ونعني به أن الإنسان في تكوينه استجمع من عناصر التكوين ما تفرق في الكون منها، بحيث انفرد بهذا الاستجماع عن كل ما سواه من الموجودات فالعناصر الموجودة في الكون ترجع إلى عنصرين أساسيين: روحي ومادي، والإنسان قد استقل بالجمع بينهما كما بينه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾⁽¹⁾، وقد أشار الإمام الرازي إلى هذه القطبية التكوينية للإنسان بالنسبة للكون في قوله...»⁽²⁾.

«إنّ المخلوقات تنقسم إلى أربعة أقسام: إلى ما حصلت له القوة الحكيمة ولا تحصل القوة الشهوانية الطبيعية وهم الملائكة، وإلى ما يكون بالعكس وهم البهائم، وإلى ما خلا من القسمين وهم النباتات والجمادات، وإلى ما حصل النوعان فيه وهو الإنسان»⁽³⁾.

«فيكون الإنسان بذلك مستجمعا لما هو مبعوث في العالم من عنصري المادة الروح وليس هذا الاستجماع استجماعا كميّا فحسب، ولكنه استجماع كفيّ أيضا، إذ الجمع في التكوين بين العناصر المتفرقة في الكون يُنشئ من الخصال المعنوية ومن مقومات التفوق ما يحقق للإنسان «السيد» في هذا الميراث الواسع الاستعلاء والرفعة.

إنّ استجماع الإنسان لعنصري الروح والمادة دون غيره من الموجودات هو الذي ارتقى به إلى مرتبة كفيّة أصبح بها مؤهلا للتكليف وتحمل الأمانة، وناهيك بذلك رفعة واستعلاء.

3- استعلاء التمثل والاستيعاب:

إنّ الإنسان قد خصّ بقدرة معرفية تُمكنه من أن يستجمع صورة الكون في ذهنه تمثلا واستيعابا، مثلما استجمع عناصره تكوينا، فهو مهياً بوسائله الإدراكية لأن ينقل العالم الخارجي في صورته الكمية والكيفية إلى عالمه الداخلي، فيصبح هذا الكائن الصغير يحمل في ذاته ذلك العالم الكبير، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(1) _ سورة الحجر، الآيتان، 28، 29.

(2) _ عبد الحميد عمر النجار، قيمة الإنسان، ص ص 68-72.

(3) _ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مج 11، ج 21، ص 12.

أَلْمَلَكِيَّةَ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾⁽¹⁾، فتعلّم الأسماء كلها إنما هو إشارة إلى قدرة الإنسان على تصوّر مُسميات الأشياء وما تنبني عليه من قانون في تكونها وتصاريقها..

والإنسان « السيد » في هذا الميراث الواسع كما يكون مُستوعبا للكون في قوانين سكونه وحر كته، فإنه يكون قيما عليه معنويًا بما ينتزع منه من خوف ورهبة إزاءه، وماديا بما يتيسر له من سبل الاستثمار لمرافق الكون بذلك العلم⁽²⁾.

«أما مركز الإنسان في هذا الكون المادي العريض فهو مركز « السيد » المتصرف الذي سُخر كل ما في هذا العالم لنفعه وإصلاح أمره، وكأن كل شيء في هذا الكون قد «نُسج» من أجله، و« فصل » على «قده» تفصيلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿٣٤﴾﴾⁽³⁾ (4).

وتلك هي مكانة الإنسان في هذا الكون وصلته بما فيه، وما الذي بوأ الإنسان هذه المكانة السامية، وجعله « السيد » الأول في هذا الميراث الواسع وفي الكون أجرام أضخم منه وأكبر؟

إنه سرُّ القَبَس الذي هو فيه من نور الله، والتَفْخِة التي من روح الله⁽⁵⁾.

ولقد منح الله عز وجل الإنسان هذه المكانة العليا في هذا الملك العريض الفسيح، وجعله (السيد) الأول، وكرمه، وفضله على كثير من خلقه لا ليعيث في الأرض فسادا، ولا ليهلك الحرث والنسل، ولا ليظلم ويجور ويستكبر، ولكن ليكون خليفة الله في الأرض، فيعمرها، ويعدل فيها، ويصلح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو مستجيب أثناء ذلك لأوامر ربه ونواهيها، متوكلا عليه، ومستعينا به في كل صغيرة وكبيرة، مقرا بضعفه، ومعترفا بمحدودية طاقته البشرية...

(1) _ سورة البقرة، الآية 31.

(2) _ عبد المجيد عمر النجار، قمية الإنسان، ص ص 72-74.

(3) _ سورة إبراهيم، الآيات 32-34.

(4) _ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، دار الشهاب-باتنة-الجزائر، (د.ت، د.ط)، ص ص 69-70.

(5) _ المصدر نفسه، ص ص 69-70.

– العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فِعِل أو فِئَعِلَة) معرفة هي: « وهذه الطبيعة التي تبدو هنا في يهود هي الطبيعة الكنودُ، طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا في نطاق من التعصب شديد...»⁽¹⁾.

– المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (ضاق):

إن أول ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (ضاق) في المعاجم اللغوية: «ضاق الأمر وهو يضيق ضيقاً، وهو أمر ضيق، وفلان من أمره في ضيق، أي: في أمره ضيقٌ، ومكان ضيق وضيقٌ، والضيق: المصدر، والضيق، بفتح الياء: الشك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾⁽²⁾،⁽³⁾. وفي اللسان مما ورد عن التعريف بهذه المادة: «الضيقُ: تقيض السعة، والضيقُ: جمع الضيقة والضيقة وهي الفقر وسوء الحال، وضاق الرجل، أي: بخل، وضيقة منزلة للقمر مما يلي الدبران وهو مكان نحس على ماتزعم العرب، قال الأخطل:

فَهَلَّا زَجَرَتِ الطَّيْرَ، لَيْلَةَ جِئْتِهِ
بِضَيْقَةٍ بَيْنَ النُّجْمِ وَالِدَبْرَانِ⁽⁴⁾.

وفي أساس البلاغة: «من المجاز: وقع في مضيق من أمره ومضايق، وضاق عليه الحيلة، وإذا تضايق عليك أمر فانتظر سعة، وقد ضاق عليه صدره، وله نفس ضيقة، وضايقه في كذا إذا لم يسامحه...»⁽⁵⁾.

حين تعقبنا بالبحث والنظر المركزيين مادة (ضيق) في مظان المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأساسية تتراوح بين الضيق وهو ما ضاق عنه صدرك، والضيق: ما يكون في الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب، والضيق: تقيض السعة وما أشبه ذلك من هذه المدلولات التي يصب جميعها في دلالة الحشر، والزحام، والتراص، وانعدام الفسحة والاتساع.

وبالعودة إلى لفظ (ضيق) كما جاءت في سياق النص نجد أنها قد وضعت في هذه الصيغة «الضيقة» على زنة الفِئَعِلَة المؤنثة وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي الأَجُوف اللازم

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 90.

(2) _ سورة النحل، الآية 127.

(3) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (ضاق)، مج3، ص 2082.

(4) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر غياث بن غوث بن الصلت... بن جشم بن بكر... ولقب بـ«الأخطل»، الديوان، تحقيق: محمد نعيم بربير، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، سنة 2010م، ص 391.

(5) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ضيق)، ج2، ص 58.

المتصرف المبني للمعلوم: ضاق ويضيق ضيقاً نحو قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾⁽¹⁾، وهو وزن من أوزان الصفة المشبهة كما ذهب إلى ذلك سيبويه والخليل واتفقا على أن بناءه يكون مكسور العين «فيعِل» وأتى سيبويه بأمثلة وشواهد على ذلك نكتفي نحن بإيراد شاهد واحد للاستدلال، وهذا حينما كان يتكلم على أعمال الصفة المشبهة فيما بعدها يقول: «فإذا ثبِت أو جمعت فأثبت التّون فليس إلّا النصب، وذلك قولهم: هم الطيبون الأخيار، وهما الحَسَنانِ الوُجُوه، وقالت حِرْنَق بيت هفان:

لا يبعِدَنَ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ العُودِ وَأَفَّةِ الجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأَزْرِ⁽²⁾.

والشاهد فيه نصب «معاقد» بالصفة المشبهة «الطيبون» وأن المثني والمجموع من الصفة المشبهة «الطيبون» وأن المثني والمجموع من الصفة المشبهة المقرونة بـ «أل» يجب نصب ما بعده ما ثبتت فيهما النون»⁽³⁾.

وذكر ابن الحاجب في هذا الصدد أمثلة أخرى هي: سيّد، وميّت، وجيّد، ويّين، ومن بينها "ضيق" من الأجوف قال: «وهي (أي الصفة المشبهة) من فعَل قليلة وقد جاء نحو: حريص وأشيب وضيق»⁽⁴⁾.

وبناء على كل ما سبق فإنّ صيغة «الضيقة» في سياق النص الذي وردت فيه هنا صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار في حق طبيعة اليهود في الماضي البعيد منذ عهد سيدنا موسى عليه والسلام وإلى يومنا هذا ولا تزال طبيعة الأثرة الضيقة مُشربة في قلوبهم إلى أجل لا يعلم مداه إلا الله.

أما على المستوى التركيبي، أي، الأسلوبية فإنّ بناء «الضيقة» قد جاء مفرداً مؤنثاً معرفاً بـ (أل) العهدية تومئ من قريب إلى حضور عيني مشهود محسوس وإلى معهود مخصوص معلوم معين متمثل في الموصوف الذي هو: الطبيعة الكنود طبيعة الأثرة الذي يساعد السياق كله بما فيه من

(1) _ سورة التوبة، الآية 118.

(2) _ الشاهد: من البحر الكامل، للشاعرة: الحِرْنَق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد، رواية: عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، شرح وتحقيق وتعليق: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1990م، ص 43.

(3) _ سيبويه، الكتاب، ج1، ص ص 201-282.

(4) _ رضي الدين الإستراباذي، شرح الشافية في الصّرف لابن الحاجب، ج1، ص 149.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

أدوات التعريف وكذا أسماء الإشارة في قوله: «هذه الطبيعية» وقوله: «التي تبدو هنا» وكذلك: «ضمير الشأن:» هي» هذه الأدوات كلها ساهمت في إجلاء المعنى وإبرازه وتشخيصه للفت الانتباه إليه والاهتمام به.

وعلى المستوى السياقي الخارجي للنص نجد الله عزوجل في تبين هذه الطبيعة الكنود عامة، وتبيين طبيعة الأثر «الضيقة» خاصة يقول في حق يهود المتعصبة على لسانها المفضوح: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ﴾ (1).

يقول فخر الدين الرازي في تأويل هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ ۗ﴾ وفيه سؤالان: وهو أن اليهود لا يقولون ذلك ألبته، فكيف نقل هذا القول عنهم؟ وأما النصارى فإنهم يقولون ذلك في حق عيسى لا في حق أنفسهم، فكيف يجوز هذا النقل عنهم؟

أجاب أحد المفسرين عنه من وجوه: الأول: أن هذا من باب حذف المضاف والتقدير نحن أبناء رسل الله فأضيف إلى الله ما هو في الحقيقة مضاف إلى رسل الله، ونظيره قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ۗ﴾ (2).

والثاني: أن لفظ الابن كما يطلق على ابن الصّلب فقد يطلق أيضا على من يتخذ ابنا، واتخاذ ابنا بمعنى تخصيصه بمزيد الشفقة والمحبة، فالقوم لما ادّعوا- بدافع الأثر «الضيقة»- أن عناية الله بهم أشد وأكمل من عنايته بكل ما سواهم، لا جرم عبّر الله تعالى عن دعواهم كمال عناية الله بهم بأنهم ادّعوا أنهم أبناء الله.

الثالث: أن اليهود لما زعموا- وبدافع الأثر «الضيقة» دائما- أن عزير ابن الله، والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله، ثم زعموا أن عزير والمسيح كانا منهم، صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله...» (3).

(1) _ سورة المائدة، الآية 18.

(2) _ سورة الفتح، الآية 10.

(3) _ بتصرف، فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مج6، ص 165.

«...، ألا ترى أن أقارب الملك إذا فاحروا إنسانا آخر فقد يقولون: نحن ملوك الدنيا، ونحن سلاطين العالم، وغرضهم منه كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك والسلطان فكذا هاهنا.

والرابع: قال ابن عباس: إن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا: كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن أبناء الله وأحبّؤه، فهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة، وأما النصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلا- وهذا كذلك بدافع الأثرة « الضيقة» - على سائر الخلق بسبب أسلافهم الأفاضل من الأنبياء حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا: نحن أبناء الله وأحبّؤه !!!

ثم إنه تعالى أبطل عليهم دعواهم وقال: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾⁽¹⁾، وفيه سؤال، وهو أنّ حاصل هذا الكلام أنهم لو كانوا أبناء الله وأحبّائه لما عذبهم، فهم ليسوا أبناء الله ولا أحبّائه، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾⁽²⁾، يعني أنه ليس لأحد عليه حق يوجب عليه أن يغفر له، وليس لأحد عليه حق يمنعه من أن يعذبه، بل الملك له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

واعلم أنّا بينا أن مراد القوم من قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾⁽³⁾، كمال رحمته عليهم وكمال عنايته بهم⁽⁴⁾.

وجاء أيضا في تفسير الآية المذكورة أعلاه عن ابن عاشور قوله: «مقال آخر مشترك بينهم وبين اليهود يدل على غباوتهم في الكفر وعلى الأثرة « الضيقة» وعلى التعصب الشديد المقيت إذ يقولون مالا يليق بعظمة الله تعالى، ثم هو مناقض لمقالاتهم الأخرى، عطف على المقال المختص بالنصارى، وهو جملة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾⁽⁵⁾، وقد وقع في التوراة والإنجيل التعبير بأبناء الله، ففي سفر التثنية أول الفصل الرابع عشر قول موسى أنتم أولاد للرب أبيكم، وأما الأناجيل فهي مملوءة بوصف الله تعالى بأبي المسيح، وبأبي المؤمنين به، وتسمية المؤمنين أبناء الله في متى في الإصحاح الثالث وصوت من السماء قائلا: هذا هو بني الحبيب الذي به سررت،

(1) _ سورة المائدة، الآية 18.

(2) _ سورة المائدة، الآية 18.

(3) _ سورة المائدة، الآية 18.

(4) _ بتصرف، فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مج 6، ص ص 165-166.

(5) _ سورة المائدة، الآية 17.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

وفي الإصحاح الخامس طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون، وفي الإصحاح السادس وأبوكم السماوي يقوتها، وفي الإصحاح العاشر: لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أياكم الذي يتكلم فيكم، وكلها جائية على ضرب من التشبيه فتوهمها دهماؤهم حقيقة فاعتقدوا ظاهرها.

وعطف «وأجباؤه»، على «أبناء الله»، أنهم قصدوا أنهم أبناء محبوبون إذ قد يكون الإبن مغضوبا عليه⁽¹⁾، كما جاء في حق ابن نوح عليه الصلاة والسلام وهو يقول: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي﴾⁽²⁾ ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا أَهْلِكَ﴾⁽³⁾، ثم بين له لماذا يكون ابنه ليس من أهله ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾⁽⁴⁾، إنَّ وشيخة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾⁽⁵⁾، فأنت تحسب أنه من أهلك ولكن هذا الحسين خاطيء، أما المعلوم المستيقن فهو أنه ليس من أهلك، ولو كان هو ابنك من صلبك! ⁽⁶⁾.

هذا وإن السياق التعبير العام كله جاء في شكل جمل اسمية تفيد ثبوت المعنى واستمراره هكذا: (وهذه الطبيعة التي تبدو هنا) وقوله: (وهي الطبيعة الكنود...)، وقوله: (طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا في نطاق من التعصب)، كلها خصال وطبائع ذميمة خسيصة قدرة متجذرة في جيلة وطبع يهود.. عبر الأجيال والسنين الطوال...

(1) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج3، ج6، ص155-156.

(2) _ سورة هود، الآية 45.

(3) _ سورة هود، الآية 46.

(4) _ سورة هود، الآية 46.

(5) _ سورة هود، الآية 46.

(6) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج12، ص1886.

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فَيْعِل أو فَيْعَلَة) معرفة هي: (لقد كشف القرآن هنا عن علة كفر بني إسرائيل بتلك الآيات البينات التي أنزلها الله... إنه الفسوق وانحراف الفطرة)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (بين):

إنَّ أوَّل ما يواجهنا عند التعريف بمادة (بين) في المعاجم اللغوية المعتمدة: (البين: الفراق، تقول منه: بان يبين بينا وبينونة، والبين: الوصل وهو من الأضداد).

والبيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة، وكان الشيء بيانا: اتضح فهو يبين واستبان الشيء وضَحَ، واستبنته أنا: عرفته، وتبين الشيء: وضح وظهر⁽²⁾.

وفي اللسان: «وتباين الرجلان: بان كل واحد منهما عن صاحبه: إذا انفصلا، وبانت المرأة عن الرجل وهي بائن: انفصلت عنه بطلاق»⁽³⁾.

وفي تهذيب اللغة: «استبنت الشيء إذا تأملته حتى تبين لك، البين من الرجال الفصيح، والبيان: الفصاحة، التبيين: التثبت في الأمر والتأييد فيه»⁽⁴⁾.

بعدها تعقبنا مادة (بين) في المعاجم اللغوية تأكدنا أن دلالتها الأصلية المركزية تتمحور حول: البيان ما يتبين به الشيء من الدلالة، وبان الشيء بيانا اتضح فهو بين، وأبان الشيء فهو مبين، واستبنت الشيء إذا تأملته حتى بان لك، وتبين الشيء: وضح وظهر وما إلى ذلك من هذه المعاني المتقاربة المتقاطعة التي يجري جميعها في دلالة الوضوح والظهور، والانكشاف والتعرية.

وإذا ما تحولنا بأنظارنا تجاه لفظة (بين) كما أدرجت في ظل سياق النص نراها قد وظفت في هذه الصيغة «البيانات» بزنة الفِيعَلات، وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم بان.. يبين بينا ويونا ويينونة نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ﴾⁽⁵⁾.

وبناء على ذلك فإن صيغة «البيانات» صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار

(1) _ المصدر السابق، مج1، ج1، ص 94.

(2) _ الجوهري، الصحاح، مادة (بين)، ص 120.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (بين)، ج1، ص 559.

(4) _ الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (بين)، مج1، ص 264-265.

(5) _ سورة البقرة، الآية 87.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

في الماضي البعيد على عهد نزول تلك الآيات «البيئات» على سيد الخلق محمد ﷺ كاشفة عن حقيقة ونوايا بني إسرائيل الخبيثة المبيتة في عنادها وكفرها وجحودها في الحال والاستقبال وإلى أمد وغاية لا يعلمهما إلا الله العليم الخبير.

أما على المستوى الأسلوبي فنلاحظ أن صيغة «البيئات» قد جاءت في صيغة جمع الإناث المعرف بـ (أل) العهدية التي تلمح إلى معهود مخصوص معلوم معين ممثل في «الآيات» وهو الموصوف الذي يجيل عليه الضمير المستتر في صيغة «البيئات» دون سواه من الموصوفات التي قد تشاركه في هذا الوصف من بعيد أو من قريب نحو: السور، والجمل، والعبارات والكلمات خاصة منها تلك التي يُنشئها البشر محاولين الإتيان بمثلها.

وأما اسم الإشارة "تلك" الذي يفيد التشريف والتعظيم، ومعه أداة التعريف المقترنة بالموصوف وأيضا الصفة المشبهة فقد ساهمت مجتمعة مساهمة فعالة في إبراز وتمييز الشيء المقصود في سياق النص أكمل تمييز وأوضحه وأدقه وكان ذلك بالإشارة الحسية إليه في قوله: «بتلك الآيات البيئات»، وغرض اسم الإشارة هنا هو تعظيم الموصوف «الآيات» بلفظ الإشارة البعيد «تلك»، ويراد به بعد المتزلة، أي: بُعد متزلة المشار إليه وارتفاع مكانته في قوله: «بتلك الآيات البيئات»⁽¹⁾، هذا زيادة على أدوات التعريف المصاحبة لكل من الصفة المشبهة والموصوف والتي أفادت في توضيح المعنى، وحصره وتقريبه من المتلقي، وجعله حاضرا حساً ومشاهدة وإدراكا ذهنيا.

هذا ومما يمكن أن يوحي به سياق النص على المستوى الخارجي، وعلى مستوى وضوح الآيات «البيئات» وفهمها، والوصول إلى أحكامها التشريعية، وتعاليمها وتوجيهاتها المتنوعة الإلهية الربانية كما جاء عن بعض علمائنا المعاصرين وهو يتحدث عن دلالة القرآن وآياته على الأحكام، يقول: «حيث وقع الجزم بأن كل نص من نصوص القرآن هو عين النص الذي نزل به الروح الأمين على رسول الله صلوات الله عليه لأنه عليه السلام قد بلغه إلى الأمة وورد إلينا متواترا خاليا من التحريف والتبديل: كان القرآن قطعيا من حيث الثبوت والورود والنقل عن الرسول، وقد اتفقت كلمة العلماء على هذه القطعية، فلا شائبة للشك في ذلك.

«أما النصوص القرآنية وآياته من حيث دلالتها على ما اشتملت عليه من أحكام شرعية فقد تكون قطعية الدلالة، وقد تكون ظنية الدلالة، وذلك تبعا للاحتمال الذي يكون في ألفاظ القرآن وعدمه:

(1) _ بتصرف، فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج 1، ج 1، ص ص 84-85.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

أ- فالنصوص تكون قطعية الدلالة إذا كانت لا تحمل إلا معنى واحد، يتعين فهمه منها، ولا مجال لفهم معنى آخر يقول الله تعالى في هذا النوع من آيات القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾⁽¹⁾، منها «كآليات الواردة في المواريث والحدود، والمشملة على أعداد ومقادير محددة مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾⁽²⁾، وكقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾⁽³⁾، وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾⁽⁴⁾.

فقد اشتملت الآيات الثلاث على لفظ النصف والرابع، ولفظ المائة والثمانين، ولفظ أربعة وكلها مقادير مقدرة بحدود معينة لا تحمل إلا معنى واحد فكانت لهذا قطعية في دلالتها، مثبتة على سبيل القطع أن ميراث الزوج من زوجته عند عدم الولد هو نصف التركة لا يزداد على ذلك ولا ينقص، وأن حدّ الزاني والزانية مائة جلدة»⁽⁵⁾، لا أكثر ولا أقل.

ب- تكون النصوص ظنية الدلالة إذا كانت محتملة أكثر من معنى، صالحة لأن يراد منها أحد المعاني دون الآخر، لأن المراد منها غير متعين فصارت بهذا قابلة للاحتمال لاختلاف الأفهام، وكانت مجالاً للبحث والاجتهاد، ومن أمثلة هذا تحديد المسح للرأس في الوضوء، وتحديد القدر الذي يجرم في الرضاع، وما تعدت به المرأة بعد الطلاق، فإن لفظ القرء الوارد في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽⁶⁾، من الألفاظ المشتركة التي أطلقت على الحيض وعلى الطهر، فيصح لهذا أن يراد بالقرء في الآية أحد هذين المعنيين، ومن هنا تكون دلالة القرء على أحدهما دلالة ظنية.

(1) _ سورة آل عمران، الآية 7.

(2) _ سورة النساء، الآية 12.

(3) _ سورة النور، الآية 2.

(4) _ سورة النور، الآية 4.

(5) _ بدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، مصر، (د.ط، د.ت)، ص 65-66.

(6) _ سورة البقرة، الآية 228.

وقد يكون النص القرآني قطعي الدلالة باعتبار، ظنيها باعتبار آخر، فيكون الحكم بالاعتبار الأول قطعياً، وبالاعتبار الثاني ظنياً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾⁽¹⁾، فإنه يدل على قطعية أصل المسح للرأس في الوضوء، وظنية المقدار الواجب مسحه من الرأس، من هنا نجد اتفاق الفقهاء على الحكم الأول، واختلافهم في الحكم الثاني.

والفرق بين النوعين: أن الأول لقطعيته يكون بمثلة العقائد، ويكون منكراً خارجاً عن الملة، بخلاف الثاني فإن من أنكر فيه فهما معينا تحتمله الآية، كما تحتمل غيره لا يكون كافراً، كما أن الأول واجب الإتيان عيناً على كل الناس، بخلاف الثاني فإن كل مجتهد يتبع فيه ما ترجح عنه ما ترجح عنده، كما أن المقلد يتبع فيه رأي من شاء أن يقلده.

وقد ترتب على النوع الثاني تعدد المذاهب الإسلامية، فاختلقت آراء الفقهاء واتسع نطاق ذلك الخلاف إلى درجة أن رأينا الآراء والاحتمالات العقلية كثيرة في المسألة الواحدة، إلا أن هذه الآراء والأفهام استمد منها الفقه الإسلامي القدرة على حل المشاكل الاجتماعية، مهما امتد الزمن، وتعددت صور الحوادث وتنوعت الحضارات⁽²⁾.

ومن هنا، «فالتبيعة المستقيمة لا يسعها إلا الإيمان بتلك الآيات «البنات» التي أنزلها الله... إته الفسوق وانحراف الفطرة، وهي، أي: الآيات «البنات» الواضحات القطعية تفرض نفسها فرضاً على القلب السليم فإذا كفر بما اليهود-أو غيرهم- فليس هذا لأنه مقنع فيها ولا حجة، ولكنهم هم فاسد والفطرة فاسقون ثم يلتفت إلى المسلمين- وإلى الناس عامة- مندداً بهؤلاء اليهود، كاشفاً عن سمة من سماتهم الوبيئة... إهم جماعة مفككة الأهواء- رغم تعصبها الذميمة- فهم لا يجتمعون على رأي، ويثبتون على عهد، ولا يستمسكون بعروة، ومع أنهم متعصبون لأنفسهم وجنسهم، يكرهون أن يمنح الله شيئاً من فضله لسواهم، إلا أنهم- مع هذا- لا يستمسكون بوحدة، ولا يحفظ بعضهم عهد بعض، وما من عهد يقطعونه على أنفسهم حتى تندمهم فرقة...»⁽³⁾.

«...» فتنقض ما أبرموا وتخرج على ما أجمعوا: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) _ سورة المائدة، الآية 6.

(2) _ بدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، ص ص 66-67.

(3) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 94.

(4) _ سورة البقرة، الآية 100.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

وقد أخلفوا ميثاقهم مع الله تحت الجبل، ونبذوا عهودهم مع أنبيائهم من بعد، وأخيرا نبذ فريق منهم عهدهم الذي أبرموه مع النبي ﷺ أول مقدمه إلى المدينة، وهو العهد الذي وادعهم فيه بشروط معينة «بينات» بينما كانوا هم أول من أعان عليه أعداءه، وأول من عاد دينه، وحاول بث الفرقة والفتنة في الصف المسلم مخالفين ما عاهدوا المسلمين عليه»⁽¹⁾.

واليوم وفي القرن العشرين والواحد والعشرين نلاحظ أن التاريخ يعيد نفسه حيث تمكن اليهود مع إخوانهم الصليبيين والغرب من نقض العهود مع العرب والمسلمين، ونجاحهم في بث الفرقة والفتنة وتعميق النزاع السياسي والعسكري بين الإخوة الأشقاء من العرب والمسلمين، واليهود يفرحون ويمرحون ويصولون ويجولون، ويسرون التجوى بينهم متفقيين متأمرين على تخريب البلاد والعباد في أرجاء المعمورة كلها !!

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 94.

- صيغة «فِعْلٌ وَفِعْلَةٌ» المنكرتين :

إنَّ هاتين الصيغتين قد وردتا في المدونة في عدد قليل حيث لم يتعد تسع صيغ، وقد اقتصرنا في التمثيل والتحليل لها على ثلاث صيغ منها فقط كما هو وارد في الجدول البياني أدناه:

-جدول بياني لصيغتي (فِعْلٌ وَفِعْلَةٌ) المنكرتين الواردتين في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	مَيْتَةٌ	68	22	...، إنَّ الكلمة لتنبعثُ مَيْتَةً، وتصل هامة، مهما تكن طَّائفة رنَّانة متحمَّسة، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها.
2-	هَيْنًا	68	27	والمطابقة بين القول والفعل، وبين العقيدة والسلوك، ليست مع هذا أمر هينا، ولا طريقا معبدا.
3-	لَيْنَةٌ	84	16	...، 'نَّ الطبيعة المؤمنة هينة لينة، مفتحة المنافذ للأضواء.

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فيعل أو فيعلة) منكرة هي: (إنَّ الكلمة لتبعث ميتة، وتصل هامة، مهما تكن طئانة رثانة متحمسة إذا هي لم تبعث من قلب يؤمن بها) (1).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (موت):

إنَّ ما تمكنا من انتقائه عند التعريف بمادة (موت) في المعاجم اللغوية أن «الموتة: شبه الغشبية، والموت السكون، يقال: ماتت الريح: إذا سكنت قال ابن الأعرابي: مات الرجل: إذا خضع للحق، واستمات الرجل: إذا طاب نفسا بالموت» (2).

ومما ورد في اللسان عن التعريف بهذه المادة: «الموت والموتان: ضد الحياة، والموات، بالضم: الموت مات يموت موتاً، ويمات، ورجل ميّت وميّت، سُمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة» (3).

وفي القاموس المحيط: «مات يموت ويمات ويميت فهو ميّت وميّت: ضد حي، ومات: سكن ونام وبلي، والمستमित: الشجاع الطالب للموت والمسترسل للأمر، والشيء مَوّت واللحم بالغ في نضجه وإغلاظه، والمماوتة: المصابرة، واستمات: ذهب في طلب الشيء كل مذهب» (4).

وبعد هذا العرض الموجز لمادة (موت) في المعاجم اللغوية بان لنا أن دلالتها الرئيسة هي: الموتة: شبه الغشبية، والموت: السكون، ومات الرجل: همد ونام، وما إلى ذلك من هذه المدلولات المتقاربة المتقاطعة التي تجري في دلالة السكون والهدوء، والنوم الثقيل، وفقدان الحركة والنشاط.

وإذا ما انتقلنا إلى لفظ (موت) كما جاءت في سياق النص ألفيناها قد وضعت في هذه الصيغة «ميتة» بزنة فيعلة-بكسر العين- وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف، المبني للمعلوم: مات يموت موتاً، ورجل ميّت وميّت مات الرجل، أي: حلّ به الموت وفارقت الروح جسده.

هذا وقال أهل التصريف: ميّت، كأنّ تصحيحه ميّوت على فيعل، ثم أدغموا الواو في الياء، قال: فرّد عليهم، وقيل: إن كان كما قلتم، فينبغي أن يكون ميت على فيعل، فقالوا: قد علمنا أنّ قياسه هذا، ولكن تركنا فيه القياس مخافة الاشتباه، فرددناه إلى لفظ فيعل، لأن ميت على لفظ فيعل

(1) _ المصدر السابق، مج1، ج1، ص 68.

(2) _ الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (مات)، مج4، ص ص 3321-3322.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (مات)، ج13، ص ص 217-219.

(4) _ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (مات)، مج1، ص 158.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

من ذلك اللفظ، وقال آخرون: إنما كان ميت في الأصل مويت مثل سيد سيود، فأدعنا الباء في الواو وثقلناه، فقلنا ميّت، ثم خفف، فقليل ميّت، وقال بعضهم: قيل: ميّت، ولم يقولوا: ميّت بالتشديد إلا أنه يخفف، فيقال: ميّت وميّت والمعنى واحد، قال: وقال بعضهم: يقال لما لم يمت: ميّت، والميّت: ما قد مات، وهذا خطأ إنما ميّت يصلح لما قد مات ولما سيموت، قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (1)، (2).

وبناء على ذلك فإن صيغة «ميّته» بزنة فيعلّة وزن من أوزان الصفة المشبهة التي تفيد الثبوت والدوام والملازمة والاستمرار في الزمن المنقضي، والحال، والاستقبال وقد وردت في بناء المفرد، المؤنث، النكرة المخصّصة، أي: التي تدل على مخصوص معلوم معين أو موصوف مخصوص بدلالة الضمير المستتر في صيغة «ميّته» عليه ممثل في لفظ: «الكلمة» الواردة في النص والذي جاء معرفة ومؤكداً بـ (إنّ) ليزيد المعنى وضوحاً، وحضوراً، وقوة، وأهمية.

وإذا ما تحولنا إلى السياق الخارجي، وحاولنا الاقتراب منه، لاحظنا أن سياق النص كله يدور حول أثر الكلمة الخبيثة التي تنبعث من النفوس الخبيثة، نفوس المنافقين خاصة والكفار على وجه العموم يقول المولى عزّ وجل في وصف المنافقين وطريقة كلامهم كاشفاً أمرهم للنبي ﷺ وللمؤمنين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (3).

«يقول جل ذكره لنبه محمد ﷺ: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تُعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم، يشبه منطقهم منطق الناس «كأنهم خشب مسندة» كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم، ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول وقوله: ﴿يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسي ذراريتهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك، كلما نزل بهم من الله وحي على

(1) _ سورة الزمر، الآية 30.

(2) _ الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (مات)، مج 4، ص 3321.

(3) _ سورة المنافقون، الآية 4.

رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم، يقول الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ: هم العدو يا محمد فاحذرهم، فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم»⁽¹⁾.

وجاء في الكشف عن الكلمة التي تنبعث «ميتة»، طنانة، رثانة، متحمسة وهي -غالبا- ما تصدر متصفة بهذه الأوصاف من قبل المنافقين أكثر من غيرهم لذلك يقول الزمخشري في تأويل الآية السالفة التي نزلت في المنافقين: «كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا، فصيحاً، ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم، فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿كأنهم خشب مُسندة﴾⁽²⁾؟ قلت شبهوا في استنادهم - وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير - بالخشب المسندة إلى الحائط، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، ومادام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جداوهم»⁽³⁾.

إن هذا النموذج الذي يعتمد على فصاحة اللسان، وطلاقته، وحلاوته، وعلى الهف واللف، وروغان الثعلب، وعلى سياسة التسوية والمماثلة والمخاتلة يعيش اليوم معنا وبين أظهرنا في القرن العشرين والواحد والعشرين، في أسرنا، ومساجدنا، ويعمل معنا في المكاتب والإدارات، والمؤسسات ومختلف القطاعات وهو كثير جدا!

ويبدو لنا أن أرباب الكلام المعسول، والقلب المدخول قد أفادوا من أساتذتهم السابقين - عبر العصور والدهور - وقد تفوقوا عليهم كثيرا في مجالات عديدة - بدءا من عهد الرسول ﷺ في صراعه مع المنافقين واليهود والمشركين مرورا بعهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عنهم - في جهادهم ضد المرتدين ومجئنا إلى معركة الفتنة الكبرى وكان لهم دور كبير في حدوثها حتى بروز الشعوية في العصر العباسي وصولا إلى يومنا هذا في حرب الإسلام مع اليهود والصليبية العالمية يدعمهم المنافقون العرب والمستسلمون يشنونها حربا كلامية، ودعاية إعلامية واسعة النطاق، أو ما يسمى بلغة السياسية: الحرب الباردة.

(1) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج10، ص ص 8043-8043.

(2) _ سورة المنافقون، الآية 4.

(3) _ الزمخشري، الكشف، ج2، ص 1251.

كل هذه الأساليب تتركز على الكلمة التي تنبعث «ميتة» في حقيقة أمرها مزودة بشتى فنون وأساليب الدهاء والخبث والنفاق والمراوغة، والدلالات القابلة للتأويل على المدى القريب والمتوسط والبعيد، فمثلا إذا كانت الغلبة للصف العربي والإسلامي في فلسطين أو غير فلسطين دعي العرب من قبل اليهود وحلفائهم أمريكا وأوربا للجلوس إلى طاولة الحوار والمفاوضات للبحث عن الحلول السلمية، وهذا رجحا للوقت وتضييعا للفرصة على العرب والمسلمين لتحقيق مزيد من الانتصارات على عدوهم، أما إذا كانت الغلبة لأعداء الله وأعداء العرب والمسلمين فالسكوت المطبق وليس هناك أي دعوة !

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فيعل أو فيعلة) منكرة هي: (والمطابقة بين القول والفعل وبين العقيدة والسلوك، ليست مع هذا أمرا هيئا، ولا طريقا معبدا)⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظه (هون): إن أول ما أتضح لنا عند التعريف بمادة (هون) في المعاجم اللغوية أن: «الهاء والواو والنون أصيل يدل على سكون أو سكينه أو ذل، من ذلك الهون: السكينه والوقار قال الله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

وفي اللسان: « الهونُ: الخزي، وفي التتريل: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾⁽⁴⁾، أي: ذي الخزي، والهون والهوان: وهو الرفق والدعة والسكون»⁽⁵⁾.

وفي أساس البلاغة: «هان عليه ذلك: سهل، وهو يهون عليه، وشيء هين حقير ورجل هين وهين: وقور ساكن، وفي المثل: «إذا عزَّ أخوك فهن»⁽⁶⁾.

وبعد هذا البسط المختصر في مادة (هون) في المعاجم اللغوي اتضح لنا أن دلالتها الأساسية تحط في مدلولات: السكون أو السكينه، والهون: الخزي، والهون: نقيض العز، والهون: الرفق والدعة والوقار وأيضا: التواضع وما أشبه ذلك.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 68.

(2) _ سورة الفرقان، الآية 63.

(3) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (هون)، ص 926.

(4) _ سورة فصلت، الآية 17.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (هون)، ج 15، ص ص 163-164.

(6) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (هون)، ج 2، ص ص 555-556.

وقد جاء بناء «هينا» مفردا مذكرا نكرة، بيد أن هذه النكرة كما وردت في سياق هذا النص لا تفيد العموم كما هو شائع ومشهور في القاعدة القياسية بل جاءت هنا لتفيد الخصوص، فهي تومئ إلى موصوف معلوم يُحيل عليه الضمير المستتر في صيغة «هينا» الذي يعود على الموصوف «أمرأ» الذي يتضمن معنى المطابقة بين القول والفعل، وبين العقيدة والسلوك.

هذا ومما يجري أو يصب في السياق الخارجي للنص قوله عزوجل عن حادثة الإفك ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾.

جاء عن الطبري عن تأويل هذه الآية قوله: «حدثني بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال حدثنا الحسن، قال حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «إذ تلقونه» قال: ترؤونه بعضهم عن بعض.

قوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه، فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا، ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم وتلقيكموه بعضهم من بعض، «هين» سهل، لا إثم عليكم فيه ولا حرج، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁰⁾ يقول: وتلقيكم ذلك كذلك وقولكم بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر: لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله ﷺ وحليلته⁽²⁾.

ومما جاء في تفسير التحرير والتنوير عن تأويل هذه الآية: الإفك ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ الخ ففي قوله: «بألسنتكم» تشبيه الخبر بشخص وتشبيه الراوي للخبر بمن يتهاى ويستعد للقاءه استعارة مكنية فجعلت الألسن آلة للتلقين على طريقة تخييلية بتشبيه الألسن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشيء، وإنما جعلت الألسن آلة للتلقين مع أن تلقي الأخبار بالأسماع لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر جعلت الألسن مكان الأسماع مجازا بعلاقة الأيلولة، وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث، وهذا تعريض بالتوبيخ أيضا.

(1) _ سورة النور، الآية 15.

(2) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج7، ص ص 6009-6010.

وأما قوله: ﴿وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ فوجه ذكر « بأفواهكم» مع أن القول لا يكون بغير الأفواه أنه أريد التمهيد لقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: هو قول غير موافق لما في العلم ولكنه عن مجرد تصور لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه.

وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن المرأ لا يقول بلسانه ما يَعْمَلُه ويتحققه وإلا فهو أحد رجلين: أفنُ الرأي: يقول الشيء قبل أن يتبين له الأمر قد وشك أن يقول الكذب فيحسبه الناس كذابا، وفي الحديث:— « حسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع»⁽¹⁾، أو هو رجل مُموّه مرء يقول ما يعتقد خلافه قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾،⁽⁴⁾.

«... وزاد في توبيخهم بقوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، أي: تحسبون الحديث بالقذف أمرا «هيئا»، وإنما حسبوه «هيئا» لأنهم استخفوا الغيبة والظعن في الناس استصحابا لما كانوا عليه في مدة الجاهلية إذ لم يكن لهم وازع من الدين يزعمهم فلذلك هم يحدرون الناس فلا يعتدون عليهم باليد والسب خشية منهم فإذا خلوا أمنوا من ذلك، فهذا حسبانهم الحديث في الإفك شيئا «هيئا» وقد جاء الإسلام بإزالة مساوي الجاهلية وإتمام مكارم الأخلاق.

و«الهيين» مشتق من الهوان، وهوان الشيء عدم توقيره والمبالاة بشأنه، يقال: هان على فلان كذا، أي لم يعد ذلك أمرا مهما، والمعنى: شيئا «هيئا»، وإثما حسبوه «هيئا» مع أن الحدّ ثابت قبل نزول الآية بحسب ظاهر ترتيب الآية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ﴾⁽⁶⁾. الآية لجواز أنه لم تحدث قضية قذف فيما بين نزول تلك الآية ونزول هذه الآية أو حديث قضية عويمر العجلاني ولم يعلم بها أصحاب الإفك، أو حسبوه «هيئا» لغفلتهم عما تقدم من حكم الحدّ إذ كان العهد به حديثا، وفيه من أدب الشريعة أن احترام القوانين الشرعية يجب أن يكون

(1) _ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج1، ص17.

(2) _ سورة البقرة، الآية 204.

(3) _ سورة الصف، الآية 3.

(4) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج8، ج18، ص178.

(5) _ سورة النور، الآية 15.

(6) _ سورة البقرة، الآية 204.

سواء في الغيبة والحضرة، والسر والعلانية»⁽¹⁾.

أما الشق الثاني في سياق النص فيمثل - في نظرنا- الجانب المهم والخطير الذي هو استهانة عرب ومسلمي هذا العصر بقضية تطبيق الأحكام الشرعية، والتعاليم والتوجيهات، والتوصيات، والأوامر والنواهي الإلهية الربانية التي نزل بها وحي السماء على سيد هذه الأمة وخاتم النبيين محمد ﷺ.

ولكن بسيطن وواضحين في شرح هذه القضية، وضرب الأمثلة عليها، الأمثلة الحية الواقعية المعيشة في حياتنا اليومية الحالية من أدنى مستوى اجتماعي إلى أعلى مستوى في الهرم السياسي لنقول وبصراحة: إذا كان رب الأسرة في البيت المسلم يدخن أو يشرب الخمر أو يقضي جل الليل ساهرا خارج البيت ولا يصلي، ولا يعرف عن القرآن إلا سماع هذه الكلمة من أفواه الناس إلى آخر الحصل الذميمة المضرة ثم تراه يأمر أفراد أسرته باللسان أو بالحال بأن يتجنبوا التدخين والابتعاد عن شرب الخمر والسهر ليلا خارج المنزل... الخ فهذه هي الطامة الكبرى، وهذه هي الحالقة، التي لا تحلق الشعر إنما تحلق الدين كله وتحلق الأمة العربية الإسلامية كلها، وقل مثل ذلك عن كثير من الأئمة في المساجد والدعاة إلى الله، وكبار المسؤولين ورجال الدول العربية والإسلامية فهذه الفئات جميعا تعتبر المطابقة بين القول والفعل أمرا «هينا» وليس له تأثير على الأمة والأجيال، وإلا فكيف تسمعه اليوم بل تراه على الشاشة الصغيرة يعلن عن أمر أو قرار سياسي ما ثم تراه في الغد يعمل بما يناقضه تماما، إنه -مثلا- يحث عن العناية بقطاع التعليم أو الفلاحة أو التصنيع، وتعلم اللغة العربية ثم يخاطب الجمهور على شاشة التلفزيون باللغة الأجنبية فرنسية أو إنجليزية أوروبية... الخ.

⁽¹⁾ _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج8، ج18، ص ص 179-187.

– العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فَيْعِلْ أو فَيْعَلْ) منكّرة وهي: (إنّ الطيّعة المؤمنة هينة لينة، مفتحة المنافذ للأضواء) (1).

– المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (لان):

إنّ أوّل ما يعرض لنا عند التعريف بمادة (لان) في المعاجم اللغوية المحكمة أن: الـ «فَعَلْ» الشيء اللين: لان يلين لِينًا، وليانًا، والعرب تقول: هَيْنَ لَيْنٌ قال الكميت:

هَيْئُونَ لَيْئُونَ فِي بَيْئَتِهِمْ سِنْخُ التَّقَى، وَالْفَضَائِلُ الرَّئِبُ (2).

وقال الفراء في قوله جل وعزّ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ (3)، كل شيء من النخل سوى العجوة فهو من اللين، واحدها لينة (4).

وفي اللسان عن التعريف بهذه المادة: «اللين: ضد الخشونة، وألانه هو وليّنه وألينه: صيره لِينًا، واستلانه: عدّه لِينًا» (5).

وفي أساس البلاغة: «ومن المجاز: هو في لِيَانٍ من العيش، ونزلوا بِلِيَانٍ الأرض وليانها، ورجل لِيِنٍ الجانب، وقوم أَلِيْنَاءٍ، وهو ذو مَلِيْنَةٍ، وهو لِيِنٍ الأعطاف، وطىء الأكناف، وتلين له: تملق» (6).

بعد هذا التتبع المتقصي لمادة (لان) في المعاجم اللغوية تأكد لنا أن دلالتها الأصلية المركزية تنحصر في مدلولات: اللين: ضد الخشونة، واللين: السكون والوقار والخشوع، وتلين له: تملق، واللين: التسامح والتساهل وما أشبه ذلك.

وإذا ما تحولنا بأنظارنا نحو الصيغة التي وردت فيها لفظ (لان) نجدها قد وضعت في هذه الصيغة (لينة) على وزن فَيْعَلْ، وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم: لأن يَلِينُ لِينًا وِلِيَانًا وِلِينَةً نحو قوله تعالى: ﴿فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لِينًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (7)،

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 84.

(2) _ الشاهد: من البحر المنسرح للشاعر الكميت، بنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية، مج1، المحتوى: شعر، قافية (الباء)، ص 173.

(3) _ سورة الحشر، الآية 5.

(4) _ الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (لان)، مج4، ص 3222-3223.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (لان)، ج12، ص 380.

(6) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (لان)، ج2، ص 363.

(7) _ سورة طه، الآية 44.

وقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ^ط﴾⁽¹⁾.

وصيغة «لينة» بهذه السمات صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام في الماضي والحاضر والاستقبال لأن الطبيعة المؤمنة دائما أو صافها هيئة لينة سمحة مطواعة، منقادة مستجيبة لأوامر ونواهي ربها وخالقها لا تحيد عنها مثقال ذرة.

وعلى المستوى الأسلوبي، أي: النحوي والصرفي فإن صيغة «لينة» جاءت مفردا مؤنثا نكرة لا تدل على معنى العموم كما هو شائع - غالبا - بل جاءت نكرة تفيد الخصوص، أي أنها تدل على مخصوص معلوم معين يحيل عليه الضمير المستتر في الصفة المشبهة «لينة» الذي يوصف إلى الموصوف الذي هو «الطبيعة المؤمنة» تحديدا، أو تعيينا، وتخصيصا دون غيرها ممن يمكن أن يشاركها في هذا الوصف أو يتبادر إلى الذهن ذلك كالتبيعة الكافرة أو المنافقة أو المشركة وغيرها.

وحيثما نتحول إلى سياق النص الخارجي محاولين الاقتراب من عباراته ومفرداته وصيغته في إيجاءاتها، وظلالها، تستوقفنا جملة: إن الطبيعة المؤمنة «لينة» هيئة، وتوجه أنظارنا إلى هذا النموذج الفذ بهذه الطبيعة «اللينة» السهلة السمحاء الفيحاء العطرة ممثلة في سيد الأنام محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم الذي نزل القرآن الكريم يمدح فيه هذه الخصلة النبيلة، خصلة اللين والرحمة، والشفقة على قومه في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ^ط فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁽²⁾.

«إن السياق يتجه هنا إلى رسول الله ﷺ وفي نفسه شيء من القوم، تحمسوا للخروج ثم اضطربت صفوفهم، فرجع ثلث الجيش قبل المعركة، وخالفوا - بعد ذلك - عن أمره، وضعفوا أمام إغراء الغنيمة، ووهنوا أمام إشاعة مقتله، وانقلبوا على أعقابهم مهزومين وأفردوه في النفر القليل، وتركوه يثخن بالجراح وهو صامد يدعوهم في أخراهم، وهم لا يلون على أحد.... يتوجه إليه ﷺ يطيب قلبه، وإلى المسلمين يشعروهم نعمة الله عليهم به، ويذكره ويذكرهم رحمة الله الممثلة في خلقه الكريم الرحيم، الذي تتجمع حوله القلوب... ذلك ليستجيش كوامن الرحمة في قلبه ﷺ فتغلب على ما أثاره تصرّفهم فيه، وليحسوا هم حقيقة النعمة الإلهية بهذا النبي الرحيم، ثم يدعوهم أن يعفو عنهم، ويستغفر الله لهم.... وأن يشاورهم في الأمر كما كان يشاورهم، غير متأثر بنتائج الموقف لإبطال

(1) - سورة آل عمران، الآية 159.

(2) - سورة آل عمران، الآية 159.

هذا المبدأ الأساسي في الحياة الإسلامية.

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ﴿ فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته ﷺ رحيمًا بهم، «لئنا» معهم ولو كان فظًا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة «سَمَّحَةٍ»، وإلى ودِّ يسعهم، وحكم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم... في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والودِّ والرضا... وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية «لنية» ووسعهم حلمه، وبره وعطفه وودِّه الكريم، وما من واحد منهم عاشره أوراها إلا امتلأ قلبه بحبه، نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحية «اللينة»⁽¹⁾.

وقد أمر الله عزوجل المؤمنين أتباع نبيه الكريم في كل زمان ومكان أن يتأسوا به في أقواله وأفعاله، وفي سلوكه وأخلاقه، وحركاته وسكناته إذا أرادوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، وبذلك سيكونون أئمة العالم ومناراته التي يهتدي بها الناس إلى طريق الحق والعدل، والرحمة والحب، والخير والإحسان: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾⁽²⁾.

« والعرب أمة عرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامة الفطرة، وسرعة الفهم، وهم المتلقون الأولون للدين فلم تكن تليق بهم الشدة والغلظة، ولكنهم محتاجون إلى استئزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم، ليتجنبوا بذلك المكابرة التي هي الحائل الوحيد منهم وبين الإذعان إلى الحق وورد أن صَفَحَ النبي ﷺ وعَفُوهُ ورحمته كان سبباً في دخول كثير في الإسلام، كما ذكر ذلك عياض (ت 544هـ) في كتاب الشفاء⁽³⁾.⁽⁴⁾»

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 4، ص ص 500-501.

(2) _ سورة الأحزاب، الآية 21.

(3) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ج 4، ص 154.

(4) _ يُنظر: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-(د.ت)،

د.ط، ص 14.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

إن دلالة صيغة (لينة) ليست هي وحدها هي التي تفيد معنى الثبوت والاستمرار والملازمة الدائمة بل السياق العام هو الآخر يفيد هذه الدلالة نفسها، السياق الممثل في الجملة الاسمية المكونة من الأداة (إنّ) واسمها وخبرها في قوله: (إنّ الطبيعة المؤمنة هنية....) وعليه فالسياق كله يفيد ويؤكد دلالة الثبوت والوصف الراسخ في أعماق المؤمن، وصف الليونة والتساهل والمسامحة.

المبحث الثالث:
ولالة صيغة (مفعول)

-صيغة (مفعول) معرفة.

-صيغة (مفعول) نكرة.

- دلالة صيغة (مفعول) على الصفة المشبهة:

اسم المفعول ما دل على الحدث والحدوث وذات المفعول كمقتول ومأسور فهو- كما يبدو لك- لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل نحو: قائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول نحو: منصور.

ويقال في اسم المفعول ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالته على الحدوث والثبوت، فهو يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة قال الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾⁽¹⁾، أي: فانتصر لك ولدينك فإني غلبتُ وعجزت عن الانتصار لدينك⁽²⁾، أي: أن هذا الوصف، وصف الانهزام والعجز عن الانتصار لدينك ثابت لنوح عليه الصلاة والسلام، فيقال (هو مغلوب) أي: أن هذا الوصف قد تم وثبت بدليل قول نوح عليه السلام: ﴿فَأَنْصِرْ﴾⁽³⁾.

كما أنه من حيث الدلالة على الزمن يقال فيه ما قيل في اسم الفاعل فهو يدل على:

- 1- الماضي: وذلك نحو: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾⁽⁴⁾، أي: سمي، ونحو: (هو مقتول)، أي: قتل.
- 2- الحال: وذلك كقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾⁽⁵⁾، فإذا سأل الرجل غيره ما يصنع فلان في تلك البلدة؟ فيقول المجيب: هو قاعد بأسوء حال، معناه: المكث سواء كان قائماً أو جالساً⁽⁶⁾.
- 3- الاستقبال: وذلك كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾⁽⁷⁾.
أي: سيجمع له الناس ويشهدونه.

(1) _ سورة القمر، الآية 10.

(2) _ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مج 15، ص 37.

(3) _ سورة القمر، الآية 10.

(4) _ سورة الرعد، الآية 2.

(5) _ سورة الإسراء، الآية 22.

(6) _ فخر الدين الرازي، مج 10، ص 149.

(7) _ سورة هود، الآية 103.

4- الاستمرار: نحو قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾⁽¹⁾.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾⁽²⁾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾⁽³⁾.

ومن الشواهد التي أجري فيها بناء اسم المفعول مجرى الصفة المشبهة ما أورده سيويه في الكتاب، قال عمرو بن شأس:.

ولا سيئي زي إذا ما تلبسوا إلى حاجة يوماً محيصة بزلاً⁽⁴⁾

والشاهد في هذا البيت هو محيصة، أي: مذلة بالركوب، أي: الإبل، فاستعمالها للركوب باستمرار وترويضها عليه وطول ممارستها لهذه الخدمة صارت كأنها صفة ثابتة وخلقة لازمة لها، معروفة بها، وبهذا اكتسب صفة الثبوت والدوام والاستمرار من هذا الجانب، فكانت بذلك صفة مشبهة راسخة فيها، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الوزن وحده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام فلا بد معه من القرينة التي تعين أحدهما وتزيل عنه اللبس والاحتمال كي يمكن الجزم بعد ذلك في دلالة المعنوية لا الشكلية-اسم مفعول، أو صفة مشبهة.

ومنها -أيضا- أن تكون صيغة اسم المفعول وغيرها من الصيغ الأخرى اللفظية صريحة الدلالة على الدوام أو شبهه نحو كلمات: مخلدون، لا مقطوعة، ولا ممنوعة في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾⁽⁵⁾.

يقول الرازي: وفي قوله تعالى: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ وجهان أحدهما: أنه من الخلود والدوام، وعلى هذا الوجه يظهر وجهان آخران أحدهما: أنهم مخلدون ولا موت لهم ولا فناء، وثانيهما: «لا يتغيرون عن حالهم وييقون صغارا دائما لا يكبرون ولا يلتحون»⁽⁶⁾.

(1) _سورة هود، الآية 108.

(2) _سورة الواقعة، الآيات 27-31.

(3) _ بتصرف، فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص ص 52-53.

(4) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر عمرو بن شأس، سيويه، الكتاب، ج 1، ص 197.

(5) _ سورة الإنسان، الآية 19.

(6) _ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مج 15، ص 146.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

وقوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً كَثِيرَةً ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴿٣٣﴾﴾⁽¹⁾، يقول صاحب التفسير الكبير عن تأويل هذه الآية: «فهو دليل على أنها، أي: الفاكهة الكثيرة: دائمة الحضور بدليل قوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾⁽²⁾».

وقوله تعالى: ﴿وِظَلٍّ مَّدُورٍ ﴿٣﴾﴾، يقول: وهم في ظل دائم لا تنسخه الشمس فتذهب، وكل مالا انقطاع عنه فإنه ممدود، كمال قال لبيد:

غَلَبَ البَقَاءَ وَكُنْتُ غَيْرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودٌ⁽⁴⁾.

فهذه الصيغ المشار إليها أعلاه كلها تدل على الدوام والاستمرار في هذه الآيات القرآنية التي هيأها الله سبحانه يوم القيامة- لعبادة المتقين ومنها القرينة المعنوية في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتِ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾⁽⁵⁾.

فهذه الأوصاف المقرونة بهذه الكائنات من لدنه سبحانه وتعالى من: التسطير، إلى النشر، والتعمير، والرفع، والسَّجْرُ الثابتة الدائمة ليست- كما يبدو في الظاهر- طارئة ولا عارضة، ولا مؤقتة بزمن محدد من أزمنة البشر التي تنقضي بانقضائها وتنتهي بانتهائها لأن هذا مما يتماشى- حتما- لا اختيار مع مقررات المولى عزوجل في أزاله وحكمه السابقين لايتحوّل ولا يتبدّل قيد أمثلة- إلا بإذنه تعالى- ومن ثم كانت تلك الأبنية والصيغ وهي(مسطور، منشور، المعمور، المرفوع، المسجور) في معانيها ودلالاتها «صفات مشبهة» أيضا وليست «اسم مفعول»، وكان الحسم فيها للسياق والمقام والأحوال التي وردت فيها هذه الأبنية والصيغ بغض النظر عن الأصل الذي يحكمها والقانون الذي يضبطها⁽⁶⁾.

وينطبق الأمر نفسه على اسم المفعول الذي يصاغ قياسا على وزن «مفعول» من مصدر الماضي الثلاثي المتصرف نحو: «محفوظ» من «حفظ» و«مصروع» من «صرع»، و«منسوب» من

(1) _ سورة الواقعة، الآيتان، 32، 33.

(2) _ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مج15، ص 148.

(3) _ سورة الواقعة، الآية 30.

(4) _ الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر لبيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج9، ص 7841.

(5) _ سورة الطور، الآيات 1-6.

(6) _ بتصرف، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 11، ج 11، ص 36-40.

«نسب»، و«معلوم» من «علم»، و«مجهول» من «جهل» و«معروف» من «عرف»، ونحو: «مهرقة» من «هرق» كقول الشاعر امرئ القيس:

وإن شِفاءِي عَبْرَةٌ مُهْرَقَةٌ فهل عِنْدِ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ (1).

ب- و يصاغ قياساً من مصدر الماضي غير الثلاثي بالإتيان بمضارعه المبني للمجهول وقلب أوله ميماً مضمومة مع فتح ما قبل الآخر وللوصول - مثلاً - إلى اسم المفعول من «سارع نجى» بمضارعه المبني للمجهول «يسارع» ثم يدخل عليه التغيير السالف الذكر، فيكون اسم المفعول «مُسَارِعًا» نحو: «الخبر مُسَارِعٌ إِلَيْكَ»، واسم المفعول من «أوقد يوقد إيقاداً» هو كما جاء في قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ﴾ (2)، واسم المفعول من «أرخى» هو «مُرْخِي» كما ورد عن الشاعر طرفة بن العبد:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَ لِطَوْلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ (3). (4).

وهكذا: استخرج - يَسْتَخْرِجُ - مُسْتَخْرَجٌ - نحو: المُسْتَخْرَجُ من النفط في بلادنا يسد احتياجاتنا، مثل: «مترهة» و«مكرمة» في قول أبي تمام في وصف قصائده:

مَنْزَهَةٌ عَنِ لَسْرِقِ الْمَوْرَى مَكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمُعَادِ (5).

فالسباق في هذا البيت يُفهم من أن أبا تمام يريد بهذا الوصف أن يُضفي على قصائده صفات التزييه والتكريم في الحاضر والمستقبل وإن استعمل بناء (مفعول) المزيد بقوله «مترهة» و«مكرمة» فهذا البناءان هما (اسم مفعول) من حيث الصورة والشكل، أما من حيث المعنى الذي يفيد السياق في البيت كله فهما صفة مشبهة ثابتة دائمة ملازمة لقصائد أبي تمام المعروف بأصالته، وتقدمه، وبروزه في هذا المضمار الذي لا يشق له فيه غبار، ومن ثم فالشاعر لا يريد بهاتين الصفتين مجرد الدلالة على الحدوث والتجدد والطروء الذي يسيء إلى شعره عامة وقصائده المتعددة الأغراض

(1) _الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر الجاهلي امرئ القيس، الديوان، ص 27.

(2) _سورة الهزرة، الآية 6.

(3) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد البكري، الديوان، ص 35.

(4) _ بتصرف، عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 272.

(5) _ الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف - القاهرة، مصر، ط5، (د.ت)، ص 282.

والموضوعات على وجه الخصوص، فقصده كان تخليد شعره وتريهه من كل نقص وتشوه⁽¹⁾.

هذا واسم المفعول حين يضاف بقلّة إلى مرفوعه نحول قول الشاعر:

خُلِقْتُ الْوَفَا، وَلَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصِّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعِ الْقَلْبِ، بَأَكْبَا⁽²⁾.

والأصل-مُوجَعٌ قلبي- يظل مع إضافته لمرفوعه دالا على الحدوث كما كان قبل الإضافة إليه- وهذه الإضافة مع الدلالة على الحدوث قليلة، وهي مع قلتها جائزة لكنّها لا تساير الكثير من الأساليب الفصيحة المأثورة- إلا إن قامت قرينة تدل على أن المراد منه الثبوت والملازمة الدائمة فيصير صفة مشبّهة، لما أوضحناه وبالأمثلة والشواهد القرآنية والشعرية المختلفة من أن الأصل في اسم المفعول أن يدل على معنى حادث غير دائم الملازمة لصاحبه، فهو -عند عدم القرينة لفظية كانت أو معنوية- يدل على مجرد الحدوث الذي لا يشمل الماضي ولا المستقبل ولا يفيد الاستمرار⁽³⁾.

والكثير الغائب في اسم المفعول عدم إضافته إلى مرفوعه إلا إذا أريد تحويله إلى الصفة المشبهة، ليدل مثلها عن معنى ثابت دائم، لا حادث، وبشروط وجود القرينة التي تدل على ثبوتة ودوامه، وإذا صار صفة مشبّهة جاز في السببي الواقع بعده الرفع، على اعتباره «فاعلا» ولا يصح اعتباره نائب فاعل للصفة المشبّهة لأن الصفة المشبّهة لا ترفع نائب فاعل مطلقا، هذه الصفة المشبهة التي جاءت على صورة اسم المفعول⁽⁴⁾.

ويجوز فيه، أي: في السببي النصب على اعتباره «تشبيها بالمفعول به» إن كان معرفة، و«تمييزا» أو «تشبيها بالمفعول به» إن كان نكرة، ويجوز فيه، أي: السببي الجر على اعتباره مضافا إليه، ففي مثل: (أنت مرموق المكانة دائما، مسموع الكلمة، مُحَصَّنٌ خُلُقًا، مكملٌ علما) يجوز في الكلمات (المكانة- الكلمة- خلقا- علما) بتقدير لفظة (دائما) بعد كل كلمة من الكلمات السابقة التي بين قوسين على أنها معطوفة على بعض- الرفع على اعتبارها فاعلا للصفة المشبّهة، ويجوز فيها الجر لاعتبارها مضافا إليه، ويجوز فيها النصب، إما على التشبيه بالمفعول به إن كانت معرفة، وإما على التمييز أو على التشبيه بالمفعول به إن كان نكرة، ولا مناص من قيام قرينة لفظية أو معنوية تدل على أن المراد من الصيغة هو الصفة المشبّهة وليس اسم مفعول أما إذا أضيف اسم المفعول لمرفوعه

(1) _بتصرف، عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 272.

(2) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر أبي الطيب المتنبي، الديوان، مج4، ص 289.

(3) _ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج5، ص 90.

(4) _ عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 278.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير «ظلال القرآن» ...

يغير إرادة تحويله إلى الصفة المشبهة وبغير القرينة الدالة على إفادة الدوام - وهذه إضافة جائزة قليلة، كما سبق فإنه يظل محتفظ باسمه وبكل الأحكام النحوية والصرفية الخاصة به كما مر معنا.

ومن باب التأكيد والتوضيح نقول: إنه لا بد في اسم المفعول الذي يصير صفة مشبهة، أي: المقصود به إفادة الثبوت من أن يظل على صيغته الأصلية التي أوضحناها، لا الصيغة التي تنوب عنها نحو: «فعليل». بمعنى مفعول كجريح وقتيل، ونحو: «فعليلة» كالذبيحة والأكلة والضحية والنطحية، ونحو: «فعل» بكسر الفاء وسكون العين كقطع. بمعنى مطحون، ورععي. بمعنى مرعى، وطرح. بمعنى مطروح، وغيرها من هذه الأبنية والأوزان التي تندرج تحت هذا الإطار والتي ليس هنا مجال تفصيلها والتفصيل فيها⁽¹⁾.

كما أنه لا بد أن يكون مصدر فعله - في أصله - متعديا لمفعول واحد، ليكون هذا المفعول الواحد هو السببي الذي يصح في إعرابه الأوجه الثلاثة السالفة، فإن كان فعله لازما لم يصلح أن يصاغ منه اسم المفعول الصالح للانتقال إلى الصفة المشبهة، وكذلك إن كان فعله متعديا لأكثر من واحد، فإنه في الرأي الشائع لا يصلح، سواء ذكر مع السببي مفعول آخر أم لم يذكر، وفي هذا خلاف بين المجوزين والمانعين⁽²⁾.

ولكل حُجته وأدلته فليس هنا مقام عرضها وذكر تفصيلاتها ومناقشتها.

ومن الأمثلة لاسم المفعول المراد منه الصفة المشبهة ما ورد عنهم في رفع السببي على الفاعلية، وهو قول الشاعر من البحر الطويل:

بثوبٍ، ودينارٍ، وشاةٍ، ودرهمٍ فَهَلْ أَنْتَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَا هُنَا رَأْسٌ⁽³⁾.

وفي نصبه على التشبيه بالمفعول به قول الشاعر من الرجز

لو صُنْتَ طَرْفَكَ لَمْ تُرَعْ⁽⁴⁾ بِصَفَاتِهَا لَمَا بَدَتْ مَجْلُوءَةً⁽⁵⁾ وَجَنَاتِهَا⁽⁶⁾.⁽⁷⁾

(1) - جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج5، ص 99.

(2) - عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 277-278 بتصرف.

(3) - الشاهد من البحر الطويل قاتلة مجهول.

(4) - لم ترع: أي لا فزع ولا خوف، ابن منظور: لسان العرب؛ مادة (روع)؛ ج5، ص372.

(5) - مَجْلُوءَةٌ: وجلا الأمر، وجلا الأمر، وجلاب وجلى عنه: كشفه وأظهره، المصدر السابق، مادة (جلا)، ج2، ص 343.

(6) - وجناتها، مفردة وجنة، ما ارتفع من الخدين للشدق والمحجر، المصدر نفسه، مادة (وجز)، ج15،

(7) - جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج5، ص 103، وقائله: مجهول وهو من شواهد التصريح على

وفي جرّه قول الشاعر من الطويل:

تَمَّتْ لِقَائِي الْجَوْنُ⁽¹⁾ مَعْرُورٌ نَفْسِهِ فَلَمَّا رَأَى أَرْتَاعَ ثُمَّتِ⁽²⁾ عَرْدًا⁽³⁾. (4).

هذا وتدل كل من القرينة اللفظية والمعنوية وحدها - كما أسلفنا القول - على أن الصيغة ليست اسم مفعول، على الرغم من صورتها الظاهرة، وإذا لابد من قرينة تقوم بجانب الصيغة هنا - كما قامت في صيغة «مفعول» المصوغ من مصدر الثلاثي - لنبعد الوهم، ويجدد النوع، أهو اسم مفعول، أم صفة مشبهة قطعاً...»⁽⁵⁾.

واستناداً على ما سبق نستنتج أن بناء «مفعول» الذي هو «اسم مفعول» تأتي عليه حالات أو دلالات كما تأتي على اسم «الفاعل» و«صيغ المبالغة» من حيث درجة الحدوث والثبوت كالاتي:

1- الحالة الأولى: وهي الحالة الأصلية الغالبة عليه وهي حالة دلالاته على الحدوث والتجدد،

أي: عدم الدوام على صفة واحدة نحو قول امرئ القيس:

وإنَّ شِيفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ؟⁽⁶⁾.

فالشاهد هنا هو: مهراقة، فهو اسم مفعول للدّمع المصبوب الذي لا يطول ويتوقف.

2- الحالة الثانية: وهي الحالة التي تكون فيها دلالة الثبوت تتراوح بين الطول والقصر زمنياً،

وهي حالات تعرض ويتصف فيها بعض الناس والأشياء ببعض الصفات والمعاني قد تطول وقد تقصر من حيث المدة الزمنية التي تستغرقها أو يدومون عليها نحو قول الشاعر طرفه بن العبد:

=الشاهد في هذا البيت: كلمة «وجنّاهما» منصوبة على التشبيه بالمفعول به، بالكسرة النابتة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم للصفة المشبهة التي هي كلمة: مجلوة.

(1) _ الجون: من معاني «الجون» في اللغة: الأبيض أو الأسود، وهو هنا اسم رجل، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جون)، ج2، ص 426.

(2) _ تمت: بعني «ثم» حرف عطف، والتاء للتأنيث: المصدر السابق، مادة (ثم)، ج2، ص 132.

(3) _ عردا: فرّ هارباً، والتعريد أي الفرار: المصدر نفسه، مادة (عرد)، ج9، ص 123.

(4) _ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، - ج5، ص 103، قائله مجهول ومن سواهد التصريح على التوسيع على شرح ألفية ابن مالك، خالد الأزهرى، ج2، ص 72.

الشاهد في البيت كلمة: «نفسه» المحرورة بالإضافة للصفة المشبهة التي هي كلمة: مغرور.

(5) _ عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص ص 244-245.

(6) _ الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر امرئ القيس، الديوان، ص 27.

كأنّ كناسي⁽¹⁾. ضالة⁽²⁾. يُكنفأها⁽³⁾. وأطر⁽⁴⁾. قسيّ تحت صلب مؤيد⁽⁵⁾.⁽⁶⁾.

والشاهد في هذا البيت هو: مؤيد، وهو اسم مفعول للدّعم والتقوية قد يطول وقد يقصر.

3- والحالة الثالثة: وهي الحالة التي تكون فيها صيغة اسم المفعول وغيرها من مثيلاتها من

الصيغ صريحة الدلالة على الدوام، والاستمرار، والخلود، والبقاء نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾⁽⁷⁾ «والمسنون: الذي طالت مدة مكته وهو اسم مفعول من فعل سنه إذا تركه مدة طويلة تشبه السنة»⁽⁸⁾، ومن ثم فاسم مفعول «مسنون» في الآية الكريمة صفة مشبهة بها تم وثبت بصفة قطعية شرعية وعلمية أن الإنسان خلقه الله بهذه الصفة التي تتقوم من الترابية والرطوبة والتعفن وهو يعطي حرارة ضعيفة»⁽⁹⁾.

وإذا كان في الأخير لا بد من كلمة تقولها عن وزن مفعول الذي هو هنا «اسم المفعول» الذي يتحوّل من حين لآخر إلى الصفة المشبهة باسم الفاعل طبقاً للسياق الذي يرد فيه، أو القرينة التي قد تكون قرينة لفظية أو معنوية أو علمية أو عرفية أو اكتسابية نتيجة للاصطناع والحلية، والممارسة الطويلة المستمرة للفعل ونحوها.

لذا- في تقدير علمائنا- فلا مناص من إدراج هذا الوزن، وزن «مفعول» الذي هو: «اسم المفعول» الذي يتحوّل إلى دلالة الصفة المشبهة باسم الفاعل في هذا البحث بالوسائل السالفة الذكر، وقد عثرنا منه في مدونة تفسير «في ظلال القرآن» على كمّ لافلت للنظر حيث بلغ مجموعه إحدى وثلاثين صيغة، وكان الذي ورد في صيغة المعرفة ثلاثة وعشرين صيغة والذي جاء في صيغة النكرة ثماني صيغ وكان المنتقى المنجز منه المطبق عليه فعليا خمس صيغ من المعرف، وأربع صيغ من النكرة.

(1) _ الكناس: بيت يتخذة الوحش في أصل شجرة، ابن حماد الجوهري، الصّحاح، مادة (كنس)، ص 925.

(2) _ ضالة: السدر البرّي وهو ضرب من الشجر، المصدر السابق، مادة (ضيل)، ص 630.

(3) _ يكنفأه: كنف الشيء أكفّه: أي حطته وصنّته، المصدر نفسه، مادة (كنف)، ص 925.

(4) _ الأطر: عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه، ابن منظور، لسان العرب، مادة (أطر)، ج 1، ص 158.

(5) _ المؤيد: المقوى والتأييد: التقوية، من الأيد والآد، ابن حماد الجوهري، الصّحاح، مادة (أيد)، ص 66.

(6) _ الشاهد من البحر الطويل، للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، الديوان، ص 29.

(7) _ سورة الحجر، الآية 26.

(8) _ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 6، ج 14، ص 42.

(9) _ بتصرف، المصدر نفسه، مج 6، ج 14، ص 42.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير «ظلال القرآن» ...

-صيغة «مفعول» المعرفة (بأل):

إنَّ صيغة (مفعول) المعرفة قد وردت في كم قليل بحيث لم تتجاوز الثلاث والعشرين صيغة اكتفينا في تمثيلنا وتحليلاتها بخمس صيغ كما هو مبين في الجدول البياني أسفله.

-جدول بياني خاص بصيغة (مفعول) المعرفة ب(أل) المعرفة الواردة في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبرة التي وردت فيها الصيغة
1-	المحدود	24	21	...، والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض... ولا يستبدهم القلق على تحقيق جزاء سعيهم في عمرهم القصير المحدود.
2-	المطموس	42	14	كما علم الله من طبعهم المطموس العنيد
3-	المكرورة	59	09	...، إنَّ قضيّة الشجرة المحرّمة ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصّحوة بمهد السّكرة، والتّندم وطلب المغفرة... إنّها هي تجربة البشرية المتجددة، المكرورة.
4-	الملحوظ	60	21	...، إنّ النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان بخلافته في الأرض، عاملاً مهمّاً في نظام الكون، ملحوظاً في هذا النظام... فأين هذا المكان الملحوظ من ذلك الدّور الدليل الصغير الذي تخصّصه له المذاهب المادية، ولا تسمح له أن يتعدّاه؟
5-	المعقود	66	28	العهد المعقود بين فطرة الإنسان وبارته.

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة مفعول المعرفة (بأل) وهي: «والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض... ولا يستبد بهم القلق على تحقيق جزاء سعيهم في عمرهم القصير الحدود»⁽¹⁾.

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (حدد):

ومّا اجتهدنا في اختياره من معان عند التعريف بمادة (حدد) في المعاجم اللغوية الموثقة أن: «الحد: الحاجز بين الشيئين، وحد الشيء: منتهاه، وفلان حديد فلان: إذا كان أرضه إلى جنب أرضه، ومنه قيل للبواب: حدّاد، قال الأعشى:

فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصْحَ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا⁽²⁾

وهذا أمر حدّد، أي: منيع حرام لا يجل ارتكابه، ودعوة حدّد، أي: بأطلة، وقولهم: ما أجد منه محتداً ولا ملتداً، أي: بدأً⁽³⁾.

وفي اللسان: «وفصل ما بين كل شيء: حدّ بينهما، وحدود الله تعالى: الأشياء التي بين تحريمها وتحليلها وأمر أن لا يتعدى شيء منها، ورجل حديد وحُدّاد من قوم أجداء واجدة وأجداد: يكون في السكين واللّسن والفهم والغضب، والفعل من ذلك كله: حدّ يجد حدّة، وإنه كبين الحدّ كالسكين».

والحدّاء: قبيلة، قال الحارث بن حلزة:

لَيْسَ مِنَّا الْمُضَرَّبُونَ وَلَا قَيْسٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْهُدَاءُ⁽⁴⁾

وقيل: الحدّاء هنا اسم رجل⁽⁵⁾

وفي القاموس المحيط في التعريف بهذه المادة: «الحاجز بين شيئين ومنتهى الشيء، وحدّ السكين وأحدّها: مسحها بحجر أو مبرد فحدّت تحدّد حدّة واحتدّت فهي حديد، والحدود: المحروم والمنوع

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص24.

(2) - الشاهد: من البحر المتقارب، للشاعر الأعشى الأكبر (ميمون بن فيس)، الديوان، ص80.

(3) - الجوهري، الصحاح، مادة (حدد)، ص16.

(4) - الشاهد: من البحر الخفيف، للشاعر الحارث بن حلزة الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1991، ص37.

(5) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدد)، ج3، ص80-83.

من الخير»⁽¹⁾.

وأستناداً إلى هذا تتبع الجاد في التعريف بمادّة (حدد) في المعاجم اللغوية استبان لنا أن دلالتها الأصلية تأخذ مسار: الحد: الحاجز بين الشيئين، وحد الشيء منتهاه، والحدّ: الفصل بين الشيئين لثلا يحتلط أحدهما بالآخر وما إلى ذلك.

وإذا ما عدنا إلى لفظة (حدد) كما جاءت في سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصيغة: (المحدود) بزنة المفعول وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل المضارع المبني للمجهول المتعدي المتصرف حدّ يحدّ حدّاً نحو: حدّ الأرض: جعل لها حدوداً، وحدّ المذنب أقام عليه الحدّ وأدبه بما يمنعه ويمنع غيره من ارتكاب الذنب «وفي حقيقة الأمر أنّ هذا البناء أو الوزن ليس من أبنية وأوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل ولا ينتمي إليها إلا بكونه نوعاً من أنواع المشتقات الأصلية السبعة وهي: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعال التفضيل، واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة أما المصدر الميمي فعلى خلاف بين العلماء نتجاوزه هنا»⁽²⁾.

لنواصل القول: إنّ صيغة "المحدود" هو وزن اسم المفعول، وهو اسم مصوغ من مصدر الفعل المبني للمجهول⁽³⁾ للدلالة على الحدّ والحُدوث وذات المفعول نحو: مقتول ومأسور، فهو - كما يبدو لك - لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف، فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل نحو: قائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول نحو: منصور⁽⁴⁾، «ولا يؤخذ اسم المفعول من اللازم إلا إذا كان نائب فاعله ظرفاً أو مصدراً (متصرفين محتصين) أو جاراً ومجروراً نحو: ما مُجتمَع اليوم، وهل مُحتفلٌ احتفالٍ عظيم، وأنت مفروحٌ بحضورك»⁽⁵⁾.

ويقال في اسم المفعول ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالته على الحدوث والثبوت، فهو يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة، فقد تقول: أنك ستنتصر عليهم؟ فيقال: (أنا منصور) أي: أن هذا الوصف ثابت لي، وتقول: أتظنّه سيُغلب؟

(1) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (حدد)، مج1، ص ص 286-287.

(2) - عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 182.

(3) - أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج3، ص ص 423-424.

(4) - فاضل صالح السمرائي، معاني الأبنية في العربية، ص 52.

(5) - السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج "متن الألفية" لابن مالك وخلاصة الشرح لابن هشام وابن عقيل والأشموني، دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، سنة 1354هـ، ص 312.

فَيُقَالُ: (هو مَغْلُوب) أي: أن هذا الوصف كأنه قد تَمَّ وثبت له»⁽¹⁾

ومن تَمَّ يَصِحُّ جعل صيغة "المحدود" التي هي على وزن مَفْعُول صفةً مشبهة تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار يُرشد إلى ذلك أنه تَمَّ وثبت بالمعاينة والنظر العلمي في الكائنات أنها صفة ثابتة مُلازمة دائمة في حق الموصوف الإنسان ذي العُمُرِ القَصِيرِ "المَحْدُودِ" الذي قلما يَتَجَاوَزُ التَّسْعِينَ سنةً مما فوق وعلى المستوى التركيبي، أي: الأسلوبى نرى أن صيغة "المحدود" جاءت مفردة مذكرة معرفة ب(أل) العهدية، أي التي تشير إلى معهود أو موصوف مخصوص معلوم معين ممثل في العمر القصير الذي يُحِيلُ عليه الضمير المستتر في صيغة "المحدود" دون غيره من الأشياء التي يمكن أن تَرَحُّمُهُ في هذا الوصف نحو: العقل "المحدود" والطاقة "المحدودة" والعلم "المحدود" وغيرها.

وَحَرِيٌّ بنا هنا أن نُركِّزَ على المستوى العقدي الذي يبدو- في نظرنا- هنا أهم شيء في عبارات النص وسياقه رابطتين إياه بقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽²⁾ جاء في الكشاف عن تأويل هذه الآية قوله: «قرئ: مالك ومَلِكٌ بتخفيف اللام، وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: مَلِكٌ يوم الدين، بلفظ الفعل ونصب اليوم، وقرأ بوهريرة رضي الله عنه: مَالِكٌ بالنصب، وقرأه غيره: مَلِكٌ، وهو نصب على المدح، ومنهم من قرأ: مَالِكٌ، بارفع، ومَلِكٌ: هو الاختيار، لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾⁽³⁾ ولقوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾⁽⁴⁾ ولأن المَلِكُ يعم والمَلِكُ يخص، ويوم الدين: يوم الجزاء ومنه قولهم «كَمَا تَدِينُ نُدَانٌ» وبيت الحماسة من الهزج:

وَلَمْ يَيْقُقْ سِوَى السُّعِ سَدَوَانَ دِتَّاهُمُ كَمَا دَانُوا⁽⁵⁾

فإن قلت: ما هذه الإضافة؟ قلت: هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع مُجْرَى مَجْرَى المفعول به كقولهم: يَا سَارِقِ اللَّيْلَةِ أَهْلِ الدَّارِ، والمعنى على الظرفية.

ومعناه: مالك الأمر كله في يوم الدين، كقوله: «لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ»، فإن قلت: إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقة فلا تكون مُعْطِيَةً معنى التعريف، فكيف سَأَغُ وقوعه صفةً للمعرفة؟ قلت: إنما تكون غير حقيقة إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال، فكان في تقدير الانفصال، كقولك:

(1)-فاضل صالح السمراي، معاني الأنبياء في العربية، ص 52.

(2)-سورة الفاتحة، الآية 4

(3)-سورة غافر، الآية 16.

(4)-سورة الناس، الآية 2.

(5)-الشاهد: من بحر الهزج، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، ج2، قافية(نون)، ص993.

مالك الساعة، أو غدا، فأماً إذا قُصِدَ معنى الماضي كقولك: هو مالكٌ عبدهُ أمس، أو زمان مستمر، كقولك: زيدٌ مالكٌ العبيد، كانت الإضافة حقيقة، كقولك: مولى العبيد، وهذا هو المعنى في «مَلِكٌ يوم الدين»، ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين، كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾⁽¹⁾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾⁽²⁾ والدليل عليه قراءة أبي حنيفة: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ، وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه رباً مالِكاً للعالمين لا يخرج منه شيء من ملكوته وربوبيته، ومن كونه مُنعمًا بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق، ومن كونه مالِكاً للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمديّة وأنه به حقيق في قوله: الحمد لله - دليل على أنّ من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحقّ منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله»⁽³⁾

ومما جاء في ظلال القرآن عن تأويل آية «ملك يوم الدين» قوله: «وهذه تمثل الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها كلية الاعتقاد بالآخرة..، والملك أقصى درجات الاستيلاء، والسيطرة، ويوم الدين هو الجزء في الآخرة وكثيرا ما اعتقد الناس بألوهية الله، وخلقه للكون أول مرة، ولكنهم مع هذا لم يعتقدوا بيوم الجزاء.. والقرآن يقول عن بعض هؤلاء: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾ ثم يحكي عنهم في موضع آخر: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾⁽⁵⁾ ﴿إِذْ آمَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ﴾⁽⁵⁾

والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض، فلا تستبد بهم ضرورات الأرض، وعندئذ يملكون الاستعلاء على هذه الضرورات، ولا يستبد بهم القلق على تحقيق جزاء سعيهم في عمرهم القصير "المحدود" وفي مجال الأرض المحصور، وعندئذ يملكون العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يُقدِّره الله، في الأرض أو في الدار الآخرة سواء، في طمأنينة الله، وفي ثقة بالخير، وفي إصرار على الحق، وفي سعة وسماحة ويقين..ومن ثم فإن هذه الكلية تُعد مفرق الطريق بين العبودية للذوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية

(1)-سورة الأعراف، الآية 44.

(2)-سورة الأعراف، الآية 48.

(3)-أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، الحجّة في علل القراءات السبع، تحقيق: علي نجدي ناصف، عبد الحلیم النجار، عبد الفتاح شلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، سنة 1983م، ج1، ص5-9، الزمخشري، الكشاف، ج1، ص10.

(4)-سورة لقمان، الآية 25.

(5)-سورة ق، الآية 2، 3.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

اللائقة ببني الإنسان، بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمتها وموازينها والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية، مفرق الطريق بين الإنسانية في حقيقتها العليا التي أَرادها الله الربَّ لعباده، والصور المشوّهة المنحرفة التي لم يُقدّر لها الكمال، وما تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرفيع ما لم تتحقّق هذه الكلية في تصوّر البشر، وما لم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض في عمرهم القصير "المحدود" ليس هو نصيبهم الأخير، وهنا لم يثق الفرد "المحدود" العُمر بأن له حياة أخرى تستحق أن يُجاهد لها، وأن يُضحّي لنصرة الحق والخير معتمدا على العوض الذي يلقاه فيها..

يقول المولى عزّ وجل ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾⁽¹⁾ ويقول ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾⁽²⁾ وما يستوي المؤمنون بالآخرة والمنكرون لها في شعور ولا خلق ولا سلوك ولا عمل، فهما صنفان مختلفان من الخلق، وطبيعتان متميزتان لا تلتقيان في الأرض في عمل ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء.. وهذا هو مفرق الطريق..⁽³⁾

وماذا عسى الإنسان هذا العبد الضعيف أن يفعل في هذا العمر القصير "المحدود" خاصة إذا هو لم يمثل لأوامر ربه ونواهيه التي توصيه وتلح عليه باستثمار وقته، وحسن استغلال مراحل عمره القصير "المحدود" فيما يعود عليه بالنفع والخير في العاجل والآجل؟

فالعبد المؤمن الموصول باستمرار بمولاه مقيد ضمن ثلاثة محاور: محور العمر القصير "المحدود" الذي ليس له فيه اختيار تمديده أو الزيادة فيه، ومحور الواجبات والأعمال المنوطة بعنقه وهو محاولة التوفيق بين حاجاته الدنيوية وتكاليف الآخرة التي لا تنفصل عن بعضها في منظور العقيدة الإسلامية ثم محور التعلق المستمر بالآخرة التي ينال فيها جزاء عمله في الدنيا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾⁽⁴⁾ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾⁽⁵⁾ فالإنسان في الإسلام وفي القرآن الكريم بالذات يقرّر مصيره بيده في الدنيا والآخرة، وهو الذي يرسم طريق سعادته أو شقائه بنفسه فلا يلو من إلا نفسه يقول القرآن الكريم: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ

(1)-سورة الأعلى، الآية 17.

(2)-سورة الإسراء، الآية 72.

(3)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص ص24-25.

(4)-سورة المدثر، الآية 38.

(5)-سورة الزلزلة، الآية 7، 8.

مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفْسِكَ ﴿١﴾ أي: ما يصيب الإنسان من خير، فكله بتوفيق من الله وتيسيره، وما يُصيبه من شر فمن صنع يده؟ وهو المسؤول عنه لا غيره؟.

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة مفعول المعرفة (بأل) وهي: (٢) (كما عَلِمَ اللهُ مِنْ طَبَعِهِمُ الْمَهْمُوسَ الْعَنِيدَ):

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (طمس):

ومما تمكنا من انتقائه في التعريف بمادة (طمس) مما ورد في المعاجم اللغوية قوله: «وَ طُمِسَ البصر، ورجل مطموس وطميس: لا شقَّ بين جفنيه، ومن المجاز: رجل طامس القلب: مَيَّته لا يعي شيئاً، ونجم طامسٌ ذاهب الضوء، وقد طَمَسَ الْعَيْمُ النَّجُومَ» (٣).

وفي اللسان: «الطَّمُوسُ: الدُّرُوسُ والانمحاء، وطمس الطريقُ وطَسَمَ يَطْمِسُ وَيَطْمُسُ طُمُوساً: دَرَسَ وَاَمَّحَى أثره، وطمسته طَمَساً يتعدى ولا يتعدى قَالَ شَمِيرٌ: طُمُوسُ الْبَصَرِ: ذَهَابُ نوره وضوئه، وكذلك طُمُوسُ الْكَوَاكِبِ: ذَهَابُ ضوئها، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

فلا تَحْسِبِي شَجِي بِكِ الْبَيْدَ كُلَّمَا تَلَأَلَا بِالْعُورِ النَّجُومُ الطَّوَامِسُ (٤)
وَ طَمَسَ بَعِينَهُ: نَظَرَ نَظْرًا بَعِيدًا» (٥)

ومما ورد في القاموس عن التعريف بمادة (طمس) قوله: «الطَّمُوسُ: الدُّرُوسُ والامحاء يَطْمُسُ وَيَطْمِسُ وَ طَمَسْتُهُ طَمَسًا مَحَوْتُهُ، والشْيءُ: اسْتَأْصَلْتُ أَثْرَهُ، وَمِنْهُ ﴿فَإِذَا النَّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٦) ﴿أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ (٧) أَهْلِكَهَا» (٨).

حينما تعقبنا مادة (طمس) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن الدلالة الرئيسة لهذه المادة يجري معظمها في: الطموس هو الدروس والانمحاء، وطمس الطريق ويطمس طموساً: درس وامحى أثره،

(١)-سورة النساء، الآية 79.

(٢)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص42.

(٣)-الزمخشري، أساس البلاغة، مادة(طمس) ج2، ص80.

(٤)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر ذي الرمة، الديوان، ص149.

(٥)-ابن منظور، لسان العرب، مادة(طمس)، ج8، ص200-201.

(٦)-سورة المرسلات، الآية 8.

(٧)-سورة يونس، الآية 88.

(٨)-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(طمس) مج2، ص227.

وانطمس الشيء وتَطَمَّس: أمحى ودرس وما شابه ذلك.

وإذا ما تحولنا بأنظارنا إلى لفظة (طمس) وكيف جاءت في سياق النص نراها قد وضعت في هذه الصيغة "المطموس" بزنة المفعول وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل المضارع المبني للمجهول اللازم المتصرف، ويأتي لازماً نحو: طمسَ يطمسُ طموساً بمعنى بُعد، يُقال: لا أدري أين طمسَ، أي: ذهب، ويأتي متعدياً نحو: طمسَ يطمس الشيء، أي: محاه أو أهلكه أو غطاه واستأصل أثره وقد ورد في القرآن الكريم لازماً ومتعدياً⁽¹⁾.

والأصل في بناء المفعول أن يدل على الحدث والحدوث وذات المفعول لا الدلالة على الثبوت والدوام والاستمرار، بيد أن صيغة "مفعول" هذه التي هي اسم المفعول قد تخرج عن القاعدة الأصل وتدخل في الدلالة على الثبوت إذا ما توفرت بعض الشروط وبعض الأحكام النحوية والصرفية والمقامات السياقية العارضة، ومن أمثلة هذا من الشواهد التي أُجْرِيَ فيها بناء اسم المفعول مجرى الصفة المشبهة ما أورده سيبويه في الكتاب، وقال عمرو بن شأس، وقد مر معنا:⁽²⁾

وَلَا سَيِّئِي زِيٍّ إِذَا مَا تَلَبَّسُوا إِلَى حَاجَةٍ يَوْمًا مُخَيَّسَةً بُزْلاً⁽³⁾

والشاهد في هذا البيت هو "مخيسة" أي مذلة بالركوب، أي: الإبل، فاستعملها للركوب باستمرار وترويضها عليه وطول ممارستها لهذه الخدمة جعلها كأنها صفة ثابتة وخلقة لازمة لها، معروفة، وبهذا اكتسبت صفة الثبوت والدوام والاستمرار من هذا الجانب، فكانت بذلك صفة راسخة فيها⁽⁴⁾.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الوزن وحده غير كافٍ في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام فلا بدمعه من القرينة التي تُعَيِّن أحدهما وتزيل عنه اللبس والاحتمال كي يمكن الجزم بعد ذلك في دلالة المعنوية لا الشكلية-اسم مفعول، أو صفة مشبهة وهذا الكلام أو الأحكام السابقة بحذفها تنسحب أيضاً على صيغة "المطموس" التي وردت في النص الذي معنا حيث ثبت وتم في علم الله الأزلي المسبق هذا الطبع "المطموس" العنيد عند هؤلاء الكفار الذي يتساوى فيهم الإنذار وعدم الإنذار، وبناء على ما سبق من الأدلة تصير صيغة "المطموس" هنا صفة مشبهة باسم الفاعل

(1)-انظر: سورة يس الآية 66، القمر، الآية 37، النساء، الآية 47، يونس الآية 88، المرسلات الآية 8.

(2)-انظر: ص 58، 59 من البحث.

(3)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر عمرو بن شأس الأسدي، الديوان، ص 72.

(4)-سبويه، الكتاب، ج 1، ص 197.

تدل على الثبوت والدوام، والاستمرار ذي المدى الطويل الذي لا يعلم منتهاه أو غايته إلا الله عز وجل في لوحه المحفوظ لا الدلالة على الحدوث والتجدد والتغير السريع المفاجئ، فالقرينة هنا معنوية لا لفظية لأن السياق والمعنى هو الذي جعل الصيغة تفيد الثبوت لا الحدوث، وقد وردت الصيغة كذلك في قالب المفرد المذكر المعرف ب(أل) العهدية التي توميء إلى معهود مخصوص، أي: موصوف معلوم محدد زاد المعنى إيضاحاً وقرباً وحضوراً وقوة وتمييزاً عن غيرها من الأوصاف التي تعرض للموصوف فهو ليس طبعاً مَرِناً رُضياً متكيفاً، منفتحاً، منكشفاً، بصيراً بل هو الطبع "المطموس" هكذا طبيعته وديدانه، ودأبه تصلباً وعناداً، وكبراً وعجرفة وتَعَطُّساً، وبالعودة إلى السياق الخارجي للنص واستنطاق إيجاءاته، نرى القرآن الكريم يقول في شأن هؤلاء القوم ذوي الطبع "المطموس" العنيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾

وقد جاء في الكشف: الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء يضرب الخاتم عليه كتماً له وتغطية لتلا يتوصل إليه ولا يُطَّلَع عليه.

وَالغِشَاوَةُ: الغطاء فعالة من غشاه إذا أعطاه، وهذا البناء لما يَشْتَمِلُ على الشيء كالغِصَابَةِ والعِمَامَةِ، فإذا قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، وكذلك الأمر بالنسبة للطبع "المطموس"، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل.

أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرهما من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها توجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تحتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تحتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وَحُجِبَتْ، وحيل بينها وبين الإدراك فصارت كالطبع "المطموس" وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضُربَ حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية فإن قلت: فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن

(1) -سورة البقرة، الآية 6، 7.

فِعْلُ الْقَبِيحِ عَلَوًّا كَبِيرًا لِعِلْمِهِ بِقَبْحِهِ وَعِلْمِهِ بِغِنَاهِ عَنْهُ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى تَتْرِيهِ ذَاتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾⁽¹⁾ أَي: نَفِي نِسْبَةِ الظُّلْمِ إِلَيْهِ وَصِيغَةُ "ظَلَامٌ" لَيْسَ لِلْمَبَالِغَةِ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا ظَلَمْتَنَّهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾⁽³⁾ وَنظَائِرُ ذَلِكَ مِمَّا نَطَقَ بِهِ التَّتْرِيلُ؟ قُلْتُ: الْقَصْدُ إِلَى صِفَةِ الْقُلُوبِ بِأَنَّهَا كَالْمَخْتُومِ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا إِسْنَادُ الْخْتَمِ أَوْ الطَّمْسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَنْبَغِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي فِرْطِ تَمَكُّنِهَا وَثَبَاتِ قَدَمِهَا كَالشَّيْءِ الْخَلْقِيِّ غَيْرِ الْعَرْضِيِّ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ: فَلَانَ مَجْبُولٌ عَلَى كَذَا وَمَفْطُورٌ عَلَيْهِ، يُرِيدُ أَنَّهُ بَلِيغٌ فِي الثَّبَاتِ عَلَيْهِ»⁽⁴⁾

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾⁽⁵⁾ إِنَّهُ تَعَالَى حَكِي هَهُنَا مَا وَقَعَ وَهُوَ طَمَسَ الْعَيْنَ وَإِذْهَابَ ضَوْئِهَا وَصَوْرَتِهَا بِالْكَلِيَّةِ حَتَّى صَارَتْ وَجُوهُهُمْ كَالصَّفْحَةِ الْمَلْسَاءِ وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ الْإِنْكَارَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ وَقَعَ، وَأَمَّا هُنَاكَ فَقَدْ خُوفَهُمْ بِالْمُمْكِنِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ فَاخْتَارَ مَا يَصَدِّقُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَيَعْرِفُ بِهِ وَهُوَ الطَّمْسُ عَلَى الْعَيْنِ، لِأَنَّ إِطْبَاقَ الْجَفْنِ عَلَى الْعَيْنِ أَمْرٌ كَثِيرُ الْوُقُوعِ وَهُوَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ فَقَالَ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾⁽⁶⁾ وَمَا شَقَقْنَا جَفْنَهُمْ عَنْ عَيْنِهِمْ وَهُوَ أَمْرٌ ظَاهِرُ الْإِمْكَانِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ وَالطَّمْسُ عَلَى مَا وَقَعَ لِقَوْمِ لُوطٍ نَادِرٌ، فَقَالَ: هُنَاكَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ⁽⁷⁾

إِنَّ لَفْظَةَ (الطَّمْسُ) هُنَا جَاءَتْ مَحْتَلَّةً مَوْضِعَهَا الْمُنَاسِبُ، مَعْبَرَةٌ تَعْبِيرًا دَقِيقًا وَاضِحًا مُؤَثِّرًا لِأَنَّ الطَّمْسَ هُنَا يَقْصَدُ بِهَا التَّغْطِيَةَ وَالتَّغْشِيَةَ الْكَامِلَةَ عَلَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ مَعًا، كَمَا جَاءَتْ لَفْظَةَ (الطَّمْسُ) مَوْحِيَةً بِتَقْلِ هَذِهِ التَّغْطِيَةِ وَضَخَامَتِهَا، وَرَسُوخِهَا وَاحْتَوَائِهَا لِلْبَصِيرَةِ كُلِّهَا بِحَيْثُ يَشَقُّ عَلَى الْمَرْءِ التَّخْلُصَ مِنْهَا وَاقْتِلَاعَهَا مِنْ جَدُورِهَا الضَّارِبَةِ فِي أَعْمَاقِ هَذَا الطَّبَعِ الْيَهُودِيِّ الْمَتَعَنَّتِ الْعَنِيدِ...

(1)-سورة ق، الآية 29.

(2)-سورة الزخرف، الآية 76.

(3)-سورة الأعراف، الآية 28.

(4)-الزمنشري، الكشاف، ج1، ص ص 25-26.

(5)-سورة القمر، الآية 37.

(6)-سورة يس، الآية 66.

(7)-الرازي، التفسير الكبير، مج15، ص 61.

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (مفعول) معرفة بـ(أل) هي: «إِنَّ قِصَّةَ الشَّجَرَةِ الْمُحْرَمَةِ وَوَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ بِاللَّذَّةِ، وَنَسِيَانَ الْعَهْدِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالصَّحْوَةَ بَعْدَ السُّكْرَةِ، وَالتَّدْمَ وَطَلَبَ الْمَغْفِرَةَ... إِنَّهَا هِيَ تَجْرِبَةُ الْبَشَرِيَّةِ الْمُتَجَدِّدَةِ الْمَكْرُورَةِ»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (كرر):

ومما اجتهدنا في انتقائه عند التعريف بمادة (كرر) في المعاجم اللغوية المحكمة أن «الكر: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار، والكر كرة: صوت يردده الإنسان في جوفه، وقال شمر: الكر كرة: من الإدارة والتردد، وهو من كرّ وكركر، وكر كرة الرحي: تردّدها، وكرس مكر مفر: إذا كان مؤدّباً طيّعاً، إذا انعطف مسرعاً، وإذا أراد رايبه الفرار عليه فرّ به»⁽²⁾

وعن ابن منظور (ت 711هـ) في اللسان: «الكر: الرجوع، والكر: مصدر كرّ عليه يكرّ كراً وكُروراً وتكراراً: عطف، وكرّ عنه: رجع، الكرّ: جنس من التياض الغلاظ»⁽³⁾ وفي الصحاح: «قال أبو سعيد الضير (4) قلت لأبي عمرو: ما الفرق بين تفعال وتفعّل؟ فقال: تفعال بالكسراسم، وتفعّل بالفتح مصدر وتكرّراً الرجل في أمره تردّد»⁽⁵⁾

وبعد هذا التقصي المتمعن في مادة (كرر) كما وردت في المعاجم اللغوية ألفيناً دلالتها الرئيسة تدور حول معاني: الكر: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار، والكر كرة: صوت يردده الإنسان في جوفه، وكر كرتّه عن كذا: إذا رددته، وكر عنه: رجع، وما مائل ذلك من هذه المضامين الذي يجري معظمه في مجرى واحد نحو: دلالة القهقري، والرجوع، والانسحاب والفر.

وإذا عدنا إلى لفظة (كرر) كما وردت في سياق النص نلاحظها قد وضعت في هذه الصيغة "المكرورة" وهو بناء ليس في واقع الأمر من أبنية الصفة المشبهة إنما هو بناء اسم المفعول الذي يدل - في الأصل - على الحدث والحدوث وذات المفعول لا على الثبوت والدوام، غير أنه في مثل هذه الحال لا ينبغي أن يُعول على الوزن وحده لأنه، أي: الوزن - وحده - غير كاف في الدلالة على الحدوث أو

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 59.

(2) - الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (كرر)، مج 4، ص 3123-3125.

(3) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرر) ج 12، ص 64-66.

(4) - أحمد بن خالد، أبو سعيد الضير البغدادي اللغوي، كان عالماً باللغة جداً، صنف: الردّ على أبي عبيد في غريب الحديث،

والغريب المصنف، وكتاب الأبيات، السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص 305.

(5) - الجوهري، الصحاح، مادة (كرر)، ص 908.

الثبوت والدوام فلا بدمعه من القرينة التي تُعَيِّن أحدهما وتزيل عنه اللبس والاحتمال كي يمكن القطع بعد ذلك في دلالاته المعنوية لا الشكلية، اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو غيرهما.

وهذا الحكم السابق نفسه ينسحب على صيغة "المكرورة" التي وردت في النص الذي نحن بصدد دراسته المتمثل في قوله: «إنما هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة» إنها تجربة إنسانية التي تتكرر في كل لحظة، وفي كل يوم، ومع الأجيال، وفي جميع العصور، وفي كل زمان ومكان.

ومن اللافت للنظر أن تكرار العمل، وطول ممارسة الشيء، والمواظبة عليه، وعدم القدرة على الانفكاك منه والتفلسف يجعله كالطبيعة، والسجية الراسخة في الإنسان يعيشها على مرّ العصور، وكر الدهور، إنها خلافة آدم في الأرض، وابتلاؤه الأبدى المقدر له على هذه الأرض بهذه الخلافة الشريفة التي كرمه الله بها ورفع من شأنه بها على سائر المخلوقات.

وبناء على هذا الاستدلال المتأني المتعمّن تكون صيغة "المكرورة" الواردة في النص صفة مشبهة باسن الفاعل تدل على الثبوت والدوام والاستمرار والملازمة لا الدلالة على الحدوث والتغير وذات المفعول، وهي بذلك تجري عليها سائر أحكام الصفة المشبهة الإعرابية والصرفية: وعلى المستوى الأسلوبي، أي: النحوية والصرفية فقد وردت صيغة "المكرورة" في بناء المفرد المؤنث المعرف ب(أل)، و(أل) هنا هي العهدية، أي: التي تدل على معهود مخصوص معين معلوم، المثلة في الموصوف الذي هو "التجربة" التي يشير إليها الضمير المستتر في صيغة "المكرورة" وهي "التجربة" الفريدة المتميزة عن غيرها من التجارب التي تمرّ بها المخلوقات الأخرى الدنيا أو العليا، وإذا ما انتقلنا إلى السياق الخارجي للنص نلاحظ من أول وهلة انكشاف ميدان المعركة "المكرورة" الخالدة الثابتة الأبدية، المعركة بين خليقة الشر إبليس في إبليس، وخليفة الله في الأرض، المعركة "المكرورة" الخالدة الدائمة في ضمير الإنسان، المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته، ويعد عن ربه ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (1) ﴿(2)

لقد أُيِّحَتْ لهُمَا كُلُّ ثَمَارِ الْجَنَّةِ...إلا شجرة...شجرة واحدة، ربّما كانت ترمز للمحظور الذي لأبد منه في حياة الأرض، فبغير محظور لا تثبت الإرادة، ولا يتميّز الإنسان المرید من الحيوان

(1) -سورة البقرة، الآية 35

(2) -سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ص 58

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

المسوق، ولا يُمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط، فالإرادة هي مفرق الطريق، الذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمية، وكو بدوا في شكل الآدميين! ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (1)

ويأ للتعبير المصوّر: "لهما" إنه لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها، وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يُزحزحهما عن الجنة، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوي!

عندئذ تمت التجربة: نسي آدم عهده، وضعف أمام الغواية، وعندئذ حقت كلمة الله، وصرح قضاؤه: ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (2)

وكان هذا إيذانا بانطلاق المعركة المتجددة "المكرورة" الخالدة في مجالها المقدر لها، بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان.

ونفض آدم من عثرته، بما ركب في فطرته، وأدركته رحمة ربه التي تدركه دائماً عندما يثوب إليها، ويلوذ بها. ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَّ أَلَيْسَ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (3)

وتمت كلمة الله الأخيرة، وعهده الدائم مع آدم وذريته، عهد الاستخلاف في هذه الأرض، وشرط الفلاح فيها أو البوار. ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (38) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (4)

وانتقلت المعركة المتجددة "المكرورة" الأبدية الخالدة إلى ميدانها الأصيل وانطلقت من عقالها ما تهاداً لحظةً وما تفتراً، وعرف الإنسان في فجر البشرية كيف ينتصر إذا شاء الانتصار، وكيف ينكسر إذا اختار لنفسه الخسار...» (5).

(1) -سورة البقرة، الآية 36.

(2) -سورة البقرة، الآية 36.

(3) -سورة البقرة، الآية 37.

(4) -سورة البقرة، الآيتان 38، 39.

(5) -بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص58.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

إن لفظة (المكرورة) ضمن السياق العام للنص وبمعناها اللغوي الصريح وبأصوات حروفها التي فيها تكرار قبل البناء الذي وردت فيها تفيد معنى التجدد والتكرار الطويل المستمر، إضافة إلى نوع الجملة الاسمية المبتدئة بـ(إنّ) والمتكونة من اسمها وخبرها المؤكدة بضمير الفصل هكذا: (إنها هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة)، إنها تجربة البشرية مع الشيطان عبر الأجيال الغابرة، منذ نزول آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة إلى الأرض...

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (مفعول) المعرفة بـ(أل) هي: إنَّ النظرة القرآنية تجعل هذا الانسان بخلافته في الأرض، عاملاً مهماً في نظام الكون، ملحوظاً في هذا النظام.. فأين هذا المكان الملحوظ من ذلك الدور الدليل الصغير الذي تُخصَّصُه له المذاهب الماديّة، ولا تَسمح له أن يتعداه!«⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظه (لحظ):

والمتبع لمادة (لحظ) بتأمل وتريث في المعاجم اللغوية المثبة يجد أنّها تعرفها كالتالي: «لَحَظَهُ ولحظ إليه، أي: نظر إليه بمؤخر عينيه، واللحّاظ بالفتح: مؤخّر العين، واللحّاظ بالكسر: مصدر لا حَظُّه: إذا راعيته»⁽²⁾

وفي اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله: «لَحَظَهُ يَلْحَظُهُ لَحْظاً وَلَحْظَاناً ولحظ إليه: نظر بمؤخر عينه من أيّ جانبيه كان، يمينا أو شمالا، وهو أشد التفاتا من الشّزر، وفي حديث النبي ﷺ «جُلُّ نَظْرِهِ الملاحظة»⁽³⁾ ولحّاظ الدار: فِناؤها، ولحظة: اسم موضع قال النّابغة الجعدي:

سَقَطُوا عَلَى أَسَدٍ بِلَحْظَةٍ مَشَى — بُوْحِ السَّوَاعِدِ بِأَسَلٍ جَهْمِ⁽⁴⁾

ومما جاء في أساس البلاغة عن التعريف بهذه المادة: «ومن المجاز: أحوالهم متشاكلة مُتلاحظة، وتقول: أنا عنده محفوظ محظوظ، بعين العناية ملحوظ»⁽⁵⁾

وحين عَرَضْنَا الموجز لمادة (لحظ) الواردة في المعاجم اللغوية تكشف لنا أن دلالتها الأساسية الأصلية تدور في مُعظمها حول معاني: اللّحّاظ بالفتح: مؤخّر العين، واللّحّاظ بالكسر: مصدر لاحظته، ولحظه ولحظ إليه أي نظر إليه بمؤخر عينيه، ولاحظته، إذا راعيته، وما شابه ذلك من هذه المدلولات التي تحط جميعا في دلالة واحدة هي النظر بمؤخر العين والنظر شزرا وسرقة وغيرها.

(1)- المصدر السابق، مج1، ج1، ص60.

(2)- الجوهري، الصّحاح، مادة (لحظ)، ص941.

(3)- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2 دون تاريخ، ج22، ص155.

(4)- الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر النابغة الجعدي، الديوان، جمع وتحقيق وشرح واضح الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1998م، ص168.

(5)- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (لحظ)، ج2، ص334-335.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

وإذا ما تحولنا إلى معنى الصيغة كما وردت في سياق النص نراها قد وُضعت في هذه الصيغة "الملحوظ" بزنة المفعول، وهو وصف مصوغ من الفعل المضارع المبني للمجهول، ويكون متعديا نحو: لحظه كيف يُصلي، ويكون لازما نحو: لحظ إلى فلان وهو يتوضأ.

والجدير بالذكر -دائما- أن الأصل في زنة المفعول الذي هو بناء اسم المفعول الدلالة على الحدث والحدوث وذات المفعول لا الدلالة على الثبوت والدوام، بيد أنه في مثل هذه السياقات المتبدلة لا ينبغي أن يُعَوَّل على الوزن وحده لأن الوزن بمفرده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام فلا بدمعه من القرينة التي تعين أحدهما وتزيل عنه اللبس والاحتمال كي يمكن الجزم بعد ذلك في دلالة المعنوية لا الصورية -اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو غيرهما⁽¹⁾.

وهذا الكلام السابق نفسه ينطبق على صيغة "الملحوظ" التي وردت معنا في النص الذي نحن بصدد درسه وتحليله في قوله: «فأين هذا المكان "الملحوظ" من ذلك الدور الذليل الصغير الذي تُخصَّصه له المذاهب المادية، ولا تُسمح له أن يتعداه؟» فاللحظية لمكان الإنسان في الأرض -وهي صفة ملازمة ثابتة دائمة- قد تَمَّت وثبتت وانتهى أمرها قبل نزول آدم إلى الأرض في حساب نظام الكون وصورته، ومن ثم فالقرينة المعنوية -هنا- لا الشكلية ترمز من قريب جدا إلى أن صيغة "الملحوظ" صفة مشبهة باسم الفاعل -لا اسم مفعول- تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وعلى المستوى التركيبي أي: الأسلوبى نلاحظ ووصف "الملحوظ" جاء مفردا، مذكرا، معرفا ب(أل) التعريف، و(أل) هي: (أل) العهدية التي ترمز إلى معهود، أي: موصوف مخصوص معلوم معين دون سواه من الموصوفين نحو: المقام، والمجال، والمحل، والمجلس وغيرها، ذلكم التعريف الذي زاد المعنى وضوحا، وقوة، وقربا، وحضورا ومشاهدة عينية حسية، يدل على ذلك كله أيضا اسم الإشارة الذي جاء في أول الجملة في قوله: «فأين هذا المكان الملحوظ» ثم أداة الاستفهام التي خرجت عن معناه الحقيقي الأصلي إلى معنى مجازي مفاده: النفي والإبعاد، أي: إبعاد وتجاهل المكان «الملحوظ» للإنسان في نظام الكون وصورته على هذه الأرض: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾

(1) -عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 277.

(2) -سورة الجمعة، الآية 10.

وَإِذَا مَا اتَّجَهْنَا بِأَنْظَارِنَا إِلَى سِيَاقِ النَّصِّ الْخَارِجِيِّ لَفَتَ اتِّبَاهُنَا جَانِبٌ مُهِمٌّ جِدَا يَتِمُّثَلُ فِي نَظَرَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ مِنْذُ خَلْقِهِ، مُهِمٌّ جِدَا يَتِمُّثَلُ فِي نَظَرَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ مِنْذُ خَلْقِهِ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَنَظَرَةِ الْمَذَاهِبِ الْمَادِيَةِ-خَاصَّةً مِنْهَا الْمَذَاهِبُ الْعِلْمَانِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ لِلْعَصُورِ الْأَخِيرَةِ-عَبْرَ تَارِيخِ الْإِنْسَانِ الطَّوِيلِ يَقُولُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽¹⁾

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره الشهير: «وقد جمعت الآية خمسَ مَنَ: التَّكْرِيمَ، وَتَسْخِيرَ الْمَرَكَبِ فِي الْبَرِّ، وَتَسْخِيرَ الْمَرَكَبِ فِي الْبَحْرِ، وَالرِّزْقَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، التَّفْضِيلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ»⁽²⁾

ونحب أن نتوقف عند منة التَّكْرِيمِ فحسب لضيق المساحة هنا: «فأما منة التَّكْرِيمِ فهي مزية خص الله بها بني آدم من سائر المخلوقات الأرضية، والتَّكْرِيمِ: جعله كريماً، أي نفيساً غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضره ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبايح فيسترها ويدفعها، بله الخلو عن المعارف والصنائع وعن قبول التطور في أساليب حياته وحضارته، وقد مثل ابن عباس للتَّكْرِيمِ بأن الإنسان يأكل بأصابعه، يريد أن لا ينتهش الطعام بفيه بل يرفعه إلى فيه بيده ولا يكرع⁽³⁾ في الماء بل يرفعه إلى فيه بيده، فإن رفع الطعام بمغرفة والشراب بقدح فذلك من زيادة التَّكْرِيمِ وهو تناول باليد»⁽⁴⁾.

وجاء في هذا الشأن قوله تعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽⁵⁾ والخلافة إنما هي خلافة عن الله تعالى بتطبيق أوامره ونواهيهِ على مسرح الأرض، وهو في الحقيقة مسرح الكون بأكمله، وإنما عبّر عنه بالأرض لأن الإنسان ألصق بها من غيرها، فيكون الكون بذلك في مقام الوصلة التي يُحَقِّقُ بها الإنسان غاية وجوده، وهكذا تتحدّد منزلة الإنسان في

(1)-سورة الإسراء، الآية 70.

(2)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج15، ص164.

(3)-كرع في الماء يكرع كروعاً: إذا تناوله بقية من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء، الجوهرى الصحاح، مادة(كرع)، ص 909.

(4)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج6، ج15، ص165.

(5)-سورة البقرة، الآية 30.

الكون في العقيدة الإسلامية.

وقد سخر الله عز وجل الكون كله للإنسان من أجل أن يستثمره ويتنفع به ويجعله في خدمة مصالحه الدنيوية وهذا يبدأ من حقيقة الوحدة بين الإنسان والكون، وحقيقة استعلائه عليه نشأت حقيقة ثالثة في نطاق رفعة الإنسان، وهي حقيقة تسخير الكون للإنسان، فلما كان الإنسان يشترك مع الكون في وحدة تركيب مادي (التراب والعناصر المعدنية والكيماوية التي يجويها) فإنه يكون بذلك مهياً لأن يتفاعل معه تفاعل انتفاع، إذ التجانس شرط في هذا التفاعل، ولما كان الإنسان أرفع شأنًا وأعلى قيمة فإنه سيكون هو المنتفع منه، وسيكون الكون مهياً لذلك النفع، ولذلك جاءت التعاليم القرآنية تؤكد أن الكون مسخر له في سبيل استثماره، واستغلال مرافقه، وقد جاءت هذه التعاليم مبيّنة لهذا التسخير مفصلة له في مظاهر ومستويات متعددة ومختلفة، لعل من أبرزها ما يلي:

أ-التسخير لأجل الوجود⁽¹⁾.

ب-والتسخير لاستمرار الحياة⁽²⁾ التي فيها أن الفضاء خُلِقَ قَابِلًا لتقل الطير فإنه قابل لتقل الإنسان أيضا؟

ج-والتسخير للاستيعاب المعرفي⁽³⁾،⁽⁴⁾.

وإذا ما اتجهنا بأنظارنا إلى المذاهب المادية المعاصرة نراها قد عمّت اليوم جميع أنحاء المعمورة وغرق فيها الكداني والقاضي، والحديث عنها ذو شجون لذلك سنقصر الحديث المختصر فيها عن بعض زعماء التفسير المادي للتاريخ مبرزين وجهة نظرهم إلى الحياة والكون والإنسان، يقول عماد الدين خليل في كتابه الموسوم بـ: "التفسير الإسلامي للتاريخ: «تكشفوا لنا المصادر أن ماركس لم يكن منشئ التفسير الديالكتيكي للتاريخ، وإنما أخذ ماديته من آخرين كثيرين سلكوا السبيل نفسه وصّب فلسفته في القالب الذي اقترحه ديالكتيك "هيغل".

إن المادية التاريخية البسيطة يمكن أن تُرى كاملة النمو في بحث أَعَدَّهُ "هولباخ holbaach وطُبِعَ قبل قرن وهي أيضا مدينة بالكثير إلى "سبينوزا spinoza وفويرباخ feurbach ويمكن أن ترى النظرة إلى التاريخ الإنساني على أنه دراسة للحرب بين طبقات المجتمع عند" سانت سيمون

(1)-ينظر: سورة إبراهيم، الآية 33.

(2)-ويُنظر: سورة الجاثية، الآية 13، والنحل الآية 11، والنحل أيضا، الآية 5، والنحل، الآية 79.

(3)-يُنظر: سورة الملك، الآية 3، وسورة فاطر، الآية 13، وسورة إبراهيم، الآية 33، وسورة العنكبوت، الآية 20.

(4)-عبد المجيد عمر النجار، قيمة الإنسان، ص ص 74-79.

saint-simon وغيرهم كثيرون... وقد رأى "ماركس" كثيرا من الأخطاء في نظام "هيغل" كما يين "ماركس" نفسه في فقرة مشهورة من مقدمته للجزء الأول من كتاب (أرى المال)⁽¹⁾

إذ قال: «إنَّ أسلوبَيَّ الديالكتيكي ليس مجرد أسلوب مخالف لأسلوب "هيغل" وإنما هو عكسه تماما، لأنَّ عملية التفكير عند "هيغل" هي خالقة العالم الحقيقي، والعالم الحقيقي ليس إلا الشكل الخارجي الذي تتخذه الفكرة، أما أنا فأرى أن الفكرة ماهي إلا العالم الماديُّ بعد أن يعكسه ذهن الإنسان ويصوغه في شكل أفكار»⁽²⁾

وهكذا يبدأ كارل ماركس في (رأس المال) بأن يسأل هذا السؤال: ماهو المبدأ الذي يسعى كل الناس لبلوغه وهو إنتاج الوسائل التي يديمون بها حياتهم، وبعد الإنتاج تبادل الأشياء التي أنتجوها، فإنَّ على الإنسان أن يعيشَ ثم يستطيع أن يبدأ التفكير، لذا فإنَّ الأمر النهائي الذي يقرر التغيير الاجتماعي يمكن أن يوجد لا في أفكار الإنسان عن الحقيقة الأبدية والعدالة الاجتماعية وإنما فيما يحصل من تغير في أسلوب الإنتاج والتبادل.

ويقول انكلز مؤيداً فكرة ماركس، مؤكداً اعتبار التغير في وسائل الإنتاج (والإنسان عندهم وسيلة من وسائل الإنتاج؟!) هو القاعدة التي تقوم عليها سائر التغيرات: «مثلما اكتشف دارون قانون التطور في الطبيعة العضوية، اكتشف ماركس قانون التطور في تاريخ البشر، واكتشف سيغموند فرويد نظرية الانسان لا يتحرك إلا بدافع جنسي وأن هذا الدافع يشعر به أول ما يشعر نحو أمه؟ لقد اكتشف ماركس الحقيقة البسيطة التي ظلت حتى الآن مغطاة بالنمو الزائد الذي نَمَتَه العقائد... وهذه الحقيقة أن الإنسان يجب أولاً أن يأكل ويشرب ويتخذ مسكناً ولباساً، قبل أن يستطيع أن يبحث عن سياسة أو دين أو علم أو فن وما سواها.

لذا فإنَّ إنتاج وسائل المعيشة المادية، ونتيجة لذلك درجة التطور الاقتصادي التي يحصل عليها بعض الناس وفي حِقبة معينة، كلاهما يكونان الأساس الذي تنمو عليه الدولة والأنظمة والأفكار القانونية والفن، وحتى الأفكار الدينية لهؤلاء الناس والذي في ضوئه يجب أن تفسر هذه الأشياء لا أن يفسر هو في ضوء هذه الأشياء كما كان يحصل حتى الآن»⁽³⁾

(1) -عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم الملايين-بيروت، لبنان، ط3، سنة 1981م، ص ص40-42.

(2) -المصدر نفسه، ص 42.

(3) -المصدر نفسه، ص ص44-45.

والجدير بالذكر هنا أن ماركس ورفقائه على الدّرب لم يكونوا يعرفون الإسلام وتاريخه والمسلمين ونبیهم محمد ﷺ وأيضاً القرآن الكريم الذي نزل على هذا النبي الأمي، وما جاء به من تعاليم وتوجيهات ونواميس مختلفة تجمع بين الفكر والعمل، وتمزج بين العقل والنقل، وتربط ما بين السماء والأرض ولا تفصل بين مطالب الروح ومطالب الجسد التي تسير في الإسلام جنباً إلى جنب في خطين متوازيين لا يطغى أحدهما على الآخر، فلو طغت الروح على الجسد لهلك الجسد وفني، ولو طغى الجانب المادي على الجانب الروح لفنيت الروح، وفسدت القلوب وتحرّرت، وتعطل عمل العقل واحتل الفكر، وصار الإنسان حيواناً مفترساً لأخيه الإنسان كما عبر عن ذلك أحد الفلاسفة عن هذه الوحشية والغلظة والتحجر الوجداني الإنساني المدعو "نيتشه الألماني" بقوله: «الإنسان ذئب لأخيه الإنسان» وبهذه المقولة يعكس لنا هذا الفيلسوف نظرة الإنسان-الأوروبي والغربي-المادية التي تستوجب منه المزيد من التسلح والحيلة والحذر، والتأهب للسطو والنهب والقتال لهذه السباع والوحوش الضارية-في نظره-من بني جنسه وقد سبقه لهذه النظرة الجاهلية البحتة وتصويرها في العصر الجاهلي شاعرنا الحكيم زهير بن أبي سلمى حين قال:

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ⁽¹⁾

وهي نظرة جاهلية محضة تُعطي الأولوية في هذه الحياة لإعداد العدة للحرب والقوة والتسلح والاستعداد الدائم للقتال والسطو وانعدام الأمن والأمان في ربوع هذه الأرض بين البشر، من أجل الالتصاق بالطين والعزوف عن وحي السماء.

(1)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 11

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (مفعول) المعرفة بـ(أل) هي: (العهد المعقود بين فطرة الإنسان وبارئه) ⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاستقائي للفظ (عقد):

إنَّ أوَّل ما يعرض لنا عند التعريف بمادة(عقد) في المعاجم اللغوية أن: «العين والقاف والذال أصل واحد يدل على شدِّ وشدَّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها وعاقده مثل عاهدته، وهو العقد، والجمع عُقود، قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ⁽²⁾ والعقد: عقد اليمين، وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه، والعقدة في البيع: إيجابه، والأعقد من اليتوس والظباء: الذي في قرنه عقدة أو عُقد» ⁽³⁾.

وجاء في اللسان: «العقد: نقيض الحل، عقده يعقده عقداً وتعقاداً، وعقده، أنشد تعلق:

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُعَا
ءِ الْخَيْرِ تَعْقَادُ التَّمَائِمِ ⁽⁴⁾

وعقد العهد واليمين يعقدهما عقداً وعقدهما: أكدهما ⁽⁵⁾

وفي القاموس المحيط عند التعريف بمادة(عقد) قوله: «عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: شدّه، وعُنُقَه إليه: لجأ، والعقد: الضمان والعهد» ⁽⁶⁾

وارتكازا على هذه الفهوم والدلالات لمادة(عقد) في المعاجم اللغوية ثبت لدينا أن الدلالة المركزية الأصلية لهذه المادة تصب في مدلولات الشدِّ والشدَّة والثوق، وعاقده مثل عاهدته، وعقدة النكاح وكل شيء وجوبه وإبرامه وغيرها من هذه المضامين الذي تحط في محطة واحدة هي محطة دلالة: الربط الشديد، والتوثيق، والقيود، والشد، والإبرام.

وإذا ما انتقلنا إلى لفظ(عقد) كيف وردت في سياق النص نلاحظها قد وضعت في هذه الصيغة(المعقود) على زنة المفعول الذي هو بناء اسم المفعول الدال. في الحقيقة على الحدث والحدوث

⁽¹⁾ - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص66.

⁽²⁾ - سورة المائدة، الآية 1.

⁽³⁾ - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(عقد)، ص ص587-588.

⁽⁴⁾ - الشاهد: من مجزوء الكامل، يُنظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى: شعر، قافية(الميم)، ص4.

⁽⁵⁾ - ابن منظور، لسان العرب، مادة(عقد)، ج9، ص309.

⁽⁶⁾ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(عقد)، مج1، ص315.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

وذات المفعول وليس الدال على الثبوت والدوام، غير أن السياق في هذا النص والقرنية المعنوية يجعلان صيغة (المعقود) تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار بسبب هذا العهد الذي تم وثبت إبرامه بين آدم وحالقه منذ جعله الله خليفة في هذه الأرض، ومن غوى من بني آدم فباغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله ﷺ: «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يُشركوا بي غيري»⁽¹⁾ وقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ويُنصرانه»⁽²⁾ «لا تبديل لخلق الله» أي: ما ينبغي أن تُبدل تلك الفطرة أو تغير»⁽³⁾

ودائما على مستوى السياق الخارجي يمكن أن نسوق هذه الآية القرآنية التي تتحدث عن عهد الله مع بني إسرائيل حيث ينادي المولى «أولاد النبي الصالح يعقوب عليه السلام قائلا ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ﴾⁽⁴⁾ اذكروا ما أنعمت عليكم وعلى آبائكم من نعم لا تعد ولا تحصى، وأدوا ما عهدتموني عليه من الإيمان والطاعة "أوف بعهدكم" بما عهدتكم عليه من حسن الثواب " وإيأي فارهبون " أي احشوني دون غيري»⁽⁵⁾.

بيد أن صاحب الظلال يذهب مذهبا آخر في تأويل هذه الآية ليقول مُتسائلا: «فأي عهد هذا الذي يشار إليه في هذا المقام؟» أهو العهد الأول لآدم: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْتَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽⁶⁾ أم هو العهد الكوني السابق على عهد الله هذا مع آدم، العهد "المعقود" بين فطرة الله وبارئته: أن يعرفه ويعبده وحده لا شريك، وهو العهد الذي لا يحتاج إلى بيان، ولا يحتاج إلى برهان، لأن فطرة الإنسان بذاتها تتجه إليه بأشواقه اللدونية، ولا يصدّها عنه إلا الغواية والانحراف؟ أم هو العهد الخاص الذي قطعه الله لإبراهيم جد اسرائيل الذي نصّت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا إِبْرَاهِيمَ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾⁽⁷⁾ أم هو العهد الخاص الذي قطعه

(1)-مجد الدين بن أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص221.

(2)-صحيح البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص 274.

(3)-الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 916.

(4)-سورة البقرة، الآية 40.

(5)-محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج1، ص53.

(6)-سورة البقرة، الآية 38، 39.

(7)-سورة البقرة، الآية 124.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن" ...

الله على بني اسرائيل وقد رفع فوقهم الطور، وأمرهم أن يأخذوا ما فيه من قوة والذي تذكره آيات آخر؟ إن هذه العهود جميعا إن هي إلا عهد واحد في صميمها، إنه العهد "المعقود" بين البارئ وعباده أن يُصغوا قلوبهم إليه، وأن يسلموا أنفسهم كلها له، وهو الدين الواحد وهذا هو الإسلام الذي جاء به الرسل جميعا، وسار موكب الإيمان يحمله شعار الله على هدي القرون⁽¹⁾

فكما هو واضح أن العهد "معقود" بين هذا الآدمي المخلوق وربّه وخالقه؛ وقد تمّ وانتهى وثبت منذ أن خلق الله آدم على هذه الأرض، وحمله الله الأمانة وقبّل حملها مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾⁽²⁾ وهذه الأفعال التي جاءت في الآية بصيغة الماضي دليل على أن العقد قديم جدا بين هذا المخلوق الانساني وخالقه.

ومن ثم فإن صيغة "المعقود" التي وردت في بناء اسم المفعول في هذا النص تفيد الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار بسبب القرينة المعنوية التي دلّ سياق النص عليها لا الدلالة على الحدوث وذات المفعول، فهي لذلك صفة مشبهة باسم الفاعل تسري عليها أحكام الصفة المشبهة النحوية والإعرابية.

أما على المستوى التركيبي، أي: الأسلوبى فإنّ وصف "المعقود" قد جاء مفردا مذكرا معرّفا بـ(أل) التعريف؛ و(أل) التعريف هنا قد جاءت للعهد، أي: هي (أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص معلوم معين دون غيره من الموصوفين نحو: العقد السياسي، والعقد التجاري، والعقد الاجتماعي، والعقد الحزبي وغيرها من العقود الهشّة "المعقودة" بين بني البشر في مجالات دنيوية مختلفة.

وهذا التعريف للصفة والموصوف معاً قد زاد المعنى وضوحاً وقوة وتوكيداً، وقرباً وحضوراً، وتخصيصاً وحصرًا: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي يُقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾ والسياق الخارجي كله هنا، أي في النص يتناسق مع هذه الآية الكريمة في أنّ جبلة بني آدم وطبعهم وخلقتهم الأولى دالة على أنه -تعالى- «خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له، لكونه مُجَاوِباً للعقل، مُسَاوِقاً للنظر الصّحيح، حتى لو أنهم تركوا لما اختاروا ديناً آخر، وكأنه العهد "المعقود" بالفطرة والتلقائية والعفوية دون

⁽¹⁾ -سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص ص66-67.

⁽²⁾ -سورة الأحزاب، الآية 72.

⁽³⁾ -سورة الروم، الآية 30.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

سابق اتفاق ولقاء وتوقيع، ومن غوى منهم فياغواء من شياطين الجن والإنس وإضلالهم⁽¹⁾.

إنّ السياق العام للنص كله يفيد ثبوت العهد (المعقود) بين الإنسان وربّه الودود الرحيم العادل فهو عهد قد تمّ وانتهى إبرامه وتوثيقه منذ رضي هذا الإنسان ووافق على تحمل مسؤولية الخلافة في أرض الله، كما أنه عهد دائم مستمر ملازم للإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهناك يوم القيامة يقف الإنسان بين يدي ربه مسؤولاً ليحاسب ويثاب على عمله ومدى أدائه للأمانة التي تحملها إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً...

(1)-بتصرف، الزمخشري، الكشاف، ج2، ص916.

-صيغة (مفعول) المعرف بالإضافة:

لقد وردت هذه الصيغة في المدونة في عدد قليل جدا، بحيث لم يتجاوز ستَّ صيغ وقد أخضعناها جميعا للتمثيل والتحليل كما هو وارد في الجدول البياني أسفله:

-جدول بياني لصيغة (مفعول) المعرفة بالإضافة الواردة في تفسير ظلال القرآن الجزء الأول:

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصيغة	السطر	العبرة التي وردت فيها الصيغة
-1	المحدود العُمَر	25	02	...،ومالم يثق الفردُ المحدود العُمَر بأنَّ له حياة أخرى تستحق أن يجاهد لها
-2	المقطوعة الصلة	25	31	...،ولهذا التعبير دلأته الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله
-3	الموصول القلب	25	32	...،فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمان الرحيم فيؤمن بأنَّ هناك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة.
-4	معلومة الصفات	38	19	...،إنَّ هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات
-5	المحدودة المجال	40	04	...،وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبذ والتمزق والانشغال بما لم تُخلق له.
-6	مألوف حياتهم	74	16	...،حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهيئة... وأن يكيفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة.

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة اسم (المفعول) المعرفة بالإضافة هي: «وَمَا لَمْ يَثِقِ الْفَرْدُ الْخُدُودَ الْعَمْرَ بِأَنْ لَهُ حَيَاةٌ أُخْرَى تَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَاهِدَ لَهَا»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي لفظة (حدّ، حدد):

جاء في معجم تهذيب اللغة عن معنى لفظة (حدّ، حدد) قوله: «قال الليث: فصل ما بين كل شيئين: حدّ بينهما، ويقال: حدّ السيف واحددّ، فهو حادّ حديد، وأحدّدته، واستحدّد! الرجل، واحددّ الرجل حدّة فهو حديد.

والحدّ: الصرف عن الشيء من الخير والشر، وتقول: حدّدت فلاناً عن الشرّ، أي: منعته، ومنه قول النابغة الذبياني:

إِلَّا سُلَيْمَانَ، إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ قُمْ لِلْبَرِيَّةِ، فَأَحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ⁽²⁾.

وقال الليث وغيره: الحد الرجل المحدود عن الخير، قلت: المحدود: المحروم، ولم أسمع فيه رجل حدّ لغير الليث.

وقال الأعشى يصف الخمر والخمّار:

فَقُمْنَا وَكَمَا يَصْرَحُ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدِّهَا⁽³⁾

يعني: صاحبها الذي يحفظها ويمنعها، والجونة: الحايّة، وقال الليث: حاددته، أي: عاصيته، وقال الأصمعي⁽⁴⁾ (ت216هـ) حدّ الرجل يُحدّ حدّاً: إذا جعل بينه وبين صاحبه حدّاً، والاستحداد: حلق العانة، والحدّاد: صاحب السجن⁽⁵⁾، ومما ورد في اللسان عن مدلولات هذه اللفظة: «حدّ كل شيء: منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التماذي، وحد السارق وغيره: ما يمنعه عن

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص25.

(2)- الشاهد: من البحر البسيط، للشاعر النابغة الذبياني، الديوان، ص40

(3)- الشاهد: من البحر المتقارب، للشاعر الأكبر الأعشى، الديوان، ص80.

(4)- أبو سعيد عبد الملك بن قريّب الأصمعي أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والنوادر والملح، روى عن أبي عمر وابن العلاء وقرّة بن خالد ونافع بن أبي نعيم وشعبة وحماد بن سلمة وغيرهم، صنف: غريب القرآن، خلق الإنسان، الأجناس، الأنواء، الهمز، المقصور والممدود، الصفات، خلق الفرس، الإبل، الخيل، الشاء، الاشتقاق، الأضداد وكتب أخرى في الألفاظ والسلاح واللغات ومياه العرب وغيرها، توفي سنة 216هـ عن ثمان وثمانين سنة، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، مج2، ص

(5)- أبو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (حدّ، حدد)، مج1، ص ص759-760.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

المُعَاوَدَةَ وَيَمْنَعُ أَيْضًا غَيْرَهُ عَنِ إِتْيَانِ الْجُنَايَاتِ، وَجَمَعَهُ حُدُودٌ، وَحَدَّدَتِ الرَّجُلَ: أَقَمْتَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَحَدَّ السَّكَّانَ وَغَيْرَهَا بِحَدِّهَا حَدًّا وَأَحَدًا إِحْدَادًا وَحَدَّدَهَا: شَحَذَهَا وَمَسَحَهَا بِحَجَرٍ أَوْ مِبرِدٍ، وَحَدَّ بَصْرَهُ إِلَيْهِ يَحُدُّهُ وَأَحَدَهُ، الْأَوَّلَى عَنِ اللَّحْيَانِي (1) كِلَاهِمَا حَدَّقَهُ إِلَيْهِ وَرَمَاهُ بِهِ وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: تَحَدَّدَ بِهِمْ، أَي: تَحَرَّشَ بِهِمْ، وَدَعَا حَدَّ، أَي: بَاطِلَةً وَالْحِدَادُ: ثِيَابُ الْمَأْتَمِ، وَالْحَادُّ وَالْمُحَدِّدُ مِنَ النِّسَاءِ: هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَتْرِكُ الزَّيْنَةَ وَالطَّبِيبَ بَعْدَ زَوْجِهَا لِلْعَدَّةِ (2)

من خلال هذا العرض السابق الموجز لمعاني لفظة (حد، حدد) الواردة في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المعتمدة في الأساليب العربية الراقية تبين لنا أن معنى اللفظة يتمحور حول دلالة الفصل ما بين كل شيء، ومنتهاه، ومن ثم فحد كل شيء منتهاه لأنه يرُدُّه ويجبسه، ويحبُّه عن التمادي والتجاوز إلى غيره.

وَإِذَا مَا وَلَّيْنَا وَجْهَتْنَا نَحْوَ لَفْظَةِ (حَدَّ، حَدَد) وَتَأْمَلْنَا صُورَةَ وَرُودِهَا فِي النَّصِّ ثُمَّ أَمَعْنَا النَّظْرَ فِي الدَّلَالَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا فِي سِيَاقِ النَّصِّ، نَرَاهَا قَدْ جَاءَتْ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ "الْمَحْدُود" عَلَى زِنَةِ الْمَفْعُولِ وَهُوَ وَصْفٌ مُشْتَقٌّ مِنْ مَصْدَرِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُتَعَدِّيِ الْمُتَصَرِّفِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ حَدَّ يَحُدُّ حَدًّا وَحَدَّدًا نَحْو: حَدَّ الْمَالِكُ الدَّارَ، أَي: جَعَلَ لَهَا حَدًّا، وَحَدَّ الْقَاضِي الْمَذْنِبَ، أَي: أَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَذَبَهُ بِمَا يَمْنَعُهُ وَيَمْنَعُ غَيْرَهُ مِنْ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (3)

فصيغة "المحدود" في هذا النص صفة مشبهة بام الفاعل من الثلاثي المجرد المضعف على بناء "مفعول" وهذا البناء في الأصل هو اسم مفعول، فلما أريد به الثبوت والملازمة الدائمة أضيف إلى الاسم المجرور لفظًا، المرفوع محلاً، فصار صفة مشبهة دالة على الثبوت والدوام لأن إضافة اسم المفعول إلى مرفوعه - كما ورد عن جمهور النحاة تُخْرِجُهُ - حتماً لمن بابه من غير تغيير في هيئته التي هو عليها عند إضافته لمرفوعه، وتدخله في باب "الصفة المشبهة" فيسمى باسمها، ويخضع لأحكامها بالرغم من بقاءه على صورته الأصلية، إذ لا يصح تغيير صورته بسبب انتقال معناه من الحدوث إلى الدوام والاستمرار والثبوت (4) إضافة إلى القرينة العلمية المعنوية التي تتمثل في الموت المؤكد عند بلوغ الأجل والتي تدل على ثبوت الوصف ودوامه، وأما على المستوى التركيبي، أي: الأسلوب

(1) -علي بن المبارك- أبو الحسن اللحياني له كتاب في النوادر شريف، طبقات اللغويين والنحويين، الزبيدي، ص 195.

(2) -ابن منظور، لسان العرب، مادة (حد، حدد) ص ص 79-82.

(3) -سورة البقرة، الآية 187.

(4) -عباس حسن، النحو الوافي، ج 3، ص 242.

فلنحظ أن صيغة "محدود" قد جاءت مفردة مذكرة معرفة بالإضافة هكذا: "المحدود العمر" والتعريف بالإضافة كالتعريف بـ "أل" قد يكون - كما أسلفنا القول - للعهد، وقد يكون للجنس»⁽¹⁾

أما (أل) التعريف في قوله: «وَمَا لَمْ يَثِقِ الْفَرْدُ الْمَحْدُودُ الْعَمْرُ» فهي قد وردت للعهد في صيغة "المحدود" التي تشير إلى كائن مخلوق بعينه وهو الفرد الأدمي دون غيره من الكائنات والمخلوقات الأخرى التي هي الأخرى يسري عليها قانون الفناء بطريقة أو بأخرى، لذلك فـ (أل) هنا تدل على معهود، أي: موصوف مخصوص معلوم محدد يتصف بهذا الوصف ممثلاً في شخص الفرد الإنساني الذي يتميز عن الكائنات الأخرى بخصائص ومميزات عليا نحو: الروح، والعقل، الإرادة، والتكليف، والفرضية في أعماله الدنياوية، والإيمان بالبعث والنشور يوم القيامة للحساب والجزاء على ما كسبت يده في الحياة الدنيا، وهي ميزات وخصائص كرم الله بها هذا الفرد الأدمي وفضله على كثير من مخلوقاته مصدقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽²⁾

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص المشحون بالدلالات العديدة والإيحاءات الباطنية العميقة نفضل أن يكون حديثنا هنا حول ما ينظر "الفرد المحدود العمر" بعد انقضاء هذا العمر "المحدود" ارتكازاً على قولي تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽³⁾ أي مالك يوم البعث والجزاء، وتقريره أنه لا بد من الفرق بين الفرد المحسن والفرد المسيء، والفرد لطيع والفرد العاصي، والموافق والمخالف، وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء كما قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾⁽⁴⁾ وقال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾⁽⁵⁾ وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾⁽⁶⁾ واعلم أن من سلط الظالم على المظلوم ثم إنه لا ينتقم منه فذاك إما للعجز أو للجهل أو لكونه راضياً بذلك الظلم، وهذه الصفات الثلاث على الله تعالى مُحَال، فوجب أن ينتقم للمظلومين، ولما لم يحصل هذا الانتقام في دار الدنيا

(1) -فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ج3، ص107.

(2) -سورة الإسراء، الآية 70

(3) -سورة الفاتحة، الآية 4.

(4) -سورة النجم، الآية 31

(5) -سورة (ص)، الآية 28.

(6) -سورة طه، الآية 15.

وجَبَ أن يحصل في دار الآخرة بعد دار الدنيا وذلك هو المراد بقولي تعالى: مالك يوم الدين» (1)

وجاء عند صاحب تفسير "في ظلال القرآن" في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (2) وهذه تمثل الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها، كلية الاعتقاد بالآخرة، والمملك أقصى درجات الاستيلاء والسيطرة ويوم الدين هو يوم الجزاء في الآخرة... وكثيرا ما اعتقد الناس بألوهية الله، وخلقهم للكون أول مرة، ولكنهم مع هذا لم يعتقدوا بيوم الجزاء والقرآن يقول عن بعض هؤلاء: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (3) ثم يحكى عنهم في موضع آخر: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (4) أي إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد» (4)

والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض، فلا تستبد بهم ضرورات، وعندئذ يملكون الاستعلاء، على هذه الضرورات، ولا يستبد بهم القلق على تحقيق جزاء سعيهم في عمرهم القصير "الحدود" وفي مجال الأرض المحصور، وعندما يملكون العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يُقدّره الله، في الأرض أو في الدار الآخرة سواء؛ في طمأنينة لله، وفي ثقة بالخير، وفي إصرار على الحق، وفي سعة وسماحة ويقين.. ومن ثم فإن هذه الكلية تعدّ مفرق الطريق بين العبودية للتروات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللاتقة بيني الإنسان، بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمها وموازينها والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية، مفرق الطريق بين الإنسانية في حقيقتها العليا التي أرادها الله لعباده، والصور المشوهة المنحرفة التي لم يُقدّر لها الكمال.

وما تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرفيع ما لم تتحقق هذه الكلية في تصوّر البشر، وما لم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير، وما لم يثق الفرد "الحدود العمر بأن له حياة أخرى" تستحق أن يجاهد لها، وأن يُضحّي لنصرة الحق والخير مُعتَمدا على العوض الذي يلقاه في الآخرة.

وما يستوي المؤمنون بالآخرة والمنكرون لها في شعور ولا خلق ولا سلوك ولا عمل، فهما

(1)-الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مج1، ص 235.

(2)-سورة لفاحة، الآية 4.

(3)-سورة لقمان، الآية 25.

(4)-سورة (ق)، الآيتان 2، 3.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن" ...

صنفان مختلفان من الخلق، وطبيعتان مُتميزتان لا تلتقيان في الأرض في عمل ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء.. وهذا هو مفرق الطريق...»⁽¹⁾

إن جملة (محدود العمر) لا تتضح دلالتها الصحيحة العميقة إلا بربطها بالسياق السابق واللاحق، لأنَّ انتهاء حياة الكائنات جميعاً أمر محسوم على وجه الثبوت واليقين الثابت؛ بيد أنَّ انتهاء حياة الإنسان له مغزى آخر، وله غاية أخرى، يبقى قلب المؤمن ووجدانه وعقله معلقاً بهذه الغاية النبيلة السامية الكريمة، التي يتوقف عليها جهاده في هذه الحياة الدنيا سلباً أو إيجاباً...

⁽¹⁾ -سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص ص 24-25.

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة اسم (مفعول) المعرفة بالإضافة هي: «ولهذا التعبير دلالة الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (قطع) جاء في مقاييس اللغة:

«القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صَرم وإبانة شيء من شيء يقال: قَطَعْتُ الشيءَ أَقَطَعُهُ قَطْعًا، والقطيعه المجران، يقال: تقاطع الرجلان، إذا تصارمًا، والقِطْع، بكسر القاف: الطائفة من الليل ومن الباب: قَطَعَ الفرسُ الخيلَ تقطيعاً: خَلَفَهَا ومضى، وفي بعض التفسير في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾⁽²⁾ إنه الاختناق والقياس فيه صحيح.

ومنقطع الرمل ومقطعه: حيث ينقطع، والقطيع: القطعة من الغنم، والمقطعات: الثياب القصار، وكذلك مقطعات أبيات الشعر، والقطع: البهر، ومقاطع الأودية: ماخيرها⁽³⁾.

ومما ورد من معاني لفظه (قطع) في اللسان: «قَطَعَهُ يَقْطَعُهُ قَطْعًا وَقَطِيعَةً وَقُطُوعًا، قال: الراعي النميري:

فَمَا بَرِحَتْ، حَتَّى اسْتَبَانَ سِقَابَهَا قُطُوعًا لِمَحْبُوكٍ مِنَ اللَّيْفِ حَادِرٌ⁽⁴⁾

والقطع: مصدر قطعت الحبل قطعاً فانقطع، والمقطع، بالكسر ما يُقطع به الشيء، وقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾⁽⁵⁾ أي: قَطَعْنَاهَا قَطْعًا بعد قطع وخذشها خدشاً كثيراً ولذلك شُدِّدَ، وقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾⁽⁶⁾ أي: فرقناهم فرقا، وقال: ﴿وَنَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾⁽⁷⁾ أي: انقطعت أسبابهم ووصلهم الليث: يقولون قُطِعَ الرجلُ ولا يقولون قُطِعَ الأقطع لأن الأقطع لا يكون أقطع حتى يقطه غيره، ولو لزمه ذلك من قبل نفسه لَقِيلَ قطع أو قُطِعَ، وانقطع الشيء: ذهب وقته، وقد قُطِعَ وَقَطِعَ: ضَعُفَ عن النكاح.

ومقطع الحق: ما يُقطع به الباطل، وقيل هو حيث يُفصل بين الخصوص بنص الحكم قال زهير:

(1)- المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 25.

(2)- سورة الحج، الآية 15.

(3)- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (قطع)، ص ص 779-780.

(4)- الشاهد من بحر الطويل، للشاعر الراعي النميري، الديوان، ص 138.

(5)- سورة يوسف، الآية 31

(6)- سورة الأعراف، الآية 168.

(7)- سورة البقرة، الآية 166.

وإنَّ الحَاقَ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ⁽¹⁾(2)

وبعد التعرف على مادة (قطع) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المختلفة. تبين لنا أن لهذه اللفظة دالتين أساسيتين هما: الدلالة الرئيسة نحو: القطع ويدل على صرم وإبانة شيء من شيء، والقطع الانفصال: والقطيعة: الهجران ثم الدلالة الهامشية نحو: قَطَعَ الفرسُ الخيلَ تقطيعاً: حَلَفَهَا ومضى، والقَطع، يكسر القاف: الطائفة من الليل، والمِقطع بكسر الميم: ما يُقطع به الشيء وغيرهما مما لا يمكن حصره هنا.

والحصول من خلال هذا العرض الوجيز أن الذي يهمننا هنا هو الدلالة الرئيسة وهي دلالة الانفصال والترك والهجران المادي والأدي للشيء .

وإذا ما تحوّلنا بأنظارنا إلى لفظة (قطع) مُتأملين في الهيئة التي وردت فيها في سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصيغة: "المقطوعة" على وزن المفعولة، وهو وصف مشتق من مصدر الفعل المضارع المتعدي المتصرف المبني للمجهول: قَطَعَ، يُقَطَعُ قطعاً نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾⁽³⁾

وعليه فصيغة "المقطوعة" في هذا السياق النَّصي صفة مشبهة باسم الفاعل من الثلاثي مجرد المتصرف المبني للمجهول على بناء "مفعول" وهو في حقيقته بناء اسم المفعول المشتق، فلما أُريد به الثبوت والدوام أُضيف إلى الاسم الجرور لفظاً، المرفوع معنى، والقرينة فيه هنا عبارة عن حقيقة علمية عقائدية ثابتة وهي قرينة معنوية لأنّها متعلقة بالنظرة الجاهلية "المقطوعة الصلّة بالله" على وجه الثبوت والملازمة الدائمة في كل زمان ومكان، فالإسلام وهو دين التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد لا يلتقي بالجاهلية العمياء الضالة التي تدين بالشرك، وتكذبُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتعبد الأصنام بشتى أشكالها وألوانها، وتُقَدِّسُ متاعَ الحياة الدنيا إلى النخاع على الدوام، لذلك كله انتقل بناء اسم المفعول في هذا السياق النص إلى صفة مشبهة باسم الفاعل دالة على وجه الثبوت والدوام لأنّ إضافة اسم المفعول إلى مرفوعه مرفوقاً بالقرينة، لفظية كانت أو معنوية يُخرجه من بابهِ من غير تغيير في صورته التي هو عليها ويدخله -حتماً- في باب

(1)-الشاهد من بحر الوافر، وهو الشاعر زهير بن أبي سلمى، ينظر: زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص13.

(2)-ابن منظور، لسان العرب، مادة(قطع)، ج11، صص220-225.

(3)-سورة المائدة، الآية 38.

(الصفة المشبهة) فتسري عليه جميع أحكامها⁽¹⁾

وعلى المستوى التركيبي، أي الأسلوبي نلاحظ أن صيغة "المقطوعة" قد وردت مفردة مؤنثة معرفة بالإضافة بهذه الصورة: "المقطوعة الصلة بالله" والتعريف بالإضافة في هذا السياق النصي جاء للعهد، أي: يدل على معهود، أي على موصوف مخصوص معلوم معين دون غيره، بدليل الضمير المستتر الملحوظ في لفظ الوصف: المقطوعة الصلة العائد على الموصوف السابق له التمثيل في "نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله" تلك النظرة الجاهلية ذات الطبيعة الخاصة المتميزة المعروفة عند الراسخين في العلم، في تصورهما للحياة والكون والإنسان، والقيم والموازن والأغراض المرتبطة بها، هذه النظرة التي تستقل بها الجاهلية وتفرد عبر الزمان والمكان لا تلتقي بأي حال مع نظرة الإسلام إلى هذه الحياة والكون والإنسان في تصوراتهم وموازنهم وقيمه وتشريعاتهم وقوانينهم وآدابه معها جملة وتفصيلاً يقول رب العالمين الرحمان الرحيم في معرض الاستنكار والتوبيخ لقادة الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽²⁾

أما على مستوى السياق الخارجي للنص فنستدل بمكتفين بما للنص من دلالات ورُموز وإيحاءات قرآنية لها علاقة وثيقة وعميقة بسياق النص، يقول جل ذكره في هذا الغرض: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽³⁾

يقول الرازي عن تأويل هذه الآية: «عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود، العهد الأول: الذي أخذه على جميع ذرية آدم وهو الإقرار برُبوبيته وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾⁽⁴⁾ وعهد خصّ به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويُقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾⁽⁵⁾ وعهد خصّ به العلماء، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾⁽⁶⁾

(1)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

(2)-سورة المائدة، الآية 50.

(3)-سورة البقرة، الآية 27.

(4)-سورة الأعراف، الآية 172.

(5)-سورة الأحزاب، الآية 7.

(6)-سورة آل عمران، الآية 187.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

قال صاحب "الكشاف" الضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبله، ويجوز أن يكون بمعنى توثيقه كما أن الميعاد والميلاد وبمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه ورُسِله»⁽¹⁾

واختلفوا في المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾⁽²⁾ فذكروا وجوها: أحدهما: أرادوا قطيعة الرحم وحقوق القربان التي أمر الله بوصلها وهو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾⁽³⁾ وفيه إشارة إلى أنهم قطعوا ما بينهم وبين النبي من القرابة، وعلى هذا التأويل تكون الآية خاصة، وثانيها: أن الله تعالى أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار فذاك هو المراد من قوله: «ويقطعوا ما أمر الله به أن يوصل» وثالثها: أنهم نُهوا عن التنازع وإثارة الفتن وهم كانوا مستغنين بذلك، أما قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾ فالأظهر أن يراد به الفساد الذي يتعدى دون ما يقف عليهم، والأظهر أن المراد منه الصد عن طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لأن تمام الصلاح في الأرض بالطاعة لأن بالتزام الشرائع يلتزم الإنسان كل ما لزمه، ويترك التعدي إلى الغير، ومنه زوال النظام وفي زواله العدل الذي قامت به السماوات والأرض، قال تعالى فيما حكى عن فرعون أنه قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾⁽⁵⁾ ثم إنه سبحانه وتعالى أخبر أن من فعل هذه الأفعال خاسر فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^{(6)،(7)}.

أما صاحب تفسير التحرير والتنوير فيذهب في تأويل آية: «ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل» مذهباً قريباً مما جاء به الرازي حيث يقول: «قيل ما أمر الله به أن يوصل هو قرابة الأرحام يعني وحيث ترجح أن المراد به بعض عمل اليهود فذلك إذا تقاتلوا وأخرجوا كثيراً منهم من ديارهم ولم تزل التوراة توصي بني إسرائيل بحسن معاملة بعضهم لبعض، وقيل الإعراض عن قطع ما أمر الله به أن

(1)-الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مج1، ص 147.

(2)-سورة البقرة، الآية 27.

(3)-سورة محمد، الآية 22.

(4)-سورة البقرة، الآية 27.

(5)-سورة غافر، الآية 26.

(6)-سورة البقرة، الآية 27.

(7)-الرازي، التفسير الكبير، مج1، ص 147.

يوصل هو موالاتة المؤمنين، وقيل اقتران القول بالعمل، وقيل التفرقة بين الأنبياء في الإيمان ببعض والكفر ببعض.

وقال البغويّ يعني بما أمر الله به أن يوصل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل، وأقول تكميلاً لهذا إنَّ مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا شَرَعَ لِلنَّاسِ مِنْذَ النُّشْأَةِ إِلَى خْتَمِ الرِّسَالَةِ وَاحِدٌ وَهُوَ إِبْلَاجُ الْبَشَرِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا وَحِفْظُ نِظَامِ عَالَمِهِمْ وَضَبْطُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فِيهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَعْتَبِرُهُ خَلْلٌ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتِ الشَّرَائِعُ عَلَى حَسَبِ مَبْلَغِ تَهَيُّئِ الْبَشَرِ لِتَلْقِي مَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ قَلَّمَا اخْتَلَفَتِ الْأَصُولُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ قَالَ تَعَالَى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾⁽¹⁾ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتِ الشَّرَائِعُ فِي تَفَارِيحِ أَصُولِهَا اخْتِلَافًا مُرَاعَى فِيهِ مَبْلَغُ طَاقَةِ الْبَشَرِ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنْهُمْ حَتَّى فِي حَمْلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِيَكُونَ تَلْقِيهِمْ لِذَلِكَ أَسْهَلَ، وَعَمَلُهُمْ بِهِ أَدْوَمَ، إِلَى أَنْ جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي وَقْتِ رَاهِقٍ فِيهِ الْبَشَرُ مَبْلَغُ غَايَةِ الْكَمَالِ الْعَقْلِيِّ وَجَاءَهُمْ دِينٌ تُنَاسِبُ أَحْكَامُهُ وَأَصُولُهُ اسْتِعْدَادَهُمُ الْفِكْرِيَّ وَ إِنْ تَخَالَفَتِ الْأَعْصَارُ وَتَبَاعَدَتِ الْأَقْطَارُ فَكَانَ دِينًا عَامًا لِجَمِيعِ الْبَشَرِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَتِ الشَّرَائِعُ السَّابِقَةُ تَمْهِيدًا لَهُ لِتَهْيِئَةِ الْبَشَرِ لِقَبُولِ تَعَالِيمِهِ وَتَفَارِيحِهَا الَّتِي هِيَ غَايَةُ مَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ النَّاسِ، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽²⁾ فَمَا مِنْ شَرِيعَةٍ سَلَفَتْ إِلَّا وَهِيَ حَلَقَةٌ مِنْ سِلْسَلَةٍ جُعِلَتْ وَصَلَةٌ لِلْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا وَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ فَمَتَى بَلَغَهَا النَّاسُ فَقَدْ فَصَّمُوا مَا قَبَلُهَا مِنَ الْحَلِقِ وَبَلَغُوا الْمَرَادَ، وَمَتَى انْقَطَعُوا فِي أَثْنَاءِ بَعْضِ الْحَلِقِ فَقَدْ قَطَعُوا مَا أَرَادَ اللَّهُ وَصَلَهُ وَصَارُوا دَاخِلِينَ فِي زِمْرَةِ «الْجَاهِلِيَّةِ الْمَقْطُوعَةِ الصَّلَةِ بِاللَّهِ» فَالْيَهُودِ لَمَّا زَعَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَحِلُّ لَهُمُ الْعُدُولُ عَنْ شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ قَدْ قَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ ففَرَّقُوا مَجْتَمَعَهُ»⁽³⁾

يقول جل ثناؤه تكملة لآية السابقة من سورة البقرة: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْخَالِسُونَ﴾⁽⁴⁾ «والفساد في الأرض ألوان شتى، تنبع كلها من الفسوق عن كلمة الله، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ورأس الفساد في الأرض هو الحيدة عن منهجه الذي اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها، وهذا هو شأن «الجاهلية المقطوعة الصلة بالله في الوقت الحاضر» هذا

(1) -سورة الشورى، الآية 13.

(2) -سورة آل عمران، الآية 19

(3) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص ص 371-372.

(4) -سورة البقرة، الآية 27.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

مفرق الطريق الذي ينتهي إلى الفساد حتما، فما يُمكن أن يصلح أمر هذه الأرض، ومنهجُ الله بعيد عن تصريفها، وشريعته مُقصاة عن حياتها، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال، وللحياة والمعاش، والأرض كلها وما عليها من ناس وأشياء إنه الهدم والشر والفساد حصيلة «الجاهلية المقطوعة الصلة بالله..» ومن ثم يستحق أهلها أن يُضلهم الله بما يهدي به عباده المؤمنين⁽¹⁾.

إنّ الجاهلية (المقطوعة الصلة بالله) اليوم أكثر ضراروة وشراسة، وأكثر دهاء وغبثا من الجاهليات السابقة التقليدية، لأنّ هذه الجاهلية تستخدم أخطر الوسائل وأدقها وأذكاها، ممثلة في التخطيط العلمي الواسع العميق، الذي يركز في الوصول إلى غايته على الجوانب النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والغرائز الجسدية الفطرية، لصد الناس عن الإيمان بالله وقطع أيّ صلة برهم، الذي يجرهم باللجوء إليه من هذه الضغوطات والقيود المفتعلة...

(1)-بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 52.

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (مفعول) معرف بالإضافة هي: «فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمان الرحيم..فيؤمن بأن هنالك علاقة أخرى غير علاقة القهر والحفوة»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (وصل):

ومما اجتهدنا في انتقائه من مضامين عند التعريف بمادة (وصل) إليه وصولاً، أي بلغ، وأوصله غيره، ووصل بمعنى اتصل، أي: دَعَا دعوى الجاهلية، وهو أن يقول: يَا فُلَان، وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾⁽²⁾ أي: يتصلون، والوصل: ضد المجران، والوصل: وصل الثوب والخف، وبينهما وصلة، أي: اتصال وذريعة، والموصول: بلد، وواصل: اسم رجل⁽³⁾.

وفي اللسان قوله: «ابن سيده: الوصل: خلاف الفصل، وفي التزئيل ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾⁽⁴⁾ أي: وَصَّلْنَا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها لبعض لعلم يعتبرون.

ووصل الشيء إلى الشيء وَصُولًا وتوصَّل إليه: انتهى إليه وَبَلَغَهُ»⁽⁵⁾.

وفي أساس البلاغة مما يذكر عن مدلولات مادة (وصل) قوله «ومن الحجار: وصله بألف درهم وهذه صلة الأمير وصلاته، ووصل إلى بني فلان واتصل: انتمى قال الأعشى:

إِذَا اتَّصَلْتَ قَالَتْ: أَبَا بَكْرٍ بِنِ وَائِلٍ وَبَكْرٌ سَبَّتْهَا وَالْأُتُوفُ رَوَاعِمُ⁽⁶⁾

وَضَرْبُهُ ضَرْبَةٌ لَا تُوصِلُ: لَا تُدَاوِي⁽⁷⁾

وعند تَبَعْنَا لمعاني لفظة (وصل) في معاجم اللغة العربية القديمة الأصلية الموثقة، وفي أمهات المصادر الأدبية ذات النمط الراقي النادر في مضممار الفصاحة والإبداع والبيان العربي الجيد الجميل - انكشف لنا أن معاني هذه اللفظة تجري في محورين رئيسين: محور الدلالة المركزية الأصلية: نحو

(1)- المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 63.

(2)- سورة النساء، الآية 90.

(3)- الجوهري، الصحاح، مادة (وصل)، ص 1143-1144.

(4)- سورة القصص، الآية 51.

(5)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصل)، ج 15، ص 316-320.

(6)- الشاهد من البحر الطويل، للشاعر الأعشى الأكبر (ميمون قيس)، الديوان، ص 174.

(7)- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (وصل) ج 2، ص 511.

وصلتُ الشيءَ وَصِلاً وَصِلَةً، ووصل إليه وصولاً: بلغ، وأوصله غيره، ووصل بمعنى اتصل، والوصل ضد المجران وغيرها ثم محور الدلالة الهامشية نحو: الوصلة التي كانت في الجاهلية، والأوصال: المفاصل، وتوصل إليه، أي: تطف في الوصول إليه، والتواصل: ضد التصادم وما إلى ذلك من هذه المعاني الجزئية التي لا يمكن حصرها والإلمام بها في هذا المقام.

وإذا ما رجعنا إلى لفظة (وصل) وصورة ورودها في سياق النص، والدلالات التي توحى بها نرى أنها قد وضعت في هذه الصيغة "الموصول" بزنة المفعول وهو وصف مشتق من الفعل المضارع المبني للمجهول الذي الأصل فيه الاشتقاق من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف: وَصَلَ يَصِلُ وَصِلاً وَصِلاً وَصِلَةً ويكون متعدياً نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾⁽¹⁾ ويأتي لازماً نحو قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾.

والأصل في وزن مفعول الذي هو-هنا-بناء اسم المفعول المشتق في الحقيقة للدلالة على الحدوثِ وذات المفعول أو اتصافه به وليس للدلالة على الثبوت، غير أنه في مثل هذه السياقات والمقامات العارضة المتغيرة بحسب المقامات والأحوال لا ينبغي أن يعول على الوزن وحده، ذلك أن الوزن وحده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام، لذلك فلا بُد معه-هنا من الاعتماد على القرينة التي تعين أحدهما وتزيل عنه اللبس والاحتمال حتى يمكن القطع بعد ذلك في دلالة المعنوية لا الشكلية- أهو اسم مفعول، أو هو صفة مشبهة باسم الفاعل، أو غيرهما.

وبناء على كل ما سبق من القواعد الثابتة في العربية التي تنسحب على صيغة "الموصول" في هذا السياق تتظافر فيه قرائن عديدة مختلفة على كونه صفة مشبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت والملازمة الدائمة وليس الدلالة على الحدوث والتغير، والحدث وذات المفعول، منها الإضافة، وإضافة اسم المفعول إلى مرفوعه تخرجه من بابه إلى باب الصفة المشبهة باسم الفاعل من غير تغيير في صورته الشكلية التي هي "مفعول" فتسري عليه أحكام الصفة المشبهة الواردة في بابها⁽³⁾ ومنها القرينة المعنوية المستنبطة من سياق النص وهي أن المسلم الحقيقي دائماً وأبداً موصول القلب بربه الرحمان الرحيم، فإذا كان هناك شخص يدعي الاتصال بالله عز وجل قلباً وروحاً، وأفعاله وسلوكه وتصرفاته تخالف هذا الإدعاء فهذه الصفة تنفي عنه حقيقة وتحل محلها صفة أو صفات أخرى مناقضة لها تماماً

(1)-سورة الرعد، الآية 21.

(2)-سورة الرعد، الآية 25.

(3)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن....

هي صفات: النفاق أو الفسوق أو العصيان أو الكفر وغيرها مما اختلف فيه علماء العقيدة والدين، وعليه فالقرينة هنا هي قرينة حقيقة علمية عقائدية انتقل بها اسم المفعول من الدلالة على الحدوث والتجدد إلى صفة مشبهة باسم الفاعل دالة على الثبوت والملازمة الدائمة إلى أن يثبت عكسها في الموصوف.

وفيما يتعلق بالمستوى الأسلوبي فإن صيغة "الموصول القلب" جاء معرفة ب(أل) والتعريف هنا للعهد، فهو يدل على معهود أو موصوف مخصوص معلوم بدلالة الضمير في وصف خاص به لا يشركه فيه غيره من المنافق والفساق والعاصي والمشارك بالله وغيرهم ممن ثبت فيهم وصف الانقطاع عن الله تعالى و إذا ما حاولنا الرجوع إلى النص والتّظر فيه بالغوص في مُستواه الخارجي من خلال إيجاءاته وظلاله وإشاراتِه عن كُتب لم نجد مثلما نجعل النصّ القرآني وسيطا بيننا وبينه يقول الله جل ثناؤه: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۖ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۖ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ النَّبِيِّ أَوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۗ﴾ (1).

ومما جاء عن صاحب الكشاف عن تأويل هذه الآيات: «الذين يُوفون بعهد الله» مبتدأ، و«أولئك لهم عُقبَى الدار» خبره كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ۖ﴾ (2) ويجوز أن يكون صفة لأولى الألباب، والأول أوجه، وعهد الله: ما عقده على أنفسهم من الشهادة برؤيته ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسَتْ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ (3) «ولا ينقضون الميثاق» ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد، تعميم بعد تخصيص، «ما أمر الله به أن يوصل» من الأرحام والقربات، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ۗ﴾ (4) وهم المسلمون «الموصولو القلوب» برهم الرحمان الرحيم بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والدؤد عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم

(1) -سورة الرعد، الآيات 20، 21، 22.

(2) -سورة الرعد، الآية 25.

(3) -سورة الأعراف، الآية 172.

(4) -سورة الحجرات، الآية 10.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعبادة مرضاهم وشهود جنازتهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة، وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان، قال: أتقوا الله وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كُله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين، «وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أي: يخشون وعيده كله "ويخافون" خصوصا سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يُحاسبوا»⁽¹⁾ لأنَّ المسلم "الموصول القلب" يربه الرحمان الرحيم على الدوام وباستمرار هذا هو شأنه ودأبه مُحاسبة النفس على الأنفاس، ومراقبة القلب على الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

(1)-الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 567.

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (مفعول) معرف بالإضافة هي: «إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (علم):

جاء في اللسان: «من صفات الله عز وجل العالم والعليم والعلّام، وعليم، فعيل: من أبنية المبالغة ويجوز للإنسان الذي علمه الله علما من العلوم أن يُقال له: عليم، وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته، والعلّام والعلامة: النسابة وهو من العلم»⁽²⁾.

ومن معاني لفظ (علم) في أساس البلاغة: «ما علمت بخبرك: ما شعرتُ به، وهو معلّم الخير ومن معلمه: من مظانه، وخفّيت معالم الطريق، أي آثارها المستدلّ بها عليها»⁽³⁾.

بتعمّقنا لمعاني لفظ (علم) في المعاجم اللغوية، ومن خلال هذا التعقب المتأمل استبان لنا أن هذه اللفظة ذات شقين أساسيين، شق الدلالة الرئيسة نحو: الانكشاف والظهور، والعلم: نقيض الجهل، ونحو ما علمتُ بخبر قدومك، أي: ما شعرتُ وعلمتُ الشيء أعلمه: عرفته، وما أشبه ذلك وقاربة من المعاني ثم شقّ الدلالة الهامشية نحو الأعلام: الجبال، والعلّم: الراية التي يجتمع إليها الجنود، والعلّم: الثوب ورقمه في أطرافه، وغيرها من المعاني المتفرعة المتشعبة التي لا يسمح لنا المقام بمتابعتها وسير أغوارها.

وبالعودة إلى دلالات وإيجاءات وإشارات لفظ (علم) في سياق النص الذي جاءت فيه نرى أولاً أنّها وضعت في صيغة "معلومة" بزنة "مفعولة" وهو وصف مشتق من المضارع المبني للمجهول الذي أصل الاشتقاق فيه من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف المتعدي: علم يعلم علما، نحو قوله تعالى:

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ﴿كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صِلَانُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾⁽⁵⁾

فصيغة "معلومة الصفات" في سياق النص صفة مشبهة باسم الفاعل من المضارع المبني للمجهول على وزن "مفعول" وهي في الأصل بناء اسم المفعول المشتق فلما أريد به الثبوت والدوام أضيف إلى المرفوع في المعنى فانتقل إلى الصفة المشبهة باسم الفاعل الدالة وعلى الثبوت والملازمة الدائمة، لأنّ إضافة اسم المفعول إلى المرفوع محلاً تخرجه -حتماً- من باب (6). من غير تبديل في

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص38.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (علم)، ج9، ص370-371.

(3) - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (علم)، ج2، ص139.

(4) - سورة الأعراف، الآية 160.

(5) - سورة النور، الآية 41.

(6) - بتصرف، جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج5، ص90.

هيئته التي هو عليها عند إضافته لمرفوعه، وتدخله في باب "الصفة المشبهة" لتجري عليه كل أحكام الصفة المشبهة باسم الفاعل وأحوال إعرابها المنصوص عليها في بابها، هذا مع لفت الانتباه هنا إلى ضرورة توفر شرط القرينة لفظية كانت أو معنوية لكي يزول اللبس ويرتفع الاحتمال ويتعين أحدهما دون الآخر، والقرينة هنا في صيغة "معلومة الصفات" هي قرينة حقيقة علمية كيميائية ثابتة لا تبدل ولا تتغير لأنه قد بات معلوما لدى العلماء اليوم أكثر من ذي قبل تركيبة التربة من ذرات وكذلك بات معلوما عندهم خصائص ومواصفات هذه الذرات المتناهية في الصغر بواسطة الأجهزة في المخابر والمكبرات، وفيما يتعلق بالجانب الأسلوبي فنلاحظ أن صيغة "معلومة" قد وردت مضافة، وهذه الإضافة أكسبتها معرفة، وهذا التعريف جاء للعهد، ليدل على معهود مخصوص معلوم معين، بدليل الضمير في الوصف "معلومة الصفات" العائد على الموصوف "ذرات" الذي صار مُميزاً عن غيره من الأشياء والمواد والعناصر الأخرى المعقدة التركيب المجهولة الخصائص والصفات.

وبالانتقال إلى محاولة استنطاق سياق النصّ الخارجي ومحاوره دلالاته وإشاراته وفلسفة الحكمة والخبرة فيه نكتشف على الفور أن هذا السياق برموزه وأمثاله الحكيمية لا يريد أن يكلمنا في واقع الأمر عن التربة الأرضية أو الذرات التي تتركب منها أو العناصر الكيميائية والخصائص الفيزيائية والمقادير الرياضية التي تحتوي عليها فهذه الموضوعات والمسائل العلمية البحتة ليس هنا مقام الحديث والإفاضة فيها، إنما السياق اتخذ هذه العبارة مطية يتكئ عليها للوصول إلى غرض آخر هو من الأهمية بمكان في حياة المسلم الخالص الإيمان، المتقي لربه، الواثق به، الناظر في آياته، المتمعن في عبّره لذلك فإن عبارة: «إ»، هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات» هي في آخر المطاف مثلُ صنع الله في كل شيء مقابل الناس للأشياء والمواد المختلفة في هذه الحياة الدنيا، إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات⁽¹⁾ فإذا أخذ الناس هذه الذرات نفسها فقصارى ما يصوعونه... منها لبنة أو آجرة، أو آنية أو أسطوانة، أو هيكل أو جهازاً، كائناً في دقته ما يكون... ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات الترايبية حياة، نابضة خافقة، تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز.. سر الحياة ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر ولا يعرف سرّه بشر، وهكذا القرآن... حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوزاناً، ويجعل الله منها قرآناً وفرقانا، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات، هو الفرق بين الجسد الخامد والروح النابض.. هو الفرق ما بين صورة

الحياة وحقيقة الحياة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾⁽²⁾

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 38.

(2) - سورة البقرة، الآية 2

ومن أين يكون ريب أو شك، ودلالة الصدق واليقين كامنة في هذا المطّلع، ظاهرة في عجزهم عن صياغة مثله من مثل هذه الحروف المتداولة بينهم، المعروفة لهم من لغتهم؟

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾

المدى حقيقته، والهدى طبيعته، والهدى كيانه، والهدى ماهيته... ولكن لمن؟ لمن يكون ذلك الكتاب هدى ونوراً ودليلاً ناصحاً مبيناً؟.. للمتقين فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب، هي التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك، هي التي تُهيئ لهذا القلب أن يلتقط وأن يتلقى وأن يستجيب.

لابد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن ينجي إليه بقلب سليم، بقلب خالص، ثم أن يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى، ويحذر أن يكون على ضلالة، أو أن تستهويه ضلالة... وعندئذ يفتح القرآن عن أسرارهِ وأنوارهِ، ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقياً، خائفاً، حساساً، مُهيئاً للتلقى... وَرَدَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- سَأَلَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ التَّقْوَى فَقَالَ لَهُ: أَمَا سَلَكْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ بَلَى؟ قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: شَمَرْتُ وَاجْتَهَدْتُ، قَالَ: فَذَلِكَ التَّقْوَى.

فذلك التقوى... حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لأشواق الطريق... طريق الحياة.. الذي تتجاذبه أشواق الرغائب والشهوات، وأشواق المطامع والمطامح، وأشواق المخاوف والهواجس، وأشواق الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً، وعشرات غيرها من الأشواق!!⁽²⁾

لقد ذكر القرآن عنصر التراب في عدة آيات كما ذكر الذرة في بضع آيات، وهذه هي طبيعة القرآن ودأبه أن يتحدث عن العناصر والأحكام والشرائع الأساسية في حياة الناس، لكي يُنبههم إلى أهميتها ومنافعها المخبوءة عنهم، وهذا بعد اجتهاد الإنسان في التعرف على خصائصها وصفاتها، وهذا الذي فعله القرآن مع (الذرات المعلومة الصفات) عند الإنسان اليوم، بد أن تمّ الكشف عنها بالبحث والدراسة والتحليل المخبري... بواسطة المجهري وغيره.

(1)- سورة البقرة، الآية 2.

(2)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص ص 38-39.

- العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (مفعول) معرف بالإضافة هي: «وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبذّر والتمزق والانشغال بما لم يخلق له»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (حدّ، حدد):

لقد سبق لنا أن عالجنا هذا المستوى اللغوي والاشتقائي لهذه اللفظة في العبارة التي وردت فيها صيغة "مفعول" المعرفة الدالة في سياقها على الصفة المشبهة فلا نرى فائدة من تناول هذا الجانب مرة أخرى، لذلك نكتفي هنا بـ: معنى الصيغة كما وردت في سياق النص المذكور أعلاه⁽²⁾.

وعلى ضوء تتبعنا لمعاني لفظ (حدّ، حدد) التي جاءت في المعاجم والقواميس العربية، وكذا المصادر الأدبية ذات النمط الراقى في الفصاحة والإبداع والبيان العربي الناصع اتضح لنا أن معنى هذه اللفظة يدور في معظمه حول دلالة الفصل ما بين كل شيء، ومنتهاه، ومن ثمّ فحدّ كل شيء هو منتهاه لأنّه يرده، ويمنعه، ويحبسه عن التمادي والتعدّي إلى غيره.

وإذا ما التفتنا بأنظارنا نحو لفظ (حدّ، حدد) متأمّلين في هيئة ورودها في النص، ثمّ أنعمنا النظر في الدلالات المتنوعة العديدة التي يتضمنها في سياق النص، نلاحظها قد جاءت في هذه الصيغة "المحدودة" بزنة "المفعولة" وهو وصف مشتق من الفعل المضارع المبني للمجهول، الذي أصل الاشتقاق فيه هو مصدر الفعل الثلاثي الجرد المتصرف المبني للمعلوم: حد يحدّ حدّاً، نحو: قول العجاج:

أَمْ كَيْفَ حَدَّ مَطَرَ الْقَطِيمِ⁽³⁾

فصيغة "المحدود" في هذا النص صفة مشبهة من المضارع المبني للمجهول على بناء "مفعول" وهذا البناء في أصله هو اسم مفعول، فلما أريد به الثبوت والدوام أضيف إلى الاسم المجرور لفظاً، المرفوع محلاً- نائب فاعل- فصار صفة مشبهة باسم الفاعل دالة على الثبوت والملازمة الدائمة لأنّ إضافة اسم المفعول إلى مرفوعه- كما ورد عن جمهور النحاة تخرجه- حتماً- من باب من غير تبديل في صورته التي هو عليها عند إضافته لمرفوعه، وتدخّله في باب "الصفة والمشبّهة"- كما تقدم معنا في مناسبات عديدة- فيسمى باسمها، ويخضع لأحكامها على الرغم من بقائه على صورته الأصلية، إذ لا

(1)- المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 40.

(2)- ينظر صفحة: 455 من البحث.

(3)- الشاهد هو للشاعر رؤبة بن العجاج من بحر الرجز، ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدّ، حدد)، ج 3، ص 81، لم نقف له على أثر في الديوان.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

يصح تغيير صورته بسبب انتقال معناه من الحدوث إلى الدوام والاستمرار والثبوت: غير أن إضافة اسم المفعول إلى مفعوله- كما جاء عن جمهور النحاة- وحده لا يكفي لانتقال اسم المفعول المضاف إلى الصفة المشبهة، فاشترطوا مع الإضافة وجود القرينة، سواء كانت هذه القرينة لفظية أو معنوية⁽¹⁾ ومن ثم فالقرينة في سياق هذا النص هي قرينة حقيقة علمية ثابتة ممثلة في محدودية الطاقة الفكرية البشرية ونسبتيها حيث لا تتعدى هذه الطاقة حدود الأرض والحياة عليها يقول جل ذكره: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾⁽²⁾ وقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾

وإذا انتقلنا إلى المستوى التركيبي فنلاحظ أن صيغة "المحدودة" قد وردت في صور المفرد المؤنث المعرف ب(أل) والتعريف هنا جاء ب(أل) و(الإضافة) وكلاهما للعهد، أي يرمز إلى معهود أو موصوف مخصص معلوم معين ممثلاً في "الطاقة الفكرية" خاصاً بها وحدها دون غيرها من الطاقات النفسية والروحية والجسدية وسواها.

وإذا ما تحولنا إلى السياق الخارجي للنص فنلاحظه يركز على موضوع نفسي عقلي إدراكي هو على جانب كبير من الأهمية في حياة الفرد الإنساني خاصة والبشرية قاطبة ممثلاً في أسلوب وطريقة استغلال هذه الطاقة الفكرية العقلية وكيفية الحفاظ عليها وصيانتها من التلف والاضطراب وإرهاقها فيما لا طائل وراءه، وما لم يكن من اختصاصها، وشغلها، والتطلع إليه.

يقول جل شأنه ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾⁽⁴⁾ وقد جاء صاحب الكشاف في تأويل هذه الآية «وقوله: يعلمون» بدل من قوله "لا يعلمون" وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدل منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسدّه، ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، وقوله: «ظاهرًا من الحياة الدنيا» يفيد أنّ للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتناغم بملاذمها، وباطنها وحقيقتها أنّها مجاز إلى الآخرة: يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر» أنّهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر⁽⁵⁾.

(1)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

(2)-سورة الروم، الآية 7.

(3)-سورة الاسراء، الآية 85.

(4)-سورة الروم، الآية 7.

(5)-الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 911

ويقول سبحانه وتعالى في هذه الطاقة الفكرية البشرية "المحدودة المجال" النسبية الإدراك: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾

وقد ذهب صاحب تفسير التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية مذهب المفسر الحاذق اللغوي الواعي بأسرار العربية وأفنانها بقوله: «ولفظ "كُتِبَ عليكم" من صيغ الوجوب وقد تقدم في آية الوصية، و(أل) في القتال للجنس، ولا يكون القتال إلا للأعداء فهو عام عموماً عرفياً، أي: كتب عليكم قتال عدو الدين.

والخطاب للمسلمين وأعدائهم يومئذ المشركون، لأنهم خالفوهم في الدين وأذوا الرسول والمؤمنين، فالقتال المأمور به هو الجهاد لإعلاء كلمة الله، وقد كان النبي ﷺ غير مأذون في القتال في أول ظهور الإسلام، ثم أذن له في ذلك بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾⁽²⁾.

فعلى المختار يكون قوله: «كتب عليكم القتال» خيراً عن حكم سابق لزيادة تقريره ولينتقل منه إلى قوله: «وهو كره لكم» أو إعادة لإنشاء وجوب القتال زيادة في تأكيده..

وقوله: «وهو كره لكم» حال لازمة وهي يجوز اقترانها بالواو، ولك أن تجعلها جملة ثانية معطوفة على جملة: كُتِبَ عليكم القتال، إلا أن الخبر بهذا لما كان معلوماً للمخاطبين تَعَيَّنَ أن يكون المراد من الإخبار لأزِمَ الفاتدة، أعني كُتِبَ عليكم ونحن عالمون أنه شاق عليكم، وربما رجح هذا الوجه بقوله تعالى بعد هذا...»⁽³⁾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾.

والكره بضم الكاف: الكراهية ونفرة الطبع من الشيء، ومثله الكره بالفتح وما يأتي على الإنسان من جهة غيره من الجبر على فعل ما بأذى أو مشقة، وحيث قرئ بالوجهين هنا في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾⁽⁵⁾ ولم يكن هنا ولا هنالك معنى للإكراه تَعَيَّنَ أن يكون بمعنى الكراهية وإبابة الطبع كما قال الحماسي العُقيلي:

(1) -سورة البقرة، الآية 216.

(2) -سورة الحج، الآية 39.

(3) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج2، ص ص319-320.

(4) -سورة البقرة، الآية 216.

(5) -سورة الأحقاف، الآية 15.

بُكْرَهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمَرْهَقَةِ النَّصَالِ⁽¹⁾

رووه بضم الكاف وفتحها.

فالتقال كرهه للنفوس لأنه يحول بين المُقاتل وبين طمأنينته ولذاته ونومه وطعامه وأهله وبيته، ويُلجئ الإنسان إلى عداوة من كان صاحبه ويُعرضه لخطر لهلاك أو ألم الجراح، ولكن فيه دفعُ المذلة الحاصلة من غلبة الرجال واستضعافهم، وفي الحديث «لَا تَمْتُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقِيتُمْ فَاصْبِرُوا»⁽²⁾ وهو إشارة إلى أن القتال من الضرورات التي لا يُحبها الناس إلا إذا كان تركها يُفضي إلى ضررٍ عظيم قال العُقيلي:

وَنَبِكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي⁽³⁾

ومعلوم أن كراهية الطبعِ الفعل لا تُنافي تلقّي التكليف به برضاً لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة.

وقوله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾⁽⁴⁾ تذييل احتيج إليه لدفع الاستغراب الناشئ عن قوله: كتب عليكم القتال وهو كره، لأنه إذا كان مكروهاً فكان شأن رحمة الله بخلقه ألا يكتبه عليهم فذليل بهذا الدفع ذلك.

وجملة "وعسى" معطوفة على جملة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾⁽⁵⁾ وجملة: ﴿وَهُوَ كَرَهُ لَكُمْ﴾⁽⁶⁾ حالية من "شيئاً" على الصحيح من مجيء الحال من النكرة، وهذا الكلام تَلَطَّفَ من الله تعالى لرسوله والمؤمنين، وإن كان سبحانه غنياً عن البيان والتعليل، لأنه يأمر فإطاع، ولكن في بيان الحكمة تخفيفاً من مشقة التكليف، وفيه تعويد المسلمين بتلقي الشريعة مُعَلَّلةً مَذَلَّةً فأشار إلى أن حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفساد، ولا تعتمد ملاءمة الطبع ومنافرته، إذ يكره الطبع شيئاً وفيه نفعه وقد يجب شيئاً فيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات، فإن الشيء قد يكون لذيذاً مُلائماً ولكن

(1) -الشاهد للشاعر الحماسي العُقيلي من الوافر، أبو تمام، ديوان الحماسة، شرح وتعليق يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2007، ص 35.

(2) -مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص 741.

(3) -الشاهد للشاعر الحماسي العُقيلي من الوافر، أبو تمام، ديوان الحماسة، ص 35.

(4) -سورة البقرة، الآية 216

(5) -سورة البقرة، الآية 216.

(6) -سورة البقرة، الآية 216.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

ارتكابه يُفضي إلى الهلاك، وقد يكون كريها منافرا في ارتكابه صلاح، وشأن جمهور الناس الغفلة عن العاقبة والغاية أو جهلها، فكانت الشرائع وحملتُها من العلماء والحكماء تُحرّض الناس على الأفعال والتروك باعتبار الغايات والعواقب.

فإن قلت: ما الحكمة في جعل أشياء كثيرة نافعة مكروهة، وأشياء كثيرة ضارة محبوبة، وهلا جعل الله تعالى النافع كُلُّهُ مَحْبُوباً والضار كله مكروها فتساق النفوس للنافع باختيارها وتجتنب الضار كذلك فنكفي كلفة مسألة الصلاح والإصلاح التي تَنَاطَرَ فيها الأشعري مع شيخه الجبائي وفارق الأشعري من أجلها نحلة الاعتزال؟ قلت: إنَّ حكمة الله تعالى بَنَتْ نِظَامَ الْعَالَمِ عَلَى وُجُودِ النافع والضار والطيب والخبيث من الذوات والصفات والأحداث، وأوكل للإنسان سلطة هذا العالم بحكم خلقه الإنسان صالحاً للأمرين وأراه طريقَي الخير والشر.

وقد اقتضت الحكمة أن يكون النافع أكثر من الضار ولعل وجود الأشياء الضارة كَوْنَهُ اللهُ ليكون آلة لِحَمَلِ ناسٍ على اتباع النافع كما قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾⁽¹⁾ وقد أقام هذا العالم على وجود المتضادات، وجعل الكمال الإنساني حاصلاً عند حصول جميع الصفات النافعة فيه، بحيث إذا اختلت بعض الصفات النافعة انتقصت بقية الصفات النافعة منه أو اضمحلَّت، وجعل الله الكمال أقل من النقص لتظهر مراتب النفوس في هذا العالم ومبَالِغَ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ فِيهِ، فَاتَّسَبَّ النَّاسَ وَضَيَّعُوا وَضُرُّوا وَنَفَعُوا فَكَثُرَ الضَّارُّ وَقَلَّ النَّافِعُ بِمَا كَسَبَ النَّاسُ وَفَعَلُوا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾⁽²⁾ وكما صارت الذوات الكاملة الفاضلة أقل من ضدها صارت صفات الكمال عزيزة المنال، وأُحِيطَتْ عِزَّتُهَا وَنَفَاسَتُهَا بِصُعُوبَةِ مَنَالِهَا عَلَى الْبَشَرِ»⁽³⁾

وبما يحف بها من الخطر والمتاعب، لأنَّها لو كانت مما تنساق لها النفوس بسهولة لا ستوى فيها الناس فلم تظهر مَرَاتِبُ الْكَمَالِ ولم يقع التنافس بين الناس في تحصيل الفضائل واقتحام المصاعب لتحصيلها قال أبو الطيب:

ولا فضلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرَ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ⁽⁴⁾

(1) -سورة الحديد، الآية 25.

(2) -سورة المائدة، الآية 100

(3) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج2، ص ص 320-322.

(4) -الشاهد: للشاعر أبي الطيب المتنبي من البحر الطويل، الديوان، مج1، ص 63.

فهذا سبب صعوبة الكمالات على النفوس، وجملة: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ تذييل للجميع، ومفعولا "يعلم" و"تعلمون" محذوفان دلّ عليهما ما قبله، أي: والله يعلم الخير والشرّ وأنتم لا تعلموهما، لأنّ الله يعلم الأشياء على ماهي عليه والناس يشته عليهم العلم فيظنون الملائم نافعا والمنافر ضاراً.

والمقصود من هذا تعليم المسلمين تلقي أمر الله تعالى باعتقاد أنّه الصلاح والخير، وأنّ ما لم تتبين لنا صِفَتُهُ من الأفعال المكلف بها نوقن بأنّ فيه صفة مناسبة لحكم الشرع فيه فتطلبها بقدر الإمكان عسى أن ندرِكها، لِنُفَرِّغَ عليها ونقيس ويدخل تحت هذا مسائل مسالك العلة، لأنّ الله تعالى لا يُجْرِي أمره ونهيه إلا على وَفْقَ عِلْمِهِ⁽²⁾.

هذا والبشرية اليوم لا تبالي على الإطلاق بصيانة الطاقة الفكرية "المحدودة المجال" عن التبدذ والتمزق بما لم تُخلق له كتخليها عن منهج الله، وشريعته، وعقيدته ومحاولتها إيجاد منهج، وشرعية وعقيدة من عندها، معتمدة في ذلك كلها على عقلها القاصر "المحدود الطاقة" بحدود هذه الأرض والحياة فلم تجد نفسها إلا وهي أمام الحيرة والاضطراب والقلق والضياح ثم الفراع النفسي، والروحي والعقلي، والشعوري، وهذا كله: «قد جاء نتيجة اليأس القاتل من كل "التجارب" البشرية المنحرفة عن منهج الله» لقد جرّبت تلك البشرية الضّالة كل أنواع التجارب بعيداً عن منهج الله، فأعثرتها !.

جرّبت المادية الطاغية.. وجرّبت الرأسمالية الطاغية.. وجرّبت الشيوعية الطاغية وجرّبت الفردية الطاغية.. وجرّبت الجماعية الطاغية، وكل هذه التجارب لم تمنح البشرية الهدوء والطمأنينة واليقين... من أجل ذلك كفرت بهذه التجارب كلها التي أنشأها "العقل" البشري «المحدود المجال» وارتدت إلى اللاّ معقول؟ سواء كانت العاطفة الجامحة التي لا يمسكها دليل العقل، أو الهلوسة الباطنية التي لا يحكمها التفكير المنظم.. أو.. كلها انفلات من المعقول إلى اللاّ معقول؟

وهي جاهلية جديدة، لأنّها لا "تهتدي" إلى يقين تفرّ إليه من القلق والحيرة والاضطراب والشكوك⁽³⁾

مما لا ريب فيه أن الله عز وجل تكرّم على هذا الإنسان بالعقل وميّزه به من سائر الكائنات

(1) -سورة البقرة، الآية 216.

(2) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج2، ص ص322-323.

(3) -المصدر السابقة، ص 233.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

الأخرى، لكنه في الوقت ذاته طلب منه أن يحسن استغلاله، وصيانته من التبذ والتلف، لأنّ هذه الطاقة الفكرية (محدودة المجال) ولا يمكن للإنسان أن يخرق هذه الحدود الثابتة الباقية بقاءه على هذه البسيطة، لذلك فأى سوء استخدام لهذه الطاقة الفكرية (المحدودة المجال) خلقة وطبعاً يُعرضها للضياع، والتمزق، والفساد والتلاشي...

- العبارة السادسة التي وردت فيها صيغة مفعول معرف بالإضافة هي: «حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهيئة.. وأن يُكَيِّفُوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للقطعة:

(ألف) ورد في معجم الصحاح من معاني هذه اللفظة: الألف: عدد، وهو مذكر، يقال: هذا ألف واحد ولا يقال: واحدة، وهو ألف أقرع، أي: تام، ولا يقال: قرعاء.

وَأَلْفَهُ يَأْلِفُهُ بِالْكَسْرِ: أعطاه ألفاً، قال الشاعر:

وَكَرِيمَةٍ مِنْ آلِ قَيْسِ أَلْفُتُهُ حَتَّى تَبَذَّخَ فَارْتَقَى الْأَعْلَامَ⁽²⁾

أي، ربُّ كريمة، والهاء للمبالغة، أي: فارتقى إلى الأعلام، فحذف "إلى" وهو يريد به. والإلف: الأليف، يقال حنَّتِ الإلفُ إلى الإلف، وجمع الأليف الألف، مثل تبيَّع وتبائع وأفيل وأفائل، قال ذو الرمة

فَأَصْبَحَ الْبَكْرُ فَرْدًا مِنْ الْأَيْفِهِ يَرْتَادُ أَحْلِيَّةً أَعْجَازُهَا شَذَبُ⁽³⁾

وفلان قد أَلِفَ هذا الموضع بالكسر يألفه إلفاً، وألفه إياه غيره، ويقال أيضا: ألفتُ الموضع أولفه إيلافاً وأولفه مؤالفة وإلافا، وألفت بين الشيئين تأليفاً، فتألفاً، ومنه المؤلفة قلوبهم، وقوله تعالى:

﴿لِيَأْلِفَ قُرَيْشٌ ۝١﴾ إِيَّاهُمْ ﴿٤﴾ يقول تعالى: أهلكت أصحابَ الفيل لأولف قريشاً مكة،

ولتؤلف قريش رحلة الشتاء والصيف، أي: تجمع بينهما: إذا فرغوا من ذه أخذوا في ذه»⁽⁵⁾

ومما جاء من معاني هذه اللفظة في اللسان: «ألفتُ الشيء وألفته بمعنى واحد لزمته، فهو مؤلفٌ ومألوف، وألفتَ الظباءَ الرَّمْلَ إذا ألفتُهُ، قال ذو الرمة

من المُولَفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ⁽⁶⁾(7)

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص74.

(2)- الشاهد بلا نسبة وهو من الكامل، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى: شعر، قافية (الميم)، ص302.

(3)- الشاهد من البحر البسيط، للشاعر ذي الرمة، الديوان، ص22..

(4)- سورة قريش، الآيتان 1، 2.

(5)- الجوهري، الصحاح، مادة(ألف) ص51.

(6)- الشاهد للشاعر ذي الرمة من الطويل، ذو الرمة، الديوان، ص5.

(7)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ألف) ج1، ص179-180.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن)....

«أبو زيد: أَلَفْتُ الشيءَ وَأَلَفْتُ فلاناً إذا أنستَ به، وأَلَفْتُ بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وأَلَفْتُ الشيءَ تأليفاً: إذا وصلتَ بعضه ببعض ومنه تأليف الكتاب، وأَلَفْتُ فلاناً الشيءَ إذا أَلَمْتَهُ إِيَّاهُ أَوْلَفُهُ إِيلافاً، وفلان أَلِيفِي وإِلْفِي وهمُ الأَلْفِيُّ، وقد نزع البعيرُ إلى الألفه، وقول ذي الرمة:

أَكُنْ مِثْلَ ذِي الأَلْفِ لَزَّتْ كُرَاعُهُ إِلَى أُخْتِهَا الأُخْرَى، وَوَلَّى صَوَاحِبَهُ⁽¹⁾

والأَلِفُ والأَلِيفُ: حَرْفٌ هجاءٍ، قَالَ اللحياني: قَالَ الكِسائي: الألف من حروف المعجم مؤنثة، وكذلك سائر الحروف، هذا كلام العرب وإن ذكَّرت جاز، قال سيبويه: حروف المعجم كلها تُذَكَّرُ وتؤنثُ كما أن الإنسان يُذَكَّرُ ويؤنثُ⁽²⁾»

من خلال تعقبنا السريع لمعاني لفظة (ألف) الواردة في المعجم اللغوية العربية والمصادر الأدبية النادرة في الإبداع الإنشائي والفصاحة والبيان العربي العالي استبان لنا أنها تتمحور حول دلتين أساسيتين هما: الدلالة المركزية، والدلالة الفرعية، فالدلالة المركزية نحو: أَلَفْتُ الشيءَ وأَلَفْتُهُ بمعنى لَزَمْتَهُ فهو مُؤَلَّفٌ ومألوف، وأَلَفْتُ الشيءَ وأَلَفْتُ فلاناً إذا أنستُ به، وأَلَفْتُ بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق وما أشبه ذلك من هذه المعاني المتقاربة المتداخلة ببعضها، ثم الدلالة الفرعية نحو: الألف: عدد وهو مذكر، وأَلَفَهُ يَأْلِفُهُ بالكسر: أعطاه ألفاً، وإِلْفُ: الأليف، وأَلَفْتُ الظباءَ الرَّمْلَ إذا أَلَفْتَهُ وغيرها من هذه المعاني الفرعية التي لا تكاد تربطها ببعضها أي صلة سوى صلة الحروف الأصلية وترتيبها.

وإذا عدنا إلى الصُّورة التي وردت فيها لفظة (ألف) وإلى مختلف الدلالات التي تحملها في سياق النص الداخلي والخارجي نراها قد وضعت في هذه الصيغة "مألوف" وهو وصف مشتق من المضارع المبني للمجهول الذي يعود في أصل اشتقاقه إلى مصدر الفعل الثلاثي الجرد المتعدي المتصرف: أَلَفَهُ يَأْلِفُهُ إلفاً، نحو قول الشاعر:

وَكَرِيمَةٍ مِنْ آلِ قَيْسِ أَلْفْتُهُ حَتَّى تَبْدَخَ فَأَرْتَقَى الأَعْلَامَ⁽³⁾

ومنه قولُ أبي ذؤيب:

(1) -الشاهد للشاعر ذي الرمة من البحر الطويل، ذو الرمة، الديوان، ص 28.

(2) -ابن منظور، لسان العرب، مادة (ألف)، ج 1، ص 180-181.

(3) -الشاهد بلا نسبة وهو من الكامل، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج 7، المحتوى: شعر، قافية (الميم)، ص 302.

تَوَصَّلُ بِالرُّكْبَانِ حِينًا، وَتُؤَلَّفُ الْـ جَوَارَ، وَيُغَشِّيهَا الْأَمَانَ ذِمَامُهَا⁽¹⁾

وبناء على ما سبق فإن صيغة "مألوف حياتهم" صفة مشبهة باسم الفاعل من المضارع المبني للمجهول على وزن "مفعول" وهو في الأصل بناء اسم المفعول المشتق، فلما أريد به الثبوت والاستمرار أضيفَ إلى المرفوع في المعنى، المجرور في اللفظ، فانتقل بذلك إلى الصفة المشبهة باسم الفاعل الدالة على الثبوت والاستمرار الطويل، لأن إضافة اسم المفعول إلى المرفوع في المعنى، المجرور في اللفظ، فانتقل بذلك إلى الصفة المشبهة باسم الفاعل الدالة على الثبوت والاستمرار الطويل، لأن إضافة اسم المفعول إلى المرفوع محلاً تخرجه -حتمًا- من بابهِ من غير تغيير في صورته التي هو عليها عند إضافته لمرفوعه، وتدخله في "باب الصفة المشبهة باسم الفاعل" لتسري عليه كل أحكام الصفة المشبهة وأحوال إعرابها المنصوص عليها في بابها⁽²⁾ وهنا لا بد من توفر شرط القرينة-لفظية كانت أو معنوية- من أجل إزالة اللبس وارتفاع الاحتمال وتعيين أحدهما دون الآخر، وعليه فالقرينة هنا في صيغة "مألوف حياتهم" هي قرينة حقيقة علمية عرفية اجتماعية طويلة المدى وشائعة مستمرة مألوفة في هؤلاء القوم، موروثه أب عن جد نحو قوله تعالى: في جماعة المشركين الذين دأبوا على عبادة آلهة وأصنام لا تضر ولا تنفع: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا مَلْأَمًا عَدِيدِينَ﴾⁽³⁾.

وإذا التفتنا إلى الجانب الدلالي التحوي نجد أن صيغة "مألوف حياتهم" قد وردت مضافة، وهذه الإضافة قد اكتسبتها معرفة، وهو تعريف مفيد للعهد، ليدل على معهودٍ مخصوص معلوم معين بدليل المضمرة في الوصف "مألوف حياتهم" العائد على الموصوف وهي العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد التي يشق على الأبناء أن يتخللوا عنها.

وبالتحول إلى محاولة استنطاق سياق النص الخارجي والتحاور مع بعض دلالاته وإشاراته المختلفة، وعليه فسبب النص الخارجي يشير في واقع الأمر إلى بني إسرائيل في مصر وإيلافهم أكل حبوب وبقول معينة لم يريدوا بديلاً عنها وهما هو القرآن الكريم يُفصل دعاوهم والتواءاتهم ونكرانهم لنعمة الله عليهم يقول سبحانه جل ذكره.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجَدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا

⁽¹⁾ -الشاهد: بن البحر الطويل، للشاعر أبي ذؤيب الهذلي، أبو ذؤيب الهذلي، ديوان الهذليين، ص 73.

⁽²⁾ -عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 242.

⁽³⁾ -سورة الأنبياء، الآية 53.

وَقَشَائِبَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسِهَا وَبَصْلِهَا^ط قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا
فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ^ط وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ^ط ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ⁽¹⁾

جاء عند صاحب "جامع البيان عن تأويل أي القرآن" عن تأويل هذه الآية قوله: «حدثني موسى بن هارون، قال حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أعطوا في التيه ما أعطوا، فملوا ذلك وقالوا: ﴿يَمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدِ فَادِعَ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَشَائِبِهَا وَفُومِهَا وَعَدْسِهَا وَبَصْلِهَا^ط﴾⁽²⁾ حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال أخبرنا ابن وهب، قال أنبأنا ابن زيد، قال: كان طعام بني إسرائيل في التيه واحداً، وشرابهم واحداً، كان شرابهم عسلاً يتزل لهم من السماء يقال له المن، وطعامهم طير يقال السلوى، يأكلون الطير ويشربون العسل، لم يكونوا يعرفون خبزا ولا غيره فقالوا: يا موسى إننا لن نصبر على طعام واحد، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها، فقرأ حتى بلغ: «اهبطوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله: "مِصْرًا" فقراءه عامة القراء: "مِصْرًا" بتنوين المِصر وإجرائه، وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه، فأما الذي نوتوه وأجرؤه، فإِنَّهُمْ عَنَّا بِهِ مِصْرًا من الأمصار لا مِصْرًا بعينه، فتأويله على قراءتهم مِصْرًا من الأمصار، لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم إذا هبَطْتُمُوهُ ما سَأَلْتُمْ من العيش»⁽³⁾

وأما صاحب الكشاف فيذهب في تأويل هذه الآية إلى أنهم: «كانوا فلاحه فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء "على طعام وحده" أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى، فإن قلت: هما طعامان فمالهم قالوا على طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد مالا يختلف ولا يتبدل، ولو كان على مائة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها، قيل: لا يأكل فلان إلا طعاماً واحداً، يُراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف، ويجوز أن يريدوا أنّهما ضرب واحد»⁽⁴⁾

(1) -سورة البقرة، الآية 61.

(2) -سورة البقرة، الآية 61.

(3) -الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج 1، ص 433-437.

(4) -الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 66.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن....

لأنهما معاً من طعام أهل التلذذ والترف، ونحن قوم فلاحه أهل زراعات، فما نريد إلا ما ألفناه وضرينا به من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ومعنى "يُخرج"⁽¹⁾ يُظهر ويوجد، والبقل ما أنبتته الأرض من الخضِر، والمراد به أطيب البقول التي يأكلها الناس كالنّعناع والكرفس والكراث وأشباهاها⁽²⁾.

ويقول محمد الطاهر بن عاشور في جملة ما يذهب إليه عن تأويل هذه الآية: وقوله: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ﴾⁽³⁾ هو من كلام موسى، وقيل: من كلام الله وهو توبيخ شديد لأنه جرّده عن المقنعات وعن الزجر، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ، وفي الاستبدال للخير بالأدنى النداء بنهاية حماقتهم وسوء اختيارهم.

وقوله: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ﴾ ، السّين والتاء فيه لتأكيد الحدث وليس للطلب، فهو كقوله: ﴿وَأَسْتَعْنَىٰ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾ وقولهم استجاب بمعنى أحاب، واستكبر بمعنى تكبر ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَ شُرْهُ مُسْتَبِيرًا﴾⁽⁵⁾، وفعل استبدل مشتق من البدل وبدل وتبدل وكلها أفعال مزيدة ولم يُسمع منه فعل مُجرّد وكأنهم استغنوا بهذه المزيّدة عن المجرّد، وظاهر كلام صاحب الكشاف في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَلْوَانِ﴾⁽⁶⁾ أن استبدل هو أصلها وأكثرها وأن تبدل محمول عليه لقوله: والتفعل بمعنى الاستفعال غزير ومنه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستخار.

وجميع أفعال مادة البدل تدل على جعل الشيء مكان شيء آخر من الذوات أو الصفات أو عن تعويض شيء بشيء آخر من الذوات أو الصفات⁽⁷⁾.

أما صاحب تفسير "في ظلال القرآن" فيلخص مضمون هذه الآية بقوله: «لقد كانوا بين الصحراء بجذبها وصخورها، السماء بشواظها ورجومها فأما الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء، وأما السماء فأنزل لهم منها المن والسلوى: عسلاً وطيراً، ولكنّ البنية المفككة، والجيلة الهابطة المتداعية، أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في

(1) -سورة البقرة، الآية 61.

(2) -الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 66.

(3) -سورة البقرة، الآية 61

(4) -سورة التغابن، الآية 6.

(5) -سورة الإنسان، الآية 7.

(6) -سورة النساء، الآية 2.

(7) -محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 1، ج، ص 523.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

الصحراء، لقد أخرجهم الله-على يدي نبيهم موسى-عليه السلام-من الذل والهوان ليُورثهم الأرض المقدسة، وليرفعهم من المهانة والضعفة. وللحرية ثمن، وللعزة تكاليف، وللأمانة الكبرى التي ناطهم الله بها فدية، ولكنهم لا يريدون أن يؤدّوا الثمن، ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهينة، حتى بأن يُغيروا مألوف طعامهم وشراهم، وأن يكيّفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة في طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة، إنهم يريدون الأطعمة المتنوعة التي ألفوها في مصر، يريدون العَدَسَ والثوم والبصل والقثاء، وما إليها وهذا ما يُذكّرهم القرآن به، وهم يدعون في المدينة دَعَاوَاهُمْ العريضة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ أَحْبَبُوا ۗ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ ۗ وَالْمَسْكَنَةُ ۗ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾⁽¹⁾

ولقد تلقى موسى طلبهم بالاستنكار: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ أَحْبَبُّ ۗ﴾ أتريدون الدنية وقد أراد الله لكم العلية؟ ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ إماما بمعنى أن ما يطلبوا أية مدينة فإنكم واجدوه فيها... وإماما بمعنى عودوا إذن إلى مصر التي أخرجتم منها، عودوا إلى حياتكم الدارجة "المألوفة" إلى حياتكم الخابطة الذليلة، وحيث تجدون العَدَسَ والبصل والثوم والقثاء ودَعُوا الأمور الكبار التي نديبتم لها... ويكون هذا من موسى-عليه السلام تأنيبا لهم وتوبيخا.. ولم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناسير عدداً من أنبيائهم وهي أشنع فعلة تصدُر من أمة مع دُعاة الحق المخلصين-وقد كفروا أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبشع المعصية، وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل⁽²⁾

وقد عزّ على الناس اليوم في الشّرق والغرب مثلما وقع لبني إسرائيل في عهد موسى-عليه السلام-عزّ عليهم أن يدعوا "مألوف حياتهم" في ميدان السّحر والشعوذة والخرافات وتقديم القرابين للأضرحة والقبور، وتقديس الأنصبه والتمثيل لفلان وعلان؟

(1)-سورة البقرة، الآية 61.

(2)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص ص74-75.

وشق عليهم أن يتركوا "مألوف حياتهم" في العقائد والعبادات والشعائر الدينية المنحرفة، فراحوا يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وعولوا عليهم في الوصول إلى الرزق والمال والقوت وعبدوهم إلى التُّخاع، من أجل ذلك قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽¹⁾ كما صعب عليهم أن يتركوا "مألوف حياتهم" في التحاكم إلى الطاغوت من الهوى والرأي الشخصي والمصلحة والسلطان الجائر وحكم الجاهلية يقول جل ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾⁽³⁾

وأبى الناس اليوم كذلك أن يتخلوا عن "مألوف حياتهم" في شؤونهم الاجتماعية المختلفة، فكلما اختلفوا في مسألة تمس حياتهم الجارية اليومية لم يلجأوا إلى كلام الله وما جاء به الرسول ﷺ من سنة قولية وفعلية وتقريرية ليفصل بينهم فيماهم فيه يختلفون وإنما يعتمدون ذلك على الجدل الفارغ، والهوى، وما تمليه عليهم المصلحة الشخصية الآنية، واليمين الكاذب، كما يعتمدون في غالب الأحوال على العادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

وفي الأخير يبدو أن العرب المستسلمين اليوم قد أبوا أن يدعوا "مألوف حياتهم" الرتيبة المهينة في التفرقة والانقسام، والضعف والهوان فعزَّ عليهم أن يرتفعوا عن الحضيض فركنوا إلى الدعة والخمول، والخنوع والتبعية، والتقاط فتاة الغرب في المأكل والملبس وشتى المصنوع والثقافة والفن. وقد تعود العرب والمسلمون حياة الخمول والكسل والإهمال، وأعداؤهم من حولهم يأتون بالعجب العجاب، يقول شاعر:

خُمُولاً وَإِهْمَالاً وَغَيْرُكَ مُوَلِّعٌ بَثْبِثِ اسْتَبَابِ السِّيَادَةِ وَالْمَجْدِ⁽⁷⁾

(1)-سورة العنكبوت، الآية 17.

(2)-سورة النساء، الآية 60.

(3)-سورة الشورى، الآية 21.

(4)-سورة المائدة، الآية 104.

(5)-سورة الشعراء، الآية 74.

(6)-بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 74.

(7)-الشاعر مجهول لم أقف له على أثر.

-صيغة (مفعول) المنكرة:

وردت هذه الصيغة في المدونة في كم قليلا جدا، حيث لم تتعد الثمانية صيغ، وقد أخضعنا منها للتمثيل والتحليل أربع صيغ، كما هو مبين في الجدول البياني أدناه:

-جدول بياني لصيغة (مفعول) المنكرة الواردة في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	مَفْرُوشَةٌ	47	27	فهذا الكونُ أرضه مفروشةٌ لهذا الإنسان
2-	مَخْلُوقَةٌ	60	14	فهذه الماديات مخلوقة-أو مصنوعة-من أجله.
3-	مَفْتُوحٌ	61	18	والطريق مفتوحٌ للتوبةِ في بساطةٍ ويُسر.
4-	مَوْصُولًا	63	16	يواجه السياق في السورتين بني إسرائيل، أولئك الذين وأجهو الدعوة في المدينة مواجهةً مُنكرةً، وقاوموها مقاومةً خفيةً وظاهرة، وكادوا لها كيدا موصولا لم يفتر لحظة...حتى اللحظة الحاضرة.

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (مفعول) منكّرة هي: «فهذا الكون أرضه مفروشة لهذا الإنسان»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (فرش):

إنَّ أوَّلَ مَا يَطَالَعُنَا عِنْدَ التَّعْرِيفِ بِمَادَّةِ (فَرَشَ) فِي الْمَعْجَمِ اللَّغَوِيِّ الْحَقِيقَةِ هُوَ: «فَرَشَتْ زَيْدًا بَسَاطًا، وَأَفْرَشْتُهُ، وَفَرَشْتَهُ: إِذَا بَسَطْتَ لَهُ بَسَاطًا فِي ضِيَافَتِهِ، قَالَ اللَّيْثُ: الْفَرَشُ: مَصْدَرُ فَرَشَ يَفْرُشُ، وَهُوَ بَسَطَ الْفَرَاشَ، وَأَفْرَشَ الْقَوْمَ الطَّرِيقَ: سَلَكَهُ»⁽²⁾

وَفِي اللِّسَانِ عَنِ التَّعْرِيفِ بِمَادَّةِ (فَرَشَ) قَوْلُهُ: «أَفْرَشَ ذِرَاعِيهِ: بَسَطَهُمَا عَلَى الْأَرْضِ، وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى فِي الصَّلَاةِ عَنِ افْتِرَاشِ السَّبْعِ»⁽³⁾ وَهُوَ أَنْ يَسِطَ ذِرَاعِيهِ فِي السُّجُودِ وَلَا يُقْلِعُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا عَنِ الْأَرْضِ إِذَا سَجَدَ كَمَا يَفْتَرِشُ الذَّنْبَ وَالْكَلْبَ ذِرَاعِيهِ وَيَسِطُهُمَا وَالْفَرَاشَةَ: أَرْضَ، قَالَ الْأَخْطَلُ:

وَأَقْفَرَتِ الْفَرَاشَةَ⁽⁴⁾ وَالْحَبِيبَا وَأَقْفَرَ، بَعْدَ فَاطِمَةَ، الشَّقِيرُ⁽⁵⁾

وَفِي الصَّحَاحِ: «الْفَرِاشُ: وَاحِدُ الْفُرُشِ، وَقَدْ يُكْنَى بِهِ عَنِ الْمَرْأَةِ وَفُلَانٍ كَرِيمِ الْمَفَارِشِ: إِذَا تَزَوَّجَ كِرَائِمَ النِّسَاءِ، وَالْفَرَشُ: الْمَفْرُوشُ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ»⁽⁶⁾

وَبَعْدَ هَذَا التَّعَقُّبِ الْمَوْجُزِ لِمَادَّةِ (فَرَشَ) فِي الْمَعْجَمِ اللَّغَوِيِّ اتَّضَحَ لَنَا أَنَّ دَلَالَتَهَا الْأَصْلِيَّةَ تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ مَعَانِي الْبَسَطِ، وَالْمَهْدِ، وَالْكَشْفِ، وَالْعَرْضِ وَهِيَ مَعَانٌ يُفْضِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَيَجْرِي وَاحِدًا.

وَإِذَا مَا اتَّجَهْنَا بِأَنْظَارِنَا صَوَّبَ لِفِظَةِ (فَرَشَ) وَمَعْنَاهَا فِي سِيَاقِ النَّصِّ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ نَجْدُهَا قَدْ وَضَعَتْ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ: "مَفْرُوشَةٌ" بَزْنَةَ مَفْعُولَةٍ، وَهُوَ وَصْفٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ، وَفَعَلَ مَاضِيَهُ فَرَشَ وَمَضَارِعُهُ يَفْرُشُ وَيَفْرُشُ فَرَشًا وَفَرَاشًا نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 47.

(2)- أبو منصور الأزهري، معجم تهذيب اللغة، مادة (فرش)، مج3، ص 2767-2769.

(3)- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، مج1، ج2، ص 612.

(4)- الفراشة، والحبيب، والشقير، كلها: أسماء مواضع الأخطل، الديوان، ص 152.

(5)- الشاهد: من البحر الوافر، للشاعر الأخطل، الديوان، ص 152.

(6)- الجوهري، الصحاح، مادة (فرش)، ص 804.

فَرَشْنَهَا فَنِعَمَ الْمَهْدُونَ ﴿١﴾.

هذا والأصل في وزن المفعول الذي هو بناء اسم المفعول هنا الذي يدل- في واقع الأمر- على الحدّث والحدوث وذات المفعول أو اتصافه به لا الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار، بيد أنه في نحو هذه السياقات المتغيرة، المتبدلة حسب الظروف والأحوال لا ينبغي أن يُعوّل على الوزن وحده لأنّ الوزن وحده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام لذلك فلا بد معه من القرينة التي تُعيّن أحدهما وتُزيل عنه اللبس والاحتمال كي يمكن الجزم بعد ذلك في دلالة المعنوية لا الصورية- اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو غيرهما⁽²⁾.

ومن هنا فإنّ هذا الكلام السابق ينطبق على صيغة "مفروشة" الواردة في النص الذي نحن بصدد دراسته وتحليله.

فكما هو ظاهر أنّ هذه الأرض قد بُسّطت ومُهّدت وانتهى أمرها وهذا قبل نزول آدم عليها، إذا فهذه الكلمة التي جاءت على وزن(مفعول) نحو: مفروشة التي وردت في هذه النص معنا تدل على دوام معناها واستمرار صفتها في الموصوف الذي هيأه الله سبحانه قبل نزول آدم -عليه الصلاة والسلام- إلى هذه الأرض.

وبالتالي فإن صيغة "مفروشة" التي جاءت في وزن اسم المفعول في هذه النص تفيد الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة بسبب القرينة المعنوية التي دلّ سياق النص عليها وليس الدلالة على الحدوث والحدّث وذات المفعول، فهي لذلك كله صفة مشبهة باسم الفعل لا اسم مفعول وتسري عليها أحكام الصفة المشبهة وقواعدها النحوية والإعرابية.

أما على المستوى التركيبي، أي: الأسلوبي فقد جاءت الصيغة مفردة مؤنثة منكرة، بيد أن التكررة هنا "مفروشة" لا تفيد العموم والإطلاق فهي مقيدة يدل على مخصوص معيّن معلوم مشار إليه بالضمير المستتر في صيغة "مفروشة" العائد على الموصوف الذي هو "أرضه" في قوله: "أرضه مفروشة" مما زاد المعنى وضوحا وتحديدا وقربا وتمييزا للموصوف عن غيره مما قد يشاركه في هذا الوصف نحو: البساط والثياب، والنبات والدار وغيرها..

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص نجد أن أحسن ما يتساق مع هذا المعنى والوصف الذي

(1)-سورة الذاريات، الآية 48.

(2)-جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح الجوامع، ج5، ص 90.

جاء في النص قوله جلّ وعز ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾⁽¹⁾

«والفرش: بسط الثوب ونحوه للجلوس والاضطجاع، وفي "فرشناها" استعارة تبعية شبه تكوين الأرض على حالة البسط بفرش البساط ونحوه.

وفي هذا الفرش دلالة على قدرة الله وحكمته إذ جعل الأرض مبسوطاً لِمَا أراد أن يجعل على سطحها أنواع الحيوان يمشي عليها ويتوسدّها ويضطجع عليها ولو لم تكن كذلك لكانت مُحدّوذةً تؤلم الماشي به المتوسد والمضطجع ولما كان في فرشها إرادة جعلها مهذاً لمن عليها من الإنسان أتبع "فرشناها" ثناء الله على نفسه على إجادته تمهيداً تذكيراً بعظمته ونعمته، أي: فَنِعْمَ الماهدون نحن.

وصيغة الجمع في قوله: "الماهدون" للتعظيم مثل ضمير الجمع في الله، ورُوعي في وصف خلق الأرض ما بيدو وللناس من سطحها لأنه الذي يهتم الناس في الاستدلال على قدرة الله وفي الامتنان عليه بما في لطفهم والرفق بهم، دون تعرض إلى تكويرها إذ لا يبلغون إلى إدراكه، كما رُوعي في ذكر السماء ما يبدو من قبة أجوائها دون بحث عن ترامي أطرافها وتعدّد عوالمها مثل ذلك، ولذلك أتبع الاعتراض بالتذليل بقوله: "فَنِعْمَ الماهدون" المراد منه تلقين الناس الثناء على الله فيما صنع لهم فيها من منّة يشكروه بذلك الثناء كما في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

ومما يصبّ في هذا السياق أيضاً قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽⁴⁾ «والناس لطول ألفتهم لحياقتهم على هذه الأرض "المفروشة" وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعاً، ينسوّن نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها، والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويصرهم بها، في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض "المفروشة" في كل لحظة وكل يوم... والأرض "المفروشة" الذلول كانت تعني في أذهان المخاطبين القدامى، هذه الأرض للسير فيها بالقدم وعلى الدابة وبالفلك التي تمخر البحار، "المفروشة" المذلة للزرع والجني والحصاد، و"المفروشة" للحياة فيها بما تحويه من هواء وثربة وماء تصلح للزرع والإنبات، وهي

(1) -سورة الذاريات، الآية 48.

(2) -سورة الفاتحة، الآية 2

(3) -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 11، ج 27، ص 17.

(4) -سورة الملك، الآية 15.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن" ...

مدلولات مجملة يُفصلها-فيما اهتدى إليه حتى اليوم-تفصيلا يمد في مساحة النصّ القرآني في الإدراك؟

ويمكننا أن نقدم مثالا أو مثالين على سبيل الاختصار عما يقوله العلم في مدلول الأرض "المفروشة" الذلول: إنّ هذا الوصف "المفروشة" وكذلك "الذلول" الذي يطلق عادة على الدّابة، مقصود في إطلاقه على الأرض! فالأرض هذه "المفروشة" التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة، بل راحة رأكضة مُهطعة!! وهي في الوقت ذاته ذلول لا تُلقي براكبيها عن ظهرها، ولا تتعثر خطاها، ولا تُخضّه، ولا تهزه، ولا ترهقه كالذّبة غير الذلول! ثم هي دابة حلّوب مثلما هي ذلول!

إنّ هذه الدّابة "المفروشة" الذلول التي نركبها-اكتشف العلم الحديث-أنها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل ألف ميل في الساعة، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء، ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمنا مستريحا مطمئنا معافيا لا تتمزق أوصاله، ولا تتناثر أشلاؤه، بل لا يبرّج مُخّه ولا يدوخ، ولا يقع مرّة عن ظهر هذه الأرض "المفروشة" الذلول⁽¹⁾ ولا يسعنا إلا أن نقول: سبحان الله الذي خلّق كلّ شيء فقدره تقديرا!!!

(1)-بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، ج29،

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (مفعول) وهي: «فهذه الماديات مخلوقة أو مصنوعة من أجله»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي ولاشتقائي للفظ (خلق):

إنَّ مما اجتهدنا في انتقائه عند التعريف بمادة (خلق) من مضامين أن: «الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء والآخر: ملاسة الشيء، فأما الأول فقولهم: خلقت الأديم للسقاء: إذا قدّرتَه قال زهير:

ولأنتَ تَفْرِي⁽²⁾ مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي⁽³⁾

ومن ذلك الخلق، وهي السّجّية، لأنّ صاحبه قد قدّر عليه، والخالق: النصيب، لأنّه قد قدّر لكل أحد نصيبه، ومن الباب: رجل مُخْتَلِقٌ: تام الخلق، والخلق: خلق الكذب، وهو اختلافه واختراعه، وتقديره في النفس قال الله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾⁽⁴⁾ وأما الأصل الثاني: فصخرة خلّقاء، أي: ملساء»⁽⁵⁾

ومما جاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله: «الله تعالى وتقدّس الخالق، والخالق، وفي التزليل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾⁽⁶⁾ وفيه: ﴿وَهُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁷⁾ ومن صفات الله تعالى: «الخالق والخالق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجل، وهو الذي أوجد الأشياء جميعا بعد أن لم تكن موجودة»⁽⁸⁾ وفي أساس البلاغة قوله: «ومن المجاز: خلق الله الخلق: أوجده على تقدير أوجبه الحكمة، وهو ربّ الخليفة والخالق، وامرأة خليفة: ذاتُ خلق وجسم»⁽⁹⁾.

وبعد هذا العرض المركّز الوجيز لمادة (خلق) في المعاجم اللغوية تأكد لنا أن دلالتها الأصلية

(1)- بتصرف: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص60.

(2)- فرى يفرى، الفري: إذا كان يأتي بالعجب في عمله، الجوهري، الصحاح، مادة(فري)، ص801.

(3)- الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص56.

(4)- سورة العنكبوت، الآية 17.

(5)- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (خلق)، ص268.

(6)- سورة الحشر، الآية 24.

(7)- سورة (يس) الآية 81.

(8)- ابن منظور، لسان العرب، مادة(خلق)، ج4، ص192-198.

(9)- الرّمخشري، أساس البلاغة، مادة (خلق)، ج1، ص248.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

المركزية تتمركز في معنى: حسن التقدير، وإتمامه على أحسن وجه، واختراع الشيء وإبداعه على غير مثال سابق.

واستناداً على الأصول التي ذكرناها غير مأمرة والمقررة في النحو والصرف فإن كل ما جاء فيها ينسحب هو الآخر على صيغة "مخلوقة" الواردة في النص الذي نحن بصدد معالجته وتحليله.

وكما هو واضح أن هذه الأشياء والماديات المبسوطة في الأرض والسماء أيضاً قد تمّ وثبت وانتهى تسخيرها وإعدادها من لدن الله سبحانه وتعالى من أجل الإنسان منذ زمن بعيد، وقد حدث هذا قبل نزول آدم عليه السلام إلى الأرض، ومن ثم فإن هذه الصيغة التي جاءت على وزن (مفعول) وهي "مخلوقة" التي وردت في النص السابق تدل على دوام معناها، واستمرار صفتها في الموصوف الذي هو: "هذه الماديات" التي هيأها الله سبحانه وذللها، وجعلها قطوفاً دانيةً لاستقبال آدم وذريته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾⁽¹⁾.

وعليه فإن صيغة "مخلوقة" التي جاءت بزنة اسم المفعول في هذا النص تفيد الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار بدلالة القرينة المعنوية التي دل سياق النص عليها وليس الدلالة على الحدوث وذات المفعول، من أجل ذلك كله فهي صفة مشبهة باسم الفاعل المنصوص عليها في أحكامها النحوية والإعرابية المعروفة في بابها.

وأما على المستوى التركيبي، أي: الأسلوب فقد جاءت الصيغة في قالب المفرد المؤنث المنكر، بيد أن النكرة-هنا- "مخلوقة" لا تفيد معنى العموم والإطلاق لتقييدها وارتباطها بموصوف مخصوص معلوم معيّن مشار إليه بالضمير المستتر في صيغة "مخلوقة" العائد على الموصوف مميزاً متفرداً عن غيره مما قد يشاركه في هذا الوصف نحو: ألعاب الأطفال، وأنواع اللّهُو والتّسلية والتّفكّه والمزاح التّفهّه لم يخلقها الله من أجل الإنسان: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾.

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص نرى أن أفضل ما يتساق مع المعنى العام والوصف الذي جاء في النص قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنبِّئُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(1)-سورة الحاثية، الآية 13.

(2)-سورة المؤمنون، الآية 115.

(3)-سورة الحاثية، الآيتان 12، 13.

يقول الطبري عن تأويل هاتين الآيتين: «يقول تعالى ذكره: الله أيها القوم، الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بينها لكم في هذه الآيات، وهو أنه "سخر لكم البحر لتجري" السفن "فيه بأمره" لمعايشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به، وبينهاكم عنه»

يقول تعالى ذكره: "وسخر لكم ما في السماوات" من شمس وقمر ونجوم "وما في الأرض" من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم "جميعاً منه" جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بما عليكم، وفصلٌ منه تفضّل به عليكم، إياها فاحمدوا لا غيره لأنه لم يُشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها "مخلوقة" منه ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه⁽¹⁾.

وأما صاحب تفسير التحرير والتنوير فيقول في تفسير قوله تعالى: «وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه» هذا تعميم بعد تخصيص اقتضاه الاهتمام أولاً ثم التعميم ثانياً «وما في السماوات وما في الأرض» عام مخصوص بما تحصل للناس فائدة من وجوده: كالشم للضياء، والمطر للشراب، أو من بعض أحواله: كالكواكب للاهتمام بها في ظلمات البر والبحر، والشجر للاستظلال، والأنعام للركوب والحرق ونحو ذلك، وأما في السماوات والأرض مما لا يفيد الناس فغير مراد مثل الملائكة في السماء والأهوية المنحوسة في باطن الأرض التي يأتي منها الزلزال⁽²⁾

وهذا هو المراد من قوله في النص: وهذه الماديات "مخلوقة" من أجل الإنسان، أي الماديات المحسوسة التي ينتفع منها الإنسان مباشرة في معاشه اليومي، المستخدم في مصالحه ومرافقه العديدة المختلفة كالحرث والزرع والأكل والشراب والبناء والصناعة والركوب والحمل والتنقل والحرف المتنوعة كالحداثة والنجارة والطب وصناعة الآلات والأواني المدنية والحربية وغيرها.

ويقول عالم مُعاصر آخر عن تأويل الآيتين السابقتين وهو يحاول استنطاقهما والتألق في دلالتيهما: «إن هذا المخلوق الصغير... الإنسان.. يحظى من رعاية الله- سبحانه- بالقسط الوافر، الذي يتيح له أي يسخر الخلائق الكونية الهائلة، ويتنفع بها على شتى الوجوه، وذلك بالاهتمام إلى طرفٍ من سرّ الناموس الإلهي الذي يحكمها، والذي تسير وفقه ولا تعصاهُ!

(1)- أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج 9، ص 7372-7373.

(2)- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 190، ج 25، ص 337.

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن" ...

ولولا هذا الاهتداء إلى طرفِ السرِّ ما استطاع الإنسان بقوته الهزيلة المحدودة أن ينتفع بشيء من قوى الكونِ الهائلة، بل ما استطاع أن يعيش معها، وهو هذا القزم الصغير، وهي هذه المرْدَةُ الجبَّارة من القوى والطاقات والأحجام والأجرام.

والبحر أحد هذه الجبابرة الضخام "مخلوقة" ومسخرة من الله لهذا الإنسان، فهدها إلى شيء من سر تكوينها وخصائصها، عرف منه هذه الفلكَ التي تَمخر هذا الخلق الهائل، وهي تطفو على تَبج أمواجه الجبَّارة ولا تخشاهما ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾⁽¹⁾ فهو- سبحانه- الذي خلق البحر بهذه الخصائص، وجعل خصائص الضغط الجوي، وسُرعة الرياح وجاذبية الأرض... وسائر الخصائص الكونية الأخرى مُسَاعِدَةً على أن تجري الفلك في البحر، وهدى الإنسان إلى هذا كله فأمكنه أن ينتفع به، وأن ينتفع كذلك بالبحر في نواح أخرى: ﴿وَلِنَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾⁽²⁾ كالصيد للطعام وللزينة، وكذلك التجارة والمعرفة والتجربة والرياضة والترهة، وشق الطرقات في أعماق البحار، وإنشاء مخابر البحث العلمي في هذه الأعماق، وسائر ما يبتغيه الحي من فضل الله في البحار.

﴿وَسَخَّرْ لَكُمْ مَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَاءَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾⁽³⁾، أي فكل هذه الأشياء والمواد "مخلوقة" من أجله، وكل شيء في هذا الوجود منه وإليه، وهو سبحانه- منشئه ومدبره، وهو مُسخره أو مُسلطه، وهذا المخلوق الصغير الإنسان.. مُزوّد من الله بالاستعداد لمعرفة طرفٍ من التواميس الكونية، يُسخر بها قوى في هذا الكون وطاقاتٍ تفوق قوته وطاقته بما لا يُقاس!

وكل ذلك من فضل الله عليه، وفي كل ذلك آيات لمن يُفكر ويتدبر، ويتبع بقلبه وعقله كمسات اليد الصانعة المدبرة المُصرفة لهذه القوى والطاقات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾⁽⁴⁾،⁽⁵⁾.

والفكر لا يكون صحيحا وعميقا وشاملا إلا حين يتجاوز القوى والطاقات التي يكشف سرّها، إلى مصدر هذه القوى والطاقات وإلى التواميس التي تحكمها، وإلى الصلة بين هذه التواميس وفترة الإنسان، هذه الصلة التي تُيسر للإنسان الاتصال بها وإدراكها، ولولاها ما اتصل ولا أدرك ولا عرف ولا تمكّن، ولا سخر ولا انتفع بشيء من هذه القوى والطاقات والماديات "المخلوقة"

(1)-سورة الجاثية، الآية 12.

(2)-سورة الجاثية، الآية 12.

(3)-سورة الجاثية، الآية 13.

(4)-سورة الجاثية، الآية 13.

(5)-بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج25، صص 3226-3227.

حِصِيصًا مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ⁽¹⁾

وهذا ما أدركه رسولنا الكريم حين كان يُخاطب جِبَلٍ أَحَدًا، ويفتح له مكانم قلبه ليقول: «هذا جبل أحد يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ»⁽²⁾ هكذا ينبغي أن تكون أواصر الاتصال والتناسق مصدر التواد والرحمة والصدقة وتوحيد الله عزَّ وجل وتزيهه والتعلق به وشكره على آلائه ونعمه وأفضاله ورعايته لعبده المؤمن به: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽³⁾

إنَّ السياق التعبيري العام الذي جاءت بدايته في شكل جملة اسمية مؤلفة من المبتدأ أو الخبر هكذا: (فهذه الماديات مخلوقة أو مصنوعة من أجله) أي من أجل الإنسان، لتدل على ثبوت فعل الخلق والصنع، الذي كان قد تمَّ وانتهى إنجازه، منذ آمام بعيدة، وقبل نزول آدم عليه السلام إلى الأرض - لا يعلمها إلا الله، وهذه المخلوقات والمصنوعات من لدن الله جليلة وعظيمة، ومعجزة في خلقها، وتقديرها ومثلتها عند الله، بل هي أعظم من خلق الإنسان، وهو المعنى الذي يوحى به اسم الإشارة (فهذه الماديات) الذي ورد في بداية النص، والذي يعبر به عن تعظيم وتفخيم وعلو شأن هذه المخلوقات والمصنوعات عند خالقها جلَّ ذكره وعلو...

⁽¹⁾ -المصدر السابق، مج1، ص5، ج25، ص3227.

⁽²⁾ -أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري الجامع الصحيح، ج2، ص262.

⁽³⁾ -سورة الإسراء، الآية 44.

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (مفعول) منكورة هي: «والطريق مفتوح للتوبة في بساطة ويُسر»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (فتح):

إنَّ أول ما تكشف لنا عند التعريف بمادة (فتح) في المعاجم اللغوية «قول الليث: الفتح: افتتاح دار الحرب، والفتح: يقتضي الإغلاق، والفتح، أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال الله جلَّ وعزَّ مُخبراً عن شعيب ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾⁽²⁾ واستفتحت الله على فلان، أي: سألته النصر عليه، والفتاحة: الحكومة»⁽³⁾.

ومما ورد في اللسان عند التعريف بهذه المادة: «فَتَحَهُ يَفْتَحُهُ فَتْحًا وَاِفْتَحَهُ وَفَتَحَهُ فَانْفَتَحَ وَنَفْتَحَ، وَفَاتِحُهُ مَفَاتِحُهُ وَفَاتِحًا: حَاكِمُهُ.

وفي أسماء الله تعالى الحسنى: الفَتَّاحُ، قال ابن الأثير: هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، والْفَتَّاحُ: من أبنية المبالغة، وطائر أسود»⁽⁴⁾

وفي القاموس المحيط قوله عند التعريف بمادة (فتح) «فتح كَمَنَعَ ضِدَّ أَعْلَقَ كَفَتَّحَ وَاِفْتَحَ، وَالفَتْحُ: الماء الجاري والنَّصْرُ كالفَتْحَةِ»⁽⁵⁾

وبناء على هذا العرض السريع المتأمل في مادة (فتح) في المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة تجري في معان نحو: الفتح: نقيض الإغلاق، والمفتاح الذي يُفتح به المغلاق، وباب فُتِحَ: واسع ضخم، والفُتْحَةُ: الفُرْجَةُ في الشيء وكلها كما ترى مَعَانِي يُفْضِي بعضها إلى بعض بالاشتراك والتقاطع في الدلالة المركزية.

ولسنا في حاجة إلى إعادة الكلام عن أصل دلالة اسم المفعول وتغيرها وفقاً للسياقات العارضة المتغيرة وعدم التعويل على الوزن وحده، وشرط القرنية التي تعين هذه الدلالة أو تلك إلى غير ذلك من هذه التحفظات والشروط، لذلك فإن كل هذه الشروط والاحتياطات ينسحب على بناء "مفتوح" الذي نحن بصدد درسه وتحليله هنا.

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص61.

(2)- سورة الأعراف، الآية 89

(3)- أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (فتح) مج3، ص 2734.

(4)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتح)، ج10، ص ص 170-173.

(5)- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (فتح)، مج1، ص 239.

وكما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإنَّ باب التوبة "مفتوح" يعني أنه قد تمَّ فتحه وثبت وانتهى منذ وقع آدم في عصيان الله في الجنة حينما كان يأكل هو وزوجه منها رغداً بسبب إغواء الشيطان لهما فأخرجهما الله من الجنة ثم تاب آدم فتاب الله عليه إنَّه هو التواب الرحيم. قلنا: تَابَ اللهُ عَلَى آدَمَ مِنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَمِنْذُ مِلايين السنين كتبت كذلك عليه الخطيئة والخطأ والغفلة والنسيان، وفتح عز وجل له باب التوبة ما لم يدركه ويفجأه الموت، فإن توفاه الموت عاصياً جاحداً منكراً للبعث والحساب والجزاء لم تقبل منه توبةً حينئذٍ ولقي ربه كافراً، ولا تنفعه شفاعة شافع ولو كان نبياً.

«وبناءً على كل ما سبق من الاستدلال والإثبات فإنَّ صيغة "مفتوح" التي جاءت بزنة مفعول في هذا النص تفيد الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار الأبدي بدلالة القرينة المعنوية التي دل سياق النص عليها لا الدلالة على الحدوث وذات المفعول، ومن أجل ذلك كله فهي صفة مشبهة وليس اسم مفعول تسري عليها جميع أحكام الصفة المشبهة باسم الفاعل المنصوص عليها في بابها»⁽¹⁾.

وفيما يتعلق بالمستوى التركيبي، أي: الأسلوب فإنَّ صيغة "مفتوح" قد جاءت في قالب المفرد المذكر المنكر، غير أن النكرة-هنا- لا تفيد العموم الشائع لتقييدها وربطها بموصوف مخصوص معين معلوم مشار إليه بالضمير المستتر في صيغة الصفة المشبهة "مفتوح" العائد على موصوف معين ممثل في "طريق التوبة" الذي جاء معرفاً بالإضافة للتنويه به وتشريفه والترغيب فيه، وبذلك كان الموصوف مميّزاً متفرداً عن غيره من الموصوفين مما قد يشاركه في هذا الوصف "مفتوح" نحو: باب المدرسة مفتوح، وباب الملعب، وباب الشكنة، وباب النادي، وباب قصر الحكومة وغيرها.

أما على مستوى السياق الخارجي للنص فنجد أن أفضل ما يتساق مع المعنى العام والوصف الذي جاء به سياق النص قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾⁽²⁾ وتفادياً للإطالة، وتفضيل الإيجاز على الإطناب لا نأتي بالقصة كلها إنما

(1)-عباس حسن، النحو الوافي، ج3، صص 264-267.

(2)-سورة البقرة، الآية 35، 36، 37

الفصل الثالث..... (الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير ظلال القرآن) ...

نكتفي بالأهمّ من عند صاحب الكشاف الذي يقول: «معنى تلقي الكلمات: استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها، وقرئ بنصب آدم»⁽¹⁾

ورفع الكلمات، على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به، فإن قلت: ما هن؟ قلت: قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمنا أَنْفُسنا﴾⁽²⁾ وعن ابن مسعود رضي الله: إن أحب الكلام إلى الله قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»⁽³⁾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك؟ قال: بلى، قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: ألم تُسكّنني جنّتك؟ قال: بلى، قال: يا رب إن تُبّت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم»⁽⁴⁾

اكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء، لأنها كانت تبعاً له، كما ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك، وقد ذكرها في قوله: ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمنا أَنْفُسنا﴾⁽⁵⁾ ﴿فَنابَ عَلَيْهِ﴾⁽⁶⁾ فرجع عليه بالرحمة والقبول⁽⁷⁾ هذا ومثل "التوبة" المفتوح أول المنال، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه الممات، وبابه دائماً وأبداً "مفتوح" على مصرعيه، وإن ارتحل معه إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁸⁾ وهذه الآية سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة «لعل» المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا

(1)- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص59؟

(2)- سورة الأعراف، الآية 23

(3)- مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1121.

(4)- سورة البقرة، الآية 37.

(5)- سورة الأعراف، الآية 23

(6)- سورة البقرة، الآية 37.

(7)- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص59.

(8)- سورة النور، الآية 31

الله منهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (1) قَسَمَ العباد إلى تائب وظالم، وما ثمَّ قَسَمُ ثالث ألبتة، وأوقع اسم "الظالم" على من لم يتُب، ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقّه، وبعبث نفسه وأفات أعماله، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس تُوبُوا إلى الله، فَوَ اللهُ إني لأتوبُ إليه في اليومِ أكثر من سبعين مرة» (2) وكان أصحابه.. (3) يُعدّون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم «رَبِّ اغفري وتُب عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغفور، مائة مرة» (4) وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ (5) إلى آخرها إلا قال فيها: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفري» (6) وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «لن يُنجي أحداً منكم عمَلُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله برحمتهِ منه وفضلٍ» (7).

يقول مولانا سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا

سَبِيلِكَ الْحَمِيمِ﴾ (8)، (9)

هكذا كان باب التوبة "مفتوحاً" دائماً وأبداً، وهكذا كانت رحمة الله تعالى غامرة للكون كله، صغيره وكبيره، حقيره وجليله، المؤمن فيه والكافر به، وما كان الله سبحانه-ليريد الشر والانتقام الحثي لعباده وما كان ليرضى لهم الكفر والعصيان والضياع، وما كان ليغلق عليهم باب التوبة-ولو شاء لأغلقه-في سن معينة: في الخمسين أو الستين أو من السبعين أو حين بلوغ أرذل العمر الذي لم يعد فيه الإنسان يملك القدرة والطاقة والجهد على فعل الخير أو فعل الشر-ولو أراد ذلك-ومع ذلك فالله عز وجل الرحمان الرحيم يقبل توبة عبده ولو بلغ أرذل العُمُرِ ما دَامَ لم يبلغ الموت الحلقوم، وهذه رحمة من ربي وفضل منه-سبحانه-على عباده الضعفاء التائبين المنيبين لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة تعالى الله علواً كبيراً.

(1)-سورة الحجرات، الآية 11

(2)-مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1111.

(3)-ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص 156.

(4)-مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص 198.

(5)-سورة النصر، الآية 1.

(6)-البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص 299.

(7)-مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1158-1159.

(8)-سورة غافر، الآية 7.

(9)-ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص 156.

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (مفعول) منكّرة هي: (يواجه السياق في السورتين بني إسرائيل، أولئك الذين واجهوا الدعوة في المدينة مواجهة منكّرة وقاوموها مقاومة خفية وظاهرة، وكادوا لها كيذا موصولاً لم يفتّر لحظة... حتى اللحظة الحاضرة) (1)

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (وصل):

سبق لنا وأن تناولنا هذه المادة بشيء من التفصيل والتوسع في العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة اسم المفعول المعرف المضاف الدال بقريئة على الصفة المشبهة فلا جدوى من تناولها مرة ثانية (2) ونكتفي لذلك بملخص عنها حتى لا ننطلق من فراغ في تحليل ودرس الصيغة التي وردت في النص أعلاه.

حينما تتبّعنا مضامين مادة (وصل) بشيء من التأمل والفحص في المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها الأصلية بين الوصول إلى الشيء وصلاً ووصلته، ووصل إليه وصولاً: بلغ، ووصل بمعنى اتصل، أي: دعا دعوى الجاهلية، والوصل ضد الهجران، وبينهما وُصلة، أي: اتصال وذريعة وغيرها من الدلالات التي تستقر في دلالة البلوغ والانتهاء، وإدراك الغاية، لذلك فالعلاقة بين المعنى المعجمي للفظ (وصل) ومعناها كما جاء في النص تكاد تكون وثيقة لدلالاتها في النص على الدأب والاستمرار، والسعي الدائم من قبل بني إسرائيل لتحقيق الهدف الذي يعملون جاهدين ليلاً ونهاراً من أجل الوصول إليه والتمثل في الإطاحة بالإسلام والمسلمين والدعوة إلى الله والقضاء التام عليهم، وهذا المعنى هو الذي ألفيناه متداولاً في المعاجم اللغوية الذي هو البلوغ وإدراك الغاية.

وإذا ما رجعنا إلى لفظ (وصل) وهيئة ورودها في النص، والدلالات التي توحى بها في سياق النص نجد أنها قد جاءت في هذه الهيئة (موصولاً) على زنة مفعول وهو وصف مصوغ من الفعل المضارع المبني للمجهول الذي أصل الاشتقاق فيه من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف وصل يصل وصلاً وصلةً وصلةً ويأتي متعدياً نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (3) كما يأتي لازماً نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهْوٌ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (4).

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص63.

(2)- يُنظر، ص466 من البحث.

(3)- سورة الرعد، الآية 21.

(4)- سورة الأنعام، الآية 136.

والأصل في بناء مفعول الذي هو هنا-بناء اسم المفعول في الحقيقة أن يدل على الحدث والحدوث وذات المفعول أو الاتصاف به وليس الدلالة على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار غير أنه في مثل هذه الأحوال والمقامات الطارئة المتغيرة وفقا لتغير السياقات والظروف لا ينبغي الاطمئنان إلى الوزن وحده لأن البناء وحده غير كاف في الدلالة على الحدوث أو الثبوت والدوام لذلك، فلا بد معه-هنا من القرينة التي تُعَيِّن أحدهما وتزيل عنه اللبس والاحتمال حتى يمكن القطع بعد ذلك في دلالة المعنوية لا الشكلية-أهو اسم مفعول أو صفة مشبهة أو غيرهما⁽¹⁾

وبناء اسم المفعول "مَوْصُولًا" في سياق النص الذي معنا تتظافر فيه قرائن عديدة مختلفة على كونه صفة مشبهة تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار لا الدلالة على الحدوث والتجدد، وذات المفعول، منها: القرينة اللفظية الصريحة الدلالة، إذ أن لفظة "موصولًا" بدلالاتها الصريحة تدل على الدوام والاستمرار، أي: اتصال المعنى والوصف اتصالا مستمرا غير منقطع ألبتة، والقرينة المعنوية الأخرى وهي قرينة علمية تاريخية ثابتة تثبت وتؤكد على أن كيد بني إسرائيل كان كيدا متواصلًا، متلاحقا دائما للدعوة الإسلامية والدعاة إلى الله منذ بدء الدعوة على عهد رسول الله محمد ﷺ في المدينة المنورة مع عملائهم وأتباعهم من المنافقين والمشركين، هذه المقاومة التي لم يهدأ أوراها، ولم تتوقف لحظة إلى يومنا هذا وهي آخذة في الازدياد، والحدة، والاتساع، والعنف، والكيد، والتكالب على نور الله لِطُفَيْتِهِ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ⁽²⁾

أما على مستوى السياق الخارجي فنرى أن أحسن ما يتماشى مع سياق النص في دلالاته هو قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾ يقول صاحب الكشاف عن تأويل هذه الآية: أصله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ كما جاء في سورة براءة، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له، لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْإِرَادَةِ فِي قَوْلِكَ: جِئْتُ لِأَكْرَامِكَ، كما زيدت اللام في: لا أبالك تأكيداً لمعنى الإضافة في: لا أباك، وإطفاء نور الله بأفواههم: تَهَكُّمُ هُمْ فِي إِرَادَتِهِمْ إِبْطَالَ الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِمْ فِي الْقُرْآنِ: هَذَا سِحْرٌ، مُثَلَّتْ حَالُهُمْ بِحَالٍ مِنْ يَنْفُخُ فِي نَوْرِ الشَّمْسِ بِفِيهِ لِيُطْفِئَهُ

(1)-بتصرف،فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ج3، ص ص 147-153.

(2)-سورة الصف، الآية 8.

(3)-سورة الصف، الآية 8.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ أي: متم الحق ومُوصِّله ومُبَلِّغه غايته، وقرئ بالإضافة أيضا»⁽¹⁾.

أما ابن عاشور فيرى في الآية الأنفة الذكر أنها: «استئناف بياني ناشئ عن الإخبار عنهم بأنهم افتروا على الله الكذب في حال أنهم يدعون إلى الإسلام لأنه يثير سؤال سائل عما دعاهم إلى هذا الافتراء، فأجيب: بأنهم يريدون أن يخفوا الإسلام عن الناس ويعوقوا انتشاره ومثلت حالتهم بحالة نفر يتغون الظلام للتخلص أو غيره مما يراد فيه الاختفاء، فلاحت له ذبالة مصباح تضيء للناس، فكروا ذلك وخشوا أن يشع نورُه على الناس فتفتضح ترهاتهم، فعمدوا إلى إطفائه بالتفخ عليهم فلم يَنطَفئ، فالكلام تمثيل دال على حالة الممثل لهم، والتقدير: يريدون عوق ظهور الإسلام كمثل قوم يريدون إطفاء النور»⁽²⁾.

وهذا دأب اليهود والمنافقين والمشركين: كيد «موصول» في كل جيل وفي كل مكان وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فهذا تشبيه الهيئة بالهيئة تشبيه المعقول بالمحسوس، وهو على سبيل المثال والقياس لا على سبيل الحصر والقصر فالكفر ملّة واحدة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾⁽³⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾⁽⁴⁾ ﴿وَإِكِيدُوا﴾⁽⁵⁾ ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُؤْيَا﴾⁽⁶⁾

«إتهم- هؤلاء الذين خلّقوا من ماءٍ دافقٍ يخرج من بين الصلب والترائب- بلا حولٍ ولا قوةٍ ولا قدرةٍ ولا إرادة، ولا معرفةٍ ولا هداية، والذين تَوَلَّوْهُم يَدُ الْقُدْرَةِ فِي رِحْلَتِهِم الطويلة، والذين هم صائرون إلى رجعة تبلى فيها السرائر، حيث لا قوة لهم ولا ناصر، إتهم هؤلاء يكيدون كيدا "موصولا" للدعوة الإسلامية لم يفتر لحظة إلى يومنا هذا... وهو يزداد حُبثا ومكرا وأنا-أنا المنشئ.. الهادي، الحافظ، الموجه، المعيد، المبتي، القادر، القاهر، خالق السماء ذات الرجوع، والأرض ذات الصدع... أنا الله... أكيدا كيدا... فهذا كيد، وهذا كيد، وهذه هي المعركة، ذات طرف واحد في الحقيقة، وإن صوّرت ذات طرفين مجرد السخرية والهزاء.

﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾، ﴿أَهْمَهُمْ رُؤْيَا﴾ لا تعجل، ولا تستبطن نهاية المعركة، وقد رأيت طبيعتها وحققتها.. فإنما هي الحكمة وراء الإمهال، الإمهال قليلا، وهو قليل حتى لو استغرق عمر الحياة

(1)-بتصرف، الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 1245.

(2)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 11، ج28، ص ص 189-190.

(3)-سورة البقرة، الآية 120.

(4)-سورة الطارق، الآيات 15، 16، 17.

الدنيا، فما هو عمر الحياة الدنيا إلى جانب تلك الآباد المجهولة المدى؟

ونلاحظ في التعبير الإيناس الإلهي للرسول: ﴿فَمَهَلِ الْكٰفِرِيْنَ اٰمِهٰلَهُمْ رُوٰدًا﴾⁽¹⁾ كأنه هو ﷺ صاحب الأمر، وصاحب الإذن، وكأنه هو الذي يأذن بإمهالهم، أو يوافق على إمهالهم، وليس من هذا كله شيء للرسول ﷺ إنما هو الإيناس والود في هذا الموضع الذي تنسم نساءم الرحمة على قلبه ﷺ الإيناس الذي يخلط بين رغبة نفسه وإدارة ربه، ويشركه في الأمر كأن له فيه شيئاً، ويرفع الفوارق والحوَاجزَ بينه وبين الساحة الإلهية التي يقضي وييرم... وكأنما يقول له ربه: إنك مأذون فيهم، ولكن أمهالهم، أمهالهم رُوِداً، فهو الود العطوف والإيناس اللطيف يمسح على الكرب والشدة والعناء والكيد "الموصول" للدعوة الإسلامية وللرسول ﷺ وأتباعه في كل زمان ومكان وعبر الأجيال المتلاحقة حتى ينصر الله دينه الحق، أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون، فتنمحي كلها وتذوب... ويبقى العطف الودود»⁽²⁾

هذا وإنه العناد والتعصب المقيت، وإنه طلب الرياسة وقيادة العالم، التي تستخدم فيه بنو إسرائيل اليوم وغداً، كما استخدمت بالأمس جميع وسائل وأساليب الكيد "الموصول" من أجل الوقوف في طريق الدعوة إلى الله ومن أجل إطفاء نور الله الذي أنزله الله على أنبيائه ورسله جميعاً هدى ورحمة للعالمين.

(1)- الطارق، الآية 17.

(2)- بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، ج30، ص 3881.

خلاصة الفصل الثالث:

ما يمكن إيرادها هنا من بعض الملاحظات الهامة عن الفصل الثالث الذي ضمّ صيغ (أفعل)، و(فِعِل) بكسر المعين وفتح الفاء؛ و(مفعول) وبصفة مختصرة هو الآتي:

ففيما يتعلق بصيغة (أفعل) هي أن تأتي -غالبا-وصفا للعيوب والألوان والحلي من خلقه أو بمترلتها، فالألوان نحو: (أحمر)، و(أزرق)، والعيوب الظاهرة نحو: (أعمى)، و(أجهز)، و(أحول) والحلي وهي العلامات الظاهرة للعين نحو: (أعيد)، و(أهيف)، و(أكحل) وغيرها.

وقد يدخل (فَعِل) على (أفَعَل) في العيوب الظاهرة والحلي نحو: (شَعَث)، و(أشَعَث)، و(حَدِب)، و(أحدب)، و(كَدِر)، و(أكدر).

وقد ترد صيغة (أفَعَل) لغير معنى التفضيل فتتضمّن حينئذ معنى اسم الفاعل أو معنى الصفة المشبهة، ويشترط في التعريف عن دلالة التفضيل ألا يكون اسم التفضيل معرّفا بـ(أل) أو مضافا إلى نكرة، أو متلوا بـ(من) الجارة؛ ومثال مجيئه بمعنى اسم الفاعل قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾⁽¹⁾، والتقدير عالم بكم، ومثال مجيئه بمعنى الصفة المشبهة كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾⁽²⁾، والتقدير: وهو هيّن عليه، وقد حذفت الهمزة في بعض أسماء التفضيل ومن ذلك: (شر)، و(خير) ويعلل العلماء ذلك الحذف لكثرة الاستعمال؛ والأصل: أخيرٌ وأشرٌ وأحبُّ، وأما بخصوص (فِعِل) فهي من مصدر الثلاثي الأجنوف اللازم منه والمتعدي، وهو بكسر العين كما يرى الخليل لأنه يجوز أن يأتي بناء في المعتل لم يأت مثاله في غير المعتل، بينما يرى غيره أنه (فِعِل) بالفتح.

وقد ذكر كل من الخليل وسيبويه وابن الحاجب أمثلة وشواهد لغوية وشعرية لهذا الوزن، غير أنّها قليلة لا تفي بالعرض المنشود، ولهذا السبب قال كثير من العلماء بعدم انقياس هذه الصيغة، وأمّا صيغة (مفعول)، فتنوع دلالتها تبعاً لموقعها في الجملة؛ ووفقاً للمقام والسياق العام والخاص الذي ترد فيه.

والأصل في (مفعول) -وهو اسم المفعول- الدلالة على الحدث والحدوث وذات المفعول كـ(مقتول) و(مأسور) فهو -كما يبدو لك- لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على

(1)-سورة الإسراء، الآية 54.

(2)-سورة الروم، الآية 27.

الفصل الثالث..... الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"

الموصوف؛ فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل نحو: (قائم)، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول نحو: (منصور)، ويقال في اسم المفعول ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالاته على الحدوث والثبوت، فاسم المفعول يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل، وعلى الحدوث والتجدد إذا ما قيس بالصفة المشبهة باسم الفاعل.

ومن خلال مصادفتنا لاسم المفعول ضمن النصوص المختلفة تكشف لنا أنه أحيانا يأتي في دلالاته الأصلية -وهو الغالب فيه- وأحيانا يأتي في الدلالة الصريحة على الثبوت والدوام نحو (مُخَلَّد)، و(مُعَاد)، و(مَكْرُور)، و(مُعَوَّق)، و(مَعْتَوِه)، وأحيانا يأتي في الدلالة الخفية غير الصريحة على الثبوت والدوام، حيث يرشدنا إلى ذلك السياق التعبيري العام، والحال، والمقام والقرائن نحو: (أجل مُسَمَّى)، و(الخائن مذموم مخذول في كل مكان وزمان)، و(الوافي الأمين محبوب مُبَجَّلٌ مرحب به أينما حل وارتحل).

وعليه فدلالة (مفعول) تتغير من الحدوث إلى الثبوت والدوام والاستمرار تبعا لتغير السياق والمقام وقرائن أحوال الخطاب والكلام.

الفصل الرابع:

صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن".

ولل صيغة (فُعَل- فَعَّال- فَعْلَان)

المبحث الأول: دلالة صيغة (فُعَل)

- صيغة (فُعَل) معرفة

- صيغة (فُعَل) نكرة.

المبحث الثاني: دلالة صيغة (فَعَّال)

- صيغة (فَعَّال) مُعرفة

- صيغة (فَعَّال) نكرة

المبحث الثالث: دلالة صيغة (فَعْلَان)

- صيغة (فَعْلَان) مُعرفة

المبحث الأول:
ولالة صيغة (فعل)

- صيغة (فعل) معرفة

- صيغة (فعل) نكرة.

- دلالة صيغة (فعل):

بعد القيام بمحاولة البحث والتقصي في مظان المصنّفات القديمة، والمؤلفات والمراجع اللغوية الحديثة التي تناولت موضوع الصيغ والأبنية والأوزان اشتقاقاً، وصرفاً ودلالة، وتحديدًا البحث عن بناء (فعل) المضموم الفاء، الساكن العين، رأينا من الضروري قبل الحديث عن هذا البناء الأخير أن نخرج إليه من خلال بابيه الكبير الواسع وهو باب من أبواب الصفة المشبهة، هذا الباب هو باب (فعل) مكسور العين اللازم، ومن خلال أوزانه الفرعية التابعة له، المنبثقة عنه لنُدلف بعد ذلك إلى موضوعنا الخاص المحدّد ببناء (فعل)، لنقول: إنَّ (فعل) مكسور العين اللازم جاءت فيه قياسيَّة ثلاثة أوزان: الوزن الأوّل: (فعل) مفتوح الفاء، مكسور العين ومؤنثة (فعل)، وينقاس فيما دلّ على الأدواء الباطنة مادية أو معنوية، وما يُناسبها من العيوب الباطنة نفسية أو فيزيائية، ونحو ذلك من الهيجانات والخفة غير حرارة الباطن والامتلاء نحو: (أرج)، و(بَطِر)، و(أشِر)، و(جَدَل)، و(فَرِح)، و(قَلِق).

والوزن الثاني: (أفعل) ومؤنثه (فعل) وينقاس فيما دلّ على الألوان والعيوب الظاهرة والحلّى ونحو ذلك، نحو: (أشعث)، و(أحدب)، و(أكدر)، و(أقعس)⁽¹⁾

والوزن الثالث: (فعلان) ومؤنثه (فعل) وينقاس فيما دلّ على الامتلاء والحلّو وحرارة الباطن، وذلك نحو: (صدّيان)، و(عطشان)، و(ريان) وغيرها.

هذه هي الأبنية والأوزان الثلاثة القياسية لهذا الباب-فما جاء من هذا الباب على غيرها فمسموع وهو كثير جداً نحو: (بخيل) و(سقيم)، و(أسيف) (حزين) و(كهل)⁽²⁾ و(حُرّ)، و(صفر) (خال) ولحم نبي⁽³⁾ (غير ناضج) و(غَيور)⁽⁴⁾

ومن الشواهد الشعرية القديمة-وهي محل خلاف بين العلماء القدامى- التي جاء فيها بناء (فعل) مضموم الفاء ساكن العين-صفة مشبهة جمعاً على ندرتها ما ورد عن سيويه في "الكتاب" قوله: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من العرب ينشدون هذا البيت للحارث بن ظالم وهو من الوافر

(1)-رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص ص 144، 146.

(2)-كهل، الكهل من الرجل الذي جاوز الثلاثين ووحطه الشيب، ابن منظور، لسان العرب، مادة(كهل) ج12، ص 177.

(3)-نبي: غير ناضج، لم ينضج: المصدر السابق، مادة (نبا)، ج14، ص 345.

(4)-بتصرف، محمد الطنطاوي، تصريف الأسماء، ص ص 101، 103.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

فَمَا قَوْمِي بَثْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرَى رِقَابًا⁽¹⁾
فإنّما أدخلت الألف واللام في الحسن ثم أعملته، كما قال: الضارب زيداً، وعلى هذا الوجه
تقول: هو الحسن الوجه، وهي عربية جيدة⁽²⁾ وعلى هذا ينقاس «الشُّعْرَى الرَّقَابَا» رغم أن صيغة
"الشُّعْرَى" هنا هي جَمْعٌ لِأشْعَرِ الَّذِي هُوَ عَلَى وَزْنِ "أَفْعَلَّ".

ولسيوييه رواية ثانية لهذا البيت جاء فيها بناء "فُعَلَّ" بصيغة أخرى قال الشاعر من الوافر:
فَمَا قَوْمِي بَثْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرَى الرَّقَابَا
وقد يجوز في هذا أن تقول: هو الحسنُ الوجْه، على [قوله]: هو الضَّارِبُ الرَّجُلُ فَالْجُرِّ فِي هَذَا
الْبَابِ مِنْ وَجْهَيْنِ: «مَنْ الْبَابِ الَّذِي هُوَ لَهُ وَهُوَ الْإِضَافَةُ، وَمِنْ إِعْمَالِ الْفِعْلِ ثُمَّ يُسْتَخَفُّ فَيُضَافُ»⁽³⁾
قلنا: لقد أنشد سيوييه هذا البيت بروايتين: الأولى: الشُّعْرَى رِقَابًا فَيَكُونُ مِثْلَ: الْحَسَنِ وَجْهًا،
والثانية: الشُّعْرَى الرَّقَابَا فَيَكُونُ مِثْلَ: الْحَسَنِ الْوَجْهَ، وَقَالَ عَنْهَا سَيُويِيه: وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ جَيِّدَةٌ⁽⁴⁾.

وورد هذا البيتُ نَفْسُهُ فِي "شرح المفصل" لابن يعيش بالرواية الثانية لسيوييه مع إيراد الشاهد،
والشرح وذكر الخلاف والأقوال والقصد من كل منها، قال:

فَمَا قَوْمِي بَثْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرَى الرَّقَابَا⁽⁵⁾⁽⁶⁾
وهناك رواية لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ) أحببنا أن نُورِدَهَا هُنَا لِأَهْمِيَّتِهَا وَلِمَا لَهَا مِنْ
عِلَاقَةٍ وَطِيْدَةٍ بِالْمَوْضُوعِ مُفَادَهَا: أَنَّ (الشُّعْرَى رِقَابَا) عَلَى نِيَّةِ إِثْبَاتِ النَّوْنِ فِي الشُّعْرَيْنِ وَهُوَ جَمْعُ شِعْرٍ
كَفَرِحٍ يُقَالُ: شِعْرٌ كَفَرِحَ كَثُرَ شِعْرُهُ فَهُوَ أَشْعَرُ وَشِعْرٌ وَشِعْرَانِيٌّ⁽⁷⁾

(1) -سيوييه، الكتاب، ج 1، ص 201.

(2) -المصدر نفسه، ج 1، ص 201.

(3) -المصدر نفسه، ج 1، ص 201.

(4) -أبو العباس محمد بن يزيد الميرد، كتاب المقتضب، ج 4، ص 161.

(5) -موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج 6، ص 89، والاستشهاد في قوله "الشُّعْرَى الرَّقَابَا" فإن الشُّعْرَ صفة مشبهة
وقد نَصَبَ، الرَّقَابَا وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِالْأَلْفِ وَالْإِمَامِ نَظِيرُ قَوْلِكَ: الْحَسَنُ الْوَجْهَ، فَإِنَّ الْحَسْنَ صِفَةٌ مَشْبَهَةٌ وَقَدْ نَصَبَ الْوَجْهَ وَهُوَ مَعْرُوفٌ
بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ.

(6) -البيت من الوافر، وهو لحارث بن ظالم في الأغاني 11/119، والانصاف، ص 133، وشرح أبيات سيوييه 1/258 وشرح
اختيارات المفضل 3/1335، والكتاب 1/201، والمقاصد النحوية 3/609، والمقتضب 4/161، وبلا نسبة في خزنة الأدب
492/7 وشرح المفضل 6/89 إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد نحو الشعرية، ج 1، قافية (باء)، ص 33.

(7) -أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، شرح أبيات سيوييه، تحقيق وتعليق: وهبة متولي عمر سالم، الناشر مكتبة
الشباب-القاهرة، مصر، ط 1، سنة 1985م، ص 98.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

وجاء في القاموس المحيط أيضا: «وَالشُّعْرُ يُحْرَكُ: نَبَتَةُ الْجِسْمِ مِمَّا لَيْسَ بِصُوفٍ وَلَا وَبَرَ جَمْعَ أشعار وشُعُورٍ وشِعَارٍ الواحدة شَعْرَةٌ وقد يُكْنَى بِهَا عَنِ الْجَمِيعِ، وَأشْعَرُ وَشِعْرٌ وَشِعْرَانِيٌّ كَثِيرُهُ طَوِيلُهُ، وَشِعْرٌ كَفَرِحٌ: كَثُرَ شَعْرُهُ»⁽¹⁾

وهناك آراء وأقوال للكوفيين وغيرهم في هذه المسألة بالذات مَبْتُوثة هنا وهناك، متشعبة ومتفرعة ومتصلة ببعضها، وممتدة إلى أبواب كثيرة من الأحكام النحوية والصرفية لا نرى ضرورة لمتابعتها في هذا المقام لكي لا نتعد عن موضوعنا ويضيع منا غرضنا المنشود.

غير أننا نحب أن نشير إلى أن بناء(فُعَل) هذا المضموم الفاء الساكن العين قد كثر مجيئه في الاسم كثرة كبيرة، وقل مجيئه في الصفة قلة ملحوظة في المنظور والمنثور في المصادر والمراجع القديمة والحديثة النحوية منها والصرفية والغوية، وللتدليل على ذلك فقد جاء في "إصلاح المنطق" في باب: (فُعَل) و(فَعَل) يقال هو (السُّقْمُ) و(السَّقْمُ)، و(العُدْمُ) و(العَدْمُ)، و(السُّخْطُ) و(السَّخَطُ)، و(الرُّشْدُ) و(الرَّشْدُ)، و(الرُّهْبُ) و(الرَّهْبُ)، و(الرُّعْبُ) و(الرَّعْبُ)، و(العُجْمُ) و(العَجْمُ)، و(العُرْبُ) و(العَرَبُ)، و(الصُّلْبُ) و(الصَلْبُ) قَالَ العجَّاجُ مِنَ الرَّجَزِ:

فِي صَلْبٍ⁽²⁾ مِثْلَ العِنَانِ⁽³⁾ المُوَدِّمِ⁽⁴⁾⁽⁵⁾

وقد أورد ابن السكيت أبواباً معتبرة يذكر فيها بناء(فُعَل) للاسم ولم يُرِدْ أَيَّ باب لهذا البناء في الصفة.

وقد عدنا إلى كتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة للنظر في بناء "فُعَل" الذي ورد في أبواب عدة من الكتاب فألفيناه لا يذكر إلا المفردات التي تدل على الاسم والمصدر أما الباب الذي يدل على الصفة في بناء (فُعَل) فلا أثر له، فهو يقول: "فُعَلٌ وَفُعَلٌ": "سَمٌّ وَسُمٌّ" و"سَحْرٌ وَسُحْرٌ" للربَّة، و(عَقْرُ الدَّارِ وَعُقْرُهَا)، و"الرَّغْمُ والرُّغْمُ"، و"الضَّعْفُ والضُّعْفُ" و"الفَقْرُ والفُقْرُ" وَضَرْبَهُ بِالسَّيْفِ "صَلْتًا وَصَلْتًا" ونظر إليه "بِصَفْحِ وَجْهِهِ، وَصَفْحِ وَجْهِهِ" وهو "السُّدُّ والسُّدُّ" للجبل و"ضَوْءٌ وَضَوْءٌ" و"الرَّفْعُ والرَّفْعُ" أصول الفَحْدَيْنِ، وسامه "الحَسْفُ والحُسْفُ" و"سَمُّ الحِياطِ وَسُمُّهُ" و"ثَقْبُ الإِبْرَةِ وَثُقْبُهُ" وهو

(1)- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة شعر، مج3، ص 59.

(2)- صلب: وكل شيء من الظهر فيه فقار فذلك الصلب، ابن منظور، لسان العرب، مادة(صلب)، ج7، ص 380.

(3)- العنان: الاسم العننُ والعنان: الاعتراض والعرض، المصدر السابق، مادة(عرض)، ج9، ص 437.

(4)- المُوَدِّمُ، الأذمة: القرابة والوسيلة إلى الشيء، المصدر نفسه، مادة(أدم)، ج1، ص 95.

(5)- البيت من بحر الرجز، للشاعر العجَّاج، والشاهد فيه: صيغة "صَلْب" التي هي على وزن "فَعَل"، وهي اسم لا صفة، ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص 86.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

"العَمْرُ وَالْعُمْرُ" و"الدَّفُّ وَالْدُفُّ" الذي يُلَعَبُ بِهِ⁽¹⁾

والأمر نفسه ينطبق على معظم المصادر والمراجع القديمة والحديثة بدءاً من سيبويه، إلى المبرد، إلى أبي عثمان المازني، إلى أبي الفتح ابن جني، إلى ابن عصفور الإشبيلي، وانتهاءً بشرح الشافية لرضي الدين الإستراباذي، والمخصص لابن سيده فجميعهم يورد في مصدره عدداً كبيراً من مفردات بناء(فُعْل) الذي يدل على الاسم ولا يجيء إلا ببعض المفردات القليلة جداً من هذا البناء الأخير الذي يدل على الصفة سواء في المنظوم أو المنثور الذي تذكره مصادرهم.

وما جاء من هذا البناء صفةً على قَلْتِهِ وتُدْرَتِهِ فهو غالباً ما يأتي بصيغة الجمع الذي هو في حقيقته وأصله من باب ما يبنى على (أَفْعَل) الذي هو من الألوان والحلي والعيوب الظاهرة، وقلما يجيء من غير هذا في المنظوم أو المنثور على غرار ما ذكرنا من الأمثلة التي وردت عن سيبويه وأعاد ذكرها غيره من بعده وبروايات مختلفة، وتأويلات متباينة، وأقوال متضاربة بينهم، وأما المفردات والصيغ التي رَدَّدَتْهَا هذه المصادر والمراجع اللغوية التراثية وغير التراثية فهي نحو: (حُرٌّ)، و(حُلُو)، و(مُرٌّ)، و(صَلْب)، و(عُمْرٌ)، وقلما يتجاوز بعضها غير هذه التي ذكرنا هنا.

وإذا أردنا حوصلة لبناء(فُعْل) الذي هو صفة مشبهة وهو سماعي غير قياسي إلى حدّ الآن، فيجدد بنا أن نعرِّج مرة ثانية على بابي(فَعِلَ) و(فَعُلَ) اللّازمين لنقول: إنه قد وردت خمسة أوزان للصفة المشبهة من بابي (فَعِلَ) و(فَعُلَ) اللّازمين معاً غير مختصة بأحد البابين أي بمعنى أوضح مشتركة بين البابين وهي: (فَعِيلٌ) بفتح فكسر نحو (فَرِحَ) من فَرَحَ بالكسر، و(خَشِنٌ) من خَشِنَ بالضم، ومن هذا القبيل بناء(فُعْل) بضم فسكون نحو: (مُرٌّ) من (مَرَرْتُ) بالكسر، و(صَلْبٌ) من صَلَبَ بالضم، و(فَعُلٌ) بكسر فسكون نحو: (صَفِرٌ) من صَفِرَ بالكسر، و(مَلَحٌ) من (مَلَحَ) بالضم، و(فَعُلٌ) بفتح فسكون نحو: (سَبِطٌ)، من (سَبِطَ) بالكسر، و(سَهْلٌ) من (سَهَّلَ) بالضم⁽²⁾

ويجدد التنبيه هنا إلى أن بناء(فُعْل) تأتي الصفة المشبهة على وزنه في صيغة الجمع- كما سبقت الإشارة- الذي هو في أصله من باب ما يبنى على (أَفْعَل) الذي هو من الألوان والعيوب الظاهرة والحلي، وقد جاءت أمثلة معتبرة منها في القرآن الكريم تُريد أن نورد بعضها- لا كلها- للاستئناس بها على الأقل في هذا المقام، ولفت النظر إليها، وليواصل غيرنا البحث والتقصي الطويل والمفصل في مضمارها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشعر العربي القديم، ولم لا، الشعر الحديث الجيد منه أيضاً؟

(1)- ابن قتيبة، أدب الكتاب، 529-536.

(2)- محمد الطنطاوي، تصريف الأسماء، ص ص 101-104.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

ومن قبيل بناء(فُعَل) الذي ورد بصيغة الجمع في القرآن الكريم من الألوان قوله جل ثناؤه:
﴿وَلَيَبْسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾⁽¹⁾ وقوله ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾⁽²⁾ كأنه: حَمَلَتْ صُفْرًا⁽³⁾
وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾⁽⁴⁾ ومن العيوب
الظاهرة كالصَّمم والبَكَم والعُمي قوله جلّ شأنه: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ﴾⁽⁵⁾ وقوله جل
ثناؤه: ﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾ والشاهد في هذه الآية هو كلمة: أُذُنٌ على وزن (فُعَل) وهي في تأويل سَمَاعَة أي
كثير السمع للخير والشر يصدقه دون تمييز بينهما وهي صفة مشبهة شبيهة بآلة للسمع الجامدة، وقد
برأ الله تعالى نبيه من هذا⁽⁶⁾

ويمكن أخيرا إيجاز الكلام عن صيغة "فُعَل" التي هي وزن سماعي باتفاق جمهور العلماء حتى
الآن، حيث عثرنا في المدونة التي أجرينها عليها بحثنا على كم قليل جدا، وهو ما جاء متوافقا مع
القواعد والأصول النظرية المقررة التي تقول بقلة ورود هذا الوزن في كلام العرب، وبناء على ذلك
كان عدد الصيغ التي عثرنا عليها في مدونة تفسير: «في ظلال القرآن» هو خمس صيغ في مجموعها،
وكان عدد المنتقى المنجز المطبق عليه فعليا مُفردتين اثنتين في صيغة المعرفة، ومفردتين اثنتين في صيغة
النكرة، مع ملاحظة جد هامة في تقديرنا هو قابلية هذا الوزن للنمو والتطور والبروز مستقبلا في
تكاثر مفرداته وكلماته خاصة وأنه وردت منه مفردات وكلمات ذات بال في القرآن الكريم
والحديث النبوي الشريف ما يجعل لوزن "فُعَل" شأنًا وقيمة واعتبارات لغوية: اشتقاقية و صرفية وحتى
نحوية وصوتية.

(1)-سورة الكهف، الآية 31.

(2)-سورة المرسلات، الآيتان 32-33.

(3)-سورة فاطر، الآية 27.

(4)-سورة البقرة، الآية 18

(5)-سورة التوبة، الآية 61

(6)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج5، الجزء 10، ص 242.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

صيغة (فُعَل) المعرفة:

قد وردت هذه الصيغة في المدونة في عدد قليل جدا بحيث وردت في صيغتين اثنتين فقط وقد عرضنا لهما جميعا في التمثيل والتحليل حسب الجدول البياني أسفله:

جدول بياني لصيغة (فُعَل) المعرفة الواردة في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
-1	الْحُرَّة	30	21	-هاجر إلى القاعدة الحرة القوية الآمنة.
-2	الحُلوة	49	21	وهي ترسُم جوا من الدّعابة الحُلوة

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة بـ(أل): (هاجر إلى القاعدة الحرة القوية الآمنة⁽¹⁾).

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (حر، حرر):

إنَّ أول ما يلوح لنا عند التعريف بمادة(حر، حرر) في المعاجم اللغوية المعتمدة أن: «الحرُّ: نقيض البرد، والحرار: نقيض البارد، وتقول: حرَّ النهار وهو يحِرُّ حرًّا، والحرُّور: حرَّ الشمس، وقد حرَّرت تحرُّ من الحرية وغيرها

وقال ابن الأعرابي: حرَّ يحِرُّ: إذا عتق، وحرَّ يحِرُّ: إذا سخَّن ماؤه وغيره، قال: والحرُّ والحرَّة: الرمل والرملة الطيبة، والحرَّة: الكريمة من النساء، وقال الأعشى:

حُرَّةٌ طَفَلَةٌ الْأَنَامِ ل تَرْتَبُّ _____ ب سُخَامًا تَكْفُهُ بِخَالٍ⁽²⁾

والحرَّة: نقيض الأمة، ويُجمع الحرُّ: أحرار، وتجمع الحرَّة: حرائر⁽³⁾

ومما جاء في اللسان في التعريف بهذه المادة: رَجُلٌ حَرَّانٌ: عطشان من قوم حِرَارٍ وحَرَارَى وحَرَارَى، وامرأة حَرَّى من نسوة حِرَارٍ وحَرَارَى: عطشى، وحرَّ: زجرٌ للمعز، قال:

شَمَطَاءُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادِ الْبَرِّ قَدْ تَرَكْتَ حِيَّهَ، وَقَالَتْ: حَرٌّ! ⁽⁴⁾(5)

وفي الصحاح عن هذه المادة قوله: «والحرُّ: فرخ الحمامة، وولد الطيبة، وولد الحية أيضا قال المنخل:

أَلَا مَنْ مَبْلِغُ الْحُرَّيْنِ عَنِّي مُغْلَعَةٌ وَخُصَّ بِهَا أُبَيًّا⁽⁶⁾

ويقال: ما هذا منك بحرٌّ، أي: بحسن ولا جميل، والحرَّة: الكريمة، وسحابة حرة، أي: كثيرة المطر⁽⁷⁾»

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص30.

(2)- الشاهد: من البحر الخفيف، للشاعر الأعشى الأكبر(ميمون قيس)، الديوان، ص162.

(3)- أبو منصور الأزهري تهذيب اللغة، مادة(حر، حرر)، مج1، ص782.

(4)- الشاهد: من بحر الرجز، الشاعر، لم نقف له على أثر.

(5)- ابن منظور، لسان العرب، مادة(حر، حرر)، ج3، ص114-120.

(6)- الشاهد: من البحر المديد، الشاعر، لم نقف له على أثر.

(7)- الجوهري، الصحاح، مادة(حر، حرر)، ص223.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

ولما تتبّعنا مادّة (حر، حرر) في المعاجم اللغوية السالفة الذكر تكشف لنا أن دلالتها المركزية تتراوح بين معاني: الحرّ: نقيض البرد، والحرّ: نقيض البارد، وحرّ يحرّ: إذا عتق وغيرها من هذه المضامين التي تحط في محطة واحدة هي: دلالة السخونة والعتق والانطلاق، وإذا ما عدنا إلى لفظة (حر، حرر) وهيئة ورودها في سياق النص نلاحظها وضعت في هذه الصورة "الحرّة" بزنة الفُعلة بضم الفاء وسكون العين وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف: حرّ يحرّ حرراً نحو: حرّ العبد، أي: عتق وصار حرّاً، وحرّ يحرّ حرّيةً: كان حرّاً الأصل شريفه وبناءً "فعل" هذا هو صفة مشبهة باسم الفاعل، وهو بناء سماعي غير قياسي ينتمي إلى بابي (فعل) و(فعل) التي وردت منها خمسة أوزان للصفة المشبهة، وهما فعلاّن لازمان معاً، غير مختصة، أي: الأوزان الخمسة بأحد البابين، فهي مشتركة بين البابين وهي: فعيل بفتح فكسر نحو: فرح من فرح بالكسر، وخشّن من خشّن بالضم، ومن هذا⁽¹⁾

«ومن هذا القبيل بناء (فعل) بالضم فسكون نحو: مرّ من مررت بالكسر، وصلّب من صلّب بالضم، وفعل بكسر فسكون نحو: صفر من صفر بالكسر، وملح من ملّح بالضم، وفعل بفتح فسكون نحو: سبط من سبط بالكسر وسهل من سهّل بالضم»⁽²⁾

واستناداً على هذه الأصول النحوية والصرفية المقررة الثابتة لهذه الأوزان الخمسة المتعلقة بالصفة المشبهة في بابي (فعل) و(فعل) - السالفة الذكر - تدرج صيغة (الحرّة) في النص الذي نحن بصدد دراسته وتحليله كصفة مشبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار.

وقد ورد بناء (الحرّة) الدال على الصفة المشبهة باسم الفاعل في قالب المفرد، المؤنث، المعروف ب(أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص معلوم معين هو الموصوف الدال عليه الضمير المستتر في وصف "الحرّة" العائد على "القاعدة" دون غيره من القواعد الأخرى التي قد تزاخمه في هذا الاسم دون أن تشاركه في الوصف نحو: القاعدة العسكرية المستعمرة، القاعدة النووية المشتعلة، والقاعدة البحرية السّاخنة، وقاعدة قريش المتهبة على عهد رسول ﷺ وغيرها.

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص يقول الله عز وجل بخصوص الهجرة إلى القاعدة "الحرّة" القوية الآمنة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً

(1) - بتصرف، محمد الطنطاوي، تصريف الأسماء، ص 103.

(2) - بتصرف المصدر نفسه، ص 103.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

مَمَّا أوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ معطوف على المهاجرين وهم الأنصار فإن قلت: ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يُقال: تَبَوَّءُوا الإيمان؟ قلت: معناه تبوَّءوا الدار وأخلصوا كقوله من الرِّجَزِ:

عَلَفْتُهُمْ تَبَنُّاً وَمِائاً بَارِداً (2)

أو: وَجَعَلُوا الإيمان مُسْتَقَرًّا وَمُتَوَطَّنًا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك، أو: أراد دَارَ الهجرة ودار الإيمان، فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه، أو سَمَّى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان "من قبلهم" من قبل المهاجرين، لأنهم سبقوهم في تبوُّء دار الهجرة والإيمان، وقيل: من قبل هجرتهم "ولا يجدون" ولا يعلمون في أنفسهم "حاجة مما أوتوا" أي طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفَيء وغيره، والمحتاج إليه يسمى، حاجة، يقال: خُدِمْنِي حَاجَتَكَ، وأعطاه من ماله حاجته، يعني أن نُفوسَهُمْ لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه، أي: حلة، وأصلها: خِصَاصُ البيت، وهي فروجه، والجملة في موضع الحال، أي: مفروضة خِصَاصَتَهُمْ» (3).

أما صاحب التفسير "في ظلال القرآن" فيقول عن تأويل الآية السالفة الذكر: «وهذه صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لَحَسِبَهَا الناس أحلاما طائرة ورؤى مجنحة ومثلا عليا قد صاغها خيال مُحَلَّق.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (4) أي دار الهجرة، يثرب مدينة رسول الله ﷺ وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين كما تبوأوا فيها الإيمان وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار.

(1) -سورة الحشر، الآية 9 .

(2) -الشاهد: من البحر: المديد، لم نقف له على أثر.

(3) -الزمخشري، الكشاف، ج2، صص 1234-1235.

(4) -المصدر نفسه، ج2، ص1235.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

﴿يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾⁽¹⁾ ولم يعرف تاريخ البشرية حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء حتى ليرى أنه لم يتزل مهاجر في دار أنصار إلا بقرعة! لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين! ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئاً من هذا، ولا يقول: حسداً ولا ضيقاً إنما يقول: "شيئاً" مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئاً أصلاً.

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽²⁾ والإيثار على النفس مع الحاجة قمةً علياً، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيراً. وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديماً وحديثاً⁽³⁾.

إن صيغة (الحرّة) جاءت متناسقة منسجمة مع سياقها التعبيري العام كله، حيث جاء السياق كله معرفاً بـ(أل)، وهذا أمر مقصود من الكاتب حينما أدخل (أل) التعريف على الموصوف الذي هو لفظ (القاعدة) قبل صيغة (الحرّة)، ثم جاء الوصفان الآخريان وهما لفظ (القوية) و(الآمنة) كذلك معرفين بـ(أل)، وهذا كله من أجل تحديد وتوضيح، وإبراز، وتقريب دلالة صيغة (الحرّة) من المتلقي ولفت النظر إليها، والتأكيد عليها.

(1)-سورة الحشر، الآية 9.

(2)-سورة الحشر، الآية 9.

(3)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج6، ج28، ص3526.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فعل) معرفة بـ(أل) هي: (فرمما كان هذا التشابه الظاهري والتنوع الداخلي مزية المفاجأة في كل مرة ... وهي ترسم جوا من المداعبة الحلوة، والرضى السابغ، والتفكه الجميلة بتقديم المفاجأة بعد المفاجأة)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (حَلَا، حَلَى):

إن أول ما ينكشف لنا عند التعريف بمادة (حلا، حلى) في المعاجم اللغوية أن: «الحلو: نقيض المر، وحلا الشيء يحلوه حلولة، واحلولى مثله، وقد عداه حميد بن ثور:

فَلَمَّا أَتَى عَامَانَ بَعْدَ انْفِصَالِهِ عَنِ الضَّرْعِ وَاحْلَوْلَى دِمَائًا يَرُودُهَا⁽²⁾

ولم يجئ افعول متعديا إلى هذا الحرف، وحرف آخر وهو: أَعْرَوْرَيْتُ الفرس وَتَحَالَتْ المرأة، إذا أظهرت حلولة وعُجِبًا، ويقال: حَلَى فلان بعيني-بالكسر- وفي عيني، وبصدري وفي صدري، يحلى حلولة: إذا أعجبك⁽³⁾ ومما ورد في اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله: «والحلو: كل ما في طعمه حلولة، والحلواء: كل ما عولج بحلوه من الطعام، يمدُّ ويُقصر ويؤنث لا غير.

قال الكميت:

مَنْ رَيْبٍ دَهْرٍ أَرَى حَوَادِثَهُ تَعَتَّرُ، حَلَوَاءَهَا، شَدَائِدُهَا⁽⁴⁾

والحلواء أيضا: الفاكهة الحلوة⁽⁵⁾

وفي أساس البلاغة جاء عن التعريف بمادة (حلا، حلى) قوله: «ومن المجاز: حَلَى فلان في صدري وفي عيني، وحلّيتُ الشيء في عين صاحبه، وهو حُلُو اللّقاء، وحلو الكلام، واستحلّيتُ هذه الجارية، وأحلّولتُ لي، وجارية حلوة المنظر، وحلوة العينين، وتحالى الرجل، وتَحَالَتْ المرأة: أظهرت حلولتها⁽⁶⁾»

(1)-المصدر السابق، مج1، ج1، ص49.

(2)-الشاهد من البحر الكامل، للشاعر: حميد بن ثور الهلالي، الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، سنة 1965، ص73.

(3)-الجوهري، الصحاح، مادة(حلا، حلى)، ص ص 252-253.

(4)-الشاهد: من البحر المنسرح، للشاعر الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، ص 122.

(5)-ابن منظور، لسان العرب، مادة(حلا، حلى)، ج3، ص ص 309-312.

(6)-الزمخشري، أساس البلاغة، مادة(حلا، حلى)، ج1، ص ص 195-196.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

وحيثما استعرضنا مادة (حلا، حلى) محاولين التعريف عليها من خلال المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة تتمحور حول معنى التلذذ والتفكه والإعجاب بالشيء وهو معنى مشترك ومتقاطع ومُتلاحم فيه معنى التشهي والاستمتاع والارتياح المعنوي والمادي معا.

وإذا ما عدنا إلى لفظة (حلا، حلى) وهيئة ورودها في النص وإلى الدلالات التي تأخذها في سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصيغة "الحلوة" بزنة الفعل وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف اللازم المبني للمعلوم: حَلَا يَحْلُو حلاوة وحُلُوَانَا، نحو قول علقمة بن عبدة:

أَلَّا رَجُلٌ أَحْلُوهُ رَحْلِي وَنَاقَتِي يُبَلِّغُ عَنِّي الشَّعْرَ إِذَا مَاتَ قَائِلُهُ⁽¹⁾

وفعل-بضم الفاء وسكون العين-هو وزن من أوزان الصفة المشبهة غير القياسية، غير أن الأمثلة والشواهد التي عثرنا عليها في كلام العرب وشعرهم ونثرهم، وعلى وجه الخصوص في القرآن الكريم، ومن قبيل بناء (فعل) الذي ورد بصيغة الجمع في القرآن الكريم من الألوان-مثلا-قوله عز وجل: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرْمَى بِشَجَرٍ كَالْقَصْرِ كَانَهُ جَمَلَتْ صَفْرًا﴾⁽³⁾

وقوله جل شأنه: ﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾

والشاهد في هذه الآية الأخيرة هو كلمة (أذن) على وزن فُعل وهي في تأويل: سَمَاعَةٌ، أي: كثير السمع للخير والشر يُصدِّقه دون تمييز بينهما وهي صفة مشبهة، شبيهة بألة السمع الجامدة، وقد برأ الله تعالى نبيه من هذا⁽⁶⁾

واستناداً على ذلك كله فإن صيغة "الحلوة" التي جاء في النص محل الدرس والتحليل هي صفة مشبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت والملازمة الدائمة والاستمرار، وهو الوصف الثابت الدائم

(1)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر علقمة بن عبدة الفحل، الديوان، شرح الأعلام الششمري، قدم له ووضع هو امشه وفهارة: حنا نصر الحسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، سنة 1992، ص94.

(2)-سورة الكهف، الآية 31.

(3)-سورة المرسلات، الآيتان 32، 33.

(4)-سورة التوبة، الآية 61.

(5)-ينظر أيضا: سورة فاطر، الآية 27، سورة البقرة، الآية 18، سورة الأنعام، الآية 39..الخ.

(6)-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج5، ج10، ص242.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

الأبدي المستخلص من مشهد النعيم الذي ينتظر المؤمنين، وهو ما تصوره هذه الآية القرآنية في قوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽¹⁾

وعلى المستوى الأسلوبي: النَّحْوِي والصَّرْفِي المتظافرين فإنَّ وصف "الحلوة" ورَد في هيئة الفرد، المؤنث، المعرف ب(أل)، و(أل) هنا هي: (أل) العهدية التي جيء بها لتوضيح الصفة وتقريبها للمخاطب، وجعلها حاضرة أمامه مشاهدة بالعين، ملموسة باليد، معيشة، مستمتعا بها إحساسا ووجدانا هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ (أل) العهدية هنا أيضا تشير من قريب إلى معهود مخصوص معلوم معين يؤكد ذلك إحالة وتوجيه الضمير المستتر في الصفة المشبهة "الحلوة" العائد بصورة واضحة على الموصوف "الدعابة" دون سواه من الموصوفين الذين قد ينافسونه في هذا الوصف من قريب أو مر يعيد نحو: الدعابة "المرة" أو الدعابة "المازحة" أو الدعابة "السخيفة" أو الدعابة "الماكرة" أو الدعابة "الصغرى" أو "الكبرى" وغيرها مما يمكن أن يحل محلها إنما هي الدعابة "الحلوة" لا غير.

ومما يتصل بالسياق الخارجي ودلالاته بصورة مباشرة قوله جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾

«ومن شأن الأسلوب القرآني أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط، لاكتساب ما يزلف، والتنشيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار أعمالهم وأوعدهم بالعقاب، فقاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب، فإن قلت: من المأمور بقوله تعالى «وبشر» قلت: يجوز أن يكون ﷺ وأن يكون كل أحد كما قال ﷺ «بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة»⁽³⁾ لم يأمر بذلك واحدا بعينه.. وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله

(1)-سورة البقرة، الآية 25.

(2)-سورة البقرة، الآية 25.

(3)-محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، ص 69.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه، وأن لا يبقى مع وجود مُفسدِهِ إحسانا واعلم بقوله تعالى لنبيه الكريم وهو أكرم الناس وأعزهم»⁽¹⁾.

﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾⁽²⁾ وقال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾⁽³⁾ كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالدخول تحت الذكر.

فإن قلت: كيف صورة جري الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية، وعن مسروق: أن أنهار الجنة تجري في غير أخطود، وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مضللة، والأنهار في خلالها مطردة، ولولا أم الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آتق شيء وأحسنه لا تروق النواظر، ولا تُبهِج الأنفوس ولا ترسم جواً من الدعابة "الحلوة" ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فاتناً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها، لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشيئين لا يد لأحدهما من صاحبه، ولما قدمه على سائر نعوتها»⁽⁴⁾.

ومما قاله صاحب: «تفسير التحرير والتنوير» عن تأويل الآية السابقة الذكر، آية الحديث عن النعيم الذي بشر به أهل الأعمال الصالحات من المؤمنين يوم القيامة: والتبشير: الإخبار بالأمر المحبوب فهو أخص من الخبر وقيد بعض العلماء معنى التبشير بأن يكون المُخْبِر "بالفتح" غير عالم بذلك الخبر، والحق أنه يكفي عدم تحقق المخبر (بالكسر) علم المُخْبِر (بالفتح) غير عالم بذلك الخبر، والحق أنه يكفي عدم تحقق المُخْبِر (بالكسر) علم المُخْبِر (بالفتح) فإن المُخْبِر (بالكسر) لا يلزمه البحث عن علم المخاطب فإذا تحقق المخبر علم المخاطب لم يصح الإخبار إلا إذا استعمل الخبر في لازم الفائدة أو في توبيخه ونحوه،... والجنات: جمع جنة، والجنة فعلة من جنته إذا ستره نقلوه للمكان الذي تكاثرت أشجاره والتفت بعضها ببعضها حتى كثر ظلها ولطف نسيبها بدعابته "الحلوة" للأبدان والأرواح وذلك من وسائل التنعم والترفيه عند البشر قاطبة لا سيما في بلد تغلب عليه الحرارة

(1)-الزمخشري، الكشاف، ج1، صص48-49.

(2)-سورة الزمر، الآية 65.

(3)-سورة الحجرات، الآية 2.

(4)-الزمخشري، الكشاف، ج1، ص49.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

كِبَلَادِ الْعَرَبِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا﴾⁽¹⁾ فإن الإنسان مجبول على حبّ المناظر الجميلة والميل لما يقاربه في الخلق، وفي الشجر جمال الشكل واللون وفيه أنس للنفوس لأنّ فيه حياة فناسب النفوس مثل التأنس بالحيوان والأنعام التي قال فيها تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾⁽²⁾ ففي مناظر الأشجار جمال يفوق جمال مناظر ما لا حياة فيه كالقصور والرياش»⁽³⁾

إن السياق العام لهذا النص في دلالاته المتنوعة وكأني به يرد على الذين يصفون الإسلام أنه دين القسوة، والجفاء، والجفوة، والغلظة والحزن لا غير، حيث ينفون عنه أية علاقة بالتفكه، والمزاح، والمداعبة، والترفيه على النفس حين تكل وتمل.

أمّا الحقيقة والواقع القرآني وسيرة النبي ﷺ فينفيان ذلك على الإطلاق، حيث نرى الإسلام من خلال القرآن الكريم يبيح للمسلم بصريح الآيات الاستمتاع بالجمال والطهارة الداخلية والخارجية، والتأنق في اللباس، والتعطر، وتصفيف الشعر، وتنظيف الأسنان، والأكل الطيب، والمزج الواسع، والمركب الفخم الحسن...، كما نرى الرسول ﷺ في السيرة يداعب ويمزج أزواجه، وأصحابه مداعبة خفيفة لطيفة، مهذبة لا تخدش شعورا، ولا تمس كرامة، كما أنه ﷺ كان يلاعب الصبيان...، وهذا كله دفعا للجفاء والجفوة، والتخفف من رتبة الحياة القاسية، وصرامة الجهاد المتواصل، ولنسيان تعب العبادات والواجبات الثقيلة المفروضة على المسلم... آناء الليل وأطراف النهار...

(1) -سورة النبا، الآية 16.

(2) -سورة النحل، الآية 6.

(3) -بتصرف محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 1، ص 352-353.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

-صيغة (فعل) المنكرة

وردت صيغة (فعل) المنكرة في المدونة بأعداد قليلة، حيث لم تتعد ثلاث صيغ، وقد اكتفينا في التمثيل والتحليل بصيغتين اثنتين منها حسب الجدول البياني الآتي:

-جدول بياني لصيغة (فعل) المنكرة الواردة في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	حُرِّة	29	22	كذلك يبدو اتجاه الرسول ﷺ إلى الطائف محاولة أخرى لإيجاد قاعدة حرة وآمنة على الأقل للدعوة.
2-	مُرَّة	32	13	هذا أو يستجيبوا، أي: اليهود للدعوة الجديدة، ويذوبوا في المجتمع الإسلامي، وهما أمران-في تقديرهما-أحلاهما مرَّ

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فُعَل) منكّرة هي: (كذلك يبدو اتجاه الرسول ﷺ إلى الطائف محاولة أخرى لإيجاد قاعدة حرّة وآمنة على الأقل للدعوة)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (حر، حرر، حرر):

لقد سبق وأن عالجنا مادة (حر، حرر، حرر) فلا نرى فائدة من التطرّق إليها، إنما نكتفي بإشارة سريعة موجزة مقتصرين فيها على التذكير بدلالاتها المركزية لتكون لنا سندا ومنطلقا هاديا لدراسة صيغة "فُعَل" المنكّرة في سياقها الجديد⁽²⁾

وقد مر بنا أنّ الدلالة الأصلية الأساسية لمادة (حَرَ، حرر) هي أن: الحرّ: نقيض البرد، والحرار: نقيض البارد، وحررتَ تَحَرَّ: إذا اشتد حر النهار، وحرَّ يَحْرُ إذا عتق، وما شابه ذلك من هذه المدلولات التي تفر في قرار واحد هي دلالة: السخونة والعتق، والانطلاق والإباء والعزّ.

وإذا ما اتجنا بأنظارنا نحو لفظ (حر، حرر، حرر) وشكل ورودها في النص والدلالات العديدة التي تحملها في سياق النص الذي وردت فيها نراها قد وُضعت في هذه الصيغة "حرّة" على زنة فُعلة - بضم الفاء وسكون العين - وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المبني للمعلوم المتصرف حَرَّ يَحْرُ حَرّاً نحو: قول الطرماح:

مُنْطَوٍ فِي جَوْفِ نَامُوسِهِ كَانِطَوَاءِ الْحُرِّ بَيْنَ السَّلَامِ⁽³⁾

واستنادا على الأصول النحوية والصرفية المطردة الثابتة للأوزان الخمسة التي سبق ذكرها مع صيغة "فُعَل" المعرفة⁽⁴⁾ المتعلقة بالصفة المشبهة باسم الفاعل في بابي (فَعِل) و(فَعَل) - السالفة الذكر - تدرج تدرج صيغة (حرّة) في النص الذي نحن بصدد معالجته كصفة مشبّهة باسم الفاعل تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار اللامحدود وقد ورد بناء "حرّة" الدال على الصفة المشبهة باسم الفاعل في قالب المفرد، المؤنث، المنكّر، غير أن التنكير هنا لا يدل ولا يفيد العموم الشائع الدال على جميع أفراد الجنس بل جاء مقيدا محدّدا محصورا، لذلك فهو يدل على مخصوص معلوم مُعَيّن ممثل في

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص29.

(2) - ينظر: ص 515 من البحث.

(3) - والحُرّ: حيّة دقيقة بيضاء، وقيل: هو الصقر، والسَّلَام: الحجارة، واحدها سَلَمَة، الشاهد: من البحر المديد، للشاعر الطرمّاح بن بن حكيم، الديوان، تحقيق: عزة حسن، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1994م، ص 242.

(4) - انظر صفحة، رقم 484 من البحث.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

الموصوف "قاعدة" أي "قاعدة حرة" يدل عليه المضمرة في الصفة المشبهة ويُشير ويوجه إليه دون غيره مما يُمكن أن يشاركه أو يحلّ محله نحو: قاعدة محصورة، أو قاعدة مقهورة، أو قاعدة مكشوفة، أو قاعدة مستورة وغيرها.

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص نحاول أن نركز على أهم جوانب هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ليقول التاريخ الإسلامي لنا: «لقد تمت هجرة الرسول -ﷺ- إلى المدينة بعد تمهيد ثابت وإعداد محكم تحت تأثير ظروف حتمت هذه الهجرة، وجعلتها إجراء ضروريا لسير هذه الدعوة في الخط المرسوم الذي قدره الله لها بتدبيره، كان موقف قريش العنيد من الدعوة في مكة-وبخاصة بعد وفاة خديجة-رضي الله عنها- وموت أبي طالب كافل النبي وحاميه.. كان هذا الموقف قد انتهى إلى تجميد الدعوة تقريبا في مكة وما حولها، ومع استمرار دخول أفراد في الإسلام على الرغم من جميع الاضطهادات والتدبيرات فإن الدعوة كانت تعتبر قد تجمدت فعلا في مكة وما حولها، بموقف قريش منها، وتحالفهم على حربها بشتى الوسائل، مما جعل بقية العرب تقف موقف التحرز والانتظار، في ارتقاب نتيجة المعركة بين الرسول وعشيرته الأقربين، وعلى رأسهم أبو لهب وعمرو بن هشام وأبو سفيان بن حرب وغيرهم ممن يمتنون بصلة القرابة القوية لصاحب الدعوة، وما كان هناك ما يشجع العرب في بيئة قبلية لعلاقات القرابة عندها وزن كبير، على الدخول في عقيدة رجل تقف منه عشيرته هذا الموقف، وبخاصة أنّ عشيرته هذه هي التي تقوم بسدانة الكعبة، وهي التي تمثل الناحية الدينية في المدينة».

ومن ثم كان بحث الرسول ﷺ عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة (حرة) تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح له فيها أن تخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة وبحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة.

ولقد سبق الاتجاه إلى يثرب، لتكون قاعدة للدعوة الجديدة، عدّة اتجاهات... سبقها الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، والقول بأنهم هاجروا إليها لجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس جاها وقوة ومنعة من المسلمين، غير أنّ الأمر كان على الضدّ من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا إنما هاجر رجال ذوو عصبية، لهم من عصبيتهم- في بيئة قبلية- ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين،

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

منهم جعفر بن أبي طالب- وأبوه وفتيان بني هاشم معه هم الذين كانوا يحمون النبي ﷺ ومنهم الزبير بن العوام، وعبد الرحمان ابن عوف، وأبو سلمة المخزومي، وعثمان بن عفان الأموي وغيرهم، وهاجرت نساء كذلك من أشرف بيوتات مكة ما كان الأذى ليناهن أبدا.. ورُبما كان وراء هذه الهجرة أسباب أخرى كإثارة هزة في أوساط البيوت الكبيرة في قريش وأبناءؤها الكرام المكرمون يهاجرون بعقيدتهم، فرارا من الجاهلية، تاركين وراءهم كل وشائج القربى، في بيئة قبلية تزهها هذه الهجرة على هذا النحو هزاً عنيفا، وبخاصة حين يكون من بين المهاجرين مثل: أم حبيبة، بنت أبي سفيان، زعيم الجاهلية، وأكبر المتصدّين لحرب العقيدة الجديدة وصاحبها.

كذلك يبدو اتجاه الرسول-ﷺ- إلى الطائف محاولة أخرى لإيجاد قاعدة "حرة" أو آمنة على الأقل للدعوة.. وهي محاولة لم تُكَلِّل بالنجاح لأن كبراء ثقيف استقبلوا رسول الله ﷺ أسوأ استقبال، وسلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة، حتى أدموا قَدَمَيْهِ الشريفتين، ولم يتركوه حتى آوى إلى حائط (أي حديقة) لِعُتْبَةَ وشيبة ابني ربيعة وهناك انطلق لسانه بذلك الدعاء الخالص المشهور: اللهم أشكوا إليه ضعف قولي»⁽¹⁾.

ومما وردت به الروايات في هذا المقام ما قاله محمد بن كعب القرظي: قال عبد الله بن رواحة- رضي الله عنه ﷺ يعني ليلة العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة، قالوا: ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل»⁽²⁾.

«..وهكذا أخذوا الأمر بقوة..ومن ثم فشا الإسلام في المدينة، حتى لم يبق بيت فيها لم يدخله الإسلام وأخذ المسلمون في مكة يهاجرون إلى المدينة كمنطقة "حرة" آمنة تَبَاعاً، تاركين وراءهم كل شيء، ناجين بعقيدتهم وحدها، حيث لقوا من إخوانهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، من الإيثار والإخاء ما لم تعرف له الإنسانية نظيرا قط، ثم هاجر رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق، هاجرا إلى المدينة القاعدة "الحرة" القوية الآمنة التي بحث عنها من قبل طويلا وقامت الدولة الإسلامية في هذه القاعدة "الحرة" الآمنة منذ اليوم الأوّل لهجرة الرسول ﷺ»⁽³⁾. ومما يمكن أن نستخلصه من مظهر هجره الرسول ﷺ وأصحابه وبعض أفراد عشيرته الأقربين من عذاتٍ وعبر، وسنن ومبادئ

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص ص 28-29

(2)- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قريفي، باتنة، الجزائر (د، ط، د، ت) ص 165.

(3)- بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 30.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

مطرده ثابتة قارة، والتي أرادها الله جل شأنه أن تكون وأن تسود في حياة هذه الدعوة الإسلامية والدعاة على مرّ العصور وكر الدهور، اقتداء برسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾⁽¹⁾ هكذا شاء الله أن يُحقّق الحقّ، ويُبطل الباطل، ويتنصر دينه الحقّ، وشريعته السمحاء، وتعاليمه العليا عن طريق الجهد والمشقة، والتضحية والإيثار، والابتلاء والإخلاص، فهذا هو الطريق الصحيح لا سواه الذي يسود به الحقّ والعدل والخير، والإخاء والسلام على هذه الأرض.

ولو شاء الله لأنزل ملائكة في الأرض يمشون مطمئنين، يُسبِّحُونَ الله في الليل والنهار لا يفترّون، ولو شاء الله لأنزل معجزات خارقة كثيرة يرضخ لها الجبابرة والطغاة والمعاندين المستكبرين، وكفى الله بذلك المؤمنين جميعاً شرّ العناء والمشقة والقتال، لكن الله جل شأنه -لحكمة غائبة أرادها، ولخير جمّ أرادها لعباده أنعم عليهم بنعمة الوجود- وما وجب عليه ذلك -وسخر لهم في الأرض كل ما يليق بهم من نعم تضمن لهم العيش في صحة وأمن ورخاء واطمئنان ثم طلب منهم شيئاً واحداً فقط أن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً، وأن ينشروا دعوته وتعاليمه، وشريعته، ويعملوا جاهدين على تطبيقها في حياتهم الجارية، ويحاربوا كلا من يقف في طريق نشر دعوته وتعاليمه وشريعته بكل ما أوتوا من قوة ووسائل وإمكانات مادية وأدبية فإذا فعلوا ذلك يكونون قد أدوا ما عليهم، ونالوا جزاء ذلك رضى الله، وفازوا بالنعيم المقيم يوم لا ينفع مال ولا ينون إلا من أتى الله بقلب سليم.

(1)-سورة الأحزاب، الآية 21.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فعل) منكرة هي: «...هذا أويستجيبوا، أي اليهود للدعوة الجديدة، ويدوبوا في المجتمع الإسلامي، وهما أمران- في تقديرهما- أحلاهما مر»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي في لفظة (مر، مر):

إن أول ما يصادفنا عند التعريف بمادة (مر، مر) في المعاجم اللغوية المعتمدة: مررت به وعليه مرًا ومرورًا وممرًا، ومرّ فلان، وأمررته: أمضيته ومرّ الأمر واستمر: مضى قال ابن الأحرر:

إِلَّا رَجَاءً فَمَا نَدْرِي أَنْدَرِكُهُ أَمْ يَسْتَمِرُّ فَيَأْتِي دُونَهُ الْأَجَلُ⁽²⁾

وحملت المرأة حملًا فمرت به واستمرت به: أي: مضت به واستقلت وقامت وقعدت لم يتقل عليها، واستمر الأمر: وانقادت طريقته، ونزل به الأمران: الهرم والمرض، ولقيت منه الأمرين: الدواهي»⁽³⁾

ومما جاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله: «مرّ عليه وبه يمرّ مرًا: اجتاز ومرّ يمرّ مرًا ومرورًا: ذهب واستمر مثله.

والمرارة: ضد الحلاوة، والمر: نقيض الحلو، مرّ الشيء يمرّ.

ابن الأعرابي: مرّ الطعام يمرّ، فهو مرّ، وجسم مرّار ومرمور ومرامر ناعم، والمرار: الرمان الكثير الماء الذي لا شحم له»⁽⁴⁾

وجاء في القاموس المحيط عند التعريف بمادة (مرّ) قوله: «مرًّا ومرورًا: جاز وذهب كاستمر ومرّه وبه: جاز عليه، وامترّ به عليه كمرّ، والمر بالضم: ضد الحلو، مرّ يمرّ بالفتح والضم مرارة وأمر»⁽⁵⁾

وبعد أن تعقبنا مادة (مر، مر) في المعاجم اللغوية تأكد لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة تتراوح بين مدلولات: المرارة ضد الحلاوة، والمر: نقيض الحلو والإمضاء، والانقياد والطاعة، والمجيء والذهاب.

وقد ورد بناء "مرّ" الدال على الصفة المشبهة باسم الفاعل في هيئة المفرد المذكر المنكر، غير أن النكرة

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ص32.

(2)- الشاهد: من البحر المديد، انظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج6، المحتوى: شعر، قافية (اللام)،

ص 198.

(3)- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (مر، مر)، ج2، ص 377-378.

(4)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (مر، مر)، ج13، ص 71-76.

(5)- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (مر، مر)، مج2، ص 132.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

هنا لا تدل على العموم الشائع لأفراد الجنس بل جاء مقيدا محصورا بعضا من القيد والحصص لا كله لذلك فهو يدل على مخصوص معين معلوم ممثل في الموصوف الذي هو "أمران" أحلاهما "مُر" يعني: إما أن يظل اليهود معزولين عن المجتمع المدني الإسلامي الذي كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الراجحة والربا المضعّف.

والأمر الثاني، وإما أن يستجيبوا للدعوة الإسلامية الجديدة، وينودوا في المجتمع الإسلامي، وكلا هذين الأمرين أو المطللين شيء عسير في الوقت نفسه "مُر" أو بالأحرى شديد المرارة على يهود الذين خابت آمالهم في هذا النبي المرسل من ربه وكانت هذه الدعوة الجديدة التي جاء بها بمثابة طعنة خنجر عميقة في صدورهم»⁽¹⁾.

ومن ثم جاءت مواجهة يهود للدعوة المحمدية الجديدة، ومقاومتها مقاومة عنيفة وشرسة فيها ما فيها من ألوان الكيد والمكر، والخبث والدسائس والتآمر عليها مع رفقاءهم من المنافقين والمشركين يقول الله جل ثناؤه في هذا الشأن بالذات: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِمَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢﴾﴾

يقول صاحب الكشاف عن تأويل هاتين الآيتين: «وأما مخاطبة إخوانهم، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزولوا عنه على صديق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق ومثنة للتوكيد، فإن قلت: أتبي تعلق قوله ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ إِمَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بقوله «إنا معكم» قلت: هو توكيد له، لأن قوله: «إنا معكم» معناه الثبات على اليهودية، وقوله: «إمّا نحن مستهزؤون» ردّ للإسلام ودفع له منهم، لأنّ المستهزي بالشيء المستخفّ به منكر له ودافع لكونه معتداً به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه، لأنّ من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استتاف، كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم: «إنا معكم» فقالوا: فما بالكم إن صحّ أنكم معنا تُوافقون أهل الإسلام فقالوا: إمّا نحن مستهزؤون، والاستهزاء: السخرية والاستخفاف، وأصل الباب الحفة-من الهزء وهو القتل السريع-وهزأ يهزأ: مات على المكان، عن بعض العرب: مشيت فلغيتُ فظننتُ لأهزأن على مكاني. وناقاة تهزأ به: أي تُسرِع وتُخَف، فإن قلت لا يصحّ الاستهزاء على الله تعالى،

(1)-بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 32.

(2)-سورة البقرة، الآيتان 14، 15.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

لأنه متعال عن القبيح، والسخرية من باب العيب والجهل... قلت: كيف ابتدئ قوله «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» ولم يعطف على الكلام قبله.

قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن الله عزّ وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته، لما يتزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أنّ الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يجوز المؤمن أن يعارضوهم باستهزاء مثله، فإن قلت: فهلاً قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقاً لقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾⁽¹⁾ قلت: لأنّ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾⁽²⁾ يفيد حدوث الاستهزاء وتحدده وقتاً بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبآيائه النازلة بهم ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾⁽³⁾ وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار، وتكشف أسرار، ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن يتزل فيهم ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾⁽⁴⁾ ﴿يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽⁵⁾ من مدّ الجيش وأمدّه إذا أزاده وألحق به ما يقويه ويكثّره، وكذلك مدّ الدواء وأمدّها: زادها ما يصلحها، ومددت السرج والأرض: إذا استصلحتهما بالزيت والسماذ، ومدّه الشيطان في الغي وأمدّه: إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد أهمّا كما فيه⁽⁶⁾

وفي الوقت الحاضر كما في العهود السابقة لا تزال ترى اليهود يزرعون الفتن في الأرض عامة وبين المسلمين بوجه أخص، فلما عجز شياطين اليهود- في محاولاتهم اليائسة- عن تحريف القرآن والسنة النبوية الشريفة، لجأوا إلى المسلمين أنفسهم ليقطعوا الصلة بينهم وبين إسلامهم، وذلك بما يشيعونه في أوساط المسلمين من عقائد فاسدة⁽⁷⁾ شككتهم في دينهم، وأمراض قلوبهم، وعطلت

(1)-سورة البقرة، الآية 14.

(2)-سورة البقرة، الآية 15.

(3)-سورة التوبة، الآية 126.

(4)-سورة التوبة، الآية 64.

(5)-سورة البقرة، الآية 15.

(6)-الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 33.

(7)-نشأ عن ذلك عقائد الخلف، والحلول، والاتحاد، ونشأت السفسطة وعلم الكلام، دُست هذه الأوهام قروناً طويلة لأبناء المسلمين ولا زالت تدرس في معاهد فأوكلياتنا، في جامعتنا... ويكفي أن تقرأ ردود بان تيمية وتلميذه ابن القيم على هذا الهراء.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

عقولهم، حتى أصبحوا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يعرفون ربهم حق معرفته، ولا يفرقون بين الحق والباطل، والطيب والخبيث، والحلال والحرام، إلا من رحم ربك.

ونجح اليهود-منذ مدة لا بأس بها- في زرع الخلاف بين المسلمين، فحيث كان فرد خارجا عن الجماعة... بمقولة غريبة، أو مذهب شاذ، وحيث كانت جماعة خارجة عن تعاليم القرآن والسنة، فإن اليهود المنافق المندس⁽¹⁾ بين الصفوف من ورائه يمدونه بتلك الآراء.

وهذه المذاهب أشاعت الفرقة بين المسلمين، وجعلت منهم شيعة وأحزابا، من معتزلة، وقدرية، وأشاعرة، وحوارج، وشيعية، ومذاهب فقهية غبية⁽²⁾ وكل شيعة من هذه الشيع انقسمت على نفسها فرقا متنازعة متحاربة، بالكلام حيناً وبالسيوف أحيانا؟

كما أخذ اليهود المنافقون يُزيّنون للناس المذاهب الضالة المنحرفة الهدامة⁽³⁾ ويقدمون بين يدي تلك المذاهب والأحزاب: النساء، وموائد القمار، والخمر، واللقاءات الحزبية "؟" من النساء والرجال؟؟ يفتحون بها نفوس الثوار الأحرار..؟ واستطاع اليهود بهذه الوسائل الخسيسة الهدامة أن يوقعوا بين ملايين البشر، في شتى أنحاء العالم في مستنقعها الأميين...

إن اليهود والشيطان وجهان للشرّ والفتنة، فالشيطان هو الوجه الخفي؟ وهؤلاء اليهود هو الوجه الظاهر؟ ومن درس حياة اليهود لا يشك لحظة في أنه يرى الشيطان رأي العين؟ ممثلا في صورة آدمية، هي هؤلاء اليهود واحد واحدا.. وتساءل: ما غاية اليهود من هذا كله؟

ولم يصرفون الوقت والجهد من أجل إشاعة الفساد والانحلال في العالم وإبعاد الدين عن الناس؟

وإليك الجواب: لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع ليحكمه ملكٌ من نسل داوود، يُعيد الملك إلى بني إسرائيل، ويُخضع الشعوب كلها لليهود، ويكون مقر الحكومة اليهودية في أورشليم-القدس-أولا، ثم تستقر إلى الأبد في "رُوها" عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديما، ولما كان اليهود غير قادرين على الاستيلاء على العالم واستبعاده ما دام هناك دين وأخلاق،

(1)- ما أكثر اليهود والمندسين من المسلمين اليوم في صورة مُدرّسين ومحامين، قضاة وخطباء، وعاظا وسياسيين، حكاما ومشائخ، فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي، حقيقة اليهود، دار الشهاب-باتنة-الجزائر(د ط، دت) ص ص 9-92.

(2)- راجع في هذا: بدعة التعصب المذهبي، وملحق بدعة التعصب المذهبي، محمد عبيد عباس، لتطلع على نماذج من الفقه الغبي.

(3)- كالشيوعية والرأسمالية والوجودية والقومية والديمقراطية والبعثية والوطنية والاشتراكية والماسونية والعلمانية اللاتكنية التي حلت محل عقيدة التوحيد عند أصحابها.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

فقد كان من أوّل أعمال هؤلاء المجرمين القضاء على الدّين والأخلاق عند شعوب العالم⁽¹⁾ وقد نجح اليهود اليوم في هذا المسعى إلى حدّ كبير مقابل غفلة ونوم المسلمين نوماً عميقاً، وانشغالهم بمحاربة بعضهم بعضاً واستعانتهم على هذا الأمر بأعدائهم الكفار.

(1) -فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي، حقيقة اليهود، ص ص 10-11.

المبحث الثاني:

-التعريف بصيغة فعّال

-صيغة فعّال معرّفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دلالة صيغة (فَعَّالٌ):

إنَّ المتبوع لهذه الصيغة في الكلام العربي الفصيح يجدها فعلا من أكثر أحوالها المعروفة وهي: فَعُولٌ، مفعولٌ، فَعِيلٌ، فَعِلٌ، مَفْعِيلٌ، مَفْعَلٌ، فَاعُولٌ، فَعِيلٌ... إلخ تَدَاوُلًا على الألسنة وأكثر شيوعا في الخطاب الشفهي والكتابي بدءا من الشعر الجاهلي إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وصولا إلى النثر والحديث اليومي نحو قولك: هذا ذَوَّاقٌ للأدبِ، وذاك فَعَّالٌ للخيرِ، والآخر تَرَاكٌ للشرِّ وهكذا...

ونظرا لورود هذه الصيغة بكثرة في الكلام اليومي العادي: سَرَّاقٌ، كَذَّابٌ، هَمَّازٌ، نَمَّامٌ، فِتَّانٌ، آكَالٌ.. إلخ يجدرُ بنا أن ننبِّه إلى أنه ليس كلُّ ما ورد على وزن "فَعَّالٌ" دائما يدل على المبالغة والكثرة في المعنى وقوته وشدته، وإنما قد يأتي هذا الوزن، ويراد به معنى آخر غير معنى المبالغة في المعنى وسنفضِّل القول في هذا الشأن في الصفحات القادمة- إن شاء الله-: ومن المؤكِّد أن هذه الصيغة هي الصيغة الوحيدة التي لم يدرُ حولها أي خلاف في كونها تُشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي واللازم المتصرف للدلالة على المبالغة لأنَّ المسموع منه بقدر كافٍ جدًّا لإدراجه ضمن القاعدة القياسية نحو: (مَشَاءٌ)- (حَلَّافٌ)- (بَسَامٌ)- (ضَحَّاكٌ)- (صَبَّارٌ)- (نَظَّارٌ)- (كَفَّارٌ)- (تَوَّابٌ)- (غَفَّارٌ)- (دَوَّارٌ)- (فَعَّالٌ)- (سَرَّاقٌ)- (كَذَّابٌ)- (نَمَّامٌ)- (وَصَّالٌ)- (أَمَّارٌ)- (جَوَّالٌ)، (حَفَّارٌ)... إلخ.

ونعود لنقول: إن صيغة "فَعَّالٌ" هذه في شكلها وصورتها هذه لا يعني أنها دائما وفي جميع الأحوال تدل على معنى المبالغة والكثرة والشدَّة والقوة في المعنى، في المنظوم والمنثور والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لأنَّه قد جاءت صيغة "فَعَّالٌ" بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾⁽¹⁾ فصيغة "فَعَّالٌ" هذه إحدى صيغ المبالغة التي هو نوع من اسم الفاعل، وجعلوا من استعمالها في التَّسْبِ قوله عز وجل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾⁽²⁾ أي وليس الله منسوباً إلى الظلم حتى يُعذَّبَ بغيرِ إِسَاءَةٍ، فهو تعالى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه، ولا يعاقبه إلا بجرمه، قال المفسِّرون: لَيْسَتْ صيغة "ظَلَّامٌ" هنا للمبالغة، وإنما هي صيغة نسبة مثل: (عَطَّارٌ)، و(نَجَّارٌ)، و(تَمَّارٌ) ولو كانت للمبالغة لأوهم أنه تعالى ليس كثير الظلم ولكنه يظلم أحيانا وهذا المعنى فاسد لأنه يستحيل عليه الظلم جلَّ وعلا، لأن الله لا يظلم كثيرا ولا قليلا⁽³⁾

(1)-سورة البروج، الآية 16.

(2)-سورة فصلت، الآية 46.

(3)-محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، مج3، ص 127.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

«واعلم أنه يجيء بعض ما هو على (فَعَّال) و(فَاعِل). بمعنى ذي كذا أي صاحب كذا من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه، كما كان اسم الفاعل نحو: (غافر)، وبناء المبالغة فيه نحو: (غفار)، بمعنى ذي كذا، إلا أن (فَعَّالاً) لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل فَـ(فَعَّال) الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويُعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه، إما من جهة البيع كالْبَقَّال، أو من جهة القيام بحاله كالجَمَّال والبَعَّال، أو باستعماله كالسِّيف، أو غير ذلك، و(فَاعِل) يكون لصاحب الشيء من غير مبالغة، وكلاهما محمولان على اسم الفاعل وبناء مبالغته، يقال: (لابن) لصاحب اللبن، و(لَبَّانٌ) لمن يُزاوله في البيع أو غيره، وقد يُستعمل في الشيء الواحد اللفظان جميعاً كـ(سِّيف) و(سَائِف)، وقد يُستعمل أحدهما دون صاحبه كـ(قَوَّاس) (1) و(تَرَّاس) (2) و(فَعَّال) في هذا المعنى المذكور أكثر استعمالاً من (فَاعِل) وهما مع ذلك مسموعان ليساً بِمُطَرِّدَيْن، فلا يقال لصاحب البر: بَرَّارٌ، ولا لصاحب الفاكهة: فَكَّاهٌ، قال النحاة: إنهما في المعنى المذكور بمعنى النسبة لأن ذا الشيء منسوبٌ إلى ذلك الشيء، وأيضاً جاء (فَعَّال) والمنسوب بالياء واحد كـ(بَيْتِي) و(بَتَّات) لبائع البت وهو الكِسَاء، ويُعرف أنه ليس باسم فاعِل ولا للمبالغة فيه: إما بأن لا يكون له فِعْل ومصدر لكنه إما بمعنى المفعول: كماء دافِقٍ وعيشة راضية أي: ماء مدفوق وعيشة مرضية، وإما مؤنث مجرد مؤنث، مجرد من التاء: كـ(حائض)، و(طالق)، وقالوا في نحو: (مُرْضِع) و(مُطْفِل) والسماء منفطر به: إنَّه على معنى النسبة لهذا أيضاً، وهذا يقدر في قولهم: إن ما هو بمعنى النسبة من المجرد عن الياء إما على (فَعَّال) أو (فاعِل) فقط، وإما جار على ما تضمنته على وجه المبالغة نحو: (عَزُّ عَزِيْزٍ)، و(ذُلُّ ذَلِيْلٍ)، و(شِعْرُ شَاعِرٍ)، و(مَوْتُ مَائِتٍ)، و(هَمُّ نَاصِبٍ)، فإن جميع ذلك معنى أطلق عليه اسم صاحب ذلك المعنى مبالغة، إذ (العَزِيْزُ) و(الذَلِيْلُ) و(الشَاعِرُ) و(المَائِتُ) و(الهَامُّ): صاحب العزِّ والذل والشعر والموت والتَّصَبُّ، كما يُطلق على صاحب المعنى اسم ذلك المعنى نحو:

رجل (صوم) و(عدل) وماء غور: جعل الشعر كأنه صاحب شعر آخر، كما قال المتنبي من الطويل:

وما أنا وحدي قلتُ ذا الشِّعْرَ كُلُّهُ ولكنَّ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرٌ (3)

والموت كأنه يستصحب موتاً آخر، والتَّصَبُّ كأنه يستلزم نصباً آخر: أي ليس هو شعراً

(1) -قَوَّاس: ورجل قواس وقياس: الذي يبري القوس: ابن منظور، لسان العرب، مادة(تحوس)، ج11، ص346.

(2) -تَرَّاس: صاحب الترس، وهي ما يُتوقى بها وقع السلاح: المصدر السابق، مادة (ترس) ج2، ص28.

(3) -أبو الطيب المتنبي، الديوان، مج2، ص156.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

واحدًا، ولا الموت موتاً واحداً، ولا الهمَّ همماً واحداً، بل كل منهما مضاعف مُكرَّر، وقد يُستعمل الفعل أيضاً بهذا المعنى نحو قولهم: جَدَّ جُدُّه، وَتَمَّ تَمَامُه، وأما قولهم: شغل شَاغِل، فليس من هذا بل هو اسم الفاعل على الحقيقة أيُّ شغل يَشغَل المشتغِلَ به عن كل شُغْلٍ آخرٍ لِعِظْمِه فلا يتفرَّغ صاحبه لشيءٍ آخر (1)

وقال الشَّارِحُ: «اعلم أنهم قد نَسَبُوا على غير المنهاج المذكور وذلك لأنَّ «لم يأتوا بياء النسبة» لكنهم يبنون بناءً يدل على نحو ما دلَّ عليه بياء النسبة وهو قولهم لصاحب البُتوت وهي الأكسية واحدها بتُّ "بتات" ولصاحب الثياب "ثواب" لصاحب البزِّ (2) "بزاز" (3) ولصاحب العاج (4) "عَوَاج" ولصاحب الجمال التي ينقل عليها "جمال" ولصاحب الحمير التي ينقل عليها "حَمَّار" وللصَّير في "صَرَاف" وهو أكثر من أن يحصى كالعطار، والنقاش، وهذا النحو إنَّما يعملونه فيما كان صنعةً ومعالجةً لتكثير الفعل إذ صاحب الصنعة مُدَاوِمٌ لصنعتِه فجعلوا له البناء الدال على التكثير وهو فَعَّال بتضعيف العين لأنَّ التضعيف للتكثير، وما كان من هذا ذا شيء وليس بصنعة يُعالجها أتوا به على "فَاعِل" لأنَّ "فَاعِلًا" هو الأصل وإنَّما يُعدَّل عنه إلى "فَعَّالٍ" للمبالغة فإذا لم تَرِد المبالغة حيء به على الأصل لأنَّه ليس فيه تكثير، قالوا لذي الدرِّع "دَارِعٌ" والذي التَّبَل "نَابِلٌ" ولذي النُشَابِ (5) "نَاشِبٌ" ولذي اللَّبَنِ والتَّمْرِ "لابن وتامر" قال الحطيئة من البحر: مجزوء الكامل:

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَتَكَ (م) لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ (6)، (7).

وكما استعملوا فعلاً لما كان في الأصل للمبالغة في الاسم الفاعل في معنى ذي الشيء الملازم له استعملوا (فَعَّالاً) أيضاً، وهو بناء مبالغة اسم الفاعل، نحو: (عَمِل) لكثير العمل، و(طَعِن) و(لَبِس) و(لَسِن) في معنى التَّسْبِة، فاستعملوه في الجوامد نحو: رَجُلٌ (نَهْرٌ) لصاحب العمل بالتهار، ورجل

(1) -رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص 84-87.

(2) -البزُّ: الثياب: ابن منظور، لسان العرب، مادة(بزز)، ج1، ص 398.

(3) -بزاز: بائع البزِّ وحرقتة البزازة: المصدر السابق، مادة(بزز) ج1، ص 398.

(4) -العَاجُ: أنياب الفيلة، ولا يسمى غير الناب عاجاً، والعَوَاجُ: بائع العاج: المصدر نفسه، مادة(عوج) ج9، ص 457.

(5) -النُشَابُ: التَّبَل، واحدها نُشَابَةٌ، وناشب: ذو النشاب: المصدر نفسه، مادة "نشب"، ج14، ص 137.

(6) -الشاهد: من بحر الخزوء الكامل، للشاعر الحطيئة، الديوان، ص 91، والشاهد في البيت قوله: "لابن" و"تامر" في نسبتها إلى

"اللبن" و"التمر" ولم يجريا على فعل، وقيل: إنَّما هو جار على فعله، يقال: لبنت القوم وتمرهم: سقيتهم اللبن وأطعمتهم التمر.

(7) -ابن يعيش، شرح المفصل، مح 2، ص 13.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

(حَرْحٌ) ⁽¹⁾ و(سَيْتَهُ) ⁽²⁾ بمعنى حَرِيٍّ واسِيٍّ: أي الملازم لذلك الشغل، فعلى هذا ليس معنى النَّسَبِ مقصُورًا على فاعل وفعَّالٍ، بل يجيء عليه اسم الفاعل من الثلاثي وغيره نحو: مُرْصِعٌ ومُنْفَطِرٌ، ويجيء من أبنية مبالغة اسم الفاعل(فعَّالٌ) و(فَعِلٌ)، قال الخليل: وقالوا طاعمٌ كَأَسٍ على ذَا: أي على النسبة: أي هوذٌ وكِسوَةٌ وذو طعام، وهو مما يذم به، أي ليس له فضل غير أن يأكل ويلبس قال الحطيئة من البسيط:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلِ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي» ⁽³⁾

من خلال تتبعنا لما جاء في هذين النصين، الذي كان أولهما: لرضي الدين الاسترأبادي، وثانيهما لابن يعيش- كما سبق- هذا وقد تعمدنا نقلهما على طولهما-الذي قد يكون مُملا بعض الشيء، لنصل بذلك إلى غرضنا المنشود الذي يتجلى أول ما يتجلى في أن صيغة (فعَّال) خاصة في هذا المقام، مقام دلالتها على معنى النسبة الذي لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاوِل ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه، وهذا إما من جهة البيع كـ(البَقْل)- كما ذكر في الشرح الشافية، وشرح المفصل، أو من جهة القيام بحاله كـ(الجمَّال) و(البَعَّال)، أو باستعماله كـ(السياف) وكما يلحظ- في النصين السابقين- على هذه الخصائص والسمات التي ذكرت لصيغة (فعَّال) خاصة، الذي بمعنى ذي كذا، وهي خصائص وسمات مقررة ومؤصلة للصفة المشبهة أساسا، وهي المتمثلة في المزاولة والمعالجة للشيء والملازمة له بوجه من الوجوه، هذه المزاولة والمعالجة والملازمة تختلف في أمادها بين الطَّوْل والقِصْر والتوسط في مُدَّة الثبوت والدَّوام والاستمرار حسب نوعيتها من هذه الأدلة الملموسة كلها يتكشف لنا بوضوح أن هذه الأبنية نحو: (فعَّال) و(فاعل) و(فَعِل) على العموم، و(فعَّال) على وجه الخصوص التي تفيد معنى ذي كذا، أي: معنى النسبة من جهة وتفيد أيضا معنى الصفة المشبهة باسم الفاعل والمبالغة في الشيء بالإكثار منه أو الشدة فيه، والتقوية له، فكل هذه المواصفات في هذه الأبنية والأوزان المذكورة يترتب عليها حتما نتيجة لازمة منطقية صارمة بروز عناصر الثبوت والدوام، والاستمرار في دلالاتها وأدائها وأعمالها، لأنها عناصر أصيلة جارية على الصفة المشبهة باسم الفاعل في مختلف أبنيتها وصيغها، سواء كان في خصائصها وسماتها البارزة المقررة، أو في أمادها الطويلة منها، والقصيرة أو المتوسطة عند الدلالة على الألوان والعيوب الظاهرة

⁽¹⁾ -رجل حَرْح: ملازم لذلك العمل، مولعٌ به: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(حرج) مج1، ص 219.

⁽²⁾ -رجل سَيْتَهُ: الملازم لذلك الشغل، من بمشي آخر القوم أبدا، المصدر السابق، مادة (شته) مج4، ص 285.

⁽³⁾ -وقد استشهد بالبيت على أنهم قالوا: إن الطاعم الكاسي من باب النسب، وفيه آراء وأقوال وردود لا يتسع هنا المقام لذكرها بتفصيلهما، لذا يحسن الرجوع إليها في باب النسب، ينظر: رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص88.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

والباطنة، الحسية منها والمعنوية المدركة بالعقل، أو دلالتها على الحلي والزينة المؤقتة منها والطويلة أو الزائلة.

إضافة إلى أن صيغة (فعال) ذاتها، وكذلك أحوالها وأوزانها جميعا ترجع عند التحقيق إلى معنى الصفة المشبهة باسم الفاعل لأن الإكثار من الفعل يجعله كالصفة الراسخة في النفس التي يصعب على الإنسان الانفكاك في أغلب الأحوال منها وصدق من قال: إن العادة طبيعة ثانية في الإنسان.

يقول أبو عبد الله الخطيب الإسكافي في هذا الشأن (421 هـ) ومن المعلوم أن العرب تنسب إلى الحرف والصنعة بصيغة فعال غالبا كـ (الفراء)⁽¹⁾ و (الرفاء)⁽²⁾ و (النساج)، و (النقاص)⁽³⁾ و (النجاء)، و (الوشاء)⁽⁴⁾ و (الذباج)⁽⁵⁾ و (الطبائع) الذي يطبع السيوف، أي: يعملها، و (الفتال)⁽⁶⁾ و (الخزاف)⁽⁷⁾ «(8).

«و (الخراط)⁽⁹⁾ و (النحاس)، و (الصفار)⁽¹⁰⁾ و (الزرد)⁽¹¹⁾ و (الحداد) و (القواس)⁽¹²⁾ و (الرياش)⁽¹³⁾،⁽¹⁴⁾ و (الشحام): الذي يبيع الشحم، واللحام: الذي يبيع اللحم، والتّمّار: الذي يبيع التمر»⁽¹⁾

قال ابن يعيش: «وإن كان شيء من هذه الأشياء صنعة ومعاشا يداومها صاحبها نُسبَ على

-
- (1) - الفراء: الذي يصلح الأثواب ويعالجها، ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرا) ج 10، ص 255.
- (2) - الرفاء، رجل رفاء: صنعته الرفاء، أي: إصلاح الثياب، المصدر السابق، مادة (رفأ)، ج 5، ص 262.
- (3) - النقاص: الذي ينقص الديمقس، وحرفته النقاضة، المصدر نفسه، مادة (نقض)، ج 14، ص 263.
- (4) - الوشاء: من حرفته توشية الأثوية وتحسينها أو نسجها وتأليفها، المصدر نفسه، مادة (وشي) ج 15، ص 312.
- (5) - الذباج: من كانت حرفته صنع الطعام المشروح، المصدر نفسه، مادة (ذبح) ج 5، ص 22.
- (6) - الفتال: من كانت حرفته صنع الحبال من أدقها إلى أكثرها حجما، المصدر نفسه، مادة (فتل) ج 10، ص 178.
- (7) - الخزاف: الذي يبيع الخزف، والخزف: ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخار، المصدر نفسه، مادة (خزف)، ج 4، ص 83.
- (8) - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، مبادئ اللغة، دراسة وتحقيق: عبد المجيد ذياب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر الجديدة-القاهرة، ط 1، سنة 2000، ص 119-120.
- (9) - الخراط الذي يخزط العود ويتقفه ويقشره: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرط)، ج 4، ص 64.
- (10) - الصفار: صانع الصفّر بالضم، والصفّر من النحاس، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (صفر)، مج 2، ص 71.
- (11) - الزرد: صانع الدرّ المزرودة: المصدر السابق، مادة (زرد)، مج 1، ص 297.
- (12) - القواس، رجل قواس وقيّاس: الذي يبري القوس، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوس)، ج 11، ص 346.
- (13) - الرياش: موشي البرد ومزيتها وناقشها: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (الريش)، مج 2، ص 276.
- (14) - الخطيب الإسكافي، مبادئ اللغة، 119-120.
- (1) - ابن سيدة، المخصص، ج 5، ص 4، ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص 359.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"...

(فعال)، فيقال لمن يبيع اللبن والتمر (لبان) و(تمار)، ولن يرمي بالتبيل (نبال)»⁽¹⁾

«والتجار للذي حرفته التجارة والعطارة والتقاش وغيره فنقل هذا البناء إلى المبالغة، فعندما تقول (هو كذاب) كان المعنى كأنما هو شخص حرفته الكذب كالتجار الذي حرفته التجارة، وعندما تقول: (هو صبار) كأنما هو شخص حرفته وصنعتة الصبر»⁽²⁾.

جاء في "التفسير الكبير" للفخر الرازي (ت 604هـ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾⁽³⁾ فكأن هذا هو حرفته وصناعتة»⁽⁴⁾.

«وهذا البناء يقتضي المزاولة والتجديد لأن صاحب الصنعة مداوم على صنعتة ملازم لها»⁽⁵⁾ فعندما تقول (هو كذاب) كان المعنى كأنما هو شخص حرفته الكذب وهو مداوم على هذه الصنعة كثير المعاناة لها مستمر على ذلك لم ينقطع قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾⁽⁶⁾ أي: أنه مستمر على ذلك يزاوله ويعانيه ويجدده»⁽⁷⁾

وجاء في "تفسير الرازي" في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾⁽⁸⁾ «واعلموا أن قوله: لوامة ينبئ عن التكرار والإعادة، وكذا القول في لوامة وغدار وضرار»⁽⁹⁾ أي: أنها تحدث لوما كلما أحدث صاحبها فعلا يوجب اللوم.

وجاء في "الكشاف" «الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته ومن عادته أن يكثر ذكر الله ويدم تسبيحه وتقديسه»⁽¹⁾ وعليه فصيغة (فعال) تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجدد، والمعاناة والملازمة، قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنَّى لَبَّى﴾⁽¹⁰⁾

(1)-ابن يعيش، شرح المفصل، ج6، ص13.

(2)-فاضل صالح السمرائي، معاني الأنبية في العربية، ص96.

(3)-سورة نوح، الآية 10.

(4)-محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين المشتهر بالخطيب، مفاتيح الغيب، ج30، ص138.

(5)-ابن يعيش، شرح المفصل، ج6، ص3، رضي الدين الاسترابادي، شرح الشافية، ج2، ص84، 85.

(6)-سورة ابراهيم، الآية 34.

(7)-فاضل صالح السمرائي، معاني الأنبية في العربية، ص96.

(8)-سورة القيامة، الآية 2.

(9)-فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج30، ص216.

(10)-الزمخشري، الكشاف، ج3، ص7.

نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿١﴾

«جاء بها على (فعال) ولم يقل (نُزوعاً) لأنها-والله أ-لم-تفيد الاستمرار والتجدد، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٢)، (٣).

وبناء على ذلك فإن صيغة (فعال) سواء بدالاتها على المبالغة في الشيء والإكثار منه، والشدة فيه، والشدة فيه، أو بدالاتها على الصنعة، والمزاولة والمعالجة لها، والانكباب الطويل عليها تتضمن في أغلب أحوالها معنى الثبوت والدوام، والإعادة والتكرار، والتجدد الدائم المستمر، فقولك مثلاً: فلان بسام الثغر، ضحك السن يدل على المعنيين معاً: الأول هو معنى المبالغة والإكثار من التبسم، و بروز الأسنان نتيجة انفراج الشفتين غالباً بالضحك الهادئ المعتدل، والثاني هو هذه الصفة الثابتة الملازمة لهذا الشخص، صفة البشاشة والمرح والأريحية، وإشراق الوجه التي تكاد لا تفارقه إلا في الحالات النادرة التي يطرأ فيها طارئ ما يفرض عليه أن يكون كئيباً حزيناً عبوساً قمطيراً ثم ما يلبث أن يعود إلى حالته المعتادة، وهي عادة البشاشة والتبسم والمرح التي تطبعت بها شخصيته وعرفت بها خلاله.

من هنا يتكشف لنا أن صيغة (فعال) تدل في أغلب أحوالها واستعمالاتها على المبالغة في الشيء، أو بمعنى ذي كذا لا يجي إلا في صاحب شيء يزاوُل ذلك الشيء ويعالجه، ويلزمه بوجه من الوجوه، كما تدل في الوقت ذاته على صفة الثبوت، والدوام، والملازمة لذلك الشيء لأن كل من الدالتين السابقتين متضمنة في الأخرى، وبمعنى آخر أدق، وأوضح فإن وجود دلالة المبالغة والنسب تستلزم-بالضرورة-وجود معنى الثبوت، والدوام، والملازمة، إذا فالعلاقة بين الدالتين، سواء كانت دلالة المبالغة هي علاقة تلازم بين الدالتين، سواء كانت دلالة المبالغة أو النسب في صيغة (فعال) أو دلالة الثبوت، والدوام والملازمة هي علاقة تلازم بين اللازم والملازم بمعنى أن وجود أحدهما يستدعي حتماً وجود الأخرى مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١) فهاتان الصيغتان في هذه الآية تدلان على أن الإنسان-و(أل) التعريف في لفظة الإنسان لاستغراق الجنس- في هذه الدنيا يغلب عليه صفات الظلم والجحود، والنكران لنعم الله تعالى، والتجبر والاستكبار، بالرغم من إرساله

(١)-سورة المعارج، الآيتان 15، 16.

(٢)-سورة النساء، الآية 56.

(٣)-فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص ص 96-97.

(١)-سورة إبراهيم، الآية 34.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

عزّ وجل الأنبياء والرسل، وإنزال الوحي عليهم ممثلاً في الكتب السماوية نحو: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وإنذاراته، وتبشيرهم للناس كافة للمؤمنين منهم بالجنة والنعيم المقيم، إلا أن هذه الصفات السلبية، صفات الظلم والجحود، والتكر هي التي ظلت ولا تزال غالبية على هذا الإنسان الظلوم، الجهول، العنيد، الكفار عبر العصور والدهور، وفي جميع البيئات والمجتمعات فيطغى ويتمادى في الطغيان، ويعيث في الأرض فساداً.

وهناك آيات قرآنية تدعم معنى ثبوت الظلم والجهل والجحود، وملازمته لهذا الإنسان، منها ماهو صريح الدلالة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽¹⁾ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾⁽²⁾ وقوله جل ثناؤه ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا﴾⁽³⁾ إنه - كما هو جلي - إصرار، وتماد، وعناد، وقصد على الجحود والنكران والعصيان حتى صار صفة ثابتة راسخة في نفوسهم وقلوبهم، واستغنى الله عن إيمانهم فطبع على قلوبهم وختم على أبصارهم مُخبراً إياهم قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾⁽⁴⁾

وهناك مئات الآيات الواردة في القرآن الكريم غير صريحة الدلالة أو تعبر بطريق غير مباشر، وتصبّ في السياق نفسه، سياق ثبوت الظلم والجهل والغفلة والجحود والنكران جاءت بتعابير مختلفة، وتراكيب متباينة تتضمن ألفاظاً وعبارات مفادها الغفلة والنسيان والتيه والصمم والعمى والبكم وتعمّد عدم السماع إلى الحق والهروب منه والانغماس في ملذات الحياة الدنيا وترفها مما جعل الله يطبع الله على قلوبهم ويصمهم ويعمي أبصارهم قالى تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽⁵⁾

وقوله جل ثناؤه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾⁽¹⁾ جعلهم الله هكذا لما بدّلوا نعمه وفضائله بالتحلي بصفات الطغيان والظلم والجحود والنكران والكفر به

(1) - سورة الأحزاب، الآية 72.

(2) - سورة العاديات، الآية 6.

(3) - سورة النحل، الآية 83.

(4) - سورة الزمر، الآية 3.

(5) - سورة النساء، الآية 155.

(1) - سورة النحل، الآية 108.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

والإفساد في الأرض بعد إصلاحها مصدقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾

وتبقى لنا كلمة قصيرة حول صيغة (فعال) والكم الذي عثرنا عليه في المدونة، وهو عدد قليل جديد بالنظر إلى سابقاتها من الأوزان والصيغ، فقد كان مجموع مفردات صيغة "فعال" الذي عثرنا عليه هو ست صيغ كلها جاءت في صيغة المعرفة الدالة على الصفة المشبهة باسم الفاعل وهو وزن في أصله موضوع لمعنى المبالغة في الشيء وكثرته والشدة والقوة فيه، وهو أيضا في الأصل مبالغة اسم الفاعل فهو في هذا المنحى كالصفة المشبهة باسم الفاعل، فكلاهما يرجع في أصله واشتقاقه إلى اسم الفاعل الذي هو العمدة.

والحديث في هذا المضمار يطول ويحتاج إلى بحث مستقل يدور موضوعه حول علاقة هذه الأوزان والصيغ وتداخلها مع بعضها اشتقاقا ودلالة مبنى ومعنى.

⁽¹⁾ -سورة الأعراف، الآية 56.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

-صيغة (فَعَّال) المعرفة بـ(أل):

وردت هذه الصيغة في المدونة في كمّ قليلاً جداً، حيث لم تتجاوز ست صيغ وقد اقتصرنا في التمثيل والتحليل لها على أربع صيغ، حسب الجدول البياني المين أسفله.

-جدول بياني لصيغة (فَعَّال) المعرفة الواردة في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبرة التي وردت فيها الصيغة
-1	الجَبَّار	43	13	..، تهديد لهم، أي: للمنافقين، بأنّ معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم إنّما هي مع الله القوي الجَبَّار القهَّار.
-2	القَهَّار	43	13	..، تهديد رعيب للذين يحاولون خداع المؤمنين والمكر بهم، وإيصال الأذى لهم، تهديد لهم بأنّ معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم إنّما هي مع الله القوي الجَبَّار القهَّار.
-3	الوَهَّاب	47	24	وقصة الماء في الأرض ودوره في حياة الناس، وتوقف الحياة عليه في كل صورها وأشكالها، في معرض الدعوة إلى عبادة الخالق الرازق الوهاب.
4	التَوَّاب	115	05	-وشعور إبراهيم وإسماعيل-عليهما السلام- بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما دعوا الله ربّهما أن يرزق ذريتهما من الثمرات ولم ينسيا أن يدعوا ليرزقهم من الإيمان وأن يرِيَهُم جميعاً مناسكهم، وأن يتوب عليهم بما أنه هو التوّاب الرحيم.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة فعّال معرفة - (أل) هي: «تهديد لهم، أي للمنافقين، بأنّ معركتهم ليست مع المؤمنين إنما هي مع الله القوي الجبار القهار»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة (جبر):

إنّ أوّل ما يطالعنا عند التعريف بمادة (جبر) في المعاجم اللغوية المثبتة أنه قال الله جل وعز ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾⁽²⁾ قال أبو الحس اللحياني⁽³⁾: أراد الطول والقوة والعظم، والله أعلم بذلك، وأما قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾⁽⁴⁾ فإن الجبار، هاهنا: القتال في غير حق وقول عيسى ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾⁽⁵⁾ أي: متكبرا عن عبادة الله تعالى، والجبار، أيضا: القاهر المُسلّط، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَتْ عَلَيْهِمْ جَبَّارٌ﴾⁽⁶⁾ أي: بِمُسلّط، فتقهرهم على الإسلام، والجبار: الله تبارك وتعالى، القاهر خلقه على ما أراد.

والجبر: أن تُغني الرجل من الفقر، أو تُجبر عظمه من الكسور، والجبرية: الذين يقولون: أحبر الله العباد على الذنوب، أي: أكرههم، ومعاذ الله أن يكرههم على معصية»⁽⁷⁾

ومما ورد في اللسان عن التعريف بمادة (جبر): الجبار: الله عزّ اسمه القاهر خلقه على ما أراد من أمر ونهي، وجبار: بين الجبرية.

وقيل: الجبار: العالي فوق خلقه، وفعّال من أبنية المبالغة»⁽⁸⁾ وفي الصّحاح عن التعريف بهذه المادة قوله: «والجبار: الذي يقتل على الغضب وتجبّر الرجل: تكبّر، والجبّير، مثل الفسّيق: الشديد التجبّر»⁽¹⁾

وبعد التعرف على مادة (جبر) في المعاجم اللغوية تأكد لنا أن دلالتها الأصلية المركزية تضب في

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 43.

(2) - سورة المائدة، الآية 22

(3) - سبق التعريف به، أنظر 149 من البحث.

(4) - سورة الشعراء، الآية 130

(5) - سورة مريم، الآية 14.

(6) - سورة ق، الآية 45.

(7) - أبو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (جبر) مج1، ص 532-533.

(8) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (جبر)، ج2، ص 165.

(1) - لجوهري، الصّحاح، مادة (جبر)، ص 151-152.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

معنى: الطّول والقوة والعظم، رجل جبّار: إذا كان طويلاً عظيماً قوياً، والجبّار: المتكبر، والجبّار: القاهر المسلط، وما أشبه ذلك من هذه المضامين التي تتمحور حول دلالة القوة، والقهر، والشدة والتسلط والغلبة.

وإذا ما رجعنا إلى لفظة (جبر) ونظرنا في الهيئة التي وردت فيها، وكذلك الدلالات التي تحملها في سياق النص نراها قد وضعت في هذه الصيغة "الجبّار" بزنه الفعّال، وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل المتعدي المتصرف المبني للمعلوم: جَبَرَ يَجْبِرُ جَبْرًا وَجُبُورًا وَجِبَارَةً نَحْو: جَبَرَ الطَّبِيبُ الْعَظْمَ، ومن ثم تكتشف لنا أن صيغة (فعّال) من خلال تتبعنا لمختلف استعمالاتها في الآثار الأدبية الكبرى في المنظور والمنثور والقرآن الكريم تدل في معظم أحوالها على المبالغة في الشيء، أو بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاوئ ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه⁽¹⁾ كما تدل في الوقت ذاته على صفة الثبوت والدوام والملازمة لذلك الشيء، لأن كلا من الدالتين الآنف ذكرهما متضمنة في الأخرى لزوماً، وبمعنى أدق وأوضح فوجود دلالة المبالغة والتسبب تستلزم بالضرورة عقلاً ومنطقاً وواقعاً عملياً وجود معنى الثبوت والدوام والملازمة فهي علاقة تلازم. بمعنى وجود إحداها يستدعي حتماً وضرورة وجود الأخرى، وقوله عزّ وجل في هذه الآية يدعم ما نذهب إليه في هذا المقام: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁽²⁾ فهاتان الصيغتان في هذه الآية وهما: "ظلوم" و"كفار" تدلان على أن الإنسان في هذه الدنيا يغلب عليه صفات الظلم والحجود والنكران لنعم الله تعالى وعدم الاعتراف بوجدانيته وجبروته فهو "الجبّار" وهو الرّحيم بعباده أرسل إليهم الأنبياء والرسل وأنزل الوحي عليهم في الكتب السماوية: التوراة، الإنجيل، الزبور، وأخيراً القرآن الكريم مبشرين ومنذرين عباده، بيد أن هذه الصفات السلبية نحو: الظلم، والجهود، والنكران، والكفر، والشرك.. الخ ظلت ملازمة وغالبة على هذا الإنسان الظلوم، الجهول، الكفار عبر العصور والدهور وفي مختلف البيئات والمجتمعات بل تتجاوز فيها ليطغى ويعتو ويتمادى ليعيث في الأرض فساداً إلى حدّ رهيب كما هو شأنه اليوم في أنحاء المعمورة⁽¹⁾

واستناداً على الاستدلال السابق كله إضافة إلى أن صيغة "الجبّار" هنا هو وصف في حق ذات الله ثابتاً لذلك كله فصيغة "الجبّار" صفة مشبهة باسم الفاعل أكيدة تدل على الثبوت والدوام،

(1) - رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص84.

(2) - سورة إبراهيم، الآية 34.

(1) - بتصرف الزمخشري، الكشاف، ج1، ص583.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

والملازمة والاستمرار الأبدى الأزلي يقول الله جلّ وعلا عن ذاته ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁽¹⁾ وعلى المستوى الأسلوبى، النحوي والصرفي فإن صيغة "الجبار" قد جاءت في قالب المفرد المذكر المعرف ب(أل) العهدية لتدل على معهود مخصوص معلوم معين يحيل عليه أيضا الضمير المستتر في وصف "الجبار" الممثل في ذات الله سبحانه وتعالى دون سواه من الموصوفين المخلوقين الذين يحاولون منافسته في هذا الوصف مثل: الملوك الجبارة والأمراء، والسلاطين نحو: فرعون وقارون وهامان وغيرهم ممن طغوا وتجبروا وعتوا فسادا في الأرض.

ونحب هنا أن نتحدّث -على مستوى السياق الخارجي للنص- عن تداخل يقع أحيانا بين صفات الإنسان مع صفات الخالق، فلا بد من التوضيح بأن هناك صفات إذا نُسبت للخالق فهي صفات نقص، فإذا وصفنا إنسانا بأنه "جبار" فهذه صفة نقص، لماذا؟ إن وجود الإنسان مستعار، وهو مستمد من الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا، خلق الإنسان عَجُولا، خلق الإنسان هُلُوعاً، هذا الإنسان الذي يُوصَف بأنه "جبار" هل بإمكانه أن يضمن استمرار حياته ثانية واحدة؟ عشرات الأشخاص كل يوم يموتون بسبب وبلا سبب، ومع تقدم العلم أصبح يقول الطبيب: سكتة دماغية، أو سكتة قلبية، أو هبوط مفاجئ في وظائف الكليتين، أو تشمع في الكبد، ونحن بين أظهرنا أشخاص كثيرين، كانت لهم آمال طويلة جدا، كل هذه الآمال تبددت، لأن خللا طفيفا جدا أصاب أجهزتهم.

شاب كان في الصف الرابع في كلية الطبّ، وكان من أذكى الطلاب، ومن أصحّهم جسما، ومن أينهم عودا، يتمتع بصفات في شبابه نادرة، ومن أسرة ميسورة، فجأة شعر بوهن في جسمه، وبضعف في قواه، وبدا اصفرار في وجهه، الطبيب الأوّل قال: هناك فقر في الدّم، وكذلك أكدّ الطبيب الثاني، بأنّ هناك فقرا في الدّم، ليس لهذا الفقر أسباب، شاب في ريعان الشباب، من أسرة ميسورة، أي فقر دمّ هذا؟ ثم اكتشف في النهاية، أن في طحاله نشاطا زائدا، الطّحال مستودع للدّم، ومعمل احتياطي لكرات الدّم، ومقبرة لكرات الدّم الميته ففي الثانية الواحدة يموت في جسم الإنسان مليونان ونصف كرية دم، هذه الكريات التي ماتت تذهب إلى الطّحال، وفي الطّحال، وبطريقة اقتصادية تُهدم هذه الكريات وتُعاد إلى أصول تكوينها: حديد، هموغلوبين، الحديد يُرسل -ثانية- إلى

(1)-سورة الحشر، الآية 23.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

معامل كريات الدم الحمراء، في نقي العظام، ليعاد تصنيعه، والهيموغلوبين يذهب إلى الكبد ليشكل الصفراء، أخذت خُزعة من طحال هذا الشاب وأرسلت إلى بلد غربي متقدم، فكان الجواب أن الطحال يقوم بنشاط زائد يأخذ الكرية الحمراء ويحللها ويأخذ الكرية الحية ويميتها ويحللها، فأصبح هناك نقص مستمر في كريات الدم الحمراء، وانتهى أجله، مات في ريعان الشباب، فإذا قال: أنا من أنت؟ فالطحال لأنه عمِل بنشاط أكبر، كان سببا في إنهاء حياة الإنسان.

شخص آخر أصيب بمرض نادر، فقر الدم لا مصنع، أي: إنَّ معامل كريات الدم الحمراء تكف ذاتيا عن صنع هذه الكريات، وهذا المرض العضال مجهول الأسباب، ويعد سببا في إنهاء حياة الإنسان، وهناك الهبوط المفاجئ في وظائف الكليتين مرض عضال يجعل حياة الإنسان جحيما لا يطاق، هناك التشمع في الكبد.. فالإنسان لا تستمر حياته بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات، وهناك نقطة دم تتجمد في بعض شرايين المخ، في مكان ما يُصابُ الإنسان بالعمى، في مكان ثالث يصاب الإنسان بفقدان الذاكرة، في مكان رابع يُصاب الإنسان بالشلل، فهذا الذي يقول: أنا... هو أحرق، مجرد أن يقول: أنا، فإذا وصف الإنسان بأنه "جبار" هذه صفة ذم في الإنسان لأنَّ وجود الإنسان مفتقر إلى إمداد الله عز وجل، وجود الإنسان تابع لمشيئة الله، قوة الإنسان تابعة لمشيئة الله، فإذا قلنا: فلان "جبار" فإننا نصفه بالحمق، لأنه يدعي ما ليس له، يدعي حجما ليس له، يدعي قوة ليست قوته، أما إذا وصفنا خالق الكون الواحد الأحد، الفرد الصمد، الحي القيوم، الذي لا راد لحكمه، إذا وصفنا خالق الكون بأنه "جبار" فهذه صفة مدح، وصفة تزيه من جهة، وصفة من صفات الذات لله عز وجل⁽¹⁾

«أما المؤمنون الذين يعرفون الله سبحانه ويعبدونه ويطيعونه ويقدرّونه حق قدره ويحققون الصلة بينهم وبينه ويرددون بالعشي والإبكار أسماء الجليلة العظيمة بقولهم: سبحانه ربنا أنت "الجبار" القهار فيجعل صفهم صفه، وأمرهم أمره، وشأنهم شأنه، يضمهم سبحانه إليه، ويأخذهم في كنفه، ويجعل عدوهم عدوه، وما يوجه إليهم من مكر موجّها إليه- سبحانه- وهو التفضل العلوي الكريم، التفضل الذي يرفع مقام المؤمنين وحقيقتهم إلى هذا المستوى السامق، والذي يوحي بأن حقيقة الإيمان في هذا الوجود هي أكبر وأكرم الحقائق والذي يسكب في قلب المؤمن طمأنينة لا حد لها، وهو يرى الله- جل شأنه- يجعل قضيته هي قضيته ومعركته هي معركته، عدوه هو عدوه، ويأخذه في صفه، ويرفعه إلى جواره الكريم، فماذا يكون العبيد وكيدهم وخداعهم وأذاهم

(1)- محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج1، ص173-174.

الصغير»⁽¹⁾.

إنّ دلالة صيغة (الجَبَّار) تنبعث منها معاني القوة، والقدرة على البطش والاستعلاء، والسيطرة المطلقة، إضافة إلى السياق العام الذي جاء داعماً لهذه الدلالة الرئيسة، حيث إنها وردت مسبوقة بلفظة (القوي) التي تعطي معنى القدرة على فعل الشيء في أي لحظة، وإحداث الأثر الكافي، كما وردت بعدها لفظة (القهار) التي هي الأخرى تُعطي دلالة الغلبة والأخذ من فوق، وهي كلها على ما يبدو معانٍ ودلالات تفيد معنى الثبوت والدوام في حق ذات الله عز وجل، وصفاته الأبدية الأزلية... التي تدل على كمال قوته، وقدرته، وتديره، ووهيمته واستعلائه...

⁽¹⁾ -بتصرف، سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 43.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فَعَّال) معرفة بـ(أل) هي: «...تهديد رعيب للذين يحاولون خداع المؤمنين والمكر بهم، وإيصال الأذى لهم، تهديد لهم بأن معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم إنما هي مع الله القوي الجبار القهار»⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظه (قهر):

إن أول ما يلوح لنا عند التعريف بمادة (قهر) في المعاجم اللغوية المحكمة أن "قهره قهرا: غلبه، وأقهرته: وجدته مقهورا، قال أبو عبيد⁽²⁾: ومنه قول المخبّل:

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِدَاعَهُ فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أُذِلَّ وَأَقْهَرَا⁽³⁾

على ما لم يُسمَّ فاعله، أي: وُجد كذلك، وأخذتُ فلاناً قَهْرَةً، أي: اضطرابا والقَهْقَرَى: الرجوع إلى الوري، والقَهْقَرُ بتشديد الراء: الحجر الصلب»⁽⁴⁾

وفي اللسان: «القهر: الغلبة والأخذ من فوق، والقهار من صفات الله عز وجل، قال الأزهري»⁽⁵⁾

«والله القاهر هو القهار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرّفهم على ما أراد طوعا وكرها، والقهار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرّفهم على ما أراد طوعا وكرها، والقهار للمبالغة، وقهْرُهُ يقهْرُهُ قَهْرًا: غلبه، والقهر: ببلاد ببني جعدة»⁽⁶⁾

ومما ورد في أساس البلاغة عن التعريف بمادة (قهر) قوله: «ومن لجاز: جبال قواهر: شوامخ، قال الكميّ:

(1)-المصدر السابق، مج1، ج1، ص43.

(2)-سبق التعريف به، ينظر ص 149 من البحث.

(3)-الشاهد من البحر الطويل، للشاعر: المخبّل، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج3، المحتوى: شعر، قافية(الراء)، ص 147.

(4)- الجوهري، الصحاح، مادة (قهر)، ص889.

(5)-أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي الشافعي ولد سنة 282 هـ بمدينة هواة وفيها نشأ حتى صار شابا يافعا، سجن على يد القرامطة لمدة عشرين عاما، له مصنفات كثيرة، توفي سنة 370، ينظر: الأزهري، معجم تهذيب اللغة، مج1، ص5-6.

(6)-ابن منظور، لسان العرب، مادة(قهر)، ج11، ص334.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

أنت المقابل من أُمِّيَّ ————— يةً في بَوَازِحِهَا⁽¹⁾ الْقَوَاهِرِ⁽²⁾

وامرأة قُهْرَة: شَرِيْرَة، ونساء قُهْرَات⁽³⁾

ومن خلال هذا تناول المختصر مادة(قهر) في المعاجم اللغوية اتضح لنا أن دلالتها الأصلية الرئيسة تصب في معنى الغلبة والسيطرة والإكراه على فعل الشيء والانقياد له.

وبالعودة إلى لفظة(قهر) والسياق الذي وردت فيها نجدتها قد وضعت في هذه الصيغة (القهار) بزنة الفاعل وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي المتصرف المبني للمعلوم قهره يقهره قهرا نحو قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾⁽⁴⁾ وما قيل عن صيغة "الجبار" السالفة الذكر فهو يصدق على صيغة "القهار" ويقاس عليها، وصيغة "القهار" في صورتها الظاهرة هذه تدل على المبالغة في الشيء في أغلب أحوالها أو بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلزمه بوجه من الوجوه⁽⁵⁾.

كما تدل في الوقت ذاته على وصف الثبوت والدوام، والملازمة لذلك الشيء لأن كلاً من الدالتين السابقتي الذكر متضمنة في الأخرى لزوماً، وبناء على الاستدلال السابق، وإضافة إلى أن صيغة "القهار" هنا هو وصف في حق ذات الله ثابت لها، لذلك كله فصيغة "القهار" تفيد المبالغة والقوة الكاملة المطلقة في المعنى كما أنها صفة مشبهة باسم الفاعل أكيدة تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار الأبدي الأزلي لله سبحانه جل شأنه يقول الله تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽⁶⁾ وجملة: «هو الله الواحد القهار» دليل لتتريه المستفاد "سبحانه" فجملة «هو الله» تمهيد للوصفين وذكر اسمه العلم لإحضاره في الأذهان بالاسم المختص به فلذلك لم يقل: هو الواحد القهار كما قال: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفْوَُّ﴾⁽¹⁾.

وإثبات الوحدانية له يبطلُ الشريك في الإلهية على تفاوت مراتبه، وإثبات "القهار" يبطل ما

(1) -بَوَازِحِهَا: البواذخ من الجبال: الشوامخ، الجوهر، الصّاح، مادة(بذخ) ص 80.

(2) -الشاهد من البحر: مجزوء الكامل، للشاعر الكميّ، الديوان، ص 148.

(3) -الزمر، ص 286-287.

(4) -سورة الضحى، الآية 9.

(5) -رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية، ابن الحاجب، ج 2، ص 84.

(6) -سورة الزمر، الآية 4.

(1) -سورة الزمر، الآية 5.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

زعموه من أن أولياءهم تُقَرَّبهم إلى الله زلفى وتشفع لهم.

والقهر: الغلبة، أي: هو شديد الغلبة لكل شيء لا يَغْلِبُه شيء ولا يصرفه عن إرادته⁽¹⁾

وعلى المستوى التركيبي، أي: الأسلوبى فنلاحظ أن صيغة "القهار" قد وردت في قالب المفرد المذكر المعرف ب(أل) العهدية التي تشير إلى معهود مخصوص معلوم معين بذاته يوجّه إليه المضمّر في وصف "القهار" الممثل في ذات الله سبحانه جل شأنه دون سواه من الآلهة التي يتوهمونه من قريب أو بعيد والتي تحاول منافسته سبحانه وتعالى علوا كبيرا في جبروته وقهره وقدرته وإرادته وسلطانه قالوا: «ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى»⁽²⁾.

فأما على مستوى السياق الخارجي فَنُفَضِّلُ هذه المرة الإشارة إلى مدى تداخل أسماء الله الحسنی بعضها في بعض لنقول في البداية أن أسماء الله الحسنی إذا وردت بصيغة المبالغة فالمقصود منها التكرار وليس النوع لأن مستوى أسماء الله الحسنی لا تتبدّل، يقول الإمام محمد الغزالي: «ليس في الإمكان أبدع مما كان، هو يقصد أنه ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني.

فالله عز وجل حكيم في خلق النملة وفي خلق الحجر، حكيم، بالنسبة نفسها في خلق أصغر المخلوقات وفي خلق أكبرها، عليم بكل شيء، أسماءه من حيث المستوى ثابتة لا تتبدل والثبوت والدوام وعدم التبدل من خصائص الصفة المشبهة باسم الفاعل مع المبالغة التي يقصد منها التكرار، فإذا تبدلت فبحسب المخلوقات لا بحسب الخالق، ولكن إذا ورد اسم مبالغ به فهو لمبالغة التكرار.

الإنسان أحيانا يحارب عدوه ويقهره، وقد لا يتمكن أن يقهر عدواً ثانياً أو ثالثاً، أما إذا قال: ربنا الواحد "القهار" فيعني أن كل المخلوقات مقهورة بالنسبة إليه، وبشكل دائم ومستمر إذا فهو وصف دائم ثابت أزلي... ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽³⁾ وعلى وزن فعّال.. وهو القاهر فوق عباده، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ والله غالب على أمره، هذا مغزى قصة يوسف، هذا المغزى موجز، والقصة بأكملها في تفصيل هذا المغزى.

قصة أخرى يتجلى فيها اسم "القهار" سيدنا موسى مع فرعون، فرعون الذي أراد أن يذبح

(1)- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج9، ج23، ص 327.

(2)- محمد راتب النابلسي، أسماء الله الحسنی، ج1، ص 234.

(3)- سورة غافر، الآية 16.

(1)- سورة يوسف، الآية 21.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

أبناء بني إسرائيل جميعا ليمنع حدوث رؤيا قدرها، وهي أن طفلا من بني إسرائيل سوف يقضي على ملكه، فالله عز وجل قهره بأن الطفل الذي سيقتضي على ملكه رباه في قصره، والحقيقة كل أفعال الله عز وجل تصدر عن أسمائه، أو أن أفعاله كلها فيها أسماؤه كلها، وهذا ما يدعو إلى تفسير بعض الآيات التي ورد فيها الحديث عن ذات الله بضمير المفرد وبعض الآيات التي ورد الحديث فيها بضمير الجمع: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾⁽²⁾ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾⁽³⁾ إذا جاء الضمير مفرداً فالتعبير عن ذات الله، وإذا جاء جميعاً فالتعبير عن أن أسماء الله الحسنى جميعها واردة في أفعاله، ونحن عندما نذكر أنه سميع، لطيف، بصير، قدير، قوي، حكيم، هذا تفصيل دراسي مدرسي أما الأسماء فهي متداخلة بعضها في بعض، أحيانا ربنا عز وجل يجمع أسماءه في أسماء موجزة، فمثلا: ﴿نُبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^{(4)،(5)}.

فالجلالة صفة تُشعر بالعظمة، والإكرام صفة تُشعر بالعطاء، فأنت في حياتك اليومية قد تتعامل مع إنسان تُعظمه ولا تُحبه وقد تتعامل مع إنسان تحبه ولا تُعظمه، والبطولة أن تجمع بين التعظيم والمحبة، فربنا-عز وجل-هو في جلال ورفعة وعظمة وعلو شأن وكبرياء وجبروت و"قهر" وقدرة وغنى وهو كذلك رحيم ولطيف ودود كريم عفو غفور، هناك أسماء متعلقة بالجلال، وهناك أسماء متعلقة بالإكرام.

فاسم "القهار" إما أن يرد بصيغة اسم الفاعل مباشرة، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾⁽¹⁾ وإما أن يرد بصيغة المبالغة كما في الآية: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾⁽²⁾ فيقول الله نيابة عن خلقه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾⁽³⁾ لكن كلا من صيغتي "القاهر" التي جاءت في صورة اسم الفاعل و"القهار" التي جاءت في شكلها

(1)-سورة ق، الآية 43

(2)-سورة الإنسان، الآية 23.

(3)-سورة طه، الآية 14.

(4)-سورة الرحمان، الآية 78.

(5)-محمد راتب النابلسي، أسماء الله الحسنى، ج1، ص ص234-235.

(1)-سورة الأنعام، الآية 18.

(2)-سورة غافر، الآية 16.

(3)-سورة غافر، الآية 16.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

الظاهري مثال مبالغة هما في حقيقتها يدلان على صفة مشبهة ثابتة دائمة أزلية في حق ذات الله تبارك وتعالى، هناك آية دقيقة جدا، يقول الله عز وجل ﴿ صَرَطَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَصِيرَ الْأُمُورِ ﴾⁽¹⁾ الإنسان يعجب؟ هذا كلام الله، فلم يقول الله: ألا إلى الله تصير الأمور، فهي أين كانت؟ بيد من كانت؟ المعنى المستنبط من هذه الآية أنها لم تكن بيده من قبل والآن أصبحت بيده، إذا قلنا: صار الأمر في هذا الموضوع إلى زيد يعني أن زيد لم يكن الأمر بيده من قبل، فالواقع أن معظم الناس في غفلة عن الحقيقية، فعامّة الناس يرون أن الأمر بيد الأشخاص، وأن القرار بيد فلان، أو صانع القرار فلان، وفلان هذا يفعل يقولون مثلا: «إذا رضي فلان عنك يرفعك إلى السماء، وفلان إذا غضب عليك جعلك في أسفل سافلين» هذا كله شرك، هذا الوهم الأعمى، ففي يوم القيامة جميع المخلوقات ترى أن الملك لله الواحد "القاهر" لكن في الدنيا لا يرى هذه الرؤيا إلا المؤمن أما في الآخرة فهذه الرؤيا عامة شاملة، يقول رسول الله ﷺ «أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلّمت لي فيما أريد، كفيتك ما تُريد، وإذا لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تُريد ثم لا يكون إلا ما أريد»⁽²⁾،⁽³⁾.

إن هذه الفقرة في سياقها العام تشتمل على بعض الخصائص الفنية التي تناسب المقام، من هذه الخصائص المقابلة الملحوظة بين خداع المنافقين ومكرهم، ومحاولين إيصال الأذى للمؤمنين والرد بالمثل عليهم من لدن الله عز وجل وهو رد أشد وأقوى على المنافقين الناسين أو المتناسين بأن علين الله لا تغفل ولا تنسى، ولا تنازم فهي ترصدتهم باستمرار، وتلمي لهم، إلى أن تأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فتجعلهم كعصف مأكول.

ومن الخصائص الفنية أيضا في سياق هذا النص استخدام أسلوب القصر في قوله: (إنما هي مع الله القوي الجبار القهار)، ليؤكد به أن المعركة ليست في حقيقتها مع المؤمنين وحدهم، وإنما هي في الحقيقة مع الله، ومن حارب الله ورسوله خاب وخسر وفي جهنم حُسر.

إضافة إلى ورود صيغة (القهار) جاءت ضمن جملة اسمية تتكوّن من مبتدأ وخبر في قوله: (إنما هي مع الله... القهار) ليدل بها على ثبوت المعنى ووقوعه وتحقيقه، بما لا يدع أي مجال للريب، أو الشك، أو التردد، فهذا الأسلوب من شأنه أن يدعم دلالة صيغة (القهار) التي تفيد الثبوت والدوام والاستمرار ويؤكد كدها، حتى يرتدع المنافقون وغيرهم، ويتأكدوا بأن الله يُمهّل ولا يهمل...⁽¹⁾

(1)-سورة الشورى، الآية 53.

(2)-الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، (دط، دت)، ج4، ص 215.

(3)-محمد راتب النابلسي، أسماء الله الحسنى، ج1، ص ص 235-238.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فعال) معرفة بـ(أل) هي: (وقصة الماء في الأرض ودوره في حياة الناس، وتوقف الحياة عليه في كل صورها وأشكالها...، في معرض الدعوة إلى عبادة الخالق الرازق الوهاب)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (وهب):

ومما اجتهدنا في انتقائه من مدلولات عند التعريف بمادة (وهب) الواردة في المعاجم اللغوية الموثقة أن: «الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها على بعض، تقول: وَهَبْتُ الشَّيْءَ أَهْبُهُ هِبَةً وَمَوْهَبًا، وَاتَّهَبْتُ الْهَيْبَةَ: قَبِلْتُهَا، وَالْمَوْهَبَةُ: قَلْتُ يَسْتَنْقِعُ فِيهِ الْمَاءُ، وَالْجَمْعُ: مَوْاهِبٌ، وَيُقَالُ: أَوْهَبَ لِي مِنَ الْمَالِ كَذَا، أَي: ارْتَفَعَ، وَأَصْبَحَ فُلَانٌ مُوَهَبًا لِكَذَا، أَي: مُعَدًّا لَهُ»⁽²⁾

ومما جاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله: «في أسماء الله تعالى: الوهاب، الهبة: الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سُمِّي صاحبها وهابًا، وهو من أبنية المبالغة، غيره: الوهاب، من صفات الله، المنعم على العباد، والله تعالى الوهاب الوهاب، وتقول: هَبْ زَيْدًا مُنْطَلِقًا، بمعنى احسبْ واعددْ، يتعدى إلى مفعولين، ولا يُستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى، قال ابن همّام السلولي: فُقِلْتُ: أَجْرَنْتِي أَبَا خَالِدٍ وَإِلَّا فَهَبْنِي إِمْرًا هَالِكًا»⁽³⁾⁽⁴⁾

ومما ورد في القاموس المحيط عن التعريف بمادة (وهب) قوله: «وَهَبَهُ كَوَدَعَهُ وَهَبًا وَوَهَبًا وَهَبَةً وَلَا تَقُلْ وَهَبَكَ، وَوَاهَبَهُ فَوَهَبَهُ يَهْبُهُ كَيَدَعُهُ وَيَرِثُهُ غَلْبَهُ فِي الْهَبَةِ وَالْمَوْهَبَةُ: الْعَطِيَّةُ، وَوَهَبِي اللَّهُ فِدَاكَ: جَعَلَنِي، وَأَوْهَبَهُ لَهُ: أَعَدَّهُ وَالشَّيْءَ: أَنْ تَأْخُذَهُ لِأَزْمٍ وَمُتَعَدًّا»⁽¹⁾

وبعد هذا التعقب المتأمل في مادة (وهب) في المعاجم اللغوية تبين لنا أن دلالتها المركزية الأساسية تنحصر في معنى العطية عن رضى وطواعية، الخالي عن الأعواض والأغراض، أو الإعداد والأخذ والتمكين من الوصول إلى الشيء.

وبالعودة إلى لفظ (وهب) كما وردت في سياق النص نجد أنها قد وضعت في هذه الصيغة "الوهاب" بخزنة الفعل، وهو وصف مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي المتصرف المبني

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 47.

(2)- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (وهب)، ص 968.

(3)- الشاهد: من البحر المتقارب، للشاعر ابن همّام السلولي، ينظر: البغدادي، خزنة الأدب، ج9، ص 36.

(4)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (وهب)، ج15، ص ص411-412.

(1)- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (وهب)، مج1، ص 138.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

للمعلوم: وَهَبَ يَهَبُ وَهَبًا وَهَبَةً نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾⁽¹⁾ ومما يجدر التذكير به هنا أن ما قيل عن صيغتي "الجبار" والقهار السالفتي الذكر يصح أن ينسحب على صيغة "الوهاب" في هذا المقام.

وعليه فصيغة "الوهاب" في شكله الظاهري هذا تدل على مجرد المبالغة في الشيء في أغلب أحوالها أو بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه⁽²⁾

كما تدل في الوقت ذاته على صفة الثبوت والدوام وملازمة لذلك الشيء لأن كلا من الدالتين السالفتين الذكر متضمنة في الأخرى ضرورة ولزوما.

وانطلاقا من هذا الاستدلال العلمي المنهجي، وإضافة إلى أن صيغة "الوهاب" في هذا السياق جاء وصفا ثابتا دائما أزليا في حق ذات الله جل شأنه، لذلك فصيغة "الوهاب" تفيد المبالغة والقوة الكاملة التامة المطلقة في المعنى، كما أنها صفة مشبهة باسم الفاعل أكيدة تفيد الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار الأبدي الأزلي لله سبحانه وهو القائل عن نفسه: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾⁽³⁾ يعني: ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يُصَيَّبُوا بها من شأؤوا ويصرفوها عن شأؤوا، ويتخيروا للنبوة بعض صنائدهم، ويترفعوا بها عن محمد ﷺ وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها: العزيز القاهر على خلقه "الوهاب" الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله، كما قال: ﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا﴾⁽¹⁾ ثم رشح هذا المعنى فقال ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽²⁾ حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة، وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين ما هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يحق له ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾⁽³⁾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش، حتى يستوا

(1)-سورة ابراهيم، الآية 39.

(2)-رضي الدين، الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص 84.

(3)-سورة ص، الآية 9

(1)-سورة الزحرف، الآية 32

(2)-سورة ص، الآية 10

(3)-سورة ص، الآية 10

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

عليه ويُدبرُوا أمر العالم وملكوت الله، ويُترلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون، ثم خسأهم حساءة عن ذلك بقوله ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾⁽¹⁾ يريد ما هم إلا جيش الكفار المتحزبين على رسل الله، مهزوم مكسور عما قريب فلا تُبال بما يقولون، ولا تكثرث لما به يهدون، وم (ما) مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، كما في قول امرئ القيس من المديد:

وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصْرَةٍ⁽²⁾

إلا أنه على سبيل الهزء و"هنالك" إشارة إلى حيث ضُعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، من قولهم لمن يُنتدبُ لأمر ليس من أهله: لست هنالك⁽³⁾

وعلى المستوى التركيبي، أي: الأسلوبى فإننا نلاحظ أن بناء "الوهاب" قد جاء في قالب المفرد المذكر المعرف ب(أل) العهدية التي تومئ من قريب جدا إلى معهود، أي: موصوف مخصوص معلوم معين بذاته يحيل عليه المضمرة في وصف "الوهاب" الممثل في ذات الله جل شأنه دون سواه من الموصوفين الذين يحاولون منافسته في الأعطية والمواهب مؤمنين كانوا أو كفارا، ملوكا أو سلاطين أو جبابرة كقارون وفرعون وهامان وأذناهم، يقول المولى سبحانه متحديا للجميع: ﴿قُلْ لَوِ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾⁽⁴⁾

وأما على مستوى السياق الخارجي فنحبذ الوقوف عند هذه المواهب الربانية الجليلة الغامرة التي أغدقها الله تعالى "الوهاب" على مخلوقاته عامة وعلى الإنسان بوجه الخصوص، لنسجل ونصغي لما يقوله أحد علماء هذا العصر في وصف "الوهاب" ناسبا إياه إلى المولى تبارك وتعاضمت مواهبه وعطاياه ومنحه، والسؤال الآن: ما اسم الفاعل من هذا الفعل وهب؟ .. واهب، لكن ربنا "وهاب"، وهَابٌ صيغة مبالغة الاسم الفاعل، وأيضا صفة مشبهة باسم الفاعل، كلاهما صفتان لازمتان دائمتان أزليتان في حق الله جل شأنه أعطاك رجل قلم حبر، هذا اسمه واهب.. وإذا أعطاك سيارة فخمة وقال لك: هذه هدية لم يعد في نظرك واهبا بل "وهابا" عندما يكون العطاء كبيرا نقول "وهابا" وإذا كان العطاء يوميا متنوعا أو كبيرا نستخدم صيغة مبالغة اسم الفاعل والصفة المشبهة باسم الفاعل أيضا

(1)-سورة ص، الآية 11

(2)-صدر البيت: وحديث الركب يوم هنا=الشاهد: من البحر المديد للشاعر امرئ القيس، الديوان، ص 159.

(3)-الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 1028.

(4)-سورة الإسراء، الآية 100.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽¹⁾

ماذا وهبنا الله؟ أول شيء وهبنا الله إياه نعمة الوجود، في سجلات النفوس في دائرة الأحوال المدنية: فلان بن فلان مقيم في مكان كذا «عمارة نارنجة خانة 67 مثلاً» فأنت موجود، لك اسم في السجلات، فمن وهبك نعمة الوجود؟ الله عز وجل..

إذا أنت مُتَمَتِّعٌ بوجودك، مُتَمَتِّعٌ بصحتك، مُتَمَتِّعٌ بالطعام، بالشراب، مُتَمَتِّعٌ بزواجك، مُتَمَتِّعٌ بيت، لك عمل، لك شأن اجتماعي، كلك، وجودك من وهبك إياه؟ الله عز وجل وهبك نعمة الوجود، أوجدك وأمدك بكل شيء⁽²⁾

"الوهَّابُ" وهب لنا ماءً، لا لون له ولا طعم ولا رائحة، لو كان الماء لونه زهر، لضاق الإنسان بحياته، لو كان الماء حلواً، لأصبح الطعام وكل شيء حلواً، لو كان الماء لزجاً، بماذا يغسل الإنسان جسده وأشياءه؟ تصوّر ماء كالقطر... لكن جعله الله سائلاً لا لون له ولا رائحة ولا طعم، لو كان الماء يتبخّر بدرجة مئة.. تُنظّف البيت في الشتاء فيبقى الماء على أرض المتزل وجدرانهِ إلى الصّيف حتى يتبخّر، وهذه مشكلة حقا، فالماء يتبخّر بدرجة أربع عشرة، إسفح كأس ماء في غرفة بعد ساعتين يتبخّر، وكذلك ترى الماء يغلي بدرجة مئة، لو كان يغلي بدرجة خمسمئة مثل الزيت لَحُرِقَ الطعام في أثناء الطبخ؟! .

من أعطى الماء خواصّه، يغلي بدرجة مئة، يتبخّر بدرجة أربع عشرة، له سيولة عجيبة، يسري في أدق المسامات، لا لون له لا طعم لا رائحة: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽¹⁾.

أنتحدث عن الكون كُله؟ أنتحدث عن العين؟ عن الأذن؟ من أعطاك ذاكرة صوتية، فتعرف الأصوات حتى من خلال الحديث بالهاتف؟ وإذا سحقت قطعة زجاج تحت الباب، تترعج وتخرج من جلدك، فهذا اسمه الضّجيج، وتطربُ لصوت العصفور، وهذا اسمه النغم: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ من جعل الطعام ذا رائحةٍ، لو جعل الله الطعام المفيد رائحته كريحة والطعام غير المفيد رائحته طيبة، فكيف يخلو عيشك، كاللحم إذا تفسّخ له رائحة لا تطاق:

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

⁽¹⁾-سورة ص، الآية 35.

⁽²⁾-بتصرف يسير، محمد راتب النابلسي، أسماء الله الحسنى، ج1، ص 262.

⁽¹⁾-سورة ص، الآية 35.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

كيفما تحركت أيها الإنسان، وجودك المواد التي حولك، حواسك، كل هذه نعم من لدن "وهَّاب" من وهبنا الشمس؟ تدفع ثمن البيت مئة ألف زيادة إن كان ذا جهة قبلية، والبيت الشمالي أرخص بمئة ألف، هذه الشمس لا تنطفئ جذوتها، قالوا: إن عمرها خمسة آلاف مليون سنة، وطماننا العلماء قالوا: ستبقى خمسة آلاف مليون سنة أخرى، ليس لنا مشكلة مع الشمس، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

من جعل القمر في السماء تقويماً، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنُهُ تَفْصِيلاً﴾⁽¹⁾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ من جعل الرياح تتحرك، تنشط، وتنعش الإنسان، تبدل الأجواء بفضل حركتها فيزول ما علق فيها من تلوث أو غبار أو روائح كريهة، فتحرك الرياح من نعم الله العظمى؟⁽²⁾ .

إن ورود صيغة (الوهَّاب) في سياق النص وهو بصدد الحديث عن قصة الماء في الأرض ودوره في حياة الناس، وتوقف الحياة عليه في كل صورها وأشكالها ليحمل دلالة ربانية كبيرة وعميقة وموحية بمعان غزيرة جليلة من بينها هذه النعم الغالية العزيزة، التي أفاضها الله على عباده، والتي ليس في مقدور أي مخلوق آخر غيره خلقها والتطوع بها هكذا هبة خالصة من عنده سبحانه وتعالى.

فالملاحظ أن الإنسان إذا فتح الله عليه بالنعم، والخيرات، والأرزاق، والأموال فإنه ييخل في غالب الأحيان بما على غيره بل يصل به الأمر أحياناً إلى أن ييخل بما حتى على نفسه فيقهرها، ويحرمها حقها من الاستمتاع بما وهبه الله، وقد ييخل بما على أهله، وأولاده، وأقاربه، لكن الله الوهَّاب يهب هذه النعم، والأرزاق، والخيرات للمؤمن به والكافر به، فيرزق الإنسان، والحيوان، والطيور، والحشرات، فكلها رزقها على (الوهَّاب) الجواد، الكريم، الرحيم. بمخلوقاته الضعيفة الفقيرة إليه في كل الأحوال...

(1) -سورة الإسراء، الآية 12.

(2) -محمد راتب النابلسي، أسماء الله الحسنى، ج1، ص ص 263-265.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فعال) معرفة بـ(أل) هي: (وشعور إبراهيم وإسماعيل -ﷺ- بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما دَعَوَا اللهُ رَبَّهُمَا أَنْ يَرْزُقَ ذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَلَمْ يَنْسِيَا أَنْ يَدْعُوَاهُ لِيَرْزُقَهُمَا مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنْ يُرِيَهُمَا جَمِيعًا مَنَاسِكَهُمْ، وَأَنْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظ (توب):

ومما اجتهدنا في اختياره من مدلولات عند التعريف بمادة (توب) في المعاجم اللغوية: «قول الليث: تاب الرجل إلى الله يتوب توبةً ومتاباً، والله التَّوَّابُ على عبده، والعبد تائب إلى الله، وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾⁽²⁾ أراد التوبة، قلت: أصل تَاب: عَادَ إِلَى وَرَجَعَ وَأَنَابَ، وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ، أَي: عَادَ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾⁽³⁾

أي: عودوا إلى طاعته وأنبيوا، واستتبت فلانا: عرضتُ عليه التوبة مما اقترف، أي: الرجوع والندم على ما فرط منه، والتَّوَّابُ، من صفات الله تعالى، هو الذي يتوب على عباده، التَّوَّابُ من الناس، هو الذي يتوب إلى ربه⁽⁴⁾

ومما جاء في السان عن التعريف بمادة (توب) قوله: «وتاب الله عليه وفقه إليها وفي الحديث «التدم توبة»⁽¹⁾ واستتابه: سأله أن يتوب»⁽²⁾

وفي القاموس المحيط مما ورد عن التعريف بهذه المادة «تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبًا وَتُوبَةً وَتَابًا وَتَابَةً وَتُوبَةً: رَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ تَائِبٌ وَتَوَّابٌ وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَفَقَّهَ لِلتُّوبَةِ أَوْ رَجَعَ بِهِ مِنَ التَّشْدِيدِ إِلَى التَّخْفِيفِ أَوْ رَجَعَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ وَقَبُولِهِ وَهُوَ تَوَّابٌ عَلَى عِبَادِهِ»⁽³⁾

وعلى ضوء هذا التتبع المتعمق في مادة (تَاب) في المعاجم اللغوية تبين لنا أن الدلالة الأصلية

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 115.

(2)- سورة غافر، الآية 3.

(3)- سورة النور، الآية 31.

(4)- أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (توب)، مج1، ص 416.

(1)- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي (د ط، دت) ص 742.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (توب) ج2، ص 61.

(3)- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (تاب)، مج1، ص 40.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

الأساسية تدور حول معنى الرجوع والعودة والإنابة والندم على ما فرط من الشخص من ذنوب ومعاص وبالرجوع إلى لفظه (تاب) والتمعن في الهيئة التي جاءت عليها، وكذا إمعان النظر في الدلالات التي استوعبتها في سياق النص قد وضعت في هذه الصيغة "التَّوَابُ" بزنة الفَعَالِ، وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي لل لازم المتصرف المبني للمعلوم: تَابَ يُتَوَّبُ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا وَتَتَوَّبُ نَحْو: تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا: رَجَعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَيْهِ وَنَدِمَ فَهُوَ تَائِبٌ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾⁽¹⁾ ومن الجدير بالذكر هنا أن ما قيل من أصول ومبادئ نحوية و صرفية مطردة عن صيغ "الجبار" و"القهار" و"الوهاب" ينطبق تماما أيضا على صيغة "التَّوَابُ" في هذا المقام والسياق النصي، ومن ثم يظهر لنا بوضوح تام أن صيغة "التَّوَابُ" في شكلها الظاهري تدل على معنى مجرد المبالغة في الشيء في معظم أحوالها أو بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويُعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه⁽²⁾ كما تدل في واقع الأمر في الآن ذاته على صفة الثبوت والدوام والملازمة لذلك الشيء، لأن كلا من الدالتين السالفة الذكر متضمنة في الأخرى ضرورة والتزاما.

إضافة إلى أن صيغة "التَّوَابُ" في هذا السياق النصي جاءت وصفا ثابتا دائما أزليا أبديا في حق ذات الله جل وعز، من أجل ذلك كله فصيغة "التَّوَابُ" تفيد المبالغة والقوة والكثرة الكاملة المطلقة في المعنى، كما أنها صفة مشبهة باسم الفاعل أكيدة تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار الأبدي الأزلي الثابت في حق ذات الله سبحانه وتعالى فهو القائل عن نفسه ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾ قال أبو جعفر: وتأويل قوله: «وأنا التَّوَابُ الرَّحِيمُ» أن الله جل ثناؤه هو التَّوَابُ على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه، وقد ذكرنا أن معنى التَّوْبَةِ من العبد إلى ربه: إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يُرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيما مما يكرهه ربه، فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو عنه، وأما قوله "الرَّحِيمُ" فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة، ورحمته إياه:

(1) -سورة التحريم، الآية 8.

(2) -رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص 84.

(1) -سورة البقرة، الآية 160.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

إقالة عشرته وصفحه عن عقوبة جُرمه»⁽¹⁾

وأما على المستوى التركيبي، أي: الأسلوبى فإننا نرى أنّ بناء "التوّاب" قد أتى في قالب المفرد المذكر المعرف بـ(أل) العهدية التي تشير من قريب جلي إلى معهود مخصوص، أي: موصوف مخصوص معلوم معيّن يُوجّه إليه الضمير المستتر في وصف "التوّاب" الممثل في ذات الله جل وعز دون سواه من الموصوفين الذين قد يحاولون مباراته في هذا الشأن، شأن التوبة والعفو والصفح على غيرهم من دونهم في الرتبة سواء كانوا ذوي جاه وسلطان، وقوة مال، وعدة وعتاد، لكن هيهات أن يبلغ أحدهم هذه القمة السامقة والذروة الشامخة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: قوله ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾ «تذييل وتعليل للحملة السابقة وهي فتاب عليه لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم والتذييل من الإطناب كما تقرّر في علم المعاني، ومعنى المبالغة في "التوّاب" أنه الكثير القبول للتوبة، أي: لكثرة التائبين فهو مثال مبالغة وصفة مشبهة باسم الفاعل، لازمة متضمنة في الأولى ثابتة دائمة أبدية في حق الذات الإلهية، فهو من تاب المتعدي بعلى الذي هو بمعنى قبول التوبة إيذاناً بأن ذلك لا يخص تائباً دون آخر وهو تذييل لقوله ﴿فَلَلْقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾⁽⁴⁾

المؤذن بتقدير تاب آدم فتاب الله عليه على جعل التواب بمعنى المثلهم لعباده الكثيرين أن يتوبوا فإن أمثلة المبالغة قد تجى من غير التكاثر، فالتواب هنا معناه المثلهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب⁽¹⁾

ولا ندري لماذا في هذا السياق وأمثاله ومع صيغة "التواب" هذه بالذات لم يتحدث لا الزمخشري ولا ابن عاشور ولا حتى الطبري من قبلهما، جميعهم عن كون هذه الصيغة، أي: صيغة "التوّاب" صفة مشبهة باسم الفاعل ثابتة دائمة أبدية أزلية في حق ذات الله الرؤوف بعباده، إضافة إلى

(1) - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج1، ص 356.

(2) - سورة آل عمران، الآية 135.

(3) - سورة البقرة، الآية 37.

(4) - سورة البقرة 37.

(1) - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 439.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

كونها مثالا للمبالغة تدل على كثرة قبول الله الغفور الرحيم لتوبة عباده المؤمنين جميعا؟

وعلى مستوى السياق الخارجي للنص، يمكن أن نقول مع موسوعة أسماء الله الحسنى الشهيرة «أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ومنحه العقل، وجعل له الكون نعمة، كل ما فيه يدل على أسمائه الحسنى، وأعطاه العقل، ركب فيه الفطرة، فطرة الإيمان بالله، وزوده بالشرع، وخيّر»⁽¹⁾

وأودع فيه الشهوات، وأعطاه قوة فيما يبدو، وتركه إلى أن يأتي أجله فإذا هو من أهل النار، فالله عز وجل عامله بالعدل، لكنه لما كان في مستقبل حياته لو أنه اتجه إلى أن يسرق فأدبه الله تعالى وخوفه تارة وأدبه تارة وضيق عليه تارة وجمعه مع أهل الحق تارة وقبضه تارة وشرح صدره تارة إلى أن صلح هذا الإنسان وصار من أهل الجنان، بما ذا عامله الله عز وجل؟ بالرحمة إذا: اسم "التواب" من أين نفهمه؟ من رحمة الله عز وجل فقد أعطانا العقل، وأعطانا الاختيار، وأودع فينا الشهوات، وخلق الكون دالا على أسمائه وصفاته، منحنا قوة فيما يبدو، وركب فينا فطرة وأرسل الرسل ومعهم

الشرع: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾⁽²⁾ هذا هو العدل، لكن الرحمة بالمتابعة، الله معك في كل خطراتك، معك في كل حركاتك، معك في كل تصوراتك، معك في كل طموحاتك، معك في شرك معك في جهرك، وله شأن، كل شأن أنت فيه فالله معك شأن يقابله، إن كان شأنك الإعراض فشأنه التأديب، وإن كان شأنك الإقبال، فشأنه الإكرام، أي: المتابعة، فأنت لن تكون رحيما إلا إذا تابعت من حولك المتابعة اليومية حتى في الدعوة إلى الله عز وجل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁽³⁾

كلكم يعلم أن "التواب" على وزن فعّال وهي صيغة مبالغة اسم الفاعل، تقول مثلا: تائب مرة واحدة، توّاب: كثير التوبة، إذا ذكرنا أحد أسماء الله عز وجل بصيغة المبالغة فالمقصود أن الله تعالى كثير التوبة على عباده، أو أنه يتوب على عبده مهما كبر ذنبه، إما كمّا أو نوعًا، وهو شيء معروف عند الجميع.

واسم "توّاب" من فعل تاب، تاب يتوب توبة وتوبًا. بمعنى رجع، وآب. بمعنى رجع، وأناب. بمعنى

(1) - محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج 1، ص 595.

(2) - سورة فصلت، الآية 46.

(3) - سورة النحل، الآية 125.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

رجع وثاب بمعنى رجع، تقول: ثاب إلى رشده، أي: رجع إلى رشده، وأتاب إلى ربّه وثاب، أي: رجع، وآباب، أي: رجع، تابَ وثابَ وآتاب وآتاب، كل هذه الأفعال بمعنى رجع، إذا قلنا الله "توّاب" أي: يعود على عباده بالخيرات، ويعود على عباده بالإحسان، يعود على عباده بالرحمة وبالغفران، هذا معنى أنّ الله عز وجل "التّوّاب" وهو معنى من معاني توّاب، لكن المعنى الدقيق مستنبط من قوله تعالى ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾ فما معنى تاب عليهم؟ تاب عليهم يعني أنه ساق لهم من الشدائد كي يحملهم على التوبة، لو تركهم هملاً، وأمدّهم بصحة جيّدة وبأموال كثيرة وأمطار غزيرة وبلاد جميلة وهم غارقون في شهواتهم، في ملاهيهم، في أفراحهم في نواديهم، في سكرهم وانخراطهم في الملذات، فلو أنّ الله عز وجل تركهم هكذا ليس "توّاباً" ولكن يسوق لهم من الشدائد ليتوب عليهم، أعرف رجلاً ربح أرباحاً طائلة، وأراد أن يتّبع نفسه فأزمع السفر إلى أمريكا، وكأنه يتمنّى أن يفعل ما يشتهي، وأن يغرق في بحر المعاصي، وهناك شعر بألم شديد في ظهره فتوجه إلى مستشفى، وصوّر عموده الفقري، فكانت نتيجة التشخيص، ورم خبيث في النخاع الشوكي، سمعت من أخيه تنمة الخبر بأنه لم تستطع قدماه على حمله حينما سمع الخبر، قطع رحلته وعاد إلى الشام ومن مسجد إلى مسجد ومن مجلس علم إلى مجلس إلى أنا تاب إلى الله توبة نصوحاً.

هذا الذي ساقه الله إليه حمله على التوبة، فلو أنه تركه هكذا بصحة جيدة، وقوة مال وغنى، وعاد من نزته الجميلة بعد شهرين أو ثلاثة ليتابع عمله التجاري، ولْيُعِد الكرة في العام القادم إلى أوروبا وهكذا... حتى مات نقاط لكان على الله غير كريم⁽²⁾

وليس هذا فحسب «بل أهل الطاعات محتاجون إلى التوبة كما يحتاج إليها أهل الذنوب، ومن ظن منهم أنه ليس عنده ما يتوب منه، أو ظن أنه مُستغنٍ من المتاب فقد زلّ، والتوبة يتطلبها هؤلاء من عدة جهات:

أ- من الخلل الذي يقع في الطاعات نفسها، فإنّ أحد قلماً يأتي بالعبادات المطلوبة مبرأة من كلّ عيب، وإن العبد لينظر في صلاته، أو في تلاوته كتاب الله مثلاً، فيرى أن ضباباً من الغفلة اعترضه في آونات كثيرة وهو يُصلي أو يقرأ.

ومن الممكن أن ترفض له هذه القرباتُ بتهمة ثابتة، وهي سوء الأدب، ورداءة التقدّم بها بين

(1) -سورة التوبة، الآية 118.

(2) -بتصرف سبير، محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ج1، ص ص 595-600.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

يدي الله، ومن أجل ذلك التقصير المستمر شرّع الاستغفار في أعقاب الصلوات ثلاث مرات.

ب- من الظن بأن هذه الطاعات هي منتهى حق الله عليه، وأنه بأدائها قد فرغت ذمته، ودفعت لله ثمن نعمه، وثن جنته؟ وبقي على الله أن يبعث ملائكته لئسّلم المغرور مفاتيح الجنة التي استحقتّها بعمله؟

وبعض ذوي الطاعات ينتابهم شيء من البلادة وتَحَجَّرَ القلب ارتكاناً إلى أشكال العبادات التي فعلوها، ورُبّما نزلوا بهذه الأوهام إلى درك لم يتزل إليه بعض المخطئين»⁽¹⁾ ولأمر ما قال الله عز وجل لنبيه الكريم ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾⁽²⁾ ولماذا أمر الله عز وجل أيضا أختياره وأفضاله من المهاجرين والأنصار بالتوبة في قوله ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾⁽³⁾

إن السياق العام الكلي لهذا النص يربط بين ثلاثة أشياء هامة في حياة المسلم، إنه يربط بين الجانب المادي المتمثل في الأرزاق، والثمرات، التي يحافظ بها الإنسان على كيانه، وصحته، ورفاهيته، وقوته.

والجانب الثاني هو الجانب الإيماني الروحي بالله عز وجل، الذي لا يمكن فصله بأي حال عن الجانب المادي الأول، لأن أي اختلال في أحدهما يؤدي حتما وفورا إلى اختلال واضطراب، وفساد الجانب الآخر.

أما الجانب الثالث وهو الآخر عنصر هام جدا في هذا الثلاثي، فهو جانب التعلق الدائم بالتوبة إلى الله، مهما كان المستوى الإيماني للمؤمن بالله، هذا الجانب الذي جاءت الجملة الأخيرة في النص لتؤكد عليه أولا: بتركيبها الاسمي الدال على ثبوت المعنى ورسوخه، في قوله: (بما أنه هو التواب الرحيم)، وتؤكد عليه ثانيا بمجموعة من العناصر اللغوية الأسلوبية، مثل الأداة (أن)، والضمير (هو)، ودلالة صيغة (التواب) التي تفيد المبالغة، وتفيد أيضا الدلالة على الثبوت والدوام الأبدي. وثالثا: دلالة صيغة (الرحيم) الثابتة الدائمة في حق اتصاف المولى تبارك وتعالى بالرحمة الواسعة السابغة على عبادته...

⁽¹⁾ -محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص ص210-211

⁽²⁾ -سورة النصر، الآية 3.

⁽³⁾ -سورة النور، الآية 31

المبحث الثالث:

— دلالة صيغة (فَعْلَان).

— صيغة (فَعْلَان) مُعَرَّفَةٌ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- دلالة صيغة "فَعْلَان":

«ويدل هذا البناء على الامتلاء والخلو وحرارة الباطن كـ(ريان)⁽¹⁾ و(عطشان) جاء في (شرح الرضي على الشافية) أن (فعلان) بابه (فَعَلَ) (يَفْعَلُ) مما يدل على حرارة الباطن والامتلاء»⁽²⁾ وجاء فيه أن «قياس ما كان من الامتلاء كالسُّكَّر والرِّيِّ والغرث والشبع أن يكون على فعلان»⁽³⁾

وذكر أن فَعْلَاناً «يدخل على فعلان في الامتلاء وحرارة الباطن كَصَدَّيَانِ»⁽⁴⁾ و(عَطَشٍ) و(عَطْشَانِ)، ويدخل أيضا (أَفْعَل) على (فَعْلَانِ) في المعنى المذكور كـ(أَهِيم) و(هَيْمَانِ)⁽⁵⁾ و(أَشِيم) و(شَيْمَانِ)⁽⁶⁾ وقد ينوب فعلان عن فَعَلَ كـ(غَضَبَانِ) والقياس (غَضِبُ) إذ الْعَضْبُ هِيَجَانُ»⁽⁷⁾

وجاء في "كتاب سيبويه": أما ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما يُبْنَى في الأسماء على (فَعْلَانِ) ويكون المصدر الفَعْلُ ويكون الفِعْلُ على فَعَلَ يفعلُ وذلك نحو: ظَمِيٌّ يَظْمُ ظَمًا وهو (ظَمَانُ)...وَعَرِثٌ يَغْرِثُ (غَرِثًا) وهو (غَرِثَانُ) وَعِلَةٌ يَعْلُهُ عَلَهَا وهو (عَلْهَانُ)⁽⁸⁾ وهو شدة الغرث والحرص على الأكل، وتقول: غَلِهْ كما تقول: عَجَلْ ومع هذا قُرْبُ معناه من وجع...وقالوا: (سُكْرَانِ) لما كان من الامتلاء جعلوه بمتزلة (شُبْعَانِ) ومثل ذلك (مَلَانِ)..

وقالوا: (غَضَبَانُ) (غَضِبِي)، وقالوا: غَضِبَ يَغْضَبُ جَعَلُوهُ كَعَطَشُ يَعْطَشُ عَطَشًا وهو (عَطْشَانُ)، لأن الغضب يكون في جوفه كما يكون العطش، وقالوا تَكِلُ يَتَكَلُّ وهو (تَكْلَانُ)⁽⁹⁾ وتكلى جعلوه كالعطش لأنه حرارة في الجوف، ومثله (لَهْفَانُ)⁽¹⁰⁾ ولهفَى، وَلَهْفٌ يَلْهَفُ لَهْفًا، وقالوا (حَزْنَانِ) حَزِنَ لِأَنَّهُ غَمٌّ فِي جَوْفِهِ كالتكَلُّ لِأَنَّ التَّكَلُّ مِنَ الْحُزْنِ...

وأما (جَرَبَانُ) و(جَرَبِي) فإنه لما كان بلاءً أُصِيبُوا بِهِ بَنُوهُ عَلَى هَذَا كَمَا بَنُوهُ عَلَى أَفْعَلٍ وَفَعْلَاءَ

(1)- رِيَان، والرِّيَان: ضد العطشان: ابن منظور، لسان العرب، مادة(روي)، ج5، ص379.

(2)- رضي الدين الإسترابادي، في شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص145.

(3)- المصدر السابق، ج1، ص143-144.

(4)- صَدَّيَانِ: شديد العطش، والصدى: شدة العطش: ابن منظور، لسان العرب، مادة(صدي)، ج7، ص311.

(5)- هَيْمَانُ، ورجل هَيْمَانُ: مُحَبٌّ شَدِيدُ الْوَجْدِ: المصدر السابق، مادة(هيم)، ج15، ص183.

(6)- أَشْمٌ وَشَيْمَانُ: أَنْ تَكُونَ بِهِ شَامَةٌ أَوْ شَامٌ فِي حَسَدِهِ: المصدر نفسه، مادة(شيم)، ج7، ص262.

(7)- رضي الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص146.

(8)- عَلْهَانُ، الْعَلْهَانُ: الْحَاذِعُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة(تكل)، ج2، ص115.

(9)- تَكْلَانُ: فَقْدَانُ الْحَبِيبِ وَالْأَحْبَةِ: المصدر السابق، مادة(تكل)، ج2، ص115.

(10)- لَهْفَانُ: الْمُتَحَسِّرُ، وَالْمَكْرُوبُ: المصدر نفسه، مادة(لهف)، ج12، ص344.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

نحو: (أَجْرَبَ وَجَرَبَاء)...، وقالوا: حَرَّتْ تَحَارُّ حَيْرَةً وهو (حَيْرَان) وهي حَيْرَى وهو في المعنى كالسكران لأن كليهما مرتجٌ عليه⁽¹⁾

وجاء في «شرح الشافية» لسيد عبد الله «وتجيء الصفة المشبهة بمعنى الجوع والعطش وضدهما كالشَبَع والرِّي على (فعلان) نحو: (جوعان) في الجوع و(شبعان) في ضد الجوع و(عطشان) في العطش و(ريان) في ضد العطش، ونحو: سكران فإنه لضع الجوع، و(غضبان) فإنه وإن كان من الميخانات إلا أن الغضب يلزمه في الأغلب العطش وحرارة الباطن وإنما يُقال في عَجَلٍ عَجَلٌ وَعَجَلَان لا شتمال العَجَل على الطَّيْس والعَطَش، فباعتبار الطيش يقال: (عَجَلٌ)، وباعتبار العطش يقال: عَجَلَان»⁽²⁾

وجاء في "الكشاف" في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾ وفي الرحمان من المبالغة ما ليس في الرحيم، ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى، وقال الزَّجَّاج في (الغضبان): هو الممتلىء غضباً، ومما طَنَّ على أذني من مُلَح العرب أنهم يسمون مركباً من مرابكهم بالشقذف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل⁽⁴⁾ أردتُ المحملَ العراقي فقال: أليس ذلك اسمه الشقنداف؟ قلتُ: بلى هذا اسمه الشقندافُ، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمي⁽⁵⁾

وجاء في "الصاحي" لابن فارس «وكل ما كان من الأوصاف أبعدَ من بنية الفعل فهو أبلغ لأن (الرحمان) أبلغ من (الرحيم) لأننا نقول (رحم فهو راحم ورحيم) ونقول: قدير فهو قادر وقدير»⁽⁶⁾

وفي "روح المعاني" الألويسي (ت 1270هـ) «وقيل الرحمة في ذلك حقيقة شرعية وأن الرحمان أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فتؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى، باعتبار الكيفية فعلى الأول قيل: يا رحمان الدنيا لأنه يُعْمُ المؤمن والكفار ورحيم الآخرة لأنه يخص

(1)- سيبويه، الكتاب، ج 2، ص ص 220-222.

(2)- سيد عبد الله، شرح الشافية في الصرف، ص 37.

(3)- سورة الفاتحة الآية 3.

(4)- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 34.

(5)- أبو الحسين بن فارس، الصاحي في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها، ص 54.

(6)- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت-(د ت، دط)،

ص ص 160-161.

من هذا العرض يتضح أن بناء (فعلان) يتصف بالمعاني الآتية:

1- الحدوث والظروء، فالعطش في (عطشان) ليس ثابتاً وكذلك الشَّبَع والجوع والرِّي وإنما يزول، جاء في "الكليات" لأبي البقاء ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾ : فَعْلَانُ مُبَالِغَةٌ فِي كَثْرَةِ الشَّيْءِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الدَّوَامُ كـ(غضبان)، وفِعِيلٌ لِدَوَامِ الوصف كظريف فكأته، قال: الكثير الرحمة الدائمها»⁽³⁾ وجاء في «شرح شافية ابن الحاجب» أن من الصفات «ما هو في أمور تحصل وتزول لكنَّها بطبيعة الزوال كالرِّي والعطش والجوع والشَّبَع»⁽⁴⁾ ودلالة هذا البناء على الحدوث بارزة في لغتنا الدارجة تقول: (هو ضعفان) إذا أردت الحدوث، فإذا أردت الثبوت قلت (هو ضعيف) وكذلك (سمنان) و(سمين) ألا ترى أنك تقول له: أراك (طولان)، فيقول: أنا (طويل) منذ الصَّغر.

وهذا من أبرز ما يميِّز صيغة (فعلان) عن (فَعِيل) وهو أمر يفيدنا في تفسير الرحمان الرحيم وغيرهما من الصفات، فإن صيغة (فعلان) تفيد الحدوث والتجدد وصيغة (فَعِيل) تفيد الثبوت، فَجَمَعَ اللهُ سبحانه لذاته الوصفين إذ لو اقتصر على (رحمان) لظنَّ ظانُّ أن هذه صفة طارئة قد تزول كـ(عطشان) و(ريان)، ولو اقتصر على (رحيم) لظنَّ أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يكرم فيها وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك، والله سبحانه مُتَّصِفٌ بأوصاف الكمال مجمع بينهما حتى يعلم العبدُ أنَّ صفته الثابتة هي الرحمة وأنَّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع حتى لا يستبدَّ به الوهم بأن رحمته تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه»⁽⁵⁾

2- الامتلاء بالوصف إلى الحد الأقصى، فـ(الغضبان) هو الممتلئ غضباً، و(العطشان) هو الممتلئ عطشاً، و(الولهان)⁽¹⁾ هو الممتلئ ولهاً، أي بلغ الحد الأعلى في الوله، وقد وصف الله سبحانه

⁽¹⁾ -أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، حققه: أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية أم الباب الأخضر-سيدنا الحسين-القاهرة، مصر، ط2008م، مج1، ص 107.

⁽²⁾ -سورة الفاتحة، الآية 3.

⁽³⁾ -أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 192.

⁽⁴⁾ -بتصرف رضي الدين الإسترادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 144.

⁽⁵⁾ -فاضل صالح: السمراي، معاني الأبنية في العربية، ص 81.

⁽¹⁾ -الولهان على البدل: ثكلان، شديد الحزن على مفقود، ابن منظور، لسان العرب، مادة(ولشه)، ج15، ص 399.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

موسى عليه السلام في أشد غضبه فقال: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾⁽¹⁾ أي: ممتلئاً غضباً قال الزجاج «الغضبَانُ هو الممتلئ غضباً»⁽²⁾

وقال ابن القيم: «إن في اسم (الرَّحْمَان) الذي هو على وزن (فعلان) ما فيه من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به «ألا ترى أنهم يقولون: (غضبَان) للممتلئ غضباً و(نَدْمَان) و(حَيْرَان) و(سَكْرَان) و(لَهْفَان) لمن ملئ بذلك؟ فبناء (فعلان) للسعة والشمول، ولهذا يُقرَن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽³⁾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾⁽⁴⁾ فاستوى على عرشه باسم الرحمان لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات⁽⁵⁾ غير أن هذا الامتلاء بالوصف في (فعلان) أو التشبع بالصفة إلى أبعد حدودها غير ثابت وإنما هو امتلاء طارئ لا يلبث أن يزول فـ(الغضبَان) لا يبقى كذلك ولا (اللَهْفَان) أو (العَرثَان).

3- حرارة الباطن: يصحب المتصف بهذا الوصف حرارة الباطن غالباً فـ(العطشان) يكون حاراً الباطن وكذلك (الثكلان) و(الولهان)، إن من يتصف بهذا الوصف تكون في جوفه حُرقة واندفاعٌ وظماً في الغالب مع امتلاء بالوصف ولكنه اتصاف حادث طارئ لا يلبث أن يزول، فـ(الغضبَان) ليس هو الغاضب مع زيادة في الصفة فقط وإنما هو الغاضب الممتلئ غضباً مع حرارة جوفٍ واندفاع كأن في جوفه مَرَجلاً يُوْرَه⁽⁶⁾ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾⁽⁷⁾ فوصفه بأنه ممتلئ غضب ثم وصف هدوء غضبه بعد ذلك بقوله ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾⁽⁸⁾ فكان الغضب كان يصيح بموسى ويهيجه ويلهبه، وكذلك (الولهان) و(الثكلان) ونحوه⁽¹⁾

(1)-سورة طه، الآية 86.

(2)-الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 34.

(3)-سورة طه، الآية 5.

(4)-سورة الفرقان، الآية 59.

(5)-ابن القيم، التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية، سنة 1949م، ص 33.

(6)-أزّت القدر تُوْرُ وتُوْرُ أزا وأزيرا وأزازاً واثترت انتزازاً: إذا اشتد غلياًئها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أز)، ج1، ص 132.

(7)-سورة الأعراف، الآية 150.

(8)-سورة الأعراف، الآية 154.

(1)-فاضل صالح السمرائي، معاني الأنبياء في العربية، ص 82.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

هذا وكأنا هنا باللغة العربية تكيف وتأنقلم في تلونها وتبدلها ومرونتها وطواعيتها وفقا للمقام والمقتضيات والتضاريس الجغرافية كما يتكيف هذا الإنسان العاقل الحكيم المدرك الخبير بشؤون كثير من الأشياء، المنتبئ للأحوال والظروف والمستجدات.

فبناء (فَعْلَان) في مقام الإنسان وطبيعته ومقتضيات حياته والقوانين الحيوية والبيولوجية والأخلاقية والاجتماعية غالبا ما تفيد الحدوث والطرء والتجدد كقولنا: (شَبَعَان)، و(رَيَّان)، و(غَضْبَان)، و(حزنان) ونحوها، فهي تفيد في هذه الفضاءات الاتصاف بالامتلاء والهيجان والحرارة الداخلية، لكن هذه المعاني والدلالات الوصفية سرعان ما تزول ثم لا تلبث أن تعود وتبرز للوجود وهكذا تظل طوال حياة هذه الكائنات على تعددها وتنوعها ومنها هذا الكائن الإنساني تتردد عليه بين الآونة والأخرى في إقبال وإدبار، وكأنها بهذا المفهوم وهذا التحليل الجديد من صفات ثابتة ملازمة للإنسان لأنه معرض لها في لحظات حياته فلا تكاد تفارقه لأنها من الحالات التي لا تنقطع عنه إلا فترة قصيرة، ولا يتوقع انفلاؤه منها، فهذا الكائن الإنساني ومثله العديد من الكائنات التي تشاركه في هذه الخصائص الحيوية إما (شبعان)، أو (جوعان)، أو (عطشان) أو (تعبان) أو (ريان)، أو (غضبان)، أو (فرحان)، أو (حزنان) ونحوه كثير، غير أنه يعيش فقط هذه الحالات بصورة منفردة ومنعزلة عن بعضها في غالب الأحوال، فهو مثلا قد يكون (عطشاناً) الآن، و(غضباناً) بعد قليل، وقد يكون (ولهاناً) أو فرحاناً) في وقت آخر وهكذا دواليك.

أما بناء (فَعْلَان) في مقام الله عز وجل وفي ذاته سبحانه فتأخذ مجرى آخر كغيرها من الأسماء والصفات نحو: (قادر)، (قدير)، و(مقتدر) فدلالات هذه الأوصاف تختلف هنا في مقامه سبحانه وتعالى عنها هناك في مقام المخلوق الإنساني، ففي سياق القرآن الكريم الذي هو كلام الله سبحانه تتغير الأشياء والأسماء والصفات تبعاً لتغير وتبدل المُسمَّيات والمقامات والمقاصد والأهداف والغايات، وتبعاً لذات المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، المتصرف الأول، العالم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، المالك لكل شيء، الرحمان الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء: ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً، وأبداً صغيراً هيئنا أو كبيراً متعاطماً، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

من هنا كانت العربية في مبانيها، وأشكالها، وصورها وتراكيبها ومفرداتها وأوزانها مرنة مطواعة مُتكيفة ومُكيفة فـ(الرحمان) على وزن(فَعْلَان) هو الذي اتسمت رحمته بالسعة والشمول والثبوت والملازمة الدائمة لذاته سبحانه جل شأنه، فلا تنفك هذه الرحمة الواسعة المتعالية المطلقة اللانهائية تغمر الكون والكائنات، تُهبُ نَسَمَاتُهَا المنعشة على كل كائن، وتنبعث روائحها الفواحة في

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

أرجاء المعمورة، وتستقي منها الأفلاك الدوارة في مجاريها، والرياح في هبوبها وتقلباتها، والأمطار في انهماؤها، والسحب الثرة في انتشارها وتوزعها وتوجّحها، كل ذلك بفعل ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾ العليم القدير، الحكيم الخبير:

«أما ما يذكره أهل اللغة من أنه قد يدخل (فَعِلٌّ) أو (أفَعَلُّ) على (فَعْلَان) فيأني لا أراه فإن (جَرَبَان) ليست بمعنى أجب- كما ذكر سيبويه- إن (جَرَبَان) وصف عارض كما تقول: حَصَلْ لَهُ الجَرَبُ، ونحوه: (عَطْشَانُ) و(جَوْعَانُ)، أو كما يتحدث الناس اليوم فيقولون: هو (كَبْرَانُ) أو (ضَعْفَانُ)، وأما (أجْرَبُ) فهو على الثبوت، وكذلك (أهْيِمُ) و(هَيْمَانُ) فإن في (هَيْمَان) من الامتلاء بالوصف وحرارة الباطن وأنها صفة طارئة ما ليس في (أهْيِم).

وكذلك (صَدِّ) و(صَدْيَانُ) و(عَطِشٌ) و(عَطْشَانُ) و(وَلِيٌّ) و(وَلِهَانُ)، فإن في (صَدْيَان) و(عَطْشَان) و(وَلِهَان) من الامتلاء بالوصف وحرارة الباطن ما ليس في (صَدِّ) و(وَلِيٍّ) و(عَطِشٍ)، وإن في (وَلِيٍّ) وأخواتها من معنى الداء ما ليس في (وَلِهَان)⁽²⁾ وقد أحسن سيد عبد الله في التفريق بين (عَجَلٍ) و(عَجْلَان) فقد ذكر أنه باعتبار الطَّيِّش يقال: (عَجَلٌ)، وباعتبار العَطَشُ يقال: (عَجْلَانُ)، أي أن بناء (فَعِلٌّ) فيه الدلالة على الهيج والخفة و(فَعْلَان) فيه حرارة الباطن فأيهما أردت بنيت على ذلك، وهذا هو القياس»⁽³⁾

والصواب في منظورنا، وانطلاقاً من الشواهد والأدلة والواقع هو ما ذهب إليه فاضل صالح السمرائي من أن بناء (فَعْلَان) غالباً ما يدل على الاتصاف بالامتلاء وحرارة الباطن الطارئ المتجدد، أما بناء (أفَعَلٌ) فغالباً ما يدل على معنى الثبوت والملازمة الدائمة، فأمثلة الأول هي: (شَبَعَانُ)، (جَوْعَانُ)، (عَطْشَانُ)، (غَضْبَانُ)، (تَعْبَانُ)، (نَشْوَانُ)، (حَزْنَانُ)، (فَرْحَانُ) ونحوه، وأمثلة الثاني: (أجْرَبُ)، (أبْكَمُ)، (أصْمُ)، (أعْرَجُ)، (أعورُ)، (أجدعُ)، (أسودُ)، (أبيضُ) ونحوه كثير.

فبناء (فَعْلَان) يدل على معنى الهيجان داخلياً كان أو خارجياً، والامتلاء العارض المتجدد، وأما بناء (أفَعَلٌ) فيدل على الصفة الثابتة الملازمة لصاحبها فالبكْمُ والصَّمُّ والعورُ والعَرَجُ والجَدْعُ وغيرها صفات مرضية وأدواء وعيوب أو زينة لا تفارق أصحابها المتصفين بها في غالب الأوقات إلى الموت، وتجدد الإشارة إلى أن بناء (فَعْلَان) هذا الذي يرد الوصف منه بقلّة، كذلك يردُّ منه الاسم ولكن

(1)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(2)-فاضل صالح السمرائي، معاني الأبنية في العربية، ص ص 82-83.

(3)-سيد عبد الله بن محمد الحسيني المعروف بنقره كار، شرح الشافية في التصريف، ص ص 37-38.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

بقلة أيضا نحو: سَحْبَانٌ وائل: وهو اسم رجل كان لسنًا بليغا، يُضْرَبُ به المثلُ في البيان، والقربان: واحد القرايين، وهم جلساءُ الملكِ وخاصته، والمرحان: وهو ما صَعُرَ من اللؤلؤ، وحمدان: من أسماء الرجال، والسعدان: نبت، يقال في المثل: «مرعى ولا كالسعدان»، والضمران: ضرب من الشجر، والنجران: خشبة يدور عليها رجلُ الباب، وقال شاعر من بحر الهزج غير منسوب:

صَبَيْتُ الْمَاءَ فِي النَّجْرَانِ حَتَّى تَرَكَتُ الْبَابَ لَيْسَ لَهُ صَرِيرَةٌ⁽¹⁾

وثهلان: اسم جبل، والرجلان: الرّاجل، وسلمان: من أسماء الرجال، وسلمان: اسم جبل، والنعمان: أرض بالحجاز، وسمنان: اسم موضع، وضحنان: اسم جبل بناحية مكة، وعدنان: من أسماء الرجال، وعدلان: من أسماء الرجال أيضا، والعكنان: الإبل الكثيرة، والمكنان: نبت، وتبهان: من أسماء الرجال⁽²⁾

وقد أوردنا هذه الأسماء التي جاءت على بناء (فعلان) في التراث العربي خاصة وقد يظهر على منوالها بين الفينة والأخرى في العربية في الوقت الحاضر والمستقبل ولم لا؟ والحياة في تطور مستمر وعجلتها لا تتوقف وتنبئ بما يخطر وما لا يخطر على بال أحد، وهذا كله لكي ننتبه إلى التفريق بين بناء "فعلان" الصفة، وبناء "فعلان" الاسم وللتفريق بين هذين البنائين في الكلام المنظوم والمنثور هناك في نظرنا طريقتان أساسيتان الطريقة الأولى هي: طريقة الاشتقاق والتصريف، بمعنى أنه إذا كان للكلمة مصدر اشتقاقي أو تصريفي تام أي تُشْتَقُّ أو تُصَرَّفُ من الماضي إلى المضارع إلى الأمر، وإلى اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل وغيره فيمكن القطع في غالب الأحوال بأنها صفة وليست اسما والطريقة الثانية هي: السياق الذي ترد فيه الكلمة التي هي على وزن (فعلان)، فلسيّاك دور لا يستهان به في تبين البناء وتميزه هل هو بناء يحمل دلالة الصفة أم هو بناء يدل على اسم ما.

وبعد هذا التجوال الطويل مع صيغة "فعلان" التي هي الأخرى غالبا ما تتداخل مع غيرها من الصيغ والأبنية والأوزان فتحل محل بعض الأبنية حيناً ويحل محلها غيرها من الأبنية والأوزان الأخرى تارة أخرى في هذا المضمار.

⁽¹⁾ -الشاهد: من البحر الوافر، وهو غير منسوب، ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج3، المحتوى: شعر، قافية الراء، ص 361.

⁽²⁾ -أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ديوان الأدب، ج2، ص ص13-15.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

ومما تجدر الإشارة إليه في الأخير إلى أنّ بناء (فعلان) هذا يرد الوصف منه بقلّة حيث كان مجموع صيغ الوصف التي عثرنا عليها في مدوّنة تفسير "في ظلال القرآن" صيغتين اثنتين لا أكثر في صيغتها المعروفة، وقد أحرينا التطبيق على صيغة واحدة من بين هاتين الصيغتين هي صيغة (الرحمان) التي كانت في تقديرنا أحق وأولى بالدراسة من غيرها لأنّها ذات دلالة أوسع وأشمل وأعمق من غيرها.

وقد جاء بناء (فعلان) هذا متطابقاً مع المبادئ والأصول والقواعد النظرية التي أقرها علماء العربية والاشتقاق واللغة والتصريف من حيث كونها سماعية لا قياسية، ومن حيث ورود الوصف منها بقلّة، وكذلك ورود الاسم منها ولكن بقلّة أيضاً نحو: سَجَبَان وائل، والقَرَبَان وهو واحد القرابين، والمَرَجَان، وحَمْدَان، والسَعْدَان: مرعى، يقال: في المثل: «مرعى ولا كالسعدان» ونحوها مما يعد على الأصابع.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

-صيغة (فَعْلان) المعرفة بـ(أل):

وردت هذه الصيغة في المدونة في عدد قليل جدا لا يتجاوز الصيغتين، وقد أخضعنا للتمثيل والتحليل صيغة واحدة فقط، حسب الجدول البياني المبين أدناه:

-جدول بياني لصيغة (فَعْلان) المعرفة بـ(أل) الواردة في تفسير "ظلال القرآن" الجزء الأول.

رقم الصيغة	الصيغة كما وردت في النص	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
1-	الرحمان	21	19	ووصفُه-سبحانه-في البدء بالرحمان الرحيم

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

- العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فعلان) معرفة بـ(أل) هي: (ووصفه-سيحانه-في البدء بالرحمان الرحيم)⁽¹⁾

- المعنى اللغوي والاشتقائي للفظة:(رحم):

ومما حاولنا اتقائه من مضامين لفظة(رحم) مما ورد في المعاجم اللغوية المعتمدة) الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رَحِمْتَهُ وتَرَحَّمْتَ عليه، وتراحم القوم: رَحِمَ بعضهم بعضاً، والرَّحِمُ: القرابة، والرَّحْمُ مثله، قال الأعشى:

أَمَّا لَطَالِبِ نِعْمَةٍ يَمَّمْتَهَا وَوَصَالِ رَحْمٍ قَدْ بَرَدَتْ بِإِلَهَا⁽²⁾

والرحمان الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، ونظيرهما في اللغة: نديم وندمان، إلا أن الرحمان مختص لله تعالى، لا يجوز أن يسمى به غيره، ألا ترى أنه تبارك وتعالى قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾⁽³⁾ فعادل به الاسم، والرحيم: قد يكون بمعنى المرحوم، كما يكون بمعنى الراحم قال عمّلس بن عقيل:

فَأَمَّا إِذَا عَصَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَصَّةً فَيَأْتِكَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمٌ⁽⁴⁾

والرَّحْمُ بالضم: الرحمة»⁽⁵⁾

وجاء في اللسان عن التعريف بهذه المادة قوله تعالى في وصف القرآن: ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁶⁾ أي: فَصَّلْنَا هَادِيًا وَذَا رَحْمَةٍ، رَحِمَهُ رُحْمًا وَرُحْمًا وَرَحْمَةً وَرَحْمَةً، حكى الأخيرة سيبويه، وفي الحديث «ثلاث: ينقص بهنَّ العبد في الدنيا ويُدرِكُ بهنَّ في الآخرة ما هو أعظم من ذلك: الرَّحْمُ والحياء وعيُّ اللسان»⁽¹⁾ ويريد بالنقصان ما ينال المرء بقسوة القلب ووقاحة الوجه وبسطة

(1)-سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص21.

(2)-الشاهد: من البحر الكامل، للشاعر الأعشى الأكبر، الديوان، ص154.

(3)-سورة الإسراء، الآية 110.

(4)-الشاهد: من البحر الطويل، للشاعر: عمّلس بن عقيل، ينظر: إميل بدیع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، مج7، المحتوى: شعر، قافية(الميم)، ص133.

(5)-الجوهري، الصحاح، مادة (رحم)، ص398-399.

(6)-سورة الأعراف، الآية 203.

(1)-أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البسيطي المعروف بالخطاب، غريب الحديث، ج1، ص479.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"...

اللسان التي هي أصداد تلك الخِصَال من الزيادة في الدنيا»⁽¹⁾

وجاء أيضا في أساس البلاغة عن التعريف بمادة (رحم) قوله: ومن المجاز: رحمه الله، وهو الرحمان الرحيم: الواسع الرحمة، وأنشدك بالله والرحم، ووَصَلْتِكَ رَحِمًا، ووصلوا الأرحام وقطعوها»⁽²⁾

واستنادا على هذه الشروح المتعلقة بمادة (رحم) في المعاجم اللغوية تكشف لنا أن دلالتها الأصلية المركزية تتمحور في معنى: الرقة والعطف والشفقة والحنو والود، وكلها كما هو جلي دلالات جد متقاربة ومتلاحمة ويفضي بعضها إلى بعض.

وبالعودة المتأملّة المتأنية في الهيئة التي وردت فيها لفظة (رحم) والدلالات المتنوعة التي تحملها في سياق النص نلاحظ أنها قد وضعت في هذه الصيغة "الرحمان" بزنة الفعلان وهو وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف المبني للمعلوم: رَحِمَهُ يَرَحِمُهُ رَحْمَةً وَمَرَحَمَةً وَرُحْمًا وَرُحْمًا، نحو: رَحِمَ اللهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ وَالتَزَمَهُ وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى لِسَانِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽³⁾

وقال ابن القيم: إن في اسم (الرحمان) الذي هو على وزن (فَعْلَان) ما فيه من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به «ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للمتلى غضبا، وندمان وحيّران وسكران وهفان لمن ملئ بذلك؟ فبناء (فَعْلَان) للسعة والشمول، ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرا كقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽⁴⁾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾⁽⁵⁾ فاستوى على عرشه باسم الرحمان لأن العرش مُحِيطُ بِالْمَخْلُوقَاتِ قَدْ وَسَعَهَا، فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات»⁽¹⁾.

واستنادا على كل ما سبق فإن صيغة "الرحمان" الواردة في النص الذي نحن بصدد درسه وتحليله هي صفة مشبهة باسم الفاعل تدل على الثبوت والدوام، والملازمة والاستمرار الثابتة في حق

(1)- ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحم)، ج5، ص173.

(2)- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (رحم) ج1، ص329-330.

(3)- سورة المؤمنون، الآية 109.

(4)- سورة طه، الآية 5.

(5)- سورة الفرقان، الآية 59.

(1)- ابن القيم، التفسير القيم، ص33.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

ذات الله عز وجل وهي من أسمائه الحسنى الجليلة العظيمة يقول صاحب الكشاف: ﴿الرَّحْمَنُ﴾⁽¹⁾ فعَلان من رحم، كغضبان وسكران، من غضب وسكر، وكذلك ﴿الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾ فعيل منه، كمريض وسقيم، من مَرَضَ وسَقِمَ، وفي (الرحمان) من المبالغة ما ليس في (الرحيم) ولذلك قالوا: رحمان الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى، وقال الزجاج في الغضبان: هو الممتلئ غضبان فإن قلت كيف تقول: الله رحمان، أتصرّفه أم لا؟ قلت: أقيسه على أخواته من بابه، أعني نحو: عطشان، وغرثان وسكران، فلا أصرفه، فإن قلت: قد شرط في امتناع صرف فعَلان أن يكون فعَلان فعَلَى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعَلان فعَلَى، فلم تمنعه من الصرف؟ قلت: كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعَلَى كعطشى كما حضر أن يكون له مؤنث على فعَلانة كندمانة، فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره، فإذا قلت: ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرّحم لانعطافها على ما فيها؟ قلت: هو مجاز عن إنعامه على عباده، لأنّ الملك إذا عطف على رعيته ورقّ لهم أصابهم بمعرفه وإنعامه، كما أنّه إذا أدركته الفضاظة والقسوة عَنَفَ بهم ومنعهم خيره ومعرفه، فإذا قلت: فلم قدّم ماهو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس التّرقّي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالمٌ نحرير، وشجاع باسل، وجواد فيّاض؟ قلت: لمّا قال ﴿الرَّحْمَنُ﴾⁽³⁾ فتناول جلائل النعم وعظائمها، وأصوبها، أردفه ﴿الرَّحِيمُ﴾⁽⁴⁾ كالثّمة والرّديف ليتناول ما دقّ منها ولطف⁽⁵⁾.

وعلى المستوى التركيبي، أي الاسلوبي نلاحظ أنّ بناء "الرحمان" قد جاء في قالب المفرد، المذكور، المعرف ب(أل) العهدية التي تشير من قريب إلى معهود مخصوص معلوم معين ممثلاً في ذات الله سبحانه وتعالى دون غيره من الموضوعين الذين يحاولون منافسته في هذا الوصف -عن قصد أو عن غير قصد- وهيئات هيئات لما يتطلّعون فهو الوصف الوحيد المقصور عليه سبحانه جل قدره -شكلاً ومضموناً هو «الرحمان الرحيم» وقد عدّ بعض العلماء هذا الاسم: اسم الله الأعظم لقوله تعالى:

(1)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(2)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(3)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(4)-سورة الفاتحة، الآية 3.

(5)-الزمخشري، الكشاف، ج1، ص ص 8-9.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (1)

أما الدلالات التي تحملها صيغة "الرحمان" على مستوى السياق الخارجي خاصة وهو الاسم الأعظم لله جلّ شأنه وعظم قدره فلا يسعنا أن نلم ونحيط به في هذا الفضاء الضيق المحدود ومن هنا نحاول فقط أن نلامس بعض جوانب هذه الدلالات الشاسعة الفسيحة الرحبة ونقترب منها لنقول مع صاحب موسوعة أسماء الله الحسنى: «والحقيقة أن الرحمة التي نراها في الكون ماهي إلا تجسيد لاسم "الرحمان" ولعلّ أحدا يسأل هذا السؤال: ما الفرق الدقيق بين الرحمان وبين الرحيم؟» «الرحمان الرحيم» كما يقول كبار العلماء: «صفتان لله عز وجل مشتقتان من الرحمة، فالرحمان فعّالان والرحيم فعيل» (2).

والرحمة تستدعي مرحوما كما أن العلم يقتضي المعلوم، والرحمة تقتضي المرحوم ولا مرحوم إلا وهو محتاج، الإله لا يكون مرحوما هو راحمٌ، أما المخلوق فهو مرحومٌ لأنه ضعيف، ولأنه عاجز، ولأنه فقير لأنّ قيامه ليس بذاته بل قيامه بغيره، إذا هو مرحوم، والعبد مرحومٌ لأنّه عبدٌ، والربّ راحمٌ لأنه ربٌّ، وأي إنسان خرج عن دائرة العبودية ينسى أنه في حاجة إلى رحمة الله عز وجل، وهؤلاء الذين قالوا استغنيا عن رحمة السماء من قبل، جاءهم سبعُ سنوات عجافٌ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾﴾ (3) ما دمت عبداً فأنت مفتقر إلى الله عز وجل، ما دمت عبد فلا بد أنك بحاجة إلى الرحمة، إلى "الرحمان"، انظر إلى هذه الزلازل، وهذه الفيضانات، وهذه المجاعات، وهذه الحروب الأهلية في العالم، وهذا القهر وهذا الفقر، وهذه الأمراض الخطيرة الفتاكّة، يجتار المرء في أمرها، فهذه كلها التي تؤذي عينك؛ مصدرها من "الرحمان"، لأن "الرحمان" يشمل الدنيا والآخرة، الإنسان إذا مرض فهذا من مصائب الدنيا فقط، فالفقر مؤلم، والمرض مؤلم، والرحمان مؤلم، والقهر مؤلم، والذلّ مؤلم، أما إذا كان هذا الرحمان سبباً لعطاء مديد، إذا كان هذا الإضرار سبباً لنفع طويل، إذا كان هذا القبض سبباً لبسط كثير، فهذا إذا ضر لمنفعة، لذلك إذا رأيت شيئاً مؤذياً فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى «الرحمان» يضر لينفع، ويأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي، ويذل ليعزّز، ويقبض ليبسط لذلك أجمل كلمة قالها بعض العارفين: «الشر المطلق لا وجود له في الكون» ما

(1) -سورة الإسراء، الآية 110.

(2) -الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص 38.

(3) -سورة العلق، الآيات 6، 7، 8.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

معنى الشر المطلق؟ الشر الذي يتغى لذاته.

الأبُّ الطيبُ العالمُ الذي قلبه يمتلئُ رَحْمَةً يُصِرُّ على قطع يد ابنه، يتلافى الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، هذا المثل يجب أن يكون واضحا جدا عند العبد المؤمن، كل أنواع المصائب في الدنيا، كل أنواع الرزايا، كل أنواع الابتلاء، هذا كله ضرر أقلُّ تَلَاْفِيَا لَضَرَّرَ أشد، هل هناك آية قرآنية تؤكد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽¹⁾

الله عز وجل رحيم ورحمان، رحيم يُمِتِّعُك بالصحة، رحيم يمنحك المال، رحيم يوفر لك المأوى، رحيم ييث فيك الراحة النفسية، لكنه "الرحمان" ينظر إلى آخرتك فيأخذ بيدك للعمل الصالح، وينظر إلى هذه الحياة الأبدية لتسعد بها، التي سوف تحياها، ولمصلحة هذه الحياة الأبدية ربّما يذهب كل مالك»⁽²⁾

ونريد هنا أن نختم الحديث عن صيغة "الرحمان" بكلمة موجزة هامة في نظرنا تتعلق باشتقاق الصفة المشبهة باسم الفاعل عامة وله صلة وطيدة بصيغة "الرحمان" على وجه الخصوص لنقول: فمن المعلوم أن صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل عادة وإطراد تشتق من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المبني للمعلوم، بيد أن الأمر وجدناه يختلف في صيغة "الرحمان" هذه فنلاحظ أنها مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي المتصرف، يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير ما مفاده: «والذي ذهب إليه صاحب الكشف وكثير من المحققين أن "الرحمان" صفة مشبهة كغضبان وبذلك مثله في الكشف، وفعل "رَحِمَ" وإن كان متعديا والصفة المشبهة باسم الفاعل إنما تُصاغ من فعل لازم إلا أن الفعل المتعدي إذا صار كالسجية لموصوفه يُتَرَلْ منزلة أفعال الغرائز فيحوّل من فَعَل (بفتح العين أو كسرهما) إلى فَعُل بضم العين للدلالة على أنه صار سجية كما قالوا فَعُه وظرف وفهّم ثم اشتق منه بعد ذلك الصفة المشبهة باسم الفاعل، ومثله كثير في الكلام، وإنما يُعرَف هذا التحويل بأحد أمرين: إما بسماع الفعل الحوّل مثل: فَعُه وإما بوجود أثره وهو الصفة المشبهة باسم الفاعل مثل بليغ إذا صارت البلاغة سجية، مع عدم أو قلة سماع بُلُغ، ومن هذا "الرحمان" إذ لم يُسمع "رَحِمَ" بالضم»⁽¹⁾

ومن ثم نخلص إلى النتيجة الآتية لنقول: إن القطع بالحكم في مثل هذه الصيغ، هل هي بناء مبالغة أو اسم فاعل أو صفة مشبهة يحتاج إلى كثير من اليقظة والانتباه، وأيضا إلى زادٍ واسع وعميق

⁽¹⁾-سورة السجدة، الآية 21.

⁽²⁾-محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسني، ج1، صص636-650.

⁽¹⁾-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج1، ج1، صص170-171.

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

ودقيق بأسرار العربية: لغة وقواعد وأصول، وثقافة وخبرة عميقة بأغوار النفس الإنسانية، والأحوال العارضة لها، قوّة وضُعفاً، صحة وسقما، سُموًا وانحطاطًا، وكذلك المجالات والحدود التي ليس في مقدورها تخطّيها يقول تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽¹⁾

أما سياق النص هنا برمته فقد جاء في شكل جملة اسمية، تتكوّن من المبتدأ والخبر في قوله: (ووصفه - سبحانه - في البدء بالرحمان الرحيم)، لتفيد الدلالة على الثبوت والتحقق الراسخ الثابت، إضافة إلى أن وصف (الرحمان) دال على الشمول والسعة والثبوت للموصوف الممثل في حق المولى تبارك وتعالى، المعظم بهذه الصفة، وكذلك وصف (الرحيم) الدال على الثبوت والدوام الباقي الثابت في حق ذات الله عز وجل، الذي وسعت رحمته كل شيء، لا سيما الذين تابوا واتبوا سبيله...

⁽¹⁾ -سورة النساء، الآية 28.

خلاصة الفصل الرابع:

إنَّ ما يمكننا تسجيله من ملاحظات عن الفصل الرابع الذي جمع صيغ (فُعَل) بضمَّ الفاء وسكون العين، و(فَعَّال) بفتح الفاء وتشديد العين، و(فَعْلان) بفتح الفاء وسكون العين هو الآتي:

ولتكن البداية من صيغة (فُعَل) بضمَّ الفاء وسكون العين فهذا البناء قد كَثُرَ مجيئه في الاسم والمصدر كثرة كبيرة وقل مجيئه في الصفة قلَّة ملحوظة في المنظوم والمنثور في المصادر والمراجع القديمة والحديثة على اختلاف تخصصاتها العلمية.

وما جاء من هذا البناء صفة على قلته فهو -غالبا- ما يأتي في صيغة الجمع الذي هو في أصله من باب ما يُبنى على (أَفْعَل) الذي هو من الألوان والعيوب الظاهرة.

وعليه، ونظرا لقلّة ورود بناء (فُعَل) في المنظوم والمنثور اتفق جمهور العلماء على الوقوف به عند السماع وعدم قياسته، مما جاء موافقا مع وصلنا إليه من عدد قليل في مدوِّنة تفسير: "في ظلال القرآن" متمثل في خمس صيغ في مجموعته فحسب.

وأما بناء (فَعَّال) فيبدو لنا أنّه من أكثر الأبنية والأوزان عددا، ومن أكثرها دورانا واستعمالا في المنظوم والمنثور، كما أنّها أكثرها تنوعا في الدلالة والمعنى فقد تستعمل في الدلالة على القوة والشدة والمبالغة في الكثرة، وقد تستعمل في الدلالة على الثبوت والدوام في الوقت ذاته، ورغم هذه الوفرة في العدد والدوران على الألسنة، وفي المكتوب والمنطوق إلّا أنّنا نلاحظ أنّ صيغة (فَعَّال) هذه قد جاءت في المدوِّنة في عدد قليل جدًّا وربّما يعود السبب في ذلك إلى أنّ هذه الصيغة تحمل الدلالة على المبالغة والكثرة والشدة أكثر مما تحمل الدلالة على الثبوت والاستمرار؛ وربما يعود السبب إلى أنّ المفسر كأنّ يتفادى استخدام الدلالة على المبالغة والشدة والكثرة عن قصد ووعي، وربما يعود السبب إلى أنّ كتاب الله عز وجل يزخر بالدلالات التي تفيد الثبوت والدوام والاستمرار والثبات والبقاء والخلود، ولا يخفى علينا أنّ المفسر كان جد متأثر بمبادئ القرآن وأسلوبه، وتصورات، ومفاهيمه قلبا وقالبا فانعكس ذلك كله على أسلوبه ومفرداته وتراكيبه، وأبنيته اللغوية الصرفية والاشتقاقية.

وأما فيما يخصُّ بناء (فَعْلان) فبأبّه (فَعِل) بفتح الفاء وكسر العين، ومضارعه (يَفْعَل) بفتح الياء وفتح عين مضارعة، مما يدل على الامتلاء والخلو وحرارة الباطن كـ(رَيّان)، و(عطشان)، وأما صيغة (الرحمان) فيدل على السّعة والشمول والهيمنة الثابتة في ذات الله سبحانه وتعالى، وأما ما يذكره بعض أهل اللغة من أنه قد يدخل (فَعِل) أو (أَفْعَل) على (فَعْلان) فإننا مع الرأي المخالف الذي

الفصل الرابع..... صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"....

يذهب إلى أن وصف (جَرَبَان) ليس بمعنى (أَجْرَب) الذي وصف عارض متجدد؛ بل إن (جربان) وصف عارض طارئ، وأما (أجرب) فهو يدل على الثبوت والاستمرار الطويل الأمد والملازمة الدائمة.

وبناء (فَعْلَان) هذا يرد الوصف منه بقلة، كذلك يرد منه الاسم ولكن بقلة أيضا، وهذا المبدأ جاء مطابقا لما وَصَلْنَا إِلَيْهِ بعد تقصينا وتتبعنا لبناء (فَعْلَان) في المدونة، حيث عثرنا في هذا الجزء منها على صيغة واحدة ممثلة في صيغة (الرحمان).

نتائج البحث

جامعة الأمير
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

ومن النتائج التي أسفر عنها هذا البحث ما يأتي:

1- تأكد لدينا بعد المعالجة أن الصفة المشبهة باسم الفاعل ثرية جدا بدقتها في الوصف، وبإيجائها الدلالية؛ وظلالها؛ ومعانيها الدقيقة الظاهرة منها والباطنة، ويزداد هذا الأمر تأكيداً أن كانت غالبية هذه الصيغ واردة مستعملة وبغزارة في كتاب الله العزيز الحكيم، باعتبارها صيغاً مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بصفات الله وأسمائه الحسنى، إضافة إلى ذلك أن المدونة التي هي محل بحثنا تتناول تفسير القرآن الكريم الذي يضم أعداداً هائلة من صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل.

2- تأكد لدينا أن علماء العربية لم يولوا هذه الصيغ - على أهميتها اللغوية والدلالية، والوظيفية - كبير اهتمام، وإذا عرضوا لها بالبحث والدرس اقتصرنا على ذكرها وإيجاز شديد ضمن الكلام عن أنواع المشتقات المعروفة الأخرى نحو اسم الفاعل واسم المفعول وأمثلة المبالغة وغيرها، مكتفين بالحديث عنها ضمن الأحكام والأحوال الإعرابية، مطمئنين في هذا الجانب دون التفات إلى الجوانب الاشتقاقية والصرفية الدقيقة الخفية؛ ودون اعتبار للعلاقات الهامة الضرورية التي تربط بينها وبين غيرها من الصيغ الأساسية في العربية نحو: الاسم والفعل والمصدر.

3- تأكد لدينا أن علم الاشتقاق والتصريف وأصول المفردات اللغوية ينبغي أن تحظى بالأولوية في الدرس والبحث والتعلم لأنها الأصل والأساس المتين في التعرف على أوزان وأبنية الألفاظ والمفردات في نشأتها، ونموها، وعلاقتها ببعضها وتقلبها؛ وتبدلها، وإعلاها (القلب، والإبدال، والإعلال) وغيرها في مرحلة تعلم ودرس وبحث علوم العربية الرديفة لها نحو: علم النحو، والأصوات، والعروض، والمعاني، والبيان، وغيرها.

4- رجّحنا الميل مع الرأي الذي يذهب إلى أن صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل التي وردت متداخلة مع غيرها من الصيغة نفسها، أو بالأحرى ما ورد منها شاذاً عن الأصل فهو عندنا قياسي أيضاً لأن العبرة بالعموم لا بالخصوص أي: بالقليل، وهذا ليس رأياً شخصياً ننفرده به وحدنا، بل هو مذهب كثير من علماء اللغة والتصريف فيما يتعلق بالصفة المشبهة باسم الفاعل خاصة منها تلك التي تدل على الألوان فإنها تبنى على (أفعل) وقد جاء شيء منه على فعيل نحو: خصيف، وقالوا: أخصف وهو أقيس؛ ويجوز القول مثل ذلك فيما شأبه وناظره؟

5- تولّدت لدينا قناعة علمية منطقية بالتقسيم الجديد لموضوعات ومسائل وأبواب اللغة العربية إلى اسم وصفة وفعل وضمير... الخ بدل التقسيم القديم المعهود إلى اسم وفعل وحرف الذي ارتضاه القدماء من قبل ووقفوا عنده وهذا من شأنه أن ينبه القارئ والباحث من أول وهلة إلى إشكالية

التداخل بين كل من الإسم، والصفة، والفعل، والمصدر، وتأثير وتأثر، كل منها في الآخر قوة وضعفاً، هذا من جانب، ومن جانب آخر فهذه العناصر اللغوية تمثل الركن الركين والأرضية الثابتة في مسائل، وموضوعات، وقضايا اللغة العربية الفرعية الأخرى على تعددها، وتنوعها في علم النحو والتصريف، والاشتقاق والبلاغة.

6- من خلال اطلاعنا على مؤلفات ومدونات علماء العربية المختلفة اللغوية منها والصرفية والنحوية والأدبية وغيرها عند القدماء منهم والمعاصرين تبين لنا في الختام أن هناك كثيراً من الإغفال وعدم الالتفات إلى الكلام عن الدلالات، والوظائف والأغراض، والمقاصد الفنية، والجمالية، والتعبيرية، والأسلوبية التي تتعلق بالأسماء المشتقة عموماً، والصفة المشبهة باسم الفاعل على وجه الخصوص إلا ما جاء هنا وهناك متناثراً في بطون مدونات اللغة، والأدب، وتفسير القرآن الكريم وإعجازه، كما أن هناك إغفالاً للكلام عن تداخل هذه الصيغ والأبنية والأوزان وحلول بعضها في كثير من الأحيان محل بعض في سياق الاستعمال مكتفين بالنظرة العجلى إلى الصورة الشكلية الخارجية لا غير.

7- واتضح من بحثنا لموضوع الصفة المشبهة باسم الفاعل، سواء أكان ذلك على المستوى النظري أم التطبيقي أنه لا يُعنى الباحث الإمام بالأصول والمبادئ النظرية للصيغ والأبنية والأوزان بل لا بد له من الإمام والتمكّن من ناصية اللغة العربية بالتوسع، والتدقيق؛ والتعمق في التعرف على مفرداتها عن قرب؛ وتراكيبها؛ وأبنيتها؛ ومشتقاتها، وأساليب العرب في كلامها؛ ومذاهبها؛ وأصولها؛ وفروعها، لكي يمكن له معرفة دلالاتها؛ وأغراضها؛ ومقاصدها الحقيقية منها والمجازية؛ وما ترمي إليه في سياقها العام والخاص.

8- تكشف لنا بعد إطلاعنا على أقوال وآراء علماء العربية؛ والمفسرين منهم؛ والمنكبين على إعجاز القرآن وهم يعرضون لدرس وتحليل وشرح بعض صيغ الصفة المشبهة؛ واختلافهم حول دلالاتها ومقاصدها نحو صيغ: (الرب)، و (المالك)؛ و(الرحمن)؛ و(الرحيم)، و(العلّام)؛ و(العليم)؛ و(الفقيه) وغيرها من نحو هذه الصيغ أن المعول عليه في فهم هذه الصيغ والوصول إلى معانيها ومراميها من أجل حسم الخلاف حول تداخل صورها وأبنيتها، والتباس دلالاتها، وأغراضها، هو النظر الدقيق والعميق في سياقها العام وسياقها الخاص؛ فهذا النهج وحده- إن التبس علينا الأمر- هو الذي يساعدنا كثيراً على الاقتراب من الصواب والفهم السليم لدلالة الصيغ ووظيفتها ومراميها.

9- بعد تعاملنا مع هذه الصيغ وأوزانها وأبنيتها المختلفة أدركنا إدراكاً محسوساً أن الأمر يزداد

صعوبة والتباسا على القارئ عامة، والباحث على وجه الخصوص عندما يأتي الوزن الواحد، أو بالأحرى البناء الواحد مرة دالا على مصدر نحو: (وَعَدَ)، ويأتي مرة دالا على اسم ذات نحو: (صَقَّرَ)، واسم جنس نحو: (قَمَحَ)، ويأتي مرة بمعنى المفعول نحو: (رَجَلُ)، وتارة أخرى دالا على اسم جمع نحو: (صَحَبَ) وهذا البناء ذاته يأتي دالا على الصفة المشبهة باسم الفاعل نحو: (صَعَبَ)، و(ضَخَمَ)، و(سَهَلَ)، و(فَخَمَ)، و(صَلَدَ)، و(عَدَبَ) وغيرها من نحو هذه الأبنية والأوزان المتجانسة والتي تعد بالعشرات بل مئات المفردات أحيانا.

10-تكشف لنا أنه لا ينبغي أن نعول كثيرا على الصور التي قد ترد فيها هذه الصيغ والأبنية فيها، حيث تأتي على سبيل المثال-صيغة "فعليل" في هذا الوزن لكنه لا يفيد حتما ودائما الدلالة على الصفة المشبهة باسم الفاعل، بل قد يؤثر به ليعبر به في مكان مفعول نحو: (قَتِيلَ) و(جريحَ)، أي: (مقتولَ) و(مجروحَ). وقد يعبر به في مكان فاعل نحو: (عَلِيمَ) و(سَمِيعَ)، أي: (عالمَ) و(سامعَ) وأخيرا قد يعبر به عن الصفة المشبهة باسم الفاعل على وجه الحقيقة نحو: (كريمَ)؛ و(جميلَ)؛ و(شريفَ)؛ و(وضيعَ). الأمر الذي يستدعي منا جميعا مزيدا من التأمل، والتفكير، والتدبر، وإحالة النظر في السياق، والمقام وقرائن الأحوال، حين التعامل مع مثل هذه الصيغ والأبنية الواردة في مختلف النصوص الأدبية والقرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب عامة.

11-ونرى أنه من اللازم أن نذكر تلك المفردات والأبنية الواردة في كلام العرب وشعرهم وفي القرآن الكريم حيث يتساءل القارئ عن محل إدراجها، وعن كونها أسماء أو صفات؟ نحو صيغ: (رَوَى)؛ و(سَوَى)؛ و(حَطَبَ)؛ و(نَكَحَ)؛ و(بَلَزَ)؛ و(إَبَدَ)؛ و(طَيَّبَ)؛ و(صَرَّى)؛ و(إَجَدَ)؛ و(إِثْرَ)؛ و(بَدَحَ)؛ و(جَحِطَ)؛ و(إِبْطَ)؛ و(إِقْطَ)؛ وغيرها مما لا يسمح لنا المقام هنا بتقصيها وإحصائها.

12-تبيّن لنا من هذا البحث أن القرينة بمختلف أنواعها، تقوم بدور هام في كشف وإظهار دلالات وأغراض هذه الصيغ، خاصة عندما يُحوّل كلُّ من الوزن والبناء من صيغة ذات دلالة معينة إلى صيغة أخرى ذات دلالة مغايرة لها تماما مع بقاء البناء أو الوزن على أصله ووزنه المعروف، ومن المعلوم؛ والمفيد؛ والمعين أنّ علماءنا الأجلاء بدءا من سيبويه إلى عبد القادر الجرجاني إلى السكاكي قد توصلوا عبر هذه القرون الطويلة، إلى إكتشاف قرائن عديدة متنوعة؛ فهي إمّا قرائن لفظية، أو معنوية أو حالية، أو مقامية، أو سياقية، أو مقالية، أو علمية؛ أو عرفية؛ أو اجتماعية، أو خلقية؛ إلى غير ذلك من القرائن التي تعين كلا من القارئ والدارس والباحث على الوصول إلى المعنى المراد.

13-لاحظنا أن صيغة "فعليل" هذه أكثر ورودا واستعمالا في صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل

حيث عثرنا في هذا الجزء الصغير الحجم من مدونة في تفسير "ظلال القرآن" على عدد لافت للنظر حيث بلغ الأربعمئة وإحدى وخمسين صيغة أو يزيد وهو أمر منطقي، لأن المدونة تشغل على تفسير كتاب الله العزيز الحكيم الذي يستخدم كثيرا هذه الصيغة ليعرف عباده بأوصافه وأسمائه القدسية الجليلة نحو: (العليم)؛ و(السميع)؛ و(الحكيم)؛ و(العزیز)، و(الرحيم)؛ و(الحليم)؛ و(الرشيد)؛ و(البدیع)؛ و(البصير) وغيرها.

ولا شك أن المفسر جد متأثر بالقرآن الكريم وأسلوبه المعجز، لذلك فلا غرابة ولا عجب من ورود صيغة (فعل) بهذا الكم الكبير في المدونة التفسيرية، كما أن العدد قد جاء موافقا تماما لما نصت عليه الأصول والمبادئ اللغوية النحوية، والصرفية المقررة، التي تحدثت عن صياغة النوع الأول الأصيل من الصفة المشبهة باسم الفاعل وأنواعه الذي لا يصاغ قياسا إلا من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف... لغير تفضيل لإفادة نسبة الحدث إلى صاحبها الموصوف بها، والدلالة على معنى اسم الفاعل لا على جهة التجدد والحدوث؛ وإنما على جهة الدوام والثبوت.

14- لا بد من ملاحظة هنا حول صيغة (فعل) هذه التي تأتي في معنى مُفَاعِلٍ كثيرا، فيقال: فلان جليس فلان: أي: مُجَالِسُهُ؛ وقَرِينُهُ: أي: مُقَارِنُهُ؛ ورقِيْبُهُ: أي مُرَاقِبُهُ؛ فهي صفة لما يُقْرَنُ إلى شيء أو يقارنه ثم نُقلت إلى الاسمية فصارت تطلق على ما يقرن.

15- انتهينا في بحثنا هذا إلى أن بعض الصيغ جاءت في عدد قليل جدا في المدونة، نحو الصيغ: (فَعْلٌ) بفتح الفاء وسكون العين؛ و(أَفْعَلٌ)؛ و(فَيْعِلٌ)، و(فُعْلٌ) بضم الفاء وسكون العين، و(فعلان)؛ و(فَعَّالٌ). وهذا طبقا لما نصت عليه الأصول والقواعد النظرية المقررة عند علماء اللغة والتصريف والاشتقاق وقد ركزنا حديثنا على صيغة "فَعَّالٌ" رغم أنها وردت بقلّة لما لها من علاقة متينة وتقاطع كبير مع غيرها من الأوزان والأبنية وسائر المشتقات؛ والصيغ اشتقاقا ودلالة نحو: صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل، واسم الفاعل، ونحو النسب، والصيغ الدالة على الحرف والصناعات التي تستلزم المزاولة الطويلة والمعالجة المستمرة الأمر الذي جعل صيغة «فَعَّالٌ» تتميز - في أغلب أحوالها - بخصائص معنى الثبوت، والدوام، والملازمة للشيء مما جعل هذا الوزن أو البناء يندرج لزوما ضمن صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في مختلف السياقات والمقامات في غالب الأحيان.

16- هناك خلاف ملحوظ بين العلماء حول إمكان اشتقاق اسم الفاعل من مصدر الفعل الثلاثي اللازم المتصرف المتعلق خاصة بصيغ الصفة المشبهة نحو: (حَسَنٌ)، و(كَرُمٌ)، و(شَرُفٌ)، و(عَظْمٌ)، وغيرها، فالرأي الأول يسوغ اشتقاق اسم الفاعل من هذه الأفعال نحو: (حَاسِنٌ) من

(حَسَنَ)، و(كَارِمٍ) من (كَرْمٍ)، و(شَارِفٍ) من (شَرَفَ)، و(عَاطِمٍ) من (عَظَمَ)، والرأي الثاني يمنع ذلك ويستتبعه، والمذهب الأول أولى عندنا وأحق بالاتباع، وهذا لأجل التوسع في اللغة والتوليد المستمر وإثرائها بالصيغ والمفردات المتنوعة.

17- خلصنا إلى أن صيغ المبالغة وأوزانها -غالباً- ما تفيد الداليتين: الدلالة على المبالغة، والكثرة، والملازمة للشيء، وفي الوقت ذاته الدلالة على الدوام، والثبوت، والملازمة، لنصل من ذلك إلى أمر هام متمثل في أن صيغ المبالغة كما جاء عند علمائنا وفي مؤلفاتهم على اختلاف تخصصاتها يصح أن تفيد المبالغة، والزيادة في المعنى، والملازمة للشيء كما يصح في الوقت ذاته أن تكون صفة مشبهة تفيد الدوام والثبوت والملازمة والاستمرار، بيد أنه لا يجوز أن يكون العكس على الإطلاق.

18- ونرى أنه من اللازم التنبيه في هذا البحث إلى أمر هام حول صيغتي «فَاعِلٍ» و«مَفْعُولٍ» اللتين تأتيان في الأصل للدلالة على التجدد، والحدوث والحدث، لا على الدوام والثبوت، وعلى الرغم من ذلك فقد وردت هاتان الصيغتان في كم مقبول في المدونة، والجدول البياني الوارد ضمن البحث يشهد على ذلك، حيث وردتا داليتين على الثبوت والدوام، غير أنهما لم تبلغا من الكثرة التي تألفت إليها صيغة «فَعِيلٍ» التي وصلت إلى أربعمئة وإحدى وخمسين صيغة، ولا هما نزلتا إلى العدد الذي تدنت إليه صيغة «فَعَلٌ» بفتح الفاء وسكون العين، وكذلك صيغة «فُعَلٌ» بضم الفاء وسكون العين، وأيضا «فَعَّالٌ» اللائي تَرَاوَحْنَ بين صيغتين اثنتين وصيغة واحدة كما هو الشأن مع صيغة «فَعَّالٌ» -مثلاً-

أما هذا العدد المقبول والمعقول في صيغتي «فَاعِلٍ» الذي وصل إلى مئة وستة وعشرين صيغة، و«مَفْعُولٍ» الذي بلغ ثلاثة وعشرين صيغة فالسبب يعود في واقع الأمر إلى أن المدونة التي استمددنا منها هذه الصيغ تشتمل على تفسير القرآن، والقرآن الكريم - تدور معظم موضوعاته وقضاياها حول الأمور الثابتة، سواء منها ما تعلق بالحديث عن ذات الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى وهي صفات وأسماء حجة وغزيرة نصادفها في جل آيات القرآن الكريم نحو: (الخالق)، (الرازق)، (المانع)، (القابض)، (الضار)، (النافع)، (الممدود)، (المنضود)، (المحظور)... الخ. أو ما تعلق منها بالحديث عن الجنة وما فيها من نعيم متنوع دائم ثابت، أو الحديث عن النار وما فيها من عذاب أبدي خالد مقيم باق.

من أجل ذلك ألفينا صاحب المدونة وهو يفسر ويشرح ويحلل ويستنتج يعرض لهذه الصيغ والأبنية التي وردت في القرآن الكريم متعددة، ومتنوعة، ومختلفة الأشكال والصور وفقا للسياقات،

والمقامات، والقرائن، والأحوال التي وردت فيها غير خاضعة لما وضعه اللغويون والنحاة، والصرفيون من أصول وأقيسة وقواعد لغوية، ونحوية، وصرفية نحو: لفظة: (خالق)-مثلا-التي تستعمل في حق الله عزوجل فهي ليست (خالق) التي تستخدم للمخلوق، فالأولى رغم أنها جاءت في شكلها الظاهري «اسم فاعل» التي تدل في أصل وضعها، وقياسها على التجدد، والحدوث والحدث، إلا أنها في السياق الذي وظفت فيه جاءت لتدل على الدوام والثبوت والاستمرار الأبدي في حق بديع السماوات والأرض وما فيهما ومن فيهما الذي بيده الخلق والأمر، والذي لا ينازعه في خلقه وتديره أحد من مخلوقاته، أما لفظة (خالق) الثانية التي هي للمخلوق فهي-غالبا- ما تحتفظ بدلالاتها الأصلية في الوضع، ومألوف الاستعمال الشائع ألا وهي الدلالة على التجدد، والحدوث والحدث، وذات الفاعل.

تلك هي أبرز النتائج التي أمكننا التوصل إليها من معالجة صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في مدونة تفسير "في ظلال القرآن".

الفهارس:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الشواهد الشعرية.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس المحتويات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
سورة الفاتحة		
471، 35، 32، 30، 490، 472	2	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
569، 39، 33، 578، 572	3	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
39	3، 2	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾
209، 49، 41، 40، 458، 457، 433	4	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
سورة البقرة		
215، 116	2	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
266	3	﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾
116	5	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
174	4-1	﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ...﴾
174	6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ...﴾
438، 353	7-6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ...﴾
174	9-8	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ ...﴾
175	10-9	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ ...﴾
156	13	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ...﴾
531، 530	15-14	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ...﴾
513، 372	18	﴿صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

275 ، 273 ، 221	21	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾
287	23	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... ﴾
521 ، 256	25	﴿ وَيَبْسُرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾
464 ، 462 ، 463	27	﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... ﴾
315	29	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
446 ، 395 ، 328	30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
398	31	﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
498 ، 441	35	﴿ وَقُلْنَا يَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾
498 ، 442	36	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾
499 ، 498 ، 442 ، 562	37	﴿ فَلَقِيَ ءَادَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾
451 ، 442	39-38	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ... ﴾
451 ، 273 ، 272	40	﴿ يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ... ﴾
272	41	﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ... ﴾
273 ، 274	48-47	﴿ يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ... ﴾
233	54	﴿ فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾
485 ، 484 ، 483	61	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾
351	74	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ... ﴾
339 ، 338	80	﴿ قُلْ أَخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾
340 ، 339	82-81	﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ ﴾

		﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ...﴾
198	86-85	﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾
404	87	﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾
343, 193	93	﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾
193	93	﴿بِكُفْرِهِمْ﴾
342	93	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾
407	100	﴿أَوْكَلَمَا عَلَّهُدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ...﴾
277	-106 107	﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾
278	108	﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
376	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾
203	111	﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾
503, 201	120	﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَهْدَىٰ﴾
204, 203, 202	120	﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرِيُّ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾
451	124	﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ فَتَنَّمَنَّا قَالُوا إِنَّا جَاءَكُمُ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ دُرِّيِّ قَالُوا لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾
382	127	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾
561	160	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ...﴾
312	163	﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
460	166	﴿وَنَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾
326	170	﴿وَإِذْ أَقِيلَ لَهُمْ أَنْبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفْعَيْنَا عَلَيْهِ...﴾

371	171	﴿صُمُّ بِكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾
456، 375، 304	187	﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾
415	204	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾
476، 142، 475، 478	216	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ...﴾
119	222	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ...﴾
406	228	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بَأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾
160	238	﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَتَيْنِ﴾
356	249	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ...﴾
187	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
140، 136	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
391، 171	257	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ ...﴾
252	258	﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾
251	260	﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾
322	264	﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾
350	264	﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾
246	265	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾
243، 151	268	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ...﴾
سورة آل عمران		

406، 254	7	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
464	19	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾
394	39	﴿مُصَدِّقًا لِكَلِمَاتِهِ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾
335	40	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ...﴾
265	75	﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾
314	109	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾
295، 265	113	﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾
307	117	﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾
562	135	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...﴾
418	159	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾
462	187	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ...﴾
	191	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ...﴾
سورة النساء		
484	2	﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ بِالطَّبِيبِ﴾
193، 252	10	﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾
406	12	﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَوْ يَكُن لَهُنَّ وَلَدٌ ...﴾
	22	﴿إِنَّهُ كَانَ فَجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
33	23	﴿وَرَبِّبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾
، 185، 146، 95	28	﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾

581		
266، 95	34	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾
160	43	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ...﴾
541	56	﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾
349	58	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ...﴾
486	60	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾
252	76	﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾
436	79	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾
310	80	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
348	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا ...﴾
391، 252	84	﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾
466	90	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾
251	103	﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾
171، 252	119	﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ ...﴾
174	143	﴿مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هُنُوْلَاءَ وَلَا إِلَىٰ هُنُوْلَاءَ ...﴾
175	145	﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾
278	153	﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾
542	155	﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
سورة المائدة		
450	1	﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

194، 214، 225، 216، 215	3	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ ﴾
407	6	﴿ وَأَمْسَحُوا رِءُوسِكُمْ ﴾
162	12	﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ... ﴾
402	17	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾
401، 314	18	﴿ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾
545	22	﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾
461	38	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾
348	44	﴿ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾
330	48	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾
462	50	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾
199	62-63	﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَمِ وَالْعُدُونِ ... ﴾
379	71	﴿ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ ... ﴾
199	80-81	﴿ تَسَرَّى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾
310	92	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ... الْمَيِّينُ ﴾
477	100	﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾
486	104	﴿ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾
211	119	﴿ لَمْ جَنَّتْ بَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾
سورة الأنعام		

553، 402	18	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
379	39	﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُدُّوا بِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ﴾
244	40	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ﴾
369	50	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾
322، 142	59	﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كُتُبٍ مُبِينٍ﴾
276	101	﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
264	112	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾
172	121	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾
501	136	﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾
292	153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ...﴾
43	161	﴿دِينًا قِيمًا﴾
355	165	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ ...﴾
سورة الأعراف		
242	22	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
499	23	﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾
172	27	﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
439	28	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾
307	40	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ...﴾
434	44	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾
434	48	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾

158	54	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
543	56	﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾
208	64	﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾
497	89	﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾
98	96	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ...﴾
278	138	﴿أَجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾
570	150	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾
570	154	﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْغَضَبُ﴾
151	156	﴿وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ...﴾
470	160	﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾
460، 330	168	﴿وَيَلْوَنُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
468، 462	172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾
241، 112	176	﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾
106	179	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ...﴾
277	180	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ...﴾
572	203	﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
سورة الأنفال		
149	11	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾
288	17	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾
94	26	﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

301، 300	31	﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا...﴾
341	42	﴿وَيَحْيَىٰ مِّنْ حَىٰ عَنِ بَيْنَتِهِ﴾
242	48	﴿وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾
185	66	﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾
سورة التوبة		
233	1	﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
306	15-13	﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ...﴾
296	36	﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَمُوا﴾
293	59	﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ...﴾
،513، 391، 252 520	61	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
531	64	﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ...﴾
119	108	﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾
564، 400	118	﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾
310	122	﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ...﴾
531	126	﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾
34	128	﴿رَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾
سورة يونس		
169	8-7	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾
328	14	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾

88	24	﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْتَبِ بِالْأَمْسِ﴾
177	25	﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾
300	38	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾
436	88	﴿أَطْمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾
سورة هود		
238 ، 237	6	﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾
208 ، 207	12	﴿وَضَافِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾
300	13	﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾
286	17	﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ...﴾
403	45	﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي﴾
403	46	﴿يَنْسُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ﴾
179	75	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾
293	86	﴿يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾
422	103	﴿ذَلِكَ يَوْمٌ نَّجْمَعُ لَهٗ النَّاسَ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾
423 ، 209 ، 49	108	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ...﴾
287	109	﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾
سورة يوسف		
242	5	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
552	21	﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
293 ، 32	23	﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَاطِي...﴾

395	25	﴿وَأَلْفِيَا سَيْدَهَا لِدَا الْبَابِ﴾
282	29	﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾
460	31	﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾
313، 223، 32	39	﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾
32	42	﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾
115	76	﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾
161، 159	108	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾
سورة الرعد		
422	02	﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾
313، 212	16	﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
468	22-20	﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...﴾
501، 468، 467	21	﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾
468، 467	25	﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾
154، 150	28	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
308، 209، 49	35	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتٌ﴾
سورة إبراهيم		
307	18	﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ أُسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ...﴾
247	27	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

		﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾
447, 398	33-32	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿...﴾
546, 541, 540	34	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾
556	39	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾
	41-35	﴿ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾
سورة الحجر		
111	3	﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾
347	6	﴿ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾
348, 347, 286	9	﴿ إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
239	21	﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿...﴾
429	26	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾
397	29-28	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ ... ﴾
244	36	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
170	40-39	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴿...﴾
139	99	﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾
سورة النحل		
130	9-5	﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

523 ، 128	6	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾
220	17	﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
259	18	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾
220	20	﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾
186	21	﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءُ ﴾
224	48	﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾
234	60	﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
260	65	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾
542	83	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾
209 ، 49	96	﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾
303	103	﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾
542	108	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾
	125	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
563 ، 399	127	﴿ وَلَا تَأْكُفْ فِي صَبَقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾
سورة الإسراء		
269	4	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكُتُبِ لَنْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عُلُوكَ كِبْرًا ﴾
270	8	﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا ﴾
559	12	﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ نَفْصِيلًا ﴾

422	22	﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا ﴾
496 ، 151 ، 103	44	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾
505 ، 243	53	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾
243	60	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾
243	61	﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ ﴿١١﴾
243	62	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمٍ ... ﴾
170	64	﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطِطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾
، 316 ، 136 ، 98 ، 446 ، 396 ، 395 ، 457	70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ ... ﴾
435	72	﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
184	75	﴿ إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾
167	82	﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾
474	85	﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
297	88	﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ... ﴾
557	100	﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ... ﴾
89	102	﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مَثْبُورًا ﴾
160	106	﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾
579 ، 576 ، 34	110	﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾
سورة الكهف		

215، 189	2-1	﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ قِيَمًا﴾
355	7	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
،513	31	﴿وَلْيَبْسُوتِ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾
212	45	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾
171	50	﴿أَفَنَسَخِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾
	54	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾
289، 228	109	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾
سورة مريم		
545	14	﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤﴾
	23	﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾
170	83	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾
سورة طه		
577، 570	5	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
553	14	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾
457	15	﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَأْتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾
417	44	﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾
177	47	﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾

231، 228	50-49	﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾
43	58	﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾
570	86	﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾
159	114	﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾
243	120	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾
سورة الأنبياء		
300	5	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾
227	17-16	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ... ﴾
334	21	﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾
223، 137	22	﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾
315	30	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾
244	36	﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾
175	47	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾
126	50-48	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ... ﴾
482	53	﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا نَالِمًا عِبِيدِينَ ﴾
335	70-68	﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾

143	69	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ﴾
282، 281، 280	107	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
سورة الحج		
315، 3	5	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تُرَابٍ﴾
	11	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾
338	17	﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
141	27	﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾
167	30	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾
475	39	﴿أُذُنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾
270	40	﴿وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَصُرُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
199	41	﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾
178	46	﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
186، 185	73	﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾
سورة المؤمنون		
158	14-12	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ.....﴾
346	37	﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾
194	106	﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾
577، 493	109	﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا لَمَّا قَاغَفَرْنَا لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾

	115	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
سورة النور		
406	2	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾
406	4	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾
415	15	﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَافْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾
414	15	﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾
560 ، 499 ، 95 565	31	﴿ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾
126	35	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... ﴾
470	41	﴿ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾
143	43	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْزِقُ سَعَابًا ... ﴾
315	45	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ... ﴾
95	59	﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾
310	63	﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
سورة الفرقان		
381 ، 314 ، 142	2	﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾
300	5	﴿ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّنْ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

307	23	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾
285	25	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ تَنْزِيلًا ﴾
160	32	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾
309	44	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
577, 570	59	﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾
34	60	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾
413	63	﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ ﴾
سورة الشعراء		
486	74	﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾
176	89-88	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾
242	129	﴿ وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾
123	-136 139	﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ... ﴾
123	-123 139	﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ... ﴾
سورة النمل		
139	3	﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾
103	14-13	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ... ﴾
167, 102	29	﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَىٰ كَيْدٍ كَرِيمٍ ﴾
154	62	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

		﴿خُلِفَاءَ الْأَرْضِ﴾
سورة القصص		
190	4	﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾
180	42	﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾
466	51	﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾
368	66	﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾
314	88	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
سورة العنكبوت		
492، 486، 218	17	﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾
238	60	﴿وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾
155	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
سورة الروم		
139	6	﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
474، 393، 108	7	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾
390	10	﴿ثُمَّ كَانَ عِاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوَاءِ﴾
505	27	﴿هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾
380، 189، 147، 452	30	﴿فَطَرَّ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
216	30	﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ ...﴾
341، 260، 184	54	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ...﴾
سورة لقمان		

117	11	﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾
315، 258	20	﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾
458، 434	25	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾
228	27	﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾
142	34	﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
سورة السجدة		
580	21	﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْآخِرِ الْأَكْبَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَرْجِعُونَ ﴾
سورة الأحزاب		
462	7	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾
528، 419	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾
542، 452، 330	72	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ... ﴾
سورة سبأ		
215	28	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾
133	30	﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْقُدُمُونَ ﴾
سورة فاطر		
281	2	﴿ فَلَا مَرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
245، 171	6	﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
513، 322	12	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ... ﴾
513	27	﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾

381، 333	43	﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسَانَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَانَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾
سورة يس		
316	36	﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾
381	40-38	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا.....﴾
129	39	﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾
264	52	﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾
439	66	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾
320	77	﴿أَوْلَعِبَرِ الْإِنْسَانِ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾
492، 218	81	﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾
334	82-81	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ...﴾
سورة الصافات		
178	84-83	﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ...﴾
سورة ص		
556	9	﴿أَمْرَعندهم خزانٍ رَحْمَةً رَّبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾
556	10	﴿أَمْرَلَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
557	11	﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾
457	28	﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾
558	35	﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
سورة الزمر		

542	3	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾
551	4	﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
551	5	﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾
303	28	﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾
411	30	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾
209, 50	62	﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
522	65	﴿لَئِنِ اشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾
سورة غافر		
560	3	﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾
500	7	﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا...﴾
115	13	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾
115	14	﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾
115	15	﴿رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ...﴾
552, 433 553	16	﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾
سورة فصلت		
413	17	﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾
171	25	﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَسَنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾
463, 300	26	﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْفِ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾
563, 535	46	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾

289 ، 118	53	﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
سورة الشورى		
464 ، 107	13	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... ﴾
248	17	﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾
238	19	﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾
486	21	﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴿
239	27	﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾
554	53	﴿ صَرَّطَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْآلَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾
سورة الزخرف		
303	3	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
292 ، 212	28	﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
556	32	﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾
171	36	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾
439	76	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾
سورة الدخان		
281	3	﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾
281	5	﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ﴾
282 ، 281	6-5	﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴿٦﴾ ﴾

282	8	﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾
277	39-38	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ...﴾
سورة الجاثية		
493	12	﴿لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾
495	12	﴿وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾
315, 265, 129 495, 493, 447	13	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...﴾
سورة الأحقاف		
	13	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾
475	15	﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾
سورة محمد		
111	12	﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾
329	31	﴿وَلَنَسَبِلَنَّهُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾
463	22	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾
سورة الفتح		
401	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾
194	11	﴿سُغِلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾
349	29	﴿سُجِدَا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾
سورة الحجرات		
522	2	﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ...﴾
468	10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

500	11	﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
261	13	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
سورة ق		
458 ، 434	3-2	﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ...﴾
439	29	﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾
220	38	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
553	43	﴿إِنَّا نَحْنُ مُحِيءٌ وَنُمِيتٌ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾
545	45	﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾
سورة الذريات		
490 ، 489	48	﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ﴾
316	49	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
151	50	﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾
98	58-56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ...﴾
سورة الطور		
424	6-1	﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ...﴾
334	36-35	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ...﴾
سورة النجم		
457	31	﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾
سورة القمر		
422	10	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾

439	37	﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾
314 ، 142	49	﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
سورة الرحمن		
248	7	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾
145	72	﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾
553 ، 100	78	﴿نَبِّذْكَ أَسمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
سورة الواقعة		
424	30	﴿وظِلِّ مَمْدُودٍ﴾
145	31-27	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ...﴾
553 ، 100	33-32	﴿وَفَكَهْمَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾
سورة الحديد		
212	3	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾
477	25	﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾
سورة المجادلة		
116	11	﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾
132	11	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِ الْمَجَالِسِ﴾
سورة الحشر		
417	5	﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾
518 ، 517	9	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ...﴾
547 ، 212	23	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ...﴾
، 218 ، 212 ، 133 ، 234 ، 233 ، 220	24	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾

492		
235	24	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ...﴾
سورة الصف		
182، 181	2	﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
343، 415، 182	3-2	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ...﴾
181	4	﴿مَرَّضُوصٌ﴾
502، 248	8	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
سورة الجمعة		
445، 382، 162	10	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾
سورة المنافقون		
347	1	﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾
412، 411	4	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ...﴾
سورة التغابن		
484	6	﴿وَاسْتَعَىٰ اللَّهُ﴾
سورة الطلاق		
260	12	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ...﴾
سورة التحريم		
	6	﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
561	8	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾
سورة الملك		
355، 219	2	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾

490	15	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾
سورة القلم		
203	9	﴿وَدُّوا لَوْ نَدُّهُنَّ فَيُدِّهِنُونَّ﴾
سورة المعارج		
	23	﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾
	35	﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾
541	16-15	﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُنْطَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلنَّسْوَى ﴿١٦﴾﴾
212-187	23-19	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ...﴾
سورة نوح		
540	10	﴿إِنَّهُ كَانَ عَقَارًا﴾
316	17	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾
سورة المزمل		
159	4	﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرِثِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾
267	9	﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾
سورة المدثر		
299	24-18	﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَ ...﴾
435	38	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
سورة القيامة		
540	2	﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ النَّوَامَةِ﴾
سورة الانسان		
355	2	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾

484	7	﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطَبًا﴾
423	19	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا﴾
533	23	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾
سورة المرسلات		
436	8	﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾
520، 513	33-32	﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ رِيشِ كَرِ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَانَهُ جَمَلَتْ صُفْرًا ﴿٣٣﴾﴾
337	38	﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾
سورة البأ		
523	16	﴿وَجَنَّتِ الْفَافَا﴾
سورة المطففين		
247	3-1	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ...﴾
255	26	﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾
سورة البروج		
535	16	﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
سورة الطارق		
338	14-13	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾
504-503	17-15	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾...﴾
سورة الأعلى		
228	3-1	﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى...﴾
231، 96	3-2	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾
232	6	﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾﴾

232	8	﴿وَيُسِرُّكَ لِلْإِسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾
294	17-16	﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾
435	17	﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾
سورة الفجر		
253، 15	28-27	﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾﴾
سورة الشمس		
161	10-7	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا...﴾
سورة الضحى		
551	9	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾
سورة التين		
150	3	﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾
136	4	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾
سورة العلق		
396	2-1	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾
260	3	﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾
579، 393	8-6	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾
سورة البينة		
273	1	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّحِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾
296	3	﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾

273	4	﴿ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾
235	6	﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾
235	7	﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾
سورة الزلزلة		
435	8-7	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ... ﴾
سورة العاديات		
542	6	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾
سورة القارعة		
248	11-6	﴿ فَأَمَّا مَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ... ﴾
سورة التكاثر		
268	1	﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾
139	5	﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَقِينِ ﴾
264	8	﴿ ثُمَّ لَتَسْتَأْتِنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾
سورة العصر		
95	2	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾
سورة الهمزة		
425	6	﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾
سورة قريش		
	2-1	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيْلَافِهِمْ ﴾
149	4	﴿ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾
سورة الكوثر		
201	1	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾

سورة النصر		
500	1	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾
565	3	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾
سورة الناس		
433، 209، 49	2	﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

الصفحة	المصدر	طرف الحديث
175	صحيح مسلم	«أربع من كن فيه، كان منافقا خالصا»
266	مسند الإمام أحمد بن حنبل	«استقيموا لقريش ما استقاموا لكم»
143	صحيح ابن حبان	«اعقلها وتوكل»
179	صحيح مسلم	«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»
118، 117	سنن الترمذي	«إن الله تبارك وتعالى نظيف يحب النظافة»
128	الجامع المسند الصحيح المختصر	«إن الله جميل يحب الجمال»
113	الجامع المسند الصحيح المختصر	«إن جوف ابن آدم لا يملأه إلا التراب»
110	صحيح مسلم	«إن هذا الوباء رجز»
554	نوادير الأصول في أحاديث الرسول للترمذي	«أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد...»
296	النهاية في غريب الحديث لابن الأثير	«أنت قثم وخلقتك قيم»
374	الترمذي، سنن الترمذي	«أنه أمر يقتل الأسود في الصلاة»
488	نيل الأوطار للشوكاني	«أنه نهى في الصلاة عن افتراش السبع»
500	سنن الترمذي	«بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم»

		«القيامة»
265	صحيح البخاري	«تسوية الصف من إقامة الصلاة»
576	غريب الحديث للخطابي	«ثلاث ينقص بهن العبد في الدنيا ويدرك بهن في الآخرة ما هو أعظم من ذلك...»
444	المعجم الكبير للطبراني	«حلُّ نظره الملاحظة»
415	مسلم، صحيح مسلم	«حسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع»
500	صحيح مسلم	«ربِّ اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور مائة مرة»
500	صحيح البخاري	«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي»
499	صحيح مسلم	«سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك...»
390	الجامع المفهرس للألباني	«سوءاً ولود خير من حسناء عقيم»
253	سنن الترمذي	«الصدق طمأنينة والكذب ريبة»
135	الجامع الصحيح	«الصوم مصحّة»
	شرح سنن ابن ماجه	«العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»
160	نيل الأوطار للشوكاني	«فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام»
153	غريب الحديث للخطابي	«قاروا الصلاة»
322	النهاية في غريب الحديث لابن الأثير	«كان شهما نافذا في الأمور ماضيا»
451	النهاية في غريب الحديث لابن الأثير	«كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم»
451	الجامع الصحيح للبخاري	«كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان»

	صحيح مسلم	«لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتم فاصبروا»
500	صحيح مسلم	«لن يُنجي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟...»
198	سنن ابن ماجه	«ما أطيبك وأطيب رائحتك وما أعظمك...»
235	النهاية في غريب الحديث لابن الأثير	«من شر ما خلق وذراً وبراً»
267	صحيح مسلم	«من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة»
560	سنن ابن ماجه	«التدم توبة»
496	صحيح البخاري	«هذا جبل أحد يحبنا ونحبه»
121	الجامع المسند الصحيح المختصر	«وترى الحفاة العراة رعاء الإبل والبهم يتناولون في البنيان»
119	تفسير القرطبي	«وثبت أن النبي ﷺ كان يحمل الماء معه في الاستنجاء، فكان يستعمل الحجارة تخفيفاً والماء تطهيراً».
500	صحيح مسلم	«يا أيها الناس توبوا إلى الله، فو الله إني لأتوب إليه..»

ثالثاً: فهرس الأبيات الشعرية.

– فهرس القوافي (1):

البيت	الروي	البحر	القائل	الصفحة
الهمزة				
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ	بلاءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	31
وَكَذَا الْكَرِيمِ إِذَا أَقَامَ بَيْلِدَةً	الماءُ	الكامل	أبو الطيب المتنبي	296
لَيْسَ مِنَّا الْمُضْرِبُونَ وَلَا قِيٌّ	الحداءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	431
وَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ	جلاءُ	الوافر	زهير بن أبي سلمى	461
الباء				
هَيْفَاءَ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً	أنيابا	البيسيط	أبو زيد الطائي	62، 59، 52
كَأَنَّ أَتْوَابَ نَقَادٍ قُدِرْنَ لَهُ	هُدَابَا	البيسيط	أبو زيد الطائي	61، 59
الْحَزْنَ بَاباً وَالْعَقُورُ كَلْباً	كلبا	الرجز	رؤبة بن العجاج	320، 62
حَتَّى إِذَا نَوَّرَ الْجَرْجَارَ. وَارْتَفَعَتْ	قد ضربا	البيسيط	غير منسوب	104
وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرِ الْـ	شرايه	المجزوء الكامل	الأعشى ميمون	149
فَبَاكَرَهُ وَالشَّمْسُ لَمْ يَبْدُ قَرْنَهَا	المُكَلَّبُ	الطويل	الكميت بن زيد	222
حَتَّى إِذَا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ رَاجِعُهُ	الهُرْبُ	البيسيط	ذو الرمة	230
وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَحَاً لَا تَلْمُهُ	المهذبُ	الطويل	النابغة الذبياني	291
نُبِئْتُ حِصْنًا وَحِيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ	مقروبُ	البيسيط	النابغة الذبياني	295
لَا يُصْعَبُ الْأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ	العربُ	البيسيط	مجهول	354
الْحَزْنَ بَاباً وَالْعَقُورُ كَلْباً	كلبا	الرجز	رؤبة بن العجاج	320، 62
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا ظُهُورَنَا	نُ مُشْطَبُ	الطويل	أمرؤ القيس	264
هَيْئُونَ لَيْئُونَ فِي بُيُوتِهِمْ	الرُّتْبُ	المنسرح	الكميت بن زيد	417
فَمَا قَوْمِي بِشَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ	رقابا	الوافر	حارث بن ظالم	510، 410
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى	شُعُوبُ	الطويل	أبو الطيب المتنبي	477
فَأَصْبَحَ الْبَكْرُ فَرْدًا مِنْ الْأَيْفِهِ	هاشذبُ	البيسيط	ذو الرمة	480

(1) _ ضم هذا الفهرس الأبيات وأنصافها، وميزت الأنصاف بوضع حاصرتين على ما أتم منها، إن في الصدر أو العجز.

481	ذو الرمة	الطويل	صَوَّاحِبُهُ	أَكُنْ مِثْلَ ذِي الْأَلْفِ لُرَّتْ كُرَاعُهُ
31	راشد بن عبد ربه السلامي	الطويل	الثعالب	أَرَبُّ يُولُ الثَّعْلَبَانَ بِرَأْسِهِ
النَّاء				
145	غير منسوب	الكامل	ولا فوت	عِشْ مَا بَدَأَكَ قَصْرُكَ الْمَوْتُ
427	قائله مجهول	الرجز	وجناها	لَوْ صُنْتُ طَرْفَكَ لَمْ تُرَّعْ بِصَفَاتِهَا
الحاء				
128	أبو ذؤيب الذؤلي	الوافر	فتستريح	جَمَالَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْحَرِيحُ
135	الأعشى ميمون	الرمّل	واستصح	أَمْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ، فَلَيْتِنِ؟
302	طرفه ابن العبد	السريع	واضحه	كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَئَتُهُ
480	ذو الرمة	الطويل	يتوضح	مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ
الدال				
4	سيد قطب	المتقارب	دِنْ تليد	فَأَوْقِدْ لَهُم مِّن رُّفَاتِي الشَّمْعِ
5	سيد قطب	المتقارب	القيود	أَخِي أَنْتَ حَرٌّ وَرَاءَ السُّدُودِ
5	سيد قطب	المتقارب	العبيد	إِذَا كُنْتُ بِاللَّهِ مُسْتَعَصِمًا
5	سيد قطب	المتقارب	حرّ جديد	أَخِي سَنِيْدُ جِيُوشِ الظَّلَامِ
5	سيد قطب	المتقارب	من بعيد	فَأَطْلُقْ لِرُوحِكَ أَشْوَاقَهَا
31	النابعة الذبياني	الطويل	وتالدي	تَخُبُّ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ
45	عبد مناق بن ربيع الهدلي	البسيط	الجلد	إِذَا تَجَرَّدَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ
94	لبيد بن ربيعة	الطويل	العدد	كُلُّ بَنِي حِرَّةٍ مَصِيرُهُمْ
241	زهير بن أبي سلمي	الكامل	المخلد	لِمَنِ الْكِبَارُ غَشِيَهَا بِالْعَرْفَدِ
244	طرفة بن العبد	الطويل	ويبعد	فَمَا لِي أَرَانِي وَأَبْنَ عَمِّي مَالِكًا
295	حسان بن ثابت	الوافر	في رماد	عَلَامٌ قَامَ يَشْتُمُنِي لِيِيمٌ
324	ابن الرِّقَاعِ العاملي	الكامل	وسادها	غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً
350	المثقب العبدي	السريع	الأصلد	يَنْمِي بِنَهَاضٍ إِلَى حَارِكِ

353	ابن نباته المصري	البيسيط	العناقيد	في الرّيق سُكْرٌ وفي الأصْدَاعِ تَجْعِيدٌ
368	الراعي التّميري	البيسيط	التّجد	فَدَاذُهَا وَهِيَ مُحْمَرٌ نَوَاجِدُهَا
374	الأعشى ميمون	الكامل	الأسود	كَلَا يَمِينُ اللَّهُ حَتَّى تَتَرَلُ
424	لبيد بن ربيعة	الكامل	ممدود	غَلَبَ الْبَقَاءَ وَكُنْتُ غَيْرُ مُغَلَّبٍ
425	طرفه بن العبد	الطويل	باليد	لَعَمْرُكَ إِنْ مَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
425	أبو تمام	الوافر	المعاد	مُنْزَهَةٌ عَنِ لَسْرِقِ الْمَوْرَى
428	غير منسوب	الطويل	عرّدا	تَمَنَّى لِقَائِي الْجَوْنَ مَعْرُورٌ نَفْسِهِ
429	طرفة بن العبد	الطويل	مؤيد	كَأَنَّ كَنَاسِي ضَالَّةً يُكَنَفَانَهَا
455، 431	الأعشى ميمون	المتقارب	حدّادها	فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصْحُ دِيكُنَا
455	النابعة الذبياني	البيسيط	الفند	إِلَّا سُلَيْمَانَ، إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ
486	غير منسوب	الطويل	المجد	خُمُولًا وَإِهْمَالًا وَغَيْرِكَ مُوَلِّعٌ
517	غير منسوب	الرجز	باردا	عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا
519	حميد بن تور الهلاني	الطويل	بُرودها	فَلَمَّا أَتَى عَامَانَ بَعْدَ انْفِصَالِهِ
519	الكميت بن زيد	المنسرح	شداثدها	مَنْ رَيْبٌ دَهْرٍ أَرَى حَوَادِثَهُ
الراء				
31	النابعة الذبياني	الطويل	ناصرًا	وَرَبُّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَحْسَنَ صُنْعُهُ
37	ابن مالك	الرجز	الظّاهر	وَصَوَّغَهَا مِنْ لَازِمٍ لِحَاضِرٍ
49	عدي بن زيد العبادي	المديد	دارا	مَنْ حَبِيبٍ أَوْ أَحْيٍ ثِقَةٍ
49، 59، 63، 209	عدي بن زيد العبادي	المديد	دَارًا	مَنْ حَبِيبٍ أَوْ أَحْيٍ ثِقَةٍ
97	الخنساء أم عمرو	البيسيط	وإكبار	حَنِينَ وَالْهَمَّ ضَلَّتْ أَلَيْفَتَهَا
145	كثيرة عزة	الطويل	البّحّاتر	عَنَيْتُ قَصُورَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَدْرِ
180	النابعة الجعدي	المتقارب	غير	وَلَيْسَتْ بِشَوْهَاءٍ مَقْبُوحَةٍ
201	الكميت بن زيد الأسدي	الطويل	كوثرًا	وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيْبٌ

201	الأعشى الأكبر	السريع	للكاثر	وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى
537، 206	الحطيئة	الكامل المرفل	تامرا	فَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ
219، 218 492	زهير بن أبي سلمى	الكامل	لا يفري	وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ
324	ابن مقبل	الطويل	أتعدرا	إِنِّي لِأَسْتَحْيِي، وَفِي الْحَقِّ مَسْمُوحٌ
385	الخرنق بنت بدر بن هافان	الكامل	الجزر	فَعَجَّجْتُهَا قَبْلَ الْأَخْيَارِ مَنزَلَةً
	الخرنق بنت بدر بن هافان	الكامل	الجزر	لَا يَبْعَدُنَ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ
488	الأحطل	الوافر	الشقير	وَأَفْقَرَتِ الْفَرَاشَةَ وَالْحُبَّابَا
492	زهير بن أبي سلمى	الكامل	لا يفري	وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ
515	قائلة مجهول	الرجز	حرّ	شَمَطَاءُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادِ الْبَرِّ
537	الحطيئة	الكامل المرفل	تامر	وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ
550	المُخْبِل	الطويل	أقهرا	تَمَنَّى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جَدَاعَهُ
551	الكميت بن زيد	مجزوء الكامل	القواهر	أَنْتَ الْمُقَابِلُ مِنْ أُمَيِّ
557	امرؤ القيس	المديد	قصره	وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصْرِهِ
573	بلا نسبة	الوافر	صرير	صَبَبْتُ الْمَاءَ فِي النَّجْرَانِ حَتَّى
460	الراعي النميري	الطويل	حادر	فَمَا بَرِحْتُ، حَتَّى اسْتَبَانَ سِقَابُهَا
الزاي				
107	غير منسوب	الطويل	عجوز	عَجُوزٌ عَلَتْهَا كَبِيرَةٌ فِي مَلَاخَةٍ
السين				
320	رؤية بن العجاج	الرجز	الرأس	مُحَبِّبُكَ ضَخْمٌ شُؤُونَ الرَّأْسِ
373	ابن العميد	الكامل	نفسى	قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ
427	قائلة مجهول	الطويل	راس	بشوب، ودينار، وشاة، ودرهم

436	ذو الرمة	الطويل	الطوامس	فلا تحسبي شحي بك البيد كلماً
538	الخطيبة	البيسط	الكاسي	دع المكارم لا ترحل لبغيتها
العين				
114	الأحوص الأنصاري	الطويل	رافع	أم يحزنك ربح مريضة
114	غير منسوب	الكامل	ويرفع	فاخضع ولا تنكر لربك قدرة
218	الأعشى ميمون	البيسط	الصدعا	قد يترك الدهر في خلقاء راسية
352	عمر بن شيم (القطامي)	الوافر	الرناعا	أكفراً بعد رد الموت عني
352	النابعة الذباني	الطويل	خواشع	عليهن شعث عامدون لربهم
284	ذو الرمة	الطويل	رواجع	أمنزلتني مي سلام عليكمما
الفاء				
165، 101	أبو خالد القناني	الوافر	عجاف	وأن يعدن إن كسي الجواري
110	الفرزدق ابن غالب	الطويل	الناس وقفوا	ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا
القاف				
141	رؤبة بن العجاج	الرجز	الحففق	وقايم الأعماق حاوي المنخرق
374	نصيب بن رباح	الطويل	بنائقه	سودت ولم أملك سوادي وتحتة
الكاف				
61، 58، 48	زهير بن أبي سلمى	البيسط	الشبك	أهوى لها أسفع الخدين مطرق
291	الكميت بن زيد الأسدي	الطويل	الحوائك	فما زلت أبقى الطعن حتى كأنها
555	ابن همام السلوي	المتقارب	هالكاً	فقلت: أجرني أبا خالد
59	زهير بن أبي سلمى	البيسط	الشبك	أهوى لها أسفع الخدين مطرق
اللام				

45	غير منسوب	المتقارب	الحِجَل	أرثنيَّ حِجْلاً على ساقِها
51	القلالخ بن حزن	الطويل	أعقلاً	أخا الحرب لباساً إليها جلالها
385، 58، 52	عمرو بن شأس	الطويل	عزلاً	ألكني إلى قومي السلام رسالة
63، 59، 52، 423، 385 437	عمرو بن شأس	الطويل	بزلاً	ولا سيئي زي إذا ما تلبسوا
99	امرؤ القيس	المتقارب	سواه جلل	بقتل بني أسد رهم
128	عبيد الله بن عتبة	الطويل	بأجمل	وما الحق أن تموى فتشعف بالذي
157	غير منسوب	الطويل	طياها	تبين لي أن القماءة ذلة
184	ليبد بن ربيعة	الطويل	المفاصلا	وعالين مضعوفاً وفرداً، سموطه
224	ليبد بن ربيعة	الوافر	شمالي	هم قوم وقد أنكرت منهم
224	أبو النجم العجلي	الرحز	أشمل	يأتي لها من أيمن وأشمل
255	ابن مالك	الرحز	لا يعدل	وإن يشابهه المضاف يفعل
263	ابن مالك	الرحز	الحيل	كربّ راجينا عظيم الأمل
279	كثير عزة	الطويل	هم برسول	لقد كذب الواشون ما بحث عنهم
279	تأبط شرا	الطويل	ضحل مرسل	ولست براعي ثلة وسطها
284	غير منسوب	الوافر	التزير	نزير القوم أعظمهم حقوقاً
298	الأعشى ميمون	البسيط	تنتقل	لئن مُنيت بنا عن غبّ معركة
302	غير منسوب	الرحز	من ليله	عظيم وضاح ضحنّ الليلة
362	غير منسوب	البسيط	الكحل	ليس التكحل كالكحل
371	غير منسوب	الكامل	ويسيل	أصمى على فأس اللجام، وقربه
372	امرؤ القيس	السريع	السائل	صمّ صداها وعفا رسمها
374	الأعشى ميمون	الطويل	قتيلها	تناهيتمو عنا وقد كان منكم
428، 425	امرؤ القيس	الطويل	من معول	وإن شفائي عبرة مهراقة
476	الحماسي العقيلي	الوافر	النصال	ونبكي حين نقتلكم عليكم
515	الأعشى ميمون	الخفيف	بخلال	حرة طفلة الأنامل ترتب

520	علقمة بن عبدة الفحل	الطويل	قائله	ألا رجل أحلوه رحلي وناقتي
529	ابن الأحمر	المديد	الأجل	إلا رجاء فما ندري أندركه
576	الأعشى ميمون	الكامل	بلاها	أما لطالب نعمة يمتتها
476	الحماسي العُقيلي	الوافر	لا تُبالي	ونبكي حين نقتلكم عليكم
الميم				
41	ابن مالك	الرجز	الكلم	كلامنا لفظ مفيد: كاستقم
576، 34	عملس بن عقيل	الطويل	رحيم	فأما إذا عضت بك الحرب عضه
44	النابعة الذبياني	البسيط	لا زبما	بات ثلاث ليال ثم واحدة
63، 620، 332، 327	رؤبة بن العجاج	السريع	الأضحما	محتبك ضخم شؤون الرأس
61، 58	النابعة الذبياني	الوافر	ليس له سنام	وتأخذ بعده بذناب عيش
320، 62	الشماخ بن ضرار	الطويل	مصطلاهما	أمن دمنتين عرس الركب فيهما
320، 62	الشماخ بن ضرار	الطويل	مصطلاهما	أقامت على ربعيها جارتا صفا
72	طريف بن تميم العنبري	الكامل	يتوسم	أو كلما وردت عكاظ قبيلة
104	جثامة الكلبي	الوافر	تؤاما	كأن مزاحفا الهزلي الهزلي صباحا
121	ليبد بن ربيعة	الكامل	بهامها	والعين ساكنة على أطلائها
134	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يسأم	سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
134	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يسأم	وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
196	ليبد بن ربيعة	الوافر	لئيم	يبارين الريح ليس بجاني
201	غير منسوب	المتقارب	الأعظم	هل العز إلا اللهى والثراء
230	قيس بن زهير	الوافر	كمستدم	فلا تعجل بأمرك واستدمه
233	الأعشى ميمون	الطويل	المكّم	فأوردها عينا من السيف رية
246	طرفه بن العبد	المديد	به قيمة	والهبيت لا فؤاد له

296	لبيد بن ربيعة	الكامل	قوامها	أفتلك أم وحشية مسبوعة
302	الأعشى ميمون	الوافر	قداما	إذا أتتكم شيبان في وضح الصّـ
309	ابن قيم الجوزية	الطويل	المخيم	فحجّي على جنات عدن فإنها
309	ابن قيم الجوزية	الطويل	المخيم	ولكننا سيّ العدوّ فهل ترى
354	لبيد بن ربيعة	الكامل	مقيم	والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا
372	رؤبة بن العجاج	الرجز	القدم	صماء لا يبرئها من الصّمـ
444	النابعة الجعدي	الكامل	جهم	سقطوا على أسد بلحظة مشـ
449	زهير بن أبي سلمى	الطويل	يظلم	ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
450	قائله مجهول	مجزوء الكامل	التمام	لا يمنعنك من بغا
466	الأعشى ميمون	الطويل	رواغم	إذا اتّصلتْ قالتْ: أبا بكرِ بن وائلٍ
511	رؤبة بن العجاج	الرجز	المؤدم	في صلب مثل العنان المؤدمِ
525	الطرمّاح بن حكيم	المديد	السّلام	منطو في جوف ناموسه
258	زياد الأعجم	الطويل	ليّ مقامها	إذا اخترتُ أرضاً للمقام رَضِيَتْها
258	زياد الأعجم	الطويل	جالِ نَعَامُها	ضربت لها جأشا فقرت نعامتي
264	النابعة الذبياني	الطويل	وأنعما	فلن أذكر النعمان إلا بصالحِ
473	رؤبة بن العجاج	الرجز	الفطيم	أم كيف حد مطر الفطيم
481، 480	قائله مجهول	الكامل	الأعلام	وكريمة من آل قيس ألفته
482	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	ذمامها	توصل بالركبان حيناً، وتؤلف ألـ
النون				
63، 59، 48	حميد الأرقط	السريع	على الرزون	غير أن ميفاءه على الرزون
153	امرؤ القيس	الطويل	أكفاني	فإمّا تربي في رحالة جابر

196	ليبد بن ربيعة	الكامل	ودفان	سدما، قليلا عهده بأنيسه
337	قائله مجهول	البيسط	لإنسان	وصلا، وفصلا، وتجميعا، ومفترقا
391، 387	رؤبة بن العجاج	الرحز	الشحن	ما بال عيني كالشعيب العين
399	الأخطل	الطويل	الدبران	فهلا زجرت الطير، ليلة جتته
433	بلا نسبة	الهزج	دانوا	ولم يبق سوى العـ
الياء				
426، 53	أبو الطيب المتنبي	الطويل	بأكيًا	خُلقت ألوفاً، لو رجعت إلى الصبا
515	المنخل	المديد	أبيًا	ألا من مبلغ الحرين عني

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً: الكتب باللغة العربية

1. إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، سنة 2007م-1428هـ.
2. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، سنة 1985م-1406هـ.
3. ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم أبو إسماعيل بن عبد الله الطرابلسي، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، دار، إقرأ للطباعة والنشر والترجمة، طرابلس، الجماهيرية الليبية، ط1، بيروت، 1987م-1307هـ.
4. أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1971م-1391هـ.
5. الأعشى ميمون قيس، الديوان، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2005م-1426هـ.
6. إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1996م-1417هـ.
7. الألوسي (أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود البغدادي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، حققه: أبو عبد الرحمن فؤاد سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخصر سيدنا الحسين، القاهرة، مصر، ط 2008م-1429هـ.
- الإستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن)،
8. شرح شافية ابن الحاجب في الصرف، حققها وضبط غريبها، وشرح مبهمها: محمد نور الحسن، محمد الرفراف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1982م-1402هـ.
9. شرح رضي الدين علي الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1985م-1405هـ.

10. أبو الأصمعي (سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي)، الأصمعيات، تحقيق: وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر-بيروت، ط3، سنة 2011م-1433هـ.
11. الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد المطلب الخطيب)، مبادئ اللغة، دراسة وتحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر الجديدة-القاهرة، ط1، سنة 2000م-1421هـ.
12. الأخطل (غياث بن غوث بن الصلت....جشم بن بكر): الديوان، تحقيق: محمد نعيم بربر، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، سنة 2010م-1421هـ.
13. الأثير (ابن مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري)، النهاية في غريب الحديث والأثر: تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود حمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، سنة 1979م-1399هـ.
14. الأوراغي (محمد)، نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، الجزائر، ط1، سنة 2010م-1421هـ.
15. الألباني (محمد ناصر الدين)، الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية، صنة: سليم بن عبد الهاللي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، سنة 1996م-1417هـ.
16. بدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، الناشر: مؤسسة الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د.ط، دت).
17. أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1998م-1401هـ.
18. البغدادي (عبد القادر بن عمر با يزيد بن الحاج أحمد)، خزانة الأدب (12 جزء)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، سنة 2000م-1420هـ.
19. البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، سنة 2002م-1423هـ.

20. البوطي (محمد سعيد رمضان)، فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرني-باتنة، الجزائر، (د.ط، د.ت).
21. أبو تمام (حبيب بن أوس)، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (د.ت).
22. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، ط1994م-1415هـ.
23. تومي بن عمار، مفتاح الظلال، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرني- باتنة- الجزائر، ط1، 1985م-1405هـ.
24. تأبط شرا (ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن من بني فهم القيسين المضريين)، الديوان، اعتنى به عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، سنة 2012م-1423هـ.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن سورة) ،
25. نوادير الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (د.ط، د.ت).
26. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، سنة 1975م-1395هـ.
27. ابن ثور (حميد الهلالي)، الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، سنة 1965م-1384هـ.
28. الجوهري (إسماعيل بن حماد)، معجم الصحاح، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، سنة 2012م-1433هـ.
29. جماعة أصدقاء سيد قطب، الشهيد سيد قطب، (د.ط، د.ت).
30. الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن)، صيد الخاطر، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد-القاهرة، ط1، سنة 2009م-1430هـ.
31. الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2001م-1422هـ.

32. الجواليقي (أبو منصور التحوي اللغوي)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، نشرة محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ط1، سنة 1940م-1361هـ.
33. الجعدي النابغة، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1998م-1423هـ.
34. الجعدي (عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة النابغة)، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1998م-1423هـ.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان)
35. الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، سنة 2003م-1424هـ.
36. شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر القاهرة، ط1، سنة 1954م-1975هـ.
37. الخطيئة (جرول بن أوس بن مالك بن جؤية)، الديوان دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط3، سنة 2002م، 1423هـ.
38. ابن حبان (محمد بن أحمد بن حبان بن معاد بن معبد، التميمي، أبو حاتم الدارمي، البستي)، صحيح ابن حبان، بترتيب بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1993م-1414هـ.
39. ابن حلزة (الحارث)، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1911-1412هـ.
40. حسان (بن ثابت الأنصاري)، الديوان، تحقيق: محمد نعيم بربر، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، سنة 2010م-1431هـ.
41. الحموز (عبد الفتاح)، ظاهرة التغليب في العربية، منشورات جامعة مؤتة، ط1، سنة 1993م-1414هـ.

42. أبو حيان (محمد يوسف الأندلسي)، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2011م-1432هـ.
43. ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أسد الشيباني)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، سنة 2001م-1412هـ.
44. الحمصي (نعيم)، فكرة إعجاز القرآن منذب البعثة النبوية حتى الوقت الحاضر مع نقد وتعليق، تقديم: محمد بهجة البيطار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1980م-1401هـ.
45. الحديثي (خديجة)، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة بغداد، ط1، سنة 1965م-1385م.
46. بوحفص (عمر الزموري)، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر العاصمة، ط1، سنة 1991م-1412هـ.
47. بالخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية)، الديوان، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، سنة 2008م-1418هـ.
48. خلف الله (محمد خلف الله أحمد)، محمد (أمين شوقي)، إخراج وضبط وتعليق: ل: كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، سنة 1969م-1389هـ.
49. الخرنق (بنت بدران بن هفان أخت طرفة بن العبد)، رواية عمرو بن العلاء، شرح وتعليق وتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1990م-1411هـ.
50. الخليل (أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية-بغداد (د.ط، د.ت).
51. الخضري (محمد بن مصطفى بن حسن الشافعي)، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، شرحها وعلق عليها: تركي فرحات المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط4، سنة 2011م-1432هـ.

52. الخطّابي (أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، وتخريج الأحاديث: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط2، سنة 1982م-1402هـ.
53. أبو ذؤيب (الهدلي)، ديوان الهدليين، الدّار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، سنة 1965م-1385هـ.
54. الراعي النميري، (عبيد بن حسين)، الديوان، جمعه وحقّقه: زاینهت قايرت، دار النشر: فرانتس شتاينر بقسبادن، ط1، سنة 1980م-1401هـ.
55. رؤبة (بن العجاج)، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم الوردی البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط، سنة 1996م-1417هـ.
56. ابن الرّقاع (عدي ابن الرقاع العاملي)، الدّیوان، جمع وشرح ودراسة: حسين محمد نور الدّین، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 سن 1990م-1410هـ.
57. ذو الرّمة (غيلان بن عقبة بن نهيش بن مسعود العدوي، أبو الحارث)، الديوان، اعتنى به وشرح غريبه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2006م-1427هـ.
58. الرازي (فخر الدّین محمد بن عمر بن الحسین بن الحسن ابن علي التّميمي البكري الشافعي)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تقديم: هاني الحاج، تحقيق وتعليق وتخريج الأحاديث: عماد زاكي الباروي، المكتبة العصرية التوفيقية، جامعة الأزهر- القاهرة، ط3، سنة 2015م-1436هـ.
59. الزّجاج (إبراهيم بن السّري بن سهل أبو إسحاق)، معاني القرآن، وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلي، عالم الكتب، بيروت، سنة 1988م-1409هـ.
60. الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)، طبقات النحو بين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (ط2، د.ت).
61. أبو زييد الطائي (حرملة بن المنذر بن معد يكر بن حنظلة)، الديوان، جمع وتحقيق: نوري حمودي القبسي، مطبعة المعارف بغداد، ط1، سنة 1967م-1388هـ.

62. الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، سنة 1986م-1406هـ.
- الزّمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي)،
63. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان، (ط1، د.ت).
64. أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، سنة 1985م-1404هـ.
65. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، سنة 1988م-1409هـ.
- السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن)
66. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة البابي الحلبي، ط8، سنة 1958م-1379هـ.
67. بغية الوعاة في طبقت اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، سنة 1979م-1399هـ.
68. البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط، د.ت).
69. شرح شواهد المغني، تصحيح وتعليق: محمد محمود ابن التلاميذ التركي الشنيقيطي، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ط، د.ت)
70. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي)، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت).
71. السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن «الألفية» لابن مالك، وخلاصة الشراح لابن هشام، وابن عقيل والأشموني، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1933م-1354هـ.
72. السيد عبد الله (بن محمد الحسيني)، «شرح الشافية في الصرف» لابن الحاجب، استانبول، مطبعة أحمد كامل، (ط2، د.ت).

73. سيد قطب، الديوان، جمعه ووثقه وقدم له: عبد الباقي محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، ط1، 1989م-1410هـ.
- سيد قطب
74. إلى أستاذنا الدكتور أحمد أمين، مجلة الثقافة، السنة الثالثة عشر، العدد 663 سنة 1951م-1302م.
75. طفل من القرية، جدو، الدار السعودية للنشر، (د.ط، د.ت).
76. في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت-لبنان، ط12، سنة 1986م-1406هـ.
77. التصوير الفني في القرآن، دار الشروق-بيروت، ط8، سنة 1983م-1403هـ.
78. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت-ط7، سنة 1980م-1400هـ.
79. معالم في الطريق، القاهرة- بيروت، دار الشروق، (د.ط، د.ت).
80. بين العقاد والرافعي (المقال السادي، مجلة الرسالة، المجلد الأول، السنة السادسة، العدد 257، السنة 1938م-1359هـ).
81. السيرافي (الحسن بن عبد الله بن المرزوباني القاضي أبو سعيد)، في ضوء شرحه لكتاب سيويه، دراسة وتحقيق: عبد المنعم فائز، دار الفكر، دمشق-سورية، ط1، سنة 1983م-1403هـ.
82. السلامي (عمر السلامي)، الإعجاز الفني في القرآن، مصنع الكتاب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، سنة 1980م-1401هـ.
83. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد)، مفتاح العلوم، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، سنة 2011م-1422هـ.
- ابن السكيت (يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت)
84. هموم المسلم المعاصر، الناشر: عبد الله حجاج، دار الشبهات للطباعة والنشر، عمار قرني، باتنة-الجزائر، (د.ط، د.ت).

85. إصلاح المنطق، شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد هارون، دار المعارف-مصر، ط3، سنة 1949م-1368هـ.
86. كثر الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، طبع وضبط وجمع: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ط، سنة 1895-1316هـ.
87. الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي)، شرح الشاطبي لألفية ابن مالك المسمى: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2012م-1433هـ.
88. الشماخ (ابن ضرار بن حرملة الذبياني)، الديوان، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف-مصر، ط1، سنة 2009م-1430هـ.
89. ابن شأس (عمرو بن شأس أحد أعلام بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد)، الديوان، تحقيق: يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط2، سنة 1983-1403هـ.
90. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، خرج أحاديثه وعلق عليه: عصام الدين الصبّاطي، دار الحديث-القاهرة، ط1، سنة 2005م-1426هـ.
91. صالح بلعيد، الصرف والنحو، دراسة وصفية تطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع-بوزريعة-الجزائر العاصمة، ط1، سنة 2003م-1424هـ.
92. صلاح شادي، الشهداء: حسن البناء وسيد قطب، دار الشهاب، عمار قرفي، باتنة، الجزائر، (د.ط، د.ت).
93. الصلابي (علي محمد محمد)، تبصرة المؤمنين بـ: فقه النصر والتمكين (في القرآن الكريم)، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق-بيروت، ط1، سنة 2007م-1428هـ.
94. الصبان (محمد بن علي المصري)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيبي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ط، د.ت).

95. الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير، دار الجليل، بيروت-لبنان، ط8، سنة 1995م-1416هـ.
96. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري، محمد عادل محمد، محمد عبد اللطيف خلف، محمود موسى عبد الحميد، دار السلام-القاهرة، الاسكندرية، ط5، سنة 2012م-1432هـ.
97. الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني)، المعجم الكبير، تحقيق: محمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ط2، د.ت).
98. الطرماح (الحكم بن حكيم بن الحكيم بن تفر بن قيس.. بن الغوث بن طيء)، الديوان، تحقيق: عزة حسن، دار الشروق الغربي، بيروت-لبنان، ط2، سنة 1994م-1414هـ.
99. طرفة بن العبد (عمرو بن العبد البكري الوائلي المعروف بطرفة)، الديوان، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، سنة 2006م-1427هـ.
100. الطنطاوي (محمد الطنطاوي)، تصريف الأسماء، المكتبة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط6، سنة 1987م-1408هـ.
101. ابن عقيل (هراء الدين بن عبد الله العقيلي المصري الهمداني)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة التراث، القاهرة، ط20، سنة 1980-1401هـ.
102. عباس حسن، النحو الوافي، (أربعة أجزاء)، دار المعارف-مصر، القاهرة، (د.ط، د.ت).
103. عوض (عبد الله الحباص)، سيد قطب، الأديب الناقد، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، باب الواد- الجزائر (د.ط، د.ت).
104. عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الإعلام-عمان، الأردن، ط1، سنة 2005م-1426هـ.
105. ابن عصفور الإشبيلي (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي... بن عبد الله بن منظور الإشبيلي)، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين، قباوة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية، ط5، سنة 1983م-1404هـ.

106. عطية سليمان عودة أبو غاذرة، مشكلة الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند كل من الإمام محمد عبده ومحمد إقبال، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1985م-1406هـ.
107. علقمة الفحل (ابن عبدة بن نعمان بن ناشزة.. بن إلياس بن مضر بن نزار)، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، قدّم له ووضع فهارسه وهوامشه: حنا نصر الحُسي، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، سنة 1992م-1413هـ.
108. علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، الديوان، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الهدى-عين مليلة-الجزائر، (دط، د.ت).
109. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط3، سنة 1981م-1402هـ.
110. عمر سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرفي، الجزائر، باتنة، (د.ط-د.ت).
111. عياض (القاضي أبو الفضل)، الشفا بتعريف المصطفى، دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ط)، (د.ت).
112. العثيمين (محمد صالح)، شرح الأصول من علم الأصول، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، (د.ط، د.ت).
113. ابن عطية الأندلسي (أبو محمد عبد الحق بن غالب)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1993م-1414هـ.
114. العجلي (أبو النجم)، الديوان، جمع وشرح وتحقيق: محمد أديب عبد الواحد حجران، مطبوعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، سنة 2006م-1427هـ.
115. العبادي (عدي بن زيد العبادي)، الديوان، حققه وجمعه، محمد جبار المعين، ط1، سنة 1965م-1385هـ.

• الغزالي محمد

116. حصاد الغرور، دار الشهاب للنشر والتوزيع، باتنة-الجزائر، (د.ط، د.ت).
117. الجانب العاطفي من الإسلام، دار الشهاب للطباعة والنشر عمار قربي، باتنة- الجزائر، (د.ط، د.ت).
118. محمد نبيل غنائم، شبهات حول التشريع الاسلامي، أحد بحوث المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، دار الآفاق، الأبيار-الجزائري العاصمة (د.ط، د.ت).
119. الفارابي (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم)، ديوان الأعراب، تحقيق: أحمد مختار، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1974م-1395هـ.
120. الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء)، معاني القرآن، دار عالم الكتب، ط1، سنة 1983م-1404هـ.
121. الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عليّ نجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:2، سنة 1983م-1404هـ.
- فاضل صالح السامرائي
122. معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط2، سنة 2007م-1428هـ.
123. معاني النحو، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط5، سنة 2011م-1421هـ.
124. فتحي رضوان، الإسلام والإنسان المعاصر، دار المعارف، مصر، ط1، سنة 1975م-1336هـ.
125. فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي، حقيقة اليهود، دار الشهاب، باتنة- الجزائر، (د.ط، د.ت).

- ابن فارس أحمد (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)
126. مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي، دار الحديث القاهرة، ط1، سنة 2008م-1429هـ.
- 127. الصاحي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، حققه وقدم له: مصطفى الشويبي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1964م-1383هـ.
- 128. الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي)، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1983م-1403هـ.
- 129. الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي)، الديوان، مراجعة الشريبي شريدة، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر-المنصورة، ط1، سنة 2011م-1431هـ.
- ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر
130. الفوائد، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع، دار أم المؤمنين، مصر الجديدة-القاهرة، ط1، سنة 1987م-1408هـ.
- 131. التفسير القيم، جمع: محمد أويس التّدوي، مطبعة السنة المحمدية، ط1، سنة 1949م-1368هـ.
- 132. شفاء العليل، تحقيق: سيد عمران، السيد محمد سيد، دار الحديث- القاهرة، ط1، سنة 2005م-1426هـ.
- 133. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط1، سنة 2012م-1433هـ.
- 134. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)، الجامع لأحكام القرآن، المُسمى: تفسير القرطبي، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار البيان العربي-القاهرة، ط1، سنة 2008م-1429هـ.
- 135. القطامي (عمير بن شبيب الملقب بالقُطامي)، الديوان، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، سنة 1960م-1381هـ.

136. ابن القطاع (أبو القاسم علي بن جعفر المعروف بن القطاع)، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبد الدائم، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1، سنة 1999م-1420هـ.

137. القزويني الشافعي (محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق وفهرسة: غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، سنة 2014م-1425هـ.

138. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، أدب الكاتب، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، سنة 1986م-1406هـ.

• قطب (محمد)،

139. حول التفسير الإسلامي للتاريخ، المجموعة الإسلامية، (ط3، د.ت).

140. الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط6، سنة 1982م-1402هـ.

141. التطور والثبات في حياة البشر، دار الشروق-بيروت-لبنان، ط4، سنة 1980م-1400هـ.

142. جاهلية القرن العشرين، مطابع دار الشروق، القاهرة-مصر، ط4، سنة 1980م-1400هـ.

• القرضاوي يوسف

143. الإيمان والحياة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د.ط، د.ت)

144. هموم المسلم المعاصر، الناشر: عبد الله حجاج، دار الشبهات للطباعة والنشر، عمار قرني، باتنة-الجزائر، (د.ط، د.ت).

145. أبو كعب (تيم بن أبي مقبل)، الديوان، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2006م-1427هـ.

146. ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي)، تفسير ابن كثير، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت).

147. الكميت (بن زيد الأسدي)، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، ط1، سنة 2000م-1421هـ.

148. ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل، المعروف بـ: ابن منظور)، لسان العرب، نسقه وعلق ووضع فهارسه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1988م-1408هـ.

149. ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الطائي الأندلسي)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث-القاهرة، ط20، سنة 1980م-1401هـ.

150. امرئ القيس (جندح بن حجر الكندي، الملقب بـ امرئ القيس)، الديوان، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته: حنا الفاحوري، دار الجليل، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2005م-1425هـ.

151. مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، تحقيق: أحمد زهرة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت-ط: 2005م-1425هـ.

152. المتني (أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي المعروف بابن المتني)، الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، المسمى: التبيان في شرح الديوان، ضبط نصه وصححه: كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، سنة 2008م-1429هـ.

153. المبرد (أبو العباس بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير... بن الأزد بن الغوث المعروف بالمبرد)، المقتضب، تحقيق: محمد الخالق عزيمة لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، سنة 1979م-1400هـ.

154. ابن ماجي (أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني)، سنن ابن ماجة، خرج أحاديثه وعلق عليه: عماد الطييار، ياسر حسن، عز الدين ضلي، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت-لبنان، ط1، سنة 2013م-1434هـ.

155. ابن مالك (أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعبني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ط، د.ت).

156. ابن المثني (أبو عبيدة معمر بن المثني التيمي، تيم قريش أو تيم بني مرة)، معاني القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، مصر، ط: 1، 1418هـ-1997م.

157. محمد بن مالك (ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: باسل عيون السود، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2000م-1420هـ.
158. المخزومي (مهدي المخزومي)، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، القاهرة، (د.ط، 1966م-1387هـ).
159. بن المثنى الموصلي (يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي)، المعجم، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، نشرة إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، ط1، سنة 1986م-1407هـ.
160. النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس)، شرح أبيات سيويه، تحقيق وتعليق: وهبة متولي عمر سالم، مكتبة الشباب، القاهرة-مصر، ط1، سنة 1985م-1406هـ.
161. ابن نباتة المصري (جمال الدين أبو بكر بن نباتة المصري الفارقي)، الديوان، الطبعة اللبنانية-بيروت، ط1، سنة 1883م-1304هـ.
162. النجار (عبد المجيد عمر النجار)، قيمة الانسان، دار الزيتونة للنشر-الرباط-المملكة المغربية، ط1، سنة 1996م-1417هـ.
163. النابلسي (محمد راتب النابلسي)، موسوعة أسماء الله الحسنى، دار المكتبي، دمشق-سورية، ط5، سنة 2008م-1429هـ.
164. ناصر حسين علي، الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة، اشتقاقا ودلالة مطبعة التعاونية، دمشق، ط1، سنة 1989م-1410هـ.
165. نهر (هادي نهر)، الصرف الوافي، دروب للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، وسط البلد، شارع الملك حسين، ط1، سنة 2011م-1431هـ.
166. نصيب بن رباح، الديوان، جمع وتقديم: داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط: 1967م-1386هـ.

167. ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (د.ط، د.ت).

168. الوقاد (خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى زين الدين المصري المعروف بالوقاد)، التصريح على التوضيح على شرح ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2000م-1421هـ.

169. ابن يعيش (موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش النحوي)، شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي- القاهرة، (د.ط، د.ت).

170. يس، حاشية (يس)، دار احياء الكتب العربية، (د.ط، د.ت).

171. محمود يعقوبي، الوجيز في الفلسفة، مكتبة الشركة الجزائرية، باب عزون-الجزائر، ط2، سنة 1973م-1394هـ.

ثانيا: المراجع بالأجنبية

172. Leibniz :teodicée 1ierepartie chap.44.

173. كتاب كارل ماركس: «Anti-Diihring» ترجمة راشد البراوي، ط 1934م-1355هـ.

خامساً: فهرس المحتويات:

الصفحة	العنوان
أ-ح	مقدمة.
3	تمهيد: تعريف بـ «سيد قطب»، وتفسيره «في ظلال القرآن».
3	أولاً: تعريف بـ "سيد قطب".
10	ثانياً: تعريف بالمدونة التفسيرية «في ظلال القرآن».
الفصل الأول:	
الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي	
17	المبحث الأول: صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في الدرس اللغوي.
29	المبحث الثاني: تداخل صيغ الصفة المشبهة مع غيرها من المشتقات في الأوزان وسياق الاستعمال.
56	المبحث الثالث: الصفة المشبهة باسم الفاعل بين القياس والسماع.
الفصل الثاني:	
صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"	
دلالة صيغة (فَعِيل - فَاعِل - فَعَل)	
84	المبحث الأول: - دلالة صيغة (فَعِيل)
84	- صيغة (فَعِيل) معرفة
163	- صيغة (فَعِيل) نكرة
206	المبحث الثاني: دلالة صيغة (فَاعِل)
213	- صيغة (فَاعِل) معرفة

290	-صيغة (فَاعِل) نكرة
319	المبحث الثالث: -دلالة صيغة (فَعْل).
323	-صيغة (فَعْل) معرفة.
345	-صيغة (فَعْل) نكرة.
<p>الفصل الثالث:</p> <p>صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"</p> <p>دلالة صيغة (أَفْعَل - فَيَعِل - مَفْعُول).</p>	
362	المبحث الأول: -دلالة صيغة (أَفْعَل).
367	-صيغة (أَفْعَل) معرفة.
378	-صيغة (أَفْعَل) نكرة.
385	المبحث الثاني: -دلالة صيغة (فَيَعِل).
389	-صيغة (فَيَعِل) معرفة.
409	-صيغة (فَيَعِل) نكرة.
422	المبحث الثالث: -دلالة صيغة (مَفْعُول).
430	-صيغة (مَفْعُول) معرفة.
487	-صيغة (مَفْعُول) نكرة.
<p>الفصل الرابع:</p> <p>صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في تفسير "ظلال القرآن"</p> <p>دلالة صيغة (فَعْل - فَعَّال - فَعْلَان).</p>	
509	المبحث الأول: -دلالة صيغة (فُعْل).
514	-صيغة (فُعْل) مُعْرِفَة.

524	-صيغة (فُعَل) نكرة.
535	المبحث الثاني: -دلالة صيغة (فَعَّال).
535	-صيغة (فَعَّال) معرفة.
544	-صيغة (فَعَّال) نكرة.
567	المبحث الثالث: دلالة صيغة (فَعَّلَال).
575	-صيغة (فَعَّلَان) معرفة.
585	نتائج البحث
الفهارس العامة.	
592	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
626	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
629	ثالثاً: فهرس الشواهد الشعرية.
638	رابعاً: قائمة المصادر والمراجع.
655	خامساً: فهرس المحتويات.
	ملخص.

ملخص الأطروحة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأما بعد:

فهذا بحث بعنوان صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل في ظلال القرآن لسيد قطب-دراسة سياقية تتحدث هذه الرسالة عن أحد الأساليب الكلامية على مستوى مدونة تفسير القرآن الكريم وهو «أسلوب صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل» وقد وجدنا أن لهذا الأسلوب أثرا كبيرا في توجيه المعنى لإيصاله إلى المتلقي والتأثير فيه وقد اشتملت الرسالة على أربعة فصول يتألف كل فصل من ثلاثة مباحث: الفصل الأول: وقد تناولت في الجانب النظري لصيغ الصفة المشبهة اسم الفاعل متمثل في صيغ الصفة المشبهة في الدرس اللغوي وتداخل هذه الصيغ بغيرها من المشتقات في الأوزان، وسياق الاستعمال، كما تناولت الصفة المشبهة بين القياس والسماع وأما الفصول الثلاثة المتبقية: فتطرق فيها للدراسة السياقية لصيغ الصفة المشبهة صيغة صيغة وهذا بعد التعريف في كل مرة بالصيغة التي تناولتها الأبنية والمفردات التي وردت فيها.

وقد خلّصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- أنه لا ينبغي أن تُعدّ ما حدّده اللغويون من دلالات لتلك الصيغ تحديدا نهائيا لا يقبل الإضافة إليه، فقد يسفر الاستقراء عن دلالات جديدة لتلك الصيغ أو بعضها قد أغفلها الدارسون والباحثون.

- أن الدلالات التي حدّدها اللغويون لصيغة الكلمة -في معظم الأحوال- إنما هي دلالات إفرادية قد روعي فيها نظام اللغة وحده، ولا شك أن السياقات التي استنبطت منها تلك القواعد محدودة؛ ولذلك فإن دلالات تلك الصيغ قد جاءت محدودة بتلك السياقات.

أما دلالات تلك الصيغ أي صيغ الصفة المشبهة باسم الفاعل على مستوى الكلام فإنها غير محدودة، وما ذلك إلا لأن تراكيب الكلام لا تنتهي إذ إن الكلمية توجد في كل مرة تُستعمل فيها في جوّ يحدد معنا تحديدا مؤقتا- والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها.

والسياق أيضا هو الذي يخلّص الصيغة خاصة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق قيمة حضورية، وهذا الذي يجعل الصيغة تتنوع وتبدّل، وتصرّح وتلمح بحسب المقام والسياق، والمتلقي لهذه الصيغ لا يملّ ولا يكل من مجيئها في الكلام البديع الذي يبعث في النفس متعة ويدفع العقل للتفكير والتدبر فيه أكثر فأكثر ويوجه إلى الأغراض والوظائف والدلالات العديدة المتنوعة الفكرية والأخلاقية والعقدية والفلسفية والاجتماعية والإيديولوجية وغيرها.

Sammury:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and Peace and Blessings upon

Ennobled Messengers, and then:

This research is entitled “Subedits of the Pseudo-Adjective by the Participle in the Shades of the Quran” by Sayeed Qutb -A Contextual Study-

This thesis talks about one of the verbal styles on a blog interpretation level of the Noble Quran and it is “Style of Subedits of the Pseudo-Adjective by the participle” and we have found that this style has a big impact in orienting the meaning for delivering it to the recipient and for influencing him, and the thesis have included four chapters each chapter consists of three sections:

The First Chapter: I have dealt in it with the theoretical side of Subedits of the Pseudo- Adjective the Participle represented in the Subedits of the Adjective in the language lesson and overlapping of these subedits with other derivatives in the weights, and the contextual usage, also I have dealt with the Pseudo-Adjective between analogy and the hearing ; and while in the remaining three chapters: I have treated the contextual study of the Pseudo-Adjective this after defining in each time by the subedit that the structures and the semantics have dealt in which it has been mentioned.

This study has been concluded with a set of findings the most important:

-It should not account what the linguists have been determined of significances for those subedits a final determination formulas does not accept addition to it, the induction may result a new significances of these subedits or some of them have been neglected by the learners and the researchers.

-That the significance which the linguists have determined for the word subedit-in most cases– but it is individual significance where only the language system was taken into account, and there is no doubt that the contexts educed from these rules were limited; that’s why the subedits’ significances also were limited by those contexts.

-As for significances of those subedits -it means –the subedits of the Pseudo-Adjective

by the Participle at the speech level are non-limited, because the speech’s structures are in an infinity for the speaking existed in all times and used in an atmosphere when the sense is determined temporarily and the context which imposed one particular value on the word; despite of the variable meanings that can indicate it.

Also the context which induced the subedit, especially the past significances that the memory let them accumulating, and which created a value of presence, and this made the subedit varying and changing, and it declared and hinted according to the space and the context, and the receiver of these subedits is not tired and exhausted of their coming in the great speech, which sent on the self enjoy and pushed the brain to think and forethought more and more and it oriented to the various purposes, the functions and the many diverse of the intellectual, the moral, the doctrinal, the philosophical, the social, the ideological indications and others.

عبد القادر للعوم الإسلامية
الإسلامية

Résumé:

Louange à Allah, Seigneur des Mondes, Paix et Bénédiction sur Messagers Nobles, et après:

Cette recherche s'intitule «Les formats du Pseudo-Adjectif par le Participe dans les Ombres du Coran» par Sayeed Qutb -Une étude Contextuelle -

Cette thèse parle de l'un des styles verbaux au niveau d'interprétation de blog du Coran et il s'agit du «Style de sous-titres du pseudo-adjectif par le participe» et nous avons constaté que ce style a un impact important sur l'orientation du sens du mot. La remise au destinataire et pour l'influencer, et la thèse comprend quatre chapitres, chacun est composé de trois sections:

Le premier chapitre: j'y ai traité le côté théorique des sous-titres du pseudo-adjectif que le participe représenté dans les sous-titres de l'adjectif dans la leçon de langue et le chevauchement de ces sous-titres avec d'autres dérivés des poids et de l'utilisation contextuelle, j'ai aussi traité du pseudo-adjectif entre l'analogie et l'audience; et dans les trois chapitres restants: j'ai traité l'étude contextuelle du pseudo-adjectif ceci après avoir défini à chaque fois par les formats que les structures et la sémantique ont traités dans les quelles il a été mentionné.

Cette étude a été conclue avec un ensemble de résultats les plus importantes:

- Il ne faut pas rendre compte de la signification des linguistes pour les formules que les formules de détermination finale n'acceptent pas, mais l'induction peut entraîner une nouvelle signification de ces formules ou certaines d'entre elles ont été négligées par les apprenants et les chercheurs. .

- Que la signification que les linguistes ont déterminée pour le mot "formats "- dans la plupart des cas- est une signification individuelle lorsque seul le système linguistique a été pris en compte, et il ne fait aucun doute que les contextes issus de ces règles ont été limités; c'est pourquoi les significations des formats étaient également limitées par ces contextes.

- Quant aux significations de ces sous titres -cela signifie- les formats du pseudo-adjectif

du participe au niveau de la parole ne sont pas limités, parce que les structures de la parole sont infinies car la parole existe depuis toujours et est utilisée dans une atmosphère lorsque le sens est déterminé temporairement et le contexte qui a imposé une valeur particulière au mot; malgré les

significations variables qui peuvent l'indiquer.

Aussi le contexte qui a induit le formats, en particulier les significations passées que la mémoire les a laissées accumuler, et qui a créé une valeur de présence, ce qui a rendu le formats variable et changeant, et il a été déclaré et suggéré en fonction de l'espace et du contexte, et le récepteur de ces formats n'est pas fatigué et épuisé de leur venue dans le grand discours, qui a envoyé l'esprit à apprécier et poussé le cerveau à penser et prévoyant de plus en plus et orienté aux buts divers, aux fonctions et à la diversité des l'intellectuel, le moral, le doctrinal, le philosophique, le social, les indications idéologiques et autres.

عبد القادر للعطوم الإسلامية